

وفي السنة من بناء ومن بنة حكمة هند
وفي غيرها كثيرا وما يذكر الا اذوا الاسباب

المجلد الثاني

١٣١٥

فقر عادي الذين يستعملون القول فينبول آست
ولكن الذين هدامهم انه رأوا ذلك هم رأوا الالاب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى « وبنار » كنار الطريق

مصر. سلخ ربيع الاول ١٣٣٩ - ١٨ القوس (ح) سنة ١٢٩٩ هـ ١٠ اديسبر ١٩٢٠

فاتحة المجلد الثاني والمشررون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدتك، وجل
تناؤك، ولا إله غيرك، لا نعوذ بك، أنت كما أنذيت على نفسك،
فحمدك بما حدث به نفسك في كتابك موصلني ونسلم على أنبيائك
ورسلك : (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى)، ونحياه
المباركات وصاواته الطيبات على خاتم ربه محمد المصطفى، وآله المطهرين
وأصحابه الحننا، وعلى من اتبع هديهم واقتفى، (وهو الله لا إله إلا هو
له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون)

سبحانك اللهم وبحمدك ، حكمتَ فعدلت ، وقدرتَ فهديت ،
 واتقمتَ فقهرت ، فلك الحمد في السراء والضراء وحين البأس ، لا تقوط
 مع رحمتك ولا يأس ، فأسألك من رحمتك العامة للعالمين ، ومن رحمتك
 الخاصة للمسلمين ، ووفقني اللهم للقيام في هذا المنار بالنصيحة الحق ،
 النافعة لكل من بلغته من الخلق ، ووفق اللهم أئمة هذه الامة وأمرأهه ،
 وقادتها وزعماءه ، الى ما تخرجها به من ظلمات هذه الفتن الى النور الفاض
 من مطالع آياتك البينات ، المنبسط شماعه على الخلق بسنتك في سير
 البشر ونظام الكائنات ، ليعلموا أن الغلو في الدين ، مضية للعالمين والدين ،
 وأن التورود بالدنيا مهلكة للمزورين ، وإن سنة الله تعالى في رد الفعل الى
 سواء الصراط ، يتعاقب في سبيله التفریط والإفراط ، (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 سَبِّحُكُمْ آيَاتِهِ فَتَمَرُّوْنَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)
 سبحانك اللهم وبحمدك ، أرىتنا من آياتك في أنفسنا وفي الآفاق
 ما يتبين به الحق ، لمن زكت فطرته واستنارت بصيرته من الخلق ، فوفقنا
 لمعرفة ما نراه منها في هذا الزمان ، معرفة اعتبار وحكمة وإيمان ، كما وفقت
 لذلك آباءنا الاولين ، وسلفنا الصالحين ، لتكون كما كانوا من الأئمة
 الوارثين ، الجامعين بين سيادة الدنيا وهداية الدين ، اذا أوغلنا في الدين
 نوفل برفق فلا نفلو غلو المزورين ، واذا حكمنا بين الناس نحكم بالعدل فلا
 نملو علو الجبارين ، واذا تصرفنا بما أحلت لنا من الزينة والطيبات من
 الرزق نتصرف تصرف الشاكرين ، فلا نستأثر بالنعمة أثره المسرفين ،
 الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، (يَرْفَعُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ
 يَنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أريتنا آياتك ، فإن جمعنا أرقام فقد عرفناها وما نحن لها بمجاهدين ، وعرفتنا نعمتك فإن يذكر بها الاكثرون ، فأنحن بها بكافرين ، وقد أنزلت عقابك الحق بالباغين الجبارين ، وبالترفين المرفين ، وبمن ذل لكبرياتهم ودان لطغيانهم من الجاهلين المفرطين ، فاجعل اللهم ذلك عبرة ووعظة لنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، وارفع اللهم مقنك وغضبك عنا ، فقد آن أن يستدير الزمان ، ويحجده اعجاز القرآن ، فيتوب الفاسقون ، ويوقن المرتابون ، ويؤمن الجاحدون (ألم ، غلبت الروم في أدنى الأراض وهم من بعد غلبهم يستعجبون في بضغ سين . لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) وعند الله لا يخلف الله وعده ولـ يكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)

سبحانك اللهم وبحمدك . أريتنا من جهل أعلم الناس بشؤون خلقك ، ما أتت به الحجة البالغة على صدق قولك واحاطة علمك ، فقد غلبت الروس الذين كانوا يمدون الخطر الاكبر على الاسلام ، كما غلبت الروم في عهد ظهور النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم غلبت الشعوب الجرمانية ، وظهر جهلها بما كانت به أعلم الشعوب من الفنون الحربية ، ثم ظهر جهل أعلم الاقوام بجمع الثروة وحفظ المال فكانوا من الماسرين ، وظهر جهل أعلم الامم بشؤون الادارة والاستثمار فكانوا من الخائبيين (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أي أن كذبوا بآيات الله وكانوا أبستيزيون) سبحانك اللهم وبحمدك أنت الواحد القهار ، مكرر النهار على الليل .

وَمَكُورٍ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ، الْكِبْرِيَاءِ رِداؤُكَ، وَالْمَظْمَةِ إِزَارُكَ، مَنْ
تَلَا هَكَذَا فِيهِمَا قِصَّتَهُ، وَقَدَصَرَفَتْ عَنْ آيَاتِكَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ
بِظُهُورِ الْحَقِّ، مُفْتَرِينَ بِمَا اسْتَدْرَجْتَهُمْ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْقُوَّةِ وَسَمَةِ الرِّزْقِ، فَلَمْ
يُتَّقُوا بِمَا جَلَّ عَنْ قِبَالِهِمْ مَنْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً، وَلَمْ يَتَمَنَّاوْا بِمَا أُنْزِلَتْ
مِنْ آيَاتِ الْوَحْيِ وَشَرَعَتْ مِنْ هُدَى النُّبُوَّةِ،
. وَاجْعَلْ ذَلِكَ تَرْبِيَةً لِلْمُسْتَضْعَفِينَ الْمُتَفَرِّقِينَ،
وَقَهْرَكَ لِإِيَامٍ سَلَامًا وَرَحْمَةً لِّجَمِيعِ الْعَالَمِينَ، يَمْلِكُهَا الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ، وَيَقْضِي
بِهَا الْمَدْلَ عَلَى الظُّلْمِ، وَغَلَبَ الْقَصْدَ وَالْإِعْتِدَالَ وَالْإِثَارَ، عَلَى السَّرْفِ
وَالْإِثْرَةِ وَالْإِسْتِكْبَارِ، فَقَدْ ضَاقَ الْبَشَرُ ذُرْعًا بِطُغْيَانِ الْإِغْنَاءِ الْمُسْرِفِينَ،
وَعُظْمَانِ الرُّؤَسَاءِ الْجَبَّارِينَ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَكَثُرُوا فِيهَا
الْفِسَادُ، وَاسْتَكْبَرُوا عَلَى الْبِيَادِ فَاسْتَعْبَدُوا الْجَمَاعَاتِ وَالشُّعُوبَ لِلْأَفْرَادِ،
(أَفَا مِثْلُ أَهْلِ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ؟ أَوْ أَمِنْ أَهْلِ
الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا نَضْحَى وَهُمْ يَنَامُونَ؟ أَفَا مِثْلُ مَا كَذَّبَ اللَّهُ، فَلَا
يَأْمَنُ بِكَرِّ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ؟ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ
مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ لَوْ أَنشَاءُ أَصْنَانًا مِمَّنْ يَذْنُوبِينَ وَأَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ؟)

لقد انذرنا أ كابر الساسة في مثل هذه الفاتحة منذ عامين ، أن ترك تنفيذ
قواعد العدل العام وحرية الام لا بد لها من احدى العاقبتين ، بقولنا : إن
لا تفعلوه تمكن فتنة في الارض وفساد كبير ، واثقاب باسفي شره مستطير ،
أو تعود الحرب جذعة ، بهذه السياسة الخدعة : الغيابة الطامعة (والذين
يمكرون البيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يثور ، فلا

تَمُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَصْرَفُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وقد صدقت الآيات
ولم تكن النذر، واتبع المنذرون أهواءهم وكل أمر مستقر، فهذه الأرض
تضطرم بنيران الفتن والفساد، والانقلاب البلشفي كل يوم في ازدياد،
وانما هو شر على، فهو ممي المال، ومستعبدى الاقوام ومذلي الاقيال، وقد يشقى
ناس فيسعد بشقاؤهم آخرون، وتل عروش قرى غاية فيرتها قوم آخرون،
(أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَا يَشْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُدًى
وَرَحْمَةَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) ولولا أن يكون الناس أمة واحدة
لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا
يَظْهَرُونَ....)

ان الناس لن يكونوا
أمة واحدة، ولن تخضع الامم منهم لامة واحدة، ويأبى المثلثون المترفون،
و«الرأسماليون» الطامعون، إن طلب الزيادة ينتهي بالوقوع في النقصان،
وان السواد الاعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبداً خادماً لافراد من
الاعيان، وان سنة رد الفعل، سيكون لها القول الفصل، والحكم العدل؛
ولكن المجرمين يرون العدل عقاباً، والمساواة بين الناس عذاباً، فكيف
اذا سبقه الجزاء على الظلم السابق، والافراط المالحق، وكان تنفيذه على
المعاندین، بمثل القسوة التي كانوا يسومونها الضمفاء والمساكين، وان
تدبر قول أن يحاط بكم، فهو خير لكم، (لَا تَطْلُمُونَ وَلَا تُتَطَلَّمُونَ) وقد
أعلمكم ما حوّلكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون
وأنت يا أيها الامة الامية، التي عاودها الارتكاس في عصبية الجاهلية،

إلى م هذا التفرق والانقسام ، بعد تلك السعادة بالوحدة والاقتسام ،
وحتى م تلذذين من الجهر الواحد مراراً عديدة وقد أخذت من المرتين ،
وسمعت النذر بالاذنين ورأيت العبر بالعينين ولست المواعظ باليدين ؟
والى متى تتعزى بالمظاهر والالقاء ، وتدعى الفرص تبرك من السحاب ،
تدأق عليك الامم كما أخبرك النذير ،
اذ كان لهم منك أي ولي وظهير ، ورأيت الذين في قلوبهم مرض يسارعون
فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، وابتغوا عندهم العزة والثروة
فكانت كرتهم الظلمة ، لانهم خسروا بولايتهم الدنيا والآخرة ، وذلك
هو الخسران المبين ، وان كانوا غافلين (فَتَعَالَوْا أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا
كُلٌّ فِي فَحْزٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَ ه فذَرُوْهُم فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ه
أَيَحْسَبُوْنَ أَنَّمَا نُعْطِيْهِمْ مِنْ مَّالٍ وَبَنِيْنٍ ه — نَسَارِعُ لَهُمْ فِي
الظُّلُمَاتِ ا بَلْ لَا يَشْعُرُوْنَ)

فيا قوم اني لكم ناصح أمين ، على علم بالحق المبين ، من هداية القرآن ،
وأحوال الزمان ، أن لا تعبدوا الا الله ، ولا تأسوا من روح الله ، (وأن
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يثبت لكم مَتَاعًا حَسَنًا الى أجل مُّسَمًّى
ويؤتي كل ذي فضل فضله ، وأن تولوا فاني أخافُ عليكم عذاب يوم
أكبير) أخاف عليكم عذاب يوم القيامة الاولى ، قبل عذاب يوم القيامة
الاخرى ، يوم الخزي والنكال ، بفقدية الاستقلال ، فقلوا أولياء الشيطان ،
بما أمركم به الرحمن ، من غير تحريف ولا تصحيف في القرآن ، ولا تفرنكم أيمان
أنته ليس لهم إيمان ، ولا يصدقكم من آيات الله سبب ولا نسب ؛ ولا
دَقَب ولا رهب ولا ورق ولا ذهب ، فقد برح الخلفاء وانكشفت الظلمة ،

فلا يكن أمركم عليكم شعة ، (قل يا قوم اعلموا على مكانتكم اني مابل فسوف تعلمون -- من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون)

والأخص بالتذكير قومي وعشيرتي ، بهذا التذكير العام لجميع شعوب أممي ، بما يشد أسر الجماعة ويضع عنها إصرها ، ويحكم أواصر الجماعة ويرفع لها ذكرها ؛ وهم لا يزالون أشد تلك الشعوب تحاذلا وتواكلا ، وأضعفهم تماونا وتكافلا ، وأكثرهم تباغيا وتفاشلا ، وتماحكا وتماحلا بوأفهم تحالفا وتناصرًا ، وتضافرًا ونظامًا ؛ إتحاد مسلمو مصر مع القبط فيما ينسب في الدنيا ولا يضر بالدين ؛ وتعاون مسلمو الهند كذلك مع الوثنيين ، وتناصر مسلمو الترك مع الروس أعدى أعدائهم الأولين ، ولكن تندر الاتفاق في الجزيرة بين أبناء الدين الواحد ، واللغة الواحدة والوطن الواحد ، كما تندر الاتحاد في قطر آخر بين السهل والجبل ، بل بين بلد وبلد ، ولولا أن هذه أذمة مرحومة لأبسلت بذوبها ، وهلكت بتفريطها في أمرها ، ومن رحمة الله بها أن باب التوبة لا يزال مفتوحا في وجهها ، وإن مسالك النجاة ما فتئت مرجوة لها ، فاعليها إلا أن تأتي البيوت من أبوابها ، وتطلب المسببات من أسبابها ، بتغيير ما وقعها في سابق غرورها ، والتواكل في أمورها ، والاتكال على أيمان مبرها . (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإن الله سميع عليم ه كذاب آل فرعون والذين آمن من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وكل كانوا ظالمين ه إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم فلم ينقون عنهم في كل مرة وهم لا يتقون) فتدبروا سائر الآيات - (وأنتم

لا تغفلون . هـذا بصائر للناس وهُدًى ورحمة لقوم يؤمنون)
استدار الزمان ، ووقع من التطور الاجتماعي ما لم يكن في الحسبان ،
وسيندك ما بقي من صروح الاستبداد ، وينطلق سائر المستبدين من مقاطر
الاستبداد ، بفضل النضاfer والتظاهر والاتحاد
وانما اللذ
والهوان ، والخزي والخذلان ، والبني والمدوان ، على أهل النفاق والدهان ،
والمترفين في المذاهب والاديان ، والمتعادين في الزعامات والبلدان :
والمفرورين بالمهود والايان . والقوانين وحقوق الانسان ، والمخدوعين بكلم
العدل والمدينة ، والمساواة والحرية . والرحمة الانسانية . وانما المعاهدات ، حجج
الاقوياء على الضعفاء ، ولا وجود للعدل والمساواة ، الا حيث العجز عن الظلم
والهابة ، ولا حق في الحرية ، ولا في الرحمة الا لذوي الايد والجرمة ،
والعاقل لا يظلم فكيف اذا كان أمة " على أن فاموس السياسة تكثر فيه اسما
الاضداد ، فلا تنافي فيه بين التحرير والاستعباد ، ولا تضاد بين الحماية
والاستقلال . ولا تناقض بين الاسائة والاحسان ، ولا تناقض بين الكفر
والايان (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون •
كيف وان يظهر واعليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وأولئك هم الممتدون)
تبا للنافقين المتماقين . وسحقا لليائسين المستسلمين . وبمدا للفاستق
الظالمين . وطوبى للراجين الماملين . فرب خوف أعقب الرجاء . ورب عدا
اتبعى بولاء (وعسى أن تكرهوا شئنا وهو خير لكم) وعسى أن تحبوا
شئنا وهو شر لكم . والله يعلم وانتم لا تعلمون)
محمد رشيد رضا

فَتَنَاتُ الْمَلَبَّاتِ

فصلنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . وأتانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

مآتم عاشوراء واقتحام الشيعة النار فيه

(ص - ١) من صاحب الامضاء في (زنجبار)

الى حضرة جناب الافخم العلامة الامتاذ السيد محمد رشيد رضا المحترم . دام اقباله بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : سيدي بطي الاحرف ورقة قطعناها من الجريدة الرسمية بزنجبار أحيينا أن نطلعكم عليها مضمونها أن الشيعة الامامية الاثنا عشرية يوقدون في ليلة العاشر من المحرم في حفرة طويلة عريضة نارا قوية ويعرون فوقها ولا يحرقهم . وكنا قبل نسمع بهذا العمل انه في الهند وهذه السنة شاهدنا بأعيننا هذا العمل بطرقنا . ويزعمون انها معجزة من معجزات أهل البيت وكذلك يزعمون ان شجرة في الهند يخرج منها دم في كل شهر محرم . وقد كثر من اخواننا الشيعة بطرقنا مثل هذه الاشياء . ولولا أن بين أيدينا كتب العلامة ابن تيمية قدس الله روحه لكان أكثر الناس تشبهوا . وقد هرفناكم بذلك لاجل أن تبينوا لنا الحقيقة على صفحات المار حتى ينجلي ما التبس علينا ، ولكم من الله الاجر ، ومن خلقه الشكر ، والسلام

من صغيركم صلاح الدين بن ناجي بن علي الكسادي

من زنجبار في ٢٣ المحرم سنة ١٣٣٩

ترجمة ما نشر في جريدة زنجبار الرسمية الانكليزية

أرسل البنا الوصف الآتي للاعياد المحلية لما نشر المحرم ولطيف القراء: من المعلوم الذي لا شك فيه ان تذكرا استشهاد الحسين هو من أهم الاعياد الاسلامية لان أول صدع عظيم حدث في الاسلام كان بناه على هذا الحادث ، أعني مسأله الحق بالخلافة

تحتفل فرقة الشيعة في زنجبار كل سنة باستشهاد الحسين بشعور انفعالي عظيم ففي تأثير شديد . ففي ليلة العاشر من المحرم يضرب المخلصون صدورهم وروءهم ويخوضون في النار وهم ينادون باسم محمد والحسين بنمة مؤثرة تبكي الساطرين ، بل تحزن صدر السنين ، وغيرهم من المتفرجين ، ولا يصاب أحد من المخلصين بضرر . ثم في كرت الجريدة ان عاشوراء هذه السنة كانت أول فرصة حدث فيها الاحتفال باقتحام النار في جزيرة زنجبار اه

(ج) ان اقتحام بعض أفراد الشيعة الامامية النار في الاحتفال بذكري استشهاد الامام الحسين السبط عليه السلام في عاشوراء له نظير عند بعض المتبعين المم الطرية الرفاعية وغيرها من طارق المتصوفة . ومنهم من يحمي حديدية في النار حتى تحمر ثم يلحسها بلسانه حتى تبرد ويزول احمرارها . وكثير من الناس المتبعين الى اديان ومذاهب ونحل مختلفة في أقطار كثيرة يأتون بأعمال قرية في نظرها غير الناس وهذه الاعمال القرية التي تتناقل جميع الامم أخبارها ثلاثة أنواع

(أحدها) صناعة المشوذة التي يحذقها بالعلم والتمرن وخفة الحركة ألبس تزيرون فيأتون من الاعمال ما يمجز عنه غيرهم وقد تنحبل الى الناظر الشيء على غير صورته أو حقيقة كأن ترى اسان أحدهم يصيب النار وهو لا يمسها بل يقرب منها ويلقي امامه عليها . وأسهل من ذلك اقتحام نار موقدة بسرعة لا تكفي للحرق النار بالفتحم ، وقد رأينا بعض الصبيان في بعض قرى سورية يتبارون في اقتحام نار يوقدونها وقلما تلاق بؤب أحد منهم

(النوع الثاني) غرائب حقيقية يستعان عليها بالعلم بخواص الاشياء قسم اليكيباه والكربا وغيرها . وانما تكون غرائب عند الجاهل باسبابها وكذلك النوع الاول انما

براه غريبا من يجهل تلك الصناعة وما فيها من الحيل والتغلب
(النوع الثالث) غرائب مصدرها تأثير النفس الانسانية بقوة ارادتها وغيرها
من الخواص الروحانية كاستعدادها لتعلم بعض الامور الواضحة أو المستقبلية من غير
طريقي الحس والفكر . وهذا النوع يتفاوت أهله فيه تفاوتاً عظيماً بالاستعداد
الفطري وبالرباطة الروحية

والمشكلمون يطلقون على كل ما جاء على خلاف المعروف المعروف مما لا يعرف له
سبب كلمة (خوارق العادات) ويمدون منها الآيات التي يؤيد الله تعالى بها رسوله
عليهم السلام ويسمون بها المعجزات . والخوارق الحقيقية لا تتكرر كثيراً لان ما يتكرر
هو هادي لانه يعود كما بدأ ، وكل ما كان عن علم أو صناعة أو قوة نفسية تستعملها
الارادة البشرية فهو من جنس المعتاد ويتكرر ، لان صاحبه يفعله بإرادته واختياره ،
وأنحصاره في أفراد وفتات من الناموس هو كإحصار سائر الصناعات والعلوم في ممتلكاتها
ومزاويلها وقوة الاستعداد الجسدي في أهلها

وأما آيات الرسل التي أيدهم الله تعالى بها كدلالة على صدقهم في دعوى
الرسالة فهذه فليست مما تتعلق به قدرتهم وأرادتهم بحيث يأتونها متى شاءوا كإثباتهم
الاختيارية ولا مما يتلقى بالعلم ، ولذلك أمر الله تعالى خاتم رسوله الذي أكل
دينه به ان يجيب من أقرعوا عليه الآيات بقوله (قل إنما الآيات عند الله)
بقوله (سبحانه ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) ولكنها من شئونه تعالى يجر بها
على أيدهم متى شاء . أما بنير كذب منهم البتة كعجز القرآن وعصا موسى وأما
مقاومة لكسب ما منهم يأتونه باذنه ليس له من التأثير في خرق العادة الا الصورة
كرمي نبينا (ص) المشركين بقبضة من الرمل على البعد منهم أصابت أعينهم على
كثرتهم وبعدهم عنه واختلاف أوضاعهم وحالاتهم عند الرمي ، وذلك قوله تعالى
له (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ومن هذا القبيل إبراء الاكاه والابرض
واحياء الموتى لميسى (ع) وان جاز أن تكون قوة روحانيته الوهية هي المؤثرة
بإذن الله تعالى فيه . وكرامات الاولياء أكثر مما تكون من النوع الثالث لغرائب .
وأما السحر فليس من خوارق العادات في شيء . وإنما هو صناعة تؤخذ بالتعلم

والعمرن وتدخل فيما ذكرنا من أنواع الغرائب المتعادية التي يقصد بها التمدد والمكر والخداع ولذلك اتهم فرعون السحرة بأن ما فعلوه مع موسى مكر مكروه في المدينة متواطئين عليه ، وقال تعالى لموسى (انما صنعوا كبد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقال في تأثير كيدهم وشعوذتهم فيه (يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى) وذكر ان هاروت وماروت كانا يملكان الناس السحر بيبابل ، وخوارق العادات لان تكون بالعلم كما تقدم وفاقا لما قاله الشيخ محيي الدين بن العربي

اذا تدبر السائل ما تقدم علم أن ما ذكره من اقتحام بعض الشيعة لآثاره وما ذكرنا من العادات المكروه ، والشجرة التي زعموا انها تقطر دما في شهر المحرم لا وجود لها . فأنا لم أسمع بها قبل ورود هذا السؤال لا في بلاد الهند أيام كنت فيها ولا في غيرها ولما جاء هذا السؤال سألت عنها مضي أفاضل الشيعة الذين يعرفون الهند وايران والعراق فقال لم نسمع بذكر هذه الشجرة في الهند ولا في ايران ولا في العراق . وهذه الاقطار الثلاثة هي موطن الشيعة الامامية وأوى الملايين منهم وفيها معاهدهم الدينية الكبرى فكيف يجهل فيها أمر هذه الشجرة ويعرف في زنجبار وحدها

وهب أن ما ذكر من اقتحام النار لا دخل فيه الصنعة ولا خفة وأنه كرامة لاهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأني دخل في ذلك لمذهب الامامية ومقتضى ترك غيره البسه ؟ وهل هو الا مذهب موافق لسائر مذاهب المسلمين المروفة في أكثر مسائل العبادات والمعاملات ومخالف لها في مسائل قابلة للتخالف بعضها بعضا . وجميع أصحاب المذاهب الاسلامية يحملون آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ويحبونهم ويؤلفونهم ويرون انهم اهل لكل كرامة من الله تعالى في الدنيا والآخرة الا ما شذ فيه بعض الخوارج الذين يتبرمون من أمير المؤمنين علي المرتضى كرم الله تعالى وجهه ومن أفراد آخرين من الصحابة وأئمة الدين ، وأمن الاسلام ما أجمع عليه المسلمون ولا سيما في الصدر الاول وكل ما وقع فيه الخلاف بين أئمة العلم والفقه فهو من المسائل غير القامية في الدين التي يختلف فيها الاجتهاد . ولا يصحصر العبادات فيها بفرد من الافراد ، وفي كل من المتنبي الى المذاهب المنتشرة سابقا ولاحقا وابرار وفجار ، فان أدنى أحد الصالحين من أهل مذهب منها كرامة فلا وجه لجمعها

حجة على ترجيح مذهبه على سائر المذاهب في جميع المسائل الخلافية ولا في بعضها ، ولو كان حجة لاستغنى به عن الاجتهاد والاستدلال

استطراء في تفرق المسلمين والعيرة بعام عاشوراء

سبق لنا البحث في أمثال هذه المسائل مراراً ، وأنه لم يزلنا ننازل في أشد الحاجة الى تكرير تذكير عامة أخواننا المسلمين من جميع المذاهب في جميع الاقطار بأنه قد آن لهم ان يتركوا هذا التنابر والتناظر في المذاهب الذي أضف الدين ، وفرق كلمة المسلمين ، فان المصائب العامة المشتركة أفصح معالم وأحكام ، ودب ، وقد تواتر عليهم نذرهما ، ووضحت لهم عبرها ، ولا سيما في هذه السنين ، (أولاً يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) على قد رأى الاكثر من مالم يكونوا يرون ولكنهم لا يزالون يجهلون ، وقد أضاعوا أعظم الفرص ، ولا يزال لهم مجال للعمل ، فان أضاعوا بقية الفرصة فهم هالكون

قد كانت ذكري قتل الحسين واقامة المآتم له مما يقصد به غلاة الساسيين من الباطنية واتبائهم زيادة التفريق بين المسلمين وتأريث الضمائم والاحقاد بينهم استرسالاً مع تلك الدسائس المبعوسة التي دس في الصدر الاول الكبد للمسلمين الذين أزالوا ملك المجوس وساطنتهم الديني وملكهم الكسروي ، وكان جميع الصادقين في الاسلام من شجرة آل البيت النبوي وغيرهم غافلين عن ذلك جاهلين به ، وظل بعض المتصبيين يقصد بمثله في بعض الاوقات تقوية المصيبة والتذكير بأخذ الثأر من المعتدين الظالمين ، ولكن من هم اليوم ؟ واعادة الحق الى الامة الوارثين ، وأين هم اليوم ؟ فلماذا يباسون بيني أمية فتلتهم ، وفلماذا يبيدون بالباسيين فتلتهم . وصار المسلمون دول كثيرة أحاط بها الخطر منذ قرنين أو أكثر ، فأين استمداد اتخذ لذلك في مجموع الامة الاسلامية أو في أي مملكة من ممالكها ؟ أين هم من العمل بما صرح من ان مات وليس في عنقه بيعة لامام مات ميتة جاهلية ؟ لقد مرقوا نسيج الوحدة ، ولم يبق من الجامعة الدينية في أي جماعة منهم الا أسباب الفرقة ، ولقد صار هذا المآثم كاستمرار أحداث المسلمين الحديثة والمذاهب من الاختلالات باسم الدين : عادات تقليدية ، تشبه الملاحى التي نجح الداس لجامع القصص التاريخي

و الخيالية ، بل هي أقل فائدة وأكبر ضرراً من تمثيل القصص المذكورة في الامم الحية
لو كان المسلمون يمشون عيشة الجند لجمعوا الاجتماع في عاشوراء لذكرى مولد
الامام الحسين (عليه رضوان الله وصلاحه) وسيلة سياسية لاحياء المقصد العظيم الذي
بذل هذا السبط الشهيد السعيد حياته العالية الغالية في سبيله لاحداث ديننا يزيد تفرق
الكلمة ولا لعبا بالسلاح والنار وندبا بالخطب والاشعار لا يمت على اقامة حق ،
ولا تمجيد ملك بل هو اما أن يضر واما أن لا ينفع — ذلك المقصد الذي لم ترتق
أمة من الامم الراقية في هذا العصر الا على أيدي رجال من أهلها يصح ان يسموا
حسينيين بما كان من استماتتهم بالحياة الدنيا في سبيل ذلك سلطان الظلمة المستبدين
بأمتهم واقامة سلطة عادلة مقيدة برأي الامة مكانها . ذلك هو الامام الاعظم لمن
تسميهم الامم العزيزة اليوم بالفدائيين المتقدين لها ، فلو يوجد أحد من زعماء مآتم
عاشوراء في قطر من الاقطار بث هذه الفكرة فيه أو فكر فيها ؟
(شاهد تاريخي في مآتم عاشوراء)

كان الباطنية من ذنادقة الجوس وغيرهم ممن قبل دعوتهم قد اتخذوا شيمة آل
البيت ذريعة الى مقصدهم السياسي الذي ذكرناه آنفاً وسبق لنا بيانه من قبل . وكان
جل كيدهم موجهاً الى جعل ملك الاسلام في قبضتهم ليكنوا من قتله بسيفه ، وقد
نجموا بتأسيس الدولة المبيدية الفاطمية بمصر ، ولكن هذه الدولة زالت قبل ان يتمكنوا
من ازالة الاسلام بها . وهذه الدولة هي التي أحدثت مآتم عاشوراء في مصر للمقصد
الذي قامت به ، وانا نورد من تاريخ المقرئ الشيرازي الشيرازي مآتم عاشوراء عندهم وهو :
(ما كان يعمل في يوم عاشوراء)

قال ابن ذولاق في (كتاب صبرة المزلدين الله) في يوم عاشوراء من سنة ثلاث
وستين وثلاثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة
ومعهم جماعة من فرسان الغاربة ورجالهم بالنيابة والبكاء على الحسين عليه السلام
وكسروا ألواني السقائين في الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من يتفق في هذا اليوم
ونزلوا حتى بلغوا مسجد الربيع ودارت عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد
الحسين بن عمار وكان يسكن هناك في دار محمد بن أبي بكر وأهلق الدرب ومنع

الفرقيتين ورجع الجميع لحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد اهلقتوا الدكاكين وابواب الدور وحملوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الاخشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كاثوم وقبر نقيدبة وكان السودان وكافور يتصبون على الشيعة وتطلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون لارجل : من خالك ؟ فان قل صاوية اكرموه وان سكنت لقي المكروه وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج

وقال المسيحي وفي يوم عاشوراء يعني من سنة ست وتسعين وثمانمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزلهم بمجتمعين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز ابن الزمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لانزلوا الناس أخذ شيء منهم اذا وقفتم على حوائثهم ولا تؤذوهم ولا تنكسبوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء . ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا الى الشارع مجتمعين وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودي عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه

- وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبي السباط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السباط المختص بعاشوراء وهو يعي في قبر المكان الجاري به المادة في الاعياد ولا يحمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من آدم والسباط يعولوها من غير مراعف نحاس وجميع الزبادي أجبان وسلائط ومخللات وجميع الحيز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على سباط صوف من قبر مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السباط لهم وقد عمل في الصحن الاول الذي بين يدي الافضل الى آخر السباط حدم اسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السباط ثم رفع وقدمت صحنون جميعها غسل نخل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة

وخمسةائة جلس الخليفة الأمر بأحكام الله على باب الباذية مع بني من القصر بعد
 قتل الانضل وعود الامطة الى القصر على كرمي جريد بغير نخدة متاعا ووجوب
 حاشيته فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الامراء الكبار والعسكار باقرايمز وأذن للنفاذي
 والداعي والاشراف والامراء بالسلام عليه ومعهم بغير مناديل مشون حفاة وعبي
 السباط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما كان في الايام
 الافضلية وتقدم الى والي مصر والقاهرة بأن لا يمكن احدا من جمع ولا قراءة
 مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء
 وغيرهم على ما جرت به عادتهم. قال وفي ليلة عاشورا من سنة سبع عشرة وخمسةائة
 اعتمد الاجل الوزير المأمون على السنة الافضلية من الغني فيها الى التربة الجيوشية
 وحضور جميع المتصدرين والوعاظ وقراء القرآن الى آخر الليل وعوده الى داره
 واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض متنابرا
 به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السباط بما جرت به العادة
 قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس
 فاذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غبروا زيهم فيكونون كما هم اليوم
 ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الازهر فاذا جلسوا
 فيه ومن مهم من قراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدرا
 والقاضي والداعي من جانبه والقراء يقرؤون نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير
 شعراء الخليفة شعرا يرثون به أهل البيت عليهم السلام فان كان الوزير والقاضي
 تغابوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون
 الى القصر بقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بتعديل صفيح الى داره ويدخل القاضي
 القضاة والداعي ومن مهم الى باب الذهب فيجدون الدهايز قد فرغت من الصايط
 بالحصر بدل البساط وينصب في الاماكن الخالية من المصاطب ذلك التلحين بالمصاطب
 لغرض ويجدون صاحب الباب خائسا هناك فيجلس القاضي والداعي الى جانبه والناس
 على اختلاف طبقته يقرأ القراء وينشد المنشدون أيضا ثم يفرش عليهم السباط الحزن
 مقدار الف زبدية من المدمس والمروحات والمخللات والاحيان والالبان الساذجة
 (المار : ج ١) (٦) (المجلد الثاني والعشرون)

والاعمال النجلى والفطير والحبز المذبر لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل الناس للاكل منه فبدخل القاضي والداعي وبجلاس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمدكران الى جانبه وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أما كنهم ركبانا بذلك الزى الذي ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأطلق البياعون حوانبهم الى جواز العمر فيفتح الناس بعد ذلك وينصرفون اه ماجاء في تاريخ المقرري عقب الكلام على المشهد الحسيني وذكر خلاصة مقتل الامام الحسين . ثم قال في باب بيان أعياد القاطنين ومواسمهم ما ناضه :

يوم عاشوراء كانوا يتخذونه يوم حزن تتمطل فيه الاسواق ويميل فيه السباط العظمى المسمى سباط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني فانظره وكان يصل الى الناس منه شيء كثير فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسمون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ويصنعون الحلوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في أيام عيد عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي لانه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمل به بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكل القملين غير جيد والصواب ترك ذلك والافتداء بفعل السلف فقط * وما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب به اليه ليلة عاشوراء عند ما أخر عنه ما كان من جاريه في الاهراء

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد الملى الصمد ان لم يبادر لنجاز موعدي
لاحضرت للنساء في غد مكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاء بهيئة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه من أفعال الغضب وهو من أحسن ما سمعته في الترميض فله دره

باب المراسلة والمناظرة

خطبة للشيخ محمد أبو زيد

خطبها في الاحتفال برأس السنة الهجرية سنة ١٣٣٩

وفيهما اتفاقية الصلح بين الرسول وخصومه

أحمد الله تعالى ثم أقول في هذا الأسبوع تواتت الأعياد الثلاثة العيد المصري (عيد النبروز) والعيد العمري والعيد الهجري وتوالي هذه الأعياد يبشرنا بأز الحير سيتوالى على مصر وأبنائها

المواد مرجع التاريخ

جرت عادة الأمم على أن تؤرخ بالحوادث فإذا كانت لها حادثة مهمة جعلتها مبدأ لتاريخها . انظر العرب قبل الاسلام كانوا يرجعون الى الحوادث في التاريخ فيقولون عام الفيل ويوم الحرب الفلانية . وانظر المسيحيين جعلوا تاريخهم حادثة الشهداء الذين اضطهدهم الرومان وأبو الا أن بموت واضحة دينهم ومبدئهم فوائد الاحتفال بالأعياد

وفي الاحتفال بالأعياد فوائد ينبغي لنا أن نراعيها — منها احياء ذكرى الامامين وتخليد آثارهم لتتدي بهم في خلقهم وعلمهم ، ومنها ارتباط الحاضر بالماضي ارتباطا يجدد للامة قوتها ويحفظ لها شخصيتها ، ومنها تربية الشهور والمواعظ على الاتحاد والتعاون فيشمر كل فرد في الاجتماع بأنه قوي بقوة المجتمعين مؤيد بروحهم ، وروح الاجتماع معروف تأثيرها في النفوس والاعمال

ثم من الفوائد كذلك أن نحاسب الامة نفسها على ما عملته في الماضي وما تمده للمستقبل فننظر كما ينظر التجار في آخر كل سنة مقدار الربح أو الخسارة فان كان عندها ضعف في الداخلية أو الخارجية ورأت نفسها قد قصرت فيما مضى فاتها ثوب الى الله تعالى وتعمل على تقوية هذا الضعف وتحترس من أن تقع في مثله في المستقبل وان رأت انها لم تنصروا بها قوة متقدمة فاتها تشكر الله الذي وفقها ثم ننزله من الاعمال الراجعة المقدمة

هجرة النبي حادثة عظيمة

هذا وإن هجرة النبي حادثة عظيمة إذ كانت سببا في أحداث إصلاح عظيم
وفتحا باب استقلال جديد وقبل أن أبن هجرته أذكر حكمة إرساله وإرسال من
سبقه من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

حكمة إرسال الرسل

خلق الله الناس أحرارا مستقلين فاقنضت حكمته وهو وليهم واليه يرجع أمهم
أن يرهم تربية عملية تثبت في نفوسهم ما فطروهم عليه من الحرية والاستقلال فاختار
منهم رسلا مرين لا تذلل نفوسهم لشهوة أو هوى ولا تضيغف أرادتهم أمام ساطعة
أو استبداد وأرسلهم بالتعاليم المادية إلى سمادة الدنيا والآخرة

ولو وجعنا إلى ما كان يدعو إليه كل رسول لوجدناهم متحدين في الدعوة وكام
يدعو إلى التوحيد (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وفي هذا انتهى العزة للنفوس
إذ إنما لا تستعبد إلا لربها الذي يربها على نعمه ويواليها بفضلته واحسانه والله سبحانه
لم يجعل جنسا عبدا لجنس ولم يفاضل بين عبادته إلا بقوله (يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) أن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله
عليم خبير) فلا أكرم عند الله من يتخلى بأخلاق الله فلا يستبد بالناس ولا يتعص
من حريتهم والله تعالى قد أرسل الرسل لتأييد لهذا المبدأ مبدا السبر بالناس إلى
الحرية وإخراجهم من الاستبداد

موسى الرسول في مصر وصاحب الهجرة

تعلمون حادثة موسى لما أرسله الله لانتقاذ بني اسرائيل من استعباد فرعون قل
الله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور)
وما كانت الظلمات إلا السطوات الاستبدادية التي أماتت إرادة القوم وقنضت
على حريتهم وإيمانهم وما النور إلا الاستقلال الذي فيه يحيا الشعوب وينمو الإيمان
تقوى الإرادة

كذلك قال الله لرسوله محمد (كتاب أنزلناه إليك لنخرج الناس من الظلمات
إلى النور)

إبداء المشركين إياه

إذا علمنا أن الله بث الرسل لهدم قوائد الاستبداد والظلم ونشر مبادئ المساواة والمعدل ، فإننا نعلم السبب في الإيذاء الذي كان يفعله بهم ، والعقبات التي كانت توضع في طريقهم ، وذلك أن المستبدين بالشعب المنحكرين في رقبته يبخشون من كل مبدأ من زلزل استبدادهم ، ويخافون من كل عمل يوجد المساواة بينهم وبين المغلوبين لهم ، اليهودين بسلاطنتهم ، فلذا تراهم عندما يمشرون بمصلح يأخذون في محاربتة ويسمون في صده عن سبيله بكل ما يستطيعون

الحيلولة بينه وبين الشعب

ولعلمهم بأن الشعب يتأثر بهذه المبادئ فيجدهم يحرسون على أن يحوّلوا بين هذا المصلح والشعب فالشعب المحكوم بالاستبداد مهما جبن ومهما ضمعت إرادته فإنه باستماعه مبادئ الحرية وتكريرها على نفسه تبعث فيه روح العمل لها فيخشى المستبدون به ذلك ولا يمكنون المصلح منه ، وانظر قول الله في أعداء الرسول لما كانوا يرونه متصلا بالشعب ينزل آيات القرآن (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون)

صبر النبي وقوة إرادته

وأخيرا تضايقوا منه ^(١) فرجعوا إلى عمه أبي طالب — وكانت حاله به تحميه من القتل — فقالوا قل لابن أخيك يرجع عما هو فيه ولا نكون في حل مما نوقمه به . فلما عرض عليه عمه ذلك فحمس وقال : والله يا عم لو وضوا الشمس في يميني والقمح في يساري ما رجعت من دعوة ربي حتى أبانها أو أموت دونها

فتمت هذه الروح العالية وبشت هذه المبادئ ، الغالبة

سبب هجرته

لما مات عمه تأمر المخضرم على قتله فأوحى الله إليه بأن يهاجر إلى يثرب حيث يجد الأنصار والمساعدين فيعمل على تقوية نفسه ونشر مبادئه فهاجر طوعا أو بغير

(١) تسمى عامة بلادنا تضايق بمن ولم يرد في مناسم الله التي لها بسببنا

في الله والاطمان سمي مواجر لله لم يجبن ولم يتألم
لم يرض يثرب بعد مكة ومولنا إلا خضوعاً للمليك الأعظم
ما زال فيها غاديا أو روانحا ابداً يحن إلى الحطيم وزمزم
سلم النبوة والمفاخر كلها وخلاصة الشرف الذي لم يظلم
علمتنا حب البلاد عقيدة لا يعلم الايمان ما لم تعلم
ولقد هديت من الضلالة أمة لولاك لم تنهض ولم تتقدم
وأنت جانبها وصعب شيكها بروائح الآيات لا بالهضم
وأخذت من ميسورها ما ينق بقلبه فيظن القبر المدم
وهتدت في غنى القوي ضمانة تنفي الضيف عن الظبي والاسهم
كانت هجرته سبياً في أنه قابل ناساً تمكن من نشر دهرته فيهم وتقوى بنهرتهم
وكان على الدوام يحن إلى دياره التي احتلها انحصوم وأخرجوه منها

مفاوضة في الصلح بين الرسول وخصومه

ذهب الرسول في أربع مئة وألف من أصحابه إلى مكة في السنة السادسة من الهجرة كي يزورها ويمنع فيها فيشرح صدره بها ويخفف من حنينه إليها. ولما قرب هذا أرسل العيون والجواسيس استطلع له حال الحصور وتبافه ما هم فيه من الاستعداد ولا شاور الرسول أصحابه قالوا ما جئنا مقاتلين فإن منمونا قاتلناهم وبابعد على ألا يفر منهم أحد فمنهم انحصوم وحاصروهم، وبهذمنا رشوات وضاربات وقتت بينهم رأى الرسول أن جيشه لا يقوى على الجيش الذي أمامهم^(١) وأن الصلح خير لهم فدارت المناوصات بين الطرفين على إبطال الحرب عشرين، ويباح للرسول أن يأتي مكة في كل عام آمنأحرأ

الحصم بملي الشروط ويضع القيود

وقد وضع الحصم شروطاً وقبوا وأملأها بنفسه في اتفاقية الصلح

اتفاقية الصلح وشروطها

قالوا لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فانا لانعرف الرحمن من هو واكتب

١٦٥ التاريخ : الحق ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يجنهم لذلك الصلح من صف بل الاثارة لتسلم على الحرب ، ورفهته في التمسك من توليد الدعوة بالحجة والبرهان

باسمك اللهم ، فكتب ، قالوا لا نكتب هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله فافلا تقرر بانك لله
الله ولو اقررنا لما منعك فكتب محمد بن عبد الله فكتب ، قالوا من يأتي منا مسلماً الى
ترده البنا وأما من يأتي منكم البنا فلا ترده فوضي وكتب ، قالوا لا ندخل مكة .
العام ولا بد أن ترجع الى عام آخر الا لا يتحدث العرب بان قد ضُفِط علينا فكتب ،
اذا دخلت بعد هذا العام فتدخل بسلاح الراكب وتكون السيوف في القرب .
الرسول كل هذه الشروط بعد تحققه من نشب الحصار ونسبهم بها ، وكان الصبح
يتقدرونها ويمنعونهم على كل شرط منها فيقنعهم الرسول بالقبول للحاجة

وقد اشتد اعتراضهم لما وصلوا الى أن من جاء اليهم مسلماً يردونه ومن ذهب
منهم لا يرد اليهم فقالوا كيف نرد من يأتي مسلماً ونحن ندعو الى الاسلام وكيف
لا نرد البنا من يذهب منا ؟ حتى المصاراة في ذلك لانحصر عليها ؟ فقال الرسول
من ذهب منا فقد أبعد الله ومن جاءنا ورددناه فانه يحمل له فرجاً وبخراً (يعني
هذا تحكم القوي في الضيف وللضرورة أحكام)

هكذا أُمي المشركون شروط الاتفاقية حسب ارادتهم وقبلها الرسول كما
على ما فيها من الاجعاف ليكون حراً في دخول مكة كل عام فيتمكن من الاختلاط
بالشعب ويثبت فيه ما يشاء من المبادئ والتعاليم ويتمكن من اعداد القوة التي
يحفظ بها الحق وكان قبل هذا لا يمكن أحداً من المسلمين أن يخرج بمقبلة خوفاً من
المشركين وفتنهم وعذابهم وشدتهم ^(١)

حكم القرآن في الاتفاقية

وقد أنزل الله في هذه الاتفاقية الآيات المينة انها فتح ونصر ومناسم قل
تمامي (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم
نصته عليك وبهدينك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً) وقال (لقد رضي
الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم
وأثابهم فتحاً قرياء ومنافهم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً . وعدكم الله

(١) ليس انه لم يمس لاحد من المسلمين قبل صلح الحديبية ان يظهر اسلامه انه « مسلم »
المدينة وما يشبهها وناميك باظهار المسلمين في مكة وما يشبهها

مفانم كثيرة تأخذونها فمجل لكم هذه) فتأمل قوله فمجل لكم هذه يعني سيكون لهم مفانم كثيرة من وراء هذه المفانم التي كتبوها بالاتفاقية وما الاتفاقية الا باب تلك المفانم الكثيرة ووسيلة للوصول اليها . وقد كان ما وعد الله تعالى وتحقق نظر الرسول وأصحابه في صلاحية الاتفاقية اذ تم لهم فتح مكة والاستيلاء على بلادهم من جميع جوانبها والتحكم فيها بكل حرية واستقلال بعد سنتين اثنتين من امضاء المعاهدة (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فلم مالم تعلموا فمجل من دون ذلك فتحا قريبا) وقد أفوض بعد ذلك على العالم من مبادئه العالية ما نردن في تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية . وبالاجمال كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم جديرة بأن تكون مبدأ التاريخ الاسلامي وانها الحادثة اعز العالم لها وتنتج عنها الانقلاب الكبير في عالم المدينة وسنة الحرية والاستقلال

اقتداؤنا بالرسول

وانا نحمد الله اذ قد اقتدينا بالرسول واقتفينا أثره في الهجرة التي هاجرها وفدنا المصري فاستحق بها فخرا ، ونال من أجلها كراما وأجرا ، فآله تعالى يوفقه للاصلاح فيما ينفق عليه لتقدم المصريين ومحرير مصر

يا مصر ان قلوبنا ونفوسنا رهن لديك فلا تخافي واسلمي
 مهرا استنطال عليك جد عائر فآله جارك من عثار مؤلم
 فسقي بأن الله بالغ أمره وآله خير حافظا من مفرم
 انتهت الخطبة

[المنار] ان هذه الخطبة قد رويت فيها المناسبة بين معنى العام الهجري وبين حال مصر السياسية في هذا الوقت فكانت المناسبة قوية والمراعاة حسنة وأكثر الخطبة حقائق وأفلاها معاني خطاوية وشعرية قصد بها التأثير الذي يقنضيه الوقت كالمقولة بولبي أهل المل المختلفة وبعض ذكر من فوائد الاعتغال بالأعياد ومثل هذا مما يتسامح به في أمثال هذه المواقف ، ولكن فيها من مبالغات شعرية لا يتسامح في مثلها كالذي ذكره في حكمة ارسال الرسل ولا سيما تفسيره الظلمات

بالسلطات الاستبدادية والنور بالاستقلال على سبيل الحصر ، وأما الاستبداد أحد تلك الظلمات والاستقلال بعض لوازم ذلك النور ، وما كل الأمم التي بعث فيها الرسل كانت خاضعة لسلطة استبدادية كقوم موسى عليه السلام . نعم أن الخطيب قد تلقى عنا في مدرسة الدعوة والارشاد ان التوحيد يعني الانفس ويرفها حتى لا تذلل ولا ترضى بمهانة ولا تخضع لسلطة استبدادية ، ولكنه بالغ في تصوير ذلك بما ذكر في الخطبة وحقل عاقر رثاءه في الدرس وفي المنار ولا سيما مقالات ذكرى المولد النبوي من انصاف الامة العربية قبل البعثة المحمدية بالحرية الشخصية واستقلال الفكر وقوة الارادة . وجملة القول أن هذه الخطبة كانت فريدة في بابها بمناسبتها لمتنفس الحال ولكن من بعض الوجوه ، فالتقارنة المقصودة بها غير تامة . وبما انكرناه من الخطبة خلوها من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فيها على كثرتة . والموضوع جلّه ديني . وهذا من تأخير السياسة والاحوال الاجتماعية في الدين

مشيخة الجامع الازهر

محاربة البدع

أرسل البنا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر رسالة بهذا العنوان مع كتاب خاص منه ذكر فيه انه سئل عما يسميه بعض أهل الطرق اسم الصدر فاجاب بكتابة هذه الرسالة أو الفتوى وأرسلها لينال أجل نشرها « تمميا للفتاوى وارشاد الأمة » وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أما بعد فانكم تسألون عما يسمونه الآن بعض أهل الطرق من ابتداء هذا العصر ، من اجتماعهم صباح مساء ، يرددون لفظ (أه ، أه)) يمتقدونه اسما من أسماء الله ، ويقولون أنهم بذلك يذكرون الله سبحانه ويسمون ذلك اسم الصدر والجواب : أن هذا اللفظ المستول عنه « أه » بفتح الهزة وسكون الهاء ليس من الكلمات العربية في شيء ، بل هو لفظ مهمل لا معنى له مطلقا ، وإن كان بالمذموم إنما يبدل في اللغة العربية غنى معنى التوجع وليس من أسماء القنوت فضلا عن أن يكون اسما من أسماء الله الحسنى التي أمرنا أن ندعوه بها كما قال تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، سيجزون ما كانوا

يسملون) وقوله: (قل ادعوا لله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وقد أجمع العلماء على أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية (١) ولا يجوز لنا إطلاق اسم عليه تعالى أو صفة لم يكن ورد بها الشرع، كما أنهم أجمعوا على أنه لا يجوز لنا التمسيد بشيء لم يرد الشرع بجواز التمسيد به،

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من هذه الدار حتى أكل الله لنا على يديه الدين، وأتم لنا النعمة، كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي لفظه «من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد» وفي صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته «ان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» (٢) ومن تأمل قوله تعالى (وذروا الذين يلحدون في أسمائهم سيجزون ما كانوا يعملون) وتدمر هذا الوعيد الشديد اقتصر جسمه أن يذكر الله أو أن يدعو به بعد ذلك بغير أسمائه التي سمي بها نفسه واذن لنا في تسميته بها على يد رسوله صلى الله عليه وسلم. والاتحاد في الأسماء هنا على ثلاثة معان — الخروج بها عما وضعت له من المعنى الشرعي؛ تحريفها عن لفظها الوارد شرعاً، ادخال ما ليس منها فيها كوضوح السؤال وكما نقل المفسرون هنا من علماء اللغة أن الملحد المبادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه

فتبت بذلك بطلان عمل هؤلاء المواق الذين انتشروا في المدن والقرى يجنون الناس ويمقدون المجالس على ذلك ويتخذون ذلك ورداً موقوتاً زاعمين أنهم (١) الكفار: إطلاق الحكم بالايجام مناسـ وجهور الاشاعة قالوا بالتوقيف وجهور المنزلة بعدهم ولهم قال صاحب الجوهرة

واختبر ان اسماء توقيفية كذا الصمات فحفظ السمية
٢٧. لفظ مسلم أوله «أما بعد فإن أحسن الحديث» الخ ورواه أحمد وأصحاب السنن باختلاف في اللفاظ وأخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود موقوفاً بلفظ «ان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها» وان ما يوعون لانت زمانهم بهم جبرين وذكر الخاطب في شرحه له من الفتح ان أصحاب السنة أخرجه هذه مرفوعاً وان مسلماً أخرجه من حديث جابر مرفوعاً مع زيادة وليس شيء من ذلك على شرط البخاري

يتقربون بذلك الى الله. وفي ذلك اضلال للعامة وفساد لسنة سيئة فهم. لانه لم يعلم يتبعنا الله به. وتسمية الله بغير اسمائه. تعودت به من فعلت أو الامانة على أو السكوت عنه

ومما قال زعماء تلك البدعة من قولهم انهم وجدوا مشايخهم كذلك فليد في ذلك برهان لهم في الدنيا ولا غلص لهم عند الله يوم القيامة من عقابهم. كيف وقد قال علماء الصوفية أنفسهم كل ما لم يستند الى الكتاب والسنة فهو باطل وقالوا اذا لم يستند كشف الولي الى الكتاب والسنة فهو كشف شيطاني لا الولي غير معصوم. وورد مثل هذا القول أيضاً عن أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وأجمعوا على أنه لا يجوز العمل بالكشف ولا الإلهام والمشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة. وما يقولونه أيضاً من الاستدلال على بدعتهم هذا بقوله تعالى «ان ابراهيم لاواه حليم» فليس من الاستدلال في شيء بل هو بقول الجاهلين أشبه لان الآية ليس معناها أنه كان يذكر الله بلفظ (أه) كما يفتلون به معناها كما قال المفسرون أنه كان مشفقاً رحيماً. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

شيخ الجامع الأزهر
محمد أبو الفضل

٢٥ المحرم سنة ١٣٣٩

وقد نشرت هذه الفتوى في الجرائد اليومية فرد عليها بعض المنتسبين، الطريقة الشاذلية. برسالة نشرت في جريدة الاهرام هذا نصها

الرجوع الى الحق فضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. أما بعد فأساءاً تعالى أن يهدي الى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أزكى صلاة واتم سلام واد يعم بذلك سائر الانبياء والمرسلين وآل كل والتابعين
قال الله تعالى « والله الاسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسماءهم سيحجزون ما كانوا يعملون »
قال المفسرون . اساء الله تعالى كلها حتى لانها تدل على ما في الركن الالهي سواء وردت في القرآن فقط كاسم الله تعالى القريب والحبيب و حرج والاح
فأحكم لها كنه وخبر التاملين وذو العرش وذو الطول وغير ذلك مما ورد في

الذكر الحكيم خاصة . أو جاءت به السنة أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم : إن الله تسماً وتسمين اسماء من أحصاها دخل الجنة . الله الرحمن الرحيم — الحديث ، أو وردت به السنة وإن لم يرد في القرآن كقوله صلى الله عليه وسلم (الديان لا يموت) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً) وقوله صلى الله عليه وسلم في بعض ادعيته (يا حنان يا منان) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى جميل يحب أن يرى أثر نعمته على عباده) وقد ورد هذا الاسم في خريدة التوحيد للردري فهو الجليل والجميل والولي وغير ذلك مما تفردت به السنة خاصة وليس في القرآن صراحة . فليس المراد بالأسماء الحسنى خصوص التسم والتسمين والالزم عليه ممارسة الأحاديث بعضها لبعض كما لا يخفى وذلك لا يعقل .

إذا علمت ذلك علمت أننا مأمورون أن ندعو الله تعالى بكل اسم ثبت وروده عن الشارع صلى الله عليه وسلم مطلقاً

ومما تأكد بثبوته ذلك الاسم العظيم الذي اتخذته السادة الشاذلية من ضمن أذكارهم وهو اسم الله تعالى (أه) جل جلاله . ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى مريضاً كان يثن في حفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنهاه بعضهم عن الاتين وأمره بالصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دعوه يثن فإنه يذكر اسماء من أسمائه تعالى» ونقل العلامة الحفني في حاشيته على الجامع الصغير للجلال السيوطي عند الكلام على الاسم الأعظم قال إن اسم الله تعالى (أه) هو الاسم الأعظم الذي إذا دعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى . وقال الامام الفخر الرازي في تفسيره في شرح البسملة : اختلف العلماء في الاسم الأعظم ويرجع عندي أن (أه) هو اسم الله الأعظم لاشتماله على سر الإشارة وتكوين الكائنات وظهور التجليات . وذكر العلامة المزني في شرحه على الجامع الصغير أيضاً أن اسم الله تعالى (أه) هو اسم يلهمه الله تعالى لا مبد عند تجليات الجلال . وقال الشيخ الامير في حاشيته على متن (غرامي صحيح) أن (أه) من أسمائه تعالى وصحيح ذلك . وروى الحاكم في مستدركه حديثاً يذكر فيه أن (أه) اسم عظيم من أسمائه تعالى يلهمه الله تعالى لمن أحب من عباده لأنه سر من الأسرار التي لا يطلع عليها إلا المقربون من المؤمنين . وقال الاستاذ الباجوري في حاشيته على جوهر التوحيد عند قول الناظم «حتى الاتين في المرض كما نقل» ينبغي للمريض أن يقول (أه) فإنه اسم من أسمائه تعالى ولا يقول أخ فإنه من أسماء

الشیطان - فقد ثبت بالدلیل القلبي ان (أه) اسم عظیم من أسماء الله الحسنی ان
امرنا سبحانه وتعالى أن ندعوه بها ، فحينئذ لا الحاد ولا تحريف نفوذ به من دله
واذا ليس اسم (أه) مهملًا لا معنى له مطلقاً (كما قيل) بل معناه متره من الأسماء
جليل عند أهل الانصاف ولوثبتنا الآثار والاخبار الواردة في الاستدلال
صححة هذا الاسم لما وسعنا الصحف . وفي هذا القدر كفاية . لمن سطعت على
أنوار الهداية ، ونسأل الله تعالى المنایة وحسن الختام ، بحمد سيدنا محمد عليه
الصلاة والسلام .
الفقير أحمد وافي - الشاذلي الأزهري

نشر هذا الرد في عدد الأهرام الصادر في ٢٦ المحرم ولم ينشر من قبل مشيخة
الأزهر رد عليه ، ولكن كتب الى الأهرام الرد الآتي فنشر في العدد الذي
صدر في ٢ صفر وهذا نصه :

﴿ رد على رد ﴾

أصدرت هيئة مشيخة الأزهر الأعلى بياناً أنكرت فيه على بعضهم بدعاً
مستهجنة لم تؤيدها الأحاديث الصحيحة المتن القوية المحجة المتعارضة مع روح
الدين الناصع المنتشرة في بلادهم كعبة العلم وحجة المارفين في اللغة والعين ببرى
أحدهم وبسطر في صحيفتكم الفراء كلمة لا أرى مندوحة من الرد عليها احقاقاً
للحق الذي لا ينكره المكابرون ، وأنا لانبليل الشرح في هذا الباب وانما ورد
الوجوه الآتية كي لا تضل الطريق السوي وحتى لا يتسلط بعضهم على السذج من
الامة فيدخلون في الدين ما هو براء منه

أولاً - ان ما أورده حضرة الكاتب من عزو حديث أبي هريرة الذي فيه
قال الرسول الكريم لمارضي المريضر على أنينه (دعوه يشن) هذا المزو الى صحيح
مسلم كذب محض . والا فليأتنا حضرة بالذهن العبرمج في صحيح مسلم وهو
كثير متداول بين الأيدي ككرر طبعه مراراً وتددت طبعااته وكما خلو من هذا
الحديث فليتمفضل حضرة بذكر الصخيفة التي تتضمن هذا الحديث .

ثانياً - ان الحديث المذكور مدون في الجامع الصغير وعزاه صاحب الجامع
الى الرافعي فهو حديث لا تقوم عنده حجة لانه لم يخرج في الكتب الصحيحة ولم
يصححه احد من المحدثين

ثالثاً - لو فرضنا ان هذا الحديث صحيح فلا بدل على بدعتكم هذه فان

الرسول إنما أشفق على المريض وتركه يئن فان صحح أن لفظة (أه) اسم من أسماء الله تعالى فإسماء الله الحسنى مرفوعة ولا حاجة الى عدها في هذا المقام. وحسبنا أن يكون مأثور بنحوه اشفاقاً على المرضى. فلا يجب أن يكون سارياً على الأصحاء. واقتناع الشيخ منهم بأن لفظة (أه) اسم من أسماء الله. والله يرى هذا تفسيره اليه جلت أسماؤه
محمد فهيمي بالاسكندرية

تطبيق المنازع على الفتوى والرد عليها

الفتوى ودعامة الإصلاح

لن نقوى الاعتقاد الاكبر شيخ الجليل مع الازهر مشتملة على بيان اساس الدين وأصل الإصلاح الاعظم فيه وان كانت في بيان بطلان بدعة خاصة قد ابتلي أهل الطرق بكثير من مثلها وما هو أهدى عن هدي الدين منها كما شرحناه في مواضع من المنازع وهذه الاصول تقضي على جميع البدع فقيسة الفتوى أكبر وأعظم من إثباتها لتكون مايسهونه اسم الضمير والتعبد به بدعة ليست من الدين في شيء.
ذلك الأساس الراسخ والأصل الثابت الذي هو جدير بتدبير المسلمين هو قول الشيخ أن العلماء قد أجمعوا على أنه لا يجوز لنا التعبد بشيء لم ير بالشرع بموجب التعبد به. فهذا الأصل ثابته للإصل الأول الذي جاء به جميع رسل الله (ص) وهو أنه لا يعبد الا الله وحده. وقد صرح شيخ الاسلام ابن تيمية بأن الدين كله قائم على هذين الأصلين (١) لا يعبد الا الله تعالى (٢) لا يعبد الله تعالى الا بما شرعه، ولا نزاع في ذلك وإنما فيهذه ونكرهه لزيادة الإيضاح والتفريب. وقد بين الشيخ أدل الله النفع به دليل هذا الإجماع بقوله إن الرسول (ص) لم يخرج من هذه الدار حتى أكل الله تعالى انا على يديه الدين وأنتم لنا النعمة وذكر نص آية الزمعة التي أنزلت عليه صلوات الله وسلامه في يوم هرة من حجة الوداع. وأما قل « على يديه » ولم يقل على لسانه مع أن الدين تبليغ عن الله تعالى باللسان فيريد أنه (ص) بين ما نزل الله عليه بأفضل والحكم والتفصيل كالبقية بالقول. وعبارته تدل على حصر هذا الكلام به (ص) دون غيره من الصحابة وعلماء التابعين ومن بعدهم فليس قول أحد منهم ولا فعله ديناً ولا حجة في الدين عند أهل السنة

وقد بنى الشيخ أيد الله به السنة على هذا بطلان احتجاج أصحاب هذه البدعة بأقوال شيوخهم وأفهامهم فقال إنه ليس لهم في ذلك برهان في الدنيا ولا منجاة من عذاب الله تعالى في الآخرة . ولما كان سبب افتتان الكثير من الناس بدع المتصوفة الاغترار بما كان عليه بعض شيوخهم من الرفق والصلاح وما يذلل عن بعض أفرادهم من معرفة الحقائق بالكشف . كشف الشيخ هذه الشبهة بكلام منقول عن بعض علماء الصوفية المشهورين مبني على ذلك الاساس الاعظم للدين ، وهو قولهم : كل ما لم يستند الى الكتاب والسنة من كشف وغيره فهو باطل ، وتسميتهم هذا الكشف شيطانياً . وقولهم انه لا يجوز العمل بالكشف ولا الالهام والمشاهدة الا بعد عرضه على الكتاب والسنة ، وتصريحهم بأن الولي غير معصوم أي لا في كشفه ولا في غيره . وانما نقل هذا القول عن علماء الصوفية لان غير العلماء لا يبتدع قولهم ولا تقايم ، فمثل علماء الصوفية في ذلك غيرهم من المتكلمين والفقهاء ، فالدين قد أكله الله تعالى وهو محصور في الكتاب العزيز والسنة النبوية الثابتة ، ولا يوجد اجماع صحيح ولا قياس صحيح الا وهو مستند اليهما ، وانما كلام العلماء الذي يمتد به هو بيان الاصناف وما استنبط منها واستند اليها من قياس واجماع على ما في القياس والاجماع من خلاف معروف في علم أصول الفقه

وقد استدلل الشيخ أيد الله حجة على ما ذكر من اساس الدين بالسنة الصحيحة كما استدلل بالكتاب العزيز واكتفى بأشهر الاحاديث واصرحها في الموضوع - حديث « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وهو متفق عليه ، وحديث « ما يبدع فإن أحسن الحديث كتاب الله » الخ . وهو متفق عليه أيضاً وإن لم يخرجه البخاري الا موقوفاً على عبد الله بن مسعود . ورواها غير الشيخين كما تقدم

بعد بيان هذه الاصول الاساسية في الدين أشار الشيخ في سياق بيان بدعة ما يسوره اسم الصدر الى قسمي البدعة الذين أسهب الامام الشافعي في الكلام عليهما بكتابه الاختصاص ولما البدعة الحقيقية كذكر الصدر الذي ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة ولا كان موجوداً في صدر الاسلام بل هو احدث واستداع بعض ، والبدعة الاضافية وهي ما كان له أصل ولكن الابتداع فيه بالمرأى والصفات

كالمندد والثوقيت والاجتماع والصفة كهلالة الرغائب في رجب وصلاة شعبان وقد قال فيها الامام النووي في المنهاج ، وصلاة رجب وشعبان بدعتان فيبحثان مذمومتان . ومن هذا القبيل جميع الاوراد والاذكار التي جعلوها من شعائر الدين بالتوقيت والاجتماع ورفع الصوت وغير ذلك . قال الشيخ نفع الله به ،
« فثبت بذلك بطلان عمل هؤلاء العوام الذين اقتشروا في المدن والقرى يجمعون الناس ويعقدون المجالس على ذلك ويتخذون ذلك ورداً موقوفاً زاعمين انهم ينقربون بذلك الى الله ، وفي ذلك اضلال للعامة ونشر لسنة سيئة فيهم لانه تعبد بما لم يمتدنا الله به وتسمية لله بغير اسمائه ، نعوذ بالله من فعل ذلك أو الاعانة عليه أو السكوت عنه » اهـ

وقد عبرنا عن البدعة بالسنة السيئة باعتبار انها تقيم وتجعل كالشروع وبفتدي بعض التامن فيها ببعض ، وللإشارة الى حديث جرير بن عبد الله البجلي في صحيح مسلم مرفوعاً « من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء » ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » (١)
وأخرجه الترمذي عنه بلفظ « من سن سنة خيرة . . . ومن سن سنة شريرة . . . » فالمراد بالسنة هنا معناها القنوي وهو الطريقة المألوكة . اذ كان سبب الحديث ان قوماً من مضر جاؤا الى النبي (ص) حفاة عراة قنصر ووجه الشريف لما رأى بهم من الفاقة فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى بالناس ثم خطب فحث على الصدق من النقد والثياب والطعام ، فثلبت الناس حتى كان رجل من الانصار بدأ بأن جاء بصرة كادت كفه تمجز عنها لكبرها بل هجرت ، ثم تائب الناس فكان ما جاءوا به كمين من طعام وثياب ، حتى نهال وجه النبي (ص) وقال « من سن في الاسلام » الخ فالمراد بالسنة هنا العمل الذي يكون به صاحبه قدوة فيه سواء كان اتباعا كفعل ذلك الانصاري وهو السنة الحسنة أو ابتداء وهو السنة السيئة . وليس من السنة الحسنة ان يسن في الدين عبادة جديدة ولو في الهبة والصورة . نعم قد يدخل في السنة الحسنة كل

اختراع ديني يرفع الناس في دينهم أو دنياهم ويشترط في الثاني أن لا يكون محظورا شرعا في نفسه ولا فيما يترتب عليه ويلزمه . وقد تضمن كلام الشيخ انكار جميع البدع وبيان حظرها وحظر الاهانة عليها . والسكرت عنها . كل ذلك محرم شرعا . والحث على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما من عزائم الدين بل هما سياجها وحفاظها . ونحمد الله انا قد جرينا على هذه الاصول والقواعد في المنار وما زال كثير من المميين الجاهلين أو الجاهدين ينكر علينا بناء الإصلاح الديني على اتباع الكتاب والسنة وانكار البدع كلها حقيقة كانت أو اضافية .

ونرجو من الشيخ وهورئيس للمعاهد الدينية في هذا القطر كله ان يجعل العمل بهذا الفتوى مبدأ إصلاح جديد في الأثر وسائر المعاهد الدينية قبل غيرها ، فان البدع ومخالفة السنن كثيرة فيها حتى في عباد الدين - الصلاة - فقد صليت الجمعة من عهد قريش في الجامع الأزهر فوجدت قشر البصل وأوراقه الخضرة وقشر البيض منثورة في مواضع من المسجد ، ووجدت المهاجرين وغيرهم متحلقين في صحنه يتكلمون وقت الخطبة . ووجدت الصفوف غير تامة ويعمد بعضها عن بعض بمدا واسما ، وغير ذلك من المنكرات ، كما نرجو منه أن يبطل من عقاب مخالفتي قانون المعاهد الحرمان من دروس العلم ، فانه يتضمن المنع من طاعة الله تعالى وعبادته بتلقي علوم الدين وسانها ومقاصدها والله الموفق .

الرد على المترض على الفتوى

انبرى أحد مشايخ الطريقة الشاذلية لرد على الفتوى واثبات ما يسمونه اسم الصدر وكون التمسك به مشروعا فاستدل على الاسم بحديث عزاه الى صحيح مسلم وحديث عزاه الى الحاكم وبكلام بعض المصنفين

أما الحديث الاول فمن عبارته فيه : ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى مريضا كان يشق في حفيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنهاهم بعضهم عن الانين فقال رسول الله (ص) « دعوة يشق فانه يذكر اسما من أمانته تعالى » وقد كذبه من رد عليه من الاسكندرية بهز وهذا الحديث الى صحيح مسلم وطالبه ببيان مكانه منه وذكر ان السيوطي عزاه في الجامع الصغير الى الرازي وانه

لم يصححه أحد من المحدّثين وأنه على فرض صحته لا يدل على مطلوبه . وهو مصيب في هذه الأقوال كلها ولكن غير كافية في الرد عليه فتزيد عليه ما يأتي من الدلائل والقوائد (١) ان الممرض زعم ان هذا الحديث من مسند أبي هريرة المخرجة في صحيح مسلم وإيس في صحيح مسلم ولا في غيره من كتب الحديث . والحديث الذي عزاه السيوطي في جامعه الى الرافعي من مسند عائشة وبين السيوطي سببه في الجامع الكبير كما ذكر في الاكمال من كنز العمال وهو ان عائشة ^ت دخل علينا رسول الله (ص) وعندنا هليل بن قنطلة له اسكت فقل « دعوه » بشن فان الاثنين اسم من أسماء الله تعالى يستخرج اليه الطبل » والمفترض ذكر لحديث أبي هريرة سببا مثل هذا وهو ناقص له من بعض كتب الطريقة وإيس هو المخترع له . ومن المعروف عند العلماء ان الحديث كغيره من العلوم له أئمة يؤخذ عنهم فلا يمتد الا بما رووه ولا يحتج بشي مما رووه الا اذا صححوا مسنده أو حسنوه . وان كتب المتصوفة وكتب التار يخ والادب بكثير فيها الاحاديث الموضوعة والواهية التي لا يجوز العمل بها لافي فضائل الاعمال ولا في غيرها ، بل يوجد أمثال هذه الاحاديث في كتب التفسير والكلام (المقائد وفلسفتها) لان أكثر مصنفها من غير المحدّثين . وهذا كتاب احبوا العلم من أشهر الكتب ومؤلفه من أكبر أئمة المتكلمين والفقهاء والتصوفية وهو يشتمل على كثير من الاحاديث الموضوعة والواهية التي لا يجوز أحد من الأئمة العمل بها في الفضائل فضلا عن الاحتجاج بها في ثبات أسماء الله تعالى وصفاته وشرعية عبادة لادليل لها سواها (٢) قال الشيخ محمد الحوت الكبير في كتابه الذي بين فيه ما في الجامع الصغير من الاحاديث الضعيفة أي والموضوعة عند ذكر حديث «دعوه بشن» : لكن هذا لم يرد في حديث صحيح ولا حسن واماره تعالى توقيفية اهـ

(٣) ما يدل على أن هذا الحديث مضعف ليس له أصل عدم ذكر أحد له من المحدّثين ولا في كتب الحديث في الكتب التي لا يهتمون فيها مثله كتبت لغة الحديث وشروحه وفيه الحديث فهذا الجاهل ابن الأثير لا يذكر كلمة لا بين في كتابه النهاية الذي وضعه لتفسير مفردات الاحاديث ، ولم يذكرها صاحب مجمع البحار في كتابه ولا في تكملة على غايته باسنة مساء ما تركه صاحب النهاية.

ولم يذكره حفظ الحديث والفقهاء في بحث حكم الانين شرعا هل هو مكروه أم لا وقد اهتمت أعلم الفقهاء بالاحاديث كراهته ونظر بعضهم فيها ولو ثبت هذا الحديث هدم قائلوا انه مستحب او مستنون

١) قال الحافظ ابن حجر في شرحه حديث تفجع عائشة من وجع رأسها وقول النبي (ص) لها « ذاك لو كان وانا حي فاستغفر لك وادعوك » - وهو في كتاب المرضى من صحيح البخاري - مانصه :

قال القرطبي اختلف الناس في هذا الباب (المار : يعني باب الشكوى في المرض ونحوه هل يفتح في الرضا من الله والتسليم أم لا) والتحقق ان الالم لا يقدر أحد على رفعه والتفوس مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطيع تغييرها عما جبلت عليه وانما كاف المبد أن لا يقع منه في حال المصيبة ماله سبل الى تركه كالمبالغة في التأخر والجزع الزائد كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر . ولما جرد الشكوى فليس مذموما حتى يحصل التسخط للمقدور . وقد اتفقوا على كراهة شكوى المبد ربه وشكواه انما هو ذكروه للناس على سبيل التضجر والله أعلم

(قال) روى أحمد في الزهد عن طاووس انه قال : أنين المريض شكوى . وجزم ابو الطيب وابن الصباغ وجاعة من الشافعية أن انين المريض تأوذه مكروه . وتعميقه النووي فقال هذا ضميم أو باطل فإن المكروه ما ثبت فيه شيء . مقصوده هذا المذهب فيه ذلك ثم احتج بحديث عائشة في الباب ثم قل فاعلم ان ارادوا بالكراهة خلاف الاولى . فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر أولى انتهى ولعلمهم أخذوه بالمعنى من كون كثره الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشمير بالتسخط لا قضاء وتورث ثمانية الاعداء . واما اخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا له . وأورد الحافظ في شرح حديث عائشة من البخاري ولو كان لها حديث في شرعية الانين لذكره النووي أو الحافظ الذي قال فيه بعض العلماء : ان كل حديث قال الحافظ ابن حجر : لا أعرفه - فليس بحديث . لجودة حفظه لكتب السنة وحسن استحضاره لها ولا سيما في شرحه للبخاري الذي كان يتلقاه عنه الحافظات والفقهاء في الجامعات الأزهر تلقي بحث واستدلال وكذلك فقهاء الحنابلة جزوا بكرهه الانين في المرض في كتبهم . قال الفقيه ابن مفلح

في كتابه التزويج: (فصل) يكره الاثني في المرض الخ ثم قال في فصل بعده: وكانوا يكرهون
 أنين المريض لانه يترجم عن الشكوى . ثم ذكر عن عبد الله بن الامام أحمد انه نقل
 في أنين المريض: أرجو أن لا يكون شكوى ولكنه اشتكا الى الله . اه و ذكر ذلك
 السفاريني في أواخر الجزء الاول من شرح منظومة الآداب ثم قال

« قلت — أنين المريض تارة يكون عن ترجم وتضجر فيكره وتارة يكون عن
 تسخط بالقدر فيحرم فيها يظهر ، وتارة يكون لاجل ما يجد ويمجد به نوع استعراجه
 بقطع النظر عن التضجر والتبرم فيباح ، وتارة يكون عن ذل بين يدي رب العالمين
 وانكسار ، وخضوع وتفتار ، ومسكنة واحتقار ، مع حسم مادة اللون الا من بابه ،
 والشفاء الا من عنده ، والمافية الا من كرمه ، فهذا لا يكره فيها يظهر بل يندب اليه .
 واليه الاشارة في حديث وان لم يثبت « المريض أنينه تسبيح وصياحه تكبير ،
 ونفسه صدقة ، ونومه عبادة ، ونقله من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله » قال
 الحافظ ابن حجر ليس ثابت والله أعلم اه

فأنت ترى ان حديث عائشة الذي هراه السيوطي الى الراضي أمثل ما يستدل
 به على الحكم الصحيح في هذه المسألة لانه نص فيها فلا كان له أصل لذكوره ولو مع
 التصريح بعدم ثبوته كما قال الحافظ في حديث المريض المذكور آنفاً .
 (هـ) وأما الحديث الثاني فقد أورده المنرى بقوله: وروى الحاكم في مستدركه
 حديثاً يذكر فيه أن (أه) من أسمائه تعالى يلزمه الله تعالى لمن أحب من عباده لانه
 ممر من الاسرار التي لا يطلع عليها الا المؤمنون من المؤمنين

وقول في هذا الحديث كما قلنا فيما قبله: الظاهر أنه نقله عن بعض كتب أهل
 الطريق الذين لا يمتد بتعلمهم . وهو لم يذكر لنقله ولا اسم الراوي له من الصحابة .
 ونحن لم نركله « أه » في النهاية ولا مجمع البحار ولا تنكيته ولا في غيرها من معاجم
 اللغة العامة الشائعة في الكتاب والسنة ولذبحه من كلام العرب . ونزيد على ذلك
 ان هذه العبارة من الكلام المأثوف عند الصوفية وابست من أساليب كلام الرسول
 (ص) ولا كلام العرب في عصره . وكيف يصح أن يكون شرا يعرف بالالهام
 ويختص المقربين مع التصريح به ، على انه لم غير معروف الا عند خوفا المتسبين

الى الطريق فلم يرد عن أحدهم أكابر الصحابة والتابعين ، ولا الائمة المجتهدين ، ولا غيرهم من أكابر الفقهاء أو المتكلمين ، وأئمة الصوفية المارقين .

الاقوال في اسم الله الاعظم

(٦) ولما كانت الاقوال التي عزها الى العلماء في اثبات اسم الصدر واردة في بيان كونه هو اسم الله الاعظم نقل ما أحصاه الحافظ ابن حجر من الاقوال في الاسم الاعظم عن يقول به فان بعض العلماء أنكره كما قال الحافظ وهذا نص ما قاله في فتح الباري بعد أن أحال الكلام في أسماء الله الحسنى :

(نكيل) واذا قد جرى ذكر الاسم الاعظم في هذه المباحث فليقع اللام في شيء من الكلام عليه ، وقد أنكره قوم كابني جعفر الطبري وأبي الحسن الأشعري وجماعة بعدهما كابني حاتم ابن حبان والفاضي أبي بكر الباقلائي فقالوا لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض ، ونسب ذلك بعضهم لما لك لكرهيته أن تصاد سورة أو تردد دون غيرها من السور لتلا بظن أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضل عن الأفضل ، وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالاعظم العظيم وإن أسماء الله كلها عظيمة . وهبارة أبي جعفر الطبري : اختلطت الآثار في تعيين الاسم الاعظم والذي عندي أن الاقوال كلها صحيحة إذ لم يرد في خبر من أن الاسم الاعظم ولا شيء أعظم منه ، فكانه يقول كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم فيرجع الى معنى عظيم كما تقدم . وقال ابن حبان الأعظمية الواردة في الاخبار أنما يراد بهما يزيد ثواب الدعاء بذلك كما أحاط ذلك في القرآن والمراد به يزيد ثواب الدعاء وقيل المراد بالاسم الاعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا المعبود به به مستغرفا بحيث لا يكون في فكره حائل غير الله تعالى . فان من أنى له ذلك استجيب له . ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجنييد وعن غيرها . وقال آخرون استأثر الله تعالى بعلم الاسم الاعظم ولم يعلمه عليه أحد من خلقه . وأثبت آخرون ممينا واضطربوا في ذلك وجهلة ما وقفت عليه من ذلك أربع عشر قولاً

الاول - الاسم الاعظم « هو » نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف واحتج له بأن من أراد أن يعبث عن كلام معظم بحضرة لم يقل له : أنت قلب كذا

وانما يقول : هو يقول . ناديا معه

الثاني - « الله » لانه اسم لم يطلق على غيره ولانه الاصل في الاسماء المحسنة ومن ثم اضيفت اليه

الثالث - « الله الرحمن الرحيم » ولعل مستنده ما أخرجه ابن ماجه عن هاشية انما سألت النبي صلى الله عليه وسلم ان يعلمها الاسم الاعظم فلم يفعل فصارت دعوتهم : اللهم اني أدعوك الله وأدعوك الرحمن الرحيم وأدعوك بأسمائك المحسنة كلها ما عدت منها وما لم أعلم الحديث وفيه انه (ص) قال لها « انه لفي الاسماء التي دعوت بها » (قلت) وسنده ضعيف وفي الاستدلال نظر لا يخفى

الرابع - « الرحمن الرحيم المحي القيوم » لما أخرج الترمذي من حديث أمية بنت يزيد ان النبي (ص) قال « اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (واللهم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) وقائمة سورة آكل عمران (الله لا اله الا هو المحي القيوم) أخرجه أصحاب السنن الا النسائي وحسنه الترمذي وفي نسخة صححه وفيه نظر لانه من رواية شهر بن حوشب

الخامس - (المحي القيوم) أخرج ابن ماجه من حديث أبي أمامة « الاسم الاعظم في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه » قال القاسم الراوي عن أبي أمامة ، التمس منه فمرفقت انه « المحي القيوم » وقواه الفخر الرازي واحتج بأنهما يدلان على صفات المغفرة بالربوبية مالا يدل على ذلك غيرهما كدلالتهما

السادس - « الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام المحي القيوم » ورد ذلك مجرّدا في حديث أنس عند أحمد والحاكم وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان

السابع - « بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام » أخرجه أبو يعلى من طريق السري بن يحيى عن رجل من علي وأثنى عليه قال كنت أسأل الله تعالى أن يرزني الاسم الاعظم فأرث مكتوبا في الكواكب في السماء

الثامن - « ذو الجلال والاكرام » أخرج الترمذي من حديث ماذن بن جبل قال سمع النبي (ص) رجلا يقول : يا ذا الجلال والاكرام - فقال « قد استعجب

فك فسئل « واحتج له الفخر بأنه يشمل جميع الصفات المتبعة في الألوية لان في الجلال اشارة الى جميع السلوب وفي الاكرام اشارة الى جميع الاضافات

التاسع — (الله لا اله الا هو الاحد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بريدة وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك

العاشر — (ربّ ربّ) أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء وابن عباس بلفظ (اسم الله الاكبر : رب رب) وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة : اذا قال الصمد يارب يارب قال الله ليبيك عبيدي صل تعط . رواه مرفوها وموقوفا

الحادي عشر — دعوة ذي النون . أخرج النسائي والحاكم عن فضالة بن هبيل رفعه « دعوة ذي النون في بطن الحوت (لا اله الا أنت سبحانك أي كنت من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم قط الا استجاب الله له

الثاني عشر — نقل الفخر الرازي عن زين العابدين انه سأل الله ان يسمه الاسم الاعظم فرأى في النوم « هو الله الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم » الثالث عشر — هو مخفي في الاسماء الحسنى ويؤيده حديث عائشة المتقدم لما دعت ببعض الاسماء وبالاسماء الحسنى فقال لها (ص) « انه لفي الاسماء التي دعوت بها »

الرابع عشر — كلمة التوحيد نقله عياض كما تقدم قبل هذا . اه ما أورده الحافظ من احصاء الاقوال التي وقف عليها ومنها عدة أقوال نقلها عن الرازي ليس فيها ذكر اسم (اه) المدهى وسنقل ما قاله في تفسيره ، ومنها أدلة رواها الحاكم وكان الحافظ ابن حجر يحفظ مستدرك الحاكم وغيره من كتب السنة ولم يذكره في الروايات التي رواها في الاسم الاعظم ولا في الاسماء الحسنى ان منها (اه) وبانها كلمة سرانية وسنشر في الجزء التالي بقية الرد على المعارض على فتوى شيخ الازهر مبدوها بكلام الفخر الرازي في اسم الله الاعظم ، ان شاء الله تعالى

تاريخ فتون الحديث^{*}

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل من السنة تبياناً للكتاب. ونورا يهتدي به أولوالالباب ،
وبعث اليها من الحفاظ المتقنين ، والرواة الصادقين ، والنقذة البصيرين ، من
قام بصادق خدمتها ، وحفظ عليها جلال حرمتها ، وتقى عنها تحريف الغالين ،
واتساع المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، (١) وصانها من أفك المفتريين ، وهزل
الدجالين ، حفظت على صر العصور ، من يد الدثور ، وصيقت — بمنية الله — من
أرباب القصور . فلله مزيد الحمد والمنة على ما حفظ من معالم دينه وسبل رشاده ،
وعلى صفيه وخليفه محمد بن عبد الله صلواته وسلامه ، وعلى آله وصحبه ومن تبهم
باحسان الى يوم الدين

« وبعد » فان من لاعلم له بالكتاب والسنة لاحظ له من الملة الخنقية ،
والشرعة الحمدية ، وليس له من نور الهداية وصباح النبوة ما يهتدي به في دياجير
الضلمات ، وظلمات الترهات ، وان صدره لفعل من برد اليقين ، وعقله بمزل من
اصابة الحق المبين ، وقلبه خلو من واعظ الايمان ، وخشية الديان . فاطير كل الخير
في اتباع الكتاب والسنة واقتفاء هديهما ، والاغتراف من بحرهما الواسع بوجودهما
الصالح ، ولا شيء أهدى للنفس وأجلب لسمادتها ، وأرجى لطهارتها ، من تقم
هذين الصنوين والمكوف على درصهما ، وتدبر معانيهما ، والنفوذ الى مزاياهما . فهناك
بطهرة القلب ، وصفاء العقل ، وكل النفس

فكان خليقاً بالعلماء ورواد الدين أن يحملوا مة صدهم الاسمى وقايتهم القصوي
معرفة هذين الاصليين ، والاستغلال بظل هاتين الدوحتين . والاحتماء بمهما ، وابتقاء
الهداية من سبيلهما . ولكن — وأسفاه — صرفوا عنها العناية وولوا وجوههم
نحو القروع وما اليها ، ونحكوا بها في كتاب الله وسنة رسوله (ص) فأثروا القروع

(*) ر-اله صفها الشيخ عبد العزيز المولي الطالب في السنة الثمانية مدرسة القضاء الشرعي
(١) روى البيهقي في المجلد من حديث ابراهيم بن عبد الرحمن المزري مرسل قال قال رسول
الله « من » يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له يفلون عنه تحريف الغالين واتساع المبطلين
وتأويل الجاهلين

على الأصول ، وقدّموا آراء الرجال على قول الله وقول الرسول . وما ذاك إلا إهمال
لمقام الكتاب والسنة ؛ وتغال في وضع الآراء مواضع النصوص ، وإنه خطأ - لو
يؤمنون - عظيم تنكره أصولهم ، وتأباه عليهم - لو أنصفوا - عقولهم
ومن عجيب أمرهم أن يعدّوا من كبار المفسرين من درس مثل تفسير
الجلالين أو النسفي دون أن تكون له ملكة فهم في القرآن وذوق يدرك به
سرفصاحته وكال اقتدار على تطبيقه على سير الناس ومعاملاتهم . وأعجب من
ذلك أن يعدّوا بخاري زمانه ومسلم أو أنه من مر على صحيح البخاري مر السحاب
دون أن يطلق لنفسه العنان في تفهم الأحاديث واستنباط الأحكام ومقارنة ذلك
بأهـام المتقدمين وما استنبطوه منها . وإن صحيح البخاري من كتب الصحاح
والشايـد والأجزاء التي يكاد يخطئها العد ولا يضبطها الحساب ؛ وإن من المضحكات
المبـكيات أن تسأل كثيراً من العلماء عن أسماء الكتب الستة فلا يجـر جواباً كأن
ذلك ليس لديه من الدين في ورد ولا صدر ولا قبيل أو دير ، فلا حول ولا
قوة إلى الله

تنكرت معالم الدين ، وطبق الجهل على المنتسبين إليه ، وسادت الفروع وعبدت
لها الأصول . وأنكر على المؤثر لها ، المقتضي هديها ، فزال جلال الدين من النفوس
وكاد يرحل من دور القضاء ، وبهاجر من أرض المعاملات
فكل ذلك دعاني لأن أجعل رسالتي التي أقدمها لمدرسة القضاء في السنة
الختامية ، في تاريخ فنون الحديث - والكشف عما طرأ عليها من جمع وتصنيف
وترتيب وتهذيب وشرح وتبيين حتى تتمثل لك - أيها القاري الكريم -
صورة واضحة ترى فيها كتب السنة ماثلة ، وتلمح في ثناياها تلك الخدمات الجليلة
التي أداها للسنة سلفنا الصالح ، وتبصر في أسرارها رفيع مقام السنة وناصع
بياضها وجليل أمرها . وإنني وإن لم أسبق إلى هذا النوع من الكتابة - حسب
ما أعلم - ولم يمهـد أحد قبلي صمابه فإن أملي في الله عظيم ورجائي في واسع
فضله كبير إن يسد لي خلالي ، ويوفقي لمسامي ، ويمدني بروح من عنده
يهـديني بها قصد السبيل ، إنه نعم المولى ونعم النصير

معنى تاريخ السنة

السنة في اللغة الطريقة المساوكة من صفت الشيء بالمسن إذا أمرته عليه

حتى يؤخر فيه سناً أي طريقاً . وهي إذا أطلقت تنصرف الى الطريقة المحسودة وقد تستعمل في غيرها مقيدة كقول النبي (ص) «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من حمل بها الى يوم القيامة» رواه مسلم وتطلق في عرف الشرعيين على قول النبي (ص) وأفعاله وتقريراته — عدم انكاره لاسم رآه أو بلغه من يكون منقاداً للشرع فهي مرادفة للحديث . وأعني بتاريخها الادوار التي تطلعت فيها من لدن صدورنا عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم الهدى وصلت اليها من حفظ في الصدور ، وتدوين لها في الصحف ، وجمع لمنشورها وتهذيب لكتبتها ونقي لما اندس فيها ، واستنباط من عيونها ، وتأليف بين كتبها ، وشرح لغامضها ونقد لرواتها — الى غير ذلك مما يهرفه القاعون على خطتها والعاملون ، على نشر رايها

ادوار تاريخ السنة

حفظها في الصدور . تدوينها تحتلطة بالفتاوى . افرادها بالتدوين
تخليد الصحيح . تهذيبها بالترتيب والجمع والشرح . فنون الحديث
المهمة وتاريخ كل علم وأحسن المصنفات فيه .
وسنقب ذلك بمخاتمة فيها مسائل قيمة

مكانة السنة من الكتاب

قبل أن نشرع في موضوعنا تقدم لك بين يديه فصلان بين في مكان السنة من الكتاب ومنزلتها منه حتى تنجلي لك مكانة الموضوع الذي نحن بمسده فنقول وبالله توفيقنا وعليه اعتمادنا

ان السنة عملين (١) تبين الكتاب (٢) والاستقلال بتفريع الاحكام . أما الاول فلقوله تعالى (وأرسلنا اليك الذكر «القرآن» لتبين للناس ما نزل اليهم) فلا سبيل الى العمل بمجمل الشرائع التي تضمنها الكتاب الا ببيان من المصنوع يفصل بمجملها ويوضح مشكاتها ويميز محتملها ويقيد مطلقها . وكيف تراك مصلي اذا وقت الى ما نلتق به الكتاب غصب ولم تخرج عن السنة فتعرف أوقاتها وتعدد ركعاتها وسجوداتها وما يقيمها أو يبطلها المسائر أحكامها وكثيراً ما يعاها

وما الذي تخرجه من مالك زكاة اذا لم تسترشد بكتاب الصدقات من السنة؟ ثم كيف تؤدي مناسك الحج اذا لم تأتس بالرسول في قاله وماله يوم أن حج بالناس حجة الوداع. فلا جرم كان القرآن في حاجة الى السنة ورحم الله الاوزاعي اذا يقول: الكتاب أحوج الى السنة من السنة الى الكتاب ولا عجب في ذلك فان الجمل في حاجة الى البيان ولا كذلك المفصل

وأما الثاني فلقوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب): وقوله جل شأنه: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الى غير ما آية. وكيف تنكر استقلال السنة بتشريع الاحكام وقد أخرج أبو داود والترمذي عن المقدم بن مديكر بن قال قال رسول الله (ص) «يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث غي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وان ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله — زاد أبو داود — ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه» وقد حرمت السنة نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وحرمت الجمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع وغلب من الطير وأوجب رجم المصم — الى كثير مما ملئت به مدونات فقه الحديث والكتب الجامعة لأحاديث الاحكام كبلوغ المرام لابن حجر والمنتقى للمجد ابن تيمية وشرحه نيل الاوطار للشوكاني

ولا تنس ما في السنة من آداب وأخلاق وقصص ومواعظ ورفائق وعقائد وان كانت لا تمدو شرح الكتاب

وهذه القول ان الكتاب والسنة ينبوع هذا الدين المتين، وممتدح المسلمين وناموس المشرعين

الدور الاول حفظ السنة في الصدور

لم تكن السنة في القرن الاول — عصر الصحابة وأكابر التابعين — مدونة في بطون الكتب. وانما كانت مسطورة على صفحات القلوب فكانت صدور الرجال مهد التشريع النبوي ومصدر الفتيا ومنبع الحكم والاحلاق ولم يقيدوا السنة بكتاب لما ورد من النهي عن كتابتها: روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله (ص)

« لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليحرقه » وحدثوا عني فلا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » قال كثير من العلماء نهاهم عن كتابة الحديث خشية اختلاطه بالقرآن . وهذا لا ينافي جواز كتابته اذا أمن اللبس . وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله (ص) في مرضه الذي توفي فيه « ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده » وقوله عام الفتح « اكتبوا لابي شاه » واذنه لعبد الله بن عمرو بتقييد العلم . ولما توفي النبي (ص) بأمر الصحابة الى جمع ما كتب في عهده في موضع واحد وسما ذلك « المصحف » واقتصر واعاد بتجاوزوه الى كتابة الحديث وجمعه في موضع واحد كما فعلوا بالقرآن لكره رفوا همهم الى نفيه بطريق الرواية اما بنفس الالفاظ التي سمعوها منه « ص » ان بقيت في أذهانهم أو بما يؤدي معناها ان غابت عنهم فان المقصود بالحديث هو المعنى ولا يتعلق في الغالب حكم بالمعنى بخلاف القرآن فان للالفاظ مدخلا في الاعجاز فلا يجوز ابدال لفظ منه بآخر ولو كان مرادف له خشية النسيان مع طول الزمان فوجب أن يقيد بالكتابة . وأما السنة فتقييدها مباح ما أمن الاختلاط

فانت تراهم سلكوا مسلك الجمع بين هذه الاحاديث المتضاربة لكن نظرت لابن القيم في كتابه (زاد الماعاد) اثناء الكلام على قصة الفتح ما يأتي : وفي القصة ان رجلا من الصحابة يقال له أبوشاه قام فقال اكتبوا لي فقال النبي (ص) « اكتبوا لابي شاه » يريد خطيبته . فقيه دليل على كتابة العلم ونسخ النبي عن كتابة الحديث فان النبي (ص) قال من « كتب عني شيئاً غير القرآن فليحرقه » وهذا كان في أول الاسلام خشية أن يختلط الوحي الذي يتلى بالوحي الذي لا يتلى ثم أذن بالكتابة لحديثه . وصح عن عبد الله بن عمرو انه كان يكتب حديثه وكان مما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن أبيه عنه وهي من أصح الاحاديث وكان بعض أئمة أهل الحديث يجمعلها في درجة أيوب عن نافع عن ابن عمر والآئمة الاربعة وغيرهم احتجوا بها

والى القول بالنسخ أميل . ذلك ان القرآن وان كان بدعاً في أسلوبه فريداً في نظمه يمتاز على غيره بالاعجاز . لكن المسلمين في أول الاسلام كانوا حديثي عهد بنزوله وكان النازل منه يسيراً فلم تكن ميزته المثلى قد توطنت النفوس جده التوطين ، ولا تحسنت فيها فضل التمكن . فكان من الممكن أن يشتبه على من دون غيرهم المثلوه بغير المثلوه فوجب التمييز بالكتابة . فلما من نوا

على أسلوبيه وطال ههدهم بسماعه وتلاوته حتى أصبحوا إذا سمعوا الآية تنلى أو
السورة تقرأ أدركوها لأول كلمة تفرع أسماعهم أن ذلك وحى الله المتبار ولم يتجر
الاشتباه حول تفوسهم لما مر نوا على ذلك أذن لهم بكتابة الحديث لأنهم ليسوا
ولعل من دواعي النهي عن كتابة الحديث أولاً أنهم لا يثقون إلا بالذي رواه
أن المارفين بالكتابة كانوا في غربة الإسلام قليلين فأنشأت الحكمة فيهم
كتابة القرآن فلما توافر عندهم أذن صلوات الله وسلامه عليه بكتابة الحديث
ولا يقمن في نفسك مما أسلفت أنه لا بد من شيء من العلم بالقرآن الأول وهو
كان هذا هو الشأن السالب فقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
رسول الله (ص) وروى أبو عمر يوسف بن عبد الله بن أبي شيبة عن علي بن أبي حمزة عن
وفضله « عن مطرف بن طريف قال سمعت الشعبي يقول لعجلوني في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم
قلت لعلي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله (ص) شيء سوى القرآن قلت
لا والذي فلق الحمة وبرأ النسمة إلا أن يسئلي الله سبحانه في كتابه من القرآن
الصحيحة ؟ قلت وما في الصحة ؟ قال ما من حديث صحيح إلا ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم
وكتب رسول الله (ص) كتاب الصدقات والديات والقرائن والسفن لمعرو بن حزم
 وغيره . وعن أبي جعفر محمد بن علي قال روي في قائم سيف رسول الله (ص) من
صحيفة مكتوب فيها « ملمون من أضل أعمى عن سبيل ، ملمون من سرق نخوم
 الأرض ، ملمون من تولى غير مواليه ، أو قال ملمون من جحد نعمة من أنعم عليه .
 وعن ممن قال أخرج إلى عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي أنه
 خط أبيه بيده . وعن سعيد بن جبيرة أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه
 الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فإذا نزل نسخه . وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد
 عن أبيه قال كما نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما
 احتجج إليه سمعت أنه أعلم الناس . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترق
 كتبه يوم الحيرة في خلافة يزيد وكان يقول لو أن عندي كتيبي بأهلي ومالي

نثبت الصحابة في رواية الحديث

عساك تقول إذا كانت الصدور وشاءت السنة في القرن الأول فكيف يؤمن عليها
النسبان وأن يندس بين المسلمين من يقول على الرسول ؟ فنقول الجابة على ذلك
أن الصحابة وأكابر التابعين كانوا على علم بالكتاب وكانوا أسبق الناس إلى الاتباع

بأمره والالتزام بنهيه وقد علموا ما أوعده الله به كاتم العلم من لعن وطرد وإبعاد عن
رحمة الرب فكانوا إذا علموا شيئاً من سنن الرسول يادروا إلى تعليمه وإبلاغه خروجا
من التهمة وإتقاء لرحمة فرعان ما ينتشر بين الجماهير فليكن نسبي بعض منهم
قريب مبلغ أوعى من سامع فمن البعد بمكان أن يضع شيء من السنة أو يخفى على
جمهور المسلمين . ولم يكن الصحابة يقبلون الحديث من كل محدث بل علموا أن
من الحديث محرماً ومخللاً ومخلطاً ومضروباً وأن سبيل ذلك اليقين أو الظن إلا أخذ
بأهديه لذلك تفتتوا في رواية الحديث جد التثبت فكان لهم في الراوي نظرة
كما كانت لهم في المروي وكان كثير منهم يأبى إلا شاهداً محضاً أو يميناً كاسمة
تحمي لثام ذلك عن وجه اليقين . فهذا أبو بكر الصديق كان أول من احتاط في
رواية الحديث . روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس
أن تورث فقال ما أجده في كتاب الله شيئاً . ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال كان
كان رسول الله «ص» يعطيها السدس فقال له هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة
بذلك فأعذه لها أبو بكر رضي الله عنه . وعمر بن الخطاب سبى للجدتين التثبت
في النقل وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب . روى الجريزي عن أبي
نضرة عن أبي سعيد أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث ممرات فلم
يثرون له فخرج فأرسل عمر في أثره فقال لم رجعت قال سمعت رسول الله «ص»
يقول إذا سلم أخوكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع قال لتأتيني على ذلك بينة أو
لا فعلن بك جاءه أبو موسى منتقماً لونه ونحن جالس فقلنا ما شأنك فأخبرنا
وقال فليل سمع أحد منكم فقلنا نعم قلنا سمعنا فاستأوا معه رجلاً منهم حتى
أتى عمر فأخبره وقال على رضي الله عنه كانت إذا سمعت من رسول الله «ص»
شيئاً تفتتني الله بما شاء منه وإذا حدثني عنه محدثاً سمعته لم ألقه حتى يصدقني
وإن أبا بكر حدثني رضي الله عنه في أبو بكر . ولقد كان كثير من أصحاب رسول الله
«ص» يقبلون من الرواية عن رسول الله «ص» خشية أن يدخلوا في الحديث طاليس
عنه سبوا أو خلطوا فيها لهم من سوء الكذب على رسول الله «ص» ومن أولئك
الذين وأبو عبد الله والبراء بن عازب وكثير من الرواة من كان يكره أن يكره من
رواية إذا لا يكثر . ولما احتاطوا في الحديث بسبب الخبر فأسكر وأعلى أبي هريرة
أخبره حديثه حتى يضمن له ما سمعته أن يبين له سبب الذي حمله على الإكثار فقال
أبي السائب بن وهب قال سمعته يقول لا أعلم في كتاب الله ما لمعه منه حديثاً

ثم يتلو: (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الا الذين تابوا وأسلحوا وينبوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصنف في الاسواق وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في أموالهم وان أبا هريرة كان يلزم رسول الله (ص) يشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون

مبدأ تدوين السنة

لما انتشر الاسلام واتسعت البلاد وشاع الابتداع وتفرقت الصحابة في الأقطار ومات كثير منهم وقيل الضبط دعت الحاجة الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة . ولم يري أنها الاصل فان الحاضر يغفل والقلم يحفظ فلما أن أفضت الخلافة الى الامام العادل عمر بن عبد العزيز كتب على رأس المائة الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عامله وقاضيه على المدينة : انظر ما كان من حديث رسول الله «ص» ما كتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء وأوصاه أن يكتب له ما عند حمزة بنت عبد الرحمن الانصارية «١» والقاسم «٢» وكذلك كتب الى عماله في أمهات المدن الاسلامية بجمع الحديث ومن كتب اليه محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب الزهري المدني احد الأئمة الاعلام وعالم أهل الحجاز والشام «٣» ثم شاع التدوين في الطبقة (٥) التي تلي طبقة الزهري فكان أول من جمعه بمكة ابن جريج «٤» وابن اسحاق «٥» أو مالك «٦» والريعي بن صبيح «٧» أو سعيد بن أبي عروبة «٨» أو هاد بن سفيان «٩» وسفيان الثوري «١٠» والأوزاعي «١١» وهديم «١٢» ومعمر «١٣» وجابر بن عبد الحميد «١٤» وابن المبارك «١٥» وكل هؤلاء بالقرن الثاني وكان جمعهم للحديث مختلفا بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين

- (١) توفيت سنة ٩٨ (٢) توفي سنة ١٢٠ (٣) توفي سنة ١٢٤ «٥» الطبقة في اصطلاح المحدثين عبارة عن جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ (٤) توفي سنة ١٥٠ (٥) توفي سنة ١٥١ (٦) توفي سنة ١٧٩ بالمدينة (٧) توفي سنة ١٦٠ (٨) توفي سنة ١٥٦ (٩) توفي سنة ١٦٧ بالبصرة (١٠) توفي سنة ١٦١ بالكوفة (١١) توفي سنة ١٥٦ بالشام (١٢) توفي سنة ١٨٨ بواسط (١٣) توفي سنة ١٥٣ «١٤» توفي سنة ١٨٨ بالري (١٥) توفي سنة ١٨١ بخراسان

أشهر الكتب المؤلفة في القرن الثاني

من أشهر الكتب المؤلفة في المائة الثانية الموطأ للإمام مالك ابن أنس المدني إمام دار الهجرة (١) ومسند الإمام الشافعي (٢) ومختلف الحديث له (٣) والجامع للإمام عبد الزقاق بن همام الصنعاني (٤) ومصنف شعبة بن الحجاج (٥) ومصنف سفيان بن عيينة (٦) ومصنف الليث بن سعد «٦» ومجموعات من عاصره من حفاظ الحديث وعقال أوابده كالإمام والحميدي (٧) ولما كان موطأ مالك أسير هذه الكتب ذكراً وأبعد ما صبت وأجلها بولاً رأيت أن أفرد له فصلاً يجلّي شأنه ويوضح مآلقاته من غناية الأمة وأئمة الدين

موطأ الإمام مالك

درجة حديثه قال الحافظ ابن حجر أن كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع «١» وغيرهما قال المحدث الدهلوي صاحب كتاب «حجة الله البالغة» أما على رأي غيره فليس فيه مرسل ولا منقطع إلا قد اتصل السند به من طرق أخرى فلا جرم كانت صحيحة من هذا الوجه . وقد سنّف في زمان مالك موطآت كثيرة في تخرّيج أحاديثه ووصل منقطعة مثل كتاب ابن أبي ذئب وابن عيينة والثوري وغيرهم ممن شارك مالكاً في الشيوخ . قال السيوطي في تقرّيبه نفلاً عن ابن حزم : أحسيت ما في موطأ مالك وما في حديث سفيان ابن عيينة فوجدت في كلّ واحد منهما من المسند «٢» خمسمائة وثلاثة وسبعون حديثاً وفيه موطأ وفيه سبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضعيفة وهاها جهور العلماء

غناية الناس به قد روى الموطأ عن مالك بغير واسطة أكثر من ألف رجل

١. توفي سنة ١٧٩ هـ . توفي سنة ٢٠٤ هـ «٥» يطلق مختلف الحديث على الأحاديث المعارضة بمتلها في القوة ويمكن الجمع بينها بغير تصف . توفي سنة ٢١١ هـ . توفي سنة ١٦٠ هـ . توفي سنة ١٩٨ هـ . توفي سنة ١٧٥ هـ . «توفي ٢١٩ هـ»
٢. الرّجل من الحديث ما سقط من سند الصحابي بأن يروى الثاني عن الرسول «من» مباشرة والقطع ما سقط من بناء سند راوا أو أكثر مع عدم التّوال «٢٥» السند مرموع صحابي بسند ظاهره الاتصال

وقد ضرب الناس فيه أكباد الابل الى مالك من أقاصي البلاد. حداداً لقول النبي
 «ص» - «يوشك ان يضرب الناس أكباد الابل في طلب العلم فما يجدون بأعلم
 من عالم المدينة» قال عبد الرزاق هو مالك ابن أنس، رواه الترمذي - فهم
 المبرزون من الفقهاء كالشافعي ومحمد بن الحسن «١» وابن وهب والقاسم ومنهم
 شيوخ المحدثين كيعقوب بن سعيد القطان «٢» وعبد الرحمن بن مهدي «٣» وعبد
 الرزاق بن مام «٤» ومنهم الملوك والامراء كالرشيد «٥» وابنيه الامين «٦»
 والمأمون «٧». وقد اشتهر في عصره حتى بلغ على جميع ديار الاسلام ثم لم يأت
 زمان الا وهو أكثر شهرة وأقوى به عناية. وعليه بنى فقهاء الامصار مذاهميم
 حتى أهل العراق في بعض أمرهم ولم يزل العلماء يخرجون حديثه ويذكرون
 متابعاته وشواهد «٨» ويشرحون غريبه ويضبطون مشكله ويبحثون عن فقهاء
 ويفتشون عن رجاله الى غاية ليس بعدها غاية. روى ابن سعد في الطبقات عن
 مالك بن أنس قال: لما حجج المصور قال لي: قد عزمت على أن أسري بكتيبك هذه التي
 وضعتها فتتسخ ثم أبعث الى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة وأمرهم أن
 يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره: ففعلت يا أمير المؤمنين لا تقبل هذا فان الناس
 قد سبقتهم اليهم أقاويل وسمعو أقاويل. وروى روايات وأخذ كل قوم بما سبقت
 اليهم ودانوا به فدفع الناس وما اختار أهل كسب بلدهم لا تقسمهم. وروى أبو نعيم
 في الحلية عن مالك بن أنس قال: شاورني هرون الرشيد في أن يعلق الموطأ في
 الكعبة ويحمل الناس على ما فيه فقلت لا تقبل فان أصحاب رسول الله (ص) اختلفوا
 في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل مصيب. فقال وفقك الله يا أبا عبد الله

روايات الموطأ قال أبو القاسم بن محمد بن حسين الشافعي الموطأ المعروفة
 عن مالك أحد عشر منها متقارب والمستعمل منها أربعة موطأ يحيى بن يحيى
 وموطأ ابن بكير وموطأ أبي مصعب وموطأ ابن وهب ثم ضعف الاستعمال في

١. توفي الأول سنة ٢٠٤ والثاني ١٨٩. ٢. سنة ١٩٨. ٣. سنة ١٩٨. ٤. سنة

٢١١. ٥. سنة ١٩٣. ٦. سنة ١٩٨. ٧. سنة ٢١٨

الحديث الذي يفرده روايته وأما اسمي غريباً قال ألفرد بهي موضع واحد من الاستاذ قيل
 لأحدث انه فرد ليس أيضاً وان كان في كل موضع منه - هي فرداً حقيقياً ماداً وان كان ذلك ألفرد
 غيره في رواية ذلك الحديث عن نفس الصحابي الذي رواه عنه قيل انه وجد لأول متابعيه وان وجدته
 يشبه منه وهو مروى عن صحابي آخر قيل لثاني شاعره

(المجلد الثاني والمشمرون)

(١٠)

(التاريخ : ج ١)

الأخيرين . وبين الروايات اختلاف كبير من تقديم وتأخير وزيادة وتقص ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية أبي مصعب فقد قال ابن حزم أنها زائدة على سائر الروايات نحو مائة حديث

شرح الموطأ ومختصراته

من شرح الموطأ أبو مروان بن عبد الملك بن حبيب المالكي (١) وهو من الحفاظ أبو عمرو يوسف بن عبد البر (٢) كتاب سماه (التفصي الحديث الموطأ) وله كتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) قال ابن حزم هو كتاب في الفقه والحديث ولا أعلم نظيره . وكذلك شرح الموطأ أبو محمد عبد الله بن محمد النجدي البغدادي (٣) والقاضي الحافظ أبو بكر محمد بن العربي المغربي (٤) وسماه (القبس) ومما جاء فيه في وصف الموطأ : هذا أول كتاب ألف في شرائع الإسلام وهو آخره لأنه لم يؤلف مثله إذ بناء مالك رحمه الله على تمهيد الأصول للفروع وبنه فيه على معظم أصول الفقه التي ترجع إليه في مسائله وفروعه . ومن شرحه جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (٥) وسماه شرحه « كشف المغفل » في شرح الموطأ . وبحث ابن عبد الباقي الزقاني المصري المالكي (٦) شرحه شرحاً بسيطاً في ثلاثة مجلدات ونموطاً مختصراً كثيرة فيها مختصر الإمام الخطابي أحمد بن محمد البصري (٧) ومختصر أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (٨) وابن رشيح القيرواني (٩) (له بقية)

(الدعوة إلى انتقاد المنار)

أنا بدعوه جميع من يطلع على المنار من علماء الدين وغيرهم من أهل العلم والرأي أن يكتبوا لنا بما يرون فيه من الخطأ في المسائل الدينية وغيرها أو ما ينافي بمصلحة أممنا وأوطاننا التي نعيش فيها . وقد المنة الذين ينشر كل ما يرسل إلينا من نقد مع بيان رأينا فيه بشرط أن يكون على الوجه الذي بيناه في خاتمة المجلد ٢١١ وفيما قبله

ونذكر عامة قراء المنار أن يطالبوا كل من يسمعون منه انتقاد في المنار بكتابة انتقاده وإرساله إل صاحبنا لينشر فيه فيطلع قراؤه عليه وعلى ما يقرن به من قبول أو رد وبأخذوا بما يرونه حق . وبنوا أن كل من كتب أي شيء يكتب انتقاده ويرسله إلينا فهو فاسق مغتاب . أو جاسد كذاب

١. توفي سنة ٢٣٩ هـ . سنة ٤٦٣ هـ . ٣. سنة ٥٢١ هـ . ٤. سنة ٥٤٦ هـ . سنة ٩١١ هـ .

٦. سنة ١١٢٤ هـ . ٧. سنة ٢٨٨ هـ . ٨. سنة ٤٧٤ هـ . ٩. سنة ٤٥٦ هـ .

الاتحاد والاقتصاد

كثتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، ميزان سياسة الامم ونظام
الاجتماع ، كثر في هذا العصر تشدق الخطباء بذكرها ، وشرح الكتاب فوائدها ،
ولما بقية الدهماء حقيقة معناها ، بل لما يحطأ أكثر العلماء والزعماء منا خبرا بها ، لان قلة
المفاتيح واحاطة الخبر لا يحصلان الا بطول التجارب في الحوادث ، والاصطلاحات بمران
الكواثر ، بهد تلقى الحكمة بالتعليم ، والترية على سلوك الصراط المستقيم
كنا منذ أنشأنا المثار في أواخر سنة ١٣١٥ للهجرة قد جعلنا أهم ما ندعو اليه
القراء في مصر وسائر البلاد ان يجهلوا جل عنايتهم في اصلاح شؤونهم بالترية الملية
التي تكون أمة متحدة والاقتصاد الذي تكون به الامة فنية تتصرف ببروتها في القيام
بمصلحتها كما تشاء . بثنا هذه الدعوة في (المؤيد) في ذلك العهد اذ كنا نكتب فيه
مقالات بامضاء (م . ر) وبغير امضاء . ثم أعدنا بثنا في (الجريدة) في أول العهد
بظهورها في مقالة عنوانها (الى أي شيء أنت باسمه أحوج) نشرناها أيضا في الجزء
الثاني للمجلد العاشر من المثار الذي صدر في صفر سنة ١٣٢٥

ونحمد الله تعالى ان رأينا في هذه السنين آيات الاتحاد في هذه البلاد المزينة
ورأينا من قاصبه قرب الحصول على الاستقلال الذي نعتقد أنه لا ينال الا به . بل
نقول ان الاتحاد بغير استقلال خير من الاستقلال بغير اتحاد ، لان الاتحاد يأتي
بالاستقلال المفقود ، وفقد يذهب بالاستقلال الموجود ، فالواجب الآن على كل
مصري أن يكون أحرص على تعزيز الاتحاد والتكافل الذي وقع ، منه على نيل
الاستقلال الذي يترجم به ويتوقع ، فان الاتحاد اذا لم واقصمت عروته قبل بدو صلاح
ثمرة نفضت الشجرة أو خرجت الثمرة شيئا لا غناء فيها ، واذا انتكث فله بدمه ؛
زال أثره بزواله ، فاذا بالاستقلال ابتداء ولا بقاء الا بالاتحاد

ولما كان لكل كفة منظمة جهة وحدة تضبطها وترفع بها وكان الوفد المصري هو
عنوان الاتحاد لندي ارتقت اليه البلاد ومثله وجب على الشعب المصري لتحد أن
يظل مستمسكا بحبله مضطعا ببروته ولا صبا بهد الذي ظهر من كفا جهده وأمانته ، والا

كان كالتي نفضت فزلها من بعد قوة انكنا ، واهيك به جهلا وأفنا وخسرانا
نم لبعلم علم تدبر أنه لاقوام لاستقلال الامم وحريتها الا بالثروة ، ولاثرة الا
بالاقتصاد ، وان الاستقلال السياسي ، متوقف على الاستقلال الاقتصادي ، ونحن
مقصرون في . بيل هذا الاستقلال تقصيرا اذا لم نبادر الى تداركه كتنا من المالكين
ان لكسب والاتفاق علوما وفنونا اتسم نطقها في هذا العصر انساها دغلا لانها
قطب الرعى لمدينة الامم والشعوب وعزتها ورفاقتها وساداتها وقد برزت بها الامم
الشمالية الغربية ، فاستعمرت اراستعبدت به الامم الشرقية والجنوبية ، حتى ظن كثير
من القاصرين ان الشعوب والاجناس أو الاقاليم الغربية ، انظم استعدادا بطيية
العرق وخاصة الجنس من الشعوب الشرقية ، ويبطل هذا القول ما هو معلوم من
ان اليهود ارقى أهل الارض في جميع هذه العلوم والفنون والاعمال المترتبة عليها ، انما
وجدوا وحيداً حلوا من أقطار الارض ، وهم شعب شرقي محافظ على نسبه ودمه ، وكذلك
الشعب الياباني في الشرق الاقصى قد جارى الغربيين فيها من عهد قريب

ولكن الامر الغريب ان المسلمين في تشرق وتغرب والجنوب والشمال لا يزالون
مقصرين في هذا المضمار ، وهذا التقصير أصاعت أكثر دولهم ملكها وأمسى الباقي لها
بين برائن الخطر ، ويضم أكثر أفرادهم ملكهم في البلاد التي يراهم فيها غيرهم ، فان
كان جل ثروة مصر وسورية والعراق لا يزال بيدهم فما ذقت من كسبهم بعلومهم
وفنونهم وانما ذلك إثر رقة الأرض تسلسل فيهم لانهم أكثر السكان المالكين لها ،
فهذه مصر أقدر البلاد العربية على اقتباس العلوم والفنون المالية وغيرها وأكثرها
نقطة هليها نراها مقصرة في هذا الاقتباس لجميع من يعيش فيها من الشعوب الاوربية
واليونانيين والسوريين يفوقون المصريين في العلوم والفنون المالية والاقتصادية وفي
ادارة المال بالتجارة وغيرها وفي الاقتصاد وحفظ ثروة من التبذير والضياع ، بل
القطب من المصريين يفوقون المسلمين في ذك عملا وورثهم النسبية تفوق ثروة
المسلمين وأكثر أعمال الحكومة المالية في أيديهم وأيدي لاوريين والسوريين ، بل أكثر
المسلمين يعتمدون على كتبهم في دارة ثروتهم . على أن المسلمين قد سراقا في الاتفاق
وتدبر الاموال منهم ومن سائر الشعوب التي تعرف أحوالها

من فطن لهذا من علماء الاقتصاد يعلمه بادي الرأي بأن الدين الاسلامي هو
السبب في الامرين . وهذا التمليل يضاهي في البطلان تمليل من عساه يقول ان
الدين المسيحي هو سبب قراء نصارى الغرب وسعة عيشهم وشدة صلواتهم وجبروتهم .
والحق أن كلامنا النصاري والمسلمين يخالف لهدي دينه ونصوص كتابه في الامرين ،
فلا نجعل يهدي الى المبالغة في الزهد والتقناعة والتواضع والخضوع لكل سلطان ، وننص
على أن الفنى لا يدخل ملكوت السموات ، والاسلام دين سيادة واقتصاد وجمع بين
مطالب الروح والجسد كما ينال ذلك وفصلناه مرارا كثيرة . ومن نصوصه فيما نحن بصدده قوله
تمالي في أوائل سورة النساء (ولا تؤثروا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أي
جعل عليها مدار قيام مصالحكم ومراقبتكم وحفظها وثباتها ، وقوله في صفات المؤمنين من
أواخر سورة الفرقان (والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)
وهو في وصايا سورة الاسراء عن المبالغة في قبض اليد وبسطها في الاتفاق وعن التبذير
وسمى المذربين اخوان الشياطين . وهذه الوصايا هي أموات أصول الدين وفصلاته
وأدابه ، وهي تشمل الوصايا العشر التي في التوراة ماعدا بطلاة يوم السبت وزيد عليها .
وفي السنة وصايا وأحكام كثيرة في ذلك

فالمسلمون يخافون الدينهم فيما اعتادوا من الاسراف في النفقات ، وهذا اذا
كانت فيما أبيع لهم من الزينة واللبنيات ، فكيف اذا كانت في المحرمات . ولا سيما
الفواحش الثلاث المفسدات للنفرة المحرمات للديار - السكر والزنا والقمار - وهم
على هدمهم بذلك لدينهم . يمدون كل ما يفي من صرح استقلالهم ، وإن لم أروا
أصعب من أخبار البشر أن شعبا منهم يعادي التقاد الذي هو ميزان الاعمال والقوة
في الاجتماع البشري كالشعب المصري وقامصري أسرع الناس بذلا لما يصل الى يده
من النقد فأنه ممن بالزينة والنفقات ينفقون في سبيلها ما تصل اليه أيديهم من كسب
وقرض ولو بالربا الفاحش ، وغير المتمعين يشترون بما تصل اليه أيديهم من كسب
وقرض بالربا أرضا أو عقارا ولا يبالي أكثر الفريقتين أن يشترى الشيء . بأنه فتنه وإن
استندان لثنى بالربا الفاحش لأن النقد احقر الاشياء في علمه وإدراكه ترى أكثر
المصريين على سعة ثروتهم انزعاجية موهقين بالدين . فيجب على لزعماء والخطباء

وكتاب المصنف أن تعاونوا على درء هذا الخطر بوساقي العلم والعمل، والاقلال المتبحرون منهم كالأجراء للأجانب لأن جلّ ما يفتخرون به يمتدّ إلى صنابير المصارف المالية ومناظر المرائين ويخرب أصحاب الحانات والمواخير وموائد القمار ونجار هرودس الزينة والفرف، وبشارة أخرى أن جلّ ثروة البلاد تخرج منها إلى البلاد الأجنبية

ومن الضروري أن يبادروا إلى تأليف جمعية اقتصادية يكون من أعمالها إرسال بعض الطلاب المستعدين إلى معاهد العلم في أوروبا لأجل الاختصاص في علم الاقتصاد السياسي وسائر الفنون المالية والصناعات الضرورية ولا سيما الفزل والنسيج ثم يخطبهم معلمين لهذه الفنون والصناعات وعاملين بها، والاستقلال المتظنر يزعم أن شاء الله ما كان من الواجب دون مثل هذا. واني رأيت في الهند معامل عظيمة للمنسوجات الأوروبية—دع للمنسوجات الوطنية الخاصة بأهل البلاد—وجنح حال هذه المعامل من الوطنيين إلا أنني رأيت في فضل كبير في إمباي وجلين من التكديز وظيفتهما اختيار قروش النسيج: ويكون أهم أعمال هذه الجمعية وشعبها تمهيم النقابات الزراعية في البلاد وتأليف الشركات ومشروعات الاقتصادية الختلفة ويكون منها السعي لإرشاد جمهور الأمة إلى الاقتصاد وجعل ثروة البلاد قوة لها وضامناً لاستقلالها بنفسها وحرقيتها في المصرف بروتها

﴿ نصيحة اقتصادية ﴾

إن هذا الغلاء الشديد الذي تنط من حمله جميع الأمم—الذي كانت الحرب سبباً طبيعياً^(١) له وابتدع له الطامعون من التجار وغيرهم أسباباً بصناعية وحيلاً كثيرة—قد بلغ مده الغاية في حده ولم يعد للمعان قبل باحثه، ومن المقطوع به في علم الاقتصاد أن الأشياء التي قلت بقله الأيدي العاملة لا تشمل ألوف الألوف من البشر بالحرب عن الزراعة والصناعة مستكثر بعد عود تلك الأيدي إلى العمل فتجد المستهلكين للأقوات والمصنوعات قد قل عددهم إذ أهلك الحرب خمسة وثلاثين مليوناً من البشر منها

(١) القاعدة في النسبة إلى فعيلة فعلية وصرحوا باستثناء السليفة فقالوا سلفي استعمل وجرى علماء المقول وغيرهم على ذلك في النسبة إلى الطبيعة لأنها بمعنى السليفة

٢٢ مليوناً في ميادين القتال على أوسط تقدير ، والباقي فيما تولاه عنها من الادوار
والامراض والجراحات قاتلة ، ويوجد عشرات الملايين أو مئات الملايين من البشر
في الشرق لا يملّ يتخروا اهل البغايا الأوروبية اليهم ، فلا بد اذا أن يهبط اتمان
بعضهم والاقوات هبوطاً هائلياً وبما كان فوق تقدير القدرين

فالواجب على كل عاقل حريص على ماله أن يتبع القاعدة المعقولة التي جربنا
نحن عليها وكما نوصي الناس بها وهي أن لا يشترى أحد شيئاً ما قبل عودة الاسواق
الى الاسماء المعتلة إلا اذا كان لاخيه عنه وبعد البحث عن أسماؤه في هذه مواضع ،
ولا يترن أحد بعد اليوم بحيل التجار بادعاء تنزيل الاتمان موقتاً ودعوتهم الى ما
يسونه الفرصة المطيبة أو « الإكزيون » فإن هذه الفرص ليست بموقته وإنما هم
مضطرون الى الحيلولة بها الى ما دونها فهم يشترون فرصة حاجة الناس الى الشيء
واقترعهم اغتلاء قبل الحيلولة الشديداً بالمستطاع فالتهم لهم والفرص على من يصدقهم
بدأ احقق التجار ببعض أسماؤهم بالترتيب ولا سيما المتسوجة وغلى أنبياء
العالمين مصرين على تهب الناس تلك الاسماء الاحشة بل طمأنع اليقين أن بعض الذين
أعلنوا الناس وجوب اقتناء الفرصة بالنقص الموقت من سائر البضائع قد زادوا في صغرها
بما كتبوا على طاعتها كما كانوا يفعلون في زمن الحرب والمجدية ولكن قل من يتخضع
بعد اليوم هؤلاء القساة للبيعتين الافلاس والافقر

الجود والاحسان

والجارية فيما بين نساء الانكليز اليوم ونساء الصحابة (رض)

نشرت جريدة التعليم منذ بضعة أشهر ما يأتي

قائل أبعد اغنياء لندن مجافطها من ايام وابانه أنه مستعد للتبرع بمئة وخمسين
الف جنيه لانشاء حديقة في لندن قديمي حديقة النهر . وقد وعد هذا الحسن
أن يبرع بكل ثروته وقدره أكثر من مليون الاعمال الخيرية قبل وفاته
وايتم المؤتمر الانكليزي الكاثوليكي في لندن لاستعداد الاكف المساعدة
فرمالات الخيرية الخارجية وطلب الخطباء . قالت الدليل مايل فاحذت النساء
يترن حليهن ويقتننها في اللب والبراطيات الى ادبرت على المجتمعين وتبرع كبيرون

بحالات كتبها باقلام استعارها بعضهم في الاجتماع وبعض هذه الحوالات بالف
جنيه وبعضها بنجاني مئة والبعض بخمسة مئة. وقد ما اجتمع من الساعات ذات
اليوم والحالي الاخرى بمئات الجنيهات . وزعت احدى الحاضرات المالية التي على
حداثتها وتبرعت اخرى بازارار الاؤلوة التي على بلوزتها وتبرعت اخرى بقرطين
من صفيين من الذهب والالاس نزهتهما من اذنيها وكان المجموع الاول ١٧٤٠٠ جنيهه
الاعتبار بهذا الخير

ذكرنا تبرع نساء الانكليز بمحيتين لمساعدة نشر دينهم ماورد في الصحيحين
من مثل ذلك من نساء الصحابة (رض) ففي (باب عظة النساء) من كتاب العلم
هند البخاري عن ابن عباس (رض) قال أشهد على النبي (ص) انه خرج ومعه
بلال فظن انه لم يسمع النساء فوهظن وأمرهن بالصدقة فجاءت المرأة تلقي القرط
والخاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه .

وهذا الوهظ للنساء كان في يوم عبد الفطاه خص النبي فيه النساء بالموعدة
بعد الخطبة العامة لانه لم يسمع من لانهن كن يصلين ويحلمن وراء الرجال وأخرج
البخاري الحديث في (باب موعظة الامام النساء يوم العيد) من (كتاب الميدين)
عن جابر وفي تفسير سورة المتحفة عن ابن عباس . ويؤخذ من مجموع الروايات
ان النبي (ص) شق صفه والرجال بعد خطبة العيد حتى أتى النساء فقرأ عليهن آية المبالغة
ثم قال لمن «هل آتيتن على ذلك» فاجابته واحدة هنن نعم . ولما أمرهن (ص)
بالصدقة قال لمن بلال : هل لكن فدا أبي وأمي . فحملن يلقين الفخ والخواتيم في
ثوب بلال ، وزاد في رواية لسلم الخلايل . فأما الاقراط فهي حلي الآذان وأما
الفخ وهي جهم فعدة لخلق نابس في أصابع اليدين والرجلين .

والعبرة فيما تقدم من وجوه أهمها أن الافرج اليوم أقرب منا الى هداية ديننا
وسيرة . انما الصالح في أمور كثيرة وأهمها حياة الدين والعبرة تليه والبذل في سبيله
ومشاهدة النساء للرجال في حضور العبادة في المساجد مع الرجال ومواعظ والتعاون
على المساعدة المطلوبة . ولا يبعد أن يعود سائرنا الى شئ هداية دينهم اقتداء
بالحسانات من نساء الافرج كما يقلد الكثيرات منهن المسيئات الآن في الامور المتقدمة .
ومما دلت الحلة في الامة لها افدا كما

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبون أحسن
أمرئك الذين هداهم الله وأوتيتهم هم أولو الألبان

المسحوق
١٣١٥

بشرى المسك من بقاء ومن بقاء المسك قد
بشرى كثيرا وما يدركه إلا أولو الألبان

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومانرا » كنار الطريق

مصر. ملحق ربيع الآخر ١٣٣٩ - ١٩ الجلد (ش ١) سنة ١٢٩٩ هـ ٩ يناير ١٩٢١

تاريخ فنون الحديث

٢

افراد الحديث بالتأليف من مبتدأ القرن الثالث

في أول هذا القرن أخذ رواة الحديث في جمعه طريقة غير التي
 ان كانوا يجمعونه ممزوجاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين أخذوا يردونها إلى الجمع
 والتأليف ثم من أئمة الحديث من جمع في مصنفه كل ما روي عن الرسول (ص)
 من غير تمييز بين صحيح وسقيم . ومنهم من أفرد الصحيح بالجمع ليخلص
 طالب الحديث من عناء السؤال والبحث ، وكان أول الراسخين لتلك الطريقة
 المثلث شيخ المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري فجمع في كتابه المشهور ما تبين له
 صحته ، وكانت الكتب قبله ممزوجاً فيها الصحيح بالعليل بحيث لا يتبين للناظر
 فيها درجة الحديث من الصحة الا بعد البحث عن أحوال رواة والوقوف على
 سلامته من الملل فان لم يكن من أهل البحث ولم يظفر بمن يتعرف منه درجته
 بقي ذلك الحديث مجهول الحال عنده . واقتفى أثر البخاري في ذلك الإمام
 مسلم ابن الحجاج القشيري وكان من الآخذين عنه ثم ارتسم خطهما كثيرون
 وان ذلك القرن الثالث لاجل عصور الحديث وأسعدها بخدمة السنة
 فظهر كبار المحدثين وجهاً بذة المؤلفين وحناق الناقدين وفيه أشرفت
 شمس الكتب الستة التي كادت لا تغفل من صحيح الحديث إلا أبو العباس
 والتي عليها يعتمد المشرعون وبها يعتمد الناظرون وعن محابها تنجاب الشبه
 وبضوءها يهتدي الضال ويرد يقينها تلجج الصدور
 وبانسلاخ هذا القرن يكاد يتم جمع الحديث وتدوينه ، ويبتدئ عصر رقيه
 وتهذيبه ، ونسبه على رواده وتقريبه

وقبل أن تأتي على المشهور من كتب السنة في هذا القرن نتد فلما
 نكشف فيه عن طرق التصنيف في الحديث حتى تكون على بينة من تأليفه .

طرق التصنيف في الحديث

للعلماء في تصنيف الحديث وجمعه طريقتان (أحدهما) التصنيف على الأبواب وهو تقويمه على أحكام الفقه وغيره وتنويعه أنواعاً وجمع ما ورد في كل حكم وكل نوع في باب بحيث يتميز ما يتعلق بالصلاة مثلاً عما يتعلق بالصيام وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على إيراد ما أصبح فقط كالشيخين ومنهم من لم يقتصر على ذلك كإبي داود والترمذي والنسائي (ثانيتهما) التصنيف على المسانيد وهو أنه يجمع في ترجمة كل صحابي (١) ما عنده من حديثه سواء كان صحيحاً أو غير صحيح ويحمله على حدة وإن اختلفت أنواعه ، وأهل هذه الطريقة منهم من رتب أسماء الصحابة على حروف المعجم كالطبراني في المعجم الكبير والفضلاء المقدسين في المختارة التي لم تكن وهذا أسهل تناولاً ، ومنهم من رتبها على القبائل فقدم بني هاشم ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله «ص» في النسب ، ومنهم من رتبها على السبق في الإسلام فقدم المشرك ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من أسلم يوم الفتح ثم أصاغر الصحابة سناً وختم بالنساء . وقد سلك ابن حبان في صحيحه =

= طريقة ثالثة : مرتبة على خمسة أقسام وهي الأواصر والدواهي والأخبار والأبحاث وأقوال النبي (ص) ونوع كل واحد من هذه الخمسة إلى أنواع ، والكشف في كتابه عسر جداً ، وقد رتب به بعض المتأخرين على الأبواب وعمل له الحافظ أبو الفضل الرازي أمراً (٢) وجرد الحافظ أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين في مجلد

ولهم في جمع الحديث طرق أخرى (منها) جمعه على حروف المعجم فيجعل مثلاً حديث «أنما الأعمال بالنيات» في حرف الالف وقد جرى على ذلك أبو منصور الديلمي في مستند الفردوس وابن طاهر في أحاديث كتاب الكامل لابن عدي (ومنها) جمعه على الأطراف وذلك بأن يذكر طرف الحديث ثم يجمع أسانيدَه أما مع عدم التقيد بكتب مخصوصة أو مع التقيد بها ، وذلك مثل ما فعل أبو العباس أحمد بن ثابت الرازي في أعاراف الكتب الخمسة

(١) صحابي من لقبه النبي (ص) مؤثراً به ومات على ذلك «٢٢» بيان من الأطراف
 (٢) المجلد ٢٢٢

ومن أعلى المراتب في تصنيف الحديث تصنيفه مطلاً بأن يجمع في كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه فإن معرفة الملل أجل أنواع علم الحديث وبها يظهر ارسال بعض ما عد متصلاً أو وقف ما ظن مرفوعاً وغير ذلك من الامور المهمة . والذين صنّفوا في الملل منهم من رتب كتابه على الابواب كابن أبي حاتم وهو أحسن لسهولة تقاوله، ومنهم من رتب كتابه على المساند كالحافظ الكبير يعقوب ابن شيبة البصري (١) فإنه ألف مسنداً مطلاً غير أنه لم يتم ولو تم لكان في نحو مائتي مجلد والذي تم منه مسند العشرة والعباس وابن مسعود وعتبة بن غزوان وبعض الموالى وعمار، ويقال ان مسند علي منه في خمس مجلدات ويقال انه كان في منزله أربعون لحافاً أعدّها لمن كان عنده من الوراقين الذين يبيضون المسند، ولزمه على ما خرج من المسند عشرة آلاف دينار (خمسة آلاف جنيه مصري تقريباً) قال بعض المشايخ انه لم يتم مسند معلل قط

هذا وقد جرت عادة أهل الحديث أن ينفردوا بالجمع والتأليف بعض الابواب والشيوخ والتراجم والطرق

أما الابواب فقد أفرد بعض الأئمة بعضها بالتصنيف كباب رفع اليدين في الصلاة أفرده البخاري بالتصنيف ، وباب القضاء باليمين مع الشاهد أفرده الدارقطني بالتصنيف وأما الشيوخ فقد جمع بعض العلماء حديث شيوخ مخصوصين كل واحد منهم على اتماده لجمع الاسماعيلي حديث الامم وجمع النسائي حديث الفضيل بن عياض . وأما التراجم فقد جمعا ما جاء بترجمة واحدة من الحديث كمالك عن نافع عن ابن عمر وكسيلة بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة

وأما الطرق فقد جمعا بعض طرق الأحاديث كحديث قبض العلم جمع طرقه الطوسي وحديث « من كذب على متعمداً » جمع طرقه الطبراني وغير ذلك

كتب تيسه في القرن الثالث

اشهر الكتب في القرن الثالث صحيح البخاري (١) وصحيح مسلم (٢) وسنن أبي داود (٣) وسنن النسائي (٤) وجامع الترمذي (٥) وسنن ابن ماجه (٦) ومسنند الامام أحمد بن حنبل (٧) والمستقني الاحكام لابن الجارود (٨) ثم مسند ابن ابي شيبة (٩) وكتاب محمد بن نصر المروزي «١٠» وصف سعيد بن منصور «١١» وكتاب تهذيب الآثار لمحمد بن جرير الطبري «١٢» وهو من عجائب كتبه ابتداء فيه بما رواه أبو بكر السدي وتكلم على كل حديث وعرفه وما فيه من الفقه واختلاف العلماء وحججه والامنة فتم مسند المشرقة وأهل البيت والموالي وقطعة من مسند ابن عباس، والمسند الكبير لبقية بن مخلد القرطبي «١٣» ربه نقل أسماء الصحابة روى فيه عن الف وثمانمائة صحابي ونيف ثم رتب حديث كل صاحب على ابواب الفقه فجاء كتابا حادلا مع تفه مؤلفه ونبطه واتقاه ومسند عبيد الله بن موسى «١٤» ومسند اسحاق بن راهويه «١٥» ومسند ابن حميد «١٦» ومسند الدارمي «١٧» ومسند أبي يعلى الموصلي «١٨» ومسند ابن أبي أسامة الحارث بن محمد الحرمي «١٩» ومسند ابن ابي عاصم أحمد بن عمرو الشيباني «٢٠» وفيه نحو خمسين ألف حديث ومسند ابن ابي عمرو ومحمد بن يحيى العدني (٢١) ومسند أبي هريرة لأبراهيم بن حرب المكي «٢٢» ومسند الامام علي لاهد بن شبيب النسائي «٢٣» ومسند المنبري إبراهيم بن اسماعيل الطوسي «٢٤» والمسند الكبير للبخاري ومسند مسدد بن مسرهد «٢٥» ومسند محمد بن مهدي «٢٦» ومسند الحميدي «٢٧» ومسند ابراهيم بن مفضل النسفي «٢٨» ومسند ابراهيم بن يوسف الهنجاوي «٢٩» ومسند مالك لاهد بن شبيب

[illegible]

النسائي «١» والمسند الكبير لأحمد بن بن سفيان «٢» والمسند الممل لابن بكر البزار «٣» ومسند ابن سنجر «٤» والمسند الكبير ليعقوب بن شيبه «٥» ولم يواف أحسن منه - لكنه لم يتم - ومسند علي بن المديني «٦» ومسند ابن أبي عذرة أحمد بن حازم «٧» ومسند عثمان بن أبي شيبة «٨» وكتب المسانيد كثيرة جداً وفيما ذكرنا كفاية وإن أردت زيادة فانظر كشف القامون تجد فيه بعض الحاجة

«تأنيه» كتب المسانيد دون كتب السنن في الرتبة إذ جرت عادة مصنفها أن يجمعوا في مسند كل صحابي ما يقع لهم من حديثه صحيحاً كان أو مستقيماً ولذلك لا يسوغ الاحتجاج بما يوردها مطلقاً واستثنى بعض المحدثين منها مسند الامام أحمد بن حنبل

كتب السنة في القرن الرابع

الحديث الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الحديث وحملته هو رأس سنة ثمانية وقد أبنا فيما سلف أن القرن الثالث أسعد القرون بخدمة السنة وتحسينها وتقدرواها وكل من أتى بعد ذلك فعالة على المتقدمين - الا قليلا - يجمع ما جمعوا ويعتمد في تقده على ما نقدوا لذلك كانت كتب السنة في القرن الثاني والثالث تمتاز في الأكثر بأولية الجمع فيها دون الاخذ عن غيرها وهذا مادعاني الى أن أفرد كتب السنة في القرن الرابع بالذكر دون أن ادمجها مع كتب السنة في القرن الثالث

أشهر الكتب في القرن الرابع المعاجم الثلاثة الكبير والصغير والوسط للامام سليمان بن أحمد الطبراني (٩) رتب في الكبير الصحابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين ألف حديث ورتب في الاوسط والاصغر شيوخه على الحروف أيضاً ولقد رتب الكبير الامام علاء الدين علي بن بلسان الفارسي (١٠) ترتيباً حسناً وسنن الدارقطني (١١) وصحيح أبي حاتم محمد بن حبان

(١) توفي سنة ٣٠٣ (٢) سنة ٣٠٣ (٣) سنة ٢٩٢ (٤) سنة ٢٥٨ (٥) سنة ٢٦٢ (٦) ٢٣٤

(٧) سنة ٢٧٦ (٨) سنة ٢٣٩ «٩» سنة ٣٦٠ «١٠» سنة ٢٢١ «١١» سنة ٣٨٦

(المنار : ج ٢) (١٣) (المجلد الحادي والمثرون)

الباقين (١) وصحيح أبي عوانة يعقوب بن اسحاق (٢) وصحيح ابن خزيمة بمحمد ابن اسحاق (٣) وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان البغدادي (٤) والمنتقى لقاسم بن أصبغ محدث الاندلس (٥) ومصنف الطحاوي (٦) ومسند ابن جميع بمحمد بن أحمد (٧) ومسند محمد بن اسحاق (٨) ومسند الطوارزمي «٩» ومسند أبي اسحق ابراهيم بن نصر الرازي «١٠»

وسنمقد لكل كتاب من كتب السنة الشهيرة في القرنين الثالث والرابع فصلاً يعرف به ويبين درجة أحاديثه ومآلقيه من عناية مبتدئين في ذلك بمسند الامام أحمد رضي الله عنه

مسند الامام أحمد بن حنبل

مسند الامام أحمد كتاب جليل من جملة أصول السنة يشتمل على أربعين ألف حديث تكرر منها عشرة آلاف ومن أحاديثه ما ينوف عن ثلثمائة حديث ثلاثية الاسناد (أي بين راويها والرسول ثلاثة رواة)

درجة حديثه - روى أبو موسى المديني عن الامام أحمد أنه سئل عن حديث فقال انظروه فان كان في المسند والا فليس بحجة. كان الامام يرى صحة كل ما ساقه في مسنده لكن عبارته ليست صريحة في أن كل ما فيه حجة انما هي صريحة في أن ما ليس فيه ليس بحجة لكن ثم أحاديث مخرجة في الصحيحين وليست فيه . والحق أن الكتاب فيه كثير من الاحاديث الضعيفة بل ذكر ابن الجوزي في موضوعاته خمسة عشر حديثاً من المسند لاحت له فيها سمة الوضع وذكر الحافظ العراقي تسعة . لكن أجاب عن هذه الاحاديث الحافظ ابن حجر في كتابه (القول المسدد في الذب عن المسند) وقال في كتابه تمجيد المنفعة برجال الاربعة ليس في المسند حديث لأصل له الا ثلاثة أحاديث او أربعة منها حديث عبد الرحمن بن عوف أنه يدخل الجنة زحفاً قال ويمتدح عنه لانه تماماً ضرب عليه فترك سهواً أو ضرب عليه وكتب من تحت الضرب . ويمجيني ما قاله العلامة

(١) توفي سنة ٣٥٤ (٢) سنة ٣١٦ (٣) سنة ٣١١ (٤) سنة ٣٥٣ (٥) سنة

٣٤٠ «٦» سنة ٣٢١ «٧» سنة ٤٠٢ «٨» سنة ٣١٣ «٩» سنة ٤٢٥

من موضوع كتابه لانه قد سما الاستثناس والاستشهاد بحسب. ولذلك نأير في سياقها المختار

وقد اتفق عليه الحفاظ عشرة أحاديث ومائة منها ما وافقه مسلم على تحريجه وهو ٣٢ حديثاً ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ٧٨ حديثاً قال الحفاظ ابن حجر في مقدمة شرحه (فتح الباري. على صحيح البخاري): وليست عليها كلها قاعدة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والتفدح فيه مبدوع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تصدق، وقد أوضح ذلك الحفاظ مفصلاً في المقدمة. وقد ضعف الحفاظ من رجال الجامع للبخاري نحو الثمانين ولكن أكثرهم من شيوخته الذين لقبهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز صحيحها من ضعيفها فهو أعلم وأعرف ولهم أخير. وقد روى عن البخاري جامة الصحيح نحو من مائة ألف منهم كثير من أئمة الحديث كسم وأبي زرعة والترمذي وابن خزيمة

شروحه - لم يمتنع علماء المسلمين بشيء بعد الكتاب العزيز عنيتهم بالجامع الصحيح للإمام البخاري فأكثر شارحيه والكاثرين في رجاله والمؤلفين في أغراضه والمختصرين لكتابه وقد عد الفاضل ملا كاتب جلبي في كتابه كشف الظنون، أئمة ثلثين. وثمانين شرحاً للبخاري دمجها إراغ الجهابذة من السلف والأذكياء من الخلف ما بين كامل وناقص، بيد أن منهم من مال إلى الإجمال كالآلام الخطابي (١) فإنه عمل شرحاً سماه (أعلام السنن) في مجلد واحد ومنهم من آثر التلويح فلم يفاد صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بسنده أو متنه إلا كتب على كلاً ما محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي (٢) فإنه شرحه شرحاً وافياً سماه «مع الباري بالسيل النسيم البخاري» كل ربع المبادئ منه في عشر مجلدات أتى فيه بما لم يسبق إليه. ومنهم من سلك سبيل التوسط مقتصرين على ما لا منه في فهم الأحاديث مع تفهيد أو ابده وتذليل شوارده

وهؤلاء على اختلاف مشاربهم وتباين مسالكهم قد فاقوا ما سلكه الكثرة أن المحسنين من الشراح احساناً أربعة نفر

١ الإمام بدر الدين محمد بن سيارد الزركشي (٣) في (شرح التلخيص)
والعلامة بدر الدين محمود بن أحمد البغلي (٤) في (شرح محمد البخاري)

١ «توفي سنة ٣٠٨ هـ» ٢ «سنة ٨١٧ هـ» ٣ «سنة ٧٩٤ هـ» ٤ «سنة ٨٥٥ هـ»

والحافظ جلال الدين السيوطي «١» في شرحه (التوضيح)

وشيخ الاسلام أحمد بن علي بن حجر المصنف «٢» في شرحه (فتح الباري) ولم يصرح أنه لا مير أولئك المحققين فإن شرحه لا يداينيه شرح ولا يخطئه بحمالة وصف، ولو لم يكن له إلا مقدمته لسكانت كافية في الإشادة بذكره والابانة عن جلالة قدره. ولما طلب من مجتهد اليمن العلامة الشوكاني أن يشرح الجامع الصحيح للبخاري قال : لا هجرة بعد الفتح . وقد بدأ تأليف شرحه الفتح مفتتح سنة ٨١٧ بعد أن أكل مقدمته في سنة ٨١٣ وانهى منه في غرة رجب سنة ٨٤٢ وقد أولم عند ختمه وليلة غليظة لم يتخلف عنها من وجوه المسلمين إلا السير اتفق عليها نحو خمسمائة دينار «مائتين وخمسين جنيها مصريا» وقد لقي ما يستحق من الحظوة في عصر مؤلفه حتى طلبه ملوك الأطراف بالاستكتاب واشترى بنحو ثلثمائة دينار «مائة وخمسين جنيها مصريا» وانتشر في الآفاق حتى غطت شهرته سائر الشروح وهو يقع في ثلاثة عشر مجلدا ومقدمته في مجلد ضخيم «وقد طبع بكل من مصر والهند مرتين»

مختصرات الجامع — له مختصرات كثيرة من أشهرها مختصر الإمام جمال الدين أحمد بن عمر الأنصاري القربلي «٣» ومختصر بدر الدين حسن بن عمر الحلبي «٤» المسمى (ارشاد الساري والقاري) ومختصر الحسين بن المبارك الزبيدي «٥» جرد فيه حديثه من أسانيده وسماه (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) وقد شرحه شرحا وافيا حسن صديق خان ملك بهو بال بالهند وكذلك شرحه الشيخ عبدالله الشرفاوي

كتب رجاله — منها (أسماء رجال البخاري) للشيخ الإمام أحمد بن محمد الكلاباذي «٦» وكتاب (التعديل والتجريح) لرجاله لابن لوليد سليمان بن خلف الباجي «٧» و(الافهام بما وقع في البخاري من الإبهام) «٨» لجلال الدين بن عمر الباقيني «٨»

«١» سنة ٩١١ «٢» سنة ٨٥٢ ٣ توفي سنة ٦٥٦ ٤ سنة ٧٨٩ ٥ سنة

٨٩٣ «٦» سنة ٣٩٨ «٧» سنة ٤٧٤ «٨» إبهام الراوي أن لا يذكر اسمه ولا

يقبل حديث المبهم ولو الإبهام يلفظ التعديل على الاصح (٨) سنة ٥٢٤ .

الجامع الصحيح للإمام المافظ مسلم بن الحجاج

هو ثاني الكتب الستة وأحد الصحيحين المشهود لهما بملو الرتبة وقد ذكر النووي في أول شرحه له أن الحسين بن علي النيسابوري قال: ماتحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم ووافقه على ذلك بعض شيوخ المغرب، ولكن الذي لا ينبغي الاضرار فيه رجحان صحيح البخاري عليه لأن الصفات التي تدور عليها الصحة في كتاب البخاري أم منها في كتاب مسلم أما من حيث الاتصال فلا شراط البخاري أن يكون الراوي ثبت له لقاء المروي عنه ولو مرة واكتفى مسلم بملق الماصرة وما أُلزم به مسلم البخاري من أنه يحتاج إلى أن لا يقبل الممنعة (١) أصلا ليس بل لازم لأن الراوي إذا ثبت له لقاء من روى عنه مرة لا يجري في روايته احتمال أن لا يكون سمع منه لأنه يلزم من جريانه أن يكون مدلسا والمسألة مفروضة في غير المدلس. وأما من حيث المدالة والضبط فلأن من تكلم فيهم من رجال مسلم ستون ومائة ومن تكلم فيهم من رجال البخاري ثمانون، مع أن الثاني لم يكن من إخراج حديثهم وأغلبهم من شيوخه الذين أخذ عنهم ومارس حديثهم وأما من جهة عدم الشذوذ والاعلال (٢) فلأن ما انتقد على البخاري من الأحاديث مما لم يشاركه فيها مسلم ثمانية وسبعون حديثا وما انتقد على مسلم كذلك ثلاثون ومائة أضف إلى هذا ما في البخاري من الاستنباطات الفقهية والدقائق الحكيمة مما عري منه كتاب مسلم، هذا إلى اتفاق العلماء على أن البخاري كان أجل من مسلم في المعلوم وأعرف بصناعة الحديث مه وإن مسلما تلميذه وخريججه ولم يزل يستفيد منه ويتبع آثاره حتى قال الدارقطني: لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء. لكن الانصاف يدفعنا إلى الاعتراف لمسلم بتلك الميزة الجليلة والبريقة الحكيمة ونفي بها سهولة التناول من كتابه إذ جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به جمع فيه طرقه التي ارتضاها وأورد فيه أسانيد المتعددة والمناهل المختلفة مما يسهل على الطالب النظر في وجوهه واتفاقاته وحواله الثقة بجميع الطرق التي لا حديث

١ الممنعة أن يكون في السند لفظه عن كمن فلان عن فلان ٢ الشذوذ مخالفة النسخ من هو أم صحيح منه والاعلال وجود علة خفية فادحة في السند أو الحديث

ولم يحم حول ذلك البخاري بل فرق طرق الحديث في الابواب المختلفة
وقد روى عن مسلم ان كتابه أربعة آلاف حديث دون المكرر وبالمكرر
٢٢٧٥ حديثاً

شروحه - شرح صحيح مسلم كثير من العلماء ذكر منها صاحب كشف القانون
نحو خمسة عشر شراح من اشهرها المنهاج للحافظ الامام أبي زكريا يحيى بن شرف
النووي الشافعي «١» وشرح أبي الفرج عيسى بن مسعود الزواوي «٢» وهو شرح
كبير في خمس مجلدات جمع عدة شروح سبقته، واكمال المعلم للامام أبي عبد الله محمد
بن خليفة الابن المالكي «٣» في أربع مجلدات ضمنه شرح المازري وعياض
والقرطبي والنووي مع بعض الزيادات، والابتهاج للشيخ أحمد بن محمد الخطيب
القسطلاني الشافعي «٤» بلغ الى نحو نصفه في ثمانية أجزاء كبار، وشرح الشيخ
علي القاري الهروي زيل مكة المكرمة «٥» في أربع مجلدات

مختصراته - من أشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشرحه لاجد بن عمر
القرطبي «٦» ومختصر الامام زكي الدين عبد العظيم المنذري «٧» ومختصر
زوائد مسلم على البخاري لسراج الدين عمر بن علي ابن الملحق الشافعي «٨» وهو
كبير في أربع مجلدات والابن بكر أحمد بن علي الاصبهاني «٩» كتاب في أسماء
رجال مسلم

تصحیح غلط فی الجزء الاول

سقط من السطر ١٩ من ٧ من الجزء الاول جملة والصواب هكذا
(فأهلكك تمام بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) على ان
الاقتباس لا يشترط فيه ايراد الآيات تمامها ولا الترتيب بينها . وفي تلك الناحية
آيات متصلة من مواضع مختلفة، وفيه عطف على محذوف يدرك بالتربينة ووضع
لبعض علامات الوقف في غير موضعها سهوا

«١» توفي سنة ٦٧٦ «٢» سنة ٧٤٤ «٣» سنة ٨٢٧ «٤» سنة ٩٢٣
«٥» سنة ١٠١٩ «٦» سنة ٦٥٩ «٧» سنة ٦٥٣ «٨» سنة ٨٠٤ «٩» سنة ٢٧٩

فَتَاوَى الْمَنَارِ

فتحت هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة اذ لا يبع الناس عادة، ونشتره على السائل أن يبين اسمه وكنبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز له اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء. واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك مثل هذا، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الاقتداء في الصلاة بمنخذي الشفاء والشفاء عند الله ﴾

(وما يتبع ذلك في حيفة الاسلام والارتداد عنه)

(س٢) جاءنا هذا السؤال من جماعة الموحدين في (دمياط) ومعه عنوان واحد منهم لجيبه فرأينا أنه يجب نشره والجواب عنه في المنار وهو:

حضرة صاحب الفصيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد رشيد رضا صاحب ادارة المنار العامرة

نحية اخلاص تودوها اليكم روح الاسلام وبعد فلما كانت ثقتنا لاتنحصر بشهر عالميتكم لسمعة اطلاعها بنور الاله الواحد الهادي الى الصراط المستقيم سبها في معضلات الامور التي يتوقف صلاح الدين عليها. رجوناكم للسؤال الآتي وهو: هل تصح الصلاة خلف منخذي الشفاء والوصائط من مسلمي هذا الزمان أم لا تصح (وفي الحتام ناهج جميعاً بتكرار الرجاء ونردده باسم الدين الاسلامي الحنيف ان لا يرض الاستاذ الامام على طائفة تغلب وجهها في السماء لها بالجواب علي هذا السؤال واقبال. هذا وان لم يكن الاستاذ لأمام نشر الجواب في المجلة الطائر ذكرها بين أقطار المشارق والمغرب فيها واحداً والا فربما نرى أن لا نعلم من الرد بالعنوان عليه ولكم من الله تعالى الشكر والاجر ان شاء الله والسلام

الموحدون بدمياط

(ج) الظاهر أن السائلين يمتنعون بتخذي الشفاعة والوسطاء عند الله من يصدق عليهم قوله تعالى في مشركي العرب (ويهدون من دون ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وانهم يرتابون في الاندلاء بهم في الصلاة مع هذا الشرك الصريح لانهم يأتونه عن جهول ويحسبون أنه طاعة لله وعمل بدينه وهم ومثنون اجمالا بالله وبأن كل ما جاء به عنه خاتم رساله محمد صلى الله عليه وسلم فهو حق. وبإيمانهم بذلك ايمان اذعان لانهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان وبحجوج بيت الله من استطاع منهم اليه سبيلا. فوضع الاشكال على هذا ما يصد عنهم من العبادة الشريكة لعير الله تعالى كدعاء الموتى من الصالحين والتمسح بقبورهم والطواف بها ويحضر النباتات والجماد لشفاء الامراض وتفرج الكروب وتوسيع الرزق وغير ذلك من الاعمال والاعتقادات المنافية للتوحيد الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ان لا يعبد الله وان يخلص له الدين وحده فلا يدعى معه احد — هل هي من أعمال الشرك المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة فلا يعذر الجاهل بها كما يقول المتكلمون والفقهاء أم هي مما يخفي على غير العلماء الاعلام والعارفين بحقيقة ما كان عليه الصدر الاول من قواعد الاسلام ، فيعد الجاهل بها والمتأول فيها معذورا واسلامه وما يترتب عليه من الاعمال صحيحا ؟ ثم اذا كان أس الدين بما يعذر جاهله وهو توحيد العبادة واخلصها لله تعالى بالتوجه اليه فيها وحده ولا سيما الدعاء الذي هو مخها وليا بها فاي قاعدة من قواعد أو ركن من أركانه المبنية على هذا الاس لا يعذر الجاهل بها أو التأول لها ؟ واين اجماع الامة على أن التوحيد الخالص شرط لصحة الصلاة والصيام وسائر العبادات لا يتدبش منها بدونه مع سائر اصول الايمان القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ؟

انا نعلم بالاختبار الدقيق ان كثيرا ممن يدعون فخر الله تعالى يجهلون كثيرا من هذه الاصول الاعتقادية والعملية وأن منهم من التاركين لاركان الاسلام كلها أو بعضها والمتركبين لكثير الاثم والفواحش المصيرين عليها بدون مبالاة بأمر ولا نهي ، ولا انتفاع بذكرى ولا زجر ، ومنهم من اعتاد بعض الاعمال الدينية المشروعة (المنار : ج ٢) (١٤) (المجلد الحادي والعشرون)

والمبتدعة اعتقاداً ولكنه لا يعرف المشوع والخوف والرجاء الا عند تلك القبور وذكر أصحابه أو نحوها بما يظلمون بمظلمة عبادته وتدين وان لم يسموه كله أو بعضه عبادة ومن هؤلاء أولئك الذين يدعون هؤلاء المولى خاشعين معتقدين أنهم يقضون حوائجهم بأنفسهم ولا يخطر في بالهم غير ذلك، ومنهم من يسمى دهااة توسلاً واستشفاعاً ولا سيما إذا أنكر عليه. وهذا عين ما حكاه القرآن عن مشركي العرب ولم يعتد بآياتهم حتى يتركوه وقال فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ومن هؤلاء الذين يمدون هذا تأيلاً للذين آمنوا والذين هم كافرين بالآيات المتأمنون من المعاصي وقوم وقم الاشكال فيما يظهر لان تكفير المؤمن المتأول المعين فيه خطر عظيم ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك أكثر أهله علم الدين على الوجه الذي كان مروجاً عند سلف الامة أهل الحق .

وانما نهد للجواب التفصيلي الشافي تمهيداً نراه ضرورياً فنقول
 (١) ان قواعد العقائد وأصول الايمان واحكام الاسلام والردة المجمع عليها والمسائل الاعتقادية والفروعية المختلف فيها كلها مقررة في الكتب وان كل مسلم مكلف أن يعرف الفرائض العينية منها وان يبذل جهده فيما في تطبيق الوقائع والنوازل التي تعرض له على ما عرف ، ومن ذلك الجهد سؤال العارفين واستفتاء المتقين فيما يشكل عليه من ذلك الي أن يهتدي الى الحكم المنطبق على الواقعة — فهذا اجتهاد عملي بطالب به الموام كالعلماء كالاتحاد في القبلة في حالة البعد عن الكعبة المشرفة وعدم المحارب المتواترة . وان لاحوال الزمان والمكان تأثيراً عظيماً في هذا الاجتهاد العملي من مظاهره انك ترى الناس يستنكرون البدع عند ظهورها أشد الاستنكار ودر بما الغوا في ذلك فعملوا المباح محظوراً كالبدع في العادات والمأثور والازياء وكما كتب بعض المشتغلين بالعلم رسائل وكتباً في تحريم بعض هذه المستحدثات في أول العهد بظهورها كالأخذية الشائنة التي تسمى في مصر بالجزم (جمع جزمه) وفي الشام بالكنادر والاساتيك ومنها ما يسميه الفريقان (البوتين) واذا شاعت المنكرات الدينية وعت تبصر عند الجمهور كالمباحات بل يجهلون بعضها في عداد السنونات والشعائر الدينية ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في أكثر البلاد

التي يقطنها المسلمون بل صار كثير من المحظورات المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة من المباحات في حكم القانون المتيقن كالزنا وشرب الخمر. فمن يعيش في أمثال هذه البلاد لا يكون نظره في تطبيق الأعمال على اقواعد الاحكام الشرعية كمن يعيش في بلاد نجد التي لا يكاد يرى فيها شيئاً من أمثال هذه التكرات ذسبا مألوفا ولا يسمع فيها بحكم من حاكم غير مستند الى نص من كتب الفقه المعتبرة، لذلك ينقل هن بعض عوامهم تكفير مرتكب بعض المعاصي ولو غير قطعية وفي مهر لا يكفر التارك لجميع أركان الاسلام والمستبيح لا كبير الفواحش بالاصرار على المجاهرة بها بلا مبالاة (٢) قد اختلف مصنفو الكتب الكلامية والفقهية اختلافا واسم النطاق في مسائل

الكفر والردة من حيث الأدلة ومن حيث تطبيقها على الاعمال والناس وتباهيك بتشديد من ناطقوا هذه المسائل بالاقوازم القرية والبعيدة للاحكام القطعية أو الظنية القوية كمن كفروا من حقها أو قل أو فعل ما يتنافى احترام كتاب شرعي أو فتوى شرعية بالالقاء على الارض أو القول بطلان الفتوى أو عدم قبولها إذا عدوا ان اهانة الفقه أو فنواه أو الكتاب تستلزم اهانة الشرع وان عدم الاحكام والاحترام للفتوى يستلزم رفض الشرع والدين، وقد يدون من الاهانة وعدم الاحترام ما ليس منه في الواقع أو في حرف الفاعل وقصده. ويوجد في هذه الكتب ولا سيما تصانيف المتأخرين منها من الاقوال المالا يمكن اثباته شرعا وفي بعضها تأييد للبدع المخلة بأصول الدين وفروعه

(٣) قد وقع من جراء ما ذكرناه ونشكوه منه في هذه البلاد من الفوضى في العلوم الدينية وفي تطبيقها على الاعمال المجرمة لاجل المتدين الى طريق المتصوفة الفارقين في البدع على كتابة رد على فتوى لشيخ الازهر ورئيس المهاد الدينية بالباطل حاول فيه جعل البدعة التي انكرها الشيخ بالدليل دينامتها وعبادة مشروعة واستدل على ذلك بأحاديث لا تدل عليه ولا هي بصحيفة فيستدل بها على فرض دلالتها على ما ذكر - ونشر رد الباطل في صحيفة يومية مشهورة قرأها ألوف من الناس وسكت علماء الازهر على ذلك الى ان انكره على المتصوفي بعض أهل الفيرة من الاسكندرية كما علم ذلك من جزء المنار الماسخي ذلك بأن شيخ الازهر - وان كان رئيس علماء الدين في لاهر وساء - معاهد التطبيق الديني في هذا القطر - ليس له رئاسة دينية مطاعة عند المسلمين فيها أمر به أو ينهي

عنه أو يفي به وإن وافق الحق لا شرعاً ولا قانوناً ولا مواضعة عرفية وليس من أعمال مشيئة الأزهر نشر الدين بتلقين عقائده وآدابه وأحكامه لما ملة المسلمين المكلفين بطريفة منتظمة فيكون من أثر ذلك أن السواد الأعظم قد تاقى دينه عن مصدر واحد وموثوق به بحيث يجزم بأن كل ما كان معلوماً من الدين بالضرورة في صدر الإسلام وسائر القرون التي جزم فيها علماء الأصول والفروع بأن من جحد شيئاً مجمماً عليه من هذه المعلومات يكون كافراً . بل نعلم بالاختيار أن السواد الأعظم من المسلمين في هذه البلاد أميون وأن المسلمين في غير المماهد الهندية من الأهالي أكثر من التسلمين فيها ، فأما الأميون فأكثروهم لم ينلق عقيدته من عالم ولا متعلم بل يسمع بعضهم من بعض أقوالاً وأمثالاً وحكايات بعضها من عقائد الإيمان وبعضها من أضاليل أهل الكفر وخرافات أهل الشرك ، وأما المتعلمون في المدارس الدنيوية فكثرت منهم تعلموا في مدارس دعاة النصرانية التي انشأت لتحويلهم عن دينهم ، ومنهم من تعلموا في مدارس الحكومة وغيرها في أروبة . وجميع المدارس الدنيوية يبيت فيها من التعاليم ما ينافي في الدين أو يرقم الرب في بعض عقائده ولا يكاد يوجد فيها مدرسة بمن الم فيها أصول دينه على الوجه الحق المؤيد بالدلائل التي تدحض الشبهات الواردة عليه من العلوم الأخرى . وأما المتعلمون في الأزهر وما يتبعه من المماهد فكثروهم يمي من بلاد الأرباب ومزارعها متبعين بما عليه السوام من الخرافات والادغام قنم عليه السيئ وهو يعالج بالأيدي النجس والمقته التي لا تفرغ من نفسه شيئاً من الخرافات والبدع التي عرفها ألقهاهم بمحض دروس العقائد المرووفة في هذه المماهد وهي مختصرات أو مخلصات من كتب جدلية جافة فيما يجب اعتقاده في الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر تحرك الشبهات ولا تكاد تزيد مدارسها إيماناً ولا عملاً صالحاً ولا تمييزاً للبدع من السنن ولا ترغياً في طلب رضا وإن الله وترهيا من عقابه ، وقد يوجد في بعضها مدح لاتباع السنة وسيرة السلف وذم لما ابتدع بهم كقول المجرورة

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

ولكن لم يذكر في شروحيهم وحواشيهم عليها خلاصة ما حوت دواوين السنة من أحاديث الاعتصام وآثار الصحابة فيه ولا ما ورد عن السلف من اجتناب البدع

والزجر عنها ، بل لا تخلو أمثال هذه الشروح والمواثي بما يخالف السنن ويؤيد البدعة وأهلها عن قرب أو بعد كاحتجاج الراد على فتوى شيخ الأزهر في هذه الأيام بما في بعضها من قولهم إن الله من أسماء الله تعالى كما يوجد ذلك في بعض كتب الفقه والفتاوي أيضا ، ومنه قول بعضهم باستحباب وضع السنن على قبور الصالحين قياسا على صفة الكعبة والقائل بهذا ليس من أهل القياس الأصولي الاجتهادي الآن يكون القياس الشيطاني القبيح يهدم نصوص الكتاب والسنة ، ويؤدي بانقاضها صروح البدعة ، فقد صحت الأحاديث بمحظر تشريف القبور وبناء المساجد عليها ووضع السرج والمصابيح عليها ولعن الذين إذا مات الرجل الصالح فيهم اتخذوا على قبره مسجداً ، ومقتضي هذا القياس أن هذا مشروع محبوب عند الله ورسوله (ص) وتقتضي هذه الفتوى أيضا أن الطواف بثلث القبور وتقبيلها مشروع ، وكل ذلك من عبادة قبر الله تعالى وهل كان الشرك الذي يمت جميع الرسل لهدمه إلا عبادة غير الله تعالى من الملائكة والأنبياء والصالحين بدعائهم والفلو في تعظيمهم عالم بأذن به الله وتعظيم ما وضع للذكور بهم من صور ومماثل وقبور ؟

(٤) لقد كان مثار كل هذه الفوضى والفضلالات ماتبع التقليد والتذهب من جمل جاهل الناس كل ، أدون في دة ديننا بقم ولا سيما بعد موت مؤلفه وعند أهل مذهبه أو أهل طريقته إذا كان منتبها الى بعض طرق المتصوفة . التقليد نفسه يختلف فيه عند الأصوليين وأهل النظر والاستدلال والتشديد في منعه في الامور الاعتقادية عظيم جدا حتى قال من قال انه لا يعتد بإيمان المقلد وان وافق الحق وقد ذكر ذلك صاحب الجوهرة في أول عقيدته بقوله

اذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يحل من تردد
ففيه بعض القوم بمكي الخلفا وبعضهم حقق فيه الكشف
فقال أن يجوز بقول الغير كفى والا لم يزل في الضمير

وناهيك بحال المختلف في إيمانه والمباذ بالله تعالى . والتقليد الذي اجازته من اجازته منهم وأوجه صاحب الجوهرة هذا قسرا اياه على الآلة الاربعة المشهورين في الفقه رابي القاسم الجديد من الصوفية — اقتبانا منه على الشرع — وهو التقليد في فروع الاعمال ، انما

كانوا يمتنون به تقايد العاجز من معرفة الحكم المجتهد الموثوق به عنده أخذه عنه الحكم بدون دليل، وليس منه في شيء أن يجعل من الدين كل ما ذكر في كتاب ولو لجاهل ليس من أهل الاجتهاد المطلق ولا مادونه كالكثرة هؤلاء المتأخرين الذين لم يعنوا قط بالنظر في أدلة الاحكام وإنما تأكيدهم عبارة عن نقل كل مؤلف منهم لكلام من قبله مع تصرف يفسد النقل في بعض الاحيان، وأكثر نقل المتأخرين عن قريبي الهدى ولا يكاد احد منهم وينظر في كلام المجتهدين ولا كلام أهل النخريج والاجتهاد في مذاهبيهم، بل جعلوا الفقهاء طبقات أوصلها بعضهم الى ست ويقول مثل ابن عابدين الشير انه من السادسة وأملوا المسمى النقل يعني عن قبلهم لا من الكتاب والسنة، ولا من نصوص الأئمة، وهذه الطبقات حجب دون الكتاب والسنة كل طبقة تحجب مادونها عما فوقها، فالحجب بين الطبقة السادسة وبين النور المنزل من عند الله ليس نهضي به البشير خمسة هي سادستهم، وقد ضرب الامام الغزالي مثلا جيل اضواء الشمس يدخل من نافذة يقع على مرآة وينعكس عنها على جدار مقابل لها ثم ينعكس عنه الى جدار ثان مقابل له ثم ينعكس عنه الى جدار ثالث في حجرة أخرى مظلمة من بابها ثم ينعكس ما يقع على هذا الجدار المقابل للباب الى جدار رابع في حجرتة مقابل له - فالنور الذي يقع على المرآة مثل لصوص الكتاب والسنة عند المجتهدين بهم من الأئمة المجتهدين وغيرهم من السلف لان الله تعالى شرع دينه وجعل كتابه تنبيها عاما لا خاصا بالأئمة وإنما الأئمة أقوى قوما وأوسع علما وأهدى سبيلا في الاهتداء به وتعليقه للناس - والوراء ينعكس عن المرآة على الجدار الاول مثل العلم الذي ينتقله الناس عن الأئمة ثم ينعكس على الجدار الثاني ثم ينعكس على الجدار الثالث وما يستلطف منها من غير ما في كتاب الله تعالى، والى الجدار الرابع ينعكس ما ينعكس عن هذا النور الى الجدار الثاني، وما في بعض الطبقات من بعض ولا تنس بها الاشياء بجلاء تعرف بحقيقةها ووضعتها لا يذهب على كثير من النسخ والابقى فيها الاشياء (بأنها) من قد جاءكم من ركبكم وأولئك يقولون آمنا به قبل الذين آمنوا بالله وأعرضوا في الحديث في بعض النسخ والابقى فيها (ج) يشبهه على أكثر من وجه من وجه العلم بالدين من جهة الله من جهة

الاعمى الذي ترتب عليه ما أشرنا اليه من الفوضى الدينية وقد قلب بعض المتقلدين الرضخ وعكس القضية فجعلوا أقوى حججهم على وجوب التقليد وكونه مصلحة واجبة زعمهم أنه يدفع مقسدة الفوضى في الدين بأدعاء الكثيرين للاجتهاد وأتباع الناس لهم وهم غير أهل لذلك فيكونون ضالين مضلين فاقفال باب الاجتهاد قد درأ هذه المفسدة وقد من ليس أهلا للاجتهاد بإتباع أئمة معدودين قد ثبت اجتهادهم ونقلت مذاهبهم بالتواتر

والحق ان هذه المفسدة التي ذكروها واقعة لا ريب فيها وإنما كان سببها ماسمونه اقفال باب الاجتهاد أي اقفال باب الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ورد كل اختلاف ونزاع اليهما كأمر الله تعالى. وهذا الاهتداء ليس بمناء ان يكون كل مهتد بهما إماما أهلا لاستنباط أي حكم شرعي احتيج اليه منهما فعوام السلف الصالح لم يكونوا أئمة ولا كان الجماعات ولا الأفراد منهم يلتزمون تقليد فرد معين من علمائهم، وإنما كانوا كلهم عالمين بالضرورة من الدين ومتفادين في علم غيره ومن احتاج منهم الى علم فمالا بعلمه في نازلة وقمت له سأل عنها من يثق بعلمه ودينه من أهل العلم أي سأل عن حكم الله تعالى في كتابه وسنة رسوله (ص) وكان أولئك العلماء الذين هم أهل العلم بالقرآن والسنة يفتونهم بالتصوص ان وجدت والافيا يستنبطون منها

وأما عوام الخلف الذين حبل بينهم وبين هداية كتاب ربهم وما بينه من سنة نبينهم عليه الصلاة والسلام بنسبها اجتهادا يهجز عنه البشر فهم في فوضى دينية من هذا التقليد الاعمى الذي هو عبارة عن الاخذ بقول كل من يتسمي الى العلم أو يدهي والى العمل بكل قول يوجد في كتاب مخطوط أو مطبوع ولا ضئلا تكتب المنسوين الى مذاهبهم في الفتة أو الالكلام أو التصوف وناهيك بكتب المشهورين منهم مهما يكن سبب شهرتهم، ومن اختبر المسلمين في لاقطار المختلفة اختبارا صحيحا يجد انه يقل في طلاب العلوم الدينية فيهم من يعرف سيرة الامام الذي ينتمي اليه في علمه ودينه وأصول مذهبه ونصوصه في الفروع، وإنما حظهم من المذهب قراءة بعض الكتب التي ألفها بعض المتقلدين المتهمين اليه على تفاوت عظيم في فهمها وعلى ما في الكثير منها من الخطأ والغلط كما أشرنا اليه آنفا، وباليتمهم مع هذا يعرفون ما في الكتب

المعتدلة في مذاهبهم ويمسكون بما صح نقله عن المجتهدين أو من على مقربة منهم ! كلا
ان أكثر العوام يقلد بعضهم بعضاً في الدين وآدابه وعباداته فعلاً وتركاً كما علمت ولا
يوجد واحد في المئة ولا في الألف منهم تلقى دينه عن أحد من المتبحرين فاعلم الدني على
ما وصفنا من سوء حالهم ومن جهل أكثرهم بنصوص الاثمة المجتهدين - كجهلهم بالكتاب
والسنة ولو كانوا متبحرين لاولئك الاثمة الكرام لجمعوا أكبر همهم تذكير الناس وتعليمهم
بالكتاب والسنة وارجاع كل أمر اليها وبذلك وحده ترتفع الفوضى الدينية أو تنزل
وغرب البدع أو تضيء. وأقوال المؤلفين المنسوبين الى المذاهب ليس لها من الآثار
على القلوب والافئدة في المقول مثل ما لكلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وكلامهم
متمارض لكثرةهم فإذا حاججت أمراً بقول مؤلف منهم حاجتك بقول آخر يخالفه كما
يحتاج بعض المنسوبين الى الطريقة الشاذلية شيخ الجامع الأزهر بقول كاذبة خاطئة
وجدها في بعض كتبهم فيما ابتدئوه من التعبد بما يسمونه اسم الصلوات وهو الخراجهم
من صدورهم صوتاً مشتبهاً على الخرفين الذين يخرجهما أقصى الحقائق (أه)

بل أقول ان نقال باب الاهتداء بالكتاب والسنة وتذكير الناس بها قد فتح
أبواب الزندقة والمروق من الدين لا باب الفوضى في الدين أو الفسوق فقط ، وأوسع هذه
الابواب اثان الشبهات المادية وتباعد بعض الدجالين المنتهين الى التصوف المدعين أنهم
عرفوا الحقيقة أو اتبعوا من عرفها بالكشف ونهايك بطائفة البكتاشية والمذاهب الباطنية
من أهل هذا الزمان كسلفهم الباطنية من الامم اعلمية وغيرهم . كل هذه الدواهي الطامة
جاءت من ابتداء تلقي الدين عن من ينسب الى المذاهب المعروفة والاحد بما يقوله
أو يكتبه كل منهم أو يوجد في كتبهم من غير ان يكون تلقيناً للكتاب والسنة وتقديراً
لما يحتاج الى التفصيل من جملة هذا التلقين هو الاصل وما قد يحتاج اليه من فتوى
اجتهادية في نازلة جزئية فرعاً لا بدعي اليه ولا يحمل سنة متبعة وشريعة ثابتة ولا
يحمل من خفاه الى غيره مبتدعاً ولا فاسقاً ولو فعلوا هذا واستمعوا عليه بما ذله
أهل العلم بالفساد والحديث لم قطعت الصلة بين الامة وبين النور الذي أرسله الله
اليها ولا تقل بذلك باب الفوضى التي هي الاخذ بكلام كل من يعد من المعتمدين
والمؤلفين . مهما تكن أقوالهم ومصادرها ، وليس هذا هو الاجتهاد المطلق الذي أفتوا به

(٧) ان هذا الدين - ون كان أصله كتاب الله تعالى وما بينه به رسوله في أمته وأقواله وأحكامه - يتوقف فهم الخلف أياه على معرفة سيرة السلف الصالح من جمهور الصحابة والتابعين وحفظ السنة ونقل الأماصير في القرون الثلاثة التي هي خير قرون ، ذلك بأن نصوص القرآن ولا حديث تحمل المعاني المختلفة بضروب المجازات والكذبات فيعرض الناس فيها من التأويل ما ليس مراداً للشارع ، وإنما كان الصحابة أعلم الناس بهذا الدين لأنهم أعلم بأمة القرآن والحديث التي هي حليقة لهم ، ولما هدتهم أعمال الرسول (ص) ودوقومهم على أحكامه في بيانه . ولذلك قل علي كرم الله وجهه لا ين شئ من (رض) . من أرسله الحاجة الطوارج : أحلهم على السنة فان أمرت ذو وجوه . والمراد من السنة منها ما هو الفروي أي سيرة الرسول (ص) وطريقته النجيدة من عهده فانهم اعلم لا يجهلون التأويل كالمجتهل كلاً ، وكلام الله تعالى وسائر الكلام وقد انتهى بعض الطوارج بعضاً عن بحاجة ابن عباس بالقرآن بحجة أنهم من قرش الذين قال الله تعالى فيهم (بل هم قوم خصمون) يريدون أنه لا يفتل في الحاجة والخاصة لانه الحق بالحجة وأبرع في مجال الغلب في المصومة ، لا انه صاحب الحق بما يثبت به من البرهان ، على ان تقوم كانوا مستبدلين ، وفيما أخطأوا فيه متأولين ، وما قالوه هو تكأة المقلدين ، الذين يعذرون أنفسهم في الاصرار على ما ظهر لهم من ضلالهم بجهلهم وحذق خصمهم وخلاسته في القول ، فالجهل عذر الجاهل العارف والمعتزف بجهله وعجزه ، لا المستدل الذي يتافع عن دعواه بسيفه ورمحه ،

وعلماء المذاهب التي يدعي الناس اتباعها يقولون ان الجهل عذر في المسائل التي من شأنها أن تخفى على العامة وان كانت بحما عليها كارت بنت الابن مع بنت الصلب السدس تكأة لثلاثين الذي جعله الله تعالى في الكلالة فرضاً للاثنين ، ولا يجعلونه عذراً لاحد في المسائل المألومة من الدين بالضرورة - قولوا لا اذا كان قريب عهد بالاسلام أو نشأ في شاطئ حبل ، وهذا مبني على أن معاشر المسلمين كافة لمعرفة الضروري من عقائد الاسلام وأحكامه في العبادات والحلال والحرام وذلك كف في صحة اسلام من يعرف معرفة اذعان ونزول جميع المسائل الاجتهادية والنفس عن الخفية المجمع عليها فكيف بالمسائل المختلف فيها على انه لا بد أن يعرف الكثير منها

ولما قل العلماء ذلك القول كانت ممارسة المسلمين كافية لمعرفة حقيقة الاسلام كما قالوا، ثم تغير الزمان، حتى صار المسلمون أنفسهم حجة على الاسلام، ويتعرف بذلك خطبائهم على منابر جوامعهم في خطب الجمعة، بقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه » ولا من القرآن الا رسمه « وبقولهم « صار المعروف منكرا والذكر معروفا » وهذا القول حق واقع، ولكن لا يعتبر به القائل ولا السامع، وقد كان من اثره أن كثيرا من الناس حتى بعض المعممين منهم لا يطعنون بدين أحد الا المصنوع بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الامة، ولا سيما اذا دعا الناس الى ذلك وإلى ترك البدع الفاشية، حينئذ يذذونه بالقب وهايي أوعدوا الامة الجتهدين، وأولياء الله المقربين، فلجلال قد اتخذوا من أسماء الائمة والصالحين الذين هم اعداؤهم سباما مسدودة يرمون بها أوليائهم والتميعين لهم في الحقيقة لانهم يريدون بالكتاب والسنة مثلهم - فالكتاب والسنة ليسا حجة عندهم ولا هداية لهم بل هما يردان بقول كل من الف كتابا كتب في طرته نه الملامة فلان الفلاني مذهبا، والفلاني طريقة أو مشربا، فاتباع الكتاب والسنة عندهم ضلال بل ربما يرمون صاحبه بالكفر أو الزندقة كما بينا ذلك في غير ما موضح من المثار، وهذا من الخزي الذي يعد من أغرب جهل البشر، والخذلان الذي يمثل منتهى فساد العقول والممار، يتبرأ منه ومن أهله أئمة الاثر والعقيدة والتصوف والملا، بدلائل مذاهبهم وطرقهم. وهو ليس من التقليد الذي أجازه بعض هؤلاء العلماء في شيء فقد كانوا في خبر القرون لا يملكون هامة الامة الا ما نزل الله تعالى اليها وما بينه به رسولها، ولم يكن ثم مذاهب تحمل عليها وانما كانت مباحث الاجتهاد محصورة في تعليم الخاصة ومجلس القضاء وتنازل الفتوى في الوقائع، ومن قواعد الاصول عندهم هدم جواز الاجتهاد مع وجود نص الكتاب أو السنة في المسئلة تراه لاحجة في كلام أحد غير المعصوم وهم يجمعون على ان الائمة الاربعة في الفقه وأئمة الصوفية كالجنيد والشبلي والبسطامي وأمثالهم غير معصومين وانما قال بعض الشيعة بصدمة نفر معروفين من أئمة آل البيت

وجمع هؤلاء العلماء يفضلون سلف الامة على خلفها في المباحقة الدينية والعمل به كما تقدم ويبحثون على الاقتداء بهم ويردون كل ما خالف هديهم وصيرتهم

ويستدلون به على الابتداء في الدين كما يستدلون بالهدوس - فنحن إذاً محتاجون في التمييز بين السنة والبدعة الى معرفة ما كان عليه جمهور السلف الصالح ونسبته اليه نرد ما مخالفه ولا سيما ما انفقوا عليه وما كان الخلاف فيه شاذاً أرضه في الرواية أو الدلالة، ولكننا نقدر من أخذ بقول أي عالم من أولئك الائمة لاعتقاده صحة دليله أو أنه هو حكم الله تعالى وإن لم يعرف دليله

ثبت بالعقل والنقل والاختيار ان العمل بأحكام الدين ومنه القضاء بها والقوى في تطبيقها على النوازل الواقعة أقوى بياناً للمراد بها من القول مهما يكن فصيحاً جليلاً فكلام الله أفصح الكلام وأبلغه ومعنى هذا انه أعلاه بياناً وقناعاً وتأثيراً ومع هذا كان بعض الصحابة يخطيء في فهم بعض احكامه وفي تطبيقها على العمل كما أخطأ من فهمت منهم في التراب كما تمسك الله به لانه فهم أن التيمم عن الحنابلة يجب أن يمتاز عن تيمم الحدث وكما أخطأ من ربط في رحله عقلاً أبيض وعقلاً أسود ليعين بالتمييز بينهما ما طلع الفجر، ولهذا جعل الله تعالى رسوله (ص) ميلاً لكتبه على وصفه اياه بأنه بيان للناس وتبيين لكل شيء ونور مبين وتبيين الر - ول (ص) بأمنائه وأحكامه وقاويه في النوازل أقوى وأظهر من تبيينه بأقواله وإن أتى به النبوة جوامع الكلام وصار أفصح من نطق بالضاد لان أقواله ذات وجود وتحمل التأويل كقول الامام علي المرتضى في الكتاب العزيز بل هي أولى، وتختلف فيها فلا فهم كما اختلف الصحابة رضي الله عنهم في أمره اياهم بان لا يصلوا المصرا الا في بني قريظة ففهم بعضهم ان المراد عدم التأخر عن الوصول الى بني قريظة في ذلك الوقت فعدلوا في الطريق ولم يتأخروا، وحل الآخرون الامر على طاعته ولان العمل أبين على القدرة والانتفاء وذلك ثبت بالعقل والتجربة، وأظهر وقته في السنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بالتحلل من غيرهم عقب صاحب الخديجة كروا الامر بالقول ثلاثاً ولم يمتثلوا فاعلم عليه الصلاة والسلام وكانت زوجته أم سلمة رضي الله عنها معه فذكر لها ذلك فاستدراها فيه فأشارت عليه أن يفرج اليهم ولا يكلم أحداً حتى يتحسن من أمرهم بعد خديجة وحتى رأسه ففعل فتيمة من ميسرين ولم يقع لهذا نظير منه.

فلم من هذا أن أحكام الدين لم يبين تمام التبيين لا بالافعالية ولا بالصحة

انفسهم كانوا محتاجين اليها وكان يختلف اجتوبهم في الاقوال اذا لم تبين بها .
 بل كان منهم من تأول النص الصريح في مقام الخصومة انتصاراً لنفسه ودفاعاً عنها
 كما تأول معاوية حديث عمار قتلته القذة الباغية فقال : انما قتله من أخرجه .
 فرد أمير المؤمنين علي هذا القول حين بلغه بان يقتضي ان يكون النبي صلى
 الله عليه وسلم هو الذي قتل عمه حمزة أي وجميع من قتل معه في بدر واحد ومات
 الفزوات — فتابين من أعمال الدين بالسنة المتبعة فضلاً وتركاهم الذي لا يسع أحد مخالفته
 ولا بغضه وما سواه يعذر فيه الناس باختلاف الافهام والتأويل مع الاعتقاد وحسن النية
 وقد حدث بعد النبي (ص) من الاحداث والوقائع ما لم يكن في عصره وختلف الاجتهاد
 في أحكامها من حيث تحقيق الناطق وفتح الشك أي من حيث الاستدلال على الحكم
 ومن حيث تطبيقه على الوقائع بالعمل والتفاعة الأصولية في اجتهاد الافراد من الصحابة
 وغيرهم انه ليس حجة في الدين وانما يجب على من اجتهد في مسألة أن يعمل بما ظهر
 له أنه الحق فيها والقائلون بالتقليد يجهلون للماجزين الاجتهاد فيما يعرض له مما لانس
 فيه أن يأخذ بالاجتهاد من يثق به من المجتهدين . وأما إجماع الصحابة فهو حجة عند
 جميع الائمة والامام أحمد لا يحتاج بإجماع غيرهم وكان الامام مالك يحتاج بإجماع أهل
 المدينة في زمنه أي زمن التابعين وتابعي التابعين وأنه يظهر هذا في اشعاره والسنة العملية
 المشيئة لا فيما سبيله الاجتهاد . وجلة القول ان الله تعالى اكمل الدين بكتابه وبيان رسوله
 وكان أهل الصدر الاول من السلف الصالح هم الذين حملوا هذا الدين كما سمعوه
 ورووه بالتأول والعمل ، فمرفقة متوقفة على مرفقة روايتهم له وسيرتهم في العمل به
 ولا شك أن العمل بالاسلام عبادة ومعاملة وسياسة وقضاء كان في عهد
 الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم على أكل الوجوه ، بل قل بعض علماء الاصول ان
 إجماع الخلفاء الاربعة حجة واحتجوا لذلك بحديث الرباض بن سارية مرفوعاً
 « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم بهذا »^(١) وأنه من يعيش منكم

(١) وفي رواية « ولو عبد أجنبياً » وهذا في الامراء والحكام الذين يوليهم
 الامم الاعنة فلا ينافي أحاديث حصر الائمة في قرين كما نقله الحافظ ابن رجب
 وغيره في شرح الحديث وأيدوه بحديث علي عند الحاكم والدارقطني مرفوعاً

فببري اختلافاً كثيراً فليكن بسني سنة الطغاة الراشدين من بعدي عشوا عليها بالنواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » وفي رواية « فإن كل عدوة بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وكذا غيرها من وجوه وطرق ، واختاره النووي في الأربعين . بل ذهب بعضهم إلى الاحتجاج بسنة الشيخين أبي بكر وعمر ، وبعضهم بالاحتجاج بما سنه عمر أي سن في خلافته لما ورد في ذلك وليان وجه هذا مكان آخر يعلم منه أنه ليس على إطلاقه حتى عند القائلين به . وذكر الحافظ ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم) عن الإمام مالك أنه قال : قال عمر بن عبد العزيز : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه الأمر من بعده صننا لاخذ بها اعتدنا بكتاب الله وقوة على دين الله ليس لاحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر في أمر خالفها فمن اهتدى بها فهو المتهدي ومن استبصر بها فهو المنصور ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصله جهنم وساءت مصيراً (قال) وحكى عبد الله بن عبد الحكم عن مالك أنه قال : أعجبني عزم عمر ذلك — يعني هذا الكلام . وروى عبد الرحمن بن مهدي هذا الكلام عن مالك ولم يحكه عن عمر أة ويجمع بين الراويين بأن مالكاً كان يرويه تارة وقوله تارة مقرر له في نفسه على غير طريق الرواية — فعمل جمهور الصحابة والتابعين وسباسة الخلفاء الأربعة الراشدين وقضاؤهم وأذنهم لأمر الله .

تتو موقوفاً » وإن أمرت قريش فيكم عبداً حبشياً فاسمحو له وانظروا . وذهب بعض العلماء أنه إنما ذكر العبد الحبشي على طريق ضرب المثل وإن يصح وقوعه كما قال في حديث الترغيب في بناء المساجد « من بنى لله مسجداً ولو كفتحه من قنطرة بني الله له بيتاً في الجنة » رواه أحمد عن ابن عباس . صحيح ويستحيل أن يكون المسجد كفتحه القنطرة وهو المكان الذي تتعد برجلها وتبضع فيه . والامة مجمعة على أن العبد أي المملوك كما هو المتبادر هنا لا يجوز أن يكون الامام الا لعنه صاحب الولاية العامة على المسلمين ، وأن يلي مدون ذلك من ولاية الأمر وفان عظمه ان في هذا الحدث وما معناه اشارة الى ما كان في الامة بعد من ولاية العبيد والماليات

في الحرب والسلم ومعاملة المبتدعة وأرباب الاهواء والاثوار الخارجين على ائمة الحق والتعدل كل ذلك فبراس نهدي به ونعرف حكم الله تعالى فيه ، وحاجتنا اليه في كل زمان ومكان كحاجة الصحابة رضوان الله عليهم في زمن الرسول الى مشاهدة أفعاله وسماع احكامه والوقوف على قضائه وصيرته في الحرب والسلم وسنبين ان شاء الله تعالى مزية كل خليفة من الاربعة وحكمة الله تعالى في ترتيبهم على حسب أعمالهم وما ترتب على ذلك من المصالح

﴿ نتيجة هذه المقدمات — والمقصود من هذه التمهيدات ﴾

مكان مسلمي عصرنا من دينهم

(١) علم مما تقدم ان ما عليه جماهير المسلمين اليوم في أمورهم الدينية ممزج بالبدع والضلالات والفسق وترك الفرائض وقشو الفواحش وكثرة الشبهات الا في بلاد قليلة فمباشرة المسلمين لا يمكن أن يعرف منها حقيقة دينهم في مثل القطر المصري أو الحجازي دع مادونهما في العلم والمراقبة في الاسلام وان نجوم هذه البدع بدأ في خلافة عثمان فما كان عليه المسلمون قبلها فهو الاسلام الخالص ، وما كان في خلافة علي من معاملة الخارجين عن الاسلام باسم الاسلام ، والخارجين من المسلمين على أئمة الحق بالشهوات أو الشبهات ، والمبتدعين فيه ما ليس منه بالتأويلات ، فهو الحق الذي يهتدى في أمثال هذه المشكلات ، والنور الذي يستضاء به في دياجير الظلمات ، وعليه جرى علماء السلف الصالح من حملة السنة وأئمة العترة ورواة الآثار ، وأهل الاجتهاد الصحيح من علماء الامصار

مصادر الاسلام وحملته وكتبه

(٢) ان دين الله الاسلام هو كتابه تعالى وما بينه من سنة رسوله بالقول والعمل الذي كان عليه جمهور الصحابة والتابعين وأئمة عترة النبي (ص) قبل حدوث الفتر واحداث البدع وفي أثنائها ، وحملته الى الامة هم الذين حفظوا الكتاب والسنة وصنفوا الكتب في الاخبار والآثار وسيرة أهل الصدر الاول ومبروا صادقها من كاذبها وصححها من سقيمها وأئمة الامصار في القرون الثلاثة الذين بينوا للناس طرق فهم النصوص والاستنباط منها. فإجموعا عليه من أمر الدين فهو الذي لا يسع مسلما تركه ، وما اختلفوا فيه يرد الى الكتاب

والسنة كما أمر الله تعالى بقوله (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلاً) أي ما لا وعاقبة. والرد في الامور العامة منوط بأولي الامر: وفي الوقائع الخاصة بمصلحة كل فرد بما ظهر له الدليل على صحته، فان لم يكن من أهل الدليل عمل بما يفتيه به من يثق بعلمه بالكتاب والسنة ودينه في الاهتداء بهما
عمل جمهور السلف حجة وهدى

(٣) عمل جمهور السلف الصالح حجة فيما يختلف أهل النظر والاستدلال فيه باجتهادهم أو اختلاف أفهامهم وتأويلهم لخصوص ولكننا نعذر المخالف لجمهور السلف بالاجتهاد والتأويل اذا علمنا من حاله انه مؤمن بأن كل ما جاء به الرسول من أمر الدين حق، ومسلم مذعن لذلك على الوجه المبين في المقدمات، وحينئذ نعامله معاملة المسلمين في الصلاة معه وفي أحكام التكليف والأثر وغير ذلك مع الرد عليه ومجادلته بالتي هي أحسن والتحذير من بدعته اذا كانت مخالفة ابتداعاً أو فسقه اذا كانت فسقاً، مهتدين في ذلك بما كان أهل السداد الاول يعاملون به المنافقين والمؤلفة قلوبهم من ضمقاء المسلمين الذين قبلوا أحكام الاسلام والطوارج والمبتدعة المتأولين، مثال ذلك اننا لانعتد باسلام أحد يكذب القرآن أو يستحل مخالفته وانما نعذر من يفهم بعض آياته فيها مخالفاً لفهم السلف مع التسليم والاذعان النفسي لكل ما فيه ولو بحسب فهمه، ولا نعتد باسلام من يكذب الرسول أو يستحل مخالفته فيما يمتدح هو انه جاء به من دين الله ولكننا نعذر من لم يصدق رواية بعض الاحاديث لشبهة عنده في المتن أو السند فكذب مفسونها أو خالفه لذلك وان صح عندنا، وزد عليه بالتي هي أحسن. فقد أمرنا ببراء الحدود بالشبهات، وأولى الحدود أن يدرأ حد الردة والخروج من الملة
بم يكون الارتداد عن الاسلام

(٤) انما جعل العلماء المتقدمون مدار الارتداد عن الاسلام على جحد المجموع عليه المعلوم بالضرورة من أمر الدين لان الجيل عذر عندهم والمدار في صحة الاسلام الاذعان النفسي والمبلي لاحكامه وهو فرع السلم بها ولذلك سرحوا بان من نشأ في ضيق جبل أو كان حديث عهد بالاسلام يمتدح حتى يجعله المعلوم من الدين بالضرورة عند جمهور المسلمين لانه ليس معلوماً عنده ولم يصدقوا

الناشئ بين المسلمين أو من طال عهد اختلاطهم بعد الإسلام إذا جحد شيئاً وادعى الجهل ليتصل من الجحد مثلاً. وقد بينا في المقدمات أن مباشرة المسلمين في أكثر البلاد الإسلامية في هذه الأزمنة لا تقتضي معرفة حقيقة الإسلام في عقائده وعباداته الخالية من البدع وسائر أحكام الحلال والحرام، وإنما يعلم إسلام المرء بآدعائه وخضوعه للماعلم أنه من الإسلام، ومن كان هكذا فملاج ما يجمله تسليمه وإقامة الحجة عليه. وقد جربنا هذا العلاج فشفي به كثيرون من أدواء الشرك والابتداع والشكوك والأوهام، فالسليم الفطرة ذو الجهمل البسيط يشفى بسرعة هجبية وإنما يمسر شفاه أصحاب الجهل المركب الذين أخذوا شيئاً من قشور الكلام والفقه وتأويلات أدعياء الفقه والتصرف فهم يردون بها الآيات الصريحة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف الصالح (ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) وهذا هو البلاء المبين الذي أضاع الإسلام ولا علاج له إلا الأبناء التعليم الإسلامي في مدارسه وغيرها على التدبير والحديث وسيرة السلف الصالح وتلقين كل مسلم ما تقدم تقريره في ذلك

معاملة المستدعة والمنافقين والمناسقين

(هـ) اتنا على كوننا لأنكسر أحداً من أهل القبلة فيما يأتيه جاهلاً أو متأولاً ونحطاً لديننا فيمن نظم بالاختبار الشخصي أنهم على شيء من الشرك الجلي أو النفاق من غير أن تفرق الجماعة أو تحدث التفرق بين المسلمين فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة كخديجة بن الخيمان يرفون بعض المنافقين بأعيانهم ولا يجبهونهم بذلك ولا يخبرون الناس به رجاء أن يصلحوا ويوقنوا بطول مباشرة المسلمين، وكان علماء الصحابة والتابعين يصلون مقتدين بأئمة الجاهل من بني أمية وعلمهم، والاسوة الكبرى في هذا الباب سيرة علي كرم الله وجهه في الخوارج ومعاوية وأنصاره. وإني على هذا لأصلي مقتدياً بمن أعلم باحتبار الشخص أن مشرك أو كافر بغير الشرك وإن كان يظهر الإسلام ولا أعطيه شيئاً من الزكاة الواجبة إلا إذا كان من المؤلفة قلوبهم. فهذا ما شئني من الجواب عن سؤال الموحدين في دميانه كثرهم الله تعالى وبرك فيهم

وإني أتيع هذا بيان سيرة السلف الصالح فيما ذكر من أسرار الابتداع والاختلاف في الدين وأهله من أصحاب الأهواء وغيرهم ثم انتهى عليها بما أراه نافعا في الاقتداء بهم. عسى أن يهتدي به الغلاة في الدين والمفرطون فيه، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

نشرح قاعدة « لأنكفر أحدا من أهل القبلة بذنب »

وبيان عدم كفر المبتدع في الدين جاهلا أو متأولا

هذه القاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة الذين يصدق عليهم هذا القول لأنهم يسمون أنفسهم بهذا الاسم ليميزوا من المعروفين بأسماء أخرى . وهي تذكر في بعض العقائد . وقد رأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيقا نفيسا مطولا فيها ذكره في مباحث تحفاته الرافضة في سب الصحابة (رض) وبيان أن الرد عليهم وعلى كل مخطئ في الدين يجب أن يقصد به بيان الحق وهداية الخلق دون التشفي والانتقام . وذكر أن التكلام في هذا مبني على مسألتين و بين ذلك بما نصه :

(أحدهما) أن الذنب لا يوجب كفر صاحبه كما تقوله الخوارج ، بل ولا تخليده في النار ومنع الشفاعة فيه كما تقوله المعتزلة .

(الثانية) أن المتأول الذي قصد متابعة الرسول لا يكفر ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية . وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفروا المخطئين فيها . وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين إلهاميا بحسان ولا يعرف عن أحد من أئمة السلفين وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم (فيها) كالخوارج والمعتزلة والجهمية ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة ك بعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم . وقد يساهون في التكفير ذلك فمنهم من يكفر أهل البدع مطلقا ثم يجعل كل من خرج عما هو عليه من أهل البدع . وهذا يمينه قول الخوارج والمعتزلة والجهمية . وهذا القول أيضا لا يوجد في طائفة من أصحاب الأئمة الأربعة ولا غيرهم وليس فيهم من كفر كل مبتدع ، بل المقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك

ولكن قد ينقل عن أحدكم أنه كفر من قل بعض الأقوال ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليحذر ولا يازم إذا كان القول كفرا أن يذكر كل من قاله مع الجهول والتأويل (١) فثبت أن الكفر في حق الشخص المعلن كنبوت الوعيد في الآخرة في

(١) لعل الأصل ولو مع الجهول والتأويل

حجة وذلك له شروط وموانع كما بسطناه في موضعه . وإذا لم يكونوا في نفس الامر كافرين لم يكونوا منافقين ، فيكونون من المؤمنين فيستغفر لهم ويترحم عليهم . وإذا قل المسلم (ربما كفرنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) بقصد كل من سبقه من قرون الامة بالإيمان وإن كان قد أخطأ في تأويل تأويله خالف السنة أو أذهب ذنبا قلناه من اخوانه الذين سبقوه بالإيمان فيدخل في المصوم وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة قلناه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا بكفار بل مؤمنين فيهم ضلال وقتب يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الاسلام بل جعلهم من أمته ولم يقل أنهم يحدرون في النار

فإن أصل عظيم ينبغي مراعاته فإن كثيرا من المنقذين إلى السنة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج . وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب وغيره لم يكفروا الخوارج الذين قتلوهم بل أول ما خرجوا عليه ونهجزوا بهروا ، وخرجوا عن الطاعة والجماعة قال لهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه إن لكم علينا أن لا تمنعكم من مباحنا ولا تحقكم من النهي ثم أرسل إليهم ابن عباس فأنظرهم فرجع نحو نصفهم ثم قاتل الباقي وغلبيهم ومع هذا لم يسبب لهم ذرية ولا حق لم مالا ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كسيلة الكذاب وأمثاله بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج خالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة ولم ينكر أحد من علي ذلك . فلم يفتق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين من دين الاسلام

قال الامام محمد بن نصر المروزي وقد ولي علي رضي الله عنه قاتل أهل البني وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ما روى وسام مؤمنين وحكم فيهم بأحكام المؤمنين وكذلك عمار بن ياسر ، وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحاق بن راهويه حدثنا يحيى بن آدم عن مفضل بن مهلب عن الشيباني عن قيس بن مسلم عن طارق ابن شهاب قال كنت عند علي حين فرغ من قتل أهل النهروان فقبل له أسمركون ثم قال من الشك فواء فقبل فقهون ، قال لا تقون لا يدركون الله لا قبلا . قبل فام ، قال قوم بنا عليا فقتلناهم . وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحق حدثنا

وكيع من مصر عن هار بن شقيق عن أبي وائل قل قل رجل: من دعي إلى البغلة
 للشرب يوم قتل المشركون؟ فقال علي من الشرك فروا قل المناقرون، قال إن المناقرين
 لا يكرون الله إلا قليلا قال فاهم؟ قال قوم بغوا علينا فقاتلناهم فنهزنا عليهم .
 قال أسحق حدثنا وكيع عن أبي خاله عن حكيم بن جابر قال قالوا لعلي حين قتل
 أهل النهروان أمشركون هم؟ قال من الشرك فروا، قيل فذققون؟ قال المناقرون
 لا يكرون الله إلا قليلا، قيل فاهم؟ قال قوم حاربونا فاربناهم وقاتلونا فقاتلناهم
 (قلت) الحديث الأول وهذا الحديث ضربان في أن عليا قال هذا القول في
 الخوارج الحردية أهل النهروان الذين استفاضت الأحاديث الصحيحة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم في ذمهم والامر بقتالهم، وهم يكفرون عينا وعليا ومن تولاهما
 فمن لم يكن معهم كان هذهم كافرا ودارهم دار كفر، فانما دار الاسلام هذهم هي
 دارهم . قال الاسدي وغيره: اجتمعت الخوارج على تكفير علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه ومع هذا علي قاتلهم لما بدأوه بالقتال فقتلوا ضد الله بن خباب وطلب علي
 منهم قتله فقالوا كائنا قتله وأقاروا على ماشية فقتلوا الناس ولهذا قال فيهم قوم قاتلونا
 فقاتلناهم وحاربونا فاربناهم وقال قوم بغوا علينا فقاتلناهم

وقد اتفق الصحابة والعلماء بعدهم على قتال هؤلاء فانهم بقاءة على جميع المسلمين
 سوى من وافقهم على مذنبهم، وهم يبدون المسلمين بالقتال ولا يتدفق شرهم إلا
 بالقتال فكانوا أضمر على المسلمين من قطاع الطريق. فان أولئك إنما مقصودهم المال
 فلو اعطوه لم يقاتلوا وانما يتعرضون لبدن الناس وهؤلاء يقاتلون الناس على الدين
 حتى يرجعوا عما ثبت بالكتاب والسنة واجماع الصحابة إلى ما ابتدعه هؤلاء بتأويلهم
 الباطل وفهمهم الفاسد للقرآن . ومع هذا فقد صرح علي رضي عنه بأنهم مؤمنون
 ليسوا كفارا ولا منافقين . وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس كابي أسحق
 الاسفرائيني ومن تبعه يقولون لا تكفر الا من يكفركم، فان الكفر ليس حقاهم بل
 هو حق لله وليس للانسان أن يكذب على من يكذب عليه ولا (إن) يقول الفاحشة
 بأهل من فعل الفاحشة بأهل بل ولو استكرهه رجل على اقواله لم يكفر له أن يستكرهه
 على ذلك؛ ولو قتله بتجريم خرا أو تلوط لم تجز قتله بمثل ذلك لان هذا حرام لحق

الله تعالى. ولو سب الذماری نبينا لم يكن لنا أن نسب المسيح، والرافضة إذا كفروا
أبا بكر وصهر فليس لنا أن نكفر عليا. وحديث أبي وائل يوافق ذنبك الحديثين
فالظاهر أنه كان يوم النهروان أيضا.

وقد روي عنه في أهل الجبل وصفين قول أحسن من هذا قال اسحاق بن راهويه
حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال سمع علي يوم الجبل ويوم
صفين رجلا يقول في القول فقال لا تقولوا إلا خيرا إنما هم قوم زعموا أنا بنينا عليهم
وزعمنا أنهم بنوا علينا فقاتلناهم قد كر لابي جعفر أنه أخذ منهم السلاح فقال ما كان
أغناء من ذلك. وقال محمد بن نصر حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن خالد
حدثنا محمد بن راشد عن مكحول أن أصحاب علي سألوه عن قتل من أصحاب
معاوية: ما هم؟ قال هم المؤمنون، وبه قال أحمد بن خالد. حدثنا عبد العزيز بن
أبي سلمة عن عبد الواحد بن أبي عون قال مر علي - وهو متكئ - على الأشتر - على قتي
صفين فإذا حابس البجلي مقتول فقال الأشتر: أنا لله وأنا إليه راجعون هذا حابس
البجلي منهم يا أمير المؤمنين عليه علامة معاوية أما والله لقد هبته مؤمنا قال
علي والآن هو مؤمن، قال وكان حابس رجلا من أهل اليمن من أهل العبادة
والاجتهاد. قال محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبيد حدثنا مختار بن رافع عن أبي مطر
(قال) قال علي: متى نبعث أشقاها؟ قيل من أشقاها؟ قال الذي يقتلني. فضر به ابن ملجم
بالسيف فوقع برأس علي رضي الله عنه وهم المسلمون يقتله فقال لا تقتلوا الرجل فإن
برئت فلتجروح قصاص وإن مت فاقتلوه، فقال انك ميت، قال وما يدريك؟ قال كان
صيفي مسموما - وبه قال محمد بن عبيد: حدثنا الحسن وهو ابن الحكم التخمي عن رباح
بن الحارث قال: أتاليواد وان ركبني لتكاد تمس ربة عمار بن ياسر إذ أقبل رجل
فقال كفر والله أهل الشام، فقال عمار لا تقتل ذلك فقبلتنا واحدة ونبي واحد، ولكنهم
قوم مقتونون فحق علينا قتالهم حتى يرجعوا إلى الحق - وبه قال ابن يحيى حدثنا قبيصة
حدثنا سفيان عن الحسن بن الحكم عن رباح بن الحارث عن عمار بن ياسر قال: دينا
واحد وقبلتنا واحدة ودعوتنا واحدة ولكنهم قوم بنوا علينا فقاتلناهم. قال ابن يحيى
حدثنا بطل حدثنا مسهر عن عبد الله بن رباح عن رباح بن الحارث قال قال عمار

ابن ياسر: لا تقولوا كفر أهل الشام، قولوا فسقوا قولوا غادوا. قال مجاهد بن نصر وهذا يدل على أن الخبر الذي روي عن عمار بن ياسر أنه قال لعثمان بن عفان: هو كافر. خبر باطل لا يصح لأنه إذا انكر كفر أصحاب معاوية وهم أئمة كانوا يظهرون أنهم يقاتلون في دم عثمان فهو لتفكير عثمان أشد انكارا (قلت) والروى في حديث عمار أنه لما قال ذلك انكر عليه علي رضي الله عنه وقال أتكفر برب آمن به عثمان وحديثه بما يبين بطلان ذلك القول فيكون عمار إن كان قال ذلك متأولا قد رجع عنه حين تبين له أنه قول باطل.

وما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم وكان عهد الله بن عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة كانوا يصلون خلف نجدة الحروري وكانوا أيضا يمدونهم ويضربونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم كما كان عهد الله بن عباس يجب نجدة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل وحديثه في البخاري؛ وكما أجاب نافع ابن الأزرق عن مسائل مشهورة وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما يتناظر المسلمان. وما زالت سيرة المسلمين على هذا ما جعلهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق رضي الله عنه هذا مع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم في الأحاديث الصحيحة وما روي من أنهم شر قتلى تحت أديم السماء خير قتيل من قتلوه في الحديث الذي رواه أبو أمامة رواه الترمذي وغيره أي أنهم شر على المسلمين من غيرهم فأنهم لم يكن أحب شرا على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى فأنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم متحيزين لدماء المسلمين وأرواحهم وقتل أولادهم مكفريين لهم وكانوا متديبين بذلك لظلم جهلهم وبدعتهم المضلة ومع هذا فالصحابة والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم ولا جملوهم مرتدين ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل بل اتقوا الله فيهم وصاروا فيهم السيرة العادلة. وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والمعتزة وغيرهم فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحابة. وقد ضمه ابن حزم وغيره لكن حذره غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره وقد رواه أهل السنن. وروى من طرق وليس قوله

فثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة أعظم من قوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) وقوله (ومن يضل ذلك عدوانا
وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) وأمثال ذلك من النصوص الصريحة
بدخول من فعل ذلك النار ومع هذا فلا تشهد لممن بالنار لأمكان انه تاب أو كانت
له حسنات محت سيئاته أو كفر الله عنه بمصائب أو غير ذلك كما تقدم بل المؤمن بالله
ورسوله باطنا وظاهرا الذي قصد اتباع الحق ومجاها به الرسول إذا اخطأ وام يرف
الحق كان أولى أن يعطره الله في الآخرة من المتمد العالم بالذنب ، فان هذا هاض
مستحق للذئاب بلا ريب ، وأما ذلك فليس متمم للذنب ، بل هو مختلئ والله قد
نحو أن هذه الامة عن اخطأ والسيان والمقربة في الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين
وان كان في الآخرة خيرا ممن لم يعاقب ، كما يعاقب المسلم المتعدي للحدود ولا يعاقب
أهل الذمة من اليهود والنصارى والمسلم في الآخرة خير منهم

وأبضا فصاحب البدعة يبقى صاحب هوى يعمل لهواه لا ديانة ، ويصد عن
الحق الذي يخالف هواه فهذا يعاقبه الله على هواه ومثل هذا يستحق العقوبة في
الدنيا والآخرة ، ومن فسد من السلف الخوارج ونحوهم كما روي عن سعد بن أبي وقاص
انه قل (نزل) فيهم قوله تعالى (وما يضل به الا الفاسقين الذين يتفوضون هذا الله من
بدمية ثاقبة يعلمون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون)
فقد يكون هذا قصده لاسيما إذا تفرق الناس فكان منهم من يطلب الرياسة له
ولاصحابه ، وإذا كان المسلم الذي يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمة ورياء ، وذلك
ليس في سبيل الله فكيف يأهل البدع الذين يخاصمون ويقاقلون عليها قاتلهم يضلون
ذلك شجاعة وحمة ورياء يعاقبون لما اتبعوا أهوائهم بغير هدى من الله لا ليجرد اخطأ
الذي اجتهدوا فيه ، ولهذا قال الشافعي : لأن أتكم في علم يقال لي فيه أخطأت ، أحب
لي من أن أتكم في علم يقال لي فيه كفرت

فن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا ، ومن مباح أهل العلم انهم يخلصون
ولا يكفرون ، وسبب ذلك ان أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كفرا ، وقد يكون كفرا
لانه يبين له انه تكذيب لرسول وسبب للمعالي والآخرة لم يبين له ذلك فلا يلزم

لذا كان هذا العالم بحاله يكفر^{١٢} إذا قاله ان يكفر من لم يعلم بحاله
والناس لهم فيما يحملونه كفرا طرق متعددة فمنهم من يقول الكفر تكذيب ما علم
بالاضطرار من دين الرسول ، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك . ومنهم
من يقول الكفر هو الجهل بالله . ثم قد يجعل الجهل بالصفة كالجهل بالوصف وقد لا يجعله ،
وهم مختلفون في الصفات نفيا وإثباتا . ومنهم من لا يحد بحد بل كل ما تبين انه
تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الايمان بالله . واليوم الآخر جملة كفرا —
لكل طرق أخر . ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة فتكذيب الرسول كفر .
وبخسه وسبه وعدلونه مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم
بإحسان . وأئمة العلم . وسائر الطوائف . إلا الجهم ومن وافقه . كالألملي والاشمري
وفريقهم فانهم قالوا هذا كفر في الظاهر وأما في الباطن فلا يكون كفرا إلا إذا
استلزم الجهل بحيث لا يبقى في القلب شيء من التصديق بالرب . وعذاباه على أن
الايمان في القلب لا يتفاضل ولا يكون في القلب بمض من الايمان . وهو خلاف
التعويض الصريحة وخلاف الواقع ، وبسط هذا موضع آخر .

والمقصود هنا أن كل من تاب من أهل البدع تاب الله عليه وإذا كان الذنب
متعلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله فيجب على الانسان أن يكون في هذا قاصدا
لوجه الله متبعا لرسوله ليكون عمله خالصا صوابا ، قال تعالى (وقلوا لن يدخل الجنة
الذين كان هودا أو نصارى تلك أمانتهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .
على من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
وقال تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا
واخذ الله ابراهيم خليلاً) قال المفسرون وأهل اللغة معنى الآية أخلص دينه وعمله
لله وهو محسن في عمله . وقال الفراء في قوله (فقل أسلمت وجهي لله) أخلصت عملي
وقل الزجاج قصدت بعبادتي الى الله وهو كما قالوا كما قد ذكر توجيهه في موضع آخر ،
وهذا المعنى يدور عليه القرآن فان الله تعالى أمر أن لا يبذل الاياه وعبادته فعل ما أمر
وبرك ما حظره والاول هو اخلاص الدين والعمل لله ، والثاني هو الاحسان والفضل

الصالح، ولهذا كان عمر يقول في دعائه: اللهم اجعل علي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا. وهذا هو الخالص الصواب كما قال الفضيل بن عياض في قوله (ليلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخلاصه وأصوبه، قالوا يا أبا علي ما أخلاصه وأصوبه؟ قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، والامر بالسنة والنهي عن البدعة هما أمر معروف ونهي عن منكر وهو من أفضل الاعمال الصالحة فيجب أن يتنهي به وجه الله وأن يكون مطابقا للامر، وفي الحديث « من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغي أن يكون عالما بما يأمر به عالما بما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه » (١) فالعلم قبل الامر والرفق مع الامر والحلم مع الامر فإن لم يكن عالما لم يكن له أن يفقه وليس له به علم وإن كان عالما ولم يكن رفيقا كان كالحليب الذي لارفق فيه فيلقا على المريض فلا يقبل منه، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد وقد قال الله تعالى موسى وهارون (فتولا له قولنا لعله يتذكر أو يخشى) ثم إذا أمر أو نهى فلا بد أن يؤدى في العادة فعله أن يصبر ويحلم كما قال تعالى (وأمر بالمعروف وانهى عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور) وقد أمر الله نبيه بالصبر

(١) المنار: قوله وفي الحديث الخ لم أر الحديث بهذا اللفظ في شيء من دواوين السنة ولا فيما جمع منها ككثير العمال والمصنف بحر واسع . وفي معناه حديث « من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف » رواه البيهقي في شعب الايمان من رواية عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده وفي سنده سالم بن ميمون الخواص ضعيف لا يحتج به ولا يكتب حديثه رواه عن الثني بن الصباح الفارسي وهو ضعيف مختلف فيه قال الامام أحمد لا يسوى حديثه شيئا. وقال ابن ميمون رجل صالح يكتب حديثه ولا يترك. لكن رواه الديلمي من حديث أبان عن أنس مرفوعا بلفظ « لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى تكون فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى » وذكر في الاحياء لانهزالي « لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه » قال الحافظ العراقي لم أجده هكذا . وذكر حديث البيهقي

على اذى المشركين في غير موضع وهو امام الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر، فان الانسان عليه أولا أن يكون أمره لله وقصده طاعة الله فيما أمر به وهو يحب صلاح المأمور واقامة الحجة عليه فان فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك خطيئة لا يقبله الله وكذلك اذا فعل ذلك لطلب السمة والرياء كان عمله حابطاً. ثم اذارد عليه ذلك أو أودى أو نسب الى أنه مخطئ وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه وأتاه الشيطان فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه وربما اعتدى على ذلك المؤذي، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة اذا كان كل منهم يمتدح أن الحق معه وأنه على السنة فان أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم ورياستهم وما نسب اليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله، بل يفضيئون على من خالفهم وان كان مجتهداً متذوراً لا يفتن الله عليه، ويرضون عن من كان يوافقهم وان كان جاهلاً سيئ القصد ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا الى أن يحمدا من لم يحمده الله ورسوله ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصيروا الاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله. وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون الا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا وبلغه المنزل هذا « بآل » هذا « باغي » لا ينظرون الى موالاته الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس قال الله تعالى (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) فاذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة، وأصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله والموالاته لله والمعاداة لله والعبادة لله والاستماتة بالله والخوف من الله والرجاء لله والمنع لله والاعطاء لله، وهذا انما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله ونهيه نهي الله ومعاداته معاداة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله. وصاحب الهوى يعميه الهوى ويعصيه فلا يستحضر الله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ولا يرضى لرضا الله ورسوله ولا يفتن لفتن الله ورسوله بل يرضى ما يرضاه بهواه ويفضه اذا حصل ما يفتن له بهواه، ويكون مع ذلك مع شبهة دين ان الذي يرضى له ويفضه له هو السنة وهو الحق وهو الدين، فاذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الاسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا (النار : ج ٢) (١٧) (المجلد الثاني والعشرون)

بل قصد الحمية لنفسه وطلائعته أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه أو فعل ذلك شجاعة وطمعاً أو لغرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن بما هو في سبيل الله فكيف اذا كان الذي يدعى الحق أو السنة هو كنفيره منه حق وباطل وسنة وبدعة وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وكفر بعضهم بعضاً وفسق بعضهم بعضاً ولهذا قال تعالى فيهم (وما تفرق الدين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة) فاختلّفوا (١) كما في سورة يونس (١) وكذلك في قراءة بعض الصحابة وهذا على قراءة الجمهور من الصحابة والتابعين انهم كانوا على دين الاسلام وفي تفسير ابن عطية عن ابن عباس انهم كانوا على الكفر وهذا ليس بشيء وتفسير ابن عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس بل قد ثبت عنه أنه قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وقد قال في سورة يونس (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلّفوا) فذهبهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد فعلم أنه كان حقاً والاختلاف في كتاب الله على وجهين (أحدهما) أن يكون كله مذموماً كقوله (وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) والثاني أن يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل كقوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ماقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) لكن اذا أطلق الاختلاف فالجميع مذموم كقوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤلهم واختلافهم على انبيائهم » ولهذا فسروا الاختلاف في هذا الموضع بأنه كله مذموم ، قال الزهراء في اختلافهم وجهان

(١) يوشك أن يكون قد سقط من هنا شيء ولو لبعض آية البقرة التي أورد جملة منها وهي (كان الناس أمة واحدة) وبعده (فيمض الله النبيين مبشرين ومنذرين) أي كان بينهم بعد الاختلاف الذي سرح به آية يونس وسيدكرها وفي قراءة أبي ابن كعب الذي أجمار اليه المصنف بقوله بعض الصحابة ولعله قصد بها أنفسهم (٢) لعل أصله تفسير الجمهور أي للإمام الواحدة

(احدهما) كفر بمضمون بكتاب بمقر (والثاني) تبديل ما بدلوا ، وهو كما قال ، فان المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذي مع الآخر ويصدق بالباطل الذي معه وهو تبديل ما بدل ، فالاختلاف لا بد أن يجمع النوعين ولهذا ذكر كل من السلف أنواعاً من هذا (ثم قال المؤلف بعد ذكر ستة أنواع من اختلاف أهل الكتاب حذفناها للاختصار مانسه)

واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط (١) فالخارجي يقول ليس الشيعي على شيء والشيعي يقول ليس الخارجي على شيء ، والقدري النافي يقول ليس المثبت على شيء والقدري الجبري المثبت يقول ليس القدري النافي على شيء ، والوعيدية تقول ليست المرجئة على شيء ، والمرجئة تقول ليست الوعيدية على شيء ، بل يوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الاصولية والفروعية المنتسبين الى السنة فالكلابي يقول ليس الكرامي على شيء ، والكرامي يقول ليس الكلابي على شيء ، والاشعري يقول ليس السالمى على شيء ، والسالمى يقول ليس الاشعري على شيء ، وصنف السالمى كتابي علي الأهوازي كتاباً في مثالب الاشعري وصنف الاشعري كتاباً في عساكر كتاباً يناقض ذلك من كل وجه ، وذكر فيه مثالب السالمية ، وكذلك أهل المذاهب الاربية وغيرها لاسيا وكثير منهم تلبس ببعض المقالات الاصولية وخلط هذا بهذا ، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب مالك والشافعي وأحمد شيئاً من أصول الاشعرية والسالمية وغير ذلك وينسبها الى مذهب مالك والشافعي وأحمد ، وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئاً من أصول المعتزلة والكرامية والكلاية وينسبها الى مذهب أبي حنيفة . وهذا من جنس الرفض والتشيع لكنه تشيع في تفضيل بعض الطوائف والعلماة لاتشيع في تفضيل بعض الصحابة

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ان يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله بذور على ذلك ويتبعه أين وجده ويعلم أن أفضل الخلق بعد الانبياء هم الصحابة فلا فلا يتصر لشخص انتصاراً . طلائعاً عاماً الا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا البطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً الا للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فان الهدى

(١) يريد النمط الاخير الذي حكاه الله تعالى في قوله عنهم (وهات اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء)

يدور مع الرسول حيث دار ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا ،
 فاذا اجتمعوا لم يجتمعوا على خطأ فقد بخلاف أصحاب عالم من العلماء فانهم قد
 يجتمعون على خطأ بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون الا خطأ
 فان الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلماً الى عالم واحد وأصحابه ولو كان
 كذلك لكان ذلك الشخص نظيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شبيهه
 بقول الرافضة في الامام المصوم ، ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون
 ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول قبل وجود المتبوعين الذين تنسب اليهم المذاهب
 في الاصول والفروع ويمتنع أن يكون هؤلاء جاؤا بحق يخالف ما جاء به الرسول
 فان كل ما خالف الرسول فهو باطل ، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول
 ما يخالف الصحابة والتابعين لهم باحسان فان أولئك لم يجتمعوا على ضلاله فلا بد
 أن يكون قوله ان كان حقاً مأخوذاً مما جاء به الرسول موجوداً فيمن قبله وكل
 قول قيل في دين الاسلام مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون لم يقله أحد
 منهم بل قالوا خلافه فانه قول باطل

والمقصود هنا ان الله تعالى ذكر ان المختلفين جاعتهم البينة وجاءهم العلم
 وانما اختلفوا بقيا ولهذا ذمهم الله وعاقبهم فانهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين ، بل
 كانوا قاصدين البني عالمين بالحق مرضين عن القول وعن العمل به ، ونظير هذا
 قوله (ان الذين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أتوا الكتاب الا من بعد
 ما جاءهم العلم بغيا بينهم) قال الزجاج اختلفوا للبني لا لقصد البرهان . وقال
 تعالى (ولقد بوأنا بني اسرائيل مبادئ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا
 حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) وقال
 تعالى (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من
 الطيبات وفضلناهم على العالمين) وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد
 ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون *
 ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم
 لن يفتنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بمضهم اولياء بمض والله ولي المتقين * هذا
 بصائر للناس وهدى ورحمة فهذه المواضع من القرآن تبين أن المختلفين ما اختلفوا
 حتى جاءهم العلم والبيانات فاختلوا للبني والظلم ، لا لاجل اشتباه الحق بالباطل
 عليهم . وهذه حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الاهواء كلهم لا يختلفون الا من
 بعد ان يظهر لهم الحق ويحييهم العلم فيبني بعضهم على بعض . (للبحث بقية)

دعوة عرب الجزيرة العربية الى الوحدة والاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا. وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَلَا تَسْكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ. وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

ثبت في القرآن المجيد ثم في التواريخ التي دونها علماء العرب وغيرهم من الامم قديما وحديثا ومن العاديات (الانار القديمة) التي اكتشفت في افطار غتلعة أن العرب من أقدم أمم الارض حضارة وعمرانا ورسلا وشرائع حتى انهم استعمروا أقدم البلاد مدينة كمصر وسورية والمراق ، فلهم في حضارة الفراعنة والعينيين والكلدانيين المرق الراسخ ، والجد الشامخ ، فان لم تكن تلك الامم فروعا منهم ، فلها وشائج ارحام مشبكية بهم ، من قبل أن مزجها الاسلام بهم في الدين واللغة والنسب بألوف السنين .

فمن ذلك ما حكا في القرآن المجيد عن قوم عاد (ارم ذات المهاد) التي لم يخلق منها في البلاد) كقول نبهم هود في ميانهم وقوتهم (أتيتون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مسانع لعلكم تفلحون * وإذا بطلتم بطشتم جبارين) وقوله في نلهم وزرعهم وضرعهم (أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون) وبيانه لهم ان هذه النعم يزيدنا الرجوع الى الله بالايان وترك المعاصي نماء وقوة

(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويردكم قوة الى قوتكم) وما حكمه عن نوح وقول رسوله صالح لهم في تذكيره بنعم الله عليهم (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه) وقوله (أتتركون فيها ههنا آمنين * في جنات وعيون * وزروع ونخل طلمها هضيم * وتحتون من الجبال بيوتا فارحين) وما قصه لنا عن سبأ في سورتها كجنتهم عن اليمن والشمال ، وانصالحا بالقرى المباركة في أرض الشام ، ونظام السير المقدر بالاوقات وحفظ الامن فيها بالعدل والنظام ، وذلك قوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) وناهيككم بقصة ملكتهم مع نبي الله سليمان ، وكونها أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك في ذلك الزمان ، مع القوة والحكم بالشوري دون الاستبداد

ومن ذلك ما أثبتته الذين اكتشفوا آثار السكلدانيين في العراق وشرية ملكهم حمورابي من كون شريعتهم عربية ودولتهم عربية ، وهذا الملك كان كان يسمى ملك البر والسلام ، وفي سفر التكوين من أسفار التوراة ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أعطاه العشور اذ كان من رعيته وانه بارك ابراهيم . فدل هذا على ان ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله كان عربيا أيضا

ومن ذلك ما اكتشفه أحمد بك كمال العالم الاثري المصري من امتزاج اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) باللغة العربية الدال على أحد أمرين اما أن العرب وقدماء المصريين من عرق واحد ، واما أن العرب قد استعمر وامصر وحكوا فيها قبل دولة الرعاة العربية المعروف خبرها في تاريخ مصر فكان للفتهم الاثر الخالد في لغتها هذا المانع تاريخي وجيز لمدينة العرب وقوتهم وعمرانهم في التاريخ القديم منذ آلاف السنين وان في لغتهم الفنية الراقية الواسعة دلائل أخرى على ذلك متمدة المناهج واضحة المسالك

قد ضمنت الامة العربية بعد تلك القوة ، وبدت بعد تلك الحضارة ، وخرب مقام بلادها بعد ذلك العمران ، وغلبت عليها الامية ، وكادت تعمها الجاهلية الوثنية ، (فكأن من قرية أهلكتناها وهي ظالمة فهي غاوية على عروشها وبئر ممظلة وقصر مشيد * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وصم على هذا الضعف قرون وتماقت عليه أجيال ، حتى ظن القائلون أن هذه

الامة هزمت وقاربت الزوال ، فلا تقوم لها قائمة ولا يتجدد لها شباب ،
ثم جاء الاسلام لجمع شملها بعد فرقة وشتات . والف بين قلوب قبائلها
وأفرادها بعد عدواة تأرثت بها الاضغان وتحكمت فيها الثارات ، وأخرجها من
ظلمات الجاهلية والامية . الى نور العلم والحكمة والنظام والمدنية ، وجعل لها
المسكاة الاولى بين أمم الارض في السيادة والرياسة ، والكلمة العليا في الحكم
والسياسة ، فورثت ملك القياصرة والاكاسرة في الشرق ، وامتد سلطانها في
القرن الاول من حدود الهند الى المحيط الغربي وهو آخر ما كان يعرف من
الرياسة في الغرب ، وأحيت في هذه الممالك الواسعة العلوم والفنون وركت
الصناعة والزراعة ، وسلكت السبل الجديدة للتجارة . فسادت شريعتها جميع
الشرائع ، وعلت لغتها جميع اللغات ، وفاقته آدابها جميع الآداب
ولكن حظ جزيرتها من هذا العمران كان قليلا ، تم دبح اليها الخراب وعاد
أكثر أهلها الى البداوة والامية والجاهلية أو ما يقرب منها . بل صاروا دون
الجاهلية في بعض الصفات والمزايا حتى النافذة ، فأتى لبدو الجزيرة وحضرها في
هذا العصر بما يقرب من تلك المنفعة العاليا في النفاحة والبلاغة التي جعلت
لكتاب الله المعجز تلك المسكاة من عمومهم وخصوصهم ، حتى ان كان أحدهم ليسمع
السورة أو الآية منه فيخرج ساجدا ، وتتحول عقائده وأخلاقه وعادته
بهديته الى ضدها

عاد أهل الجزيرة الى جاهلية يضرب بعضهم رقاب بعض بعد ألف الاسلام
بينهم فكانوا بنعمة الله اخوانا ، ويرتق قويمهم بسلب ضعيفهم بعد كانوا يؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفرقوا دينهم فصاروا شيعة تكفر كل شيعة
منهم الاخرى أو تقسقا بعد تلك الوحدة المنظمة ، جاهلين أو غافلين عن قول
ربهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم (ان الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست
منهم في شيء) وما في معناه من الآيات والاحاديث .

ان هداية القرآن هي التي جمعت كلمة العرب على ما كان من تفرقهم وتماديهم
في الجاهلية ، وهي التي جعلتهم أمة الامم في العلم والحكم والآداب والعدل
في أثر اخرجهم من تلك الامية ، وما أصابهم ما أصابهم بعد ذلك من التفرق
والتعادي والجهل والفقر الا بتركها ، ولن تعود اليهم تلك انتمهم الا بعد دم
اليها ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ولكن وحي شياطين

التفريق . قد زين بخرق القول لكل فريق ، ان كل شريعة تجمعها رابا
مذهب فانما الواجب عليها ان تعمل بقول علمائه وحكامه ، ولا يجوز لها ان
تهتدي بكتاب الله وسنة رسوله ، وان اختلفوا في الرأي ، وتنازعوا في الام
خلافا لقوله عز وجل (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) وشبهتها
هذه المخالفة أن الاهتداء بكتاب الله المنزل ، فتح لباب الاجتهاد المقفل
فاختلفوا في أصل الاهتداء بالكتاب ، الذي أنزله الله تعالى لازالة الاختلاف
من غصن داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غص بالماء

ان الله تعالى أرسل رسوله لهداية خلقه (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين
الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بني
بينهم) فكيف يؤخذ بقول العلماء أو الامراء الذين يعني بعضهم على بعض ، فيما تنازعوا
واختلفوا فيه من الامر اذا لم يرجعوا الى الاصل الجامع ، ويحكموه في الخلاف الواقع ،
وهو يقول (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر) ثم يطل ذلك تعليلا ، بقوله (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي أحسن
هاقة وما آلا من كل ماعدها فكيف لا يكون خيرا من اتباع أهواهم ، في تحكمهم آرائهم ،
والرد الى أقوال زعمائهم وعلمائهم ، على أن هذا الرد الى كتاب الله وسنة رسوله وذلك
الاهتداء بهما لا يستلزمان لاجتماع الاصولي المطلق الذي أقبلوا بابه ، فقد كان
عوام السلف الصالح مهتدين بهما ولم يكن كل واحد منهم اماما مجتهدا في استنباط
جميع الاحكام ، كانتهم المشهورين وعلمائهم الاعلام

نعم ان الشيخ محمد عبد الوهاب قد جدد دعوة الدين في بقاع نجد ، فرجع
الالوف بها عما كانوا عليه من الجاهلية والشرك ورسدت تنشردعوته في جميع جزيرة
العرب التي يمتدح اصلاحها وجمع كادتها بغير الدين ، ولو تم ذلك لتجدد أمر
الاسلام في جميع أقطار المسلمين . ولكن حل دون ذلك فتنان (أولاهما) مقاومة
السياسة لها ، والاخرى غلو الكثير من القائلين بها ، فالاولى أذاعة الداسة في العالم كله
ان هذه دعوة ابتداع في الدين ، والغلاة أيدوا هذه الاذاعة بما اشتهر عنهم من الغلو
ولاصبا بكفر من هداهم من المسلمين ، ولهذا التهمة أصل ، وقد بينا الحقيقة في هذه

المسألة من قبل ، وغرضنا من الايام بذكرها الآن ، بيان استعداد العرب للصلاح والاصلاح بدعوة الايمان واذا قام بهامن يدعو اليها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن كما أمر القرآن ، وتذكير الغلاة من المتدنية بأن لا يغلو في دينهم ولا يقولوا على الله الا الحق ، ولا يحرموا ما لم يحرم الله ورسوله بالنص أو اقتضاء النص ، وان يفسدوا كل مخالف لهداية الدين بالتأول أو الجهل ، ويعتمدوا في بث الدعوة على نشر العلم والعمل به على قاعدة (يريد الله بكسر الهمزة ولا يريد بكسر المعسر) وان لا يكفروا أحدا من أهل القبلة بذنب ، وان يفرقوا بين الجهل بشيء مما يجب الايمان به عن جهل وان عد بعضه الفقهاء كفرا ردة ، وكفر العناد وتكذيب الرسول الذي كان عليه مشركو الجاهلية في زمن البعثة . فاذا علموا هذا وعملوا به لانتبت الفجرة ان تهم الجزيرة وقبرها ويسقط كل من يمارسها حرصا على الزعامة وحب الرياسة . هذا وان لما أصاب الجزيرة من الشقاق والشقاء سببا أصيلا وراء الخلاف الديني البني ، وهو حب الرياسة وعلو بعض الزعماء على بعض ، وصيبين عارضين وهما الجهل والفقر ، وازالة السيبين المارضين من الامور الكسبية القرية المثال ، وانما الشقاء كل الشقاء في الشقاق الناتج عن حب الرياسة والعلو وخطره المنذر بالهلاك والزوال ان في بلاد العرب من يتاييم الثروة ما يكفي لجعل أهلها من أفنى شعوب الارض كما مدن الذهب والحديد والحجارة الكريمة والاملاح والزيوت المعدنية وغير ذلك ، وفي كثير من أرضها قابلية لمصعب الزراعة يميز نظيره في غيرها ، وناهيك بجمرة الين ونخيل المدينة وفاكة الطائف ، وأهلها أركى الشعوب وأقواها استعدادا لتجارة حتى ان عوام الحضارة قد زاحموا بها أرقى شعوب هذا المصر علما وتجربة في بلاد الهند وجاوة ومصر ، فبقايل من العلم والنظام تدخل جزيرة العرب في حياة جديدة من الثروة والعمران وتحفظ نفعا من الخطر المحدق بها الآن ، ولكن ذلك يتوقف على ازالة العداء الذي طرأ على أئمتها في هذا الزمان

اذا زال الشقاق وأدبل منه الاتفاق بين أئمة الين والمجاز ونجد ، زال في أثره ما نبتت به البلاد من الجهل والفقر ، وما يتهددها من فقد الاستقلال والذل ، واذا حل بالجزيرة ما جملة الله تعالى بسنته في البشر ، عقابا لازما لاهل التنازع والفشل ،

يذل الاسلام ويذل ساططه من رءوس صائر الامم، وتكون تبعه ذلك على أمراء الجزيرة وأئمتها، وما يقان بأحد منهم انه بحسب أن بلاده بأمن من سيطرة الاجانب قوتها، أو بحررها ودهورتها، اذ لم يبق (فيما أظن) منهم من يجهل أن الاجانب قد استولوا على ما هو مثاها أو أشدها قوة، وألغى حرا وأصعب وعورة، على انه ليس مثلا في كونه جزيرة أو شبه جزيرة، فهذه البلاد يمكن للدول البحرية حصرها من البحر، ومنع السلاح عنها وقطع موارد الرزق، ولا سيما اذا ثبتت سيطرتها على بلاد سورية والعراق، التي يسهل حصرها أيضا اذا هي نجت من تلك السيطرة ولبتدكروا جبينها ما أوصى به النبي (ص) في مرض موته بشأن جزيرتهم، وحكمة ما أشار اليه من ان الاسلام صبارز اليها كما تارز الحية الى جحرها وتطبيق ذلك على ما صار اليه أمر المسلمين الآن ان بقاء عز الاسلام يتوقف على استقلال العرب واصلاح شؤونهم كما ثبت عندنا بالنظر الصحيح، المؤيد لحديث جابر عند أبي يعلى بسند صحيح، وهو: «عليه الصلاة والسلام» اذا دلت العرب ذل الاسلام «ولا هن بغير استقلال ولا استقلال الا بالقوة والمال، ولا قوة ولا ثروة، مع الشقاق والفرقة، وإنما كل القوة بالاعتصام والوحدة» فإذا انحدر أمراء الجزيرة وأئمتها جفتوا استقلالهم وأمكنهم نشر العلم وتجبير بنيانهم الثروة في بلادهم، بمساعدة أهل البصرة والقادر على تنظيم الادارة والقوة وتدير الثروة من أمنهم، وتناقت الشعوب الغنية الفة الى موادهم أو مصانعتهم، للاستفادة من قوتهم وثروتهم. بل هي على وشك الاختيار اليهم منذ الآن، لما بين غربي أوربة وشرقيها من المقارعة والصدام، الذي يتوقف نتيجة ما يكون عليه الشرق من حكم ونظام، ولا سيما شعوب الاسلام، من العرب والترك والفرس والتتر والافغان

هذا ما أحكيه لهم عن رأي أهل البصرة والدين، من عقلاء العرب وعلما المسلمين، الذين ينفسون الصعداء حزنا، ويحرقون الأرم فيظا واسفا، كلما صرخ اسماءهم نبأ تقاتل أئمة الجزيرة، للتنازع على بعض الجبال والادوية، مع خراب البلاد، وقهر الصياد، الذين يزيلها الاتفاق والاتحاد، ويزيدها الاقتراق والجلاذ، وأنني لسان صفوة المخلصين من عقلاء العرب وغيرهم من المسلمين، أدعوم الى عقد الاتفاق والحلف بينهم على الاصول الآتية :

- (١) ابطال الحرب والغزو بين عرب الجزيرة بعضهم مع بعض وحل مشكلات الخلاف بالتحكيم ولو بصفة هدنة مؤقتة الى أن يوضع لبلاد نظام حلقي ثابت
- (٢) حفظ امانة الحاضرة باعتراف كل حكومة مستقلة في قسم الجزيرة باستقلال سائر الحكومات الموجودة فيها اليوم وترك مسائل الحدود الى مجلس التحكيم بحيث لا يعد اعتراف بعضهم باستقلال بعض متضمنا للرضا بالحدود المختلف عليها
- (٣) حرية المذاهب الدينية الموجودة في البلاد في التعليم والعمل والدعوة بشرط عدم طعن أحد في مذهب غيره أو تكفير متبعيه بل ينبع في ذلك قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فلكل أحد أن يبين بالدليل أو بنصوص المذهب المعتمدة أحكام الدين والكفر والجلال والحرام ولكن ليس له أن يطبقها على طائفة معينة من أهل القبلة لأن التطبيق له شروط ولا يمتد في شأن الطوائف والجماعات التي تقبم الشماز الاسلامية بل ليس لغير الحاكم الشرعي في الدعوى الشرعية أن يحكم بكفر شخص معين يدعي الاسلام ويقتله بذلك

كما ينقل عن بعض الفلاة في بعض البوادي قرب قائل قول أو فاعل عنه بعض العلماء كقرا دلالاته عندهم على عدم تصديق الرسول وقائل القول أو فاعل الفعل من المؤمنين الموقنين ولكنه جاهل أو متأول ولو ظهر له الحق في المسألة لقبه مذهبا ورجع عما كان عليه ثابتا مستغفرا

(٤) حرية التجارة وحفظ الامن في البلاد ونسبيل طرق المواصلات بينها وتنظيم مصلحة البريد والبرق والمبادرة الى انشاء تليفراف لاسلكي في البلاد ولاسما عواصمها (٥) ارسال كل حكومة مبعثدا الى عاصمة الاخرى يكون وكلاهما عندها كما

هو المهود بين جميع الحكومات التي بينها عهود ولها مصالح في بلاد الاخرى (٦) بمد حصول هذه التمهيدات يتألف لهذه الحكومات مجلس حلقي يكون هو المرجع في حل جميع مسائل الخلاف ووضع الحدود بين البلاد وجميع ما يتعلق بحفظها وترقية شؤونها. وانما متى رأينا من أئمة اليمن والحجاز ونجد وشروها في تنفيذ هذا العمل الذي دعوا اليه جميعا قبل أن تشد الحاجة اليه بوقوع الحرب العظمى وكثر الحديث فيه - فن عقلاء الأمة العربية في سائر البلاد وأهل البصرة من مسلمي الاعاجم يمدونهم بأرائهم السديدة ومساعدتهم الرشيدة في تنفيذ الاتفاق الحلفي ونظام مجلسه وسائر ما يحتاجون اليه في ذلك وفيما يترتب عليه من ايجاد وسائل العروة في البلاد فيا لها الأمة المتبعون في بلادكم انكم تعاملون انكم مسئولون عند الله تعالى عن كل ما ينطبق بأمر البلاد وأهلها واملكم لانما يحق العلم قدر اهتمام شعبكم العربي في غير بلادكم واهتمام جميع عقلاء الشعوب الاسلامية الاخرى بأمركم وما يقولون عنكم كما بلغهم شيء من ابناء اختلافكم وتقاتلكم ، وما يشنون لكم من السعادة وحسن الحال الذي يمدونه من اسباب سعادتهم ، وما يكدون اليوم في تاريخكم ، مما ينشر قريبا في عسركم ، مصححا لما تنشره الجرائد عنكم ، الا فاعلموا أن جميع العقلاء منهم ومن غيرهم يعلمون باليقين ان اتفاقكم خير لكل منكم وان بناء هذا الشقاق بينكم أكثر من صواب طلبكم وعلى شعبكم وأمتكم ومنتمكم (فقول الله واصحابها ذات سيكم) والسلام على من تبع هدي ، ورجع لمصلحة العامة على الهوى

الخيال في الشعر العربي

يرتفع شأن الشعر وتقضي لصاحبه بالبراعة والتفوق على غيره بتقدير ما يحرز من بناء محكم ومعنى بديع . وقد حلق فلاسفة الادب انظارهم الى الوجوه التي تملك بها المصاني شرف منزلتها وحسن طالعها ، أو تأخذ منها الالفاظ متانة نسجها وصفاً ديباجتها .

ومن أجل الفنون التي يرجع النظر فيها الى جهة المعنى صناعة التخيل ، وهي الغرض الذي جردت القلم للبحث عنه في هذه الصفحات متمركزاً أسلوباً لا يشتكي منه القارئ طولاً ولا قصراً .

ولا ادعي أن هذا الفن مما ضل عن أولئك الفلاسفة فلم يرجعوا على مكانه ، أو غضب عليهم مراسه فلم يسوسوه بفكر ثاقب وبيان فاضل ، فإن كثيراً من علماء البلاغة قد ولوا وجوههم شطره حتى توهغوا في طرائقه ، وكشفوا النقاب عن حقائقه ، ومن أبعدهم نفوذاً في مسالكه الفاضلة وأسدهم ذوقاً في نقد معانيه وتعيين جيدها من رديثها الامام عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز .

وما كان لي سوى أن أعود الى مباحثه المبنوثة في فنون شتى فاستخلص قدر ما نفع به الحال لبائها ، وأولف بين ما قطع من أسبابها ، ولا تجديني أن شاء الله أحكي مقالهم دون أن أعتمد بناصيته أو أثبت خلاله أو أضع في ردفه جملاً تلبسه ثوباً قشياً أو نثفخ فيه روحاً كانت هادئة

الشعر

يعرف العربي في جاهليته كما عرف بعد أن نسل اليه العلم من كل حذب أن الكلام ينقسم الى شعر ونثر . والميزة المحسوسة لكل أحد أن الشاعر لا يحنو عليك الالفاظ جزافاً مثلاً يفعل الزائر ، وإنما يلقيها اليك في أوزان تزيد في روعة ، وتوفر لذلك عند سماعها ، ومن هذا ذهب بعضهم في حد الشعر الى أنه كلام مقفى موزون . وهذا مثل من يشرح لك الانسان بأنه حيوان يادي البشرة منتصب القامة . فكل

ما قصر تعريفه على ما يدرك بالحاسة الظاهرة ، ولم يتجاوزوه الى المعنى الذي تقوم
الحقيقة ويكون مبدأ لكمالها ، وهو التخيل في الشعر والنطق في الانسان
فالروح التي يمد بها الكلام المنظوم في قبيل الشعراء هي التشابه والاستعارات
لامثال وغيرها من التصرفات التي يدخل لها الشاعر من باب التخيل . وليس
زن سوى خاصة من خواص اللفظ المنظور اليها في مفهوم الشعر بحيث لا يسميه
رب شعرا الا عند تحقيقه ، واطلاق الشعر على الكلام الموزون اذا خلا من معنى
ستطرفة النفس لا يصح الا كما يصح لك أن نسي جثة الميت انسانا ، أو تمثال
لميوان المقترس أسدا

والمشور من الكلام يشارك الشعر في اشتغاله على الصور الخيالية ولكن نصيب
شعر منها أوفر ، وهو بها أعرف ، كما يمتاز بأحد أنواع التخيل وهو مالا يتوخى به
ما حبه وجه الحقيقة ، وإنما يقصد به اختلاب العقول ومخادعة النفوس الى الثبوت
فبحر حق يدعوك كما قال ابن الرومي الى أن تطوي جناحك على جذوة من الحقد
وما الحقد الا توأم الشكر في القتي و بعض المزايا يتسبب الى بعض
نحيب ترى حقدًا على ذي إساءة فتم ترى شكرا على واسمي القرض
وقال آخر — بزین لك أن تدرج نفسك في كفوف الذل وتواربها في
حفرة من الخول

لقد بالخول وعذ بالذل معتصما بالله تنجو كما أهل النهى سلوا
فالربح نعلم ان هبت هواصفها دوح التمار وبنجو الشيخ والرئم
ولاختصاص الشعر بهذا النوع من التخيل أطاق بعض المشركون من العرب
على الرسول صلى الله عليه وسلم اسم الشاعر ليقوا في أوهام السذج أن كلامه من
نوع ما يصدر عن الشعراء من الاقوال الموهمة والتخيلات الباطلة
فهم يملكون أن القرآن بريء من التزهة التي عهد بها الشاعر وهي عرض الباطل
في لباس الحق ولانه انما ينطق بالحكمة ، ويجادل بالحجة ، ولا يخفى عليهم أنه يخالف
الشعر في طريقتهم ، فان للشعر هروضا يقف عنده ووزنا ينهي اليه ، والقرآن بصوغ
الموعظة وينطق بالحكمة بغير ميزان ، ولكن ضافت عليهم مسائل الجدال وانسدت في

وجرحهم طرق المعارضة ، فلم يبالوا أن ينشثوا بالدعاوي التي يظهر بطلانها الاول رأي ، كما قالوا عنه انه مجنون ، وهم يشهدون في انفسهم انه اليقظ قولاً واقوام حجة وانطقهم بالحكمة

وأما الآيات التي وافقت بعض الاوزان فهي على سلامتها من بهرج التخيلات لانجد الموافق منها الموزون قد استقل بنفسه وأفاد المعنى دون أن تصله بكلمات من الآيات السابقة أو اللاحقة ، والكلام المؤلف من الموزون وغير الموزون لا يصح لاحد أن يسميه شعراً ليقدر به في قوله تعالى (وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون)

التخييل عند علماء البلاغة

ينقسم التصرف في الماني على ما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني الى تحقيق وتخيل ، والفرق بينهما أن المعنى الحقيقي ما يشهد له العقل بالاستقامة وتتضافر العقلاء من كل أمة على تقريره والعمل بموجبه كقول المتنبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

فدعى هذا البيت مما تلقاه العقلاء بالقبول ، ووضعوه بمقدمة ما يشافسون فيه من الحكم البالغة ، وكذلك اتخذوا الامراء الراشدون قاعدة يشدون بها ظهر سياستهم ، ويسندون اليها في حماية شعوبهم ، ومن الذي يجهل أن حياة الامم انما تنظم بالوقوف في وجه من يتهاون به السفه على هدم شرفها والاصطناع بمقوقها ؟

والتخييل هو الذي يرده العقل ، ويقضي بعدم انطباقه على الواقع ، اما هل البدية كقول بعضهم

لوم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

فكل احد يدرك لاول ما يطرق سمعه هذا البيت أن الكواكب لا تنوي ولا تأتلق ولا تخدم ، وأن تلك النجوم المتناسقة في وسط الجوزاء مركبة فيما من قبل أن يصير المدوح شيئاً مذكورا

أو بعد نثار قبل كقول أبي تمام

لاتكري صطل الكريم من النفي فالسبل حرب لا مكان العالي

أتمى الحاشية في صدر البيت عن انكارها لفاقدة الكرم وفراغ يده من المال واشهر في المعجز بأن السبيل لا يستقر على الاماكن المرتفعة . وهذا المعنى في نفسه صحيح ولكن الغاء في قوله « فالسبيل حرب » افصح بأن السبيل في عدم توفره على الدنيا لذى الكرم هو كون الماء اذا وقم على الاماكن العالية لا يلبث أن ينحدر الى ما انخفض منها من وهاد وأغوار ، وهذا اما وصل الى الذهن بتخييل أن رفعة القدر بمنزلة المكان الحسي وان المال بمنزلة الماء الدافق ينساق الى الرجل فيقضي منه وطره ثم يرسله ان شاء الى بني الحاجات ، فيكون القول بأن مكانة الكرم لا تقاتل جعلت المال يمر على يده ثم يطلق بالبدل والاتفاق يعتقد الى ان الماء لا يتجمع على ما صعد على وجه الارض من أكمت وهضاب ، وهذا القياس ضرب من التخييل لا يجوز في العقل الا ربما ينظر الى ان السبيل في عدم استتار الماء على الاماكن العالية كونه جرما صيالا لا تتماثل اجزائه وثبت في محل الا اذا أحاط بجوانبه جميع كئيف ، وليس للدرام والثناوير هذه الطبيعة حتى يلزم أن تمر على يد الكرم ثم تصب منها الى من كانوا ادنى منه منزلة

ويفهم من وجه التفرقة بين القسمين أن مجرد الاستعارة عندم لا يدخل في قسم التخييل وقد صرح الجرجاني بهذا في كتاب اسرار البلاغة ناظراً الى ان المستعير لا يقصد الا اثبات معنى اللفظة المستعارة حتى يكون الكلام مما ينبوعه العقل ، وانما يعمد الى اثبات شبه بين امرين في صفة ، والشبه من المعاني التي لا يباين العقل في صحتها التخييل عند الفلاسفة

يقول الفلاسفة ان من بين القوى النفسية قوة تتصرف في صور المعلومات بالتركيب تارة والتفصيل مرة أخرى ، ويسمونها فلاسفة العرب اذا لم تخرج عن دائرة العقل مفكرة ، ويقال في عملها تفكر ، فان تصرفت بوجه لا يطابق المنطق الصحيح سموها مخيلة ، ويقال في عملها تخيل أو تخييل . فتعال ما يأخذ من العقل مأخذ القبول قول القاضي عياض

انظر الى الزرع وخاماته تحكى وقد وات امام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

فالشاعر التف الى ما في حافظته من الصور المناسبة لماء زرع أخضر يتخلله

شفائق النمان وقد أخذت الرياح نهب عليه من جانب فيميل الى آخر ميلانترامى
للعين انه حركة ينتقل بها من مكانه ، فوق خياله على الجيش والملابس الخضراء
والجراحات التي تنال الجيش المقاتل فألف بينها ثم جعل صبره ادباراً وانهراما ليوافق
حالة جيش ظهرت فيه الجرحى بمقدار ما في المزارع الخضراء من شفائق النمان
ومثال مالا يثق به النظر ولا يدخل في حساب الاقوال القائمة على التحقيق

قول الشاعر

ترى الثياب من الكتمان يلمحها نور من البدر أحياناً فيليبها

فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالما فيها

ابصر معاجر من يتحدث عنها وقد اخلت لحاول ان يلتصق وجهها بحمل ذلك
الاخلاق من شواهد حسناتها أو بسد فم العاذل حتى لا يفض من شأنها فتصور طلمة
القمر وانساق اليه ما يدور بين الناس من أن الثياب التي يمج عليها القمر أشعثه يسرع
اليها البلى ثم ادعى مبالغا في التشبيه أن وجهها قمر وبني على هذا أن تعجب ممن ينكر
تأثيره في معجزها بالاخلاق، ففي هذا التصرف ادعاء أن وجهها قمر وهذا بما يألفه العقل
لانه بمنزلة التشبيه ولا مفرد من قبوله متى تحقق الوجه الجامع بين طرفيه والمعنى الذي
للعقل أن يلتفت منه انما هو دعوى ان معجزها اخلق بعله كونه مطلقا لوجهها المسمى
بالقمر على وجه المجاز

ماذا تريد من التخيل ؟

يفهم من صريح المقالة الفلسفية أن المفكرة والتخيلة امكانات واحدة وهي التي
تصرف في المعلومات بالتفصيل والتركيب وانما تميز اسمها بحسب اختلاف الحال
فبئذ ما يكون زمامها بتصرف العقل بسمونها مفكرة وعندما تنفقت منه بسمونها تخيلة
واذا عرفت أن التخيل والاستعارة من عمل هذه القوة باتفاق علماء النفس فهو
جري طائفة من الناس على اطلاق التخيل أو الخيال عند ما تصرف هذه القوة
تصرفا تصوغ به معنى مبتدعا سواء أنس به العقل أو نجح في علم يكونوا صنوا شيئا
سوى تغيير الاصطلاح وادخال القديم تحت اسم واحد
(المار: ج ٢) (١٩) (المجلد الثاني والمشررون)

واما ان لفظ التخييل أو الخيال في صدد الحديث على المعاني الصادقة والتصورات المقولة لا يحط من قيمتها أو يمس حرمتها بتيقصة فإن عباء البلاغة انفسهم قد اطلقوه على ما يأتي به البليغ في الاستعارة المكنية من الامور الخاصة بالمشبه به ويشبهه للمشبه فقالوا الاظفار أو اضافتها في قولك « انشبت المنية اظفاراها » تخييل أو استعارة تخيلية واطلقوه في الذم والفرار والوصول حين تكلموا على الخاتم بين الختمين وتسموه الى عتلي ووهي وخبالي والظفر وفي فن اليديع على تصوير ما سيظهر في العيان بصورة المشاهد ولم يبالوا في جميع ذلك ان يعبروا لها امثلة من الكتاب المزبور وغيره من الاقوال الصادقة فيسوغ لنا حينئذ ان نساير اجزاء العصر وتوسع في معنى الخيال والتخييل ولا نقف عند اصطلاح القدماء من الفلاسفة أو علماء البلاغة حيث خصوا بها مالا يعادق عليه العقل والحكمة وفي الاصطلاح ما دامت الخفائف قائمة والمقاصد ثابتة بحالها لا يبعد عن تبديل العبا وقيل هو الاسلوب . سر

يقول الناس عند ما يسمعون بيتا أو آياتا لاحد الشعراء : هذا خيال واسع أو هذا تخيل بديع . فيفهم السامع لهذه الكلمات وما يأتاها ان اصاحب هذا الشعر قدرة على سبك المعاني وصرغها في شكل بديع ، ولو قالوا « ما أضيق هذا الخيال أو ما اسخف هذا التخييل » فجزى الله الشاكرين . فبقدرته على انخراج المعاني في رتبة محكمة يصبح لنا الذين يأتون هذا المعنى الذي يعرض في الذهن عند سماع تلك الجمل ونشرح به معنى التخييلة فيقول هي قوة تعصر في المعاني التي تتزعزع منها صورة بديعة وهذه القوة اما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقتهم من طريق الحس أو الوجدان ، وليس في امكانها ان تبدع شيئا من عناصر لم يتقدم للتخييل معرفة بها . ومثال هذا من الصور المحسوسة أن قدماء اليونان رمزوا الى صناعة الشعر بصورة فرس له جناحان وهي صورة انما انتزعوها الخيال بعد ان تصور كلا من الفرس والطير بانفراده وقد يجوز في خاطرك عند ما نمر على قول امرئ القيس

ايقاني وانشر في مضاجعي ومناوة ررق كأنيا ب اقوال

ان هذا الشعر قد تخيل لاغوال وانبه ولم نسبق له معرفة بها اذ لا اثر للعول وانيا بها ولا لشيء من موادها في العيان فبلوح لك ان هذا يتدح في قولنا ان الخيلة

لا تؤلف الصور الا من مواد عرقها بوسيلة الحس أو الوجدان
والذي يكشف الشبهة ان كلا من القول وانباها صورة وهمية ولكن لم يحدتها
الخيال من نفسه بل اخذ من الحيوانات النظمية المنظر اعضاء متفرقة وأنسابا حادة
وتصرف فيها بالتكبير ثم ركبها في صورة رائعة وهي التي تخطر على الذهن عند ما يذكر
اسم الغول ، حتى ان الناس لا ينفقون فيها أحسب على تصور هذا الامر الموهوم
فكل يخطر له المعنى في أبشع صورة يتمكن خياله من جمعها وتلفيقها
فناية ما صنع الشاعر ان يخيّل امرا محسوسا وهي النصال المحددة في صورة أمره وفي
نفسه خيالي أيضا ولكن صورته مأخوذة من مواد كان يعرفها من قبل بطريق الرؤية أو السماع
وتعتمد المحيلة على قوة التذكر وهو تداعي المعاني وخطورها على الذهن بسهولة
وبعد ان تتراعى لها الصور بوسيلة التذكر تستخلص منها ما يلائم الفرض فتفصل
الحاشرات عن أزمنتها أو امكنتها أو ما يتصل بها مما لا يتعلق به القصد من التخيل ،
ثم تعترف في تلك العناصر بمثل التكبير أو التصغير وتأليف بعضها الى بعض حتى
تظهر في شكل جديد

تداعي المعاني

ترجم الاسباب التي تجمع بين المعاني وتجمعها بحيث يكون حضور بعضها في
النفس يستدعي حضور بعض الى ثلاثة أنواع
(اولها) اقتران المنهيين في الذهن حيث يكون تعلقهما أو احساسهما في وقت واحد
أو على التعاقب ، ومن هذا تذكر الوقائع عندما يحظر بالبال مكانها كما قال ابن الرومي
وحبب أوطان الرجال اليهم ما رب قضاها الشباب هنالك
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم جهود الصبا فيها فحنوا لذلك
أوزمانها كما قالت الخنساء

يذكرني طلوع الشمس صخرا واذكره بكل مفيب شمس
وخصت هذين الوقتين بالتذكير لانهما مظهر لعالمين عظيمين من أعمال صخر
اذ كان يقدو للاغابة التي هي مظهر الشجاعة عند مطالع الشمس ويسأل العالم
اكراما للضيوف وقت الغروب

ومن هذا الوجه نشأت التكنيات وبعض أنواع الجوار المرسل أما التكنيات فلا لها الدلالة على المعنى باسمه ، بل لارمه في الخارج . وضح هذا نظراً الى ان حضور المعنى الموضوع له اللفظ يستدعي حضور لارمه في ذهن المخاطب كقول الحسين بن الحام

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا نقطر الدما

أراد الشاعر أن يفيد نباتهم في مواقف الحروب وأنه لا يلتفت بهم الشرع من الموت الى سبب الهزيمة فغير عن هذا المعنى بأن دماهم لا تنقر على أعتابهم البتة ، وهذا يقتضي أنهم لا يولون العدو ظهورهم حتى ينالها بسيفه كما ان معنى قطر الدماء على الاقدام يذهب بالسامع الى معنى أنهم يستقبلون العدو بوجوههم الى ان ينالوا ظفراً أو يلاقوا موتاً شريفاً

وأما بعض أنواع الجوار المرسل فكما تلاحظ اسم الحال على المحل والسبب على المسبب والكل على الجزء وعكسها ، ومداره على ان ذهن المخاطب ينتقل الى المعنى المراد بسهولة حيث كان بينه وبين المعنى الحقيقي مناسبة تقتضي تقاربهما في الذهن لان ادراكهما كان في وقت واحد كالحال والمحل والكل والجزء أو على التعاقب كالسبب والمسبب

(النوع الثاني) من الاسباب التي تتلاحق بها المعاني في الذاكرة التباين فان الصور التي يكون بينها تضاد لا يكاد بعضها يتخلف عن بعض ، فمن تصور الشجاعة خطر له معنى الجبن ، ومن مرت على باله الصداقة انشاق اليه معنى العداوة ، ولهذا أدخل علماء البلاغة في وجوه الوصل بين المثلتين ما يقوم بينهما من التضاد في المعنى وساقوا في أمثله قوله تعالى (ان الارار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) وان شئت مثلاً من الشعر فقول المتنبي

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وانني وبياض الصبح يغري بي

ومن هذا الوجه أيضاً ندح لهم ان يعدوا في علاقات الجوار المرسل الضدية (النوع الثالث) التشابه وهو ان تكون بين المعنيين تماثل في بعض أمور خاصة كمن يرى الرجين المقدام فيصور الاسد ويسمع الاناث البليغة قد تدرجت في أسلوب تحكم فيذكر الدرر المتناسقة في اسلاكها . وعلى هذا النوع يقوم فن التشبيه والاستمارة المدين هما أوسع مسمار تتسابق فيه قرايح الشعراء والكتاب

لماذا تختلف الأفكار في تداعي المعاني ؟

تختلف الناس فيما يتداعي اليهم من المعاني الى ان ترى دورا تتوارد على شخص متعاقبة وهي في خيال آخر لا تتقارن البتة ، قال أحد الفلاسفة اني لا أسأل عن السبب في ان معنى من المعاني يدعو آخر ويأخذ بناسيته ولكنني أبحث في تبي آخر وهو ان المعنى الواحد قد يختلف تواليه باختلاف الاشخاص ، ثم قال ويمكن الجواب عن هذا بأن الناس يختلفون في ميولهم وشبه وجهتهم في الحياة ، فكل معنى يدعو لساحبه ماهو الصق بميله وأقرب الى نفسه

وايضاح هذا الجواب ان توالي المعاني يختلف باختلاف الاشخاص لاجل سببين (الاول) ان الدواعي والمواطف النفسية لها مدخل في تجاذب المعاني واسترسالها على الخيال ، فالطمع أو الحاجة أو الرهبة مثلا تستدعي المعاني العائدة الى المديح أو الاستعطاف ، والغرام يستدعي المعاني الغزلية ، والكآبة والاسف يستدعيان معاني الرثاء أو الشكوى ، والسرور يستدعي المعاني اللائقة بالهناء ، والاعجاب بالنفس أو المشيرة يستدعي معاني الفخر والحماة ، فالراهد في الدنيا لا يسع خياله من معاني الاطراء والملق ما يسعه خيال الخريس عليها ، والخالى من عاطفته الغرام ، لا يحظر على قلبه من معاني التشبيب ما يحظر على قلب الشجي المستهام

(الثاني) ما يتفق للانسان في طرز حياته وهو حل المحيط الذي يتقلب فيه فيتم الى على خاطر الناشئ في النعيم والترف ما لا يتوالى على خاطر الناشئ في حال عسرة وبؤس . ويحضر في نفس من شب في الحاضرة ما لا يحضر في نفس الناشئ في البادية ، وينساق الى خيال الناشئ في شمال المسمورة ما لا يدخل في خيال الناشئ في جنوبها ، فالمقيم في شمال أوروبا مثلا يذكر الشتاء فتقارنه صورة الثلج وليس بينهما في ذهن المقيم بالجنوب اقتدار واقفال تقمة مشاهدته لثلج أو عدم وقوع نظاره غايه طول حياته . ولو نظر الى الهلال رجلا في هذا نشأ في الحلية والاخر اتخذ الحصاد حرفة فانشأ ان يتداعي الى اول صورة السوار ويتقل منه الى المعصم أو العياغة ويتداعي الى صورة سارية المنجل وينتقل منها الى الزرع أو الحماة (يتبع) محمد الحضر التودسي

محاربة البدع

تنمية الرد على المعارض على فتوى شيخ الازهر

قول القمى الرازي في اسم الله الاعظم

(١) ذكر المعارض أن القمى الرازي قال في شرح البسطة من تفسيره ما نصه:
اختلف العلماء في الاسم الاعظم ويرجع عندي أن (أه) هو الاسم الاعظم الذي
اذا سئل به أعطي وإذا دعي به أجاب لاشتماله على سر الإشارة وتكوين الكائنات
وظهور التبعيات .

وقال الحافظ ابن حجر عنه أنه قل عن بعض الصوفية أن الضمير (هو) هو الاسم
الاعظم ونحن نقول هنا نص عبارته في تفسير القامحة في هذه المسألة ليطلع الناس أن
معارض المعارض اليه هو خلاف ما ذهب اليه وليعلم المعارض نفسه ان ما اعتمد من
كتب أهل الطريق في هذه المسألة لا يوثق بنقلها ولا يعلم أهلها فقول

ذكر الرازي في المسألة الحادية عشرة من الباب الثالث من أبواب تفسير
البسطة ان الاسم الموضوع لذات الخالق واجب الوجود يجب أن يكون أعظم الالهة
وأشرفها قل وهو المراد من الكلام المذكور الواقع في الالمنة وهو اسم الله الاعظم
ولو اتفق للملك مقرب أو بي مرسل النورف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تمحلى له
معناه لم يبعد أن يطبسه جميع عوالم الالهانية والروحانية . ثم قل:

(المسألة الثانية عشرة) القائلون بان الاسم الاعظم موجودا اختلافا فيه على وجوه
وذكر أن (الاول) ذو الجلال والاكرام وضمه (والثاني) هو الحلي القيوم وضمه (والثالث)
قول من يقول اسماء الله كلها عظيمة لا يجوز وصف واحد منها بأنه أعظم وضمه (وقول
ان ذكره سهل لان التقسيم والا قول شافعي الاسم الاعظم والماتين به) ثم قل

(القول الرابع) ان الاسم الاعظم هو قولنا (الله) وهذا هو الاقرب عندي لانه
سليم الدلالة على أن هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه وإذا كان
كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة اه بمره من الصفحة ٦٢ من الجزء الاول

المطبوع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ ومنه يعلم بعض الفرق بين الرازي والحافظ ابن حجر في سمة الاطلاق

ثم إن الرازي جعل الاسماء الالهية بحسب دلالتها على ما وضعت له أقساماً فصاها في أبواب وفصول وجعل الفصل التاسع من الباب السابع (في الاسماء الحاصلة لله تعالى من باب الاسماء المضمره) وهي انا وانت وهو - عند ما تم في الكلام دالة على الله تعالى ، وقد أطال في هذا الفصل الكلام في الضمير «هو» بكلام جله من نظريات الصوفية والفلاسفة وذكره احدى عشرة فائدة واستنبط به ذلك ان الذكر به أعظم الاذكار ولكنه لم يقل انه هو الاسم الاعظم ولعله صرح به في كتاب آخر من كتبه . ولكنه لم يذكر أن (أه) من أسماء الله تعالى البتة .

واستنباطه هذا مردود شرهاً فانه لم يرد في الكتاب ولا في السنة الذكر باسماء الله تعالى مفردة غير واقعة في كلام مركب له معنى ، والضمير «هو» ليس من أسماء الله تعالى ولا يدل بنفسه على ذات الله تعالى ولا على صفة من صفاته وإنما يدل على ذلك كما يدل على غيره اذا وقع في الكلام ضميراً راجعاً اليه . وبحسن أن نذكر نظريته ونبين بطلانها وما خصها أن نداء الله تعالى بكل اسم من اسمائه يدل على وصف يتضمن الدعاء والسؤال المتناسب لمعنى ذلك الاسم فمن قال يا رحمن كان معناه ارحم ومن قال يا كريم كان معناه أكرم الخ ثم قال « وقد بينا أن الذكر إنما يعظم شرفه اذا كان خالياً عن السؤال والطلب اما اذا قال يا هو كان معناه خالياً عن الاشعار بالسؤال والطلب فوجب ان يكون قولنا «هو» اعظم الاذكار » اهـ

وتقول ان هذا الكلام باطل مقدماته ونتيجته فليشأ أشرف الاذكار ما كان خالياً عن دعاء الله تعالى وسؤاله بل الدعاء أعظم العبادة كما صح في الحديث «الدعاء هو العبادة» وقرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) رواه احمد وابن أبي شيبة والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة والحاكم من حديث الترمذي ابن بشير مرفوعاً وصححه الحاكم والترمذي وأبو يعلى في مسنده من حديث البراءة وهو على حد حديث «الحج عرفة» رواه احمد وأصحاب السنن وصححوه ومعناها ان معظم الحج وركنه الاعظم عرفة ومعظم العبادة أو روحها ولبابها الدعاء . وبفسره

حديث أنس « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي من طريق عبد الله بن لهيعة قاضي مصر ومحدثها وعالمها وفيه مقل معروف ولذلك جمعه الحافظ مؤيدا لا ذكرناه في تفسيره بعد أن هراه إلى المجهور وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وفيه « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » ولما كان الدعاء ركن العبادة الاعظم ومطلبها ومختصاها يطلق ويراد به العبادة مطلقا كما قاله في تفسير كثير من آيات القرآن حتى صار بعض الناس يظن ان الصيام يسمى دعاء مثلا . وقد قال الله تعالى (٧ : ١٨٠) والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) أفرايت من عمل بهذه الآية فذكر الله داعيا له بلسانه خبر أم من ألحد في أسرار يقول : هو هو . أو يا هو يا هو ، وهي عبادة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا رويت عن السلف الصالحين ، وهي مع ذلك فاسدة في لغة الكتاب والسنة فان الضمير وحده لا يحسن كلاما لا يكون له معنى الا اذا وقع في كلام يكون له فيه مرجع ومثله ما اذا كان جوابا لسؤال يعرف فيه المرجع بالتقرينة ، ولا يدخل عليه حرف النداء ولا على ضمير مخاطب الذي يوجه إليه النداء . فلا يقال يا أنت وحرف النداء يضمن معنى الدعاء أو النداء وبوول بالفعل ولذلك جعلوا النداء من المنصوبات وكل من أنت وهو ضمير رفع منفصل

ولو صح نداء الغائب من الخلق وعهد في كلامهم بالضمير المنفصل أو غيره لما كان ذلك بالذي يصح في نداء الخالق الذي لا يفتي عنهم وقد روى الشيخان وأصحاب السنن الاربعة من حديث أبي موسى الاشعري قال : كنا مع النبي (ص) في سفر فحمل الناس بمجهور بالتكبير فقال النبي (ص) « أيها الناس انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، انكم تدعون سميما قريبا وهو معكم » والصرفية الصادقون المأهون أجدر من غيرهم بتلاخضة هذا الشهود والحضور والرازي رحمه الله لم يكن صوابا وانما ينقل كلامهم ويصرف فيه . ولو سلمنا له قوله ان أشرف الذكر ما كان غالبا عن معنى النداء لما كان ذلك مستغبرا للتسليم له بعمل الله كبر بصير الغيبة — على فرض جوازه وصحته — هو الممتنع في تحصيل ذلك الذكر بل نقول حيث ان الممتنع ذكره تعالى باسمه الذي جزم هو تبعا

لأنه يور بأنه اسم علم للذات الواجب الوجود وإن جميع الأسماء الحسنى والصفات
العاليا تجري عليه ورجع هو أنه اسم الله الأعظم كما سبق النقل عنه وهو اسم
الجلالة (الله) ويتبع فيه المأنور فتجمله بكلمة التوحيد لا مفردا فقد قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم «أفضل الذكر لا اله الا الله» رواه الترمذي والنسائي
وابن حبان والحاكم بسند صحيح من حديث جابر بن عبد الله ثم يقول إن
القرآن قد جمل اسم الرحمن مرادفا لاسم الجلالة في عدة مواضع كقوله تعالى
(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إياما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وذكر في عدة
آيات في سياق الضر والعذاب في الدنيا والآخرة كقوله تعالى حكاية عن الناس
لقومه باتباع المرسلين (إن يردن الرحمن بضر) وقوله في حكاية انذار ابراهيم
لا ييه (إني أخاف إن يمسك عذاب من الرحمن) وقوله (قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا) وهذه أمدها عن التأويل

نظر الدين الرازي رحمه الله تعالى واسع الاطلاع ولا سيما في العلوم العقلية
ولكنه كثير الخطأ ولا سيما فيما يختص بعلوم السنة وآثار السلف وكلامه في
تفسيره المشهور كثير التعارض والتناقض وكثيرا ما تتبعه في تفسيرنا. وانا
نتقل هنا من كلامه ما هو حجة عليه فيما ذكره من تفضيل ذكر الله وتذاته
بضمير الغيبة وهو قوله في سياق رد قول جهن في مسألة اطلاق مثل كلمة شيء على
الله تعالى من تفسير قوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) قال :

الحق في هذا الباب التفصيل وهو انا نقول: ما المراد من قولك انه تعالى شيء
وذاة وحقيقة؟ ان عنيت انه تعالى في نفسه ذات وحقيقة وثابت وموجود
وشيء فهو كذلك من غير شك ولا شبهة. وان عنيت به انه هل يجوز ان
ينادى بهذه اللفاظ أم لا فنقول لا يجوز لاننا رأينا السلف يقولون يا الله يا الرحمن
يا رحيم — الى سائر الأسماء الشريفة، وما رأينا ولا سمعنا ان أحدا يقول :
ياذاة يا حقيقة يا مفهوم يا معلوم — فكان الامتناع عن مثل هذه اللفاظ في
معرض النداء والدعاء واجبا لله تعالى والله أعلم. اهـ

(ثم قال) المسألة الرابعة — قوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)
يدل على انه تعالى حصلت له أسماء حسنة وله يجب على الانسان أن يدعو الله بها
وهذا يدل على أن أسماء الله توقيفية لا استلاحية. وما يؤكده هذا انه يجوز ان
يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ولا ان يقال يا عاقل يا ملتبس يا فقيه «انتهى
(المبار : ج ٢ م ٢٢) (٢٠) (المبار : ج ٢ م ٢٢)

بنصبه، وتقول ومثله باهو ياعوفه لم يفته أحد من السلف الصالح ولا هرجائر
في لغة الدين، وأولى منه بالانكار «أه» فانه ليس من هذه الافة وإنما هو من
اللفة السريانية كما قيل.

نقول المعترض بن سائر العلماء

(٥) قد تبين مما تقدم ان نقل المعترض على فتوى شيخ الازهر عن صحيح مسلم
وبسندك الحاكم وعن المعز الرازي كذب، وبقي ما نقله عن حاشية الحفني على الجامع
الصغير وشرح المعري له وعن حاشية الشينخ الامير على متن غرامي صحيح وحاشية
الاجوري لاجرهرة فتقول فيه - أولاً - ان ما نقله عن الاولين هو في شرح حديث
الابن في المرض وقد عادت انه لا يصح وفي شرح حديث «امم الله الاعظم الذي
اذا دعي به اجاب واذا سئل به أعطي» هكذا ذكر المعترض ولم يذكر تسمية الحديث
وهي «دعوة يونس بن متى» وهذه التسمية تنفي ما يزرعه للمعترض، وهذا الحديث
عزاه السيوطي في الجامع الصغير الى ابن جرير عن سعد وبجانبه علامة الضعف،
وأورد قبله حديث «امم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب في ثلاث صور من
القرآن - في البقرة وآل عمران وبنو ه وعزاه الى ابن ماجه والطبراني والحاكم عن
أبي اسامة وعلم عليه السيوطي في جامعه باصحة وذكر غيره ان في سنده هشام ابن
عمار وهو مختار فيه على انه نص في خلاف ما يريد المعترض اثباته

أما ما ذكره المعري في شرحه للجامع الصغير فقد نقل عن الثماني عشر بن قولاني
الامم الاعظم أولاً بالكتابة وثانياً بالسماع المتأثر بالله عليه والمشرون الم ويكلم باقيا
عما أوردناه عن الحفاظ وليس فيها أن (اه) منها، وتبعه الحفني في ذلك
وأما كلامه في حديث الامم فقد قل لما دعي في شرحه له عند قوله «فان الابن
من اسماء الله تعالى» «هذه أي لفظ آه من اسماء الله تعالى لكن هذا لتداوله الصوفية
ربما ذكره الله ليس وأما يرويه له فبفت من حديث سعد

وأما الحفني عند شرح حديث في حاشيته على الجامع الصغير
(ص ٧٧ من الطبعة الاميرية) فقل عند قوله «دعوه يونس» أي بأن قوله آه وقال
عند قوله «من اسماء الله» أي من أسمائه الله كالضار والقميل فإذا تحيل

نمالي هل جده هذا الاسم حصل له الفخر ، والا فآه لم يرداه من اسمائه تعالى . ه
وأما الشيخ الامير قسنطيني بما ذكره في حاشيته على عبد السلام شارح الجوهرة
فقط قال هند قوله « الانين » ينبغي أن يقال آه لانه ورد اسمائه دون آخ لما قيل من
انه من اسماء الشيطان . ونقل الباجوري قوله هذا ولكنه لم يذكر صيغة التبريض في
كون آخ من اسماء الشيطان . وقول المناوي هو الصحيح لانه أعلمهم بالحديث والآثار
وبالتصوف على انهم كانوا يذكروا كلمة « آه » بالمد ولم يذكر أحد منهم قولاً ما في لفظة
« اه » التي يذهبها الممرض فقط كل ما قاله ولم يفده قول أحد منهم بل كاهم
حجة عليه لاله . فباليث شعري هل يرجع ذلك الشاذلي الممرض وأمثاله الى الحق
بلد ما تبين له أن كل ما استند اليه أهل طريقته في ذلك باطل عملاً بمنوان اعترافه
(الرجوع الى الحق فضيلة) الا اذا وافق الهوى التقليدي وان كان كذباً على الله
ورسوله وبخالفاً لما كان عليه السلف الصالح ومحققو الخلف في ذلك هـ

﴿ الرحلة السورية الثانية ﴾

٤

طرابلس والقلمون

ما حزنتي من سوء حال بلاد سورية الاجتماعية والادبية شيء كما حزنتي حل
طرابلس والقلمون حيث نشأت وترعرعت فقد كانت طرابلس خير المدن السورية
في العلوم الشرعية والادبية ، والعيشة الراضية الهنية ، كما كانت القلمون خير البلاد
الصغيرة في ذلك ، أو « سيدة القرى والمزارع » كما وصفت في السجل الانظم (دركنار)
لبلاذ الدولة العثمانية في الباب المالي كما دروي لنا وذلك ان جميع أهلها كانوا سادة
شرفاء ، واتقياء نجباء ، قد ولدت لله الخديفيا ، ونشأت في بيت الكرم والجد لا تيل
منها ، فكانت من أول العهد بالتميز أنرى العلماء والادباء والحكماء لوجهات تنشئ دارها
وتعشوا الى ضوء دارها بل كنت أرى فيها الصيوف من بلاد المماليك من بين يدي
اختلاف ملهم ومذاهبهم ، وكان مسجدوها عمارات بما بقية شعائر العبادة وقرعة

واذ كنت أكتب مثل هذا الاعتبار به وليكون تاريخاً تعرف بمثله أسباب التطور الاجتماعي في البلاد قانني اذ كرواقمة في هذا الباب هي أكبر ما كان يتحدث به الناس في مدينتنا (طرابلس الشام) ويفخرون به، وهي بين مدحت باشا الوزير الشهير ودرويش افندي الشنوبر

كان درويش افندي هذا رجل طرابلس الكبير بل رجل سورية المناز في مصره بالعلم بالقوانين وحسن الادارة والتصرف في حل المشكلات، حتى ان أمور ادارة لواء طرابلس كانت بيده يتصرف فيها كما يشاء، وهو عضو في مجلس الادارة رأيه فيه بحكم القانون كأي غيره من الاعضاء، فكان اصحاب الحاجات يولون وجوههم شطر داره دون أمثاله من الاعضاء بل دون الرؤساء من المتصرف التركي المولى من نظارة الداخلية الى من دونه من رؤساء الادارة وكذا رؤساء الجند فيما يقيدون فيه بالادارة كأخذ المسكر بنظام القرعة المعروف فلم يكونوا يستطيعون أخذ أحد الا برأيه — لذلك كان له جساد كثيرون فلما جاء مدحت باشا واليا على سورية كثرت السعاة بدرويش افندي الشنوبر لديه الذين يزمنونه بالاسقباد بأعمال الحكومة وكونه لم يترك لاحد من رجال الدولة امناً ولا عملاً في لواء طرابلس وانه هو نفسه لا يمكنه أن يكون له اسم سمي ولا قدر على في ذلك اللواء الا باخراجه من مجلس الادارة وجعله جلس بيته، وقد أثرت هذه السعاية في نفسه، فلما جاء طرابلس في دورة التنفيس المعتادة كان استقباله لدرويش افندي استقبال المرتاب المخنبر فلما سمع كلامه أحب الخولة به فسمع منه من الانباء والآراء ما أكبره في عينه، وأحله في أعلى مكان من الثقة به، والكلام يظهر العلم والعقل والرأي (فلما كمل قال أنك اليوم لدينا مكين أمين) ولم يكن يستطيع مفارقتها الا وقت النوم، وكان الوزير مبتلى بشرب الخمر كثر رجال الدولة وكان درويش افندي لا يشرب بها كدائر وجهاء طرابلس ولا صبا اصحاب الزبي الطلي أمثاله فاجتهد مدحت باشا في حله على الشرب لتطبيع له معاشرته ولا يرى نفسه صغيراً أو حقيراً في عينه وعين نفسه بارتكابه لهذا المنكر مع من ينكره في نفسه تحربه، وقد كان مدحت باشا مهاباً محترماً لديه كما يقال ولكن السكر بلاه فلما يستطيع تركه من ابتلي به — عرض لدرويش افندي أولاً فتبالة وأعرض كأنه لم يفهم، واولده.

فكاد له مكيدة - سلم منها بحسن بادرته ، وقوة ارادته ؛ ذلك أنهم كانوا في منزله من منزهات ضواحي المدينة اسمه (بركة البداوي) فطلب الوزير الحرة فأخذ نفسه كأساً وناول درویش افندي كأساً أخرى وقل له نشرب على اسم مولانا السلطان الاعظم فأخذ الكأس درویش افندي وقال على البداية : كأس من يد افندينا مدحت باشا باسم مولانا السلطان الاعظم أمير المؤمنين لا ينبغي أن تصب في الجوف وتخالط القدر بل مكانها الرأس ، وصب الكأس على عمامته البيضاء . فاعجب مدحت باشا بهذه البداية والكياسة . وزاده هذا الثبات كرامة عنده ومكانة في نفسه .

هذه الحالة التي كانت طابها طرابلس الى عهد طايي للعلم فيها وهجرتي منها هي التي شأفت آلامي لما رأيت هذه المرة مارأيت من سوء حالها ، وسريان عدوى المجاهرة بالتهتك فيها ، وقد بدأ ذلك فيها في أوائل العهد بالحكومة الدستورية الانمحادية ثم كان لتفاسد الحرب ثم للاحتلال الاجنبي تأثير بعد تأثير في استئثار فسادة كما يفناه في البذرة الثالثة من هذه الرحلة (ج ٩ م ٢١) حتى ان طرابلس صارت دون بيروت ودمشق في الحالة العلمية والادبية الاسلامية فقد خلت من تلك الحلقات الواصلة من طلاب العلم ومن تلك المحافل والسمار التي كانت آهلة بأهل الهيئة والوقار من العلماء والوجهاء من الطبقات المختلفة الذين كانت آرائهم تضطر الغرباء من حكامهم وغيرهم الى احترامهم دع أهل البلد الذين هم كبرأؤه . وكذلك كان شأن شيوخ أهل يفتسا في القادمون بل لم أر مجلس وقار في مكان ما مثل المجالس التي كان يحضرها كبير أسرنا السيد الشيخ أحمد عم والدي فقد كان أوجه الوجهاء من علماء طرابلس ورجال الحكومة وغيرهم يجلسون له لما كان عليه من الجود والوقار والتقوى حتى إنه لم يكن أحد يشذ في جلوسه ولا في ضحكته ومزاحه في حضرته بل يلزمون الاعتدال والادب الشرعي وقد اتهم رجل صالح من طرابلس بفاحشة أو مقدمتها وكان ممن يترددون على القادمون مع بعض العلماء فلم يتجرأ بعدها أن يترأى امامه طول حياته ، وماذا أقول عن صاحب تلك الشية الرائعة الذي قال فيه نقادة المعاصرين الشيخ عبد السائح الزعبي نقيب أشرف طرابلس وخطيب جامعها الكبير الى اليوم : آخر من أدر كنا من الصديقين عمي الشيخ أحمد . وأنا لم أكن هناك استطاع تهمد النظر في وجهه

أحد منهم بالفسق ولا السكوت على منكر منذ كنت غلاماً. أمرد وقد شذ في حديثه
معي تاجر في طرابلس يقول لا يعد منكم أشرعاً إذا حسنت فيه النية فتركب الشراء
منه والنظر إلى ذلك بل للزور امامها مادام فيها

نعم انني كنت أول من انتقد من المسلمين ما كان عند الوجهاء من التكلف في
اللقاء والسلام والقعود والقيام وأول من ترك عادة الجلوس على الركب في بدء الجلوس
معهم وإن فعل ذلك بعض كبار السن والقدر لاجلي ولكنني أقول الآن إن مجالسهم كانت
خيراً من مجالس أكثر أولادهم وأحفادهم الذين تركوا غير ذلك من آدابهم العالية
ولا المتكلف منها فقط مفتونين بزخرف حرية الفسق الذي يخشى أن يضيع عليهم
ديارهم ودينهم فيكونوا من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

أصبحت طرابلس بالمقيم من العلماء والفضلاء والزعماء فلا خلف فيها في العلم
والرشد للشيخ محمود نشابة والشيخ عبد الفتى الرافعي والشيخ عبد الرزاق الرافعي
والشيخ عبد الله الصفدي ودرويش أفندي الشاور والمفتي مصطفى أفندي كرامي
الذين أدركتهم في شيوخهم ولا للشيخ حسين الجسر والشيخ عبد الله البركة
والشيخ نجيب الحامدي والشيخ محمد كامل الرافعي ومحمود أفندي المغربي والمفتي رشيد
أفندي كرامي والشيخ خليل صادق الذين أدركتهم في كبتهم

وأما بقي أفراد من الطبقة التي قبل طبقتنا أوسعهم علماً وفيها وإفادة الشيخ محمد
ابراهيم الحسيني وقد جهلت مدينته قيمته فلا ينتفع به إلا أفراد قليلون من بقايا
الطلاب ومنهم الشيخ عبي الدين المنار والشيخ عبد الطيف نشابة وأفراد آخرون
من طبقتنا ورفاقنا في الطلب وأكثر هؤلاء وأولئك قد تركوا الدرس والتدريس واجتنبوا
الكتابة والتصنيف ومنهم من يشتغل بأمر الدنيا من تجارة وزراعة لكساد بضاعة العلم
ولم أر في هذه الزورة طرابلسي أحداً من رفاقي لا يزال مغرمًا بالمطالعة والكتابة إلا الشيخ
محمد رحيم والشيخ عبد الجيد أفندي المغربي وليس لأحد منهما ولي في عمله ولا ظاهر
وأما القلون فلم يبق فيها أولو بقية يستفيد الناس منهم إلا هي أبو عبد الرحمن عامر
فهو يقرأ دروساً في مسجدنا في بعض الأحيان لمن هباه يوجد فيه ولكنه في هامة

أوقته . منزل الناس لا يكاد أحد يراه الا في صلاة الجمعة وقد انقضى ثلثا أهل القرية
وحال الباقيين شر مما كانت عليه ؛ وقد كثرت قبل الهجرة الى مصر أقرأ لهم التفسير
ونهاية المحتاج في فقه الشافعية والزواجر وهير ذلك من كتب التوحيد الموهظ
والرقائق ، وبلغني أنه وجد فيهم رجل يتجراً على المجاهرة بالفواحش وارتكاب
منكرات السلب والنهب يستعين على ذلك برشوة الحكام ، وأما طرابلس فقد صار
الكثيرون فيها بمجرون ذلك ومنهم من يدهو الاجانب الى داره ويقدم لهم الخمر
فيها ولكن تيقظ بعضهم لتدارك الخطر كما بيناه في الهتزة الثالثة التي قبل هذا من
الرحلة ، فليحفظ الناس هذا وليتظروا هاقبة هذا التفسير فان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم ونسأل الله تعالى أن يتوب عليهم ويحلمهم خيراً مما كان عليه سلفهم
ويغير ما بهم الى خير منه

تصحیح غلط في الجزء الاول

نبهنا في ص ١٠٣ الى حذف جملة من آية وقع في فاتحة المنازل وقنا ان الاقياس
لا يشترط فيه ايراد الآيات تامة وان منه آيات في تلك الفاتحة من مواضع مختلفة لم
يفصل بينها ، وحذف هل يحذف بمرف بالقرينة . وزيد هنا أن منه حذف في السطر
١٦ من ص ٨ بعد قوله تعالى (ولاذمة) وهو نعمة الآية الثامنة من سورة التوبة الى
قوله (ولاذمة) قبل فاصلة الآية العاشرة : وكنا وضعنا في هذا الموضوع نقطة لتدل
على الحذف فتركنا في الطبع سهوا . وقد اضطررنا الى تنقيح تلك الفاتحة والحذف
منها اضطرازا ترتب عليه ما ذكر

ورقم في السطر ١٦ ص ١٠ - يونس ١٠ : ٢٨ - وصوابه (الانعام ٦ : ٢٢)
وسببه في الاصل أن آية يونس - قطعت من الطبع وبقي عددها وحذف عدد آية سورة
الانعام فصارت آيتها بعد عدد سورة يونس ويكتفى الآن بتغيير الرقم . وفي ص ١١ ص
١٣ (دبروم - وصوابه ثم يوم) وفي ص ٢٦ ص ١٣ أيضا تقديم عليهم على حكيم في الجملة
القرآنية وتفسيرها والعرب عكسه (حكيم عليهم) وهذا سهو منا نسأل الله أن لا يؤاخذنا به

المسحاة

١٣١٥

بني الحكمة من ينشأ ومن يؤمن الحكمة قد
أزنى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

فمن عادى الذين يؤمنون أقول فيؤمنون
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام صوي « ومنارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ جمادى الأولى ١٣٣٩ - ١٩ الدلو (ش ٢) سنة ١٢٩٩ هـ ٨ فبراير ١٩٢١

فَتَحْنَا الْبَابَ لِلْبَنَانِ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لايسع الناس عامة، ونشترط
على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى
اسمه بالحروف أو يعبر عما شاء من الالقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب
غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا
غير مشترك لمثل هذا ، ولعن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة
واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

حقيقة التصوف ومكانه من الشرع

(ص ٣) من صاحب الامضاء

السلام عليكم ورحمة الله

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

وقم نظري الى بعض الاعمال الدينية في بلدي المسمى بالسبلاوين مما من

أجله أرجو أن تعرفونا حقيقة التصوف وهل له قوانين ونواميس غير ما بينته الشريعة المحمدية . وإذا كان هو ما جاءت به الخليفة في الحاجة إليه والقرآن والسنة بين يديه وإن كان مخالفاً فمن أقر المبتدئ فيه عليه ومن أين استنبط ذلك المختبر تلك الطرق التي توصل إلى الله (كما يبرون) ولم يري إن صح هذا كان لله طريقان طريق بينه على لسان رسول الله الكريم في كتابه المبين وآخر قد هدى إليه بعض عباده المهتدين وإنما دعاني إلى سؤالكم والاستشارة بما راكم ما أخشاه من كسوف شمس شريعتنا في ذلك الاقتران (أفق الصوفية) فأنني أرى من يسيرون إليه ويدعونهم قد ولعوا بمقتضياته وشغفوا بها حتى أنسهم الأذكار والأوراد التي يتفنون بها في الساحات والأندية وميقاتهم في الشيوخ والأولياء اناسم ذلك أساس الدين وكبد الشريعة (التوحيد) وهذا طبق ما أراه خريزة في بعض النفوس من الشغف بالكاليات وربما صحبت ذبول النشوان على الواجبات هذا منها لأصحابها وانهم قاموا بما فرض عليهم وارتقوا إلى أن وجب عليهم مآندب إلى الدين ، وزجأ منها بهم إلى زمرة المقربين الذين امتثلوا وأمضوا أوامر الدين

وإن سبق لكم هذا فأرجو من فضيلتكم إعادته باختصار وذلك كإتاهون اقرب عهدنا بالانذار لازام . مصادر الرشد وأهل الفضل والوقار

حسين محمد حسين النجار

بمدرسة القضاء الشرعي

[المزار] التصوف مصدر تصوف الرجل - أي صار صوفياً أي أحد أفراد الطائفة المعروفة بالصوفية ، وأشهر الأقوال في المنسوب إليه أنه الصوف لانهم كانوا يلتزمون لبسه وقبل انه كلمة صوفاً أو صوفي اليونانية ومعناها الحكمة وذهب الحافظ ابن الجوزي في كتابه تلبس إبليس أنه نسبة إلى صوفة وهو لقب الفرس من مرتبة ابن مابنجة بن الياس بن مضر لانه قد اشتهر عند العرب أنه أول من انقطع إلى الله تعالى لعبادته عند بيته الحرام ، وتسلسل ذلك في ولده فصار لقب صوفة يطلق على كل منهم وناطت العرب به وبهم من بعده إجازة الناس بالحج من عرفة وفي وهي الإفاضة منها فكانت لا تفيض منها - حتى يفيض صوفة فإذا حانت الإجازة تقول

« أنجيزي صوفة » وكان سبب هذه التسمية ان أم الفوث كان لا يعيش لها ولد فذرت لثن عاش لتطفن برأسه صوفة ولتجمله ريبط الكعبة، ففعلت فقيل له ثم لولده من بعده صوفة - نقله عن السائب الكاكي

قال لحافظ المذكور: كانت النسبة في زمن رسول الله (ص) الى الاسلام والايمان فيقال مسلم ومومن ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعب فتنخلوا عن الدنيا واتطعموا الى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة ففردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها - ثم ذكر نسبتهم التي لخصناها عنه آنفا، ثم قال في تاريخه ومبدأه: هذا الاسم ظهر لأول مرة قبل سنة مئتين، ولما أظهره أولائهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته ببنارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الاخلاق الرذيلة وحمله على الاخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاخلاص والصدق الى غير ذلك من الخلال الحسنة. ثم ذكر أن أولائهم كانوا على ذلك حتى ليس عليهم الشيطان فكان أول تلبسه ان صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أعطاهم مسباح العلم فخطبوا في الطلعات فذهب من خلا في ترك الدنيا وهي قوام مصالح الخلق، ومنهم من أغري بتعذيب النفس بالجوع والعمرى والفقر الاختياري، ومنهم من غابت عليهم الخيالات، حتى قتلوا بالخلول والانحداء وكانوا يعنون بالنظافة والتنظم في الطهارة. وراجت عليهم لقلة العلم الاحاديث الموضوعة. وذكر بعد هذا تصانيفهم وما فيها من الغلو في الدين والاحاديث الباطلة. ثم انتقل الى بيان ضروب التلبس عليهم وما خالفوا فيه الشرع عن جهل أو تأثر وأطال في ذلك. وكتابه هذا جدير بأن يطبع

والشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية فتوى في الصوفية والفقراء نشرها في ج ١٠ م ١٢ من المنار ثم طبعناها في رسالة على حديثها التعميم ففها. وقد ضعف فيها القول بنسبتهم الى صوفة لانها قبيلة كانت في الجاهلية ولا وجود لما في الاسلام رجع نسبتهم الى الصوف وقال ان لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقال ان أول ظهورهم كان في البصرة لانه كان فيها من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مما لم يكن في سائر الامصار ولهذا

كان يقال فقه كوفي وعبادة بهرية . وذكر بعض أحوال الصوفية ورواها بجزان
 الشرع وسيرة السلف الصالح كعادته فيبين الراجح من الشائل فيها وان الناس فيهم
 بين ذام يرميهم بالابتداع والطروج عن السنة وبين غال يدعي انهم أفضل انطلق
 بسد الانبياء ، وان الصولب هو الوسط وهو انهم كثيرهم من الطوائف يجتمعون فتنهم
 ظالم لنفسه ومنهم مفترصد ومنهم سابق بالخبرات باذن الله ، ولكن انتسب اليهم طوائف
 من أهل البدع والزندقة ، ثم بين ان كلامه في صوفية الحقائق الاولين ، وأنه حدث
 بعدم صنفان وهم صوفية الارزاق الذين يقيمون في الحوائك ويأكلون فيها ما وقف
 على الصوفية ، وصوفية الرسم الذين همهم تقليد في اللباس والآداب الرضعية ،
 ويسهل على السائل أن يراجع هذه الفتوى ويقرأها ، ويقرأ ما كتبه ابن خلدون في
 مقدمته ان لم يكن قراءه فان أكثره صواب

وانا قد ذكرنا في تاريخ الاستاذ الامام عيون ما ذكره هؤلاء المحققون في بيان
 حقيقة الصوفية وزدنا عليهم مسائل مهمة استنبطناها من كتبهم ومن كتب التاريخ
 أجملناها في ورقين . مثل أدواق المنار . لمفصلا ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد
 في الدنيا والعمل للأخرة برياضة النفس وتربية الارادة والأخذ بالزمام ومحاسبة
 النفس وحسن النية والمبالغة في العبادة . وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وقال
 المعرفة بالله تعالى . ثم ادعى حالهم من ليس منهم خشا وتليسا ، لبس لباسهم من
 تناقض حاله حالهم دعوى وتقليدا . وان رياضة النفس وتركيتها تدر للصالح فيها
 علما وعرفانا بسنن الله في الارواح وأسرار قواها وأحوالا وأذواقا غريبة غير مألوفة
 ولا معروفة لغير أهلها (منها) التأثير بقوة الارادة في بعض أمور السكون كشفا
 مريض وتغيير من الشر وجذب الى الخير ويسمونه التأثير بالارادة أو الهمة (ومنها)
 معرفة بعض الامور من غير طريق الحس أو الفكر وهو ما يسمونه المكشف (ومنها)
 الغوص على دقائق أسرار الشريعة وحكمها وصفات النفوس البشرية وقواها وعللها الخ
 ومنها غير ذلك مما لا حاجة الى ذكره هنا

وان هذا التصوف برياضة النفس قد سبق للمسلمين البه قدماء الهند والصابينيين
 واليونان ، وقد مرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك الاقوام وضلالاتهم

وشعارهم وشاراتهم (كالمسيح والاعلام) حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم . وبث الباطنية في التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد للآيات والاحاديث وطائفة الاذهان لكل ما يأمر به السالكين شيوعهم وان كان منكرنا وعدم الانكار عليهم في شيء . وكانت الباطنية تقصد بهذا العالم افساد دين الاسلام وابطاله وازالة ملكه بالهوائس التي وضعها هبند الله ابن سبأ اليهودي وجميات الجيوش السرية التي بثت في المسلمين دعوة الفلوف في التشبه لآكل البيت والطير في أعظم الصحابة لافساد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلي تتمكن تلك الجماعات بذلك من إعادة ملك الجيوش وسلطان دينهم الذين أزالها العرب بالاسلام . ولولا هذان الاصلان - التأويل والطاعة المطلقة - لما راجت الضلالات والبدع في هذه الطائفة لان أصل طريقتهما ترك النفس بالدلم والعمل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والاخذ بالعرفان ومحاسبة النفس حتى على انطوائها ومن المأثور المشهور عن أئمة الصوفية قولهم : التصوف أخلاق فمن زاد عليك في الاخلاق زاد عليك في التصوف ومن قواعد الاسلام المنصوصة المعلومة منه بالضرورة انه ولا طاعة في معصية اما الطاعة في المعروف « وهذا المفظ من حديث مرفوع في الصحيحين فغيرها عن علي كرم الله وجهه وفوقه قول الله تعالى لرسوله (ص) في آية المبابعة (ولا يعصيك في معروف)

ثم بينا هنالك أنه لا سبيل الى تعصية التصوف من البدع الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح فيه قبولاً ودرابمداً يان أن الضلالات والبدع المتغلغلة في كتب الصوفية قسمان - ما أخذه الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الاسلامي وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للغة والشرع - وما أجدنه بعض شيوخ الطريقة من الاوراد والشعائر الدينية المخالفة للسنة في ذاتها وأصلها أو في صفتها وطريقة أدائها حتى ان بعض كبار الفقهاء والمتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزوه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال ولم يراعوا ما اشترطه المحققون في هذا من الشروط - فترى مثل الغزالي من أكبر أئمة علماء الكلام والنقح يرغب (المنار ج ٣) (٢٣) (المجلد الثاني والعشرون)

في بعض المباديات المبتدعة مستدلاً عليها بهذه الأحاديث الراهية أو الموضوعية
دع ما يتعلق منها بالاعتقاد

مثال ذلك صلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ذكرهما الغزالي
في الاحياء مستدلاً عليهما بما ورد فيهما وهو موضوع وقد قال فيهما النووي
في منهاجه : وصلاة رجب وشعبان بدعتان فيبستان مذمومتان . ولم يكن
النووي أعلم بفقہ الشافعي من الغزالي بل قال بعض العلماء ان كتب الشيخين الرافي
والنووي مأخوذة من كتبه التي حرر بها المذهب كما قال فيه وفيها بمضمون :

حرر المذهب حبر أحسن الله خلاصه

بسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

ولكن النووي كان أعلم منه بالسنة فان الغزالي لم يتوسع في علم السنة الا
في آخر صمره (ونصت الطائفة التي وفقه الله لما يحسن نيته واخلاصه له الدين)
ولعله لم يؤلف بعد ذلك شيئاً .

فهذا مثال ما أخذوا فيه بالموضوع . وما أخذوا فيه بالضعيف الراهي — وهو
أكثر — دعاء الوضوء قال في المنهاج : وحذفت دعاء الوضوء اذ لا أصل له . وهو
يعني الدعاء الذي ذكره الرافي تبعاً للغزالي . واعتذر النسخ الرملي شارح المنهاج
عنه بأنه يعني انه ليس له أصل صحيح أو لم يكن مستحضراً لما ورد فيه من
حديث ضعيف ورد من طرق والضعيف يميل به في الفضائل ما لم يشتد ضعفه
فيما له أصل صحيح كلي ولكن لا يستدل به على السنة — هذا ما أذكره عنه
بالمعنى وذكر أن والده الشهاب الرملي اعتد دعاء الوضوء — وأقول ان النووي
نفى ورود شيء من السنة في دعاء الوضوء في مواضع من كتبه ومنها الاذكار
وتعقبه صاحب المهمات فقال ليس كذلك بل روي من طرق منها عن أنس رواه
ابن حبان في ترجمة عباد بن صهيب ، وقد قال أبو داود انه صدوق قدري وقال أحمد
ما كان بها صاحب كذب . وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال لو لم يرد فيه الا هذا البش
الحال ولكن بنية ترجمته عند ابن حبان : كان يروي المالك عن المهاجرين حتى
يشهد المبتدئ في هذه الصناعة (أي رواية الحديث) انها موضوعة . وساق منها
هذا الحديث اه وقال الذهبي في ترجمته من الميزان : وروى عن حميد عن أنس
بغير طویل في الذكر على الوضوء باطل الخ

علم فجاء فيه بما لم يجبي به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب فالصوفية اتقنوا علم الاشلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة وامسرواها وطرق تزكية النفس واصلاحها - وهذا بغرض الدين ومقصده فان كانوا قد ضلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل في كتبهم وأعمالهم من تصوف الامم السالفة ومن البدع ما ينكره الاسلام فانكسروا أيضا قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والقياس والاخذ بالاحاديث الضعيفة والموضوعة . وكل من في هذا العصر من المتحليين لطرق الصوفية فهو منهم الى أحد مذاهب الفقهاء والمكاتبين فلوصلح حال المشتغلين بعلومهم لا يمكنهم إصلاح أعل الطريق وأنى يصلح غيره من لم يصلح نفسه؟ وأنى يصلح نفسه أو غيره من اتخذ علم الدين حرفة للارتزاق به فهو بخدم ويطاع من يعتقد أو يظن أو يتوهم أن أمر رزقه بيده ولو فجا يضر ملكه وأمنه ؟

من هذا البيان الوجيز المفيد يعلم السائل حقيقة التصوف وان له كتابا شبه القوانين أكثر ما فيها منصوص أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له وبعضها بدع تاهق به إصافا بشبهات وتأويلات باطلة . وأحسن الكتب في تصوف الحقائق وأصلها من مخالفة الكتاب والسنة فإنا لم نكتب مدارج السالكين . وأما سؤال السائل عن وجه الحاجة اليه مع وجود الكتاب والسنة فإجوابه ان علمي الكلام والفقه يشاركان في التصوف في هذا السؤال وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب في بيان أصول العقائد التي تسند الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع وإثباتها بالأدلة النظرية الغنية التي كانت ألوفة بانشار كتب الفلاسفة ورد شبهات المخالفين على هذه العقائد - وكما شعروا بالحاجة الى تدوين علم الاحكام الشرعية في المبادئ والمعاملات لا يصح ما جاء في الكتاب والسنة من النصوص وما يمكن ان يستنبط منها ولو بطريق القياس الذي احتج على اثباته ببعضها - كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية والتأديت والآداب المخصوصة فيها أو المستنبطة منها والمفصلة لما فيها من الاجال . وقد نالنا آثما ان ما وقع في كتب الصوفية من المخالفة لبعض نصوصها وسيرة السلف الصالح الذين أجمعت كل الفرق على تفضيلهم وخيربتهم وقع مثله في

يُتَّبَعُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفُقَهَاءَ . بِمَلْمُوكٍ ذَلِكَ مِنْ كَذِبِ السُّنَّةِ وَمِنْ كَذِبِ الْكُتُبِ الَّتِي يَرُدُّ فِيهَا كُلُّ مَنْهُمْ عَلَى الْآخَرِ ، وَالْفُقَهَاءُ الْمُتَقَلِّدُونَ يُوجِبُونَ طَاعَةَ شَيْوخِهِمُ الَّذِينَ اتَّزَمُوا تَقْلِيدَ مَذَاهِبِهِمْ ، وَبِجَهْلِهِمْ كَلَامَهُمْ أَصْلًا فِي الدِّينِ يَرُدُّونَ بِهِ نَصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِأَدْبَلٍ أَوْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ كَمَا يُوجِبُ الْمُتَصَوِّفَةُ طَاعَةَ شَيْوخِهِمُ الْمُسَلِّكِينَ وَيُؤْتُونَ مَا خَالَفَ فِيهِ الشَّرْعَ وَلَكِنْ لَا يَقُولُونَ أَنَّهُ أَصْلٌ فِي الدِّينِ بِحَسَبِ عَلَى النَّاسِ اتِّبَاعَهُ شَرْعًا بَلْ شَبَّهَ هَذِهِ الطَّاعَةَ عِنْدَهُمْ بِاتِّبَاعِ التَّرْبِيَةِ الْمُرَادَةِ مِنَ مَلُوكِ الطَّارِقَةِ تَتَوَقَّفُ عَلَى هَذِهِ الطَّاعَةِ مَوْقِفًا لَدَائِمًا وَأَنَّ كَلَامَهُمْ فِي الْحَقَائِقِ زَمَوْهَا لَا يَفْهَمُهَا غَيْرُهُمْ

وَقَدْ ذَكَرَ الْحَقُّقُ ابْنَ الْقَيْمِ فِي كِتَابِهِ (أَهْلَامُ الْمُوقِنِينَ) أَمْثَلَةً كَثِيرَةً لِمَا خَالَفَ فِيهِ الْمُتَقَلِّدُونَ لِلْمَذَاهِبِ الْمَشْهُورَةِ النَّصُوصَ الصَّحِيحَةَ الصَّرِيحَةَ بِالْحِكْمَةِ أَنْبَاءَ اقْوَالِ شَيْوخِهِمْ وَاجْتَهَادُوا لِهَذِهِ الْقَوْلِ بِالْأَقْبَسَةِ أَوْ بِجَهْلِ الْمُنَاشَبَةِ أَصْلًا لِلْمَحْكَمِ أَوْ بِأَحَادِيثٍ لَا تَنْصَحُ وَلَا يَحْتَجُّ بِهَا بِحَسَبِ الْقَوَاعِدِ الْأَصُولِيَّةِ وَمِنْهَا مَا احْتَجَّوْهُ بِعِبَارَةٍ مِنْ حَدِيثٍ صَحِيحٍ يَرُدُّونَ بِأَقْبَرِهَا لِمُخَالَفَةِ الْمَذَاهِبِ وَهَذَا مِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِمْ كَمَا قَالَ وَقَدْ أُورِدَ لَهُ سِتَّةٌ وَسِتِينَ شَاهِدًا فِي الْوَجْهِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ وَجُوهِ الرَّدِّ عَلَى الْمُتَقَلِّدِينَ الَّتِي بَلَّغَتْ ٨١ وَجْهًا فَلْيَرْجِعْهَا السَّائِلُ وَمَنْ شَاءَ فِي الْفَصْلِ الْمَقْشُودِ لِلْكَلامِ فِي النِّقَاسِ وَالْتِقَالِ مِنْ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْجَلِيلِ .

نَمَّ أَنَّهُ عَقَدَ بَعْدَ هَذَا الْفَصْلِ فَبِأَيِّ آخِرٍ فِي « تَحْرِيمِ الْأَفْعَاءِ وَالْحُكْمِ فِي دِينِ اللَّهِ » بِمَا خَالَفَ النَّصُوصَ وَسَقُوطَ الْاجْتِهَادَ وَالْقَلِيدَ عِنْدَ ظُهُورِ النَّصِّ وَذَكَرَ إِجْمَاعَ الْفُقَهَاءِ عَلَى ذَلِكَ » وَتَمَّ أُورِدَ فِي هَذَا الْفَصْلِ ٧٧ مَثَلًا لِرَدِّ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ بِالْحِكْمَةِ بِالنِّقَاسِ أَوْ بِغَيْرِ الصَّحِيحِ أَوْ بِالْمُنَاشَبَةِ ، وَذَكَرَ فِي الْوَجْهِ الثَّامِنِ مِنْهَا بَعْضَ شَبَاهَتِهِمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمَا بِاثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَجْهًا كَمَا شَوَّاهِدُ تَوْيِيدِ مَا ذَكَرْنَاهُ

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَمَّا ذَا يَخْشَى السَّائِلُ كَسُوفِ شَمْسِ الشَّرِيعَةِ فِي أَفْقِ الصُّوفِيَّةِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَقَلِّدِينَ طُرُقَ التَّصَوُّفِ وَالْمُنْتَحِلِينَ لِمَذَاهِبِ الْفَقْهِ لَاتَرْكِبِيلَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَمَيِّزَ - فَلَا هُوَ لَا عَلَى هَدْيِ أُمَّةِ الْفَقْهِ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّلَفِ كَالشَّافِعِيِّ وَلَا وَاتَّكَ عَلَى هَدْيِ أُمَّةِ التَّصَوُّفِ كَالْجَلِيدِ وَالشَّيْبَلِيِّ وَأَمْثَلَهُمْ مِنْ عِبَادِ السَّلَفِ . فَالْحَقُّ أَنَّ جَمِيعَ الْفِرَقِ لَهَا حَسَنَاتٌ وَسَيِّئَاتٌ (نَمَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَبْلُ مِنَ الْآخَرِينَ)

وأكثر مسلمي هذا العصر ضعفاء في الدين علما وعلا ولا سيما في البلاد التي ليس فيها حكومة اسلامية تقيم الحدود وتلتزم الشرع . والبلاد ذات الحكومة الاسلامية على قلتها بعضها شديدة التعصب للذهب معين كالبلاد الافغانية المتهمة للذهب الخفية وحكومة اليمن المتعصبة للذهب الزيدية فهذان لا يرجي أن يكون فيهما اصلاح اسلامي عام لاستعالة اتباع جميع المسلمين لهذا المذهب أو ذلك - وبعضها شديد الغلو في العمل مع ضعف في العلم كبلاد نجد ولكن لهذه مزية لانعرفها ابلاد أخرى من بلاد المسلمين في هذا العصر وهي أنهم وإن كانوا متمسكين الى المذهب الامام أحد فلا نعرف جهالة من جماعات الاسلام غيرهم تقبل اتباع كل مائت في الكتاب والسنة وصيرة السلف الصالح وتدهو اليه وترد ما خالفه وإن قاله أو كتبه حنبلي مثلم ، ومع هذا يرميهم كثير من المسلمين بالابتداع والضلال ومنهم من يكفرهم كايبرمون بذلك من يدعو الى الكتاب والسنة من الافراد . وأي بلاء أشد على الاسلام من هذا ؟ واذا قبض الله لهذه البلاد أن ينقسم فيها العلم فانما يحبي الاسلام في جزيرة العرب ومن ثم يتبعه في سائر العالم فيعود الامر كما بدأ . قال صلى الله عليه وسلم « بدأ الاسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ فطوبى للغرباء » . رواه مسلم عن أبي هريرة والنسائي عن ابن مسعود وابن ماجه عنهما وعن أنس . وروى مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً « ان الاسلام بدأ غربياً وسيعود كما بدأ وبأرض بين المسجدين كما تأرأ الحية في جحرها » . وفسر الغرباء في حديث آخر مرفوع بقوله « الذين يصاحون ما أفسد الناس بعدي من سقي » . رواه الترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عاد الاسلام غربياً كما بدأ حتى صار المسلم الحق المحبي لسنة نبيه مطعوناً في دينه ، فاذا قوي هؤلاء الغرباء الذين يحبون ما أمات الناس من سنته (ص) واعتزلوا بعد ضعفهم الذي هو عليه اليوم كما كان سلفهم في بدئه فإن غربته تستنبح المجد والمرة لله ولرسوله ولأوليائه ومبين آخرها كما استنبهته أولاً لاتحاد السبب

ان العالم الاسلامي ليثن من ضعف دينه وامتهان شمو به بامتهانه ، وانه ليتبرم من سوء حال سادته وكبرائه والمتحيلين اعلم الدين ومن جهل أكثرهم ، بما يجب من الخدمة في هذا العصر وقعودهم عنها حتى امتهنوا وسقطوا من مكانهم الاجتماعية

ولم يبق لأحد منهم من مصالح لا مفسدة يعتد به لوطنوا أنفسهم في بعض البلاد على الحرمان منها ورضوا بغير مشاركة غيرهم حتى ساءت فيها - وأنه يضطرون للآزهر وأمثالهم من معاصي سائر الاقطار الى اصلاح الذي كانوا يراهمونه وأنما يضطرون الى ذلك باخفاره لما هم عليه اليوم اذ قرب ان يزول ما كانوا يعتقدون به من اتباع السواد الاعظم من ائمة لم تقبلهم لا بد منهم وواساتهم بالهدايا والصدقات والوصايا فبهذا كانوا اذا قام فيهم مصلح كالسيد الافندي الحكيم والاستاذ الامام همداني آذان هؤلاء العوام : هذا منزلي هذا فيا سوف هذا كافر يريد أن يفسد عليكم دينكم ، تخافوا على تقاليدكم وموالدكم واستغاثتكم بأهل القبور الذين يتوسلون لكم عند الله بدفع القوم وحفظ النعم - التي جعلتكم وراء جميع الامم

نعم أوشك أن يزول ذلك بل زل الا قليلا وقد رأينا ما كان من تأثير موت الاستاذ الامام وموت غيره من أكابر الشيوخ الذين تولوا منصب الافتاء مثله وتولوا عالم يقول من مشيخة الأزهر - اضطرب القطار المصري وأهتز العالم الاسلامي كله موت الاستاذ الامام باشد مما اضطربت بيوت أولئك الشيوخ لموتهم الذي لا يكاد يشعر به وما ذلك الا لانهم كانوا يعيشون لانفسهم وبيوتهم وكان يعيش لأمته وملته

سبقت الهند ومصر وسورية والجزيرة احياء السنة على وعملها وقد تمهدت العقبات امام مصر وبدأت ملامح الإصلاح في نابتة الأزهر ولكن الحركة فيه لا تزال بطيئة ولا تسرع بها الا صدمات المماضة والمقاومة لها وحيدة نجد من طلاب الإصلاح الديني والديوي أهوانا وأنصارا تحمضها ويتعاون رجال الدين ورجال المدنية على الإصلاح الاسلامي الديني المدني وإظهار صدق قولنا في المقصورة بمن التنويه بما قام به الاستاذ الامام من الاجتهاد في اصلاح الأزهر

فان يك الأزهر لم يصلح بها فقد نأى عن سبل من كان مأى^(١)

ونبت من غرسه نابتة - سلام السدع وتراب الثأرى

وترفه لحن عن المهدي أو - بمود جهر الصب - كما مشا^(٢)

(١) مأى بالفتح ومعنى أي بعد عن طرق المناخر بين المنتظمين المتعقبن في مباحث عبارات الكتب (٢) أي الى أن يعود جحر الغيب الذي دخلوا فيه باتباع سن =

أذا يزال وهو قد أشفى الشفا من مفضل بات به على شفا
 تمت ولي المصلحون شطره يحونه من كل فج ورجا
 ماوردوا حياضه وصدروا الا يفيضون علوما وهدي
 فاحيوا الاسلام في انفس من دانهم بهجره صرف الردي
 فساد أهلا الى موطنه من قرية طال بها عهد النوى
 واستتبعت غربته المجد كما كانت فعاد الامر مثلما بدا

فتبين بهذا ان خوف السائل على الاسلام من بدع خلف المتصوفة هو من
 قبيل ترقم الواقع وانما يتلافى هذا الواقع فيهم وفي غيرهم بتجديده يكون سريعا اذا
 أيده حكمة اسلامية وبطائنا اذا لم يتح له ذلك في بدء التجديد . وانما يكون
 التجديد بالعارف والتعاون بين الطائفة التي بشر النبي (ص) بأن أمته لا تغلو
 من وجودها فانها الآن متفرقة في البلاد مامن قمار الا وفيه أفراد منها ففي حديث
 ثور بان في الصحابين وكتب السنن . لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق
 لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، وفي مناه أحاديث أخرى
 وأهم القواعد التي يجب بناء الإصلاح عليها هي

(١) الاعتراف بالاسلام كل مدعى لا أجمع عليه المسلمون من أمر الدين
 (٢) بث دعوة لعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة الساب
 الصالح فيها كما أثبت ذلك الحديث بالاسانيد المتصلة وترك ما خالفه من أنظار
 المتكلمين وآراء الفقهاء ولا يزيد في أمور العبادات والاحكام على ذلك ولا
 نقص منه ، وقد بينا جميع هذه المسألة مرارا . وليس معنى هذا ان يكون المبتدي
 بذلك اناما مجتهدا بل ان يكون على بضيرة من دينه على طريقة السلف عوامهم
 وخواصهم مع الاستعانة على فهم الصووص بما فسرهما به العلماء

(٣) عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نأمر كل متبع لآمام
 من أئمة السلف المتهدين في حكمهم من الاحكام من أئمة آل البيت كزيد بن علي
 من قبلهم واسما بسهولة الخفيفة السمحة ، اشارة الى حديث ابي سعيد الخدري
 المتفق عليه « لتبمن سن من قبلكم شبرا بشرب وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب
 تبعهم » هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم « حقوا دخولوا في جحر ضب لتبعتمهم »

والصادق والباقر رأتهما فهما لا صار كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأئمة الصوفية كالجنيد، وعلاء الصحابة والتابعين بالاولى. ولا تكفر مسامحا مدعيا بذنب ولا بدعة ارتكبا بجمل أو بشبهة اتباع امام أو بتأول. رتبى زال التمهيد تكون المناظرة بين المختلفين في ذلك بالدليل الشرعي مع الادب والاستحسان. والله الشاق والتفرق بين المسلمين، ويتم دعاء الاصلاح في ذلك قاعدة الامام مالك: كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر - يعني النبي (ص) فلا يذهبون لشخص معين غير الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولا جماعة غير الصحابة رضوان الله عليهم فما أجمعوا عام فلا مندوحة من اتباعه وما اختلفوا فيه يرجع فيه ما كان دليله أقوى والآخرين به من التابعين وصائر علماء السلف أكثر فته فلما يعلم عالم يتجه من شذوذ يتفرد به دون الجماعة فيعذر بجاهده ولا يتبع فيه. واما نكتب في فرصة أخرى مقالا في شذوذ كبار العلماء الذين خالفوا الجمهور ليكون شرحا لقاعدة الامام مالك رحمه الله تعالى

(٤) الاستعانة بإرشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الديني مع تحصيل العلوم والفنون التي ترتقي بها الزراعة والصناعة والتجارة والقوى الحربية فان هذا مفوض اليها بتلك الهداية التي نصت على أن الله خالق لنا ما في الارض جميعا وأمرنا بأن نمد لحفظ دعوة الحق ما نستطيع من قوة. وقول رسولنا صلى الله عليه وسلم: «اتما اذا بشر مثلكم اذا أمرتكم بشي من أمر دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشي من رأيي فانما أنا بشر» وقال «أنتم أعلم بأمر دنياكم» رواها مسلم في صحيحه

ولهذه المسائل تفصيل شرحناه في المنازل مرارا بل كل المنازل في جملة وتفصيله دعوة الى الاصلاح الاسلامي المبني على أساس اتباع جمهور السلف الصالح في أمور الدين رواية وذراية وعمل بلا زيادة ولا نقص. وبالنسبة تبلغ مدتها أحد عشر أو نصفها. واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبت العلم والاختيار في أمور الدنيا ملحقين لاجتهادنا الثابت فيه. وهذا اتباع السلف فيما فهموه من هدي الكتاب والسنة أيضا كما يعرف من سيرةهم في فتح البلاد وإنشاء الدواوين ونحوه. لا بد من فهم وافقون وتعامل بها. وهو مذهب امام دار الهجرة مالك ابن أنس رحمه الله. شاطبي رحمه الله وغيره (ومن يتصمم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم)

﴿ شرح قاعدة لا تكفر أحداً من أهل القبلة بذهب ﴾

٢

تمة كلام شيخ الاسلام وهو في الاختلاف في الدين

ثم المختلفون المذمومون كل منهم ينبغي على الآخر في كفر بما معه من الحق مع علمه انه حق ، ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع علمه بأنه باطل ، وهؤلاء كلهم مذمومون ولهذا كان اهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومين في الكتاب والسنة فانه ما منهم الا من تخالف حقاً واتبع باطلاً ، ولهذا أمر الله الرسل أن تدعو الى دين واحد وهو دين الاسلام ولا يتفرقوا فيه وهو دين الاولين والآخرين من الرسل واتباعهم قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعهم إليه) وقال في الآية الاخرى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واحملوا صلواتي بما تعملون عليم) وان هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) أي كتبنا اتباع كل قوم كتاباً مبتدعاً غير كتاب الله فصاروا متفرقين مختلفين لان اهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنيفية المحضة التي هي الاسلام المعصوم الذي هو اخلاص الدين لله الذي ذكره الله في قوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ذلك دين القيمة) وقال في الآية الاخرى (أقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) مبينين اليه واقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) فنهاه أن يكون من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وأعاد حرف «من» ليبين أن الثاني يدل من الاول والبدل هو المقصود بالكلام ومقابلته توكيده وقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب ما خلت فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لتمضي بينهم) الى قوله - ولولوا ربك لجلل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فأخبر أن صل الرحمة لا يختلفون. وقد ذكر في غير موضع أن دين الانبياء كلهم الاسلام

كما قال تعالى عن نوح (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال عن إبراهيم (إذ قال ربه أسلم أسلم قال أسلمت لب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وقال يوسف (فاطر السموات والارض ائت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال عن السحرة (ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال عن بلقيس (رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) وقال (واذ أوحيت الى الخواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «انا معاشر الانبياء ديننا واحد» وتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحداً وهو الاسلام كالدين الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فانه هو دين الاسلام أولاً وآخراً، وكانت القبلة في أول الامر بيت المقدس ثم سارت القبلة الكعبة، وفي كلا الحالين الدين واحد وهو دين الاسلام فهكذا سائر ما شريع للانبياء قبلنا ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحداً وجعل الباطل متعدداً كقوله (وأن هذا صراطاً مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقوله (اهدنا الصراط المستقيم» صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقوله (اجتنبوا وهذا الى صراط مستقيم) وقوله (وهديك صراطاً مستقيماً) وقوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الضلالت الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الضلالت) وهذا يطابق ما في كتاب الله من أن الاختلاف المطلق كله مذموم بخلاف المقيّد الذي فيه (ولكن اختلفوا فهم من آمن ومنهم من كفر) فهذا فدين أنه اختلاف بين أهل الحق والباطل كما قال (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وقد ثبت في الصحيح أنها نزلت في المقتلين يوم بدر في حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وعبيدة بن الحرث ابني عميه والمشركين الذين بارزوه عتبة وشيبة والوليد بن عتبة

وقد تدبرت كتب الاختلاف التي يذكر فيها مقالات الناس من خلا مجرداً مثل كتاب المقالات لابي الحسن الأشعري وكتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابي عيسى الوراق أو مع انتصار لبعض الأقوال كسائر ما سلفه أهل الكلام

على اختلاف طبقاتهم فرأيت عامة الاختلاف الذي فيها من الاختلاف المذموم وأما الحق الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه وكان عليه سلف الأمة فلا يوجد فيها في جميع مسائل الاختلاف بل يذكر أحدهم في المسئلة عدة أقوال والقول الذي جاء به الكتاب والسنة لا يذكرونه، وليس ذلك لأنهم يعرفونه ولا يذكرونه بل لا يعرفونه، ولهذا كان السلف والأئمة يذمون هذا الكلام ولهذا يوجد الحاذق منهم المنصف الذي غرضه الحق في آخر عمره يصرح بالحيرة والشك (١) إذا لم يجد في الاختلافات التي نظرها وناظرها هو حق محض وكثير منهم يترك الجميع ويرجع إلى دين العامة الذي عليه المجازر والأعراب كما قال أبو المعالي وقت السباق: لقد خضت البحر الحضم وخلت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآن أن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها إذا أموت على عقيدة أمة . وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الوقف والحيرة بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظر أهل الكلام والفلسفة وسلك ما تيسر له من طرق العبادة والرياضة والزهد وفي آخر عمره اشتغل بالحديث البغاري ومسلم ، وكذلك الشهرستاني مع أنه كان من أخبر هؤلاء المتكلمين بالمقالات والاختلاف وصنف فيها كتابه المعروف بنهاية الاقدام في علم الكلام وقال : قد أشار على من اشارته غم ، وطاعته حتم . ان اذكر له من مشكلات الاصول ، ما أشكل على ذوي العقول ، ولعله استحسن ذاورم . ونفخ في غير ضرر ،

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرق بين تلك المسام فلم أر الا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن ناد

فاخبر انه لم يجد الا سائراً شاكاً مرتاباً أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطؤه فالاول في الجهل البسيط (بطلات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكذب بها) وهذا دخل في الجهل المركب ثم تبين له انه جهل فندم ، ولهذا نجده في المسائل يذكر أقوال الفرق وحججها ولا يكاد يرجع شيئاً للحيرة ، وكذلك الأمدى الغالب عليه الوقت في الحيرة . وأما الرازي فهو في الكتاب الواحد بل في الموضوع منه ينصرف أولاً وفي موضع آخر منه أو من كتاب آخر ينصرف بنفسه . ولهذا استقر أمره على الحيرة والشك . ولهذا لما ذكر ان أكل العلوم العلم باله (١) المارة أي الشك في الترجيح بين المسألة الكلامية والفلسفية لاني أصل الاسلام

وبعضاته وأفعله ذكر على أن كلا منهما اشكال (١) وقد ذكرت كلامه وبينت ما أشق عليه وعلى هؤلاء في مواضعهم فإن الله قد أرسل رسوله بالحق وخلق عباده على الفطرة فمن كل فطرته بما أرسل الله به رسوله وجد الهدى واليقين الذي لا ريب فيه ولم يتناقض ولكن هؤلاء أقصدوا فطرته العقلية وشرعهم السمية بما حصل لهم من الشبهات والاختلاف الذي لم يبتدوا معه إلى الحق كما قد ذكر تفصيل ذلك في موضع غير هذا

والمقصود هنا أنه لما ذكر ذلك قال: ومن الذي وصل إلى هذا الباب، ومن الذي ذاق من هذا الشراب

نهاية اقدام العقول عقال وأكثر سعي المالمين ضلال وأرواحنا في وحشة من جسوننا وحاصل ديننا أذى وويل ولم نستفيد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جئنا فيه قيل وقالوا وقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تنفي غيلا ولا تروي غيلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن - أقرأ في الانبيات (إليه يصعد الكلم الطيب - الرحمن على العرش استوى) وأقرأ في النفي (ليس كنهه شيء وهو السميع البصير - ولا يحيطون به علما) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» وهو صادق فيما أخبر به أنه لم يستفد من بحونه في الطرق الكلامية والفلسفية سوى أن جمع قيل وقالوا وأنه لم يجده فيها ما يشفي غيلا أو يروي غيلا، فإن من تدبر كتبه كلها لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق الذي يدل عليه المنقول والمقول بل يذكر في المسألة عدة أقوال والقول الحق لا يعرفه فلا يذكره. وهكذا غيره من أهل الكلام والفلسفة ليس هذا من خصائصه فإن الحق واحد ولا يخرج عما جاءت به الرسل وهو الموافق للسميح العقل وفطرة الله التي فطر عليها عباده، وهؤلاء لا يعرفون ذلك بل هم (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) وهم يختلفون في الكتاب (وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)

وقال الامام أحمد في خطبة مصنفه الله منته في عبده في رد على الزنادقة (١) المنازع: مستعج الكتاب في المسئلة الاميرية: هكذا في الاصل بل في الكلام قصدا أو بحرف ما قد وتقول لعل الاصل: ذكر أن كلا منها عليه اشكال - أو بـ ذكر أن على كل منها اشكال

والجهمية فيما شككت فيه من منشاها القرآن وتأولته على غير تأويله قال: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحجون بكتاب الله الموقر، ويصبرون بنور الله أهل الضلالة والعمى، فكم من قاتل لابلوس قد أحيروا، وكم من ثائيه ضال قد هدوه، فأحسن أثرهم على الناس وما أفتج أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مختلفون للكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويحذرون جهال الناس بما يلبسون عليهم، وهو كما وصفهم رحمه الله فان المختلفين أهل المقالات المذكورة في كتب الكلام اما تنقل بمجرد الأقال وما تنقل ويحذروا ذكر اللجدال مختلفون في الكتاب كل منهم يوافق بعضا ويرد بعضا ويحتمل ما يوافق رأيه هو الحكم الذي يجب اتباعه وما يخالفه هو المتشابه الذي يجب تأويله أو تعريضه وهذا موجود في كل مصنف في الكلام. اهـ

هذا ما أحسبنا نقله من كلام شيخ الاسلام في هذا المقام وقد أطال بعده في وصف المتكلمين وخطابهم وفضل الأشعري على غيره في معرفة الفرق ومذاهبها وذكر خلاف الفلاسفة أيضا. ونسب مذهب النسطورية العقل والنقل على مذاهب جميع المتكلمين والفلاسفة. ولا يهول تلك الخشنة في أرجل الجميع أولئك الاساطين من الفلاسفة والنصار غرور يشبهه الشيطان انه لا يعقل ان يكون هو أعلم منهم أو أذكى حتى يكون الحق بالصواب وأولى. فارجل ليس صاحب مذهب يخترع تعارضت أدلته مع أدلة هذه الفرق وشبهه علينا الامر حتى ترجح قوله على كل منها أو ترجح غيره عليه، بل هو ناصر مذهب جمهور السلف الصالح بالأدلة العقلية التي اتفق عليها بنظر باتها كل من شذغته قليلا أو كثيرا. وأساس مذهبهم الايمان بكل ما جاء في كتاب الله وصح عن رسوله على الوجه الذي كان عليه خير الامة قبل افتتنائها بالهفريات أي فرقهم شيعا. وتعبد الله أن يسفر لها من هدم كل ما خالف السلف من تلك الهفريات بأدلة من كتابها هي أقوى منها. وأنت بالبرهان أن صريح المعقول لا يفسر بجميع المتأول. ويتبين هذا ان هذا الدين من عند الله اذ لو كان من عند الرسول أو غيره له في ناسخ المتكلمين والفلاسفة

وكان المناظر أسبح رأيا فيه من المتقدم
وقد استوفى الرد على أولئك المخالفين للسلف من المنتسبين الى مذاهب
السنة والابتدعة والفلاسفة في كتابه (وافقة صريح المقول للصحيح المنقول)
واني انقل منه هنا ما ختم به الوجه السابع من الوجوه التي تكلم فيها على تقديمهم
العقل على النقل عند التعارض وهو :

(تقديم نتيجة قول المتكلمين بتقدم المنطريات العقلية على النصوص السمعية)
والمقصود هنا التنبيه على أنه لو سوغنا ظريفتين أن يمرضوا عن كتاب الله تعالى
ويعارضوه بأرائهم ومعتقداتهم لم يكن هناك أمر مضبوط يحصل لهم به هلم ولا هدى
فإن الذين سلكوا هذه السبيل كانوا يخبرون من نفسه بما يوجب حيرته وشكته والمسلمون
يشهدون عليه بذلك ثبت بشهادته وقبارة على نفسه وشهادة المسلمين الذين هم
شهداء الله في الأرض أنه لم يفتقر من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه يبين
بطش الله ولا معرفة يسكن بها قلبه ولذين ادعوا في بعض المسائل أن لهم مقولا
صريحا يناقض الكتاب قابلهم آخرون من ذوي المقولات فقالوا ان قول هؤلاء
معلوم بطلانه بصريح المقول فسد وما يدعى معارضة للكتاب من المقول ليس فيه
ما يجزم بأنه مقول صحيح اما شهادة أصحابه عليه وشهادة الامة واما بظهور تناقضهم
ظهورا لا ارتياب فيه واما لمعارضة آخرين من أهل هذه المقولات لهم بل من تدبر
ما يعارضون به الشرع من العقليات وجد ذلك مما يعلم بالعقل الصريح بطلانه والناس
إذا تنازعوا في المقول لم يكن قول طائفة لها مذهب حجة على أخرى بل يرجع في
ذلك الى الفطر السامية التي لم تنفیر باعتقاد يغير فطرته ولا هوى قامت مع حينذ أن
يعتمد على ما يعارض الكتب من الأقوال التي يسمونها مقولات وإن كان ذلك قد
قائمه طائفة كبيرة لمخالفة طائفة كبيرة لها ولم يبق الا أن يقال ان كل انسان له عقل
فيعتمد على عقل نفسه وما وجد معارضا لا قول الرسول صلى الله عليه وسلم من رأيه
خالفه وقدم رأيه على نصوص الانبياء صحت الله وسلامه عليهم. ومعلوم أن هذا أكثر
ضلالا واضطرابا فإذا كان تحول النظر واستطاع الفلاسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر
الى النهاية وهم بلهم ونهارهم يكدهون في معرفة هذه العقليات ثم لم يصلوا فيها الى

مقول مرنج ياقص الكتاب بل اما الى حيرة وارتباب وما الى اختلاف بين الاحزاب فكيف غيره هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في لذهن والذكاء ومعرفة اسلكوه من العقليات فهذا وأمثاله مما يبين أن من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يقاضه لم يعارضه الا بما هو جهل بسيط أو جهل مركب فالاول (كمرات قيمة بحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجد شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسبه) فقه سر بهم الحساب والثاني (كظلمات في بحر لجي يشاه موج من فوقه موج من دونه سماب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكدرها) ومن لم يحمل الله له نورا لما له من نور) وأصحاب القرآن والابسان في نور على نور قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا وانك تهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور) وقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره) الى آخر الآيات وقال تعالى (فالذين آمنوا به وعزروه ونصره واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) فأهل الجبل البسيط منهم أهل الشك والخبرة من هؤلاء المعاصرين للكتاب المعرضين عنه، وأهل الجبل المركب أرباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمون أنها عقليات وآخرون ممن يعارضهم بقول مناقض لتلك لا قبول هو العقليات ومعلوم أنه حينئذ يجب فساد أحد الاعتقادات أو كليهما والمغالبة فساد كلا الاعتقادين لما فيها من الاجمال والشك والاشباه وأن الحق يكون فيه تفصيل يبين أن مع هؤلاء حقا وباطلا ومع هؤلاء حقا وباطلا والحق الذي مع كل منهما هو الذي جاء به الكتاب الذي يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه والله أعلم اهـ

[النار] كل مؤمن سليم النظرة صحيح العقل اذا قرأ هذا يجزم بأنه الحق، وأنه يجب على المسلمين أن لا يفتروا شهرة أحد من المتكلمين ولا الصوفية ولا الفقهاء الذين شابهوا السلف فيما نقله تواتر الحديث عنهم من أمور الدين، واعلموا أن كل عالم في اجتهاده اذا ثبت من سيرته ادعاء ما هو عليه من غير قصد تأييد الشرع ولكن لاتباع أحد فباختلاف هدي السلف المتأخرون في الدين، معتمدين على قول تارة المحدثين دون آراء المحدثين. وهذا منتهى فلاصلاح في الدين.

تاريخ فنون الحديث

٢٣

المستدرك على الصحيحين للحاكم

قد أودع الحافظ محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (١) في كتابه المستدرك ما ليس في الصحيحين مما رأى أنه على شرطهما أو شرط أحدهما (٢) أو ما أدى اجتباؤه إلى تصحيحه وإن لم يكن على شرط واحد منهما مشيراً إلى القسم الأول بقوله هذا حديث على شرط الشيخين أو على شرط البخاري أو على شرط مسلم وإلى القسم الثاني بقوله هذا حديث صحيح الإسناد وربما أورد فيه ما لم يصح عنده منها على ذلك وهو متساهل في التصحيح وقد تلخص الحافظ الذهبي (٣) مستدركه وأبان ما فيه من ضيف أو منكر وهو كثير وجمع بجزء في الأحاديث الموضوعة التي وجدت فيه فبلغت حوالي مائة. قال الذهبي: في المستدرك جملة وافرة على شرطيهما أو شرط أحدهما ولعل مجموع ذلك نحو نصف الكتاب وفيه نحو الربع مما صح سنده وفيه بعض الشيء وما بقى وهو نحو الربع فهو من أكبر وأهيات لا تصح وفي بعض ذلك موضوعات

وهذا الأمر مما يتعجب منه فإن الحاكم كان من الحفاظ البارعين في هذا الفن ويقال أن السبب في ذلك أنه صنّفه في أواخر عمره وقد اعترته غفلة وقال الحافظ ابن حجر إنما وقع للحاكم التساهل لأنه سود الكتاب لينقمه فهاجسته النية ولم يتيسر له تحريره وتنقيحه

وقال كثير من المحدّثين إن ما انفرد الحاكم عن أئمة الحديث بتصحيحه يبعث عنه ويحكم عليه بما يقضي به حاله من الصحة أو الحسن أو الضعف اهـ

«١» توفي سنة ٤٠٥ «٢٥» قال النووي المراد بقول المحدّثين على شرطهما أو على شرط أحدهما أن يكون رجال الاسناد في كتابيهما أو في كتاب أحدهما لا غير
لهما شرط في كتابيهما ولا في غيرهما (٣) سنة ٧٤٨
(المنار: ج ٣) (٢٥) (المجلد الثاني والمثرون)

المستخرجات على الصحيحين

قبل أن نذكر المستخرجات على الصحيحين نذكر معنى الاستخراج فنقول
 الاستخراج أن يصدق حافظ الى صحيح البخاري مثلاً فيورد أحاديثه واحداً
 واحداً بأسانيد لنفسه غير ملزم فيه ثقة الرواة - من غير طريق البخاري الى
 أن يلتقي معه في شيخه أو فيمن فرقه إذا لم يمكن الاجتماع معه في الاقرب
 وإن تترك المستخرج أحاديث لم يجد له بها اسناداً مرضياً وربما علقها عن بعض
 رواها وربما ذكرها من طريق صاحب الاسل وقد احتج كثير من الحفاظ بالتخريج
 وقضوا ذلك في الاكثر على الصحيحين لكونهما العمدة في هذا الفن .
 وللمستخرجات فوائد منها ما قد يقع فيها من زوائد في الحديث لانهم لا يلتزمون
 الفاظ المستخرج عليه ومنها علل الاسناد اذ رواية الحديث عن صاحب المستخرج
 عليه أبعد من روايته عن طبقته أو شيوخه وقد يقع فيها التصريح بالبيع مع
 كون الاصل مبنيّاً أو بتسمية مبهم في الاصل ولا يحكم للزيادات الواقعة في
 المستخرجات بالصحة الا اذا كان سند المستخرج الى الشيخ الذي التقى فيه .
 مصنف الاصل صحيحاً متصلاً . وقد يطلق التخريج على عزو الحديث الى من
 أخرجه من الأئمة كقولنا أخرجه البخاري للحديث الذي يوجد في صحيحه
 ومن الكتب المستخرجة على جامع البخاري المستخرج لابي نعيم أحمد بن
 عبد الله الاصبهاني (١) والمستخرج لابي بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي (٢)
 والمستخرج لابي بكر أحمد بن محمد البرقاني شيخ الفقهاء والمحدثين (٣)
 ومن المستخرجات على صحيح مسلم تخرج أحمد بن حمدان النيسابوري (٤)
 وتخرج ابي عوانة الاسفرائيني (٥) وتخرج ابي نصر الطوسي (٦) والمسنّد
 المستخرج على مسلم للحافظ ابي نعيم الاصبهاني (٦)

المجتبى لابي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٧)

لما صنف النسائي سننه الكبرى أهداها الى أمير الرملة فقال له أكل ما فيها
 صحيح فقال فيها الصحيح والحسن وما يقاربهما فقال من لي الصحيح من غيره

١٠. توفي سنة ٢٤٣٠. ٣٠٣٧١. - سنة ٤٢٥. - سنة ٣١١. ٥٠. سنة ٣١٦

٧٠٠. سنة ٣٤٤. ٧٠٣. ٣٠٢

فصنف له السنن الصغرى وسناه المجتبى من السنن
 ودرجته في الحديث بمد الصحيح لانه أقل السنن بمد الصحيح وأما سننه
 الكبيرة فكان من طريقته أن يخرج فيها عن كل شخص لم يجمع على تركه وإذا
 نسب الى النسائي رواية حديث فأنما يفتنون روايته في مجتبه وقد شرح المجتبى
 شرحاً وجيزاً الحافظ جلال الدين السيوطي (١) وكذلك شرحه أبو الحسن محمد
 ابن عبد الهادي السدي الحنفي (٢) اقتصر فيه على حل ما يحتاج إليه القارئ
 والمدرس من ضبط اللفظ وایضاح الغريب والاعراب شأنه في شرح الكتب
 الستة على أن شرحه أوسم من شرح السيوطي (*) وقد شرح سراج الدين صرين
 علي بن الملقن الشافعي زرائده على الصحيحين وأبي داود والترمذي في مجلد

سنن أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني (٣)

قال أبو سليمان الخطابي في كتابه معالم السنن اعلموا ورحمكم الله أن كتاب
 السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول
 من كافة الناس فصار حكمايين فرق العلماء وطبقات العلماء على اختلاف مذاهبهم
 فلكل منه ورد ومنه شرب (**) وعليه معمول أهل العراق وأهل مصر وبلاد
 المغرب وكثير من أقطار الارض قال أبو داود رحمه الله كتبت عن رسول الله
 (ص) خمسمائة الف حديث فانتخبت منها أربعة آلاف حديث وثماني مائة منسبها هذا
 الكتاب ذكرت الصحيح وما يشبهه ريقاربه ويكتفي الانسان لدينه من ذلك أربعة
 أحاديث أحدها قوله (ص) «الاعمال بالنيات» والثاني قوله (ص) «من حسن
 اسلام المرأة تركه مالا يعنيه» والثالث قوله (ص) «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى
 يرش لاخيه ما يرضى لنفسه» والرابع «الجلال بين والحرام بين» الحديث وقال ما
 ذكرت في كتابي حديثاً أنعم الناس على تركه وما كان به من حديث فيه وهن شديد
 فقد بينته ومنه مالا يصح سنده. وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبعضها أصبح
 من بعض، وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبي (ص) الا وهي فيه ولا أعلم
 شيئاً بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب ولا يضر رجلاً أن
 لا يكتب من العلم شيئاً بعد ما يكتب هذا الكتاب الى آخر كلامه في رسالته
 (*) طبع المجتبى على شرحه هذين في الهند (**) الشرب بالكسر كالورد وهو معنى
 المتعول أي ما يورد وما يشرب (١) توفي سنة ٩١١ هـ ٢٠٠٠ سنة ١١٣٨ (٣) صفحة ٢٧٥

الى أهل مكة . وقد اشتمر هذا الكتاب بمجمعه لاحاديث الاحكام وفيه كثير من المراسيل وكان محتج بها من تقدم الشافعي كسفيان الثوري ومالك والاوزاعي ^(١) وشرحوها ^(٢) شرح هذه السنن كثير من أفاضل العلماء شرحها الامام الخطابي (١) في كتابه معالم السنن وقلب الدين أبو بكر النجاشي الشافعي (٢) في أربع مجلدات كبار وأبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (٣) كتب من شرحه سبع مجلدات الى أثناء سجعود السهو وشرح زوائده على الصحيحين ابن الملقن في مجلدين وشرح السنن شهاب الدين الرملي (٤)

مختصراتها قد اختصرها زكي الدين المنذري (٥) واسمى مختصره المجتبى وقد شرحه السيوطي بكتابه زهر الربا على المجتبى وهذب المختصر ابن قيم الجوزية الحنبلي (٦) وشرح مذهبه شرحا جليلا ذكر فيه أن الحافظ المنذري قد أحسن في اختصاره فهذبته نحو ما هذب هو به الاصل وزدت عليه من الكلام على عال سكت عنها اذ لم يكملها وتصحيح أحاديثه والكلام على متون مشكلة لم يفتح متعلقاتها وقد بسطت الكلام على مواضع لعل الناظر لا يجدها في كتاب سواه قال ابن كثير في مختصر علوم الحديث أن الروايات لسنن أبي داود كثيرة يوجد في بعضها ما ليس في الاخرى

الجامع الصحيح للمحمد أبي عيسى الترمذي ^(٧)

قال ابو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به واستحسنوه وقال ما أخرجت بكتاتي هذا الا حديثا قد عمل به بعض النقاد فعمل هذا كل حديث احتج به محتج أو عمل بموجبه عامل أخرجه سواء صح طريقه أو لم يصح ولكنه تكلم على درجة الحديث وبين الصحيح منه والمطلوب كما ميز المصنوع به من المتروك وساق اختلاف العلماء فكتابه لذلك جليل القدر جرم الفائدة كما انه قليل التكرار

^(٨) وشرحه ^(٩) قد شرحه محمد بن عبد الله الاشيلي المعروف بابن العربي المالكي (٨) وأضفى شرحه (عارضة الاحوذى في شرح الترمذي) وشرحه الحافظ محمد بن محمد الشافعي (٩) شرح نحو ثلثيه في عشر مجلدات ولم يمتعه وقد كلفه ابن الدين

(١) توفي سنة ٣٢٨ (٢) سنة ٦٥٢ (٣) سنة ٨٢٦ (٤) سنة ٨٤٨ (٥) سنة ٦٥٦

(٦) سنة ٧٥١ (٧) سنة ٢٧٩ (٨) سنة ٥٤٦ (٩) سنة ٧٣٤

عبد الرحيم بن حسين المراق (١) وشرحه عبدالرحمن بن احمد الحنبلي في عشرين مجلدا وقد احترق شرحه في الفتنة وكذلك شرحه السيوطي والسندي وشرح زوائده على الصحيحين وابي داود عمر بن علي بن الملقن (٢) مختصراته منها الجامع لنجم الدين محمد بن عقيل (٣) ومختصر الجامع لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي (٤)

سنن محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٥)

عد بعض الحفاظ أصول السنة خمسة يعني كتب البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وعددها بعض آخر ستة بضم سين ابن ماجه الى خمسة السائلة وأول من فعل ذلك ابن طاهر المقدسي (٦) ثم الحفاظ عبد الغني (٧) في كتاب الاكمال في أسماء الرجال وانما قدموا سنن ابن ماجه على الموطأ لكثرة زوائده على خمسة بخلاف الموطأ. قال بعض المحدثين ينبغي ان يجعل السادس كتاب الدارمي فانه قليل الرجال الضعفاء نادر الاحاديث المنكرة والشاذة (٨) وان كان فيه أحاديث مرسلة وموقوفة. وقد جعل بعض العلماء كرز بن السرقسطي (٩) سادس الكتب الموطأ وتبعه على ذلك الجعد بن الاثير في كتاب جامع الاصول وكذا غيره قال الحفاظ المزني ان كل ما انفرد به ابن ماجه عن خمسة فهو ضعيف ولكن قال الحفاظ ابن حجر انه انفرد بأحاديث كثيرة وهي صحيحة فالاولى حمل الضعف على الرجال

شروح سنن ابن ماجه: شرحها كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي (١٠) في خمس مجلدات واسمى شرح الديباجة ولكنه مات قبل تحريره وشرحها ابراهيم بن محمد الحلبي (١١) وجلال الدين السيوطي في شرحه. مسباح الحاجة وكذلك السندي وقد شرح سراج الدين عمر بن علي بن الملقن زوائده على خمسة في ثمان مجلدات وسمى شرحه ما تمس اليه الحاجة على سنن ابن ماجه

(١) توفي سنة ٨٠٤ (٢) سنة ٨٠٤ (٣) سنة ٧٢٩ (٤) سنة ٧١٠ (٥) سنة ٢٧٣ (٦) سنة ٦٠٠ (٧) بعد سنة ٦٠٠ (٨) الحديث المسكر ما كان في سننه كثير الغلط أو غافل عن الاتساق أو ماسن والشاذ ما خالف فيه الثقة من هو أرجح منه (٩) توفي سنة ٥٣٥ هـ سنة ١٠٨ هـ سنة ٨٤١ هـ

بقي كتب السنة الصحيحة غير الكتب السنة

مما أسلفت يتبين لك ان الصحيحين لم يستوعبا كل الصحيح وكذلك
 الاصول الخمسة أو الستة وان كان الزائد عليها قليلا قال الامام النووي الصواب
 قول من قال انه لم يفت الاصول الخمسة الا التزوير اليسير. وهانحن أولاء ندلي اليك
 بباقى الكتب الشهيرة الجامعة للصحيح في القرنين الثالث والرابع
 فيها صحيح محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري (١) وصحيحه أعلى مرتبة
 من صحيح ابن حبان تلميذه لشدة تحريه حتى انه يتوقف في التصحيح لأدنى
 كلام في الاسناد. ومنها صحيح أبي حاتم محمد بن حبان البستي (٢) وإسم مصنفه
 التقاسيم والأنواع والكشف على الحديث منه عسر لانه غير مرتب على الابواب
 ولا المسانيد وقد رتبته ابن الملقن وجرى أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين
 في مجلد وقد نسبوا لابن حبان التساهل في التصحيح الا أن تساهله أقل من
 تساهل الحاكم في مستدركه. ومنها صحيح أبي عوانة يعقوب بن اسحاق (٣)
 وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان (٤) وسنن الامام الحافظ علي بن
 عمر البغدادي الشهير بالدارقطني (٥) والمنتقى في الاحكام لابن الجارود عبد الله
 ابن علي (٦) والمنتقى في الآثار لتاسم ابن أصبغ محدث الاندلس (٧).

كتب الاطراف

كتب الاطراف هي ما تذكر ملوكا من الحديث يدل على يقينه ويجمع أسانيده
 اما مستوعبة أو مقيدة بكتب مخصوصة فن ذلك
 أطراف الصحيحين للحافظ ابراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي (٨) ولا يبي
 محمد خلف بن محمد الواسلي (٩) قال الحافظ بن عساكر وكتاب خلف أحسنها
 ترتيباً ورسماً وأقلها خطأ ووهما. وهو في دار الكتب السلطانية أربع مجلدات
 — ولا يبي نعيم بن عبد الله الاصفهاني (١٠) — وللحافظ أبي الفتح أحمد

١ «توفي سنة ٣١١ هـ» سنة ٣٥٤ هـ (٣) سنة ٣١٦ هـ «٤» سنة ٣٥٣ هـ

٥ «سنة ٣٨٥ هـ» سنة ٣٠٧ هـ «٧» سنة ٣٤٠ هـ «٨» سنة ٤٠٠ هـ «٩» سنة

ابن علي بن حجر العسقلاني وأطراف السنن الاربعة لابن عساكر الدمشقي (١) في ثلاث مجلدات مرتباً على حروف المعجم واسم الاشراف على معرفة الاطراف وأطراف الكتب الستة لمحمد بن طاهر المقدسي (٢) جمع فيه أطراف الصحاح والسنن الاربعة قال ابن عساكر في مقدمة كتابه الاشراف سبرته واختبرته فظهرت فيه أمارات النقص والقيته مشتملاً على أوام كثيرة وترتبه مختل. لهذا عمل كتابه الاشراف ولهذا السبب أيضاً لخصه الحافظ محمد بن علي الحسيني الدمشقي (٣) وترتبه أحسن ترتيب واسم كتاب المقدسي اطراف الفرائد والافراد، وللحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزني (٤) أطراف الكتب الستة أيضاً وفيه أيضاً أوام جمعها ابو زرعة أحمد ابن عبد الرحيم (٥) وقد اختصر أطراف المزني الذهبي (٦) كما اختصره أيضاً محمد بن علي الدمشقي الآنف ذكره ولابن الملقن الاشراف على أطراف السنة.

ولابن حجر اتحاد المهره بأطراف العشرة يعني الكتب الستة والمسائيد الاربعة في ثمان مجلدات. وقد أفرد منه تأليفه المسمى بأطراف المسند المعناني يقع في مجلدين.

دور التهذيب بعد القرن الرابع

ان لجمع السنن من أفواه الرواة والنظر في رجال الاسانيد وانزالهم منازلهم وبيان غليل الحديث من ضحيجه كاد ينتهي بانتها القرن الرابع كما انشأت اد ذاك جذوة الاجتهاد وركن الناس الى التقليد في الدين فاكثرت الكتب التي تجدها بعد ذلك العصر سلكت مسلك التهذيب أو جمع التثني وبيان الغريب، أو نحت منجى الابداع والترتيب أو طرقت سبيل الاختصار والتقريب وجل من تكلم في الاسانيد بعد المائة الرابعة كان عالة على مادونه أئمة الحديث في القرون السالفة

ولا يسبقن الى ذهنك — وأنت النطن البليب — أنه لم يسبق القرن الخامس جمع وتهذيب فان ذلك قد وجد ولكن لم يشع شيوعه بعد القرن الرابع ونحن من سنتنا في هذه الرسالة مراعاة الامور الداعية ولا نلتفت لليسير النادر

«١» توفي سنة ٥٧١ هـ «٢» سنة ٥٠٧ هـ «٣» سنة ٧٦٥ هـ «٤» سنة ٨٢٢ هـ «٥»

سنة ٨٢٠ هـ «٦» سنة ٧٤٨ هـ

أهم الكتب الجامعة لمؤن الحديث في دور التهذيب

الجمع بين الصحيحين قد جمع كثير من الافاضل بين صحيح البخاري ومسلم ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الجوزي (١) واسماعيل بن أحمد المعروف بابن القرات (٢) ومحمد بن أبي نصر الحميدي الاندلسي (٣) وربما زاد زيادات ليست فيهما وحسين بن مسعود البغوي (٤) ومحمد بن عبد الحق الاشيلي (٥) وأحمد بن محمد القرطبي المعروف بابن أبي حجة (٥)

الجمع بين الكتب الستة قد جمع بينها عبد الحق بن عبد الرحمن الاشيلي المعروف بابن الخطاط (٦) وقطب الدين محمد بن علاء الدين المكي (٧) وكتابه مرتب مهذب

وأبو الحسن رزين بن معاوية العبدي السرقسلي (٨) في كتابه تجريد الصحاح ولكنه لم يحسن في ترتيبه وتهذيبه وترك بعضاً من أحاديث الستة فلما جاء أبو السادات مبارك بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري الشافعي (٩) هذب كتابه ورتب أبوابه وأضاف اليه ما أسقطه من الاصول وشرح غريبه وبين مشكل الاعراب وخفي المعنى وحذف اسانيده ولم يذكر الا رواي الحديث من صحابي أو تابعي كما ذكر المخرج له من الستة ولم يذكر من أقوال التابعين والأئمة الا النادر ورتب أبوابه على حروف المعجم وسماه جامع الاصول لاحاديث الرسول لجاء كتاباً فذا في باب لم ينسج أحد على منواله فحرف البنا البعيد وسهل علينا السير وهو بدار الكتب السلطانية المصرية في عشرة أجزاء صغيرة ولعل الله يسوق اليه من يبرزه الى عالم المطبوعات فيسدى بذلك الى طلاب الحديث معروفاً جليلاً وقد اختصر هذا الجامع كثيرون منهم محمد المروزي (١٠) وهبة الله ابن عبد الرحيم الحموي (١١) وعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيناني الزبيدي (١٢) وهو احسن المختصرات وقد طبع حديثاً بمصر ويقع في ثلاثة أجزاء ولا يبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي (١٣) زوائد عليه سماها تسهيل الوصول الى الاحاديث الزائدة على جامع الاصول وان في هذا وما قبله لفنية عن كتب الحديث الاخرى وكفاية

١٠ توفي سنة ٣٨٨ «٢» سنة ٤١٤ «٣» سنة ٤٨٨ «٤» سنة ٥١٦ «٥» سنة ٥٨٢ «٨» سنة ٦٤٢ «٦» سنة ٥٨٢ «٧» سنة ٩٩٠ «٨» سنة ٥٣٥ «٩» سنة ٦٠٠ «١٠» سنة ٦٨٢ «١١» سنة ٧١٨ «١٢» سنة ٩٤٤ «١٣» ٨١٧

تقد مشروع تعميم التعليم الاولى

نشرنا في ج ٨٧ من م ٢١ تقريراً لمشيخة الازهر في نقد تقرير لجنة التعليم الاولى بوزارة المعارف لهذا المشروع . وقد طبع في هذه الايام تقرير آخر في شأن هذا التقرير لصديقتنا عبد الله افندي أمين ناظر مدرسة المعلمين للتعليم الاولى في مديرية الجيزة وهو ممن طلب مراقب التعليم العام منهم ابداء آرائهم فيه وقد رأينا أن نقبس بعض فصول هذا التقرير المفيدة ولما كان الفصل الاول منه قد عقد لنقد تسع فقرات بينت فيها اللجنة سوء حال التعليم العام في القلر المصري ووجه الحاجة الى تعميم التعليم الاولى رأينا أن ننشر أولاً هذه الفقرات وهي التي انتقدناها ونقفي عليه بنشر رأيه فيها وفي كل منها فوائد ذات قيمة ثمينة لمن يعينهم أمر التربية والتعليم . قالت اللجنة مخاطبة وزير المعارف :

الفقرات ٤ — ١٢ من تقرير اللجنة

٤ — ونتم ما قالت معاليكم في فاتحة جلسات هذه اللجنة حين بينتم أن « فشو الجهل بين جمهور الامة يؤثر تأثيراً سيئاً في حال البلاد ، وأن ضرره لا يقتصر على اعضاء الافراد وتأخيرهم بل يكون مانعاً كبيراً وعائقاً عظيماً في سبيل الرقي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ويقضي على أعظم ضرورب الاسلاح في مهدها فلا تنشر نمرتها مادام معظلم من إشغالهم تفحصا لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها »

(٥) والامثلة على ذلك كثيرة متوافرة في جميع فروع الاعمال الادارية لان الحكومة تضطر في جميع أعمالها الى أن تسبق بمراحل واسعة حال التعليم التي عليها جمهور الامة . فنها :

في الزراعة : الوسائل التي تتخذ لمنع قلة محصول النطن — مقاومة دودة النطن ودودة اللوز — اتباع الطرق واستعمال الآلات الحديثة في الزراعة — ادخال أصناف جديدة من المزروعات في البلاد — توسيع نطاق التعاون في الشؤون الزراعية — زيادة العناية بالحيوانات — توخي الطرق الفنية في استعمال الاسمدة الخ

في الصحة العمومية : نشر القوانين الصحية الاولى بين الناس فيما يتعلق بهم ويتنازلهم والبدان التي يقطنون بها - تحسين حال المساكن - وضع تصميمات للمدن والقرى - توفير أنظمة لتفليط المدن والقرى - اصلاح موارد مياه الشرب - تقليل نسبة الوفيات في الاطفال - تحسين وسائل العناية بالنساء والاطفال من الوجهة الطبية - التدابير التي تتخذ عند انتشار الامراض المعدية وغيرها مما يستدعي السرعة في تداركه - استئصال شائفة الامراض المتحصلة في البلاد كالcholera الدموي (البهارسيا) والورد

في الاشغال العمومية : المصارف - اصلاح البور من الاراضي - تميم الاراضي غير المسكونة - اتقان أوامر المناوبات وغيرها من أعمال الري

في التعليم : ترقية أبسط أنواع التعليم الزراعي والفني

في الامن العام : ضبط الجرائم والتبليغ عنها ويدخل في ذلك الرشوة - منع اجرام الاحداث وصياتهم من الفسق - منع ستم المواشي - مقاومة الهرب من الخدمة العسكرية والعمل على اصلاح الجيش والشرطة (البوليس) - اصلاح طرق الردع بالعقوبة -

في القضاء : انشاء محاكم الاخطا وغير ذلك مما له أثر في اصلاح القضاء

في الادارة : توسيع سلطة مجالس المديرية والمجالس البلدية في ادارة شئون البلاد - توسيع نطاق الضرائب المحلية - الاستمارة في المسائل الفنية بمشورة للمصالح الاميرية المختصة - الاحتياط لمنع نشوب الحريق بالقرى - افتتاح الجمهور بفوائد التدابير التي تتخذها الحكومة كقانون حمة الافدنة ونجوم - انشاء حلقات القطان - تحديد مقدار الاراضي التي تخص بزراعة القطن - تسمير المواد الغذائية - اتقان أوامر لجنة مراقبة التموين - قانون المستنقعات والبرك الخ

في الشؤون الاقتصادية : بث روح الاقتصاد والعمل على تقليل ديون الفلاحين - مقاومة كثر الاموال بلا تميم - توسيع نطاق صناديق الادخار (التوفير) وأعمال المصارف (البنوك) التجارية - رفع شان الزراعة والتجار المصريين حتى يستفوا عن الوسطاء من الافرنج - ترقية الصناعات - تأسيس صناعات جديدة الخ في الشؤون الاجتماعية : ترقية شان المرأة - الاهتمام بالاطفال - مقاومة السخاظة والشرود (التشرد) - تحسين أحوال المعيشة في بلاد الارياف والترويج فيها

هذه أمثلة عدة - لاحتياج في سردها إلى خبرة خاصة - وهي قليلة من كثير من وجوه الإصلاح الإداري والاجتماعي التي تقوم بها الحكومة الآن . وجلي أن أول عامل يتوقف عليه نجاحها إنما هو تحرير الشعب من ربق الجهل وانتماله (١) من هوة الأمية

(٦) وقد جاء في ملحق السيد الدن غورست بكتاب «انجلترا في مصر» تأليف اللورد ملتر بعد أن تكلم على عدم بلوغ الحكومة النجاح المنشود في بعض فروع الإدارة ما ترجمته «على أن السبب الحقيقي يرجع إلى ما هو أبعد من ذلك..... وليس هناك علاج ناجع دائم إلا الترويض بالشعب عامة وتثديبه . وإنما يكون ذلك بالتباهج خطة سديدة في التعليم سداها بعد النظر ولحمتها الخبرة السياسية» (صفحة ٤١٣) (٧) وقال المسو شارلتي مدير التعليم العام في تونس في خطبة ألقاها بتؤمر افرقية الشمالية سنة ١٩٠٨ ما يأتي «أن التقدم الاقتصادي مرتبط بجميع شؤون الحياة على اختلاف أشكالها . بيد أن الناس لا يستطيعون الوصول إلى هذا التقدم والارتفاع عزايه إلا إذا تروا تربية تسهل لهم فهم كنهه وتقربه من أذهانهم . فإن مسألة التعليم من أدق الأمور وأشقها وخاصة في بلاد يجب فيه قبل بلوغ أسباب الحضارة الحديثة اجتياز جميع مراحل الطريق الطويلة التي خلقتها عصور الجهل المطبق . فإذا لم يتيسر حل هذه المسألة حلا تاما فلا أقل من الاقتراب من ذلك الحل باتخاذ جميع الوسائل التي يتناولها التعليم والتدريب والقنود الحسنة»

٨ وقال الدكتور لورنس بولز الذي كان يشغل وظيفة نائبي بوزارة الزراعة في كتابه «مصر وطن المصريين» صفحة ٢١٤ ما ترجمته : «أن ما لأرض مصر من الخصب والقوة لا يزال كامنا دفينا إذ هي لم تخط بعد خطوات تذكر نحو القيام بعملها الطبيعي وهو إنتاج المحصولات الزراعية وإرسالها إلى العالم بأسره..... وما لا يتصوره شك أن وادي النيل سيصير في يوم من الأيام من أعظم الممالك الزراعية محصولا لأن به من مختلف الانواء ما يناسب كل نوع من أنواع المحصولات المختلفة باختلاف تربة الهمة التي تنمو فيها ويربطها جميعا نهر النيل الذي هو منبع وجودها ومصدر حياتها . ومن هذه البقاع ما ستبقى الزراعة فيه أزمانا طويلة الأمد على الحال القطرية التي تشاهد في الغابات . ومنها ما يرقى حتى ينتج أنفس المحصولات

(١) المنار: النشل والانتقال في المربية أخذ اللحم من التدر وله آلة عتقاء تسمى المثال ويطلق النشل على أخذ اللحم عن العظام أيضا ويستعمله كتاب اجراء رُشاهم من المعاصرين بمعنى الانقاذ من هلكة حسية أو معنوية ولهذا المعنى في اللغة كلمة فصيحة وهي الانتياش قال ابن دريد :

إن ابن مبال الأمير انتاش : من بعد ما قد كنت كالتاء والنا

ونحن الى الآن لم نألف انتشار الاعمال الزراعية الى المهارة الفنية. غير أن مشاهدة ورقة بديمة من تيج هافانا أو الفلمن الذي يكفي الرطل منه لصنع خيط ملوله ٢٠٠ ميل أو النباتات التي تزرع خاصة لاستخراج العنقاقر الطبية تكفي لاقناع كل متردد في عظم فائدة المهارة الفنية في الزراعة وجليل اثرها . فالزراعة التي من هذا القبيل - أي الزراعة التي تحتاج الى مهارة فنية - لها في مصر من الاحوال الملائمة ما ليس في مملكة أخرى . وقد يرى في بديهة الامر أن في هذا القول شيئاً من الغلو ولكننا لم نقله جرافاً..... ولكني ننتفع مصر بهذه المرايا الطبيعية بحسب أن يكون بها من العمال من يستطيعون أن يعملوا بمقوهم وأيديهم معاً لذلك لانكون مبائلين اذا قلنا بأن حاجات المستقبل ستكون كفيلاً بإيجاد طائفة جديدة راقية من المصريين أي بإيجاد شعب يجمع توقعه القريحة الى ما كان لأجداده من قوة الاجسام» وليس هذا الاتقال المنتظر في المستقبل مقصوراً على القطر المصري. فان وزارة المعارف الانجليزية تقول في رسالة عنوانها «مسألة المدارس الريفية» ان عصر القوى المضنية قد فات ونحن الآن في عصر ائبثق فيه بحر العقول»

٩ - وقد قدم للحكومة أخيراً تقريران من لجنتين ألقتا بأمرها : الاولى برئاسة حضرة صاحب المهالي اسماعيل صدقي باشا للنظر في توسيع نطاق التجارة والصناعة ، والثانية برئاسة جناب الفتنت كولونل بلقور للنظر في تعديل نظام مصلحة الصحة العمومية بمصر. وجلي أن ضروب الاصلاح المقترحة في هذين التقريرين ستلقى في الخطوة الاولى من انفاذها عقبات كبيرة لجهل الناس غاياتها النبيلة

١٠ - فقد جاء في تقرير لجنة توصيغ نطاق التجارة والصناعة ما يأتي : «ان ما سبق لنا ذكره من البيان المختص بالصناعات الصغرى المصرية هو حجة قائمة وشاهد ناطق على ما بالبلاد من النقص الذي تتأثر منه أئين الشكلى وترزح تحت أبقاله . فان خلو الاعمال من النظام والترتيب واستهانة المال باتقان عملهم من الامور الدالة على ضعف التعليم ونقص تهذيب الاخلاق

«فاذا سأل سائل ما حال القطر من حيث التعليم العام والتربية الخلقية كان الجواب ان أقل بحث في هذا الموضوع يكفي للحكم بأن ما يتبع الآن من الخطل في التربية والتعليم في مصر يقصر عن الوصول بالبلاد الى الفرض السامي المقصود منهما وعن النهوض بها من الوجهة الخلقية . اذ مما لا نزاع فيه مطلقاً أن التعليم لم يعم حتى الآن جميع طبقات الامة وأن التربية المنزلية لا تقتصر مساوئها على

نقصها وتكبتها الفرض المشهود بل انها مبنية على أساس فاسد غير ومثيد الاركان. فهي بدلا من تمويد النشء النظام وحسن التدبير تولد في نقوضهم الاسراف وسوء الادارة في الاعمال . وهي تبث فيهم روح الكسل والاعمال وتصرفهم عن الجهد والنشاط . وهي تفرس فيهم التردد في الامور أو قلة العناية بها وعدم النظافة وما أشبه ذلك من النقائص التي تقف حجر عثرة في سبيل تقدم البلاد من الوجهة المصنوية وبذا تمون تقدمها من الوجهة الحسية أيضاً

«ولما كان من واجب هذه اللجنة اقتراح جميع الوسائل التي تؤدي الى أقصى درجات الرقي الاقتصادي فهي تتشرف بلفت نظر الحكومة الى ضرورة الاسراع في اتخاذ مشروعها المختص بتعميم التعليم الاولي وتوجيه مزيد العناية اليه . وترى اللجنة أيضاً أن من الواجب عليها التنبيه الى ضرورة بذل مزيد العناية بأمر التربية وتقوم الاخلاق واصلاح أحوال البيئة المنزلية خاصة فان تربية المرأة في هذا المقام من عوامل رقي الامة بأسرها»

١١- وأوردت لجنة النظر في تعديل نظام الصحة العمومية قولاً موجزاً في وصف الحال الحاضرة في مصر فقالت : «من المعلوم أنه لا يتيسر رفع شعب من الشعوب الى المنزلة التي فيها يعرف لنفسه حتماً مادام الجو الذي يعيش فيه ملوثاً بالقذارة . فالتا اذا أجلنا النظر في أنحاء مصر وجدنا أن معظمها تملوه الاوساخ وتحيط فيه رحالها الاقذار . فهي كما كانت في قديم الزمان ملطخة بالامراض على اختلافها ولا أمل في أن يقوم أهلها بما عليهم من رفع شأن بلادهم ما دامت الامراض تنقل عواقبهم وتحجم على رؤسهم . ان نسبة الوفيات في الاطفال رائحة فلتك أبناء الامة يموت وهو في سن الطفولة وغضارة الحياة . هذا الى أن انتشار الحشرات والهوام بين التلاحين لم يقل على الرغم مما ثبت حديثاً من أن القمل وسيلة لنقل التيفوس والحُميات الراجعة التي تفتك بالاهلين فتكا ذريعاً»

وقد اشارت اللجنة بوجوب «شن غارة شعواء للقضاء على الجهل والقذارة واستئصال شائفة المرض والبؤس» وبما بلغت النظر أنها ذكرت الجهل أولاً ولم تعلق أملاً كبيراً على اصلاح الحال الصحية اصلاً وافياً بالفرض بتلقين أسباب ذلك لمن بلغوا سن الحلم فقد قالت :

«فإن الحقائق التي وقفتنا عليها تدل دلالة واضحة على أن رجال فرقة العمال المصريين بعد أن يتقنوا مع الجيش مدة يضطرون فيها إلى مراعاة أنظمة صحية خاصة لا يكادون يرجعون إلى مواطنهم بالقرى إلا وهم عائدون إلى سيرتهم الأولى. فتراهم لا يمتدون إلى بث شيء في نفوس قومهم مما تملوه من أسباب النظافة. وكفى بتاريخ الجيش المصري دليلاً على أن ذلك ليس من الغرابة في شيء. فإن الجندي المصري بالرغم من تدريبه على النظام والترتيب ووقوفه تمام الوقوف على الطرق السحية المتبعة في المسكرات والتكنات لا يكاد يرجع إلى قريته إلا وهو مندمج في غمار عشيرته من الفلاحين فلا يمكن تمييزه منهم»

ونحنتم اللبنة قولها في هذا المقام بأن أوضحت أن أنجع وسيلة يرجى منها إصلاح الحال لا تكون إلا بالبدء بتعليم الطفل «فإن الطفل المتعلم قد يصبح أستاذاً لوالديه غير المتملمين ويكون بمثابة الزواة الأولى التي تنبت منها على مدى الأيام عوامل رقي الفلاح».

١٢ - وقد نشرت جريدة (الاخبار) بمردها الصادر في ٢٨ أبريل سنة ١٩١٧ مقالة بقلم صحفي مصري (علو القراءه أولاً) وصف فيها الكاتب حال الفلاح المصري وصفاً ممتناً لا يخلو من المبالغة وبين فيها أن مصر لا تحتاج إلى جامعات جديدة بل إلى نشر التعليم الأولي بين جمهور أهلها. قال مانه: «السواد الأعظم من الأمة المصرية من الفلاحين لا يسي الجلايب الزرقاء وأكثر هؤلاء (والحمد لله) لا يقرؤون القراءة والكتابة. أما الأفراد القلائل المتقنون في عوامهم الفطر فلا يبتد بهم لقلة عددهم بالنسبة لمجموع الأمة. فإذا أرادوا أحد من الفلاحين أن يكتب صكاً أو جواباً لا يجد من يكتبه له فيضطر أن يسافر من قرية إلى أخرى حتى يثر بشخص يعرف كيف يفك الخط. وكتابة مثل ذلك الشخص لا يترك رموزها إلا عالم من علماء الآثار القديمة كالعلامة شامليون الذي تمكن من قراءة الخط الهيروغليفي:

(نحن المصريين لانعرف من أصول الصحة شيئاً. وكل من ذهب إلى إحدى القرى أو العرب يشتم قبل أن يسأل إليها بيضة أميال الروائح الذكية (في أنوف ساكنيها) الصاعدة من أكوام السمات الفاتنة كاهرام المارة صم أجسادنا وهي

تخطيط القرية أو المزرعة من كل جهاتها . ويرى بجاري جامع القرية ذات التخطيط الجبل
تجري الى القرعة التي يشرب منها أهل القرية بدون اسم مزارع . ويرى شكل القرى
الكثيب والمنازل المتلاصقة ذات الابواب الضيقة والغرف التي ليس بها منافذ ويرى
الفلاح قائما هو وأولاده بجانب جاموسته لافرق بين الجميع .

ومن المضحك المبكي أن اسم الدكتور عند الفلاحين كاسم عزرائيل عند
المسيحيين . فاذا أتى الدكتور الى بلدة ترى المرضى اخذوا بأسرع من لمح البصر إما
أن يحملوا الى جهة في القبط بعيدة أو يدفنوا في قش الارز أو حطاب القطن المكموم
على الاسطح . ولا يفهم الفلاح (طباعا) شيئا اسمه ميكروب أو عدوى . ومع أنه لا شيء
أكثر من الماء عند الفلاحين نجد أكثرهم قدرا وسخا وكأنه يخشى أن يظلم ملايسته
فتحملها تلك المخلوقات الشريرة وتهرب بها لكثرة مابقتها بهرشه وكرشه فهو
دائما أبدا في قلبها .

ليس في الدنيا فلاح يحافظ على تقاليد الفلاحة القديمة من عهد قدماء المصريين
أو من عهد أيتنا آدم الا الفلاح المصري . فلو بحث فلاح من أيام الفراغة لرأى
أخاه فلاح اليوم لم يحن الالة ولم يبد يده الى آلة من آلات الزراعة التي سلمها اليه
بتفسير أو تمثيل . فالحرث والشادوف والطنبور والمطلة الخوص كلها بجائتها الغنيمة
كما تركها له . ووجدته أيضا لم يغير شيئا من طرق الزراعة القديمة فلم يتفنن أو يجتهد
ولم يحسن نوعا من أنواع المواشي أو المحاصيل ولا يزال طعمة التاجر والمرايبي مهما
سنت الحكومة من القوانين لحمايته .

وهو ينتظر من هذا الفلاح وهو كل الامة المصرية أن يقبل على الجامعات
التي تدرس الفلسفة والتاريخ أو يقرأ الجرائد والمجلات العلمية أو يعلم ماتريد أن
تعلمه ايام الحكومة بمشورتهم اولواهمها ؟ فالى أي شيء نحتاج الامة المصرية إذ نعتقي
ونمد في مصاف الامم الحية وما هو الدواء الذي يشفيها من مرض الجهل فتصبح أمة
وكل فرد من أفرادها يعرف القراءة والكتابة فتنتج أذهانها زنتم ونزنتي ؟

(أظن أن كل فاضل من القراء يفهم ذلك الدواء)

وهناك جرائد مصرية أخرى ألحمت على الحكومة أن تروا وصاحت بوجوب الشروع

في تعميم التعليم الاولي والمساواة الى ذلك حتى نستطيع أن نخطو فيه خطوات واسعة في القريب العاجل . انتهى نص الفقرات الـدم مع تصحيح عبارات قليلة صحفية من مقالة الاخبار ويلها ما كتبه عبد الله اندي أمين فيها وهو

التعليم الاولي والاصلاح

نقد الفقرات ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢

حاولت اللجنة في هذه الفقرات أن تقيم الأدلة على ما جاء في الفقرة الرابعة منها من أن « فشوا الجهل بين جمهور الأمة يؤثر تأخير آسنانا في حال البلاد وإن ضرره لا يقتصر على إضعاف الافراد وتأخيرهم بل يكون مانعا كبيرا وعائقا جسيما في سبيل الرقي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ويقضي على أعظم شروب الاصلاح في مهدها فلا تثمر ثمرتها مادام معظم من يشغلهم نعمها لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها » .

٤٥

ومراد اللجنة من هذا الكلام إقناع أولي الامر بوجود الاسراع في تعميم التعليم الاولي بحسب . وهو مراد شريف جليل ، غير انه شغلها مما سواه فقامت أن تفصير الاهالي في قيامهم بنصيبهم من اصلاح الحكومة الاقتصادية والاجتماعي والسياسي اقصور مداركهم ، ليس أكبر من تفصير الحكومة نفسها وهي رشيدة عليمه وبينها وبين الشعب « هوّة لا تُبهر » (أنظر ١٤ و ١٥) في قيامها بنصيبها وحدها من الاصلاح نفسه ولا شك أن قواعد الاصلاح وأصوله كلها ما كان منها من عمل الحكومة وحدها وما كان منها من عمل الشعب وحده ، كسلسلة متصلة الحلقات يأخذ بعضها بأطراف بعض ويقوي بعضها بعضا . فلأن الحكومة كانت مثلا لشعبها فقامت بنصيبها من الاصلاح لكان لهم فيها أسوة حسنة

وَأَقْرَبَ هَذَا النَّصِيبَ فِي تَقْوِسِهِمْ سُرُورًا عَظِيمًا بِهِ وَشَوْقًا إِلَى الْقِيَامِ
بِنَصِيحِهِمْ مِنَ الْإِصْلَاحِ

وَلَوْ أَنَّ الْحُكُومَةَ أَكْثَرَتْ مِنْ مَسْتَشْفِيَّاتِ الْأَمْرَاضِ وَمَسْتَشْفِيَّاتِ
الْأَرْمَادِ الْمُنْتَظِلَةِ وَالثَّابِتَةِ وَانْشَأَتْ حَمَامَاتٍ وَمَنَاسِلَ وَأُحْوَاضًا تُخْزِنُ الْمِيَاهَ
وَتُرْوِقُهَا فِي الْقُرَى لِأَقْبَلِ عَامَةِ الشَّعْبِ عَلَى هَذِهِ الْمُنْشَأَاتِ مُقَابِلَهُمُ الْآنَ
وَقَبْلَ الْآنَ عَلَى مَا أَنْشِئَ مِنْ مَسْتَشْفِيَّاتِ الرِّمْدِ وَهُوَ عَظِيمٌ جَدًّا وَلَا تُرْوَاهَا
عَلَى طَبِّ الشُّمُوزَةِ وَالتَّجَارِبِ الْإِهْلِيَّةِ النَّاقِصَةِ الْفَاسِدَةِ وَعَلَى الْإِسْتِحْثَامِ
وَعُغْلِ الثِّيَابِ فِي مِيَاهِ التَّرْعِ وَالْمَصَارِفِ الرَّائِدَةِ وَعَلَى شَرْبِ مَاءِ النَّبْلِ الْمَكْرُ
وَأَصْلَحَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَسْمِهِمْ وَتَقْوِسِهِمْ وَعَقُولِهِمْ أَكْبَرَ إِصْلَاحٍ لِمَافِيهِمْ مِنْ وَسَائِلِ
حِفْظِ الصَّحَّةِ وَمِنْ الْإِنْصِرَافِ عَنِ الْمَادَاتِ السَّيِّئَةِ وَالتَّجَارِبِ السَّخِيفَةِ
وَالْإِعْتِقَادِ الْفَاسِدِ فِيهَا

وَلَوْ أَنَّ الْحُكُومَةَ قَدَّرَتْ مِثْلًا مَكْفَافَةً لِمَنْ يَتَدَعَّى مَادَّةَ رَخِيصَةٍ جَدًّا
إِذَا مَزَجَتْ بِالتُّرَابِ جَمْلَتَهُ صَدًّا صَغِيرًا تَرْصَفُ بِهِ الْأَرْضَ وَيَسَّرُ لَهَا
رُصْفَ الطَّرِيقِ الزَّرَاعِيَّةِ الرَّيْثِيَّةِ وَغَرَسَتْ عَلَى جَانِبَيْهَا الْأَشْجَارَ الضَّخْمَةَ
لَدَفَعَتْ عَنِ الشَّعْبِ عَادِيَةِ التُّرَابِ وَمَا يَحْمِلُ مِنْ جَرَائِمِ الْأَمْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ
وَأَظْلَتَهُ فَدَفَعَتْ عَنْهُ حَرَارَةَ الشَّمْسِ ، وَلَبَّيْتُمْ بِذَلِكَ فِي تَقْوِسِ الْإِهَالِي
بِقِظَةٍ وَاتَّبَعَهَا لَا مَوْرِئُ مِنْ أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا — اتَّبَعَهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ
يَكُونَ بِالنَّصِصِ وَالْأَوَامِرِ وَحْدَهَا

أَنْ وَسَائِلَ تَرْيَةِ الشُّعُوبِ وَتَهْذِيبِهَا كَثِيرَةٌ جَدًّا . وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ
الْوَسَائِلِ مِنْ عَمَلِ الْحُكُومَاتِ وَهِيَ أَقْدَرُ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا مِنَ الْإِهَالِي دُرُؤِي
بِهَا مِنْهُمْ . غَيْرَ أَنَّ سَكُوتَ الْحُكُومَةِ وَتَرَاخِيهَا وَحَاجَةَ الْبِلَادِ الظَّاهِرَةَ إِلَى
(المنار: ج ٣ م ٢٢) (٢٧) (المجلد الثاني والشمسون)

العمل النافع فيها يدفع من لا يقوى على الانتظار من أبناء الامة العاملين
الخاصين الى القيام بما يحتاج اليه البلاد غير ناظر ولا منتظر المشغول عنها،
وان اعترضته في سبيلها العقبات من قبل استعداد الاهالي أو امتعاض
الحكومات وحسبنا دليلا على ذلك ما قام به مجلس مديرية الجزيرة المحترم
من انشائه مستوصفين متنقلين في انحاء المديرية سنة ١٩١١م أيام رئيسه
المفتور على الاخلاص والصراحة والغيرة والحزم والعزم والثقة بالنفس
وحب الإصلاح حضرة صاحب المزة عبد الرحمن فهي بك

أنشأ المجلس المحترم حينئذ هذين المستوصفين المتنقلين لكان يتوقعه
من الآثار الجليلة التي يتركها في صحة الاهالي وأخلاقهم وعاداتهم
وعقائدهم وما أعظم ماتركا من ذلك ! فان الذين عولجوا فيهما يمدون
بالألوف . ولعل مصلحة الصحة تذكر ذلك . وقد كانت أحق بهذا العمل
منه غير أنها سكنت ولا تزال ساكنة حتى مكل الانتظار ونقد الصبر

ان اللجنة تعلم علما يقينيا أن التعليم وحده لا يصلح اليوس . فقد
نقلت في الفقرة (٢١) من (المستركي) قوله « أجل ان التربية العقلية
المحضة لا تحدث تغييرا أساسيا في خلق الرجال » وتعلم أن الامة لا تغير
ماها حتى تغير ما بنفوسها ، فلا بد للحكومة الرشيدة التي توصف بأن
يبنها وبين عامة الشعب « هوّة لا تُعبّر » من أن تسمى جسد السمي في
البحث عن العلاج الناجع لتغيير شعبها ما بنفوسه — شعبها المخلص الذي
ضربت له اللجنة مثلا الشعب الهندي اذ نقلت في الفقرة (١٩) من
التقرير . « وأهني ٣٣ الملايين من الفلاحين الفقراء المساكين الصابرين
الاذلاء »

وما تلك الوسائل النافذة؟ تلك الوسائل هي الاصلاح الفعلي كانشاء المستشفيات وترويق المياه وغيرها، لا النصائح القولية والارامير الكتابية التي لا تغير من نفس ولا تحي من عمل. لقد آن للحكومة الرشيدة أن تعدل عن الخطة العتيقة البالية وهي الامساك عن وسائل الاصلاح الفعلية خوف زيادة الضرائب ولو زيادة طفيفة تقدر باللميم، وتعتمد الى خطة المعلم الماهر والمربي الحاذق فتكون مثالا حسنا في الاصلاح لشيء ما فتأخذ بنصره أخذاً صحيحاً الى منازل النعم الحقيقية في الجسم والنفس والعقل من أقرب الطرق وأقومها ولا تظن أن نشر التعليم الاولي يكفي وحده لهداية الشعب وارشاده الى وجوه الاصلاح وحضه عليها من غير أن تقوم هي بالامثلة العملية منها فتتوفى نصيبها من الاصلاح حقها

انها ان ظننت ذلك وعولت في كل ما تريد من وجوه الاصلاح على التعليم الاولي وحده وركنت اليه وألقت العبء كله عليه، خابت الآمال وضاع الوقت سُدًى

التعليم الاولي والعالي

علم الحاكمين وجهل المحكومين

قد الفقرات ٢ و ٣ و ٤ و ١٢٥

استنكرت اللجنة في الفقرة (١٢٥)^(١) من التقرير ما ينفق على التعليم العالي

(١) [نص الفقرة ١٢٥] ليس الامر مقصوراً على قلة مجموع الاعتمادات المخصصة بالتعليم بميزانية الحكومة بالنسبة لما في معظم البلاد الاجنبية بل ان معظم تلك الاعتمادات ينفق على التعليم الراقى الذي لا ينفع به سوى طائفة صغيرة ممتازة من الامم لا تدفع سوى قسم ضئيل من النفقات التي يتطلبها تعليم أبنائها، أما سكان الاقاليم الذين تنوء ثروة البلاد على كدوم ونصيبهم فلا يكادون يتجاوزون قسمًا من التعليم في مقابل الضرائب

بجواز ما ينفق على التعليم الاولى . وانكرت في الفقرة (٢٤) ^(١) من الخطة التي انتهجتها الحكومة المصرية — وهي متبعة في البلاد من عهد المرحوم محمد علي باشا واضح أساس النهضة الحديثة لمصر ورافع لواثها — بتعليمها الطبقة التي يقع معظمها على كاهلهم

واذا استثنينا الاعانة التي تمنح المكاتب في المحافظات ومديرية أسوان وقدرها ٧٣٠٠ جنيه وما ينفق على مدارس المعلمين والمعلمات الاولى الاربع وهو ٢٨٨٠٠ من الجنيئات وصافي ما ينفق على المدرسة الاولى الراقية للبنين والمدرسة الاولى الراقية للبنات وقدره ٤٠٠٠ جنيه وصافي ما ينفق على ثلاثة المصانع (الورش) الاميرية وهو ١٨٠٠٠ جنيه والاعانة المخصصة ببعض مدارس صناعية غير تابعة للحكومة وقدرها ١٠٤١٠ جنيئات — اذا استثنينا كل هذه المقادير ومجموعها ٦٨٠٠٠ جنيه أمكن القول بأنه لم يدرج شيء في ميزانية الحكومة لسنة ١٩١٨ — ١٩١٩ لتعليم طبقات الشعب . على أن معظم هذه المقادير يصرف في مدينتي القاهرة والاسكندرية . ثم ان الثمانية والستين من آلاف الجنيئات التي تصرف في تعليم أبناء الشعب يقابلها ٤٩٠٠٠ جنيه تحصل من ايراد الاراضي والعقار الموقوف للاتفاق على المكاتب الالهية . أي أن ما تدفقه الحكومة في الحقيقة من ايراداتها الخاصة في كل سنة على تعليم الشعب نحو ١٩٠٠٠ جنيه فقط

[نص الفقرة ٢٤] قال المستر أسكويث « ان الحكم على مقدار رقي الامة وفوزها في مضمار الحياة يجب أن يبنى على ما يتوافر لدى أدنى طبقاتها من الامور الحسية والمعنوية » ويرى أنه لم يبين الحكم على ما وصل اليه القليلون من خبرة أفراد الامة الذين ضربوا في التعليم الراقى بسهم . فاذا أردنا الوقوف على ما يتوافر لدى أدنى طبقات الامة المصرية من الامور الحسية والمعنوية وجب علينا أن نلقي نظرة الى انتشار الاكواخ الهلينة المبنية من الطين التي تضم بين جدرانها الانسان وبهيئته والى شيوخ القذارة والافواخ وفشو الهال والامراض وملاك ثلث الالبناء في طوولتهم وانتشار الامة بحال رائئة تعادل ٩٦ في المائة من السكان وضيق المجال أمام الافراد واقتصار

الرافية للأمة التعليم العالى قبل تعليمها عامة الشعب (التعليم الاولى بلا شك) وعدت عملها هذا عملا مقلوبا وضربت لذلك مثلا قول (السير كلنقن دوكنز) فى الفقرة (٢) ^(١) « ان التعليم الاولى فى مصر شبیه بهرم مقلوب رأسه الى أسفل »

كدم على القوت اليومى . فهل الى ترقية تلك الاحوال فى الامة المصرية من سبيل سوى تعليم التعليم ؟ لا . ومن العبث الاعتقاد بأنه يمكن الوصول الى الرقى المنشود بالبدء بتعليم الطبقات الرافية قبل عامة الشعب أو بالاعتماد على ما يحدث من التأثير الذى ينشأ من اختلاط الطائفة القليلة المتعلمة بطبقات الشعب الجاهلة بل ان الضرورة تقضي بالنهوض بالتعليم العام وتتطلب نشر نور العرفان فى الامة بأسرها .

قال الشاعر بروننج فى قصيدته المعنونة براسلس مامناه بالعربية

كتبت على لوح الحقيقة حكمة	ان الرقى شريعة الاخياء
مالى ارى الانسان يفضض هيبه	هن نور تلك الحكمة الزهراء
أجد حتى صار أهلا لاسمه	ان حق نخر الناس بالاسماء
أم نال ما نصبو اليه طباعه	من درك أعلى ذروة العلياء
أم أعمل المكنون من قواته	كي يلا الدنيا من النماء
أنى يتوج بالكمال ولم يزل	فى العلم معظمه من الفقراء
وكان أهل العلم بين سواده	بعض النجوم الزهر فى الظلام
أو بضمة من نسل هوج حولهم	جسم من الاقزام والضعفاء

(١) [نص الفقرة ٢] لم يعزب عن أذهاننا من بادى الامر أن الموضوع يتضمن اعتبارات عدة عظيمة الشأن . فقد قال اللورد مورلى العالم والسياسى الشهير : « ان مسائل التعليم الاملى كيمنا تنوعت طرق حلها ذات اتصال بحياة الامم وفنهم » . وقال اللورد كرزن أيام كان حاكم على الهند : « ان طبيب الامة الحقيقى هو ذلك الذى يصف لها أجمع وسيلة لمرية أبنائها » . وتناول كل من اللورد كرمر فى كتابه « مصر الحديثة »

فكان هذا الاستكثار من اللحنه مع ذلك الانتكار المقرون بهذا المثال
 فصلا حادة تتناولها الحكومة اذا شاءت ومتى شاءت لتخزبها التعليم العالى
 وأدلة واضحة جلية على أن الاقاويل والآراء التي نقلتها اللجنة الى تقريرها
 من كبار المستثمرين قد تركت فيها أثرا جعلها ترى التعليم العالى بعين
 جنبيه لا تستطیع أن ترى بها محل الحاجة وموضع النفع .

وان من يحسن الظن باللجنة كل الاحسان - مثلى - لا يجد لها فيما
 يتلخص من المماذير الا عذرا واحدا وهو ما يخيل الى المنكر في أول الامر
 من أن البدء بتعليم الولد الصغير التعليم الاولى ثم التنقل به بعد ذلك في
 مراحل التعليم الارق مرافق سنة النشوء والارتقاء . أجل ان ذلك
 حق واضح . لكن لا بد معه للولد من وصي رشيد يلقبه كيف يشاء وبنتله
 من حال الى حال كما يريد . وان ذلك الوصي الرشيد يجب ان يكون منه

والسير ألدون غورست في الملحق الذي ذيل به كتاب اللورد ملنر وهو « انجلترا في
 مصر » البحث في وجوب اتباع خطة سديدة في التربية نرعى الى تحسين حال الامة
 عامة من الوجهتين العقائدية والحلقية (انظر الفقرتين ٦ و ١٥) . وقال السير كلنن
 دوكنز في ملحقه لكتاب اللورد ملنر (صفحة ٣٩١) : « ان التعليم بمصر شبيه بهرم
 مقلوب رأسه الى أسفل » . والحقيقة أن حال مصر المأبى كانت الى عهد قريب بمنع
 من اعداد وسائل التعليم على اختلاف فروعه ومن سد حاجة الامة الى سدا وافي
 وقد أوتر اتفاق ما يمكن بذله من المال في هذه السبيل على توسيع نطاق التعليم ذى
 الصبغة الادبية الذى يتلقاه أبناء الاغنياء . فكانت النتيجة أن تعليم العامة لم يوجه
 اليه من هناية أولى الامر الا النزر اليسير . لذلك رأينا أن واجبنا فبر مقصور على
 درس موضوع التعليم الاول من حيث كونه مسألة قائمة بذاتها بمنزلة من سواها
 وانه لا بد لنا من مراعاة ارتباطه بالخططة القومية التي تنبع في التعليم بوجه عام .

ليكون اخبر بحاجاته ومناقضه ومضاره

وان الامة لكذلك يجب ان يكون فيها ومنها ناس كبار العقول
يقودونها الى السعادة ويرفعونها الى اوج المظلة . لذلك كان تعليم طبقة
رائية من الامة علما رايا قبل تعليم عامة الشعب العلم القليل موافقا لسنة
النشوء والارتقاء فى الامم ، وقد ضرب لنا التاريخ امثلة كثيرة
قدمة وحديثة دالة على ان آمما كثيرة نهضت من عثارها ونشطت
من عقلمها بأفراد منها . فالمنية بتكوين افراد افذاذ فى الامة
تكوننا فائقا احق واولى بالتقديم من تعليم عامة الشعب تعليم اعظم
ما يقال فيه انه اولى

هذا ما رآه ونشعر به ولم يسعدنا الحظ قط بان سمعنا او قرأنا ان
امة بأسرها امسكت عن التعليم الدالى جملة حتى تعلمت كلها التعليم الاولى
ثم اخذت بعد فى اسباب التعليم العالى ، وان اوتيت اوصياء حكما رحما
بصراء اقرباء من الاجانب

على ان التعليم العالى لا يزال جنينا فى بلادنا ، فأين بضم مدارس
اميرية عالية تدرس فيها بعض العلوم العالية من جامعات كبيرة تدرس
فيها كل علوم البشر امع ان العلم الذى يدرس فى مدارسنا العالية لم يكن
له فى البلاد من اثر ظاهر نافع الا ما كان من علم الطب

لقد كان للجنة التى رأت حاجتها الشديدة الى النظر فى التعليم بوجه
عام (انظر آخر فقرة ٢) ان تغش عن حل آخر لا مكان تفرغ الحكومة
للتعليم الاولى . ذلك بأن ترى مثلا ان فى وسع الحكومة ضم مدارسها
العالية الى مدرسة جامعة وتأليف مجلس ادارة لها يؤلف من رجال

الحكومة والامة وان تشترك الحكومة والامة معاً في النفقة عليها على نحو
الخطا التي خطتها للتعاون بين الحكومة والهيئات النيابية في التعليم الاولي
فيكون دراجة لتقل التعليم المالي كله من يد الحكومة الى يد الاهال
فتتفرغ الحكومة كل التفرغ للتعليم الاولي ولا تشغل نفسها بمجامة لها كما
جاء في الفقرة (١٣٠)

اما الهوة السحيقة التي لاتعبر بين الحكوميين والحاكمين كما تري اللجنة
في الفقرتين (١٥ و ١٤) فالذي حفزها انما هو التربية المدرسية لا العلم ذاته.
فان الولد الذي يُنتزع من حضن أمه وأبيه وينزع عنه زي بلاده ويلبس
الزي الغربي ويدفع الى مدارس قد صبت بالصيغة الغربية (فقرة ٢
وفقرة ٨٨) فيعمر فيها طويلا لا تقع عينه فيها الا على كتب سداها ولحمها
الروح الغربي ومعلمين غربيين او ممن خلدوا عنهم رداء الوطنية الصحيحة
من قبله فيشب على عادات واخلاق ترهقه في أمه وأبيه وسائر معاشريه
كما تقول اللجنة في الفقرة (١٧) وتبعث فيه الغرور بنفسه. وما أبمد الشقة
وأعمق الهوة بينه وبين أهله لو أتيح له أن يتم الدراسة في الغرب فيقيم
فيه روحا من الزمن يفقد فيه لضعفه البقية الباقية له من سجاياء الوطنية
حتى المحودة منها ا

هذه حال نشاهدها كل يوم في أكثر الشبان والشواب وقد نسوا جميعا
معارفهم وعلومهم وبقي لهم من طرق التربية المدرسية اسوأ ما فيها وارادوه
فليست الهوة السحيقة البعيدة النور بين الطبقة الراقية من المتعلمين وبين
عامة الشعب من تفاوت بينهم في العلم بل من نقص في تربية الطبقة
الراقية النفسية التي شوهدت بتريبة لا تلائم تقاليدنا وأمزجتنا وعاداتنا

١. بنا دلائل على ذلك ما نجده فيمن يتخرجون في مدرسة المعلمين الناصرية ويرمون الى أذرباجد أن يكونوا قد صبغوا بصيغة وطنية محضة فانهم يمدون وهم الى آلم وعاداتهم وتقاليدهم أقرب منهم اليها قبل أن يتأدروا بلادهم لان العلم وسعة العقل والمدارك من شأنها أن تنزع من نفس الماقل الوسواس والاذهام والخطأ الذي يدفع بكثير من ناتحي العلم والمدارك الى استصغارهم أو طاههم وآلمهم، وإكبارهم الغرباء وكل ما هم عليه لبق أحرزوه في شيء من العلم والمدنية، حتى تمتع عليهم الحقائق ويحاط عليهم الحابل بالنابل ويلبس الحق بالباطل

هذا هو السبب الحقيقي في الهوة بين الطائفتين لا العلم المالي الذي نخشى اللجنة انتشاره قبل التعليم الاولي . وانا ارجو بعد ذلك أن يكون هذا الخوف قد زال



حضرت مرة مجلساً جمعتني بفتى ظريف وبأبيه وعمه وطائفة من اقربائه وكان هذا الشاب في زى ظريف ويحمل عصا ونظارة وديوسا كلها من ذهب وأعجب من هذا وذاك انه يلبس سواراً من ذهب بساعة من ذهب . وقد جلسنا طائفتين : احدهما فيها أبوه وعمه وناس آخرون ، والآخرى فيها هذا الفتى وكاتب هذه السطور وابن عم له اكبر منه سناً ومقاماً . وكان هذا الفتى على أبواب السفر الى أوروبا وقد ضرب له أبوه على نفسه ثلثمائة جنيه في كل سنة يتسلمها بيده وينفقها كيف يشاء وفيما يريد . وهو مع ذلك يراه مقداراً هياً . وكنا اذا فتحنا عليه باب النصيحة والارشاد حاول إغلاقه واستخف بأبيه وهو على مسمع ومرأى من الألتشي

آخر سوى الفرق بين زيه وزى أبيه والزعات النفسية فيهما. أما المعارف والمعلوم فهو منها خالي الوفاض بايدي الاتفاض قد نسي تلكم القشور التي قد حصلها منها.

فشل هذا سيمود من أوروبا وقد قطع آخر خيط يربطه ببلاده كلها لا سيما اذا عاد ويده شهادة. وأي خير يرجي من مثله لبلاده؟ وأين هذا الشاب المسكين المغرور بنفسه من شاب تعلم في مدرسة صبغت بصبغة وطنية كمدرسة المعلمين الناصرية مثلا وأتم الدراسة فيها ثم سافر الى أوروبا؟

الخيال في الشعن العربي

٢

التخييل التحضيري

تداعى المعاني بوسية التذكر للأسباب التي كنا بصدد البحث عنها، ثم الخيلة تنتخب منها ما يناسب الغرض، وهذا العمل اعنى الانتخاب يسميه علماء النفس تخييلا تحضيريا لانه العمل الذي تتمكن به الخيلة من استحضار العناصر المناسبة للرام

تقتصر الخيلة عند الانتخاب على ما يدعوا اليه الغرض حتى انها تأخذ الجسم مقطوعا من بعض الاعضاء التي لا يدخل لها في المعنى فتتصور الجواد بغير قوائم كما قال المتنبي

اتوك يجرون الحديد كأنما اتوا بجياد ما لمن قوائم

والمقرب بغير ذنب كما قال ابو هلال

تبدو الثريا وأسر الذيل مجتمع كأنها عقرب مقطوعة الذنب
وربما انتزعت المضو من بين سائر الجسم كما أخذ ابن هاني اليد فقال

ولاحت نجوم لانثريا كأنها خواتيم تبدو في بيان بد تحفي
وأخذ ابن المعتز القدم فقال
وأرى الثريا في السماء كأنها قدم نبتت من ثياب حداد
وأخذ آخر القلب فقال
نقل الجبال الرواسي من موطنها أخف من رد قلب حين ينصرفه

التخييل الابداعي

بعد أن تنتخب الخيلة ما يليق بالفرض من العناصر تتعرف فيها بالتأليف إلى أن ينتظم منها صورة مستطرفة، ويسمى هذا التعرف تخيلا ابداعيا أو اختراعيا ويجري هذا التخييل في التشبيه والاستمارة وغيرها
فالتشبيه قد تحذف اداته كما في قول النابغة

فأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب

وعمل الخيال فيه هو احضار صورة المشبه به أعني الشمس والكواكب والغناء وجوه التباين بينها وبين المشبه أعني الممدوح وبقية الملوك حتى يدعى اتحادهما ويصح الاخبار بأحدهما عن الآخر، وبني على هذا الادعاء أن ليس للملوك مظهر ولا تقوم لهم امام هذا الملك سمة فان الكواكب يتقاص ضوءها وينفرب عن الميوز مشهدا عند ما تتجلى الشمس في ظلمتها الباهرة

وأما ما تذكر فيه أداة التشبيه فلا يستطيع أن أعده في قبيل الخيال جملة كما اني لأعزله عنه في كل حال، فان كان فيه اخراج الممقول في صورة المحسوس او المحسوس في صورة الممقول أو اخراج الخفي الى ما يعرف بالبدهاة أو اخراج الضميف في الوصف الى ما هو أقوى فيه فتصح اضافته الى الخيال اذ له الاثر القوي في تقريره

وأما عقد المشابهة بين أمرين متفقين في وجه الشبه من غير تفاوت كالتشبيه الذي يساق لبيان الاتحاد في الجنس أو اللون أو المقدار أو الخاصية فلا يصح نسبته الى الخيال الشعري وان وقع في كلام مقفى وانما هو مما ينظر فيه الباحث عن الحقائق كانهيلسوف أو الطبيب

فلو اتفق ان وقف قتي بجانب ظبي وانطلقا في فسيح من الارض ولم يفت أحدهما صاحبه قيد شربيدا لك أن تحدثت عنهما فقلت ولو في نظم «كان فلان

في سرعة عدوه كالنزال « لم يكن في هذا التشبيه شيء من الخيال لان عند المشابهة بينهما في هذا الحال يشارك فيه كل من شاهد الواقعة ، وانما يمتاز التخييل بمثل قول الشاعر

وفي الهيجاء ما جرت تسمى ولكن في الهزيمة كالنزال
حيث ان الخيال بحث عن صورة المشبه به وهو النزال وانتقاهما من بين
سائر الصور المتراكمة في الحافظة ثم تصور انطلاق المنهزم وهو الشاعر نفسه
وبالغ في مقدار سرعته الى أن وقع التشابه بينه وبين النزال
وان أردت أن تفرق بين التشبيه الذي يدخل في التخييل والتشبيه الذي هو
حائد عن طريقته فانظر الى قول البنون

كأن القلب ليلة قيل ينفدى بليسى الصامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فنباتت تماطله وقد علق الجناس
فترى الخيال هنا قد نجحول حتى تصيد معنى القطاة ووقع على الشرك ثم انتزع
منها هذا المعاني وهي وقوع القطاة في الشرك وعلوق جناحها به ومما جلبها له كي
تتخلص منه وضم بعضها الى بعض فانتظم ذلك المعنى المركب وانصعدت المشابهة
بينه وبين حال القلب الذي وقع في حب العامرية فاخذ يرتجف وجلائم لوعة الفراق
ولو نظر شاعر الى ازهار مفتحة بمكان منخفض من الارض وقال مثلاً
هذه الازهار في منظرها وشذاها مثل ازهار الربا
لاستبردت شمره لاول وهلة وأخذت تهزأ به كما هزأت بقول الآخر
كأنا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

بيد أن ذلك التشبيه نفسه لو صدر من العالم بالنبات في الرد على من يدعى ان هذه
الازهار ليس لها لون ولا تمحات عطره كالازهار التي تنبت على الربا لاصنيت اليه
سمك وتلقيته منه بكل وقار. وما ذاك الا لان الاول قاله بوصف كونه شاعراً
ولم يأت فيه على عادة الشعراء بشيء من التخييل وأما الثاني فانما القاء اليك
في صدد البحث عن الحقيقة فلا تنتظر منه أن يصله بشيء من عمل الخيال
والاستمارة يصنع فيها الخيال ما يصنع في التشبيه الجرد من الاداة الا أنها
تعرض عليك المشبه في صورة المشبه به على وجه أبلغ ولا سيما اذا نضيف اليها
بعض معان عهد اختصاصها بنوع المشبه به أعني ما يسيه البيانيون ترشيحاً ،
ومن أبدع مانسج على منوالها قول البارودي

من النفر الفر الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية جحر
 اذا استل منهم سيد غرب سيفه تفرعت الافلاك والتفت الدهر
 أراد الشاعر وصف قومه بأنهم أولو الصرامة التي تفرج الكرب المدهمة
 والسطوة التي يرهبا كل خطير فساق اليك هذا الغرض في صورة تنظر منها الى
 سيوفهم كيف تجرد حول الليلة الفاحمة فيسطع الفجر الواضح في جوانبها، وترى
 فيها الحسام الواحد كيف يسلم من جفنه فترتمد الافلاك ذعراً ويلتفت له الدهر
 خذراً خيل اليك أن الداهية ليلة ظلماء، وأن الفرج الذي ينبعث من مطلع
 سيوفهم صبيحة غراء، وعبر عن الألى باسم الداجية وعن الثانية باسم الفجر وهذا
 التعبير المألوف الى ذلك التخييل هو الذي يعنيه البيانيون بقولهم استمارة مصرحة
 ثم خيل التلك في صورة، من له قلب يفرغ والدهر في صورة من له وجه
 يلتفت، والتصرح باسمها بعد هذا التخييل يدخل به الكلام فيما يطلقون عليه
 لقب الاستمارة بالكناية، ويمكنك أن تفهم الفجر في البيت بمعنى لمعان السيوف
 وتألقها المشاهد بالابصار على غلط قول بشر

سلكت له الحسام غفلت أني شققت به لدى الظلماء جحرا
 ولكنك تضييع من يدك ما أفاده الوجه الاول من أن النجدة في جانبها،
 والنظر مقرون بظلماء، إذ لا يلزم من لعلها في حواشي الداجية أن تطلع في
 ليلها وتقلبها بالفوز عليها الى صبيحة مسفرة (١)

(المنار) هذان البيتان من قصيدة للبارودي يمارض بها رائية أبي فراس
 المشهورة «أراك عصي الدمع شيمتك الصبر» وقد أشرنا اليها في ترجمته من مجلد
 المنار السابع وذكرت البيتين وعلفت عليهما بمباراة لآباس يذكرهما هنا لانها في
 الاشارة الى ما فيهما من الخيال وهي :

وبالله ما أرق حاشية قوله «لها في حواشي كل داجية جحر» وما أدق غزل خياله
 فيه . وأما البيت الثاني فانه ليكاد يروع بيلاغته السامع حتى تخيل اليه أن الأفلاك
 تصدعت مما تفرعت فيلمس رأسه تخافة أن يصيبه كدف منها ويتمثل له الدهر رجلا
 فجثته العجب ، فالتفت الى السبب، وليكاد يلفته ما يتخيل من التفات الدهر ، ويظن
 به الدهش والذعر، او يذهب به الوهم الى ان التفات الدهر هو التفات أهله
 فيحسب كل فرد من الناس قد ألوى عنقه وشخص بصره منبسطا يسر ما يكون
 من فعل ذلك السيف المستل، في يد ذلك البهمة الامثل ، وجملة ما يقال في البيتين
 السحر الذي يأخذ المرء عن نفسه، ويحكم سلطان الخيال في عقله وحسه .

ومن التخييل الذي لا يدخل له الشاعر من طريق تشبيه أو مجاز ما تشهد لصاحبه بالخلق في الصناعة وأنت تشعر بأنه عرض عليك الموهوم في حلية المعقول كقول الطائي

ولا يروعك إغماض القثير به فان ذاك ابتسام الرأي والادب
أخبر عن الشيب بأنه ابتسام الرأي والادب اللذين هما محبوبان ومحترمان
لكل أحد ابتغاء أن تأنس العين رأيتيه ولا تنظر اليه نظر الازدراء به، وليس
هذا من قبيل التشبيه إذ لم يكن للرأي والادب ابتسام يعهده السامع حتى
يقصد الشاعر إلى تعبيه الشيب به بل أراد أن يخيل لك أن الشيب ابتسام في
الواقع ولهذا تجد في تلك ما يناجيك بأن صورة هذا المعنى غير مطابقة للحق
وان استحكم تأليفها ودق مأخذها

ومنه ما يستلحه الذوق ويسمه نظر المحقق وتجد هذا في قول زهير
لونا لحي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الافقا
فهذا البيت لم ينسج على منوال تشبيه أو مجاز، وليس لكأن تطرحه من حساب
التخييلات المقبولة، وبلوغ كف الممدوح الافق لا يتفق مع النظر الصحيح
غير أن تعليقك على حصوله لانسان من قبل وإيراده عقب حرف الشرط الدال
على امتناعه قد خلصه من زلة الكذب وجعله في منعة من أن ينسذه العقل
إلى القضايا الوهمية

فنون الخيال

يتصرف الخيال في المواد التي يستخلصها من الحافظة على وجوه شتى، ولا
يسع المقام استيعابها وتقصي آثارها فلم لك بمهمات ما يصلح أن يكون بمنزلة
أصل تنفرج عليه تفاصيلها
أحدها تكثير القليل كقول عمرو بن كلثوم

ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر غملا سفينا

فإنه اضرد في حلية الفخر حتى وصل إلى التعبير عن منعة الجانب، والسطوة
التي لا يفتوها هارب، فخطر له أن ينبت له ولقومه من القوة ووسائل الفوز
ما يرهبون به عدوهم فذكر أنهم ملأوا البر جندا حتى لم يبق فيه متسع وعملوا
ظهر البحر بالنبشات من السفن ليدل بهذا على أنهم لا يبالون بالعدو من أي

ناحية هجم ولا يتعمص عليهم ادراكه في أي موطن ضرب بخيامه
والذي صنع خيال الشاعر في هذا البيت انه تجاوز في الاخبار بكثرة قبيلته
وسفته حد الحقيقة وتطوحت به نشوة الفخر الى أن تخيل ان البر قد غص كما
تغص الشجرة بالمجنودهم وان البحر يتموج بسفنههم كوج السماء المصحبة
بكواكبها الزاهرة

ومنها — تكبير الصغير كقول بشر يصف وقعة الاسدحين قسمه بالضربة
القاضية على شطرين

فخر مضرجا بدم كائني هدمت به بناء مشمخرا
فقد تخيل عند ماسقط الاسد الى الارض دفعة انه أتى الى بناء شامخ وقضى
من أساسه فانقضت أعاليه على أسافله ، فالخيال هو الذي بلغ بجثة الاسد الى أن
جعلها في العنق بمقدار بناء ارتفعت شرفاته حتى اتخذت من السحب أطواقا
ومنها — تصغير الكبير كقول المتنبي

كنى بحسي نحو لا أني رجل لولا مخالبتي اياك لم ترني
وقوله ولوقلم القيت في شق رأسه وخط به ما غير الخط كاتب
فالسب وان قلب على فراش الهجر أمدًا طويلا وأكل الوجد من لحمه حتى
شبع وشرب من دمه حتى ارتوى لا يسيل في مخافة الجسم الى أن يسه شق رأس
القلم أو يخنى عن عين الناظر اليه وان كانت عشواء وانما هو الخيال أخذ يستصغر
ذلك الجسم حتى ادعى في البيت الاول ان مخالبته للناس هي التي تهديهم الى مكانه
فبيصرونه، ولولاها لبقي محجوبا عن أبصارهم وان وقف قبائلهم، وادعى في البيت
الثاني أنه لو وقع في شق البراعة والفلقت به اليد في الكتابة لاستمر الخط بحاله
ومنها — جعل الموجود بمنزلة الممدوم كقول المتنبي

ومطالب فيها الهلاك أتيتها ثبت الجنان كائني لم آتها
وصف نفسه بالاقدام على مواقع الردى واقتحام الاخطار بجنان ثابت وعزم
لا يتزلزل حتى تخيل لقلة المبالاة بها وعدم الفرع للملتقاها انه لم يكن قد خاض
غمارها، ورآها كيف تنشب أطنارها، وانما نشأ هذا الخيال من جهة أن المطلوب
المدهمة لا يسلم من روعتها والدهشة لوقفتها في مجرى العادة الامن حاد عن ساحتها،
وجذب عنائه عن السير في ناحيتها،

ومنها — تصوير الامر بصورة حقيقة أخرى ، ولها في هذا المقام أربعة

أحزان (أحد) تخيل المحسوس في صورة المحسوس كما في قول زهير
 بحر من البرود وقد تجمدت حياء الكأس فيهم والفضاء
 قتل من أسيئت مقاتلهم دلم تهرق دماء
 فهذا الشعر يصور لك من دارت نشوة السكر والفضاء برؤسهم فاجهزت على
 البقية من شمعهم، في صورة قتل لم تهرق دماؤهم، بل زهقت نفوسهم بمثل خنق
 أو سقاء سم دب ديب الخمر في مفاصلهم

(ثانيها) تخيل المفعول في صورة المحسوس كما في قول الشاعر
 مررت على المروءة وهي تبكي فقلت هلام تنحب الفتاة
 فقلت كيف لا أبكي وأهلي جميعاً دون خلق الله ماتوا
 تصور المروءة في ذي فتاة فتسقى له أن يسند إليها البكاء ويفقد بينه وبينها
 هذه المحاورة

(ثالثها) تخيل المفعول في معنى المفعول وهذا كمن تخيل المذلة في معنى الكفر فقال
 أمطري لؤلؤا جبال مرند بسب وفيضي أجيال تكرر تبرأ
 منزلي منزل الكرام ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا
 (رابعها) تخيل المحسوس في صورة المفعول، وهذا لم نعلمه على مثال في كلام
 العرب ولكن التشبيه الذي هو أساس هذا الفن قد جرى في كلام المولدين بإيراد
 المحسوس في معرض المفعول كقول التنوخي

فانهض بنار الى لحم كانهما في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
 وقول الفاروقي

تمر نغم الاتراب بالخيف من منى مرور الماني في مغاور أفكاري
 وقد يمد الشاعر الى بعض الماني وينبغ عن أفراد الموهودة ويشبه الأفراد مفهوما
 آخر وتجد هذا في قول بعضهم

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
 إنما الميت من يعيش كثيرا كاسفا باله قليل الرجاء
 فقد نفى أن يكون من قضى نحبه ميتا وأطلق اسم الميت على من فاضت نفسه

كآبة وضاق صدره بأساء على طريقة القصر بدعوى أن المعنى الذي علق عليه الواضع اسم الميت إنما يتحقق فيمن يعيش في نكد وبلاء لا يرجو خلاصا منه، والذي أخذ به إلى هذه الدعوى ما تخيله من أن خواص الراحل إلى القبر وهي مفارقة ما كان يشتم به من طيبات الحياة وانقطاع أوله منها ونكد بده من العمل فيها توجد باجمعهما في الكتيب البائس من صفاء العيش بأشد مما توجد فيمن ركبوا على مطية المنون لانه يزيد عليهم في الشقاء بأنه يصل نار الحسرة والاسف بكرة وعشيا وقد يكرن الامر مر بوطا بملء محققة ظاهرة فيضرب عنها ويخترع له علة من عنده وتجد هذا في قول أبي العباس الضبي

لا تتركّن الى الفرا ق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها تصغر من فرق الفراق

ادعى ان العلة في الاصفرار الذي يبدو على وجه الشمس حين تتدلى الى الغروب وتنطفئ بهرمتها إنما هو الوجع والحلم من مفارقة الناس الذين طاعت عليهم ذلك اليوم حيث انصاعت بينهم وبينها فيما يزعم عاقله ألفة وإيناس ومما صنعت على هذا النمط وقد أخذ البرد ينساقط في حديقة

هز التسميم غصون الروض في سحر كما يهز بنات الغادة الوتر
لقد (ه) الحفيف على اذن السحاب أما نراه يحشو على أدواحها دررا

وقلت وقد أخذت الريح تنصف في روض

قام هذا الروض يشدو مادحا بلسان البلب الزاهي سحابا
وتنادى هاليسا في مدحه فحشت في وجهه الريح توابا
وقلت في حال أشجار تراكم عليها الثلج ثم ضربت فيها الشمس فاخذت تقاطر عن جوانبها
أنسج الغمام لهذه الاشجار من قزل الثلج براقما وبجلايسا
والشمس تبعث في الضحى باسعة تسلو على تلك الثياب نواجا
فبكت لكشف حجابها أو ما ترى عبراتها بين النصوص سواجا

وقلت في حمرة الشفق

قل الدجى هذا النهار ودسه تحت التراب مضرجا بدمائه
(الحمل والثاؤ، والمشمس و ذ) (٢٩)

خُذُوا مِنَ الشَّقِ الشَّادَةَ أَنَّهُ لَطِخَ مِنَ الدَّمِ نَالَ ذَيْلَ رَدَائِهِ (١).
 وَبِمَا يَصَاحُ التَّمْلِيلُ فِي قَالِبِ التَّشْبِيهِ كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ
 كَانَ السَّحَابُ الْفَرَقِينَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَلَا تَرْقَا لَهْفَ مَدَامِ
 فَلَوْ حَذَفْتَ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ هُنَالِكَ الْبَاقِي بِمَنْزِلَةِ الْعِلَّةِ الْخَيَالِيَةِ لِتَزُولَ الْغَيْثُ الْمُنْجَمُ مِنْ
 يَنَائِيمِ السَّحَابِ، وَاقْتِرَانَهُ بِأَدَاةِ التَّشْبِيهِ بِحِمْلِهِ بِحَيْثُ يَسْكُتُ عَنْهُ الْعَقْلُ وَلَا يَجَانِمُهُ أَنْ
 يَدْخُلَ فِي سَبِيلِ الْمَاطِي الصَّادِقَةِ.

وَعَمَّا نَظُمْتُ عَلَى هَذَا الْمَثَالِ وَكَانَ الْجَوْيُ يَنْدَفِقُ وَفَتَ السَّحَرُ بِثَنَارٍ مِنَ الثَّلَاجِ
 تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَالْجَوُّ مَزِيدٌ فَضَاقَتْ بِأَوَاجِ الثَّلُوجِ مَسَالِكُهُ
 كَأَنِّي أَذِيبُ الصَّبِيحَ بِالْحَدَقِ الْوَحْيِ يَقْلِبُهَا وَجَدِي وَتَلَكُ سَبَائِكُهُ
 وَقَدْ يَرْتَرِ الشَّاعِرُ مَعْنَى تَمِّيقَالِهِ بِأَمْرٍ أَوْضَحَ مِنْهُ عِنْدَ الْخَاطِبِ دُونَ أَنْ يَصْرَحَ
 فِيهِ بِأَدَاةِ تَشْبِيهِ بَلْ تَكُونُ مَصْدَرَةٌ بِأَدَاةِ اسْتِمْعَامٍ كَقَوْلِهِ سَكِينُ الدَّارِمِيِّ
 وَأَنْ ابْنِ عَمِّ الْمَرْءِ فَاعْلَمْ جَنَاحَهُ وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بِبَيْرٍ بِنَاحٍ
 أَوْ بِأَدَاةِ التَّوَكِيدِ فَقَطْ كَقَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ
 تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا أَنْ السَّفِينَةَ لَا تَنْجُرِي عَلَى الْيَبِيسِ
 أَوْ تَقَرَّنَ أَدَاةُ التَّوَكِيدِ بِالْفَاءِ كَقَوْلِهِ بِشَارٍ
 فَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
 أَوْ بِالْفَاءِ وَحْدَهَا كَقَوْلِهِ بَعْضُهُمْ

لَا تَحْسَبُوا أَنْ رَقَعِي يَنْتَكُمُ طَرَبٌ فَالطَّبِيرُ يَرْقُصُ مَذْبُوحًا مِنَ الْإِلَامِ
 وَلِنُوجِهِ الْبَحْثَ إِلَى مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَا يَتَشَبَّهُ عَلَيْكَ بَعْدَ تَحْرِيرِ الْفَرْضِ مِنْهُ
 أَنَّ بَقِيَّةَ الْآيَاتِ جَارِيَةٌ بِمَعْنَى التَّمْلِيلِ، أَوْ ذَاهِبَةٌ مَذْهَبُ الاسْتِدْلَالِ وَالتَّمْلِيلِ
 صَدَرَ الدَّارِمِيُّ الْبَيْتَ بِحِمْلِ ابْنِ عَمِّ الْمَرْءِ بِمَكَانِ الْجَنَاحِ لَهُ، وَالشُّطْرَانِ الثَّانِي بِبَنِي
 هِنِ الْبَازِي أَنْ يَنْهَضَ بِبَيْرٍ جَنَاحَ وَمَعْنَى الشُّطْرَيْنِ لَا يَنْتَكُمُ إِلَّا بِمَلَاخِظَةٍ جَمْلَةٍ مَطْوِيَةٍ
 مَا يَبِينُ الصَّدْرَ وَالْمَعْجَزَ لَمْ يَفْصَحْ عَنْهَا الشَّاعِرُ لِسَهْوَةِ مَأْخُذِهَا وَبَعْدَ مَلَاخِظَةِ تِلْكَ الْجَمْلَةِ
 يَكُونُ مَقَادِ الْبَيْتِ أَنْ ابْنِ عَمِّ الْمَرْءِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِهِ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُومَ بِعَاقِبِ الْحَيَاةِ أَوْ يَدْرِكَ
 فِيهَا غَايَةَ شَرِيفَةِ الْإِلَامِ مُضَادَّتَهُ كَمَا أَنَّ الْبَازِي لَا يَنْهَضُ إِلَى الطَّبِيرِ إِلَّا إِذَا سَاعَدَهُ

جناحه فالقصد تمثيل حاجة الانسان الى ابن عمه ثم جنة البازي الى جناحه وليس القصد
الاستدلال حتى يلحق بيت أبي تمام المسوق فيما ساف للاستدلال على التخييل الذي
يراد منه المحادة وقول الدماميني

فلا تمجبوا يوماً لكسر جفونها فان اناء الحجر في الشرع يكسر
فلا سلوب في نفسه وارد في الفرضين غير ان لغوى الكلام وعجى الخطاب
وطبيعة المعنى تصرفك الى التمثيل، أو تأخذ بك الى الاستدلال والتعليل
وقد يعمد الى أمرين يمدحهما الناس بشدة التباين وغاية الاختلاف فيعمد
بينهما تشابهاً وتجد هذا في قول المرعي

وشبيه صوت النعي اذا قيد من بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحماة ام غدت نبت على غصن دوحها المياه
فالمعهود ان النفس ترتاح لصوت النعي وتتفلز حزناً وترتاح لصوت البشير
وتأنس له طرباً، ولكن الحكيم يفوس في اعماق الحوادث، وينظر الى ما تعبير
اليه من المواقب، فيترامى له ان ليس في الحياة ما يدعو الى لذة، او يستثير النفس
الى جزع، فتكون نعمة البشير وصيحة الناعي في أذنه سواء، ولا يرى فارقا
ما بين النواح والحذاء (له بقية)

٥٠ باب الاخبار التاريخية والآراء

تفرق العرب واختلافهم في جزيرتهم

كان لما كتبناه في الجزئين الاخيرين بشأن العرب وجزيرتهم استعسان عظيم
عند أولي الرأي والنيرة من قراء المنار ومثله ما كتبناه في المجلد الحادي والعشرين
في مسألة الخلاف بين الحجاز ونجد - تبين لنا ذلك من حديث من كلمنا في هذه
المسألة في سورية اذ كنا فيها عند نشر ذلك ثم من كلمنا في مصر في هذا وذاك
وأكبر مصائب العرب بأعمتهم وأمرائهم انهم قد ازدادوا تفرقا وتماديا
وعذرانا وتقاتلا بقدر اشتداد الحاجة الى الاتساق والتواد والتعاون فيما بينهم،
وقد رأينا في جريدة القبلة المسكية التي هي لسان حكومة الحجاز ورأيها مقالا
في التمادي والتقاتل بين العرب السعوديين ومن يتسل بهم من عرب نجد

والسكوت واليمن وبن عرب عسير الادريسين وعرب اليمن العليا التابعين للامام
يحيى ، وهذه الجريدة تلقي تبعة ذلك على الامام ابن سعود وعلى السيد الادريسي
الذين كان بينهما وبين الشريف والملك حسين من التعادي والتقاتل ما كان
نحن عرب نغار على جميع العرب ، ومسلمون بفضل بلاد الحجاز على سائر بلاد العرب
والمعجم ونهتم بأمر حفظها وصيانتها فوق اهتمامنا بسائر بلادنا وأوطاننا ، وقد
حرم الله تعالى مكة على لسان نبيه وخليفه ابراهيم والمدينة على لسان خاتم رسله
وسيد ولد آدم محمد عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام . فلا يجوز أن يقع في
في هذين الحرمين قتل ولا قتال ولأن يكونا موضعا للنزاعات الحربية ولا
السياسية لانها قد تفضي الى الحرب

لما وقع التقاتل بين الحجازيين والنجديين اقترحنا على امامي أقوى
الحكومات الاسلامية العربية المجاورة للحرمين التعدي لاصلاح ذات البين
ولو يقتال الفئة الباغية حتى تهيء الى امر الله ، ولكن مثل هذا الاقتراح
لا ترجى قايده بالاخلاص الذي يطلبه المسلمون الذين ليس لهم هوى ولا منفعة
بنصر احدى الطائفتين على الاخرى ، واننا نخشى ان نرى الحرمين في يوم قريب
ميدان قتال يتعذر اقامة ركن الحج في أثناءه وتنهك فيه حرمة بيت الله تعالى
وحرمة أو حرمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلتلا في ذلك نعرض على أهل الرأي
والحصافة والمكاتب من المسلمين الاقتراح الآتي

اقترح لصيانة الحرمين الشريفين من الحرب

وعمرانها وأمنها

للقطر الهجاري حمة لا يشاركه فيها فطر آخر من أقطار الدنيا فكل قطر سواء لاهله
الامتياز فيه على غيرهم بالغمر والتصرف في حكمه وأرضه ومراقبته وحكومته أن توالي
وتعادي وتعارب وتعاود من تشاء وتعلم من دونها عند الحاجة من تشاء ، وتأذن فيه
بأن تشاء بحسب قوانينهم والقانون الدولي العام

واما الحجاز فحرمه الله وحرم رسوله الذين حرم الله فبهما ما لم يحرم في

غيرها كأكل العبد وترويمه وقطع الشجر وغيره من النبات وشرع فيه من البادق ما لم
يشهره في غيره فواجب على مسلمي جميع الاقطار الحج والعمرة فيه وندب الرسول (ص)
شد الرحال الى مسجديه وجعله (أي القطر) خاصاً بالمسلمين كما بدم لا يساح لغيرهم
الاقامة فيه كما أوصى صلى الله عليه وسلم في مرض موته. وامتن الله على عباده بمحمل جوار
بيته حرماً آمناً وجعله مثابة للناس وأماناً وقال فيه (ومن دخله كان آمناً) وقال (والمسجد
الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن يرد فيه بالحاد يظلم نفسه من
عذاب أليم) وقد ورد في التفسير المأثور عن النبي (ص) والصحابة والتابعين أن خلق الله فيه
سواء لافرق بين المقيم بمكة وقبره ممن يحججه من سائر الاقطار وأنه يجب على أهل مكة
أن لا يمنحوا أحداً من الحاج مشاركتهم في سكنى بيوتهم وحرم بعض السلف أخذ الاجرة
منهم وكرهها بعض آخر بل روي في ذلك أحاديث مرفوعة الى النبي (ص) وإن رسول
الله (ص) توفي وتوفي من بعده أبو بكر وعمر وما كانت رباح مكة تدعى بالسواائب
من احتاج سكن ومن استغنى أسكن، وكانوا يهتفون أن يكون لبيوتها أبواب لثلاث يكون
منها من دخلها. وليس هذا الاقتراح بالذي ينسج لثقل الروايات ومذهاب الائمة
فيها وربما خصصناه له مقالا بعد

وقد روي عنهم في تفسير الاحاد والظلم في الحرم تشديد تعظيم فلم يقتصروا
بارتكاب ما حرمه الله هنالك مما حرمه في غيره وما لم يحرمه الا فيه بل جعلوا من
معناه مضاعفة السبائات وكون الصغيرة في غيره كبيرة فيه حتى شتم الخادم وكذلك
الهم بالسبئية والعزم عليها ولو قبل الوصول الى مكة. وفي الحديث احتكار الطعام بمكة
الحاد، وفي رواية في الحرم بدل مكة وقال ابن عباس: تجارة الأمير بمكة الحاد
قصر المسلمون فيما يجب عليهم للحجاز فلم يقوموا به حق القيام ولم يغتدوا وصية
الرسول الاخيرة فيه وهو المقصود الهم من وصيته في جزيرة العرب حتى ذم بعض
العلماء انه هو المراد باختلاف المتبادر من لفظ الحديث ولا مراد في ان الحاجة الى العناية
به في هذا الزمان أشد من كل الازمنة الماضية من وجوه كثيرة ليس هذا محل شرحها
فاكثر مسلمي هذا العصر تابعون لحكومات غير اسلامية تنهت بحمايتهم وشؤونهم في
صفرهم الى الحجاز فاذا وقع فيه قتال قاموا بتمسكهم من اعداء فريضة الحج في انفسهم واداءة كان

الحكومة الحجازية من سائر الحكومات من حق قيام العلاقات الودية وإعلان الحرب على أي دولة يقيم بينها وبينها ما يقتضي ذلك فإن هذا يتيح للدولة الحجازية لها المحرم على الحرمين والأصيلة عليهما أو حصرهما ومنع الأقوات وغيرها عنهما كما أنه تدير الدولة الأجنبية إلى منعم عاياتها المسلمين من السفر إليه للحج ولا سيما إذا كانت مادية وكل هذا في مصلحة المسلمين العامة وليس فيه منفعة دينية ولا دنيوية ترجع على المفسد الكثيرة التي اكتفينا بالإشارة إليها عن شرحها وتفصيل القول فيها

وأما المصلحة الإسلامية العامة أن يكون الحرمان الشريفان وصياهما من البلاد قطراً آخرًا مسلمًا لجميع الأمم والدول ليكون معصومان من الاعتداء عليه وإتلاف حرمة ويكون ركن الحج من أركان الإسلام قائمًا أبدًا — بل ليتحقق وأما جعل الله تعالى إياه حرماً آمناً وكون من دخله آمناً وكونه لجميع المسلمين سواء العاكف فيه والبادي لا تعدى فيه ولا إلحاد

فنقترح على أهل الفكرة الإسلامية من مسلمي الحجاز وسائر الأقطار أن يسموا إلى هذه المصلحة سميها وهي تتوقف فيما نرى على وضع نظام لحكومة الحجاز يبنى أساسه على جعل الحجاز قطراً إسلامياً على الحياض لا تكون حكومته خصباً ولا عدواً للدولة من الدول ولا حكومة من الحكومات فلا تمتد ولا يمتد على ولا تخاف ولا تخاف منها ، وإن تسمى هذه الحكومة بمساعدة أهل المنفذ من مسلمي جميع الأقطار إلى جعل جميع الحكومات المجاورة لها وسائر الحكومات التي لها رعايا مسلمون يركبون متون البحار ويشدون الرحال إلى الحرمين الشريفين للتسك والعبادة فيها . ونظن أن جميع الدول تجيب إلى هذا ولا تعارض فيه

فنرض هذا لاقتراح مجمل على العالم الإسلامي وفي مقدمته حكومة الحجاز وأشرف الحرمين وعلمائه لبيان الآراء التفصيلية فيه بنشرها في الصحف الدورية والمنار مستعداً لنشر ما يأتيه فيه . وإن كان لابد من التذكير ببعض التفاصيل فيه فليكن اقتراح إنشاء محكمة إسلامية بمكة يكون لكل قرار إسلامي حق تمثيله فيها بعض من علماء الشريعة المنسبين إلى المذاهب الإسلامية التي يستقبل المنبشون لها هذا البيت في صلاتهم ويجمعونه لأهل محاكمة من يمتددي في تلك البلاد على مال

غيره أو بدنه أو عرضه أو شرفه ومنه الطعن في المذاهب فإن ضمان حرية كل منهم إلى مذهب من مذاهب المذاهب في تلك البلاد التي لهم حق أداء النسك فيها يستلزم أن لا يظلم أحد منهم في مذهب الآخر وهو من أكبر الأخطاء في الحرم. بل إذا قيل أنه ينبغي أن يكون لجميع الشعوب الإسلامية حق المشاركة في تأمين هذا القطر المقدس وحمايته ومراعاة إقامة الشائرفيه مع منع العلم كما كان عليهم أن يماولوا على كفاية أهل الحاجة وأغنا أعرابه عن التمدد وعلى نشر الدين والعلم فيهم وجعل المجتهدين الاشراف من مشايخ الناس في العلم وفي العبادة جميعاً إذا قبل هذا كله — رجونا أن يتقبله جميع المؤمنين الصادقين بقول حسن ويتكاتفوا على القيام به حتى القبول لعل الملك حينئذ يقبل هذا الاقتراح ويبادر إلى تنفيذه برأي كبار الشرفاء والعلماء في مكة المكرمة بأن يضموا له مشروع النظام وينشر في جريدة القبلية ونشره منه نسخ إلى المدن الإسلامية الكبرى في الشرق والغرب والجنوب والشمال لأخذ رأي أهل العلم والخبرة فيه ويضرب موسم الحج القابل موعداً لتنفيذه بعد جمع الآراء وتجميعها فيه بمرضاها على لجنة تؤلف من خيار حجاج هذه الأقطار علماً ورأياً. وحينئذ يكون سعي هؤلاء المسلمين لموافقة الحكومات على حيادها وأيدهم مع هذا النجاح في أقرب وقت

رأينا نرى أن هذا المشروع إذا تم يسهل ما اقترحه في الجزء الذي قبل هذا من إنشاء مجلس تحكيم لما يقع من الخلاف بين أمراء العرب إذا وقع الاتفاق الذي ينظمه لهم كل عربي بل كل مسلم يعقده الاسلام ويقار على مصالح أهل ذهاب يكون هذا المجلس في مكة المكرمة بل يرتب عليه تعاون جميع المسلمين على عمران الحجاز وتسهيل طرقهم وتكثير موارده ونموين أهلهم ونشر العلم فيه وغير ذلك من المصالح والمنافع وأهل المرفق

(كامة لاصحاف الإسلامية)

نرجو من حرفائنا الكرام أصحاب الصحف الإسلامية في جميع الأقطار أن يبينوا رأيهم في هذا الاقتراح ويحشوا قراءهم على القيام بما يرونه فيه

وثائق تاريخية، في المسألة العربية

لشراً في مجلدات المنار — ١٩ — ٢١ عدة وثائق وحوادث يصح ان يرجع اليها في تاريخ ما يسمى المسألة العربية . وسننشر في هذا المجلد وثائق أخرى من رسمية حقيقة أو حكماً وغير رسمية ما يعتمد في ذلك ونذكرها بالعدد

١

كتاب من ملك الحجاز الى نائب ملك الانكباير بمصر

هذا الكتاب نشر في العدد ٢٩١ من جريدة (القبلة) الذي صدر بمكة المكرمة في ٢٣ رمضان سنة ١٣٢٨ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٩٢٠ بعد مقدمة وجيزة ويليه تعليق عليه في الاختصار به من قبل الجريدة ونحن ننقله عن هذا العدد وان نشر بمده مرة أخرى . وهذا نص ماجاء فيه تحت عنوان (الامى والحزن)

« اذا تأملنا ما هو واقع في ساحل البلاد على البحر المتوسط وشماله مما تنقله الصحف وترويه البرقيات من الحوادث والبواث تجد أن قول (الامى والحزن) لا يفي من تصوير تلك الحالة . وليس لنا ما نقوله عنها الا : ينقم الله من أنور وطلعت واخوانهم ومن نحاحهم وآلهم وشيعتهم . لنا ولكل سكان الدولة التركية من ساطعائها الى راعي غنمها بما جروه على تركها بانقائها في هاريتهم اخذترة التي لا يهمل شأن تبيجتها والتي تنقل لنا تفاصيلها صحف العالم بأسره مما يجعلنا في دعة رسكون . أن لا تكلم أوبعث مما كانت نرمينا به سهام الانغراض على الخلاف نزعاتها مما يجعلنا أن نقول (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)

وطسن الحظ منعنا بالوقوف على صورة تحرير من مولانا المقتد^(١) تاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ نفس هاينا ما آله شيئاً مما نجد عن حالة البلاد العربية وما قبل عن قيام اخر وجه عن المالك (الانورية) والجنابات (الدامية) اوهذه صورة الكتاب

(صورة تحريرنا لقائمة نائب الملك بمصر تاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦)
مارأيت خصوصاً بهذا الاثناء من اقتناء قضاةكم وتأكيداتها في ازالة أسباب

دوامي سوء التفاهم الذي لا أرتاب بأن المقصود بذلك الاعتناء هو صيانة تأثر حريات
مخلصكم خاصة . ولما تكونه للواد البديعة أيضا من ذلك المعنى رأيت أن أبين
من حكومة جلالة الملك في الأساس المقرر مع ههنا في النهضة وما بنيت عليه من
مواد الاتفاق المقدم بطيه بيانها بأني ما طلبت لبلاد أمام حكومة جلالة الملك ما طلبته
من المواد التي تهتت ههنا بها رغبة مني في تأسيس حكومة وتشكيل دولة لا ستأثر
بما كتبها أو حرصا على جاهها أو رياستها لكن عند ما ذهبت برطانيا إلى ما ذهبتني إليه
وعلمت أن مقاصدها بهذا أيضا تأمين مصالحة المسلمين عامة والعرب خاصة لم يسهني
إلا الإجابة وطلبي أقله تلك المواد المؤدية في اعتقادي لما يأتي :

أولا : لحفاظة الكيان للعالم الاسلامي بالنظر لما حل وما سيحل بتركيا
ثانيا : صيانة العقامة للبريطانية من الاستهداف مما سترى به عكس مقاصدها
ثالثا : سلامتي من الاتهام بالانتماء بالانتماء ضد الأساس المقصود بالنهضة
نعم أني لم أجده من جناب الفاضل الأديب المشهور استورس « عند اجتماعي
بمحضرته في السنة الأولى بمجدة ثم بعده بمحاضرة الشهم الهام السيد «مارك سايكس»
ثم في السنة الماضية بالقومندان الهام «هوغورت» المذكور - ما يشير إلى ما يخالف أو
يحل تلك المقررات غير أن ما في طبيعة مشروعا وتتمه الحياتية من الرقة وما
يتصادف من بعض حالات يستدعي سياقها زيادة تعيين الامور تأكد الحقيقة عن
الحدود فقط والاباقي المواد فالتعجز عن أداء شكر الوفاء بها شكرا عيلا الخافقين
خصوصا أمر الاعانات عما لو فهمت الغلط في مقرراتنا المذكورة أساسا أو حدث
ما يوجب تعديلها الامر الذي لأقول أنه بمس كيان العالم الاسلامي ولكنني أظن
وبعض الظن أتم أنه لا يخلو من شيء من ذلك . هذا على فكري الخصوصي فتي
أضفنا عليه تظاهر عجزي بعدم حصول ما كان يؤمل من النتائج يتحتم علي
الانسحاب من الامر والتنازل عنه لاعتقادي الشخصي أن تعديل مقرراتنا
المذكورة بصرف النظر عما في اخلاله بالنمايات المقصودة الاساسية وعرضتنا
لحذر موادنا الثلاثة آفة البيان وطمس صحيفه تاريخي فهو ريز ويسقطني من
نقطة واعتقاد بلادي وأقوامي الاقرين حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التي
أعلنتها ولمسرحتها شفاها أو تحريرا في ثلث هذه المدة وأسست عليه الاعمال
(الاجل : ٣ - - -) (٣٠) (١١١ : ١١١ : ١١١)

وأكون خدعت نفسي وغششتكم بأصدقائي بما وراء هذا من اضطراب البلاد
 بالفتن والثورات ونحوها مما لا يمكن لي معه حتى الاستفادة لذاتي وما يزيد
 صين كل ظن حكومة جلالة الملك بي وأكيد اخلاصي بيجري أن أقول من
 الآن أن مبادي هذه الخطرية على وشك التحسن بها بالنسبة للطلبات المتكررة
 المختلفة عن أمرهم باعلان استقلال بلادهم ، ولم أجد ما أذفهم به الا قولي ان
 استقلالي هو استقلال عموم أنحاء البلاد ولكنهم يقيموا الحجة على دفعي هذا
 بأوجه أخرى. وعليه فإن كان ولا بد من التعديل فلالي سوى الاعتزال والانحساب
 ولا أشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا أنه أمر يتعلق بالحياة لا بقصد
 عرضي ولا لتفكير غرضي ، وانما لا ترتاب في أبي وأولادي اصدقاؤها الذين
 لا تغيرهم الطوارئ والاهواء. ثم لعمري البلاد التي قستحسن اقامتنا فيها بالسفر
 اليها في أول فرصة. وان رأيت ذلك ولكن مشا كل الحرب الحاضرة تقتضي بتأجيله
 الى ختامها لحقوق الوفاء والجيل يفرض علينا الثبات أمام استضعاف علينا
 من التهمات ونحوه من المصوم مما لا مقاومة لدينا أمامها الا حسن النية فالأمر
 اليها. أما عطف الأمر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأن
 لا علاقة لنا به ولا مناسبة بيننا وإياه حتى تنتظر منه سلباً أو إيجاباً ولو قرر
 المؤتمر المذكور أضاف مقرراتنا وكان ذلك عن غير وساطتكم وقبلناها فنكن
 من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا الذي أتوسل
 اليه بكل آله أن يتولانا جيماً بعنايات رافته الاحدية، وقبول ما أقدمه
 لغضاضتك في الختام من جزيل احتشاماتي هو من سجايا شيمكم انتهى

(القبلة) بالطبع أنا لا ندري ما كان من الرد على هذا التحرير السامي ولا
 عن مواد الاتفاق ولكننا ندري أنه بادي تأمل بسيط يتضح أن هذا التحرير
 لم يدع نقطة مادية أو ممتوية تتعلق أساساً بأساس (النهضة) وسائر محتوياتها
 وما بنيت عليه في ذاتها وما يتعلق بالعالم سواء في الماضي أو الحال أو المستقبل
 لا. بل بالاختصار نقول انه أحصى ذرات كل ما يتعلق بها بسائر الواجه ؛
 فإذا عسى أن يقول القائلون في هذا التنبأ السياسي وزراعة الشيمير عن
 الدائيات والشخصيات في كل ما يتعلق بنفس (النهضة) أو بالعالم
 وكيف لا نقول بهذا التنبأ في التحرير المالي وهو صادر منذ سنتين تقريباً ؟
 يتأمل المتأملون ، وفي هذا فليتنافس المتنافسون ؛ ولئله فليعمل السامعون

نم كيف لا نقول ذلك ونحن نرى الامم الاخرى تتباهى بالجزئية مما احتواه تحرير مولاه المنقذ ؟

فلا عجب على « القبلة » أن تقول : (لمثل هذا فيعمل الماملون)
ومنى كانت الأعمال على مثل هذا الاساس فلا علينا من الوسواس والحناس
من اللجنة والناس اه تعليق جريدة القبلة اه
(المنار) نشرنا كل ما تقدم بحروفه ، ومنى عادت حرية النشر الى ما كانت
عليه تقول في هذه الوثيقة التاريخية وأمثالها ككتماننا التي نطن أنها لا تخطر لاحد
من محرري جريدة القبلة على بال

٢-٣-٤

حديث الامير فيصل — رواية حكمة مكة عن مائة منها مع

انكسرة — رواية الوزارة البريطانية فيها

جرى حديث للامير فيصل مع صاحب جريدة المفيد دمشق في الشام يتضمن
ذكر بعض الوثائق الرسمية بين والده ملك الحجاز وبريطانية المظلي نشرته هذه
الجريدة في عددها الذي صدر بدمشق في ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ (الموافق
١٥ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠) بعنوان (حديث سياسي مع سمو الامير فيصل .
وثائق رسمية لم تنشر حتى الآن) وهذا نصه :

(مقدمة جريدة المفيد)

لا ريب في ان كل عربي تهمة مصلحة البلاد العامة يتناول الى الوقوف على
سير السياسة العربية ويود معرفة ما قام به سمو الامير فيصل وما هو موقف
سموه تجاه السياسة الاوربية وجلالة والده الملك المعظم والامة العربية جماء
والسوريين خاصة .

وقد تشرف أحد صاحبي هذه الجريدة يوسف بك حيدر بمقابلة سموه
لجرى بينهما حديث تضمن من الوثائق السياسية مالا مندوحة من نشره وإحاطة
القراء بدقيقه وجليله والى القراء ما دار بينهما .
ابتداءً أحد صاحبي الجريدة فقال للامير : رأينا يا صاحب السمو في العدد
المؤرخ بثامن جمادى الاولى ١٣٣٨ من جريدة القبلة المبادرة في مكة المكرمة

اعلانا رسميا يقول به والذكم صاحب الجلالة الهاشمية ان لديه معاهدات من
الحلفاء الكرام تقضي باستقلال البلاد العربية جميعها وان جلالته ينشرها للملا
عند الحاجة فهل لسموكم ان توضحوا لنا ما هي هذه المعاهدات وما تحوي ؟
سمو الامير - ان المعاهدات التي يذكرها صاحب الجلالة ما رأيتها وقد
طلبت منه صراحا ان يجعلها - لاحالي اذا كانت موجودة ولا أعلم ما سبب تأخير
ارسالها لي واكتفاء جلالته برسالة صورة اتفاقية يقول انها نسخة من تلك
المعاهدة وها أنا اعطيتك تلك الصورة وبممكنك نشرها - وهذا نصها بحرفها :
صورة ما تقرر مع بريطانيا العظمى

بشأن النهضة (٥)

(١) - تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني
الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقاً من بحر فارس
ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالاً ولاية حلب
والموصل الشمالية الى نهر الفرات وتضم مع الدجلة الى مصبها في بحر فارس
ما عدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود وتتعهد هذه الحكومة
برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان
من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحمل عنها في رعاية وصيانة تلك الحقوق
وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الافراد .

(٢) - تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من
أي مداخله كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية
من أي تمدد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء
أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع
ذلك القيام لحين اندفاعه وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون
مدتها محدودة أي الحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية .

(٣) - تكون البصرة تحت اشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة
المذكورة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من
التقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي حكما قاصرة في حضن

(٥) تعبر حكومة الحجاز عن ثورته وما ترتب عايتها بالنهضة

بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاشتغال .

- (٤) — تتمتع بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الخشنة العربية من الاسلحة ومهماتا والدخائر والتقود مدة الحرب .
- (٥) — تتمتع بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو خاضع من النقاط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها . قال سمو الامير : ولكنني مع الاسف حينما كنت في لوندرة قدمتم هذا الصورة الى رئاسة الوزارة فأنكرت وجودها كل الانكار وقالت بأنه لا يوجد عهد ولا كتاب كعهد ينطق بمثل هذا التصريح ولكن لدينا رسائل أهمها شأنها رسالة من السير هنري مكماهون وهذا نصها بحروفها :

كتاب السير هـ ري مكماهون الى جلالة الملك المعظم بمكة

في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥

« لما كانت مقاطعات مرسين والاسكندرونة وبعض أجزاء سورية الواقعة الى الغرب من مقاطعات دمشق وحمص وحماه وحلب لا يمكن تسميتها عربية محضة فإنه يقتضي اخراجها من الحدود التي ينتموها — وأنه يقتضى هنيئا التعديل ومن غير اخلال بمعاهداتنا السابقة مع بعض زعماء العرب تقبل الحدود على ما ذكرتموه

» ثم بخصوص الاراضي التي لبريطانيا العظمى حرية العمل فيها من غير انصراف بمصالح حليفها « فرنسا » فإن لي السلطة باسم بريطانيا العظمى أن أعطي التأكيدات الآتية وأجيب عن كتابكم بما يأتي : —

ان بريطانيا العظمى مستعدة بعد التمديلات المذكورة أعلاه أن تتصرف باستقلال العرب والاخذ بنصرهم وذلك ضمن الحدود التي قدمها شريف مكة . « أما ولاية بغداد وولاية البصرة فعلى العرب ان يسلموا ازمير كبريطانيا العظمى ومصالحها تقتضي اتخاذ تدابير خاصة لادارتها وحمايتها من كل اعتداء أجنبي ولا ارتقاء أهاليها والمحافظة على مصالحنا المشتركة فيها (انتهى)

قال سمو الامير : عندئذ كررت طاب تلك المهادنة من مكة المكرمة ولكنها وبالإلحاح لم ترد علي حتى الآن . فهذا لا يمكنني ان أقبله

الخارجية البريطانية مخالفة للحقيقة باقوالها ولا أقول أن حكومة مكة تقول غير الواقع . فإذا كان لدى حكومة مكة المكرمة عهد كهذا فتأخير ابرازه في هذا الوقت الذي وضعت به مسألة العرب على بساط البحث وقد أوشتك المؤتمر أن يبت بشأنها مضر جدا لان هذه المعاهدة لم تعقد ألا لتبرز في مثل هذا اليوم المصيب ويعمل بموجبها وقد ألححت في المدة الاخيرة على جلالة والذي بارسالها وأظنها ستعلمني عما قريب فإذا وصلت سيكون لي موقف في النوادي السياسية غير موقعي الحاضر

سؤال : هل دفاعكم في مؤتمر السلم سيكون خاصا في شؤون سورية أم يتناول المسألة العربية كلها (١)

جواب : ان صفقي في مؤتمر السلام هو تمثيل والذي وحكومته الذي قام مدافعا عن حقوق العرب باجمعها فادا تخلت عن جانب من بلاد العرب المحررة من الاتراك أكون قد فُصرت برأبي السياسي وأخلت بما أودع الي من الوظائف فلذا يتحتم علي أن أضع المسألة العربية برمتها موضع البحث وأدافع عنها باسم جلالة الملك .

سؤال : في كتاب السرمكاهون الذي تقدم السلام عنه ما يتعلق بفلسطين وبغداد والبصرة فما رأي سموكم فيما يتعلق به وهل صرحت لكم الحكومة البريطانية بشيء بعده

جواب : اذا وجد ذلك العهد الذي أعلن جلالة والذي وجوده فان لن الحكومة البريطانية ستكون مضطرة الى تشكيل الومدة العربية والاعتراف بالاستقلال العربي . وأما اذا لم يوجد فحكومة انكسارا ملزمة بمقتضى عهدا الوارد في كتاب السرمكاهون أن تولف حكومة في العراق تكفل مصالح العرب والبريطانيين معا وأن تعترف بأن فلسطين والموصل عريبتان داخلتان في ضمن الحكومة السورية . والصدافة التي بيننا وبين الحكومة البريطانية تجعلني اواصل البحث فيما هو واجب على انكسارا اجراؤه في الملك والبدان التي هي الان تحت أشغالها العسكرية . وأمل عظيم بانها ستقوم بعهودها

سؤال : هل تفكرون برفض ما تدعيه الحكومتان الفرنسية والانكليزية

(١) حسب هذا السؤال أن الامير كان عازما على العودة الي أوروبا بحضور مؤتمر سان ريمو الذي حضره الملك و...
الذي حضره الملك و...
الذي حضره الملك و...

من الحقوق في أقسام البلاد العربية سواء كان في سورية أو العراق أو غيرها وبما هي خطة سموكم في هذا الأمر؟

جواب: انني لا أتصور أن أقابل جيل هاتين الحكومتين بمعاملة غير لائقة، وأنا أعلم بأن لهما منافع أدبية واقتصادية يجب احترامها ولكنني في الوقت نفسه أؤمل أن تنظر الينا هاتان الحكومتان بنظر الاحترام والحقوقنا بنظر الانصاف والعدل. وان لا تطالبانا بما يخل باستقلالنا ورقبتنا المادي والمعنوي وان لا نتجربانا على اتباع تقليدنا على العمياء بل نأخذ منهما ما ناب من مدينتهما الحديثة ونترك ما هو مخالف لمدينتنا وعثماننا التاريخية.

سؤال: نشرنا في المفيد برقية منقولة عن جريدة الاهرام المصرية واردة من جلالة الملك يحدد بها دائرة توكيل سموكم فأترون فيها؟

جواب: ان الوكيل يدافع في قضيته على قدر قوة ما بيده من الحجج فاذا كانت مستنداته قوية وكان الحاكم نادلا فلا شك بأن الوكيل اذا خسر القضية يكون مسؤولا - وأنا في هذه الحالة لافرق بيني وبين وكلاء الدناوي امام الحاكم فدافعني تكون على قدر قوتي المادية والمعنوية، وعلى كل فاني أؤمل من رجال الحكومات والامم المتقدمة ان تنظر الينا بعين الحب ولا تهضم لنا حقا كما تتمكن من خدمة المدنية الحاضرة كما خدم أجدادنا المدنية النابرة.

سؤال: كنا قرأنا في جريدة الشرق التي كانت تصدر في دمشق ابان الحرب نص معاهدة تسمى «معاهدة سايكس بيكو» نشرها جمال باشا زاعما ان البلشفيك ظفروا بها بين الاوراق الرسمية في بتروغراد عند ما استولوا عليها ثم انقطعت أخبار هذه المعاهدة حتى عادت صحف أوروبا منذ بضعة أشهر تردد صداها وقيل ان جلاء الجنود الانكليزية عن سورية منذ مدة كان تنفيذها لنص تلك المعاهدة فهل ذلك حقيقي وهل سمعتم سموكم بها في الاماكن الرسمية أو اطلمتم عليها في أثناء الحرب أو بعدها؟

جواب: حينما نشر جمال باشا تلك المعاهدة أثناء الحرب اطلع عليها والدي في العدد ١٠١ من جريدة المستقبل فقال جلالة الحكومة البريطانية بواسطة معتمده بمصر عن تلك المعاهدة فأجابته الحكومة الانكليزية بكتاب منه: «ان البلشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بتروغراد معاهدة معقودة بل محاورات ومحادثات موقفة بين انكليترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع

المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك وذلك قبل النهضة العربية وان جمال باشا اما من الجهل او الخبث غير في مقصدها الاساسي وأهمل شروطها القاضية بضرورة رضى الاهالي وحماية مصالحهم وقد تجاهل ما وقع بعد ذلك من أن قيام الحركة ونجاحها الباهر وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أمد مضى .

قال سمو الامير : فيظهر لكم من هذا الجواب ان تلك المعاهدة لم تكن مترفاً بها اعترافاً رسمياً لدى والدي والعرب واذا فرض وجودها فانهم قد انكروها بتاتاً بحيث أصبحت كأنها لم تكن وتصريحات الحكومات بالغاء جميع المعاهدات السرية تجملاً لانترف بتلك المعاهدة . اهـ

(المشار) هذا ما صرح به الامير فيصل في دمشق قبل نفسه ملكاً على سورية فيها نزهاء ثلاثة أسابيع فهو الى ذلك الوقت لم يكن مطلماً على شيء غير ما ذكر فيه مما دار بين والده وبريطانية العظمى من الاتفاق الذي حمله على الخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها مع الحلفاء وكان هو القائد للجيش والده في هذه الحرب بلى كان صرح لي قبل التصريح لصاحب جريدة المفيد بأنه لم يطلع على شيء قط وانه حارب بأمر والده اعتماداً على ان بيده شيئاً وظاهر ان كلا من الروايتين مبين لمصلحة العرب ومناف لحررتهم واستقلالهم فان تشكيل بريطانيا العظمى لحكومة عربية تدخل فيها الحجاز بالشروط المذكورة التي منها حفظها وصيانتها في داخليتها وخارجيتها يجعلها حكومة تابعة للامبراطورية الانكليزية ويحول لجيوش هذه الامبراطورية أن تقيم حيث شاءت منها بحجة منع الثورات والفتن الداخلية دع احالتها بها بحراً وبراً كما هو معروف

واننا كنا قد اطلعنا على النص العربي للمعاهدة المشار اليها في هذه الوثائق وهي بين السرهنري مكهاون بالنيابة عن حكومته وبين شريف مكة وأميرها سنة ١٩١٥ وقد رأينا أن كلا من الروايتين الحجازية والانكليزية اللتين صرح بهما الامير فيصل قد ذكرت بعض ما جاء في تلك المعاهدة بالمعنى على ما تذكر كله وقد نشر ملخصها أيضاً في مقال للكتوروسكي لاسكازي لورانس مستشار فيصل في أثناء الحرب وبعدها

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فمن عادى الذين يشتمون القول فينبون الله

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فمن عادى الذين يشتمون القول فينبون الله

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى ومانرا كمنار الطارق

مهر ٢٩ رجب ١٣٣٩ - ١٨ المحل (١٠) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٨ مارس ١٩٢١

فَسَاءَ الْمَبْتَلَانِ

فصحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسمع الناس عامة، ولشروط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء. واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولأن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(النيل والفرات وتمدية التمزية وأهل الفترة)

(ص ٤ - ٦) من صاحب الامضاء في بلدة - الملاقة - مصر

حضرة الاستاذ العلامة صاحب الفضيلة مفتي مجلة المنار الفراء سلام عليكم ورحمة الله. اما بعد فهذه رسالة نذكركم فيها بما أرسلناه الى فضيلتكم سابقا راجين ان يجيبونا عما تتضمنه من الاسئلة بما نفهده فيكم من شافي الجواب وفصل الخطاب

الاول: روى الصحيحان من حديث الاسراء ان النبي (ص) قال فيا يحدث عن الجنة ان بها نهرين ظاهرين هما النيل والفرات وان منبعا في أعلى صدره المنتهى ونهرين باطنين ينبعان من أصل الصدر. وقد أصبح بما لا ريب فيه ان كلا من النيل والفرات له منابع خاصة فلا نستطيع التوفيق بين الحديث وبين ما اتبعه العلم الحديث حتى لقد قال بعض الناقدين في الحديث من العلماء انه موضوع اذ ليس بعد البيان من دليل وقوى ذلك اضطراب روايات الحديث خصوصاً ما روي عن ام هانيء انها مبلت مع النبي (ص) المضاء ثم بات عندها

ومعلوم انه لم يكن قبل الاسراء عشاء مع اتفاق اهل السير على انها لم تسلم الا يوم الفتح او بعده

الثاني : نقلت في احد المجلدين (الرابع او الخامس) عن امام اللغة الشيخ الفنقيطي (رح) ان عزي من التعزية بالميت لا تستعمل الالتمدية بمن خلافا للشهور من تمديتها بالباء ولكن العرب قد استعملوها متمدية بالباء قال شاعرم في رثاء محمد بن يحيى (بلسان الندى والجود)

فقالا أقتنا كي نغزي بفقدك مسافة يوم ثم تلوه في غد

الثالث : يكاد اهل السنة يتفقون على ان اهل الفترة ناجون وان غيروا

وبدلوا وعبدوا الاصنام فكيف يتفق هذا مع ماورد في صحيح مسلم من عدم الاذن للنبي (ص) في الاستغفار لامة وما ورد في الصحيحين وغيرهما من قوله (ص) لا عرابي « ان ابي واباك في النار » وهل ما يروونه في تمذيب حاتم وامريه التيس وغيرهما صحيح يعول عليه ام لا مع ملاحظة عدم قرينة تدل على تأويل الاب بالمع في الحديث السابق ولماذا لم يكن ابواه (ص) من اهل الفترة الناجين ؟ هذا وزج من فضيلتكم عدم ارجائهما حتى لا نخرجونا الى تكذيب آخر واقبلوا منا في الختام التحية والمودة الخالصة الاخ المختص

احمد عطيه قوره

[الجواب عن الاول]

(خروج النيل والفرات من سدرة المنتهى وكونهما من الجنة)

في حديث أنس بن مالك بن صمصمة انه (ص) لما ذكر سدرة المنتهى قال « واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبرئيل ؟ قال أما الباطنان فههران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات » وفي رواية أخرى لحديث المراج عند البخاري « فاذا في أصلها أربعة أنهار » وفي رواية « يخرج من أصلها أربعة أنهار » وقد اختلفت الروايات في سدرة المنتهى ففي بعضها أنها في السماء السابعة وفي بعضها أنها في السابعة وفي أخرى أنها في الجنة وقال القاضي عياض هي في الارض . وفي بعض الروايات أن النبي (ص) رفع اليها وفي بعضها أنها هي رفعت اليه حتى رأها . وفي رواية شريك لحديث المراج في كتاب التوحيد من صحيح

البيخاري أنه رأى في السماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما النبل والفرات،
فروايات حديث المراج مضطربة المتن في هذه المسألة وغيرها كثيرة التمازض
والاختلاف كما ينه من مستين .

والظاهر أن من أسباب الاضطراب والاختلاف في هذه الاحاديث روايتها
بالمعنى ولم يبرحهور العلماء انتقدين حاجة الى ردّها بالاضطراب ولا تأويل هذه
المسألة فيما أدلوا قالوا لانها لا تنافي العقل وقائهم أنها تخالف ما هو أقوى من
دلالة العقل الذي يكفر خطئه في النظريات وهو الحق فان الالف من الناس رأوا
منبع النيل والفرات بأهينهم وفي مصدر كتاب مطبوع فيه رسم بحيرات النبل التي ينبع
منها ويجراه من أوله الى مصبه في البحر المتوسط

قال النووي في شرح مسلم قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث يدل على
ان أصل سدرة المنتهى في الأرض لخروج النبل والفرات من أصلها إذا حافظ في
شرح البيخاري : وما بالمشاهدة يخرجان من الأرض فيلزم منه أن يكون أصل السدرة
في الأرض . ورد النووي قول القاضي بظاهر معنى الحديث وكونه لا يمنعه عقل ولا شرع
ثم ذكر النووي في شرح حديث أبي هريرة عند مسلم في المسألة « سبحانه وسبحان
والفرات والنبل كل من أنهار الجنة » ان سبحانه وسبحان في بلاد الارمن
الاول نهر اذنه (اطنه) والثاني نهر المصبصة ثم نقل عن القاضي عياض في تأويل
الحديث ان الامان هم بلاد هذه الأنهار وان الاجسام المتفدية بمائها تهاجرة الى الجنة
ثم قال والاصح أنها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة واحتج بحديث المراج اه
وقال بعضهم ان المراد يكون النبل والفرات من الجنة هو التشبيه بها بما في الجنة في عذوبته
وجسده وبركته أي فوائده على طريق المبالغة ، وهذا لا تكلف فيه اذا فسر به
حديث أبي هريرة بأنها من الجنة ولكن الاستعارة لا تظهر في روايات أحاديث
المراج الا بتكلف ولعل سبب ذلك روايتها بالمعنى وبسبب الخطأ على القول بأن
حديث المراج كان يانا لرؤيا منامية أو مثالا لمشاهدة روحية والله اعلم

(مسألة تمدى التعزية بالباء)

البيت الذي ذكره الماثل في رثاء محمد بن يحيى البرمكي ليس من كلام العرب .

بل لا أصدق أنه من كلام أهل ذلك العصر إلا إذا وجدته مرويا في كتب المتقدمين على أن الباء فيه لا يتمين أن تكون لتعدي بل الظاهر أنها للشيئية ، أي أننا لكي نرى بسبب فقهه على أن معاجم اللغة ذكرت الفعل لازما لا متعديا بين ولا بالباء والياء وجه قياسي كما علمت

﴿ أهل الفترة وأبو النبي (ص) ﴾

في نجاة أهل الفترة خلاف مشهور وقد استثنى المنتبئون لها من ود النص بأنهم من أهل النار في الأحاديث التي ذكرها السائل وغيرها والأ كانت هذه الأحاديث حجة عليهم - وقد شرحت مسألة أبي النبي صلى الله عليه وسلم وأبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام في تفسير (واذ قال إبراهيم لأبيه آزر اتخذ أصناما آلهة) الآية فبراجع في المجلد العشرين من المنادى أو المجلد السابع من التفسير

﴿ كعب الاحبار ﴾

(س ٧) من صاحب الامضاء في (زنجبار)

حضرة العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدي سؤلنا عن العلامة كعب الاحبار الذي نسمع بأحاديثه الكثيرة وكان عالما عند اليهود ثم أسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وعاش إلى زمن معاوية ومات وعمره ٢٠٠ سنة أهو شخص حقيقي أو وهمي
صلاح ناجي الكسادي

(ج) كعب الاحبار شخص حقيقي معروف في كتب الحديث وقواربها

وقد استدلوا في تاريخ اسلامه قل لاحظ ابن حجر في الاصابة : والراجح ان اسلامه كان في خلافه عمر وروي عنه أن سبب تأخير اسلامه أن أباه كان كتب له كتابا من التوراة وأمره بالحمل به دون غيره وختم على سائر كتبه وعهد اليه ألا يقض الختم فلما رأى ظهور الاسلام وانتشاره فض الختم فرأى في الكتب صفة النبي (ص) وأتم قاسم. ونقل عن ابن سعد أنه مات سنة ٣٢ وعن ابن حبان في الثقات أنه مات سنة ٣٤ وأنه بلغ منه وأربع سنين. وقد عدلوا روايته وذكروا انه روى عنه بعض الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير ومعاوية ولكن كل فيه منقولة فان

كان لمن أصدق هؤلاء المحرّشين من أهل الكتاب وإن تضاف ذلك لبلو عليه الكذب.
رواه البغاري في صحيحه وأوله به ضمهم بأن المراد هدم وقوع ما يجز به لا اختلاف الكذب

﴿ أفضل النبيين والسؤال بحقه ﴾

(س ٨ و ٩) ومنه

حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا المحترم زيد في مجده
سيدي السلام عليك ورحمة الله . وبعد فالمرجو من فضيلتكم ان تبين لنا
الجواب عن السؤال الآتي وهو :

قد نص القرآن الكريم على افضلية بعض النبيين على بعض في الدرجات
ولم نرفيه آية تدلنا صريحا على من هو افضلهم وما هو نوع التفضيل فاذا كان
الافضل محمداً فما الدليل وبماذا كان افضل

ثم اذا دما أحد هكذا (اللهم اني أسألك بحق أو بجاه محمد سيد المرسلين
أن تسهل لي رزقي وتغفر لي ذنبي) مثلا فهل هذا الدعاء جائز شرعاً أو يعد ذلك
شركاً. أفيدونا أتابكم الله

(ج) هنا سؤالان لسؤال واحد وانما نجيب عنهما باختصار لما سبق لنا
في موضوعهما من التفصيل في عدة مواضع

﴿ فضل نبينا على سائر النبيين عليه وعليهم الصلاة والسلام ﴾

الفضل في اللغة الزيادة وأفضل الشيءين أو الشخصين مثلاً ذوا الزيادة في
الصفات والمزايا والخصائص والأعمال الشريفة التي من شأنها الاشتراك فيها
فتكون موضوع التفاضل، فالأنبياء منهم المرسلون وغير المرسلين والمرسلون
أفضل بما خصوا به من الرسالة، وقد كان كل رسول يرسل الى قومه خاصة
بشرع مؤقت يليق بحالهم واستعدادهم للهداية حتى استمد جميع البشر للهداية
الكاملة العامة فبعث الله محمداً خاتم النبيين للناس كافة وأكمل به دينه الذي بعت
به من سبق من رسله وأتم نعمته عليهم فكان رحمة عامة للعالمين وانما تكلل الاشياء
بجوازيها فكان أفضلهم بموم بعمته وشمول هدايته وكال الدين على لسانه وبده
وحفظ كتابه وآيته وهذه مزايا تتعلق بموضوع الرسالة، والقرآن ناطق بكل منها،
ولهذا قال من قال في تفسير قوله تعالى (ورفع بعضهم درجات) انه هو المراد بالهمض،
والتلميح قد يجتاز على التصريح اذا كانت قرائن الحال مبينة له، وقال شيخنا

الاستاذ الامام ان نكتة ذكره بين موسى وعيسى عليهم الصلاة في قوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأبدناه روح القدس) هي التنبيه لكونه هو الوسيط كما قال انه جمل أمته وسطا - وخير الامور أوسطها - وقد كانت شريعة موسى مشتملة على المبالغة والشدة في الاحكام الجسدية والامور المادية وتعاليم عيسى مشتملة على المبالغة في احكام الزهد والمواظع الروحية فجاءت شريعة محمد وتعاليمه وسطا في كل منهما كما بيناه بالتفصيل في مواضع من التفسير وغير التفسير من أبواب المنار، ولما كانت أمم الرسل المعروفة في زمن بعثته محصورة في أمة موسى وعيسى كان ذلك من أقوى القرائن اللغوية على ان من رفعه الله درجات هو النبي الذي بعث بعدهما لان حمله على نبي انقرضت أمته ولم يبق أثر لشريعته بعيد وغير مفيد وتتنزه بلاغة القرآن وهدايته عن ذلك

﴿ سؤال الله بحق خاتم رسله وجاهه ﴾

سؤال الله تعالى ودعاؤه هو روح العبادة وركنها الاعظم والقاعدة التي تلي توحيد الله وعدم اشراك أحد معه في العبادة هي ان عبادته تكون بما شرعه سبحانه فقط أي اتباعاً لا ابتداع فيه. ولم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله المثبته التي صححت بالنقل والعمل عن السلف الصالح ان يسئل سبحانه شيئاً بحقوق أحد من خلقه عليه وان كان من عباده المكرمين الذين جعل لهم حقاً عليه جزاء على أعمالهم ، ولا يجاهه عنده وان ثبت انه جعل له وجاهه ، فهذا السؤال اذا بدعة ولكنه ليس شركا في هذه العبادة لان السائل قد توجه فيها الى الله ودعاه وحده ولكنه ابتدع في دعائه بدعة أراد ان تكون سبباً لاجابة السؤال ، وهي ادخال شيء في العبادة لم يأذن به الله بنس ولا خوى بل يبدل الشرع والعقل على بطلانه ، ذلك بانه ليس لاحد على الله تعالى حق الا ما جعله هو له بفعله وان كان جزاء على عمله فانابته لمبيده فضل منه عليهم كما ثبت . وقد ورد في الصحيح من ان حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحقهم عليه اذا فعلوا ذلك ان يدخلهم الجنة - فهذا الحق يزيد العابد المخلص لله تعالى لا يسح ان يكون سبباً لاجابة سؤال عمرو شفاء مرضه أو توسيع رزقه أو منيرة ذنبه لان من أصول دين الله المقتولة (ان لا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان

(المنار : ٤) (٣٤) (الجبل الثاني والمشروف)

الا مسمى) وكذلك ما جعل الله من الوجاهة بفضل له موسى عليه السلام اذ قال فيه (وكان عند الله وحيها) لا يمتثل ان يكون سبباً لمثل ذلك . فانه تعالى قد جعل ليكل شيء حبيباً وليست هذه الوجاهة ولا تلك الحقوق من أسباب ما ذكره ، على انها لو كانت منها لما صح ان تدخل في العبادة الا باذن منه تعالى كما اذن بغير زيادة ولا نقص . نعم ان من الجاه او الوجاهة الشفاعة وهي من أسباب المغفرة ولك ان تسأل الله ان يجعلك أهلاً للشفاعة رسوله ويفعل بك بها ولكن لم يرد أنها سبب لمصالح الدنيا ولم يكن الصحابة يطلبون من النبي (ص) عند قبره ولا في حال البعد عنه في حياته ان يشفع لهم في شفاء مرض ولا دفع ضرر ولا نزول مطر ولا يسألون الله ذلك بجاهه (ص) وقد طلبوا من عمه العباس ان يستغني لهم بمده بدلاً من استبقائه ولو كان هذا من عبادتهم لتواتر عنهم أو اشتهر برواية الشيخين وأصحاب السنن لتوفر الدواعي على ذلك

فان قيل: ان شرع ما لم يأذن به الله قد عد من الشرك وعد من قبله ويعمل به من متخذي الشركاء والارباب من دون الله في قوله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقوله عز وجل (اتخذوا احبارهم وورهبانهم ارباباً من دون الله) الآية وقد فسر في الحديث المرفوع اتخذهم ارباباً بطاعتهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم . وطالما كرر المثار هذه المسألة (وفي تفسير هذا الجزء قول مفصل فيها) قلنا ان السؤال وارد ولكن يفرق في مثله بين تنقيح المناط وتحقيق المناط فان الشيء قد يكون بمقتضى الدليل شركاً أو كفراً ولا يعد كل من فعله مشركاً أو كافراً كما نقلناه عن شيخ الاسلام (ص ١٢١ ج ٢) ولا يسأل ذلك السؤال من يقوله من المسلمين الا وهو يظن انه مشروع بتقليد أو شبهة دليل على صحته كبعض الاحاديث الموضوعة أو الضعيفة التي لا يثبت بها حكم . وكل البدع الدينية ومساائل المبادات التي لا تدل عليها النصوص من هذا القبيل ولم يكفر السلف مسلميها كما فعلناه في الاجزاء التي قبل هذا ومنهم من يدخل هذه المسألة في باب الاقسام على الخالق بالخلق وقد صرح الحنفية بكراهته قال ابو يوسف واكره ان يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمحرّم الحرام . والمراد كراهة التحريم . وقد فصل القول في هذه المسألة شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (التوسل والوسيلة) وهو مطبوع نقلنا بعض اقواله في المجلد الثاني عشر من المثار وغيره فليراجع السائل ذلك في موضعه

ما وراء القبر

حديث مع اديسن عن الحياة والموت

قابل كاتب أميركي المستر اديسن العالم الأميركي المشهور واستطلعه رأيه في نبأ نشرته الصحف الأميركية ولفواه أنه يبحث ويفتش لعله يفوز برفع الحجاب عن حقيقة ما نصير اليه نفس الانسان بعد الموت ويؤيد ذلك بالدليل العلمي. وقد نشرت خلاصة هذا الحديث في مجلة السيستك أميركان المروفة بتدقيقها العلمي وقدمته بمقدمة من عندها قالت فيها :

« اذا كان رجل في مقام لودج اواديسن بهم بموضوع ما مان الجمهور يتبالغ في الاهتمام بما يقول وبما يرجو ان يفعل . وعليه فلما أذيع منذ ايام ان اديسن يجرب تجارب لمناجاة الموتى فسحت الصحف مجالا واسعا لهذا النبأ يفوق ما يستحقه بالنسبة الى الدرجة العليا التي بلغت أعمال اديسن من التقدم العلمي . وقد أصابت فيما فعلت لان القراء اهتموا مزيد الاهتمام بمجرد علمهم ان اديسن يشغل بهذه المسئلة . الى ان قالت « وأهم ما في الامر ان اديسن رغم الاراجيف التي قد تذبذبها الصحف عن هذه المسئلة وعلاقته بها يسعى ليمود بنا الى الموقف الصحيح في أمر الحياة بعد الموت وبقاء الانفس وامكان مخاطبة الموتى . وهذه صورة الحديث . قال الكاتب :

« ان اديسن الذي استنبط المصباح الكهربائي والفونوغراف والصور المتحركة وبطرية النكل والحديد والدينامو الكامل وغيرها من المكتشفات والمخترعات التي تدخل أعمالنا اليومية سيوجه سميح وجهه الى أمر يفوق كل اكتشاف واختراع بما لا يقاس . فان في العالم نحو ١٥٠٠ مليون نسمة سيذركهم الموت عاجلا او آجلا ولكنهم يحلون كل الجمل مصيرهم بمسده . ومثل ذلك يقال عن مجيئنا الى هذه الدنيا . وعليه فالحياة والموت لا يزالان سرا من الاسرار ولغزا من الالغاز التي لم يفتح بها على مخلوق

منذ بضعة أسابيع شاع ان هذا المخترع العظيم يمد طريقته او آلة لمخاطبة

(١) نشرت في بعض الصحف المصرية والدورية واعتمادا ترجمة المتطفت

منها مع تصحيح لنوي قليل

الذين انتقلوا من هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . فنشرت صحف اميركا واوروبا ان توماس اديسن اندمج في صفوف الروحانيين الذين بينهم الآن كثيرون من كبار العلماء والمؤلفين والمخترعين والطبيين والمهندسين ورجال الدين وغيرهم . ووصف الكتاب الفرنسيون الواسعوالخيال آلة اديسن بانها محطة تلفونية او مكتب تلفراف او ما أشبه يقصدها الناس ليخاطبوا منها ارواح احبابهم واصدقائهم في العالم الآخر بطريقة عاجلة اكيدة

وليس في الناس احد اشد اسفا من المستر اديسن على اذاعة اخبار مثل هذه . فقد قال لي في حديثي معه « اني لا أستطيع تصور شيء يسمونه الروح . تصور شيئاً لا تنقل له ولا صورة مادية ولا حجماً . وبمباراة أخرى تصور غير شيء . انا لا أستطيع ان اعتقد ان الارواح يمكن ان ترى في أحوال معينة وتحرك الموائد او تفرع عليها او تعمل أعمالاً سخيفة مثل هذه وكل ما قيل من هذا القبيل حديث خرافة »

واقول هنا انه انما قابلي لازالة ما علق بالاذهان من الاشاعات التي شاعت عن غرضه من البحث والتقيب في هذا الموضوع . ولا تزال الآلة التي شاع أنه يصنعها في دور التجربة والامتحان . وقد طلب مني ان أعلن ما يأتي قال: « فكرت منذ مدة في اختراع آلة او اداة يمكن ان يستخدمها او يؤثر فيها الذين غادروا هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . والآن أسمع وع ما اقول لك . انا لا ادعي ان شخصياتنا تنتقل الى وجود آخر او منطلقة أخرى . ولا ادعي علم شيء في هذا الموضوع لاني لا اعلم شيئاً فيه ولا احد من الناس يعلم . ولكنني ادعي انه يمكن صنع آلة بالغة من الدقة مبلغاً بحيث انه اذا كان اناس في عالم آخر يريدون مخاطبتنا في هذا العالم فان هذه الآلة تكون اوفى بهذا الغرض من تحريك الموائد والنقر عليها او غير ذلك من الوسائل السخيفة المعروفة والحق يقال ان سخافة هذه الوسائل هي التي تحملني على الشك في صحة مناجاة الموتى التي يدعونها . فلست أدري لم يضيع الاشخاص الذين في العالم الآخر وقته في تحريك مثلث من الخشب على مائدة عليها حروف الهجاء ، وما غرضهم من تحريك الموائد هذا كله يظهر لي أنه من الاعمال الصبائية حتى لا أستطيع ان ابحت فيه بعين الجدل والاهتمام . وعندي انه اذا شئنا ان نتقدم تقدماً حقيقياً في البحث العقلي وجب ان نخلد عليه بالآلات العلية وبالطرق

العلمية كما تعمل في الطب والكهربائية والكيمياء وغيرها
واما ما اريد ان اعمله فهو ان اجعل الباحثين في المباحث العقلية النفسية
بآلة تلبس عملهم لباساً علمياً . وهذه الآلة ستكون مثل مصراع او تشبه
مفتاحاً صغيراً يستطيع به رجل واحد ضعيف القوة ان يفتح مصراعاً تدار
به آلة قوتها ٥٠ الف حصان . وستكون آتي على هذا المثال حتى ان اصغر
قوة تكبر بها كثيراً فتساعدنا على بحثنا . ولا اقول اكثر من ذلك عن ماهيتها .
وقد مضت على مدة وانا اشتغل بتفاصيلها وكان يماونني في عملي هذا صديق
فتوفى منذ حين . ولما كان يعلم ما انا ساع اليه فالواجب ان يكون اول من
يقدم على استعمال هذه الآلة ان استطاع ذلك

واعلم اني لا ادعي اني اعلم شيئاً عن بقاء الشخصيات بعد الموت ولا اعد
بمخاطبة الذين انتقلوا من هذا الوجود وانما اقول اني ساع في تجهيز الباحثين
النفسيين بآلة قد تساعدهم في عملهم كما يساعد الميكروسكوب رجال الطب في
مباحثهم . واذا عجزت هذه الآلة عن ان تكشف لنا شيئاً خارق العادة فاني
افقد كل ثقة وايمان ببقاء الشخصيات بعد الموت كما نعرفه في هذا الوجود «
ومما يقال عن المستر اديسن انه لا يصدق المذاهب المرووفة في الحياة
والموت لانه يعتقد انها فاسدة الاساس ، قال لي باسطاً مذهبه فيها « عندى
ان الحياة كالمادة غير قابلة للفناء . فقد كان في هذا العالم مقدار معين من
الحياة على الدوام وسيبقى هذا المقدار كما هو على الدوام . فانك لا تستطيع
خلق الحياة ولا ابادتها ولا مضاعفتها . وفي اعتقادي ان اجسامنا مركبة من
ملايين من الكائنات المتناهية في صغرها وكل منها حي مفرد ويرتبط بعضها
ببعض لتكوين الانسان . ونحن نقول عن انفسنا ان كلا منا شخص واحد
قائم بنفسه وتكلم عن الهرة او الفيل او الحصان او السمكة كأن كلا منها فرد
قائم برأسه ولكنني ارى ان طريقة التفكير هذه فاسدة الاساس فان هذه
الاشياء كلها تظهر انها بسيطة مفردة لان الكائنات الحية التي تتألف منها اصغر
من ان ترى حتى باعظم المكبرات

وقد يمتزج على هذا الرأي بانه اذا كانت هذه الكائنات صغيرة الى هذا
الحد فلا يمكن ان تكون مؤلفة من أعضاء مختلفة تستطيع القيام بالاعمال التي
سأذكرها . فاقول في الرد على ذلك انه لا احد لصغر الاشياء كما انه لا احد لكبرها

واكتشاف الألكتروت خير جواب على مثل هذا الاعتراض. فقد ظهر لي
الحساب أنه يمكن وجود حي متقن التركيب والتنظيم مؤلف من ملايين من
الالكتروتات الصغيرة التي لا ترى بما نعرف من المكبرات

وهناك دلائل كثيرة تدل على أننا نحن الخلائق البشرية نتصرف كل منا
تصرف جماعة من الاحياء لا تصرف حي واحد. وهذا ما يحلني على اعتقاد
ان كلا منا يحتوي على ملايين من الاحياء وان اجسامنا وعقولنا تمثل افعال
الكائنات التي تتألف منها

ولننظر الآن في السبب الذي يحلني على القول بأنه لا بد ان تكون اجسامنا
مؤلفة من هذه الكائنات. خذ بصمة ابهامك كما يفعل البوليس في بصم ابهام
المشهورين ثم ازل خطوط ابهامك بمحرقها بالنار. فتى نما الجلد ثانية تجد ان
خطوطه لم تتغير البتة عما كانت قبل احتراقه وقد امتحنت ذلك بنفسى حتى
تحققته. هذا سر من الاسرار ما في مطلقاً حتى الآن. تقول لي ان هذا عمل
الطبيعة. وهو جواب يراد به التفصي لا غير اذ لا معنى له بل هو وسيلة
لاسكات السائل بذكر كلمة فارغة مكان الجواب. ان كلمة «طبيعة» ما اقمعتني
قط: اما جوابي انا فهو ان الجلد لم ينبت ثانية كما كان أولاً بمجرد الاتفاق بل
ان هناك من وضع رسوم التوالثاني وعني بمطابقته لرسوم التوال اول من كل
وجه. وانت لا تعلم شيئاً من تلك الرسوم فان دماغك لم يشارك في هذا
العمل: وهنا تدخل الكائنات المشار اليها وتشارك في العمل. وانا اعتقد جد
الاعتقاد انها تحوكم نسيج جلد الابهام بمزيد العناية مستمينة على رسم التفاصيل
للدقيقة بدأكرتها العجيبة

ولزيادة الايضاح اقول. لنفرض ان كائناً من سكان المريخ هبط الى هذه
الارض ولنفرض ان بصره ليس دقيقاً كبصرنا وان اصغر شيء يمكنه ان يراه
ببصينه هو جسر (كبرى) مثل جسر بروكلن فهو اذاً لا يرى اجسامنا وقد
يجب الجسر المذكور شيئاً طبيعياً كما نحب نحن العشب او الرمل او المعادن
وغيرها من الاشياء الطبيعية، ولنفرض انه هدم جسر بروكلن وذهب ثم عاد
بعد سنين فر من هناك فوجد جسراً جديداً مكان القديم وعلى مثاله. فهل
يقوده الفكر الصحيح الى افتراض ان الجسر الجديد تما بنسخه مكان القديم وعلى
مثاله او الى افتراض انه مد ثانية بفعل فاعل عاقل. لا ريب ان الفرض الثاني

اقرب الى العقل

هذا هو الموقف الذي يجب ان تقفه نحن بازاء الكائنات الحوية. والمثله كلها مجرد افتراض وتحدين كما لا يخفى. فقد يكون ٩٥ في المئة من تلك الكائنات التي تتألف اجسامنا منها عمالا والجمعة الباقية مديرة للمعمل وقد يكون غير ذلك. ومهما يكن من الامر فان مجموعها هو الذي يكون شكل اجسامنا الطبيعي وصفاتنا العقلية وشخصياتنا وما اشبه ذلك

وهذه الكائنات هي الحياة بعينها وهي لانفتا تعمل وترمم اندجة اجسامنا وتشرف على وظائف اعضائنا. فاذا أصيب الجسم بطاريء افضى الى موته كأن يكون مرضاً عضالاً او عارضاً او هرمياً فان هذه الكائنات تتارقه ولا تترك وراءها الا بناء خاوياً خالياً. ولما كانت عمالا لا تكل ولا تمل فاما ان تدخل جسم انسان آخر او تبدأ العمل في صورة اخرى من صور الحياة واشكالها. وسواء كان هذا او ذلك فان هذه الكائنات محدودة العدد وهي تفها عملت كل شيء في عالمنا هذا ولكن تمدد التراكيب التي تتألف منها هو الذي اوقفنا في الخطأ فحسبنا ان لكل مولود حياة جديدة

وهذه الكائنات خالدة لا تموت فانك لا تستطيع افناءها كما لا تستطيع افناء المادة وجهد ما هناك انك تستطيع تغيير صورة المادة لا غير. فقد كان مقدار الذهب والحديد والكبريت والاكسجين وغيرها في بدء العالم كما هو الآن بلا زيادة ولا نقصان. نعم اننا نستطيع التغيير في تركيب مركبات هذه العناصر ولكننا لم نلفظ بتغيير نسب بعضها الى بعض

وهذا هو حال الكائنات الحوية فاننا لا نستطيع افناءها بل نغير صورها واشكالها. وقدرتها متعددة الضروب حتى يصعب علينا تمييز أعمالها في كل الاحوال. وعليه لم يستطع الممء حتى الآن أن يرسموا احدا بين الاشياء الحية وبغير الحية. وقد يكون أن هذه الكائنات تمتد الى الجماد وتعمل فيه والا فاشيء الذي يجعل البلورات تتكون على أشكال هندسية محدودة؟

والآن نأتي الى مشكلة الشخصية. أنت لسكربورا (اسم الكاتب) وأنا ديسن لان في كل مناجموعاً من كائنات يختلف عن مجموع الآخر. فقد أثبت ايطب باثنتين وثمانين عملية جراحية شهيرة عملت حتى الآن ان مركز شخصيتنا هو في تلفيف من تلافيف الدماغ اسمه تليف "بروكا". ومن العقل والصواب

ان نفرض ان مركز الكائنات التي تدبر حركاتنا وتشرف عليها انما هو في ذلك التلغيف . فهو الذي يشعرا بالتأثيرات العقلية وبمخفصتنا . ولقد قلت ان مانسميه الموت انما هو مفارقة تلك الكائنات لابداننا . والمسئلة كلها في زعمي هي مسئلة مايجري للكائنات المرشدة التي مقرها في تلغيف « بروكا » . اذ المقول ان الكائنات الاخرى التي تعمل عملا ميكانيكيا في اجسامنا تنشت وتذهب في جهات مختلفة طلبا للعمل فيها . واما الكائنات التي تتكون منها شخصياتنا فتكون انت بها السكرورا وأأكون انا اديسن ويكون زيد زيدا فاذا يجري بها ؟ هل تبقى مجموعة واحدة أو تنفرق في الكون طالبة العمل منفردة لا بجماعة ؟ فان كانت تنفرق فان شخصياتنا لا تبقى بعد الموت . فقد تقدم القول ان هذه الكائنات تعيش الى الابد وتمتحنا الخلود الذي يرجوه كثير منا ولكن ان كانت تنفرق ثم تتحد بكائنات أخرى لتؤلف أجساما جديدة منها فان ذلك ينسيع علينا شخصياتنا والخلود الذي يرجوه أي خلود تلك الشخصيات بعينها

ولي الرجاء أن شخصياتنا تبقى . فان كانت تبقى فان الآلة التي أنا ساع في اختراعها لا بد أن تقيدنا . وهذا مايجدون في الانهماك بعملها واخراجها على غاية من الدقة . واني انتظر النتيجة بذهاب الصبر»

(المنار) يؤخذ من حديث هذا المخترع الشهير أنه يمتقد بنظره العقلي واختباره العلمي جواز مايجزم به جميع الملمين ايمانا بالقرب وكثير من الفلاسفة والمعلماء الروحيين بالدلائل أو الاختبار الذي يعرف باستحضار الارواح ، ويرجو أن يكون ما يجوزه ويقول بإمكانه من الحياة بعد الموت والبقاء بعد فناء هذه الهياكل الجسدية حقا واقما وان كان يرتاب فيه بما شرحه من نظريته الخيالية في سر الحياة وسببها ، وبناء على هذا الرجا يحاول وضع الآلة الكهربائية التي يرى انها تكون خير وسيلة وأقوى سبب لتأثير أرواح الموتى في الاحياء بمخاطبتها لهم بها ان كان ذلك مما تتوجه اليه وتمنى به كما يدعى أهل المذهب الروحاني الذي عرفه الافرنج في هذا العصر وكان مرموزا عند الصوفية في القروب الماضية والمصور الخالية . فتأمل كيف قرب الموم المادية عالم الغيب من عالم المهادة . ان في ذلك للتفكرين ، وقد أفرجه بحقيقة الروح ولا غرو (من الروح من أمر ربي وما أوتيت من العلم الا قليلا)

تاريخ فنون الحديث

٤

الجامع العامة

« ا » منها جامع المسانيد والالقاء لابن الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (١) جمع فيه بين الصحيحين ومسنند احمد وجامع الترمذي وقد رتبته احمد بن عبد الله المسكي (٢)

« ب » ومنها (جامع المسانيد والسنة الهادي لا قوم سنن) للحافظ اسماعيل بن عمر الوشي الدمشقي المعروف بابن كثير (٣) جمعه من الصحيحين وسنن النسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجه ومن مسانيد احمد والبخاري وأبي يعلى والمعجم الكبير للطبراني « ج » ومنها مجمع الزوائد للحافظ أبي الحسن علي الهيثمي (٤) جمع فيه زوائد مسانيد احمد وأبي يعلى والبخاري ومسانيد الطبراني الثلاثة وموجود منه بدار الكتب ثمان مائتي مجلدات، وقد شرع بطبعه من زهاء ٢٠ سنة ولعله تم

« د » ومنها مصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود البغوي (٥) جمع فيه ٤١٨٤ حديثاً من الصحاح والحسان ويعني صاحبها بالصحاح ما أخرجه الشيخان وبالحسان ما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما وما كان فيها من ضيف أو غريب بينه ولا يذكر ما كان منكراً أو موضوعاً وقد اعتنى العلماء بها عناية عظيمة فشرحوها شروحات كثيرة وكلها بمحمد بن عبد الله الخطيب وذيل أبوابها فذكر الصحابي الذي روى الحديث والكتاب الذي أخرجه وزاد على كل باب من الصحاح والحسان فصلاً ثالثاً عدا بعض الأبواب وكان ذلك سنة ٧٣٧ هـ كتاباً حافلاً واسماء مشكاة المصابيح وقد شرح المشكاة كثيرون

« هـ » ومنها جمع الجوامع في الحديث لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جمع فيه بين الكتب الستة وغيرها وقد قصد في كتابه جمع الاحاديث النبوية بأسرها . قال المناوي انه مات قبل ان يتمه ولقد اشتمل كتابه على كثير من الاحاديث الضعيفة بل الموضوعة وقد هذب ترتيبه علاء الدين علي بن حزام الهندي المتوفى بمكة سنة ٩٧٥ في كتابه كنز العمال في سنن الاقوال والانفال وقد اختصر السيوطي كتابه في الجامع الصغير وزوائده

« و » ومنها انحف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة لاحمد بن أبي بكر

(١) توفي سنة ٥٩٧ (٢) سنة ٦٩٤ (٣) سنة ٧٧٤ (٤) سنة ٨٠٧ (٥) سنة ٥١٦

(المنار : ج ٤) (٣٥) (المدخل الثاني، والد : ص ٧)

البوصيري (١) أفرد فيه زوائد - مسانيد أبي داود الطيالسي والمحيدي ومسنود وابن أبي عمرو وإسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع وعبد بن حميد والحرث بن محمد بن أبي أسامة وأبي يعلى الموصلي - أي مازاد من أحاديثها على الكتب الستة وهو مرتب على مائة كتاب

الكتب الجامعة لأحاديث الأحكام

«ا» منها الامام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٢) جمع فيه متون الأحكام وشرحه ولكن لم يكمل شرحه ويقال انه لم يؤلف في هذا النوع أعظم منه «ب» ودلائل الأحكام من احاديث النبي (ص) لابن شدداد الحلبي (٣)

تكلم فيه على الاحاديث المستنبطة منها الاحكام في الفروع ويقع في مجلدين «ج» ومنتهى الاخبار في الاحكام للحافظ مجد الدين أبي البركات عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الحراني المعروف بابن تيمية الحنبلي (٤) انتقاه من صحيح البخاري ومسلم ومسنود الامام احمد وجامع أبي عيسى الترمذي والسنن للنسائي وأبي داود وابن ماجه واستغنى بالزوائد هذه المسانيد عن الاطالة بذكر الاسانيد وانه لكتاب قيم شرحه الامام المنجد الشوكاني محدث اليمن (٥) شرحاً مسهباً بلغ ثمانية أجزاء جمع فيه من فقه الحديث ما لم يلزمه عليه في كتاب آخر وقد اسمى شرحه نيل الاوطار - طبع بمصر وقد نُسخت - «د» وبلوغ المرام من أدلة الاحكام للحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني (٦)

وممن شرحه شرحاً وجيزاً صديق حسن خان (٧) بلغ شرحه مجلدين - طبع وقد نُسخت - وقد اشتمل بلوغ المرام على الف واربع مائة حديث من احاديث الاحكام وهو كتاب عظيم القدر طبع في مصر وفي الهند مع حواشي للسيد أحمد حسن الدهلوي المعاصر بين فيها علل الاحاديث المعلولة وخلاصة المعنى

كتب أخرى

من الكتب النفيسة في الحديث (المختارة) لمحمد بن عبد الواحد المقدسي (٨) التزم فيها الصحة فصحح احاديث لم يسبق الى تصحيحها ولم يتم الكتاب وقد وجهه بعض الحفاظ على مستدرك الحاكم ومنها السنن كتابا الكبير والصغير كتابان لاهمدين حسين البيهقي (٩) قيل لم يستف في الاسلام مثلها قال ابن الصلاح ما (١) توفي سنة ٨٤٠ (٢) سنة ٧٠٢ (٣) سنة ٦٣٢ (٤) سنة ٦٥٢ (٥) سنة ١٢٥٠ (٦) سنة ٨٥٢ (٧) سنة (٨) سنة ٦٤٣ (٩) سنة ٤٥٨

ثم كتاب في السنة اجمع للدلالة من كتاب السنن الكبرى للسيهتي وكأنه لم يترك في سائر اقطار الارض حديثاً الا وقد وضعه في كتابه - ومنها بحر الاسانيد للامام الحافظ الحسن بن احمد السمرقندي (١) جمع فيه مائة الف حديث رتبة وهذه ولم يقع في الاسلام مثله . ومنها الترغيب والترهيب للحافظ المنذري (٢) وهو من أحسن الكتب طريقة في جمع الحديث وبيان درجته وليت كتب الحديث كلها على نمطه - وهو مطلوبوع -

ترتيب كتب الحديث في الصحة

قد بينا فيما سلف درجة كل كتاب من كتب السنة الشيرة في الصحة وهانحن أولاء ندلي اليك بفصل جم الفائدة عظيم الفائدة ينبغي لك فيه ترتيب كتب السنة من حيث الصحة لتكون على بينة من أمرها فنقول وبالله توفيقنا

قد قسم الجمهور الحديث الصحيح بالنظر الى تفاوت الاوصاف المقتضية للصحة الى سبعة اقسام كل قسم منها اعلى مما بعده فالاول ما أخرجه البخاري ومسلم ويسمى بالمتفق عليه والثاني ما انفرد به البخاري والثالث ما انفرد به مسلم والرابع ما كان على شرطهما مما لم يخرجهما واحد منهما والخامس ما كان على شرط البخاري والسادس ما كان على شرط مسلم والسابع ما صححه أحد الامعة المعتبرين وترجيح كل قسم من هذه الاقسام السبعة على ما بعده انما هو من قبيل ترجيح الجملة على الجملة لا ترجيح كل واحد من أفرادها على كل واحد من أفراد الاخر فيسوغ أن يرجح حديث في مسلم على آخر في البخاري اذا وجد موجب الترجيح ولقد كتب الشيخ احمد المروفي بشاه ولي الله المحدث الدهلوي (٣) في كتابه حجة الله البالغة فصلا في طبقات كتب الحديث نورد لك خلاصته قال :

طبقات كتب الحديث أربع فالطبقة الاولى منحصرة بالاستقراء في ثلاثة كتب الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم والطبقة الثانية كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ولكنها تتلوها كان مصنفوها مروفين بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر في فنون الحديث ولم يتساهلوا فيها وتلقاها من بعدهم بالقبول واعتنى بها المحدثون "استراء" وذاعت

بين الناس كسند أبي داود وجامع الترمذي ومجتبى النسائي . وهذه الكتب مع الطبقة الاولى اعتنى بأحاديثها رزين ابن معاوية المبدري السرقسطي في تجريد الصحاح وابن الاثير في جامع الاصول وكاد مسند أحمد يكون من هذه الطبقة . والطبقة الثالثة مسانيد وجوامع ومصنفات منفت قبل البخاري ومسلم وفي زمانهما وبعد ما هجمت بين الصحيح والحسن والضعيف والمعروف والمنكر والغريب والشاذ والخطأ والصواب والثابت والمقلوب (١) ولم تشتهر في العلماء ذلك الاشتهار وان زال عنها اسم السكرة المطلقة ولم يتداول ما تفردت به الفقهاء كثير تداول ولم يفحص عن صحتها وضعفها المحدثون كبير فحص . ومنها ما لم يخدمه لقوي لشرح غريب ولا فقيه بتطبيقه على مذهب السلف ولا محدث ببيان مشكله ولا مؤرخ بذكر اسماء رجاله ، ولا أريد المتأخرين المتسقين وإنما كلامي في الأئمة المتقدمين من أهل الحديث فعلى آفة على استنباطها وحملها كسند أبي يعلى ومصنف عبد الرازق ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف عبد بن حميد ومصنف الطبراني وكتب البيهقي والطحاوي والمناذري وكان قصدهم جمع ما وجدوه من الحديث لاتلخيصه وتهذيبه وتقريبه من العمل والطبقة الرابعة كتب قصد مصنفوها بعد قرون متعاقلة جمع ما لم يوجد في الطبقتين الاوليين وكانت في اعمامهم والمسانيد المختلفة فتوهوا بأمرها وكانت على السنة من لم يكتب حديثه المحدثون ككثير من الوعاظ المتشدين وأهل الاهواء والضعفاء أو كانت من آثار الضعفاء وتابعين أو من كلام الحكماء والوعاظ خلطها الرواة بحديث النبي (ص) سهواً أو عمداً أو كانت من محتملات (١) الصحيح من الحديث ما رواه عدل قام السبط بسند متصل غير معار ولا شاذ وهذا هو الصحيح لذاته فان خف السبط فالحسن لذاته وبكثرة الطرز يصحح فيسمى الصحيح لغيره والضعيف مادون الحسن والمعروف ما كان في في سنده ثقة خالف ضعيفاً في حديثه . ومروي ذلك الضعيف يسمى المنكر ويطلق المنكر أيضاً على حديث في سنده كثير الساط أو غافل عن الاتقان أو فاسق . والغريب ما كان في سنده منفرد بالرواية لم يشاركه فيها أحد أو لم يكن الاسند واحداً والشاذ ما كان في سنده ثقة ساند من هو صحيح مع زعم رايه يطلق على من لا روى له حديثاً ولا معروف ما كان فيه تقديم ولا ترجيح كسند وكعب بن مرة

القرآن والحديث الصحيح فرواها بالمعنى قوم صالحون لا يعرفون غوايض الرواية بجملة الممانى أحاديث مرفوعة أو كانت مفهومة من اشارات الكتاب والسنة جعلوها أحاديث منفصلة برأسها عمداً أو كانت جلاشتى في أحاديث مختلفة جعلوها حديثاً واحداً بنسق واحد ومظنة هذه الاحاديث كتاب الضمغاء لابن حبان والكامل لابن عدي وكتب الخطيب وأبي نعيم والجوزقاني وابن عساكر وابن النجار والديلمي وكاد مسند الخوارزمي يكون من هذه السبقة وأصلح هذه الطبقة ما كان ضعيفاً محتملاً وأسوأها ما كان موضوعاً أو مقلوباً شديد النكارة. وهذه الطبقة مادة كتب الموضوعات لابن الجوزي أما الطبقة الاولى والثانية فعليهما اعتماد المحدثين . وأما الثالثة فلا يباشرها للعمل عليها والقول بها الا التحارير الجهابذة الذين يحفظون اسماء الرجال وعلل الاحاديث، نعم ربما يؤخذ منها المتألمات والشواهد — وقد جعل الله لكل شيء قدراً — وأما الرابعة فلا اشتغال بجمعها أو الاستنباط منها نوع تعمق من المتأخرين وان شئت الحق فطوائف المبتدعين من الرافضة وغيرهم يتمكنون بأدنى عناية ان يلخصوا منها شواهد مذاهبهم فلا تنصار بها غير صحيح في معترك العلماء بالحديث اهـ ولا يبي محمد على بن أحمد بن حزم الظاهري (١) مقالة في ترتيب كتب الحديث جرى فيها على ما ظهر له في ذلك ذكرها في كتاب مراتب الديانة وقد أورد السيوطي خلاصتها في كتاب التقریب فقال . وأما ابن حزم فانه قال أولى الكتب الصحيحان ثم صحيح سعيد بن السكن (٢) والمنتقى لابن جارود (٣) والمنتقى لقاسم بن أصبغ (٤) ثم بعده هذه الكتب كتاب أبي داود (٥) وكتاب النسائي (٦) ومصنف قاسم بن أصبغ ومصنف الطحاوي (٧) ومسند أحمد (٨) ومسند البزار (٩) وأبي بكر (١٠) وعثمان (١١) ابني أبي شيبة ومسند ابن راهويه « ١٢ » واليبلاسي « ١٣ » والحسن بن سفيان « ١٤ » والمستدرک للحاكم « ١٥ » وكتاب ابن سنجر « ١٦ » ويعقوب بن شيبة « ١٧ » وعلي

- (١) توفي سنة ٤٥٦ (٢) سنة ٣٥٣ (٣) سنة ٣٠٧ (٤) سنة ٣٤٠ (٥) سنة ٢٧٥ (٦) سنة ٣٠٣ انما لم يذكر سنن ابن ماجه ولا جامع أبي عيسى الترمذي لانه ما رآهما ولا دخلا الاندلس الا بعد وفاته (٧) سنة ٣٢١ (٨) سنة ٢٤١ (٩) سنة ٢٩٢ « ١٠ » سنة ٢٣٥ « ١١ » سنة ٢٣٩ « ١٢ » سنة ٢٣٧ « ١٣ » سنة ٢٠٤ « ١٤ » سنة ٣٠٣ « ١٥ » سنة ٤٠٥ « ١٦ » سنة ٢٥٨ « ١٧ » سنة ٢٦٢

ابن المديني (١) وابن أبي عزرة (٢) وما جرى مجراها من الكتب التي أفردت لكلام رسول الله (ص) ثم بعدها الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره. ثم ما كان فيه التصحيح فهو أجل مثل مصنف عبد الرزاق (٣) ومصنف ابن أبي شيبة ومصنف بقي بن مخلد القرطبي (٤) وكتاب محمد بن نصر المروزي (٥) وكتاب ابن المنذر (٦) ثم مصنف حماد بن سلمة (٧) ومصنف سعيد بن منصور (٨) ومصنف وكيع بن الجراح (٩) ومصنف الرزالي وموطأ مالك وموطأ ابن أبي ذئب (١٠) وموطأ ابن وهب (١١) ومسائل أحمد بن حنبل وفقه أبي عبيد (١٢) وفقه أبي نور (١٣) وما كان من هذا النمط مشهوراً بحديث شعبة (١٤) وسفيان (١٥) والليث (١٦) والاوزاعي (١٧) والحميدي (١٨) وابن مهدي (١٩) ومسدد (٢٠) وما جرى مجراها فلهذه طبقة موطأ مالك بعضها أجمع للصحيح منه وبعضها مثله وبعضها دونه ولقد أحضيت ما في حديث شعبة من الصحيح فوجده ثمانمائة حديث ونيفاً مسندة ومرسلات يزيد على المائتين وأحضيت ما في موطأ مالك وما في حديث سفيان بن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند خمسمائة ونيفاً مسندة وثلاثمائة مرسلات وفيه ثيف وسبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضعيفة وهاها جمهور العلماء

تاريخ علوم الحديث الاخرى

الى هنا كانت العناية موجهة الى تاريخ الحديث من حيث الكتب الجامعة للافظاء والشارحة لتونه وان ذلك لغرض من أغراض، وناحية من نواح، فان خيرة المسلمين، وشيوخ المحدثين، كما عنوانوا بذلك عنواناً بالتأليف في شرح غريبه، ويبان ناسخه من منسوخه، واضهار حال رجاله والكشف عن علمه ومصطلحاته

توفي «١» سنة ٢٣٤ «٢» سنة ٢٧٦ «٣» سنة ٢١١ «٤» سنة ٢٧٦ «٥» سنة ٢٩٤ «٦» لا أدري هل هو ابراهيم بن المنذر المتوفى سنة ٢٣٦ أو علي بن المنذر المتوفى سنة ٢٥٦ «٧» سنة ١٦٧ «٨» سنة ٢٢٧ «٩» سنة ١٩٢ «١٠» سنة ١٥٩ «١١» سنة ١٩٧ «١٢» سنة ٢٣٤ «١٣» سنة ٢٤٠ «١٤» سنة ١٦٠ «١٥» سنة ١٩٨ «١٦» سنة ١٧٥ «١٧» سنة ١٥٦ «١٨» سنة ٢١٩ «١٩» سنة ١٩٨ «٢٠» سنة ٢٢٨

من صحيح وعليل ومقبول، ومردود ومتواتر ومشهور، إلى غير ذلك من جليل
الأغراض ومتنوع الأقسام

وسنفرد فصلاً لكل نوع من أنواعه الشهيرة نلم فيه بتوضيحه، ونرجع
على تاريخه، بمقرئين ذلك بذكر أحسن المؤلفات فيه حتى يتجلى لك تاريخ
الحديث من جهة فواحيه

علم فريب الحديث

الفريب من الكلام يقال على وجهين أحدهما أن يراد به بعيد المعنى غامض
بحيث لا يتناولاه الفهم الاعن بعد ومماثلة فكر والوجه الآخر أن يراد به كلام
من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب

وهانحن أولاهنحكي لك خلاصة مقاله ابن الاثير في مفتتح نهايته فانه أحسن من
وفي هذا الموضوع قسطه من البيان ضامين اليه ما عثرنا عليه في بطون الكتب
التي تعرضت لهذا الشأن

كان (ص) انقص العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعرفهم بمواقع الخطاب،
وأهداهم إلى طرق الصواب، وكان يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وتباين
لهجاتهم، كلا منهم بما يفهم، ويحادثه بما يعلم، وكان اصحابه والوفود عليه من
العرب يعرفون أكثر ما يقول وما جهلوه سألوه عنه فيوضحه لهم واستمر
عصره (ص) إلى حين وفاته على هذا السنن المستقيم وعليه سلك الصحابة في
عصرهم، وكان اللسان العربي عندهم صحيحاً محروساً من الدخيل إلى أن فتحت
الامصار وغالط العرب غير جنسهم من الروم والفرس والحبس والنبط وغيرهم
من أنواع الأمم الذين فتحت بلادهم للمسلمين ودفروا عليها علم الموحدين
فاختلطت اللغات وامتزجت اللسان وتداخلت اللغات ونشأ بينهم الأولاد فتعلموا
من اللسان العربي ما لا بد لهم في الخطاب والمخاطبة منه، وتركوا ما عدها للفتنة
عنه واستمر الامر على هذا التهج إلى أن اقترض عصر الصحابة — القرن
الأول — وجاء التابعون لهم باحسان فسلكوا سبيلهم، وإن كانوا في الاتقان
دونهم ولم ينقص زمانهم — سنة ١٥٠ — الا واللسان العربي قد استحال
اعجبوا أو كاد فلا تروى المستقل به والحافظ عليه الا الأحاد جمل الناس من هذا
الهم ما كان يلزمهم ميرفته وإخبروا منه ما كان يجب عليهم بقدمته، فلما اعتضل

الداء، وعز الدواء، اطم الله جماعة من اولي المعارف والنهي ان يصرفوا الى هذا الشأن طرفاً من عنايتهم، فسرعوا للناس موارده، وقعدوا لهم قواعده، فقبل ان أول من جمع في هذا الفن شيئاً أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري «١» لجمع من الفاظ غريب الحديث والاثر كثيراً صغيراً ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث وإنما كان ذلك لأميرين أحدهما ان كل مبتدع لأمير لم يسبق اليه فانه يكون قليلاً ثم يكثر والثاني أن الناس يؤمّنون كان فيهم بقية وعندهم معرفة فلم يكن الجهل قد عم. ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني «٢» كتاباً اكبر من كتاب أبي عبيدة بسط فيه القول على صغر حججه. ثم جمع عبد الملك ابن قريب الاصمعي وكان في عصر أبي عبيدة وتأخر عنه كتاباً احسن فيه الصنع وأجاد، ونيف على كتابه وزاد، وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب «٣» وغيره من أئمة اللغة والفقهاء جموعاً أحاديث وتكلموا على لغتها ومعناها في اوراق ذوات عدد ولم يكده أحد ثم يتفرد عن الآخر بكثير حديث لم يذكره الآخر واستمر الحال الى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام «٤» وذلك بعد المائتين لجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار اثنى فيه عمره اذ جمعه في أربعين سنة وانه لكتاب حافظ بالاحاديث والآثار الكثيرة والمناهي اللطيفة والفوائد الجليلة. ولقد ظن رحمه الله على كثرة تصبه وطول نصه انه قد أتى على معظم الغريب وما علم ان الشوط بطين، والمنهل معين، ولقد بقي كتابه معتمد الناس الى عصر أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري «٥» فصنف كتابه المشهور ولم يردعه شيئاً من كتاب أبي عبيد الا ما دعت الحاجة اليه من زيادة شرح وبيان أو استدراك أو اعتراض لجاء مثل كتاب أبي عبيد أو أكثر منه وقد قال في مقدمته أرجو ان لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال وقد كان في عصره ابراهيم بن اسحاق الحربي الحافظ «٦» جمع كتاباً في الحديث بلغ خمس مجلدات بسط فيه القول وأطال بذكر المتن واسانيدها ولولم يكن في المتن الا كلمة واحدة من الغريب فحجر الناس لذلك كتابه وان كان جم الفائدة. ثم اثر الناس من التصانيف في هذا الفن كالمبرد «٧» وطلب «٨» ومحمد بن قاسم الانباري «٩» وسلمة بن عاصم النهوي وعبد الله

«١» توفي سنة ٢١٠ هـ «٢» سنة ٢٠٤ هـ «٣» سنة ٢٠٦ هـ «٤» سنة ٢٢٤ هـ

«٥» سنة ٢٧٦ هـ «٦» سنة ٨٥ هـ «٧» سنة ٢٨٥ هـ «٨» سنة ٢٩١ هـ «٩» سنة ٣٢٨ هـ

ابن حبيب المالكي ومحمد بن حبيب البغدادي وغيرهم من أئمة اللغة والنحو والفقهاء والحديث، واستمرت الحال الى عهد الامام محمد بن احمد الخطابي البستي (١) فالف كتابه المشهور في غريب الحديث سلك فيه نهج أبي عبيد وابن قتيبة وصرف عنايته فيه الى جم ما لم يوجد في كتابيهما فاجتمع له من ذلك ما يداني كتاب أبي عبيد أو كتاب صاحبه فكانت هذه الكتب الثلاثة في غريب الحديث والآخر امهات الكتب وهي الدائرة في أيدي الناس وعليها يعول علماء الامصار الا ان هذه الكتب الثلاثة وغيرها لم يكن فيها كتاب صنف مرتباً ومقفى يرجع الانسان عند طلب الحديث اليه الا كتاب الحربي وهو على طوله وعسر ترتيبه لا يوجد الحديث فيه الا بعد تعب وعناء، ثم هي مع ذلك متفرقة فيها الاحاديث فلا يعلم الناظر في أيها يوجد الغريب فيحتاج الى البحث في كثير منها حتى يجد غرضه. فلما كان زمن أبي عبيد احمد بن محمد الهروي (٢) وهو من طبقة الخطابي ومعاشره الف كتابه السائر جمع فيه بين غريب القرآن والحديث ورتبه ترتيباً لم يسبق اليه فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أماكنها وانبتها في حروفها مرتباً لها على حروف المعجم ولم يفعمه بالاسانيد والمتون والرواة - شأن ما سبقه من الكتب - فان ذلك له علم مستقل به وقد جمع فيه من غريب الحديث ما في كتب من تقدمه واراد عليه لجاه كتاباً جامعاً في الحسن بين الاحاطة والوضع الا أنه جاء الحديث مفزقاً في حروف كلماته. ولقد ذاع صيت هذا الكتاب بين الناس واتخذوه عمدة في الغريب واقتنى أثره كثيرون واستدرك ما فاتهم آخرون وما زالت الايام تنقضي عن تصانيف وتبرزت ايلف الى عهد الامام أبي القاسم محمود بن سمر الرضخري (٣) فالف كتابه الفائق في غريب الحديث وأنه لكتاب قيم رتبة على وضع اختياره مقفى على حروف المعجم ولكن في المنور على معرفة الغريب منه مشقة وان كانت دون غيره مما سبقه لانه جمع في التفتية بين اراد الحديث مستزوداً حجيماً أو بعضه ثم شرح ما فيه من غريب فيجبهه شرح كلماته الغريبة في حرف واحد فترد الكلمة في غير حروفها فكان لذلك كتاب الهروي أقرب منه متناولاً وان كانت كلمات الحديث متفرقة في حروفها

ولقد الف أبو بكر محمد بن أبي بكر المديني الاصفهاني (٤) كتاباً جمع فيه

(١) توفي سنة ٣٨٨ (٢) سنة ٤٠١ (٣) سنة ٥٣٨ (٤) سنة ٥٨١

(المنازع : ج ٤) (٣٦) (المجلد الثاني والعشرون)

على طريقة الهروي ما فاته من غريب القرآن والحديث، وكذلك صنف أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي «١» كتاباً في غريب الحديث حاشية منج فيه منج الهروي بل كتابه مختصر من كتابه لا يزيد عليه الا الكلمة الشاذة واللفظة الغادرة بخلاف كتاب أبي موسى المديني فإنه لا يذكر منه الا ما دعت الحاجة اليه أقول ثم جاء محمد الدين مبارك بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الاثير «٢» الذي طبع ما تقدم من مقدمة نهايته فجمع ما في كتاب الهروي وأبي موسى من غريب الحديث والاثار وأضاف اليه ما عثر عليه في كتب السنة من صحاح وستون وجوامع ومصنفات ومسانيد - والله لكثير - سالكا في الترتيب منج أصله فكان من ذلك كتابه - النهاية في غريب الحديث والاثار - وقد روى لما في كتاب الهروي بأهواءه ولما في كتاب أبي موسى المديني بالسبيل. وقد ذيل النهاية محمود بن أبي بكر الارموي (٣) واختصرها عيسى بن محمد الصفوي (٤) فيما يقرب من نصف حجمها وكذلك الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٥) في كتابه الدر النثير تلخيص نهاية ابن الاثير، وله: التذييل والتذييب على نهاية الغريب، وقد طبعت النهاية وعلى هامشها الدر النثير مشكولة وغير مشكولة

علم رجال الحديث

هذا فن جليل القدر عظيم الاثر الحاجة اليه داعية والضرورة به قاضية وليس من عظيم في الحديث وهو عنه يمد أو يانع فيه قصير وكيف لا يكون كذلك وهو نصف علم الحديث فإنه سند ومتن والسند عبارة عن الرواة فمرة أحوالهم نصف هذا العلم بلارباب

- والكتب المصنفة فيه كثيرة الانواع متشعبة الاغراض فمن مؤلف في أسباه الضعفاء خاصة أو في رواية الحديث عامة ومن خاص بالثقات أو الضعفاء أو الحفاظ أو المدلسين أو الوضاعين ومن مبين للجرح والتعديل والفاظهم واوراق كل منها ومن كاشف عن المؤلف والمختلف أو المتفق والمفروق من الامماء والانساب ومن قاصر على ذكر الوفيات أو موضح لرجال كتاب معين أو عدة كتب مخصوصة وكل كتب فيه الضعفاء فأحسنوا الكتابة وبلغوا فيها الغاية كما ترى بعد

(١) توفي سنة ٥١٤ (٢) سنة ٦٠٦ (٣) سنة ٧٢٣ (٤) سنة ٩٥٣

(٥) سنة ٩١١

١٠ أسماء الصحابة

الصحابي كل من لقي النبي (ص) مؤمناً به ومات على ذلك ولو تخللت ردة في
 الاصح وأول من يعرف عنه التصنيف في هذا النوع أبو عبد الله محمد بن اسماعيل
 البخاري (١) أفرد أسماء الصحابة في مؤلف وجميعها مضمومة الى من بعدهم جماعة
 من طبقة مشايخه تكليفه بن الحياط المحدث النسابة (٢) ومحمد بن سعد (٣) الذي بلغ
 مؤلفه خمسة عشر مجلداً ومن قرأه كيعقوب بن سفيان (٤) وأبي بكر بن أبي
 خيثمة (٥) وصنف في الصحابة خاصة جمع بعدهم كالحافظ البغوي عبد الله بن محمد
 ابن عبد المرز (٦) وأبي بكر الحافظ الكبير عبد الله بن أبي داود (٧) ثم علي بن
 السكن (٨) وأبو بكر صر بن أحمد المعروف بابن شاهين (٩) وأبو منصور
 البارودي وأبو حاتم الرازي ابن حبان (١٠) وسليمان بن أحمد الطبراني (١١) ضمن
 منجمه الكبير ثم عبد الله بن منده (١٢) والحافظ أبو نعيم (١٣) ثم عمر بن
 عبد البر (١٤) ألف كتابه الاستيعاب وسماه بذلك لظنه انه استوعب كتب من
 قبله في كتابه ومع ذلك فقافته شيء كثير فذيل عليه أبو بكر بن فتحون ذيل
 حافلاً وذيل عليه جماعة في تصانيف لطيفة وذيل أبو موسى المديني (١٥) على
 ابن منده ذيل كبيراً. وما زال الناس يؤلفون في ذلك الى ان كانت تباشير القرن
 السابع فجمع عز الدين ابن الاثير «١٦» كتاباً حافلاً سماه أسد الغابة جمع فيه
 كثيراً من التصانيف المقدمة الا انه تبع من قبله نفاط من ليس صحابياً ٣٣
 وأغفل كثيراً من الاوهام الواقعة في كتبهم، ثم جرد الاسماء التي في كتابه مم
 زيادات عليها الحافظ أبو عبد الله الذهبي «١٧» في كتابه التجريد وأعلم لمن ذكر
 غلطاً ولمن لا تصح صحته ولم يستوعب ذلك ولا تارب ثم جاء الحافظ أحمد بن
 حجر السقلافي (١٨) فألف كتابه الاصابة في تمييز الصحابة - في ثمانية أجزاء
 صغيرة - جمع فيه ما في الاستيعاب وذيله وأسد الغابة واستدرك عليهم كثيراً
 وقد اختصره تلميذه جلال الدين السيوطي في كتاب سماه عين الاصابة

- (١) توفي سنة ٢٥٦ (٢) سنة ٢٤٠ (٣) سنة ٢٣٠ (٤) سنة ٢٧٧ (٥) سنة
 ٢٧٩ (٦) سنة ٣٣٠ (٧) سنة ٣١٦ (٨) سنة ٣٥٣ (٩) سنة ٣٨٥ (١٠) سنة
 ٣٥٤ (١١) سنة ٣٦٠ (١٢) سنة ٣٥٥ (١٣) سنة ٤٦٣ (١٤) سنة ١٦١ (١٥)
 سنة ١٨١ (١٦) سنة ٦٣٠ (١٧) سنة ٧٤٨ (١٨) سنة ٨٥٢

ومد الف كل من البخاري ومسلم كتاباً في أسماء الوجدان أي الصحابة الذين ليس لهم الأحاديث واحد وكذلك الف يحيى بن عبد الوهاب بن منده الأصبهاني (١) كتاباً فيمن عاش من الصحابة عشرين سنة ومائة

«ب» علم الجرح والتعديل

هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وقمديهم بالنفاذ مخصوصة وعن مراتب تلك الاتفاقيات والكلام في الرجال جرحاً وتعديلاً ثابت عن رسول الله (ص) ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وجوز ذلك صوتاً للشريعة لا طعناً في النجاس وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة والتثبت في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والأموال فلينظر افتراضوا على أنفسهم الكلام في ذلك وقد تكلم في الرجال خلق لا يتهاى حصرهم وقد سرد ابن عدي (٢) في مقدمة كتابه الكامل جماعة الزمته من الصحابة ابن عباس (٣) وعبادة بن الصامت (٤) وأنس (٥) ومن التابعين الشعبي (٦) وابن سيرين (٧) وسعيد بن المسيب (٨) وغيرهم قليل بالنسبة لمن بعدهم وذلك لقلة الضعف فيمن يروون عنهم إذا كثروا ضجاجة وهم عدول وغير الصحابة منهم أكثرهم ثقات إذا لا يكاد يوجد في القرن الأول من الضعفاء إلا القليل وأما القرن الثاني فقد كان في أوائله من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء وضعف أكثرهم نشأ غالباً من قبل تعلمهم وضبطهم للحديث فكانوا يرسلون كثيراً ويرفعون الموقوف وكانت لهم أغلاط وذلك مثل أبي هريرة المديري ٩ ولما كان آخر عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة تكلم في التمديل والتجريح طائفة من الأئمة فضعف الأعمش ١٠ جماعة ووثق آخرون ونظر في الرجال شعبة ١١ وكان مثبته لا يكاد يروي إلا عن ثقة ومثله مالك ١٢ ومن كان في هذا العصر إذا قال قبل قوله ممر ١٣ وهشام الدستوائي ١٤ والأوزاعي ١٥ وسفيان الثوري ١٦ وابن الماجشون ١٧ وحماد بن سلمة ١٨ واليث بن سعد ١٩ وبعده هؤلاء طبقة

(١) نزل سنة ١١١ ٢١٥ ٣٦٥ ٤٢٥ ٦٨ ٤١٥ ٣٤ ٥٠ ٩٢ ٤٦٥ بعد المائة
 ٥٧٠ ٦١٠ ٤٨٥ بعد التسعين ٤٦٥ ١٢٤ ٤١٥ ١٤٨ ٤١٥ ١٦٠ ٤١٥ ١٧٩
 ١٥٣ ٤١٣ (١٤) ١٥٤ ٤١٥ ١٥٦ ٤١٥ ١٦١ ٤١٥ ٢١٣ ٤١٥ ١٦٧
 ١٢٠ ٤١٥

منہم ابن المبارک «١» وھینم بن بشیر «٢» وأبو اسحاق الفزاري «٣» والمما
عمران الموصلی «٣» وبشر بن المنفل «٤» وابن عیینة «٥» وقد كان في ز
طبقة أخرى منہم ابن علیة «٦» وابن وھب «٧» ووکیع بن الجراح «٧»
انتدب في ذلك الزمان لنقد الرجال الحافظان الحجتان یحیی بن سعید القطان
وعبد الرحمن بن مہدی «٨» وكان للناس ونوق بهما فصار من وتقاهمة
ومن جرحاء مجروحاً ومن اختلفا فيه — وذلك قليل — رجع الناس في
ما ترجع عندهم ثم ظهرت بعدهم طبقة أخرى رجع اليهم في ذلك منہم
ابن ہرون «٩» وأبو داود الطيالسي «١٠» وعبد الرارق بن ہام «١١»
عاصم البضحاك النبیل بن مخلد «١٢»

ثم صنفت الكتب في الجرح والتعديل والملل وبيئت فيها أحوال
وكان رؤساء الجرح والتعديل في ذلك الوقت جماعة منہم یحیی بن مہین
وقد اختلفت آراؤه وعبارته في بعض الرجال كما تختلف آراء النقیة ابن
وعبارته في بعض المسائل التي لا تكاد تخلو من اشكال ومن طبقتهم
حنبل «١٢» وقد سأله جماعة من تلامذته عن كثير من الرجال فتكلم فيهم
بدلاً ولم يخرجهم عن دائرة الاعتدال. وقد تكلم في هذا الامر محمد بن سعد
كاتب الواقدي في طبقاته وكلامه جيد معقول وأبو خيثمة زهير بن حرب
وله في ذلك كلام كثير وأبو جعفر عبد الله بن محمد النبیل حافظ الجزيرة
قال فيه أبو داود: لم أراه أحفظ منه. وعلي بن المدینی (١٧) وله التعانيف الك
في الملل والرجال ومحمد بن عبد الله بن غیر (١٧) الذي قال فيه أحمد هو
العراق وأبو بكر بن أبي شبة (١٨) صاحب المسند وكان آية في الحفظ وعبد
بن عمرو القواريري (١٨) الذي قال فيه صاحب جرزة هو أعلم من رأيت بما
أهل البصرة واسحق بن راهويه (١٩) امام خراسان وأبو جعفر محمد بن عبد

- (١) توفي سنة ١٨١ (٢) سنة ١٨٨ (٣) سنة ١٨٥ (٤) سنة ١٨٦ (٥)
١٩٧ (٦) سنة ١٩٣ (٧) سنة ١٩٧ (٨) سنة ١٩٨ (٩) سنة ٢٠٦ (١٠)
٢٠٤ (١١) سنة ٢١١ (١٢) سنة ٢١٢ «١٣» سنة ٢٢٣ «١٤» سنة ٢٤١ «١٥»
سنة ٢٣٠ «١٦» سنة ٢٣٤ «١٧» سنة ٢٣٤ «١٨» سنة ٢٣٥ «١٩» سنة ٢٣٥

بن عمار الموصلي الحافظ وله كلام جيد في الجرح والتعديل وأحمد بن صالح (١) حافظ مصر وكان قليل المثل (٢) وهرون بن عبد الله الحمال (٣) وكل هؤلاء من أئمة الجرح والتعديل

ثم خلفتهم طبقة أخرى متصلة بهم منهم اسحق الكوسج (٤) والدارمي (٥) والبخاري (٦) والعجلي الحافظ نزيل المغرب (٧) ويتلوهم أبو زرعة (٨) وأبو حاتم (٩) الرازيان، ومسلم (١٠) وأبو داود السجستاني (١١) وبتي بن مخلد (١٢) وأبو زرعة الدمشقي (١٣) ثم من بعدهم جماعة منهم عبد الرحمن بن يوسف البغدادي وله مسنف في الجرح والتعديل وكان كأبي حاتم في قوة النفس وإبراهيم بن اسحاق الحرابي (١٤) ومحمد بن وضاح (١٥) حافظ قرطبة وأبو بكر بن أبي عاصم (١٦) وعبد الله بن أحمد (١٧) وصالح جرزة (١٨) وأبو بكر البرزالي (١٩) ومحمد بن نصر المروزي (٢٠) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة (٢١) وهو ضعيف لكنه من الأئمة في هذا الأمر. ثم من بعدهم جماعة منهم أبو بكر الثريائي والنسائي (٢٢) وأبو يعلى (٢٣) وأبو الحسن سفيان وابن خزيمة (٢٤) وابن جرير الطبري (٢٥) والدولابي (٢٦) وأبو عروبة الجراfi (٢٧) وأبو الحسن أحمد بن عمير وأبو جعفر العقيلي (٢٨) ويتلوهم جماعة منهم ابن أبي حاتم (٢٩) وأحمد بن نصر البغدادي شيخ الدارقطني (٣٠) وآخرون. ثم من بعدهم جماعة منهم أبو حاتم ابن حبان البستي (٣١) والطبراني (٣٢) وابن عدي الجرجاني (٣٣) وكتابه في الرجال إليه المنتهى في الجرح والتعديل

وقد جاء بعد ابن عدي وطبقته جماعة منهم أبو علي الحسين بن محمد النيسابوري (٣٤) وله مسند معلل في ألف جزء وثلاثمائة، وأبو الشيخ ابن حبان (٣٥) وأبو بكر الاسماعيلي (٣٦) وأبو أحمد الحاكم (٣٧) والدارقطني (٣٨) وبه ختمت معرفة العلل. ثم من بعدهم جماعة منهم ابن منده (٣٩) وأبو عبد الله

(١) توفي سنة ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠

الحاكم (١) وأبو نصر السكلابادي (٢) وعبد الرحمن بن فطيس قاضي قرطبة (٣) وله دلائل السنة وعبد النبي بن سعيد (٤) وأبو بكر بن مردويه الاسفهاني (٥) ثم من بعدهم جماعة منهم محمد بن أبي الفوارس البغدادي (٦) وأبو بكر البرقاني (٧) وأبو حاتم العبدري - وقد كتب عنه عشرة آلاف جزء - وخلف بن محمد الواسطي «٨» وأبو مسعود الدمشقي «٩» وأبو الفضل الفلكي «١٠» وله كتاب الطبقات في ألف جزء. ثم من بعدهم جماعة منهم الحسن بن محمد الخلال البغدادي «١١» وأبو علي الخليلي «١٢» ثم من بعدهم جماعة منهم ابن عبد البر «١٣» وابن حزم «١٤» الأندلسيان والبيهقي «١٥» والخليل «١٦» ثم من بعدهم جماعة منهم ابن ماكولا «١٧» وأبو الوليد الباجي «١٨» وقد صنف في المجرح والتعديل - وأبو عبد الله الحميدي «١٩». ثم من بعدهم جماعة منهم أبو الفضل ابن طاهر المقدسي «٢٠» والمؤتمن بن أحمد «٢٠» وشهرويه الديلمي. ثم من بعدهم جماعة منهم أبو موسى المديني «٢١» وأبو القاسم بن عساكر «٢٢» وابن بشكوال «٢٣». ثم من بعدهم جماعة منهم أبو بكر الحارثي «٢٤» وعبد النبي المقدسي «٢٥» والرهاوي وابن منفلوط المقدسي «٢٦». ثم من بعدهم جماعة منهم أبو الحسن بن القطان «٢٧» وابن الأعمامني «٢٨» وابن نقطة «٢٩» ثم من بعدهم جماعة منهم ابن الصلاح «٣٠» والركي المنذري «٣١» وأبو عبد الله البردالي «٣٢» وابن الأبار وأبو شامة «٣٣» ثم من بعدهم جماعة منهم ابن دقيق العيد «٣٤» والشرف الميذوبي وابن تيمية «٣٥» ثم من بعدهم جماعة منهم المزري «٣٦» وابن سيد الناس وأبو عبد الله بن أبيك والذهبي «٣٧» والشهاب بن فضل الله «٣٨» ومنفلطي «٣٩» والشريف الحسيني الدمشقي والزين العراقي «٤٠» ثم من بعدهم جماعة منهم الولي العراقي والبرهان الحلبي وابن حجر المسقلاني «٤١» وآخرون من كل عصر إلا أن المتقدمين كانوا أقرب إلى الاستقامة وأبعد من موجبات الملامة ولعلك سئمت الاكثار من ذكر الاسماء - وإن كان مقتضى الحال وعين ما يتطلبه المقام - لكن لنا في ذلك غرض جليل ومغزى نبيل وهو أن نكم

١ توفي سنة ١٠٥ - ٢ - ٣٩٨ - ٣ - ٤٠٢ - ٤ - ٤٠٦ - ٥ - ٤١٦ - ٦ - ٤١٢ - ٧ - ٤٢٥ - ٨ - ٤٠١ - ٩ - ٤٠٠ - ١٠ - ٤٣٨ - ١١ - ٤٣٩ - ١٢ - ٤٤٦ - ١٣ - ٤٦٣ - ١٤ - ٤٥٦ - ١٥ - ٤٥٨ - ١٦ - ٤٦٣ - ١٧ - ٤٧٠ - ١٨ - ٤٧٤ - ١٩ - ٤٨٨ - ٢٠ - ٥٠٧ - ٢١ - ٥٨١ - ٢٢ - ٣٢٣ - ٢٣ - ٥٧٨ - ٢٤ - ٥٨٤ - ٢٥ - ٦٠٠ - ٢٦ - ٦١١ - ٢٧ - ٦٣٨ - ٢٨ - ٦١٩ - ٢٩ - ٥٢٩ - ٣٠ - ٦١٣ - ٣١ - ٦٣١ - ٣٢ - ٦٢٥ - ٣٣ - ٦٣٠ - ٣٤ - ٧٠٢ - ٣٥ - ٧١٢ - ٣٦ - ٧٤٢ - ٣٧ - ٧٤٨ - ٣٨ - ٧٦٣ - ٣٩ - ٧٦٣ - ٤٠ - ٨٠٦ - ٤١ - ٨٥٢ - ٨٥٢

أفواه أولئك الذين يقولوا على السنة أنه دخل فيها الغريب عنها إذ قد طال العهد عليها وتناولتها عصور الجهالة وبصرت منها أحن الرمان وطواريء الحدائق فنحن نقدم لهم دليلاً بيناً وبرهاناً ساطعاً أن السنة خدمها المسلمون خدمة جليلة لم تهمد لدى أمة من الأمم ولا في ملة من الملل وإن ذلك كان ديدن المسلمين في كل عصر فلم يغفلوها فترة من الزمن حتى يبعث بها أولو الاغراض ، وينال منها ذوو الالحاد ، بل لازالت محفوظة من يد الماثلين ، مخدومة من جهابذة المحدثين ، فلهم الكلمة على المتقولين ، والثناء من عامة المسلمين

الخيال في الشعس العربي

٣

حال المني والتخييل

قد يصوغ الشاعر المعنى لأول الخطاب في صورة خيالية فلا يدركه إلا من صفت قريحته ورقت حاشية ألبعته ككثير من الأشعار الواردة على طريق المعيات والالفاظ أو من سبى إليه ما يهديه إلى المراد ويساعده على فهمه من قرينة حال أو مقال كقبض المحاورات التي يقصد فيها المتخاطبان إلى إخفاء الغرض وكنمه عن يصنى إلى حديثهم أو يطلع على رسائلهم

وقد بصرح بالمعنى ثم يدخل به في طريق التخييل وهذا إما أن يخرج الصريح بالتخييل فيفصل المعنى ويضع بآراء كل قطعة منه صورة خيالية كما قال العتابي يصف السحاب

والنجم كالثوب في الآفاق منشور من فوقه طبق من تحته طبق
تظنه مصمناً لا فتق فيه فان سالت عزاليه قلت الثوب متفتق
إن معمع الرعد فيه قلت منخرق أولاً البرق فيه قلت محترق
مثل النجم الضارب في الآفاق بالثوب المنشور ثم أخذ يقرن كل حال من أحواله بما يقابلها من أحوال الثوب فجعل امساكه عن المطر مظنة الصحة والثبات ، وانسكاب النبت من خلاله منبثاً بثقبه ، ومعممة الرعد اعلاناً بانفراقه ، وبميض البرق شطاباً من

الاهب تؤذن باحترقه، واما ان يستوفى المعنى بالصراحة ثم يأتي بمثاله الخيلي متواصل الاجزاء وهذا كقول بعضهم

رأيتكم تبذرون للحرب عدة ولا يمنع الاسلاب منكم مقاتل
فأنتم كتل النخل بشرع شوكه ولا يمنع الخراف ما هو حامل
استغنى المعنى الصريح وهو تظاهرهم بالاهبة للحرب وقعودهم من قتال عدوهم
وافتيانك ما سب من حقوقهم، ثم ضرب له المثل على نسق واحد بالنخل بشرع
نصلا مستنونة من الشوك كالنأهب للذود بها مما يحمل من الثمار فيعمد الخراف لها
ويجتنبها بأجمعها دون أن يتاله ذلك الشوك بأذى

ومن أبدع ما جاء على هذا النمط قول ابن رشيقي انقبرواني
رجوتك الامر المهم وفي يدي بقايا امي النفس فيها الاماني
وساوت لي الابام حتى اذا انقضت أواخر ما عندي قطعت رجائي
وكنت كأنني نازف البئر طابا لاجها ما أو يرجع الماء صافيا
فلا هو أبقي ما أصاب لنفسه ولا هي أعطته الذي كان راجيا
وأما ان يصرح لك بالمثل الذي يجمله مناهة للحديث عنه ثم يسوق القول كله
على طريق التخييل كقول بعضهم

أني وأباك كالصادي رأيته لا ودونه هوة يخشى بها التلغا
رأى يمينه ماء هز مورده وليس يملك دون الماء منصرفا
فقد أراك أول الشعر انه يريد الحديث عن حاله مع المخاطب ثم الطرد في مجال التخييل
الذي أفاد به اذ الحاجة تحسه على القرب منه ، والخطر المعرض في سبيله يتصاح له
بالاحجام عنه. ومن أبدع الوصف المنسوج على هذا المثال قول شرف الدين التيفاشي
أما ترى الارض من زلزالها عجا تدعو الى طاعة الرحمن كل قمي
أضحت كوالدة خرقا مرضعة أولادها درئدي حافل غدق
قد مهدتهم مهادا غير مضطرب وأفرشتهم فراشا غير ما قاق
حتى اذا اجبرت بهن الذي كرم مما يشق من الاولاد من خلق
(المنار ج ٤) (٣٧) (المجلد الثاني والشمرون)

هزئت بهم مهدهم شيئاً قبيهم ثم استعاطت وآل الطبع للخرق
فصكت المهد غضبي وهي لافظة بعضاً على بعضهم من شدة الغرق

أسباب جودة الخيال

لا مشاحة أن النفوس تختلف بفطرتها في صحة الذوق وقوة التذكر فيكون من أسباب
التفاوت في جودة الخيال ما هو هائل إلى الفطرة، والفرض في هذا المقام أنما هو البحث
عن الأمور التي تؤثر في جودة الخيال وتبسط في نطاقه من خارج، ومدارها على أمرين
(أحدهما) تردد النظر في مظاهر المدنية فإن امتلاء حافظه الشاعر من المناظر
المختلفة والصور التي لا تدخل تحت حصر تجعله أقدر مادة حتى إذا عرض له معنى
اقتضى الخيال إيرادها في طريقة الخيال لا يعوزه في التفت إلى حافظته إن يلاقه منها
ما يساعده على العمل بسهولة، ثم أنه لفكرة مادته وسمه عجايب تكون مخيلته أكثر
عملاني إنشاء المعاني وإبداعها، وكثرة العمل مما تعرض به هذه القوة النفسية فيكون صاحبها
أقدر على صناعة التخيل وأوسع فيها من كانت بضاعته مزجاة وحافظته في أمان
ومن جهة أن فكرة المادة تساعد على كثرة العمل الذي هو الإبداع، وكثرة
العمل تقوى بها النفس في صناعة التخيل أمكن للشاعر المدني أن يفوق الشاعر
البدوي أو القروي في تخيل معاني أشعر كوا في العلم بالناصر التي تتفرع منها الصور الخيالية
يلعب تأثير المدنية في تهذيب الخيلة إلى أن يكون الفرق بين عمليهما في حال البداوة
وهلما بعده أني تحضن صاحبها الحضارة أوضح من نار على علم، فهذا على ابن الجهم
الذي قال في الخاتمة

أنت كالكلب في حفاظك لعمد وكاتبس في مراعي الخطوب
هو الذي يقول

فقلن لنا نحن الأهلّة أنما نغني لمن يأوي البنا ولا تقري
يبد أنه قال البيت الأول أيام كان يسكن البادية وقال البيت الثاني بعد ما نزل
بحداد وترأصف في حافظته من الصور والمعاني ما رنت به حاشية طبعه وجعل قريحته
تسبح من المعاني البديعة برودا صافية

(ثانيهما) الحرية اذ لاشبهة ان الاستبداد الاعشى يطبع الناس على الجبن ويلقي في أفئدتهم رهبة تخملهم على ان يجعلوا بينهم وبين الاقوال التي تسخط لها الحكومة القاسية حاجزا لا يدنون منه ، فيضيق بذلك مجال الشاهر وربما تنسكب الخوف في الاجتماعات ، حذر الوقوع في السياسيات ، ومن ذا ينكر ان الخيال الذي يستمره صاحبه في كل غرض ويطلق له الشنان في كل حلية يكون أبعد مرمى وأحكم صنعا من خيال الشاعر الذي حصرت له السياسة في دائرة ورسمت له خطة لا يفونها ، ولقد كنت أعرف أنا فما شروا تحت ملحة نكره للاديب أن يتفتح لهاته في الاحوال السياسية فصرفوا معظم حياتهم في التردد على القزل والمديح والرثاء وقاضت عليهم قرائحهم في هذه الاغراض بعمان رائقة ولما سمح الوقت بالكلام في مقاصد اجتماعية أو سياسية وقف بهم الخيال في عتبة كزود أو أنوابها في نسج واه وهياة متخاذلة فالخيال حر في عمله لا تملك السلطة المستبدة مرده ولكنها تمنعه من ان يتجوله على مراكب الالسنه والاقلام وهذا ما يبطئ الشاعر عن اطلاق خياله للهمل ولا يرخي له العنان الا في أغراض يسمه الحال لان يخاطب بها الناس نطقا أو كتابة فذاك سبيان لان يكون الخيال بديم الصم في كل غرض يتوجه اليه ، وهما أمر آخر اذا اتفق للشاعر حال تصديه للنظم في غرض يكون له أثر جلي في سهولة التخييل وبعد الرمية الى المعاني الغامضة وهو الاحساس والتأثر فمن الشعراء من يتكلم عن مشاهدة وتأثر نفسي كأن يرى البطل يلقي نفسه في مواقع المخطوب أو الدالم كيف يتدفق بالحكمة البائقة أو الجواد كيف يسط يده بالوان فيشمر باعظامه ويأخذ في مديحه وتمجيده ، ويرى الجبان كيف يصفر أنامله من ذكر الحرب أو الجاهل كيف يتهمض باللعو أو الباطل ، أو البخیل كيف يشد على الدينار دباطا فوق رباط فيشمر في نفسه بمهاته ويتصدي لهجائه ، ويموت من يمز عليه من قريب أو صديق أو استاذ فيشمر بالانهجم والاسف عليه وتتفجر قريحته برثائه . ونحل بصدية فاجمة فيحس بالاشفاق عليه فيأخذ في تسليته وتهوين وقها عليه بالعزاء الجليل . ويدخل الروضة النضياء فيذنب بمرأى أزمارها وتاهين بلاياها فيهب في صدره ابتهاج وانس ويستمرل في رصفها وذكر ما رافقه من مشاهداتها

ومن الشعراء من يسوقه الى الشعر باحث طمع أو خوف أوجاه ومن الجلى ان
الاحساس والاثرا مما يفتح أمام الخيال طرفاً قلما يصير بها من يحمل نفسه على الشعر
المجرد العلم أو الخوف أو الجاه فانظر ان شئت مثلاً الى قصيدة أبي الحسن الانباري
التي يقول في مطلعها

هلو في الحبلة وفي المات لمق أنت احدي المعجزات

تستجد فيها تخيلات فائقة ، والذي ساعده على ذلك فيما أحسب انه أنشأها
من فصح واعظام بالغ لانه رقى فيها الوزير ابن بنية يوم قتله عضد الدولة مصلولاً فظلمه
بها - وهو لا يرجي من وراثتها فائدة بل يوجس في نفسه انطية من أن يناله عضد الدولة
بالعقوبة عليها - بشعر بأن الباعث له على انشائها التلطف والاخلاص

ولو نظرت الى القصائد التي يخاطب بها الشعراء الملوك تهينة بانتصار أو فتح
وقتها بالقصائد التي يخاطبونهم بها تهينة بعبد مثلاً أو بمولود أو بناء قصر لوجدت
الاولى أجود خيالاً لان انتصار الدولة مما يذفر في نفوس الامة فرحاً ويشير فيها
عاطفة اجلال لمن جرى النصر على يده وليست الثانية بهذه المكانة اذ طلوع العيد
على الامير وازدياد ولده أو تشييده لقصر لا تهتز له نفس الشاعر حتى يظهر به في
جو الخيال ، ويفتسح مايلذه الذرق من بدائع الافكاره وانظر ان رمت الوثوق
بهذا الى قصيدة أبي تمام التي بهي فيها المتصم يفتح عمودية

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

فانه ذهب بمحانيها مذهب خيالية لا تطلع له على ما يحاكبها في القصائد التي لم
يستغزه لها قهر ما يرجوه من التوال

وكذلك الشاعر الذي يريد أن يثيراً من جنابة نمرى اليه أو يحاول أن يزيل
ما في نفس السلطان من ضمنية أو نية سيئة فانه يبتكر من المعاني ما لا يبتكره في
القصائد التي يمدح بها وهو مقبل عليه

وما يخوض الشاعر في فرض أما دعاه اليه بحارة غيره ومباراته في مضمار البيان
فيبلغ من انفاقوا اليه عن احساس وعاطفة نفسية ويقع على تخيلات جيدة
ولكن أمثال هذه التخيلات تنهال على ذي التأثير النفسي بدون نصف حينها يحتاج

الأخر الى أن بحث إليها قريحته وبماذها وهي كالتماسية هذه

بماذا يفضل التخيل ؟

عرف مما سبق ان التخيل يدور على انتقاء مواد متفرقة في الحافظة ثم تأليفها وبرزائها في صورة جديدة ، فيرجع فضله والبراعة فيه الى ثلاث مزايا احدها أن يكون وجه المناسبة بين تلك الجواهر - أعني المواد المؤلفة منها صورة المسمى - غامضا ، فزينة من يتخيل الكواكب أزهارا باسمه في روضة ناضرة دون مزينة من يقول

وضوء الشهب فوق الليل باد كاطراف الاسنة في الدروع
فان المشابهة بين الكواكب والازهار لا تغيب عن كثير من الناس أما التشابه بين النجوم وبين أطراف الاسنة الالامة عند نفوذها في الدروع لا يحوم عليه الا خيال بارع

ولا فضل لمن يرى الشمعة فيجأ إليها بالرمح اذا قصته بمن ينظر إليها فيقول كأنها عمر الفتى والنار فيها كالاجل
فان محادثتها بالرمح لا تكاد تخفى على ذي بصر وانما الخيال الفائق هو الذي ينتقل منها الى العمر والاجل حيث يشعر بالمناسبة الدقيقة بينهما وهو ان الاجل يدنو من الانسان حيناً فحيناً ويتقاضى عمره رويداً رويداً الى أن تنقلس عنه أشعة الحياة كلهيب الفتيلة يدب في جسم الشمعة وينتقصها قليلا قليلا الى أن يأتي على آخرها وتذهب في الجو هباءً منتورا

ثانيتهما - أن يكون التخيل مبنياً على ملاحظة أمور متعددة بالصورة التي يراعى في تأليفها ثلاثة ممان مثلا تكون أرجح وزناً وأقصى قيمة من الصورة التي تبنى على رعاية معنيين فمن الشعراء من يصور لك الرمح شهاباً ثاقباً فيلحق لك أن تساويه بمن يتخيله لك ورؤوس الأعداء منصوبة على طرفه بالفضن يوم يكون مكللاً بالتمار كما قال ابن حمار يخاطب المعتصم صاحب المرية

أتمرت رمحك من رؤوس كآتهم لما رأيت الفضن يمشق مشرا
بقف الناس في تصوير الحرب بمعنى الرمح عند قولهم دارت رحي الحرب وكان حمرو بن كلثوم أبسطهم في هذا التخيل باعاً حيث يقول في وصف الحرب متى تنتقل الى قوم رحاها يكونوا في اللقاء لها طحينا

يكون نغالها شرفي نجد ولطوتها قضاة أجمينا
فالتغال ما يسط تحت الرحي لتساقط عليه الدقيق والهبة القبضة من
الحب تلقى في فم الرحي لتطحنها وقضاة هي القبيلة التي يهددها هذا الشاعر
بالحرب الطاحنة ، وكأني به عند محضر في نفسه معنى الحرب انساقي اليه معنى
الرحي لما بينهما من التشابه المهود ثم تنقل نظره من الرحي الى ما هو من
خواصها فوقع على النغال والهبة ثم انتقل الى معنى الحرب وألقى نظره الى
ما حولها فترأى له ميدانها مبسوطاً كالنغال والرجال الذين يتهافون عليها
فتتناو رؤوسهم وتتساقط أضلاؤهم على ذلك الميدان في صورة الهبة فصاغ
الايات على هذا الوجه الذي يدل على حسن تصرفه في ضم المعاني الى أشكالها
والادباء الذين أروك الحصى في صورة الدريسوا بقليل وانما الزرية لمن اتسع
في صورة هذا المعنى ونظر في تركيبها الى أمور متعددة فقال يصف وادياً

وقانا لعمدة الرمضاء واد سقاء مضاعف الضيث الصميم
زولنا دوحه فحسا علينا حنو المرضعات على التظيم
وأرضفنا على ظمأ زلالا ألد من المدامة للنديم
بروع حصاه خالية العذارى فتلمس جانب المقعد التنظيم

كأني بالشاعر عند ما صبح فتح جفنه على الحصى وهي في ملاستها وصفاء
منظرها انصرف خياله الى ما يحاكيها من الجواهر النفيسة ثم الى حال تناسقها في
هيئة قلادة وتذكر بهذا موقعها من الصور فغمرت على قلبه الفتاة وشرع يتصور
كيف تنظر الى تلك الحصى فيهبج على ظنها بفتة ان قلادتها انقرطت وان ما تراه
من الحصى انما هو اللؤلؤ الذي كان متناسقاً في نحرها قد تساقط الى مواطئة
أقدامها فلا تتألم ان تصرب يدها على المقعد حتى تحفظ البقية من النقوط
أو لتتقين ضدق ظنها فتستحي الى التقاطها

تألمت ان يجري الشاعر في استخلاص المعاني وتأليفها على ما يوافق الذوق
السليم فهو الحافظ لنظام المعاني كما ان القواعد المربية تحفظ لنظام الالفاظ ،
ومن الشعراء من تأخذ سنة عن هذا الشرط فيضع المعنى الخيالي على مثال
تسمثر منه النفس كما أن ناسج الثياب من غزل اختلقت ألوانه اذا لم يكن
صاحب ذوق فائق لم يحكم وضما وأخرجها في صورة تغذفها الميون . ومثال
هذا ان أبا القاسم بن فرناس ألد الأمير محمداً ألياناً يقول فيها

رأيت أمير المؤمنين محمداً وفي وجهه بذر المحبة يشمر
فقال له مؤمن بن سعيد: قبحاً لما ارتكبهت جعلت وجه الخليفة عراً
تبر فيه البذور؟ ففشيح الخجل وجعل جوابه عن هذا النقد الصائب سبيل
ووقع في مثل هذه الزلة كثير من كبار الشعراء فهذا أبو تمام يقول في مدح
أجد الأبطال

صاحي الحيا للهجير وللقنا تحت المجاح تخاله بحرانا
جمل ممدوحه محرانا كما جملة هاذيا حين قال
لا زال يهذي بالمكارم والملا حتى ظننا انه محموم
وهذا بشار بن برد يقول

وجذت رقاب الوصل أسياف هجرها وقدت لرجل البين فلعين من خدي
فأثبات الرقاب للوصل والرجل للبين من التخييلات المستهجنة
قد يحظر لسائل أن يقول: إن هؤلاء الشعراء براعة مسلمة وأدواً لا ترتاب
في صحتها وصفائها، وقد مرت هذه الممانى التي رमितها بسبب السخافة على
أذواقهم فألقت إليها بالتسليم أفلا يكون رضاهم عنها واستحسانهم لها شاهداً
براءتهما بما تدعون من سباحة الوضع ومنافرة الذوق؟
والجواب أن القبح في هذه الممانى وما كان على شاكلتها يحقق بما يحسده
الإنسان في نفسه من أثر الفكرة لها وعدم الانس لسباعها، فضلاً عن شهادة
فريق عظيم لا تنقصهم سلامة الذوق والمعرفة بحرفة الأدب عن طبقة أولئك
الشعراء. وهذا ابن رشيح يقول عقب إيراد البيت الأول من بيتي أبي تمام
«فلعن الله على المحرث ههنا ما أقبحه وأركه» ولم يبق سوى النظر في عدم
تنبيههم لذلك القبح وكيف خفي عنهم وجهه وهو كاشف لثامه حتى لا يحتجوا
بأدراكه في بعض الآيات الأدباء عن غيرهم

والوجه في هذا أن البصيرة مثل البصر والمشهد للصورة من عيان قد
يفوت أن يحدق فيها من بعض الجهات فلا يشمر بما فيها من عيب. فكذلك
السامع قد يصور المعنى ولا يأخذ بالنقد من جميع أطرافه فيصير على وجه
قد يبصر به من هو أضعف بصيرة منه، والملة في عدم تنبيه الشاعر لذلك
الخلل قصر المدة فيما بين انقضاء القصيدة وإراءتها للبلد بحيث لا يتمكن من
تجريد نظره إلى كل بيت وقد معناه من سائر وجوهه

وربما أصيب الشاعر من اعتياده على براعته ومسكاته سمعته ، اذ كثيراً ما يستفيد الشاعر من المقام والشهرة التي يدرسها بين قومه فيتلقون شعره بأستحسان فوق ما يتلقون به شعر غيره ممن لم يقيم لهم صيت وإن كان فيه نفسه أبعد أمداً وأحكم نسجاً ، فكثرة الاجادة وسعة الذكر قد تؤثر في همة الشاعر في بعض الاحيان فيلقي القصيدة على علاتها ولا يحمل نفسه على التدقيق في تقديمها . ومن ثم ترى أكثر الذين يقومون في هذه العثرات ان هم الاكابر الضمراء والمكثرون منهم كأبي تمام والمنفي ومن كان في طبقتهم ويؤكد لك أن سيئات الضمراء في هذا الصدد انما لصقت بهم من جهة عدم تقديم المعنى بمد أن تقذفه القريحة نقداً وافياً اما لضيق الوقت أو اغتراراً بما ملكوا من البراعة وأحرزوا من الشهرة ، أن أحدهم قد ترسل قريحته معنى فيقع منه موقع الاعجاب حتى اذا أعاد عليه النظر مرة ثانية انكشف له من مساويه ما يجعله في أسف على اذاعته أو في ارتياح من عدم اطلاع الناس عليه ومن المحتمل أن يصوغ الشاعر المعنى فتأخذ جهة الحسن بقلبه مأخذاً بليغاً ثم يكثر في صورته على وجه من الخلل ولا يتمكن من تلافيه وإكمال قصه الا برفض الصورة من أصلها ، وحيث يرى أن جهة الحسن أرجح ويرجو أن تسيل على ذلك المنعز فضل رداها فلا يشعر به الناقدون بيبقي صورة المعنى على حالها ويحيزها للرواة وهو بصير بملتها . ولا أخال أن النابغة حين قال فلنرت اليك الحاجة لم تقضها فنزل السقيم الى وجوه المود لم يחדش عاطفته أن يضع المحبوبة بمنزلة السقيم ولكنه عز عليه أن يضرب من هذا التشبيه الذي لا يلحق شأوه وإن وخزه لفض السقيم في ضميره وخزات بالغة

الاهل والعيال

« وهو فصل من كتاب «الاخلاق والواجبات» للمفري »

ذكرنا في الفصول السابقة واجبات الشخص منفرداً . وزيد ان نذكر في الفصول التالية واجباته مجتمعا مع غيره من أبناء جنسه . وأول اجتماع له من هذا القبيل اجتماعه مع أهله وعياله . وأهله زوجته . وعياله أولاده . واذ كانوا أغنياء انضم اليهم خدام يكفهم مژونة العمل ويقال للمجموع المؤلف

من هؤلاء الافراد في اللغة العربية «عيل الرجل» - بتشديد الياء - وفسره بقوله هم اهل بيته الذين يتكفل بهم ويعمهم من أزواج وأولاد وأتباع . وقد اصطلح كتاب هذا العصر على تسميتهم بالصائلة مع ان كلمة عائلة في أصل وضعها اللغوي بمعنى فقيرة تأنيث (عائل) فقير و (العيلة) الفقرو (عال) افتقر . وبحث الواجبات الماثلية يتضمن بيان ما يجب على الشخص نحو افراد عائلته المذكورين ويدخل فيهم أحياناً من يموله من غيرهم كإبيه وأمه أو يتيم يكفله أو امرأة تأوي الى كنفه ، وتميش على نفقته .

وقد وجدت العائلة على وجه البسيطة من يوم وجدت المرأة بجانب الرجل وولدت له أولاداً والأعمال التي يراذلها كل من الرجل والمرأة في عائلتهما تختلف باختلاف حال الأمة التي يعيشان فيها بدابة وحضارة . رقيقاً ومخطاطاً . ويطلب في الامم المتحضرة ان تكون وظيفة المرأة ادارة الاعمال البيتية . كما تكون وظيفة الرجل العمل خارجه . فهو يشتمل ويشتم ويستمر أنصابه ثم يلقي بهذه الفرائد الى زوجته . ويشكل في هنائه المائلي وراحته المنزلية عليها . فالزوجة هي الرئيسة العاملة في المنزل . اما الزوج فهو بمثابة رئيس صرف له . وقد جاء التصريح بذلك في الحديث الشريف مذ قال صلى الله عليه وسلم
«كل نفس من بني آدم سيد : فالرجل سيد أهله . والمرأة سيدة بيتها»

فانظر كيف جعل سيادة البيت للمرأة . وخصها بها . وان كان لرجلها سيادة أخرى لا تتكرر . واذا كانت المرأة هي سيدة البيت ورئيسة كان من أول واجبات الزوج ان يحسن انتخاب تلك الرئيسة : فيختارها من ذوات العقل والدين والتربية الصالحة فانها اذا توفرت فيها هذه الشروط أصبح المنزل فردوس الرجل . ومظهر كرامته في قومه والمنبت الخصب لتربيته وأولاده . ومن ثم كان للمنزل والعائلة المقام الاول في نظر علماء الاجتماع . حتى جعلوا نظام الحياة المنزلية أساساً لنظام الحياة الاجتماعية في الأمة كلها : فاذا فسد النظام الاول فسد النظام الثاني وانحطت الأمة على أثره والعكس بالعكس . قالوا : واذا دخلت احدى المدن كان لك ان تحكم على ارتقاء العائلة فيها بمجرد نظرك الى حالة سكانها وما هم عليه من الامور والاخلاق في أسواقهم وحواليتهم ومعاملهم وقهاوهم وسائر مظاهرهم الاجتماعية : فاذا رأيتهم هنا (المنازع : ج ٤) (٣٨) (المجلد الثاني والمشروف)

على نظام أدبي ثابت حكمت باستحكام النظام الادبي في بيوتهم وعائلاتهم. لان هذا أصل ذلك . والا فلا .

قلنا آنفاً ان (المنزل) هو المفرس الاول للفرقة والاولاد . فهم ينقلون منه الى المفرس الثاني أعني (المدرسة) ومنها الى ساحة التجارب والعمل والسعي في خدمة أمهم ووطنهم . فاذا طابت تربية المفرس الاول (العائلة) طابت اذ ذلك ثمار أبناء الأمة . وغزرت محمولات عقولهم وأخلاقهم، وان خبثت تلك التربية خبثت الثمار . وقبخت الآثار . وساءت الاخبار .

وقال بعض علماء الاجتماع المعاصرين « ان أحقر المنازل اذ تولت رئاسته امرأة مدبرة بفوضى كان ملؤه الراحة والمناهة والسعادة . كان فيه أشرف المواطن المائتة . كان عزرائلي الرجل لما يستلزمه من دوايبي السرور . كان ملاذاً للقلب . وملجأ من عواصف الحياة . كان خير مكان للراحة من عناء الاشغال ومتاعب الحياة . كان في الشدة مسلياً . وفي الرخاء فحراً . وفي كل حال نمياً . فالمنزل الصالح اذن خير معاهد التربية لا للشباب وحده بل للكهل أيضاً . وفيه يتعلم الشاب والكهل البشاشة والصبر وضبط للنفس وتذكرو روح الحياة ومعنى الواجب »

فلنتنظر الامم كيف تظم نظام عائلاتها على أساس وطيدة ثابت ولينظر الآباء واجههم الشرعي والاجتماعي من هذا القبيل

، وأول واجب عليهم حسن اختيار سيدة المنزل وقد ورد في الاحاديث النبوية الحث على العناية باختيارها لينجب أولادها .، ويطلب العيش معها . وقد امتاز حكماء العرب على أولاده في قيمته بهذا الواجب انجدهم منه قال :

وأول اصنافي اليكم تخيري لماجدة الامراق باد عفافها . ومن الواجبات المائتة أيضاً العناية بتربية الاهل والعيال وتعليمهم ما به صلاح أمرهم . وتثقيف عقولهم . وبهذا المعنى فسروا قوله تعالى . (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أي حولوا بينهم وبين شقاء المذاب بما تعلمونهم اياه من ضروب الحكمة والعلم النافعة . وبهذا المعنى أيضاً ورد قوله صلى الله عليه وسلم
 « اوجعوا الى أهليكم فخلصوهم »

يخاطب قوماً يريدون ممارسة بعض الاعمال فامرهم بالانصراف عنها الى ما
هو اهم منها وهو ان يرجعوا الى نساءهم وأولادهم فيعلموهم .
وحض الشارع على التخلق بالاخلاق الفاضلة ان لم يكن لها فلاح فيكون
وسيلة الى تخلق افراد العائلة بها فقال صلى الله عليه وسلم :

« عفوا تمف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم
فمن عف عن تمف القبيح كان خليقاً أن تمف نساؤه . ومن بر آباءه كان
جديراً أن تبره أبناؤه .

أما أحاديث الحظ على حسن معاملة الامل والمبال والرفق بهم وترك
الغلظة عليهم فكثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم
« خيركم (١) خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي
« ان من أكل (٢) المؤمن إيماناً أحسن خلقاً وألطهم بأهله
« خير الرجال من أمي الذين لا يتناولون على اهلهم ومحسنون اليهم
ولا يظلمونهم

« ان الله سائل كل راع عما استراعه : أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل
الرجل عن أهل بيته « أي يسأله كيف كان ضيعه بهم ومعاملته لهم حسنة أم
قبيحة فيجازى بحسب ذلك .

« كان صلى الله عليه وسلم في بيته ألين الناس وأكرم الناس ضعفاً كما بساماً
« كان صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالصبيان والمبال
« من كان له صبي فليتصاب له

أي ليتنزل أن يفعل في ملافتة قمل الصبيان تطيباً لنفسه . وادخلا
لشروط على قلبه . وروي انه صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه ذات يوم
الى طعام دعوا له فاذا بابن بنته الحسين وهو صبي يلعب مع صبية في السكة
فاستنزل رسول الله امام القوم (أي انهمرد عنهم وتقدمهم) وأقبل على الحسين .

(١) هذا لفظ الحديث رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس
والطبراني في الكبير عن معاوية يستد صحيح ورواه ابن عساكر عن علي بن زياد عن مالك بن
النساء الاكرم ولا أهان الا لئيم « وهو صحيح أيضاً . وفي كرم المؤلف بلفظ خياركم
الح وهو حديث آخر ليس فيه وأنا خيركم لاهلي - فذلك صحيحه (٢) أورده
الثالث بلفظ أحسن . والرواية أكل وظاهر ان كل ما أوله هذه العلامة « فهو حديث

فطلق يفر مرة ههنا ومرة ههنا . ورسل الله يضاكه . ثم أمسكه فجعل احدى يديه تحت ذقنه والاخرى تحت فأس رأسه (أي قفا رأسه من تحت قذاله) وألقمه (أي رفعه) وجعل يقبله وقال :

« أنا من حسين وحسين مني أحب الله من أحب حسيناً

أما حسن معاشرته لنساءه الطاهرات فالسنة مستفيضة به . من ذلك ماروي في الضحاك عن عائشة رضي الله عنها قالت « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على باب حجرني والحبنة يلبسون بحراهم في المسجد وهو يسترني بردائه . انظر الى لعبهم . وكان يقول لي كفى ! فأقول لا احتى اكتفيت ومن جملة الرفق والنهاية بالاهل والعلال ما ورد في الحديث وهو :

« كان صلى الله عليه وسلم لا يكاد يدع أحداً من أهله في يوم عيد الا أخرجه يعني انه كان في صبيحة أيام الاعياد يخرج كل واحد من أفراد عائلته الى خارج المدينة حيث يجتمع المسلمون لصلاة العيد في مصلاها الخاص فيصلون ويشاهدون الناس في هذا الاجتماع الحافل فيدخل عليهم السرور والفرح بروية ذلك .

« مشيك الى المسجد وانصرفك الى اهلك في الاجر سواء

سوى في الاجر والفرق بين المشيتين مشي الرجل الى عبادته ومشي واجعاً الى مسامرة عائلته . وكأن الشارع صلى الله عليه وسلم في قوله هذا يعرض بأولئك القصة الذين لا يحصلون من اوقاتهم نصيباً مفروضاً لمعاشرة عائلاتهم بل ينفقونها جزافاً في أماكن اللهو والبطالة . وبذلك تسوء عيشة المائلات وتتنقص حياتها بل ربما أدى بها الامر احياناً الى المفاسد وقبيح الاعمال ومن الواجبات العائلية ترفيه العائلة . والتوسمة عليها بالنفقة واعداد ما يلزم لها من وسائل الراحة والهناء . ومرافق الحياة والمعيش . وقد حض الشارع صلى الله عليه وسلم على ذلك في أحاديث كثيرة منها :

« ليس منا من وسع الله عليه ثم فتر على عياله

« شر الناس المضيئ على أهله

« أول ما يوضع في ميزان المرء اتفاقه على أهله

أي ان النفقة عليهم من أول الاعمال التي يناب عليها .

« دينار اتفقته في سبيل الله ودينار اتفقته في رقة ودينار تصدقت به على

مسكين ودينار اتفقته على اهلك . اعظمها اجراً ذلك الذي اتفقته على اهلك
 « أطمع زوجك اذا طمعت واكسها اذا اكتسيت ولا تقبح الوجه
 ولا تضربه (١)

ينهي عن ضربها وكل ما يؤذيها وعن تقبيح وجهها فلا يواجبها بقبيح القول
 وفظيخ الشتم . او المعنى : لا يقول لها « قبح الله وجهك » وهو شتم مألوف
 بينهم ينهي الشارع عنه بخصوصه .

« الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر .

في هذا الحديث تحذير لارباب العائلات الذين يجمعون المال حلالا وحراما
 صدأ الحجابات عائلاتهم . وأشباعاً لنهايتهم : فهو صلى الله عليه وسلم يقول :
 « لتماسه ذلك الاب الذي يترك عائلته بعد موته في سعة من الرزق ومحبوحة
 العيش من مال جمعه حراماً لهم ثم يقدم على ربه يوم القيامة وهو مثقل بتبعات
 ذلك المال الذي جمعه وخان الناس فيه فيعذب به الله عليه . ويكون قد اشبه التهمة
 التي تضي للناس وتحرق نفسها . فاذا كانت التوسعة على العيال واجبا عائليا على
 رب العائلة فان تحمري الاتفاق عليها من المال الحلال هو ايضا واجب عائلي عليه
 تحذر به مراعاته والاتباع اليه .

وأما الاولاد والصبيان فهم ثمرة الحياة ، وريحانة البيت . وأمل العائلة
 والغاية المقصودة من الزواج . قال صلى الله عليه وسلم

« بيت لاصبيان فيه لا بركة فيه

« ربح الولد من ربح الجنة

« الولد ريحان الجنة

(١) المنار : الحديث لا يوجد بهذا اللفظ في الجامع الصغير الذي استند منه
 الكاتب معظم ما أورده في كتابه من الاحاديث ويوجد باللفظ الآتي معزوا الى الطبراني
 والحاكم مصصحا ورواه أيضا أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني وصححه
 وعلقه البخاري في الصحيح عن معاوية بن حيدة مرفوعا وهو حق المرأة على الزوج
 ان يطمعها اذا طمع ويكسوها اذا اكتسب ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر
 الا في البيت : قالوا أي البيت بان يبيت وحده مؤاخذه لها على اللشوز وهو
 عصيان الزوج ولكن لا يحمل له أن يترك مكالتها

لكن ينبغي للآباء والأمهات ان يعلموا ان اولادهم ليسوا ملكا لهم
كلّهم اشياءهم وانه لم تمنحهم العناية الالهية لهم ليكونوا بمثابة متاع او
قلمة زينة في البيت ينافس بها . ويحرص عليها . وتتلذذ النفس بالنظر اليها
غضب . وانما خلقوا ليقضوا زمن الصبوة في حجر العائلة ثم يخرجوا منها
احراراً مستقلين . ويضافوا مدداً الى الرجال العاملين

فالعائلة اذن مكلفة بتربية الطفل وتهيأته جسداً ونفساً وخلقاً للقيام بوظائفه
المختلفة في خدمة قومه ووطنه . وان العناية بالاولاد وتربيتهم هذه الترية
الصالحة من أكبر واجبات الابوين التي يفرضها الشرع ونظام الاجتماع عليهم
كما أن اهمالم والتفريط في تربيتهم من أكبر الجنائيات التي يمتتها الشرع وتعاقب
عليها القوانين المدنية (١) . قال صلى الله عليه وسلم :

* أكرموا أولادكم واحسنوا آدابهم : فان أولادكم هدية الله اليكم
ولا ينبغي أن الشكر على الهدية انما يكون في تقبلها بفرح ثم العناية بها . والمحافظة
عليها . كما أن التفريط فيها كفران لحق من أهداها . وباعت على غضبه وتقمته
* لان يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع (٢)
* حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمية وأن لا يوزقه
الا حالاً طيباً

هذه أهم علوم الرجل (٣) في ذلك العهد . ومنها الرماية بالسهم . أما اليوم
فقد اختلفت الاحوال وتبدلت الاوضاع . واستجدت علوم لم يكن يعتنى بها
من قبل ، فالواجب على أولياء الاولاد اليوم أن يعلموهم منها ما هم في حاجة ماسة
اليه ، وان الاسلام ليقدر هذا الاختلاف الزماني قدره كما ورد في الاثر
* خلقوا أولادكم بغير أخلاقكم فقد خلقوا زمان غير زمانكم (٤)

(١) المنار : لعله أراد السنن الاجتماعية لا المعنى الاصطلاحي عند الحكومات
(٢) في الاصل بصدقة وهو سهو ولذلك صححناه والصاع مكيال معروف
والحديث في الترمذي من طريق ناصح بن عبد الله الحملي وهو كما قال الذهبي
هالك فلذلك أنكر الحفاظ على الترمذي روايته عنه (٣) هذه ليست علوماً بل
الكتابة فن عملي والسباحة والرمية رياضتان ولا يزال هذا من أهم ما يربى عليه
الاولاد ولكن رماية هذا المصر بالرصاص لا بالسهم (٤) هذا ليس بحديث بل هو من كلام
بعض المولدين فلا تفلت التخليق فيه بهذا المعنى عربي فصيح ولا مقصده شرعي صحيح

فاذا كانت الاخلاق تختلف بين زمن الاب وابنه فكيف يكون مبلغ اختلافها بين زمن السلف وزماننا هذا ؟

* أيما امرأة قدمت على بيت أولادها فهي ممي في الجنة يرشد الشارع صلى الله عليه وسلم المرأة في هذا الحديث الى واجبه في تربية أولادها وهي أجدر بهذا الخطاب الشرعي من الرجل : فهو يقول لها: ان تركها الاشتغال بما لا ينفعها والمكوف على تربية أولادها في بيتها خير وسيلة الى دخول الجنان

* ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن كأن هذا تريض بمن يخص بمض أولاده بالنحل والمطايا وقيس المتاع وقد ورد النهي عن ذلك صريحا في الاحاديث الاخرى * اتقوا الله واعدوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم * ان الله يحب أن تمدلوا بين أولادكم حتى في القبل (والقبل) على وزان غرف جمع قبله وهي التقبيلة .

* ساوا بين أولادكم في العطية: فلو كنت مفضلا أحداً لمفضل النساء لعل السبب في استحقاق النساء للتفضيل انهن سرعات التأثر . وقيقات الشعور . شديداً الفيرة : فهن لذلك أجدر بالمطايا . وأنواع البر واللطف (لهدايا) من أخوتهم الذكور . ومع هذا فان الشارع نهى عنه خشية التنافس والتحاسد بين الاولاد . وفي الحديث اشارة لطيفة الى وجوب العناية بالنساء ومراعاة شعورهن وعواطفهن ، ومن هذا القبيل ماورد في الحديث وهو انه صلى الله عليه وسلم .

* كان يكسو بناته خمر القز والابرسم يفعل ذلك موافاة لرغبتهن ، ومراعاة لميلهن وتناسفن في لبس الحرير والنفيس من الثياب . والاسلام لا يفرق بين الذكر والانثى في الحب والعناية والتربية كما رأيت وسيأتي في بحث (النساء والايام) زيادة بيان لذلك وان من أهم الاغراض التي جاء الاسلام من أجلها هدم ماكان عليه أهل الجاهلية من حقن المرأة واذلالها . والتفريط أحيانا بحياتها . حتى عابهم القرآن في ذلك . وغيرهم به . مد قال تعالى :

(واذا بشر أحدكم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم

من شوه ما بشر به: أن يحسكه على هون أم يدسه في التراب)
 هذا هو حال أهل الجاهلية قبل الإسلام: كانوا إذا ولد لأحدهم انشأ
 أكثر وجهه . واستخفى عن أعين الناس حياة وخجل أنهم فكروا في كيف يتخلص
 من هذا الضيف الثقيل ؟ أيصبر عليه ؟ أو يئده تحت التراب ؟ فجاء الإسلام ناعياً
 عليهم حالتهم هذه . وبشر بالمرأة . ووجوب العناية بها . واعطائهم حقها من
 الوجود ونصيبها من الحقوق . وعما قاله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى :

لا تكثر هوا البنات فانهن المؤسسات الغاليات

وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فتتشبث به (أمامة) ابنة ابنته زينب . فكان
 يحملها على عاتقه : فإذا سجد وضمها وإذا قام حملها .

وانما نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن تفضيل بعض الاولاد بالمعطة تقادياً
 من التحافد والتحاسد بينهم كما مر آنفاً . بل قد يحدون أحياناً على أبيهم نفسه
 والاب مأمور بأن لا يتعاطى من الاسباب ما يثير شيطان العقوق في نفس ولده
 ومن قوله صلى الله عليه وسلم في ذلك

• وحرم الله والد الأمان ولده على بره

• اعينوا أولادكم على بركم: من شاء استخرج العقوق من ولده
 أي انه في مكنة الاب أن يحمل ابنه على العقوق وترك الطاعة . وذلك
 يكون بتفضيل أخيه عليه بوصية أو عطية أو تزيين أو ابتسامة أحياناً . فليكن
 الاب حكماً فظناً صابراً لمواطنه وتوزيعها بالعدل بين اولاده . والا جر على
 نفسه وعائلته من بعده تمباً وبلاء .

وكما يطالب الولد ببر والده يطالب الوالد نفسه ببر ولده . وبر كل منهما بحسبه .
 وقد وصف صلى الله عليه وسلم قوماً من الأبرار فقال :

• أنا ساءم الله الأبرار لانهم يروا الآباء والأمهات والابناء كما ان لوالديك
 عليك حقاً كذلك لولدك

ومن جملة بر الوالد لولده ما ذكر صلى الله عليه وسلم في قوله :

• لا بعد الرجل صبيه ثم لا يفي له

فإن هذا فضلاً عن كونه يحمل الولد على احتقار والده واعتقاد الكذب
 فيه يسهل أمر الكذب عليه . ومن شابه أباه فما ظلم . فينبأ كذاباً لا يصدق
 بقول . ولا يفي بمهد .

ومما به اليه التبارع من أمر تربية الاولاد أن لا يتشاهم الوالد بأحد أولاده ولا يئأس منه إذا رآه غنيذا شرسا ذا شرّة وأذى : فقد يتحول كل هذا فيه إذا أحسنت تربيته الى أخلاق فاضلة كالشجاعة . وقوة الارادة . وكبر العقل . والشتم وطلب المعالي . قال صلى الله عليه وسلم
 « عرام (١) الصبي في صفه زيادة في عقله في كبره
 والعرام الشراسة والأذى والاشتر والبطر ومفارقة القصد والمخرج عن الحد . وقيل هو الفساد

ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم ايئسا لآباء الاولاد ما جاء في قوله :
 « الولد ثمرة القلب وانه مجبنة مبخلة محزنة
 ومعنى ذلك أن الآباء لفرط حبهم اولادهم وحرصهم على خيرهم قد تتغلب عليهم صفات (الجبين) فتراهم يمجنون . عن التمريض للاخطار خشية ان يموتوا فتضيع سفارهم من بعدهم - و (البخل) فهم يبخلون ويشحون بالمال فلا ينفقونه في وجوهه الواجبة أحيانا لئلا يموتوا بلا اراث يتركونه لسفارهم يستمتعون به في كبرهم - و (الحزن) : فهم اذا اعتل الولد وساءت حاله وجوا وحزنوا واستولى عليهم اليأس والقنوط وهذا معنى (مجبنة) (مبخلة) (محزنة) وهي من صيغ المبالغة في الوصف . وما ذكر من هذه الاوصاف وان كان أمرا فطريا أو طبيعيا في الآباء والشارع يعترف به فهو ينبيه الى خطره . ويوصي الآباء بالرفق والاعتدال خشية ان تستحكم فيهم هذه الملكات ، فتقودهم الى الشرور والآفات

ومما ورد في فضل الولد قوله صلى الله عليه وسلم :
 « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له بخير
 « ان الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول انى لي هذا ؟ فيقال له باستغفار ولدك لك

والحنو على الولد والرافة به والعبر على ما يبدو منه أحيانا من العناد والطيش ودواعي الصبوة امر طبيعي في الآباء يحتملونه بصبر ورضا . الا من

«١٩» المنار: الرواية كما في الجامع الصغير عرامة وهي بالفتح كالعرام بالضم (المنار : ج ٤) (٣٩) (المجلد الثاني والمشرون)

ندر منهم: فقد رأى الافرنجى حابس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ولده الحسن فقال له: ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال صلى الله عليه وسلم:

« ان من لا يرحم لا يرحم »

وقال معاوية رضي الله عنه للأحنف بن قيس: ما تقول في الولد؟ قال: « يا أمير المؤمنين: ثمار قلوبنا . وثمار ظهورنا . ونحن لهم ارض ذليلة . وسماة طليقة . وهم نصول على كل جليقة . فان طلبوا فلطمهم . وان غضبوا فآزرهم يمنحوك ودهم . ويحبوك جهدهم . ولا تكن عليهم فضلاً ثقيلاً . فيملوا حياتك . ويرودوا وفاتك . ويكرهوا قربك » فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف لقد أرضيتني ممن سخطت عليه من ولدي . ثم وصله بمطية عظمى

في كلمة للنار في هذا الفصل

هذا الفصل من كتاب الاخلاق والواجبات للشيخ عبد القادر المرقري صدقنا ورفقنا في طلب العلم بطرابلس الشام ألله عدينا لحكمة دمشق الشام لبقرائني مدارسها وهو كما يرى القارئ في حزن أمولوه وكثرة فوائده الجامعة بين حاجة المصنف ومعاينة اللزيم ، ولما أوصل الينا هذا الفصل منه لنشره في المنار كتبنا اليه متقدمين اغفاله تخريج احاديثه وكثرة الضعاف فيها مع امكان الاستغناء عنها بالصالح فكذب اليانا انه قدر ما كتبناه اليه قدره وان حذره الاضطرار الى الاختصار مع كون الكتاب كتاب آداب لا كتاب حديث وان احاديثه منقولة من الجامع الصغير وهي مخرجة فيه « سوى احاديث قليلة مستدة غالباً الى راديهما » وان التصريح بضعف بعض الاحاديث يسقط تأثيرها من النفوس ويظن الطالب ان الضعيف يعني الباطل مع انه ليس الاصطلاحاً للمحدثين . وان العلماء تساهلوا في احاديث الفضائل ولا سيما اذا كانت موافقة لاصول الاسلام الخ

لاجل هذا رجسنا عما كنا هزمتا عليه من تخريج احاديث هذا الفصل ، ويأتينا مراتبنا من القوة والضعف في آسانيدنا كما دتنا . وما قاله في ضعف الاحاديث يصدق على الكثير منها ويختلف اصطلاحهم فيها حتى ان الضعيف في مسند الامام أحمد أقوى من الضعيف في زوائده . دع الكتب التي يتساهل أصحابها في التعديل تكاين حبان والحاكم وقد وافق التقيا . على العمل بها في احاديث الارشاد والفضائل بشرط مطاهاها

في النار من قبل أهلها موافقنا لثابت المقرر في الدين وعدم اشتداد ضمتها. فاز
منها ما سبب ضعفه مخالفة الراوي له لبعض الثقات أو ضعف ضبطه ولو في آخر عمره بل
عد بعضهم كثيرا من رجال الصحيحين في الضعفاء. مثال ذلك حديث « أن الله
سائل كل راع عما استرعاه » في ص ٢٩٩ أخرجه النسائي وابن حبان عن انس مر
طريق معاذ ابن هشام وقد عد بعضهم معاذ في الضعفاء وقال ابن معين فيه صدوق
ليس بحجة ، على أنه قد روى عنه الست

ومنها ما ضعفه شديد يقرب من الموضوع أو يدخل في بابيه وقد ذكرنا مثالا
في الجزء الذي قبل هذا في سياق الكلام على التصوف وساهل بعض الثقات في
الاحاديث الواهية والموضوعة كحديث دعاء الوضوء ومنه في هذا الفصل حديث
« عفوا ننف نساؤكم » الخ نقله في الجامع الصغير عن الطبراني في الاوسه
من حديث عائشة بهذا اللفظ مع تمة وعلم عليه بالضعف وعن الحاكم عن أبي هرير
بلفظ « عفوا عن نساء الناس » الخ فالاول الذي اختاره المؤلف في اسناده يزيد بن
خالد الضعيف كذاب . قاله الشيخ محمد الحوت وعنده شرح المناوي على الجامع الصغير
واسند هذا القول الى الميمني وليس لهذا الرجل ذكر في ميزان الاعتدال . وقال في
الحديث الآخر : صححه الحاكم ورد عليه الذهبي فيه سويد عن قتاده ضعيف وقال
المذري هو ابن عبد المزيز واه انتهى ولعل العيوب انه سويد بن ابراهيم الجحدري
ابو حاتم الحنط فانه هو الذي قالوا انه يروي عن قتاده فيخلط ويأتي به
باحاديث لم يأت بها أحد غيره وهو ضعيف وبالح ابن حبان في جرحه فقال
يروي الموضوعات على الثقات ، وذكر المذري أن الطبراني رواه من حديث ابيه
عمر أيضا باسناد حسن ، فهذه الروايات كان عنده مما يتأدب به ولذلك أوردته في
الترغيب والترهيب لان معناه صحيح موافق لاصول الشريعة في الترية بالعمل
فلا تقصره مثل هذه الطل .

ومثل ذلك ما كان في سنده انقطاع كحديث « ان من أكل المؤمن
إيمانا أحسنهم خلقا وأعلمهم بأهله » وكذا ما كان في سنده مجهول كحديث « من عام
في جهنم » من كان له صبي فليتصاب له » ولكن لا يفتنح لها في تشرريح بعد

في الأحكام والحلال والحرام ، ولا في أصول العقائد والايان وعالم الغيب . ولا
بمعه بشي . منها اذا خالف النصوص الصحيحة أو القواعد الثابتة في الشرع والامور
الثابتة في الوقائع أو انتهى البرهان العقلي أو الدليل العلمي القطعي فان مخالفتها من
علامات الوضع . وأكثر اهتماما بالمتدعين على أمثال هذه الروايات الشاذة أو المنكرة
التي لا يثبت لها استناد

وفي هذه الاحاديث ما ليس في الجامع الصغير ولم يمز الى كتاب آخر كحديث
« ارجعوا الى أهليكم فقلوا لهم » وحديث « كان (ص) في بيته أين الناس واكرم الناس
ضحاكا بساما » ولا أذكر اني رأيت هذا الحديث في الشئال ولا غيرها وفيه وصفه
(ص) بالضحك ولم يكن ضحكا كالأما كان ضحكه تبسما : وحديث « أيما امرأة تمسكت على
بيت أولادها » الخ وحديث « لا يمد الرجل صبيه » الخ وهو جزء من حديث رواه ابن أبي
الدنيا في الصمت ولعله في الجامع ولا أذكر أوله لأراجع فيه ، وفيها ما أورده بغير الفاظه التي
في الجامع الصغير كحديث « اذامت ابن آدم » الخ عزاه في الجامع الصغير الى البخاري في
الادب المفرد ومسلم وأصحاب السنن الثلاثة عن أبي هريرة بلفظ « اذا الانسان »
وليس في آخره كلمة بخبر وحديث « انا من حسين الخ فانه فيه بلفظه المشهور « حسين
مني وانا منه أحب الله من أحب حسين الحسن والحسين صبطان من الأصباط » عزاه الى
البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن يعلى بن مرة ، وحديث
« اكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم » فانه ذكره بهذا اللفظ وعزاه الى ابن ماجه عن
انس . وقد زاد الموائف فيه ما ليس في سنن ابن ماجه ولا الجامع الصغير وهو « فان
أولادكم هدية الله إليكم » ولم يذكر من أي كتاب نقله

وما اقتصر فيه على الضفاف مع وجود الاحاديث الصحاح ما أورده في المساواة
بين الأولاد من حديث النعمان بن بشير « اتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم كما يحبون
ان يبروك » وقد عزاه في الجامع الصغير الى الطبراني وأشار الى ضمنه ، ثم ذكر
بعده بحديث حديث « ساووا بين أولادكم » الخ وعزاه في الجامع الصغير الى الطبراني
والبيهقي وأشار الى ضمنه وذلك أن في اسناده سعيد بن يوسف وهو ضعيف وذكر
ابن عدي في الكامل أنه لم يرو له أنكر منه ، وقد ترك حديث النعمان بن بشير

المروي في الصحيحين «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» وفي رواية بين أولادكم وله قصة في انكار النبي (ص) على من ميز أحد لأخوة على الآخرين . وانما فعل المؤلف هذا لان في الاحاديث التي اختارها زيادة فائدة في المعنى مقصودة في بابها . وقد ذكرت في الحواشي تفسيحات أخرى ما أحسبت ان تؤخر الى هذه التلخيصات العامة

وانني أحب لعديتي أن يراجع جميع أحاديث الكتاب وبقاها بالكتب التي نقلها منها ويذكر في حواشي الصحائف مأخذ كل حديث ليس في الجامع الصغير بنصه ، ويصرح بأن كل حديث لم يمهز الى كتاب فهو في الجامع الصغير فان هذا ادعى الى ثقة الناس بهذه الاحاديث في كل قطر ، وهذا العمل لا يفترق في زيادة كثرة في أوراق الكتاب لقلة الاحاديث التي ليست من الجامع الصغير ، وان يدقق النظر في تحرير الالفاظ ولا يتساهل في ذلك اعتمادا على ما ذكره بعض المحدثين من جواز رواية الحديث بالامني فان هذا ليس لمن يقتل من الكتب مثلاً وانما هو خاص بمنزل الصحابي أو التابعي يسمع الحديث فيجري بيان المعنى الذي فهمه منه فلا يضره اختلاف بعض الالفاظ كقوله «اعدلوا في أولادكم» أو «بين أولادكم»

مختارات من الجرائد الغربية . في حل المسألة الشرقية

جاء في جريدة الباتري (الوطن) في ١٧ مايو سنة ١٩١٩
نهاية الدولة التركية - هدم عقد شروط صلح ١٩١٨ - تقسيم الولايات العثمانية

تقسيم الدولة

قالت النيويورك هوالد في عددها الصادر هذا الصباح ان من المرجح عدم عقد شروط صلح مع تركيا وان كان ذلك غير مطابق للعواهد المرهية ، لا ان المؤتمر يفكر بكل اهتمام في هذا الامر مرتكنا على ان تركيا لم يمد لها حكومة دولية حقيقة وانه لم يبق للعالم المدني الا الانتفاع بتركيا الدولة العثمانية
مشال اليونان أكبر جزء من تركيا أوردية ، وأما الآستانة مع مضائق البحر

فتسبب لعصبة الأمم نكبات وصاية أمريكية التي تم على في هذا الابان نفسه الوكالة على
أرمينية الى ان تصير هذه البلاد صالحة لان تحكم نفسها بنفسها
ثم ان اليونان سيهيئها جزء ليس بقليل من آسيا الصغرى وأما باقي ولايات
هذه الجهة فتكون تحت وكالة فرنسة وإيطاليا بالنيابة عن عصبة الأمم وأنكلترا تأخذ
بلاد العراق وفرنسة تأخذ سورية أما العرب فقد قرر الحلفاء منحهم الاستقلال

وراثه الخلافة

ان انحلال تركية أوجد مسألة الدولة الخلافة كما انه وضع حدا لنهاية نفوذ فرنسة
في الشرق - لقد كان لنا عدة قرون أكبر نفوذ بسياستنا الودية مع تركية ، وقد حلت
ألمانية مجنحة عند ما أهلنا المحافظة على هذا النفوذ ، وكان في إمكاننا استرجاع مكانتنا
الاولى على أثر صولة النصر الا اننا لم نقتنم هذه الفرصة بل قبلنا تسوية بمحكمة
مصاصنا - فما يكون نصيب فرنسة بالنسبة الى البلاد المقسمة التي وضعت تحت وصاية
أنكلترا وأمريكة ، ان ما خصص لنا انما هي سورية بعد استثناء تليسيا وفلسطين
منها وحرمانها من البوغازين المهمين أعني بهما ثغري اسكندرونه وحيفا

وجاء في جريدة لافير (المستقبل) في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

تعديل الخريطة - إعادة نظام الخمسة وانحلال تركية

عزم المؤتمر على فحص المسئلة التركية وقد بدأ هذا الفحص بإرسال مدرعات
وجيوش دولية لاحتلال أزمير التي تقرر ضمها الى اليونان وتم ذلك فعلا
تقرر أيضاً ضم سورية الى فرنسة ولكن لم ينفذ هذا القرار وجعل
العراق وفلسطين تابعتين لانكلترا وقد تم ذلك ثم ينتظر الحاق اضمالية وقونية
بايطاليا والاسكندرية وأرمينية بأمرية

أما التركي فانه يحسب تحوّل القموب حق تقرير مصيرها قد صار ازالته
من الخريطة والمسؤول ان هذه الخالفة لمشروع عصبة الأمم لانتم لانه ليس
من حسن السياسة تحريك عواطف الوحدة الاسلامية في أنحاء العالم واضرارها
في الآتية

كان لدى الدول فرصة وحيدة لوضع تركية تحت سيطرة دولية ثم رؤى اتباع طريقة أخرى وهي تقسيم البلاد ومجنيبها بمجنسية الحكومات التي لها عليها حق الوكالة أو الوصاية لأحق التملك الحقيقي
 اننا بتضحية تركية وبقتصر هذه المملكة اوجدنا أوجهاً للنزاع وللشقاق بين دول اوروبة في المستقبل اذ ان الرجل المريض سينقل عدوى مرضه الى اوروبة ولاجل تسمم العدوى دخلت ايضاً امريكة في المرسج ولنا أن نتساءل ما شأن امريكة في تركية ؟ ولماذا لم تكلف الدول صاحبة الشأن حماية مضائق البحر ؟ هل تدخلنا نحن في مراقبة روعة بناما ؟
 ان الحل الوحيد هو عدم تخصيص الاستانة لدولة معينة من الدول واذا كان لا بد من وضع مراقبة على تركية فليس نبت أحسن طريقة من جعل هذه المراقبة دولية مشتركة، وكل طريقة أخرى تكون مغالفة للمدالة وللروح المصري والصالح الاوروبي في الشرق

وجاء في جريدة الفيغارو في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

الارث العثماني

بعد انكسار المانية العسكرية وانتهزام دولتي تركية والخمس والجبر اصبحت هاتان الدولتان الاخيرتان مزععتي الاركان وتولد عن ذلك مسألة من أصعب المسائل وأعقدها ألا وهي تسوية الارث العثماني
 اني سقوط الدولتين المذكورتين انتقد الشعوب التي ليس لها رغبة ولم يمد لها صبر على احتمال نير الحكم الاستبدادي الذي رزحت تحته اجيالاً طويلة فالذين تقول اليهم تركية هم أولاً اليونان الذين يمد ان تخلصوا من ذاك الملك الخائن انضموا الى قضية الحلفاء = ثم الارمن الذين بسبب السياسة الخرقاء المتعز بها من عمال الالمان قاسوا أشد انواع المذاب واوشكوا ان ينقضوا ويلهم السوديون الخ

فاليونان القاطنون في تركية اوروبة سينضمون الى دولتهم التي سنتمع كثيراً على أثر هذا الانضمام كما ان ولاية أزمير = حيث يكون العنصر اليوناني = سنتضم ايضاً الى دولة اليونان بناء على التوكيل الممنح هذه الدولة وبحسب الشروط المصينة لذلك

وأمام شروع انشاء أرمينية الكبرى مع ضم أطنة ومرسين إليها ليكون لها منفذ على البحر المتوسط فالمشهور أن امريكا تكون الوصية على هذه البلاد كي تساعد على ارتقاها ونموها كما أنها ستكون على الراجح هي الوصية على الامتانة وعلى المضائق التابعة لها ايضا فإذا قبل الرئيس ويلسون هذه الوكالة باسم الشعب الامريكى لا يكون قبوله نافذاً ونهائياً الا بعد موافقة مجلس الشيوخ الامريكى عليه

وفرنة تكون الوصية على سورية بالنظر لملاقها القديمة بها لكن لا بد ان تكون هذه الوصاية شاملة للبلاد السورية بأكملها وليس على سورية مقسمة ولا ريب في أن المخبرات التي جرت في ذلك كان فيها بعض التراخي من قبل فرنة لكن من الضروري أن تؤيد حقوقنا بكل حزم وعزم

بلاد الاناضول ستمطى لايطاليا مع ميناء اضاليا

ثم ان فلسطين والعراق يكونان تحت مراقبة إنجلترا

هذا هو التقسيم الذي تم الاتفاق عليه بادى بدء وبقي في آسية الصغرى جزء مأهول بسكان اترك يحتموي على بروسة وانقره وقد طلب من فرنة حماية هذا الجزء لان بروسة حيث يقيم السلطان تكون عاصمة المملكة العثمانية الجديدة وتسمى ان لا يتبع الحلفاء سياسة التجزئة في آسية الصغرى والذي نراه هو أن تكون دولة تركية المقبلة تحت اشراف مستشارين اورباويين وبمعاونتهم

(المنار) هذا نموذج مما كان ينشر في جرائد الحلفاء منذ عامين بيا بالرائى العام في بلادهم عقب الحرب التي كانوا فيها هم المنتصرين ، وكان أكثر الناس من جميع الامم يظنون ان ماتقوله هذه الجرائد هو القول الفصل الذي لا مرد له لانه صدى سياسة دولهم المنتصرة التي لها الدهر عبدوا الزمان غلام ، وقد وضمو المعاهدات لجمل تلك الاماني حقوقا ثابتة ولكن الزمان جاء بما لم يكن في حساب احد من الخطوب والمشكلات التي عجز جميع دهاء السياسة عن حل عقدة واحدة من عقدها الكثيرة وقد جف ريقهم من كثرة ما نقشوا فيها ودميت أظافرهم من تكرار محاولتهم لها ، فكان ذلك حجة بالغة على جهل المغرورين بالقوة والمظنة الباطلة الذين يرتكسون في البأس عند سماع كل صيحة هائلة ، فاعتبروا يا أولي الابصار

أماني المبشرين ، أو نخادعهم للموسرين

كتبت إحدى الجرائد التبشيرية الأمريكية مقالا لكثور صموئيل م زويمر المعروف في مصر تحت هذا العنوان

« الاسلام يرحب بالتصراية »

ان المجاهدين من أهل الاسلام أصبحوا الآن مبشرين في الشرق الأدنى وان دور الاولياء والكهنة قد انقضى فاصبح الماسون يرحبون بالانجيل المسيحي هذا ما كتبه الدكتور صموئيل زويمر من القاهرة الى (الاتليجسر) مينا أن الاضطراب السياسي في الشرق الأدنى لم يكن ناجماً عن عوامل اقتصادية أو رغبة في الحكم الذاتي بقدر ما كان ناجماً عن عدم القناعة الدينية وقد أقام برهاناً على أقواله ان الاورد رادستوك الموثف في جمعية الشبان المسيحيين YMCA قد ألقى عدة مواعظ دينية في المدن والقرى المصرية ابان الاضطرابات الاخيرة فوبلت بكل ترحيب وحفاوة بالرغم من تلك الاضطرابات السياسية ومن ظهور برته الافرنجية ، فبدل هذا على ان الفرص سانحة جداً للتبشير بين الطبقات كافة والمسلمين الذين يمثلون المجموع الاعظم خاصة ، وان الابواب التي كانت مستعدة بان تفتح اصبحت الآن مفتوحة على مصراعها لقبول الدعوة لان الابحاث اللاهوتية ابتدأت تأخذ طورا جديداً في الوقت الحاضر واصبحت صفات السيد المسيح تمحصر في الجرائد اليومية . وما يشجع على ذلك اننا نرى اقبالا لم يسبق له مثيل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية حتى مملي الجامع الازهر وكافة طبقات الشعب فقد جاء في مؤلف لاحد علماء الاسلام في القاهرة فصل عن السيد المسيح بين فيه الكاتب جلال المسيح وتأثيره العظيم على التاريخ

ان الاسلام لا يعترف رسمياً ببطل المسيح وآلامه فاصبحت خشبة الصليب هي العثرة في سبيل انجائهم ولكن هذه التعاليم لم يعد يستغربها عقل المسلم قد نكون عرضة لنسيان أن الشرق الأدنى نال قسطه من (جنسياني) « مكان في القدس حيث دفن المسيح » فان الحرب قد حفرت حفراً عميقة في حياة البشر وقلوبهم حيث نرى الملايين من الايتام والارامل و « رى بيتاً في تركيا الا ونشاهد فيه فرافكا .

غلب الاسلام في ساحة الحرب فاصبح مخدوعاً في مظاهره مضطرباً في رتبته
وعليه فانه أصبح ناضجاً مستعداً لقبول التعاليم المسيحية اذ بات يفهم أن الله
لم يمد يداً يحارب لاجل الاسلام كما كان يحارب قبلاً وان تلك الخطط الثورية
والمطالب التي كانوا يلبسونها ستاراً من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب
لم تخدم نعماً فان اليهودي وجع الى فلسطينه وأصبح المسيحي في مصر وسوريا
يرفع رأسه بعد أن كان ذليلاً مهاناً .

ان المسلمين أنفسهم يدرسون حياة محمد وتعاليمه درس الناقد وان ما جاء
في تفسير القرآن الذي كان ينشر تبعاً في مجلة المنار التي هي من أمهات الجلات
في القاهرة دليل على ما ذكرناه

ان الطلاب الایض ابتداءً يزول فالتعلمون من المسلمين يقرأون الكتب
الافرنسية والانكليزية وعلى الاخص كتابات « لامنس » و « كاتاني »
و « مور » و « ماكوليوت » وغيرهم ثم ان « س خدا باخش » من مكنتا
ترجم مؤخراً كتاب الدكتور ويل في تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانكليزية
منتقداً التربية الاسلامية اكثر مما كان ينتقدها في خطابه ومحاضراته الشائقة
غير هباب ولا وجل . وعليه فان الفرصة سانحة للتبشير وبش التعاليم المسيحية
كما نتناش النابتة ونخلص المرأة المستعبدة ثم نبث معنى الحياة الزوجية

قد يرى المبشرون في هذا الجهاد انصاراً لهم من الفئة المتعلمة من المسلمين
الذين أصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آبائهم .

الرقى قضي عليه والحجاب في حالة القضاء عليه وأما تعدد الزوجات وشرمة
الطلاق فان الظروف الحاضرة كفيلة بزوالها . انتهى

(المنار) يطلب على طننا ان الفرض الاول من هذه الكتابة استثناء أ ك ف

الموسرين من الزبورين على تنصير المسلمين ليجودوا بالمال ، ولا يبعد أن يكون
الكتاب مفروراً متمنياً يرى أن أمانيه حقائق ثابتة كالمسيحيين الذين يظنون أنهم
قضوا على الاسلام بكسر الدولة العثمانية ، واقتسام البلاد العربية ، والحق ان
المسلمين كانوا قبل الاحداث التي ذكرها أشد تعظيماً للمسيح عليه السلام منهم الآن
وان أوربة قد جنت بهذه الحرب الوحشية وبمعااهدات الصلح على المسيحية وعلى
المدنية الغربية أفحج جنابة فاصبحت جميع الامم الشرقية نافرة منها أشد النفور فان
لم يكن الكاتب شعر بهذا الى اليوم — وهو ما لا ننته — فلينتظر فانا منتظرون

باب الانتقاد على المنار

مسألة فناء النار أو انتهاء عذاب أهلها

راجعنا أفراد من قراء المنار فيما نقلناه عن كتاب (حادي الأرواح) في مسألة الخلاف في فناء النار وبقيائها وما رجونا من اقتضائه لبعض المتكررين لعدم نهاية عذابها مع عدم تضرر المؤمنين بقول الجمهور به . ورأينا بعضهم فهم من كلام ابن القيم أنه يرجح القول بفناء النار ويختاره وانا وافقناه على ذلك بما قنعنا عليه ، ولم نر أحداً منهم فهم قولنا حتى نفهم ولا قوله ، وقد تيسر لنا افهام من كلمتنا في ذلك مشافهة حتى اتفقنا فيه رأياً

وكتب الينا بعض اخواتنا في ذلك مستعظلاً للاصرطاً أنه كلام يهدم الدين ، ويؤيد شبه المرتدين ، ويجري مصافة والفساق على ارتكاب القواحيث والتكرات ، وقد كتبنا اليه بعض التوضيح لقولنا والتذكير بما لعله ذهل عنه وفتحنا له باب الرد على ما ذكره وازالة شبهات من يظن أنه يفتن به ، فشرع في ذلك ، ثم رأينا ان نبين له ولغيره من القراء المسائل الأربعة ونذكرهم ببعض ما سبق لنا من القول في أمثال هذه المسائل

(١) ان المسألة خلافية بين المسلمين لا اجماعية وقد نقل الامام الطحاوي فيها ثمانية مذاهب في عقيدته عزرا اثنين منهما الى أهل السنة أحدهما ان الله تعالى يقيهما ما يشاء ثم ينفينا ، والأخر قول الجمهور المشهور ، وابن القيم لم ينقل الاسبعة أقوال ، وقد ذكر الخلاف في كثير من كتب العقائد والتفسير والحديث ، ومقتضى كلام الطحاوي ان مذهب بعض الصوفية فيها كذهب الجهمية ليس من مذاهب السنة (٢) ان الطحاوي لما ذكر القولين اللذين عزاما الى أهل السنة قال :

ولينظر في دليلهما . فجاء بمده ابن القيم وبسط دلائلها ، ولم يحزم بهما ولا ذلك بل فوض الاصر فيه الى ارادة الله ومشيئته وهو قوله أو لاهل السنة (٣) ان المنار لم ينشر مطلوباً فالكتب التي ذكر فيها الخلاف متداولة بين

الناس ولا سيما الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ السيوطي وشرح عقيدة السفاريني وما زاد حادي الأرواح على غيره الا تلك المسائل الدقيقة في حكم الثواب والعقاب ورحمة الله تعالى وحكمته في الجزاء والتفرقة بين سنن كالحكمة والرحمة وصفات الافعال كالزناق والحبي والميت والمنقسم وهي التي نوهنا بيقينها

واتيننا على سمة علمه ومرفته لأجلها دون أصل المسألة المشهورة قبله -
 (٤) اتنا قد بينا غير مرة في المنازع أن المقصد عندنا في التفسير وأصول
 الدين وفروعه ظواهر النصوص مجتمعة وفي اختلاف العلماء ما كان عليه جمهور
 السلف أن علم بالتقليد الصحيح ، واتنا إذا أوردنا في المنازع أقوالاً أخرى فاما
 نقصد بذلك دفع بعض الشبهات عن الدين أو تقريب بعض مسائله الى بعض
 من لا يقتضهم غيره بحسب اعتبارنا . وعلى هذه القاعدة جرينا في تفسير آية
 الانعام فإن فيها بمد ذكر الخلود الاستثناء بمشيئة الله تعالى وتلليل هذا
 الاستثناء بقوله تعالى (ان ربك حكيم عليم) وقد فوضنا اليه سبحانه الامر
 في ذلك وبيننا ان مشيئته في ذلك مجهولة لنا ولا يملكها حتى العلم غيره سبحانه
 وانما تتعلق بما يقتضيه علمه وحكمته ووعدا بتحرير الدلائل في المسألة عند
 تفسير آتي سورة هود فيها

وقد سبق لنا تحقيق مثل هذا التفويض في تفسير قوله تعالى حكاية عن
 عيسى عليه السلام في قومه (ان تذهبهم فانهم عبادة وان تقفر لهم فانك انت
 العزيز الحكيم) وبيننا فيه ضعف من اضلرب فيه من المفسرين لصراحة البارة
 في جواز المغفرة لمن اتخذه وأمه الهين من دون الله ومنه أقوال بعض مفسري
 الاضرية باستحسان غفران الشرك كما سرح : أبو السعود والأيوسي وأمثب
 الرازي في ذلك . وأتى بسدة وجوه في تأييد مذهبهم رددناها عليه أقوى رد
 بفضل الله علينا ، وبيننا وجه تذييل الآية بصفتي العزة والحكمة دون المغفرة
 والرحمة بما لم نطلع على مثله لاحد

(٥) ان قيل انه تعالى بين في سورة النساء انه لا يفقر ان يشرك به ويفقر
 ما دون ذلك لمن يشاء فهذا تقييد للمشيئة ينقض قول الاشعرية . قلنا انما يدل
 هذا على أن العقاب على الشرك حتم مقضي ولكنه لا يدل على أنه سرمدى لا
 نهاية له بل هذه مسألة أخرى ، وجمهور العلماء يقيدون المشيئة بغير هذا النص
 أيضاً اذ صرحوا بأنه لا يفقر لمن يوحد الله ولا يشرك به اذا لم يؤمن بملائكة
 الله ورسله واليوم الآخر ، ولا لمن جحد أي أمر جمع عليه معلوم من دين
 الاسلام بالضرورة ، ويؤولون النص في جواز غفران ما دون الشرك كالنص في
 خلود متعمد القتل في جهنم بناء على مذاهبهم فآكثر التأويل لتصحيح المذاهب
 المتبعة لا للجزم بين النصوص وتقديمها على جميع المذاهب ، والآيات تثبت

اطلاق المشيئة الا انها لا تعارض غيرها من صفات الله ومدلول كلامه

(٦) ان مرادنا بقولنا : ان هذا البحث لا يضر المؤمنين بقول الجمهور
مقلدين كانوا أو مستدلين — ظاهر جلي وهو أنهم يردون القول المخالف لم
قلدهم أو لدلائلهم فلا يترتب عليه أثر في أعمالهم ، وزيد على ذلك انه لا يضر
أحداً من المؤمنين مطلقاً وان سلمه لان جواز تعلق مشيئة الله تعالى بانتها
عذاب الكفار بعد لبثهم في النار احقاباً لا يصح أن يكون سبباً لترك المؤمن
الصادق لشيء من الواجبات ، ولا لا تركه لشيء من المحرمات ، ولكن في
كتب الفقه والكلام والمواعظ والادب وخطب المنابر كثيراً من الاقوال التي
ازالت حرمة الاوامر والنواهي من قلوب الجاهل الغفير من الناس وكان من أثرها
ما نراه من ترك الصلاة ومنع الزكاة وانجاسة الفطر في رمضان وفشو السكر
والزنا والتمار . . . كالكلام في تحلف الوعيد والعفو والمغفرة والكفارات
والشفاعات والكرامات ، وقد شرحنا ذلك مراراً ورددنا شبهات الضالين فيها
وبينا ما له أصل منها وما هو موضوع باطل كحديث اعتاق ستمائة ألف عتيق من النار
في كل ليلة من رمضان . . . ولم يكتف خطباء الفتنة وعلماء التقاليد بتلقين الدماء
هذه الموضوعات بل تصدى بمنهم رد ما يرد عليها كأنها من أصول الدين
كقول بمنهم اذا كان عدد عتقى رمضان يزيد على عدد مسلمي الارض كتبهم
ولا سيما في زمن النبي (ص) فان الله تعالى يكفه من الجن :

وانني بما اتق لي من الاختبار الواسع للناس وبقدروا ما أوتيت من العقل والفهم
اجزم بأنه يندر أن يكون الخوف من العذاب الابدي سبباً لا استجابة كافر لدعوة
الدين ، بل هذا قلب للمقول لانه يتوقف على التصديق بالعذاب المذكور قبل
الايمان بالرسول وبما جاء به ، وهذا قلما يقع الا لافراد من المماندين كبعض كبراء
مشيخة قريش في زمن البعثة .

(٧) لا انكر ان بعض المارقين والملاحدة المشاغبين قد تزيدهم أمثال
هذه المباحث رجساً الى رجسهم من حيث تزيد المؤمنين ايماناً بالله تعالى (يفضل
به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يفضل به الا الفاسقين) الذين فسقوا من نور
الظلمة والاستعداد للهداية كما تنسق الرطبة من قشرتها وانما ارجو أن يهتدي
بهذا البحث بعض المرتابين من أهل النشر الذين يؤسسون ان معالمها عنيها
حكماً ، وربما رؤفاً رحيماً : وان من حكيمته الجزاء على الاعمال النفسية والبدنية ،

وان جزاءه عدل وفضل، ويستحيل عليه الجور والظلم، وهم ينظرون ويتفكرون، وإذا ظهر لهم الحق يقبلونه وله يذعنون، وأما أولئك المارقون المستهزون من أهل الرقاعة فلا يلتفت إليهم ولا يبالي عاقل بأمرهم، ألا ان يشفق عليهم ويحزن لبعونهم من امته أو ابتاء جنسه

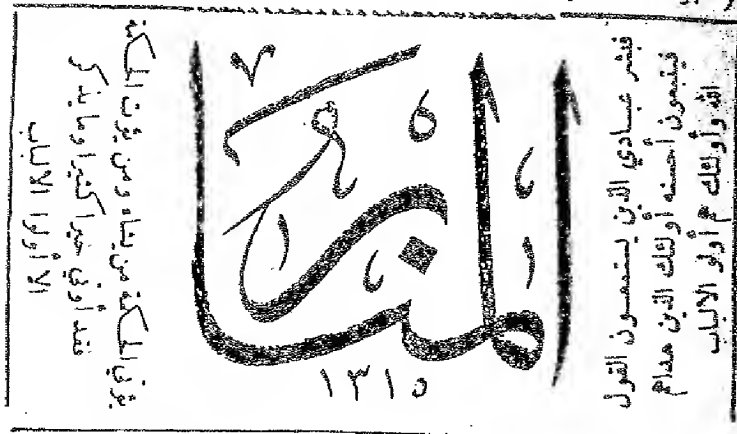
(أ) ان الشبهة التي أشرنا إليها ليست ولودة على بقاء دار العقاب التي تسمى النار والجحيم والهاوية وجهن وغير ذلك من الاسماء فقد تبقي وينقلب عذابها عذابا كما زعم الشيخ محيي الدين بن عربي وضميمته أو لتعذيب خلق آخر من المكلفين مثلاً - ولا على أصل العقاب فيها فطالما أقنعنا المنكرين لهذا بأنه حق وعدل - وانما يقول أصحابها وهم من المنتسبين الى أديان مختلفة : ان المختبر لحوال البشر يعلم علماً يقيناً ان أكثرهم ينشأ متدينين بالدين الذي نشأ عليه بين قومه وأهل ملته تقليداً لهم وتسلماً ثم يمرض لبعضهم الشك والريبة في دينه وفي سائر الأديان بالتدريج ويتفق لبعض آخر الاطلاع على دين آخر والاقتناع بحقيقته فيتممه، ولكن يقل جداً أن يظهر لاحد حقيقة دين ويخجده به كبراً وعناداً كما وقع لبعض كبراء أقوام الرسل عليهم السلام في عصرهم، ثم ان المتدينين يعملون بما يأمرون من أديانهم على تفاوت عظيم بينهم في العمل سببه تأثير التربية والتقدوة وطريقة التعليم له، ويعلم أيضاً ان بعض المرتدين عن أديانهم بشبهات نظرية او علمية يؤمنون بالله ولا يشركون به شيئاً، وان بعض المتدينين بالأديان الكتابية كغيرها يشركون بعبادة الله تعالى اشياء كثيرة من الاحياء والاموات كما ان بعض المرتدين احسن من بعض المتدينين اخلاقاً واهمالاً وانفع منهم للناس وللأوطان؛ ويقولون اننا مع هذه الحال نرى اهل كل دين يقولون ان المواقفين لهم في دينهم لانهم ولدوا فيهم وتربوا بينهم ثم وحدهم اصحاب النعيم المؤبد الذي لا نهاية له وان جميع المخالفين لهم سيكونون في عذاب اليم مؤبد لا نهاية له سواء عرفوا حقيقة دينهم او جهلوا بها، بل يعلم اكثر اهل البصيرة والاختبار ان اكثر المخالفين لهم لا يعرفون حقيقة دينهم، وان من يعرف شيئاً منه يقلب يعرفه على وجهه عندهم؛ وان ليس كل من يعلم شيئاً منه على حقيقته يقول عنده الدليل على صحته - ونتيجة ما تقدم ان أكثر افراد البشر مقلدون في دينهم لمن تربوا معهم وتعلموا منهم؛ وان غير الاكثر اهل نظر واستدلال يرجعون ما ثبت عندهم بحسب درجات نظرهم واستدلالهم على غيره في العقائد

والأعمال — فالذي أصاب الحق من المقلدين لا فضل له في أصابته اد لا عمل له فيه ولا اجتهد ، والمقلدون في هذه الاعصار اتما يتبعون جمهوراً متقليداً فلا يكاد يتفق لأحد منهم أن يعيب الحق في جميع المسائل ، وإذا كان التقليد حجة لصاحبه فيما وافق الصواب وعذراً فيما خالفه كما يقول أكثر أهل كل ملة في أنفسهم فلماذا كان ذلك خاصاً بهم والله رب الجميع وهو الحكم العدل ثم إنهم يقولون لأهل كل دين أنهم قد تفرقت في دينكم وكتمت شيئاً تحكم كل شئمة على الأخرى بالكفر أو الابتداع والضلال فإذا كان الواجب على جميع البشر أن ينصروكم وكان كل من لا يدين بدينكم خالداً في المذاب بالمعنى الذي تقولون فاي مذاهب الشيع يجب عليهم الأخذ به لينجروا من الهلاك الأبدي ؟ إن قصارى قول كل شئمة بل كل فرد منكم أن من يدين الله بدينه ويموت على عقيدته هو الناجي المصاب بالنعيم الأبدي وإن عاش المر الطويل قبله هل غير ذلك ، وإن كل من مات على غير عقيدته يخلد في المذاب الأليم الأبدي وإن عاش المر الطويل قبله على الإيمان بالله وحده وبالموت والحساب وعمل البر والإحسان بتعاليم دين آخر أو باجتهاده فورد الشبهة بهذا البيان أن أكثر أفراد هذا الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وكرمه وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً إنما خلقهم تعالى لأجل أن يعذبهم هذا بما شذبوا أولاً مهيناً أبدياً تمر الآلاف والملايين من الأحقاب والقرون وهو لا يزداد إلا شدة واستمراراً وإن هذا العقاب جزاء هادئ على مسائل اعتقادية قليلة كان أكثرهم جاهلاً بها وغافلاً عنها لا يمدحها أحد إليها البتة ، وقد بلغت بعضهم على وجوه مختلفة مذكرة لأعلى وجه صحيح يحرك داعية النظر فلم ينظر فيها . وبعضهم نظر وبحث فلم يتيقن له أنها الحق . وبعضهم ليس أهلاً للنظر برصوخة في تقليد أهل دينه وأطمأنته به . وإن هذا العقاب الأبدي الأليم لا ينافي ما جئت في العقل والفكر من عدل الله تعالى وحكمته وسعة رحمته وكونه أرحم الراحمين بل أرحم من الوالدة الموم عافها الرضيع . هذا ما يقولون أنهم لا يمتثلونه فيؤمنوا به وليس في طاعتهم أن يفتقدوا صحة دين يحكم به ويحصى

(٩) اني احمده الله تعالى ان وقتي لا تقام كثير من الناس غفلي الدين والجنس

بحكمة الله وعدله في عقاب المجرمين كما وقفني لاقصاع من لا أحصي لهم عددا من المرتدين والمعطلين الماديين بوجود إله خالق واحد وبالرسالة وبكثرة من أصول الدين وحكم فروعه ومواقفة الدين الاسلامي للعقل ومصالح البشر في دنياهم. وانتهى ابتليت بحراجة الناصر في ذلك من أيام طلبي للعمل لاني كنت كثير البحث فيه بالليل الفطري حتى إن بعض الشيوخ في طرابلس الشام كان يراني في السوق فيسألني عن بعض مشكلات الشريعة بوجه مطبقها للعقل أو للمصاحبة العامة. وحدثني دانش بك الذي كان أمين السر لمحمد باشا الدماء والدة الأمير صباح الدين بك التركي الشهير حين جاء من مصر في أوائل العهد بهجري اليها أن الأستاذ الامام قال له: انني لا أمرف أحدا أقدر من هذا الشاب صاحب النار على التوفيق بين الدين وبين العقل والمدنية. ثم أقول بعد هذا وحده الله عليه ودا على يده انني لم أعجز عن إقناع منكرشي من أصول الدين أرحم كما عجزت عن إقناع المنكرين لا بدية المذاب الاليم الشديد انكارا شتبا وارتباب لا جعور وفساد ، فإن الجاحد المساند لهوى في نفسه لا يتقنع بالضروريات بله المشكلات ، ولكنني اذا قلت لبعضهم ان بعض السلف والخلف من المسلمين قولاً باتهاء المذاب وقولاً بنفويض الامر فيه الى الله تعالى قالوا اننا نجزم بأن عظمة الله تعالى وحكمته ورحمته نجل عن تحذير هؤلاء العباد الضعفاء الجاهلين الى غير نهاية سخا أي الامرين أجدر هؤلاء ؟ ألجزم بأن عدم نهاية العذاب الشديد لمن ذكر من أصول الدين التي بعد غير المؤمن بها مرتدا لا يعتد باسلامه أم اقناعه بأن اعتقاده لا ينافي الاسلام وان له أسوة بمن سلف من المؤمنين ولو الجهمية الذين لا يكفرهم أهل السنة بما خالفهم فيه من استدلال وتناول ؟

(١٠) بعد هذا كله أصرح هنا بأن مسألة فناء النار وأنتهاء عذابها الاليم الشديد مع بقائها ليست عندي من المسائل التي ادعوا اليها وأنغل عنها ولا أبالي أن أشترط رد هاتين ما يكتبه على علانته من غير نقد لما أراء متقدما منه بشرط ألا يطيل بما لا حيلة اليه في الموضوع أو بما سبق ذكره لأن مقبر في جميع الآراء ثابته بالقول الآخر ، وان يبين صفة من لا ينتهي عذابهم ومن لا ينتهي نعيمهم التي استحق بها كل منهما ذلك وأنتم لو يوفق أحد شي . يتقنع من ذكرت ، والله الموفق للصواب



— قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام مرقى ٥ ومئارا ٤ كمار الطريق —

٢٩ رمضان ١٣٣٩ - ١٥ الجوزاء (٣) سنة ١٢٩٩ هـ ٦ يونيو سنة ١٩٢١

سؤال من أسبانية

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة اذا لا يسمع الناس دمة. وشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . واما تذكر الاسئلة بالعريب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه . وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا ، ولأن معنى على سؤاله شران أو ثلاثة أن يذكر به مره واحدة فان لم تذكره كان لما عذر صحيح لاعتقاله

أسئلة مغربية ، من عاصمة البلاد الاسبانية

(س ١٢ - ١٤)

الحمد لله

فضيلة العلامة الأستاذ الشريف السيد محمد رشيد رضا الحسيني حيا كم الله توجب جماعة من المسلمين بأسبانيا دعيتا دواعي اقتصادية وسياسية ان يكون لباسها اللباس الافرنجي بسائر أنواعه من البرنيطة وغيرها . ولقد اطلعت على فتوى العلامة المقدس الأستاذ الامام مفتي الديار الاسلامية بمصر يرد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فيجيب : الا ان الجماعة المذكورة على مذهب الامام مالك رضي الله عنه وعمدة كتب المالكية النقية هو مختصر أبي الفداء خليل وما كتب عليه ، والشيخ المذكور يقول في كتاب الردة « وشد زلار » كتب عليه الزرقاني ما نفسه : ونحوه مما يحتس بالكافر كل من

ربطه نصراني ومطروني يهودي ان سعى بذلك للكنيسة . قال بناني محبيه المراد ملبوس الكفار الخاص بهم ، وكلام المصنف ان فعل ذلك محبة في ذلك الذي وميلا لاهله واما ان فعله هزلا ولمبا فهو محرم اهـ

نحن نريد زيادة ايضاح في المسألة سواء كان ذلك داخل المذهب المالكي أو خارجه من بقية المذاهب الفرعية وذلك فيما يتعلق باللباس لامن جهة الحب فيه والميل لاهله بل من جهة الاقتصاد والتسهيل ليس الا

كذلك زيد بيان الحكم في مسألة الصيام والافطار على حساب النتائج المصرية والتونسية لتعذر رؤية الهلال علينا هنا في حينه ، والشيخ خليل يقول « لا تمنع » فهل يجزى الصيام والافطار بمقتضى تلك النتائج أم لا من الرؤية أم ماذا

وكذا زيد الحكم في حلق اللحية هل يحل شرعا أم لا ، واذا كان يحل فهل الحديث الوارد في الموطأ الذي من ضمنه « اغنوا اللحية وقصوا الشوارب » صحيح أم لا واذا كان صحيحا فاحاجة من يحلقها من المسلمين بما فيهم من جهة الشريعة الاسلامية في جل الافطار :

وحيث شاء الله تعالى اتفردكم في هذا المصير بالسوسمة في العلوم الدينية وغيرها وتمكنكم من زمام الفتاوى أملنا من فضيلتكم الكريمة ائارة ظلمتنا على صفحات مجلة المنار - افتونا مأجورين ولكم الفضل سلفا ، والله المسؤول ان يديمكم مصباحا يستضاء به (في) الاسلام بحاج النبي عليه الصلاة والسلام

مخلص الود لكم

مشريد - في ٢٢ فبراير سنة ١٩٢١

محمد البلقيني العلوي الحسيني

محميد للاجوبة عن هذه الاسئلة

تشديد العقاب وعاقبة تقليدكم

اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه وجعلنا من المتصمين بهداية كتابه وسنة رسوله (ص) وسيرة السلف الصالح من هذه الأمة الوسط - أن عقاب المذاهب كلها قد توسعوا في فروع الشريعة بأقبيستهم واختلاف افهامهم وتأثير الازمنة والامكنة التي كانوا فيها فعملوا الخيفية السمحة التي رفع الله عنها المخرج وبنائها على أساس اليسردون المسمى أعسر الشرائع فهما وأنزلها على البشر حملا حتى هجر حل أهلها دراستها وترك أكثرهم العمل بأكثر أحكامها وما جاء هذا

به الا من توسع هؤلاء المصنفين في تلك الكتب المنسوبة في الفقه التي يقل
بها ذكر القرآن والأحاديث النبوية ويكثر فيها قال فلان وصحح فلان ورجح
ان . ومن معجزات هذا الدين ان كل ما صح في كتاب الله تعالى وما بينه من
نة رسوله (ص) في منتهى اليسر والسهولة ، كما صح في وصف هذه
بريعة ، وكل ما أشرنا اليه من التفسير إنما هو اجتهدا من أولئك المصنفين في
فقه بعد عصر السلف الصالحين وأكثرهم غير مجتهدين ، ولا على سيرة من
عوا اتباعهم من المجتهدين ، فن تقييد بتقليد هؤلاء يتعذر أو يتيسر عليه
ن يكون مسلما قائما بأمر دينه كما يجب ، ولقد كان الانعزالي في عصر السادة
سلم بين يدي الرسول ويتعلم دينه في مجلس واحد ويتسم انه لا يزيد على ما علم
رجوبه عليه ولا ينقص منه فيقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه « أفلح ان
مدق . أو - دخل الجنة ان صدق » كما ورد في الصحيحين وغيرهما

وأنت تعلم أن الأئمة المجتهدين من علماء الامصار المتبين لم يميزوا لانفسهم
ن يكون شارعين وان يكون كلامهم ديننا يتبع لان من اتحل هذا فقد جعل
لمسه شريكا لرب العالمين كما بيناه في التفسير من هذا الجزء والذي قبله . وإنما
يستنبطوا ما استنبطوا لاجل فتح أبواب الفهم في النصوص مع ارشاد الناس
لي انه لا يجوز لاحد ان يقلدهم فيه ، وإنما يعمل من ظهر له مع النظر في الكتاب
السنة انه هو الحق الذي شرعه الله ، وقد بين ذلك الميرزا صاحب الامام
الشافعي في أول مختصره الفقهي بقوله بعد البسملة « اختصرت هذا الكتاب من
لن علم محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لاقربه على من اراده
مع اعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه وبحفاظ فيه لنفسه
وبالله التوفيق »

وكان جميع الأئمة على هذا ولو لم يكونوا عليه لما صح ان يكونوا أئمة ملحدون
مبتدئين وقد دخل القمني على الامام مالك وهو في مرض موته فقرأه يبكي
فسأله عن سبب بكائه فأخبره أنه ما بلغه من ان الناس يعملون بأقواله مع انه
قد يقول القول ثم يظهر له خطؤه فيرجع عنه ، فقد خشى ان يفضل الناس به
عن شرعهم ونصوص كتاب الله وسنة رسوله (ص)

واذكرك مع هذا ان مذهب المجتهدين شارة عن الطريق القبيح
في فهم الشريعة من الدلائل وأصول الاستنباط المعروفة في الأصول . فهذا

ما يصح للفقهاء على مذهبه أن يجري عليه إذا كان مقتنعا بصحته وليس معناه أن يأخذ فروعه المستنبطة فيجعلها أصولا للدين يستنبط منها أحكاما ويقبس عليها أخرى بحسب فهمه ويسمى هذا شرع الله في الإيمان والكفر وعبادة الله والحلال والحرام، مع ما علمت من أمر التشريع وجعل امتحاله واتباع منتحلة من الشرك والافتراء على الله. وبهذا تعلم أن هؤلاء المقلدين المؤلفين في الفقه ليسوا متبعين في كل ما قالوه في كتبهم لمذاهب الأئمة الذين يدعون أن هذا الفقه فقههم

مثال ذلك أن مذهب الامام مالك اتباع نصوص الكتاب والسنة في المباديات والوقوف مع ضواهر النصوص وفهم أهل السدر الاول لها وعملهم بها - ولا سيما أهل المدينة في زمنه - دون الدوران فيها مع الملل والحكم وما يسمونه المعنى المناسب. ومذهبه في أحكام المعاملات والمعاملات مراعاة مقاصد الشرع والمصالح العامة المعروفة من أصوله لا مجرد ظواهر الالفاظ كما بينه العلامة القاطبي في الاعتماد (١) وغيره وهو معروف مشهور عنه - وترى بعض الفقهاء خرجوا عن أصل مذهبه المذكور في مسائل كثيرة من المباديات بحجة اتباعه والعمل به وأكثري بنشاهد من الشواهد على ذلك :

رأيت رجلا مالكيًا ممحلاً لا أعرفه يذكر لفقهاء مالكي أعرفه ما ذكره هؤلاء من الشروط في ماسح الخلف وفي الخلف الذي يجوز المسح عليه ككونه من الجلد وكونه مخروزا وأنه إذا كان ملصقا لا يجوز المسح عليه الخ فقلت له ما الدليل على هذه الشروط في المذهب ؟ قال قاعدة الامام مالك

في الاتباع في الصادات والتزام ما ثبت في الكتاب السنة وهكذا كانت الخفاف في عصر النبي (ص) قلت ان هذا مخالف لمذهب الامام مالك كل مخالفة فإنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة أن الخلف الذي يجوز المسح عليه يجب أن يكون جليدا وأن يكون مخروزا، ولا دليل على أن الخفاف كلها كانت كذلك، وإذا ثبت كونها كذلك، بالتفصيل فذلك لا يبدل على الشرطية لا عند أهل الاتباع المحض ولا عند أهل الرأي في التمسك. مثال ذلك المطابق له المسح على الهامة قد ثبت في السنة قبل يشترط في مسحة الهامة أن تكون كهامة الرسول (ص) في صفات نسيجها ككونه من القطن أو الصوف وكونه من نسيج ائمين أو غيرها وكون طولها كذا ذواعا ؟

ان من الاصول التي لا يتارى فيها عاقلان ان أمثال هذه الصفات والاحوال التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه في لباسهم وأكلهم وشرابهم وهيئاتهم حتى في وقت أداء العبادة لا تعد من فرائض الدين ولا من شروط صحة العبادة ولا من المندوبات الشرعية لمجرد كونهم عليها وانما يتحقق كون الشيء واجبا أو شرطا أو مندوبا بنص شرعي يدل عليه دلالة صحيحة والجمهور لا يمدون فعله (ص) دالا على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل

وجملة القول ان جماهير المصنفين من خلف هذه الامة قد خالفوا سلفها وعسروا يسر شريعته حتى أدخلوا الامة في جحر الضب الذي حذرهم منه الرسول (ص) في الحديث المتفق عليه « ولتنبئن سنن من قبلكم شبرا بشبر وفراغا بفراغ حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وقد سبر المسجون قرونا على الحبس في جحر الضب ثم ضاقوا به ذرعا حتى خرج بعضهم منه من غير الباب الذي دخلوا منه فرقوا من الاسلام وحسبوا انه هو جحر الضب لاسواه وانه لا قبل لهم به - ودعاة الاصلاح يريدون أن يخرجوهم الى حقيقة الاسلام وهو الباب الذي دخلوا منه اذ أوهمهم الممسرون انه هو الاسلام - وما الاسلام الا القرآن وسنة الرسول في بيانه على الوجه الذي كان عليه جماعة السلف الذين أمر الرسول بلزوم جماعتهم فكان اجماعهم حجة فيما اقتروا على انه دين

وفي هذا المقام احتج على المقلدين بعلم امام من الائمة المجتهدين واجمله شاهدا ثانيا على ما ذكرته من معنى مذاهبتهم ومخالفة من يدعون اتباعهم لها

قال الامام العاظمي رحمه الله في أول باب الاجماع من رسالته بعد تفصيل الكلام في الكتاب والسنة « وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحمل المسلم علم كتابا ولا سنة ان يقول بخلاف واحد منهما » فقال لا يحمل المسلم ولم يقل لمجتهد وهو منكرة منفية قيد العموم ثم بين في هذا الباب لمن سأله عن الحجة على العمل بالاجماع ان الجماعة التي أمر الرسول (ص) بلزومها هي جماعة الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهم الذين لا تعزب سنن رسول الله (ص) عن عاتمتهم (أي جليتهم وسوادهم الاعظم) وقد تعزب من بعضهم - وقال في آخر الفصل « فلم يكن لزوم جماعتهم معنى الاما عليه جماعتهم من التحليل والتعريم والطاعة فيهما » وهذا ظاهر كالنفس وهو غير الاجماع الاصولي الذي لا تقوم عليه صحة (المنازع: ٦) (٥٥) (المجلد الثاني والعشرون)

اذتعمد هذا فهناك أجوبة الاسئلة :

(الجواب عن مسألة الزي)

ان ما قاله الفقهاء في الرنار ونحوه لا ينطبق على حالكم في لبس ثياب الافرنج لانها ليست من الزي الديني ولا تلبسونها بالقصد الذي قالوه وتوضح المسألة ببعض ما سبق لنا تفصيله في الجلد الاول والسادس وغيرها فنقول

ان الاسلام لم يقيد المسلمين بزي خاص فقد كان النبي (ص) يلبس زي قومه الذي كانوا عليه في الجاهلية في عامة أيام رسالته وقد عرض له لبس أزياء غيرهم من الامم فلبسه بيانا للحوار كالجلبية الرومية من لباس النصراني كما ثبت في الصحيحين وجبة الليالسة الكسروانية من لباس الجوس كما ثبت في صحيح مسلم فالاصل في الازياء الاباحة كما مثلها من المبادات وقد تميزها الاحكام الخمسة بما يمرض عليها من دفع ضرر يقيي أو ظلي أو وقوعه أو تحصيل نفع كذلك. وبما سبق لنا بيان غير مرة ان بعض كبار العقول من المسلمين قد تنبهوا ونبهوا لما في مسألة الزي من التأثير السياسي والاجتماعي فكفروا ان يقلدوا غيرهم من الامم في أزيائهم في أثناء الفتوحات العربية وغيرها مثلا يندغموا في الامم التي فتحوا بلادها بسبب قتلهم فيها ولائهم جاؤا ليكونوا أئمة هاذين متبوعين لاتابعين مقلدين، وقد اتبهم الاوربيون في هذا المعنى

وأول من تنبه لذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روى مسلم انه كتب الى جيشه وهم في أذربيجان مخاطبا قائده : يا عبدة بن فرقد! انه ليس من كد أهلك ولا من كد أمك فاشبع المسلمين في رحلهم مما تشبع منه في رحلك وإياكم والتنعم وزي أهل الشرك الخ قال النووي في شرح مسلم : وقد جاء في هذا الحديث زيادة في مسند أبي عوانة الاسفرائيني باسناد صحيح قاله : أما بعد فأترزوا وارقدوا وألقوا الخفاف والسراريات وعليكم بلباس أبيكم اصاعيل، وإياكم والتنعم وزي الاعاجم، وعليكم بالشمس فانها حمام العرب وعمدودوا واخشوشنوا واقطعوا الركب (١) وارزوا وارموا الاغراضاه وقوله تمعدودا مصناه تشبهوا مجدكم محمد بن عدنان في أسباب القوة والصلابة، وهذا نحو مما يعرف في تاريخ اليرقان عن الاسبرطيين والتشبه بهم في مضارعة الشدايد. ثم ان المسلمين لبسوا كل زي في بلاد أهل وفي بلادهم وقد لبسوا في زمن النصارى بأصنافهم فلانس كفلانس الكفار ولم ينكر ذلك أحد من العلماء كما أنكروا

على السلطان محمود الشافعي استبدال زي الافرنج زي قومه المعروف ثم زال
الانكار ، وللمسلمين في الاقطار المختلفة أزياء كثيرة طبعت دورها حديثا في
صعيقة كبيرة إحدى ادارات المرائد الاستكبرية وفيها يرى الناظر ما يرى من
المشابهة بينها وبين أزياء الملل الأخرى

وما قاله الفقهاء في حكم من لبس ملابس الكفار فهو مبني على مدرك
نظري معروف وهو أن من يلبس ملابس أهل مله مما هو خاص بدينهم تفضيلا
لتلك الملّة على ملته كان مرتدا وهذا اللبس بشروطه دليل على الردة عنها
والانضمام إلى غيرها ولكنه غير مطلق وإذا أصبح للفقهاء أن يذكره للتنبيه والتذكير
والتنفير فلا يسع للفتي ولا للقاضي أن يأخذ به عند التقوى أو الحكم في التوازل
والتعادل المعينة على علانه ولا يسع بالأولى أن يحمله على نفسه من يلبس
لبس أهل مله لسبب من الأسباب التي لا تنافي الدين ولا تحمل بالإيمان
كأسباب الصحة ومنها انتقاء الحر والبرد أو الاقتصادية أو السياسية
كالميراث والجواريس أو العسكرية أو الاجتماعية كمن وجد مع قوم وهو يعلم
أنه إذا ظهر بزي مخالف لزيهم يتأذى باحتقارهم إياه أو تشهيرهم به أو كثرة
التسلع إليه والاستغراب لزيه وقد ورد في السنن النعمي عن لبس الشبهة
والوعيد عليه في حديث أبي ذر عند ابن ماجه والنيابة وحديث ابن عمر
عند أبي داود وابن ماجه وحسنوها ، وأكثر من يغير زيّه من المسلمين الذين
يذهبون إلى أوربة فأنما يغيرونها للسبب الأخير ولا سيما التغيير بلبس القيمة
المعروفة بالبرنيطة فإنه لم يبق فارق بين كثير منهم وبين الأوربيين إلا بما يوضع
على الرأس ، والبرنيطة هذه ليست شعارا دينيا للافرنج ولا هي خاصة بهم وقد
نفت أن بعض شرب الخمر ضمنوها لاوقاية من الشمس ويسمون بها المظلة ولا يحظر
ببطل أحد من يلبسها من المسلمين أنه فضل على دينه دين القوم فلا وجه إذا جعلها
أمانة على الردة ولا للقول بتحررها بل هذا التحريم شر من لبسها وأشد خطرا
على دين القائل به لأن منعه أن الله تعالى أزل وجهه بكتاب يقتضي ترك لبسها
اقتضاء جازما ويحظر بأن جزاء من لبسها العقاب في الآخرة . وهذه جرأة على
الافتراء على الله تعالى والنول عليه بغير علم وهذا أكثر بعمدى شره إلى حال
الس على العمل به فهو أغفل من الشرك القاصر ضرره على صاحبه كما قاله
بعض العلماء في تفسير آية (٧ : ٣١) قل إنما حرم وبني الزواجر ما ظهر منها وما

يظن والائتم والبنفي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) اذ قال ان غلظ هذه المحرمات جاء فيها على طريق الترتيب وانما كان الاخير أغلظ مما قبله لانه شرك متمعد وما قبله شرك قاصر - وهو اتباع قائله به بغير علم من نبي الوحي فقد اتخذ ربا وشريكا لله كما علم بالتفصيل من تفسير هذا الجزء من المنار والجزء الذي قبله . وقد حققنا مسألة الردة لبعض الفتاوى من أجزاء هذا المجلد وفي مجلدات أخرى من المنار

(الجواب عن مسألة الصيام والنظر

بقول أهل الحساب أصحاب النتائج)

هذا السؤال غريب من مثل سائله الفاضل فهو يعلم ان حكم الشرع في صيام رمضان والافطار منه منوط برؤية الهلال اذا تيسر والا فبإكمال عدة شعبان في الصيام وعدة رمضان في الافطار ثلاثين يوما ، وحكمة ذلك جعل العادة ابتداء وانتهاء بما يتيسر انهم بموافيقته لكل جماعة ولكل فرد من الامة وحكمة عدم نوط هذا التوقيت بالحاسبيين من علماء الملوك هو أن لا يكون أمر العبادة متردفا على أصحاب الفنون الذين لا يوجدون في كل مكان وان لا يكون لامثال هؤلاء الافراد حكم فيها ولا رئاسة أو شبه رئاسة دينية بسببها . ولعله لا يعلم ان أهل مصر وتونس أنفسهم لا يعملون بهذه النتائج في الصيام والافطار بل يثبتون رؤية الهلال أو اكمال العدة ولكن قد يستعينون بها على الاستهلال فيرصدون الهلال في الليلة الذي تنص على انه يرى فيها وفي المكان الذي يرى فيه بالنسبة الى مغرب الشمس

وقد استغربنا بناء السؤال على تمدد رؤية الهلال عليهم في أسبابية وهو لم يبين سببه وقد كانت هذه البلاد (الاندلس) في حكم الاسلام وكانوا يرون الهلال فيها ولعل السائل ومن معه يقيمون في فندق أو دار لا يمكنهم الصعود الى سطحها أو لا يرى مكان الهلال من الافق للواقف على سطحها ويتمتعون عليهم رؤيته من سطح آخر أو من ضواحي البلدة ، فإذا تمدد عليهم ذلك بالفعل فلا يبعد أن يقال انهم يعملون بحسابهم أو حساب من يثقون بعلمه اذا قال ان الهلال في ذلك البلد أو في افقه يولد في وقت كذا ويمكن رؤيته بالابصار في ليلة كذا - فالليلة التي يمكن أن يرى فيها الهلال بالفعل هي أول الشهر الشرعي .

واختلافه المطالع ثابت قطعاً فلا يصح اعتماد من في أسبانية على نتائج مصر أو تونس بمجل أول الشهر فيها هو أول الشهر في مدريد

(الجواب عن مسألة خلق الله)

هذه المسألة وامثالها مما سيأتي ليست دينية مما يعبد الله به فعلاً أو تركاً وإنما هي من الأمور المادية المتعلقة بالزينة والتجمل والنظافة وقدسية في الأحاديث الواردة فيها سنن الفطرة أي المادات المتعلقة بحسن الخلقة في حديث أبي هريرة عند الجماعة (أحمد والشيخين وأصحاب السنن الأربعة) قال رسول الله (ص) «خمس من الفطرة الاستحداد (أي خلق العانة) والختان وقص الشارب وتنف الأبط وتقليم الأظفار» وفي حديث عائشة مرفوعاً عند أحمد ومسلم والترمذي والنسائي «عشر من الفطرة: قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الأبط وخلق العانة واتقاص الماء» أي الاستنجاء قال مصعب بن شيبة راويه: ونسيت الماشرة إلا أن تكون المضمضة

وورد في اللحية والشارب أخبار مطلة بملة أخرى وهي مخالفة المشركين والمجوس ففي حديث ابن عمر في الصحيحين وسند أحمد مرفوعاً «خالفوا المشركين: وفروا الله واحفروا الشوارب» زاد البخاري وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فافضل أخذه. أي قصه. وفي حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم «جزوا الشوارب وارخوا الله خالفوا المجوس» وقد كان النبي (ص) في أول الإسلام يحب مخالفة المشركين وموافقة أهل الكتاب ثم صار بعد الهجرة يأمر بمخالفة أهل الكتاب حتى في الأمور الاجتماعية والمادية لأن المسلمين كانوا في أول الإسلام مع المشركين في مكة فكان يجب أن يمتازوا عنهم وكانوا بعد الهجرة مخالطين لأهل الكتاب فكان يجب أن يمتازوا عنهم. مثال ذلك أمره بصنع الشيب ففي حديث ابن عباس في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي «إن اليهود والنصارى لا يصبغون نخالقوم» وفي لفظ عنه للترمذي «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود»

والأمر في مثل هذه الأمور المادية ليس لأوجب الدين والنبي عنها ليس بتحريم كما قال الإمام الطبري والناظر أن الأمر فيها للإرشاد الذي يتعلق

عنافع الدنيا ومصالحها الحديث «كأول اليت وادهوا به» رواه ابن ماجه
والحاكم عن أبي هريرة بسند صحيح وتبعته «فانه طيب مبارك» وعنه وعن
غيره بأسانيد ضعيفة وتمة أخرى . هذا ما يوافق أصولهم والمشهور عند
أكثر الفقهاء ان هذه الخصال كلها مستحبة الا الختان فقد قالوا بوجوبه للذكر
وقالت المالكية بوجوب اغفاء اللحية وقال الجمهور باستحباب ارسال شعر
الرأس وفرقه واستحباب صبغ الشيب وخضابه لمخالفة الكفار كما ورد . فأما ما
وصف بأنه من سنن الفطرة فالنقض منه أن تكون الامور الفطرية أي أمور
الخلق على أحسن حال في حسن المنظر والنظافة والصحة . وأما ما ذكر لمخالفة أهل
المنزل فلاحظ ان يكون لصفين مشخصات وعادات حسنة خاصة بهم من
حيث هم أمة جديدة جعلها دينها أمما وقدوة لسائر أهل المال في اصلاح امور
الدين والدنيا وقد كان الفساد الديني والاجتماعي عاما في جميع الامم بجماع المؤرخين
أما قصص الشارب واقل ما قال الفقهاء فيه ان تظهر الشفتان وانتمه
استئصاله ولو بخلقه فحكيمته فاهور الفم وجماله ومراعاة الصحة والنظافة فان شعر
الشاربين يملق به الفبار ودمس اللعاب وما فيه من جرائم الامراض فاذا شرب صاحبه
من اناء دخل شعره فيه فيؤثر في الشراب كما يؤثر الشراب فيه وقد يتعذر
الاسراع بتنظيفه كما يؤثر في الملاعق اذا اكل بها ما ثم ولا يزال اكثر الناس يضطرون
الى الشرب من اناء واحد والاكل من صحن واحد كاهل العصور القديمة
ولا يخفى ما يترتب على ذلك . وأما كون اغفاء اللحية من سنن الفطرة فعنه انه
زينة خص بها الرجل الذي هو اكل من المرأة خاتما فامتاز به عليها كامتياز أكثر
ذكور الحيوان على انثاهما، ولم ترد مبالغة في اغفائها كما ورد في احفاء الشارب بل
قال ابن السكيت بضمهم قوله «اغفوا الاحى» على الاحذ منها باصلاح ما شذ منها
طولا وعرضا واستشهد بقول زهير «على آثار من ذهب الغناء» وهو شاذ
ومظاهر الرواية ان المراد به ترك حلقها كما كانت تفعل الاعاجم أو قصها قصا
يقرب من الخلق بحيث تزول هذه الزينة وما فيها من المهابة . قال الحافظ في
شرح ما ذكرنا من زيادة البخاري في حديث ابن عمر المذكور آنفا : الذي يظهر
أن ابن عمر كان لا يحرص هذا التخصيص بالنسك بل كان يحمل الامر بالاغفاء
على غير الحالة التي تنتشع فيها الصورة بافراط طول شعر اللحية أو عرضه فقد
قال الطبري : ذهب قوم الى ظاهر الحديث فكروا تناول شيء من اللحية من

ملوها ومن عرضها وقال قوم اذا اراد على الفينة يؤخذ الزائد - وذكر عنه الاستدلال بحديث ابن عمر وغيره ثم قال - ثم حكى البصري اختلافاً فيؤخذ من الاحجية هل له حد أم لا فاستند عن جماعة الاقتصار على أخذ الذي يزيد منها على قدر الكف وعن الحسن البصري أنه يؤخذ من طولها وعرضها ما لم ينقص وعن عطاء نحوه قال وجعل هؤلاء النهي على منع ما كانت الاعاجيم تقمنه من قصها وتخفيفها قال وكره آخرون التمرض لها إلا في حج أو عمرة وأسنده عن جماعة واختار قول عطاء وقال ان الرجل لو ترك لحيته لا يمرض لها حتى خسر طولها وعرضها لمرض نفسه لمن يسخر به واستدل بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي (ص) كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها ، وهذا أخرجه الترمذي ونقل عن البخاري أنه قال في راويه عمر بن هارون لا أعلم أنه حديثاً منكراً إلا هذا وقد ضعف عمر بن هارون مطلقاً جماعة . وقال عياض كثره حلق الاحجية وقصها وتخفيفها وأما الأخذ من طولها وعرضها اذا غطت الحسن بل تكره الشهرة في تعظيمها كما تكره في تقصيرها ، وتعبه الثوري بأنه خلاف ظاهر الخبر في توفيرها اد المراد منه

وجملة القول أن حديث مالك في المسألة مؤيد بأخبار الصحيحين والسنن فهو صحيح واكثر النعماء على كراة حلق الشعر وقصها وترك الثارب الى ستر الشفتين والمسألة عادية دينوية لادينية تنزكي بها النفس لتكون أهلاً لجوار الله وثوابه في الآخرة كما قلنا . وان كان فعلها بنية الاتباع وتقوية رابطة الامة ما يثاب عليه كسائر العادات والمباحات التي تحسن فيها النية ، ولكون هذه المسائل غير دينية لم يمن المسلمون بالحضاب وصنع الشمر كما عنوانا برسال اللحن مع محبة الاحاديث بالامره وكونه زينة وغالقة لامل الكتاب بل كرهه بعضهم وحرمه آخرون بالسواد ، وقد صح أن ابا بكر كان يحضب بالحناء والكتم وفي حديث أبي ذر عندهما وأصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي «ان احسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم (بوزن الجبل) نبات بخي سفعه اسود ضارب الى الحمرة نعم صرح كثيرون باستعجاب صنع الشمر بحضابه مطلقاً وبعضهم بما عدا السواد لحديث امره (ص) بتغيير شيب أبي حنيفة مع قوته - وجنبوه السواد » ولا حديث أخرى لا يصح منه شيء يرفوع وقد سبق لنا تحقيق ذلك في المنار وحديث « جنبوه السواد » لا يدل

على تحريم السواد ولكنه لم يستحسنه (ص) لشيخ بلغ من الكبر عتياً كابي
فحافة وكان شعر رأسه ولحيته كالنخامة في بياضه كما قال بعضهم فالعلة ذوقية
واضحة كما يأتي عن ابن شهاب قريباً. وذكر الحافظ في الفتح أن الذين اجازوا
الصنع بالسواد تمسكوا بالأمر المطلق بتفسيره مخالفة للعاجم (ثم قال) وقد
رخص فيه جماعة من السلف منهم سعد بن أبي وقاص وعقبة ابن عامر والحسن
والحسين وجبرير وغير واحد (أي من الصحابة) واختاره ابن أبي عاصم في
كتاب الخضاب له وأجاب عن حديث ابن عباس عند أبي داود «يكون قوم
في آخر الزمان يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يرجون رائحة الجنة» بأنه
الخيار عن قوم هذه صفتهم وذكر عن ابن شهاب أنه قال : كنا نخضب بالسواد
إذا كان الوجه جديداً فلما نفى الوجه والأسنان تركناه .

وجملة القول أن أكثر العلماء كرهوا الخضاب بالسواد وجعل النووي
الكرهية للتحريم وهو كثير التشديد وقد حقق ابن الأثير وغيره أن الخضاب
بالحناء والكتم مما يكون أسود وقد صح استحسان النبي (ص) له قولاً
وعملاً إذ رأى من خضب به وإن أبا بكر كان يخضب بهما ممّا أو منفردين ،
وهل يقتل إذا صح أن - واد خضابه يضرب إلى الحمرة أن يكون السواد الحالك
مقرباً للحرمان من رائحة الجنة ؛ أو ليس الموافق لأصول الشريعة أن صح
هذا أن تقول أنه علامة لقوم من المبتدعة المجرمين في آخر الزمان يجرمون الجنة
بأجرهم لا بخصائصهم كما جعل خلق الشعر علامة للخوارج - والأكل سعد بن أبي
وقاص واحد المشرك وسيدا شباب أهل الجنة أول من يتناولهم هذا الوعيد الشديد ؛
أوليس من علامة وضع الحديث ترتيب الثواب العظيم أو العقاب الشديد فيه
على التافه من العمل ؛ وقد قال ابن الجوزي بأن هذا الحديث موضوع وخطأه
من صححوه وحسنوه من حيث السند على أن فيه عبد الكريم غير منسوب
قيل أن كان الجوزي فقد روى عنه الشيخان نقول ومنع ابن حبان الاحتجاج
بما يتفرد به بهذا الحديث وإن كان ابن أبي الخارق فضيف . وقد اضطروا إلى
تأويل الوعيد فيه بالتكلف

وأما قول السائل إذا كان الحديث صحيحاً فما خجة من يخلق لحيته من
المسلمين بما فيه من جملة الشريعة - لجوابه أن المسلمين قد ترك الكثيرون
منهم ما هو أعظم شأناً من قص الشارب وإعفاء اللحية من السن والآداب

الاسلامية من دنوية اجتماعية ودينية وكثيرا من الفرائض أيضا، وقيل يحتجون
 لشيء من ذلك الا اذا قال أو عمل به بعض شيوخهم في الفقه أو التصوف
 وقد يقولون ان جمهور علمهم يقولون باستحبابه لا وجوبه، مثلا والردواب أن كل
 قوم يعملون بما ألفوا واعتادوا من هذه السنن حتى ان بعض السلف تهانوا
 في بعضها ولاجل هذا توسعنا في المسألة بذكر سنة الحجاب التي لم يتمودها
 الا القليل منهم منذ عصر السلف فقد روي ان الامام أحمد وأبو حنيفة قد خضب
 لحبته فقال اني لارى رجلا قد أحيا ميتا من السنن وفرح به، وروي عنه في ذلك
 أقوال أخرى، ونسب له مثلا من المقابلة عنهم من حنابلة في مسألة عملية
 تتعلق بمقيدة التوحيد وهو ما ورد من حذر الدور والتميز والامر بنفسها وحظر
 تشريف القبور ولا سيما قبور الصالحين والتخذهما مساجد ووضع السرج عليها والامر
 بتسوية القبور المشرفة المرتفعة عن الارض بالتراب - كذلك صرح في الاحاديث
 وعلمته انها من أعمال الشرك والوثنية التي سرت الى أهل الكتاب من الوثنيين -
 ولكن المسلمين تركوا العناية بالتصوير والدور والتزييل حتى ما لا دخل له
 في الوثنية وأمور الدين بوجه من الوجوه وان كان من أهم منافع الدنيا
 ومصالحها كاللغة والعلم والحرب - وغنوا بمقتضى الصالحين حتى اتخذوها مساجد
 وشرفوها ورفعوا بنيانها وجعلوا الارض على ما أودع السرج والمصابيح
 عليها وصاروا يشدون الرحال اليها ويألفون بها تدينا فوقعوا في كل ما حرم
 الشرع بناءها وتعظيمها لاجله والفقهاء يقرؤونهم على ذلك والفتاة يحكمون
 بصحة أو قافهم وهم يقرؤون الاحاديث الصحيحة في امر من فعل ذلك

أكبر أسباب تهاون المسلمين بأمر دينهم وآدابهم ومشخصاتهم المالية في
 أكثر البلاد أمران (أحدهما) ترك العلماء فريضة الدعوة الى الخير والامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر (وثانيهما) عدم وجود حكومة اسلامية تحافظ على الشعائر
 الدينية، ومقومات الامة ومشخصاتها المالية، ولذلك لا ترى مثل هذا التهاون
 في بلاد نجد وبلاد الافغان وكذا بلاد اليمن التي لم يتولى الترك الحكم فيها كجبال
 الريدية ولكن بعض هؤلاء المتدينين قد غلوا في دينهم حتى وقعوا في مثل
 ما انكروا وفيما هو شرمته كتحريم ما لم يحرم الله ورسله افتراء على الله وقولا
 عليه بغير علم وتكفير المسلمين بما ليس كنرا ولا محرما

وقد فتن أهل البلاد العثمانية والمصرية بتقليد الافرنج والتمسك به بهم كما هو

معروف ومن الجرب ان كثيراً من الذين يتكون ازياءهم من المسلمين ويلبسون الزي الافرنجي يتهاونون بأمر الدين ويتجرون على الله - ق والتجور وان اختلاف الزي كان من اسباب ضعف الرابطة المالية والقومية ، وقاعدة سد ذرائع الفساد ثابتة في شرعنا ، ومن غير زية لاجل التوصل به الى المعاصي كان تغييره ممصية ومن خاف على نفسه ذلك فليس له أن يقدم عليه ، والذين لا يبالون بهذا اذا كان لعدم اذعان انفسهم للائصر والنهي فليس راعى شيء من الدين - ولعل هذا ماكان يحذره بعض الفقهاء المشددين حتى في المادات ولكن الجراءة على التحريم والتكفير للاشخاص المعينين خطر على صاحبه أعظم من الخطر الذي يحذره ويتكره الفلاة فالافراط في الدين كالتفريط فيه كلاهما ينتهيان الى الجنابة عليه والاضاعة له فنسأل الله الحفظ والداد

الحقائق الجلية في المسألة العربية

مقالة للعبرة والتاريخ

تقديم ومقدمة

كتبنا في سنة ١٣٣٤ (١٩١٦) مقالا عنوانه (المسألة العربية - مقالة للتاريخ) لم يتيسر لنا نشره الا بعد زهاء سنة كاملة من وقت كتابته فنشر في الجزء الاول من المجلد العشرين بعد أن أشرنا اليه في تقرير جريدة القبلة من جزء المنار الذي صدر في آخر المحرم سنة ١٣٣٥ (من المجلد التاسع عشر) ولكن بعد أن حذفت منه المراقبة الانكليزية ما حذفت ، وأكرهتنا على تبديل ما كرهت ، ولا أعني بالمراقبة الانكليزية مراقبة قلم المطبوعات في وزارة الداخلية المصرية التي كان يرأسها انكليزي أمر بالتشديد في مراقبة المنار بما لا يشدد في مراقبة سائر الصحف لانه في اعتقادهم أشد تأثيراً في أنفس المسلمين بما له من النفوذ الديني (١) وانما أعني مراقبة السلسلة الانكليزية التي كانت تحول اليها مراقبة المطبوعات في الداخلية ما يكتب في مسائل معينة من أهمها المسألة العربية والحجاز . على (٢) من أغرب هذا التشديد اننا قد كنا ننقل بعض ما ينشر في الجرائد اليومية فنمنع من نشره بالمنار ابنة أو يحذف بعضه حتى حذف بعض تقرير مشيخة الازهر الرسمي في انتقاد مشروع التعليم الاول عند نشرنا اياه نقلا عن الجرائد

أنا راعينا في تلك المقالة مقتضى الحال وأحكام الزمان. فسكتنا عن بعض الحقائق وبيننا بعضها بالتصريح، واضطررنا في البعض الآخر إلى الإيحاء والتلميح. وإنما نذكر في هذا المقال الذي نكتبه بعد الناء المراقبة على الحصف في مصر بعض الحقائق وزججها في فرصة أخرى، قاصدين مع بيان حقائق التاريخ الموعظة والذكرى، فنقول

إننا كنا نتوقع وقوع الحرب الأوروبية الكبرى قبل وقوعها بزمان بعيد ولا سيما بعد حرب البلقان خلافاً لجماهير المنكرين الذين كانوا يستبعدونه أو يحيلونه ظناً منهم أن الدول المغلقة وصلت إلى درجة الكمال في القتل والتخفية ومراعاة المصالح الإنسانية العامة بحيث يحلون جميع المشكلات بالأساليب الانسانية دون الحرب ولم يصدق هؤلاء بإمكان وقوع هذه الحرب إلا بعد اشتغال نازها بالفعل

وكنا نعتقد أن الدول الأوروبية الاستعمارية تريد الاستعجال بحل المسألة الشرقية اغتناماً لفرصة تهور الاتحاديين وتشجيعهم للعناصر الألمانية بغارهم في المصيبة التركية، وقد شرحنا هذا الاعتقاد في المقالات المنشورة التي كتبناها بمنوان (المسألة الشرقية) بمناسبة استيلاء ايطالية على سواحل برقة وطرابلس الغرب ونشرناها في المؤيد ثم في المار، وكان نشرها في المؤيد مثيراً لبعض وكلاء الدول الأوروبية وحاملاً لهم على مراجعة العميد البريطاني بمصر وإيثار العميد إلى رئيس الوزارة المصرية بإيدان صاحب المؤيد بالأمر ووجوب مطالبته بأي تخفيف الحلة عن الدول مجملاتها وحصر الكلام في ايطالية ومسألة طرابلس وقد حملنا في المار على الحكومة الاتحادية بما كانت وضعت من أساس الاتفاق مع الدولة البريطانية على جعل العراق منطقة تقوذاً اقتصادياً لها ومشروع الاتفاق مع فرنسا على مثل ذلك في سورية كما حملنا غيرها في اتفاقها السري مع ايطالية واعتقدنا أن الاتحاديين يريدون تنفيذ وعيدهم في العرب بعد أن أنفدوا غير واحد من زعمائهم بأنهم يبيموننا ويرقون شعبيهم بحننا، ولأجل هذا اندفع العرب الممانون إلى طلب الاستقلال الإداري من الدولة لولاياتهم على طريقة الأمر كركية

ولما أعلنت المانية الحرب على روسية جزمتنا بأن قد وقعت الحرب العامة المنتظرة وإن دولتنا ستصل نازها مع المانية لما كنا نعلم من الروابط بين زعماء

الاتحاديين وبينها وتوقعنا أن نكون الحارب سبباً لحل حكومة الاتحاديين على تنفيذ ما كانوا يعنون به العرب من الإصلاح واعطاء الحقوق عقب المؤتمر العربي الأول بباريس ، لآل الشدائد هي التي تذهب الاحقاد، وتبث على الاخلاص في الاتحاد ، وخفنا أن يكون ما احدثوه من المصيبة الجنسية سبباً للتنازع الموجب للفشل ، ولأجل هذا كتبنا تلك المقالة التي نشرناها في الاهرام ثم في الماراج بوصية النخب العربي بأن يسكت في اثناء الحرب عن مطالبة الدولة بالإصلاح ويكون مع الترك بدأ واحدة وكلمة واحدة فيما تقتضيه حالة الحرب من حصر كل القوى في الاستعداد للشكر ... وكان لها ما كان من القبول والتأثير الحسن

وعد الانكاز باستقلال العرب وصالحهم مما

في هذه الأثناء بلغنا بعض رجال الدولة البريطانية هنا بأن حكومتهم عزم على اللطف على العرب ومساعدتهم بنفوذها الأدبي عند الدولة العثمانية على ما يطلبون من الإصلاح اذا بقيت الدولة على الحياد الذي تنطهر به واما اذا انضمت الى المائبة في الحرب فأنها تساعد على الاستقلال وتكوين دولة عربية ولما اصطلت الدولة بنار الحرب وقع الرعب في قلوبنا وكان أخوف ما نحاف عليه بلادنا العربية لانه خالية من الحدود والمعازل الحربية وبعيدة عن مركز القوة والسلاح في الدولة ولم نلبث أن استدعانا بعض رجال الدولة البريطانية هنا وبلغونا ثانية أن دولتهم قررت باتفاق لاجزائهم مساعدة العرب على الاستقلال في جميع بلادهم وانها لا تبني أخذ شيء منها واذا انضمت الى محاربة الترك فيها فأنها تترك لهم كل ما تدخله منها بعد اخراج الترك منه - وأنهم يحبون أن يعرف العرب هذا ويكونوا مسلمين آمنين على أنفسهم من جانب البريطانيين فلا يتخفونهم أعداءه وقد جاءنا نبأ من مصدر عال في السودان يمثل ما بلغنا بمصر عن بلاغ من لندن ثم أطلعونا على منشور يريدون نشره في البلاد العربية بهذا المعنى فلم نر عبارته مفيدة ما وعدونا به بل هي ايهام محض فافترحنا عليهم أن يصحروا فيهم بالمراد تصريحاً لا يحتمل التأويل ككونهم يتمهدون باستقلال هذه البلاد اذا طرأ في الحرب وبحمل حشدهم على ذلك وبعدم أخذ شيء من البلاد العربية لا باسم الفتح والاملاك ، ولا الحمية ولا الاحتلال ، ولا بأي اسم من امثال هذه الاسماء ، وبأنهم يخرجون من البلاد التي دخلوها كالغزو

البصرة والتي سيدخلونها من بعد بلا شرط ولا قيد . وبعد التشاور بينهم ومراجعة حكومتهم العليا بلندن في ذلك حذفوا هذه التهود . وكانوا يرجون منا مساعدة بناء على تلك الوعود فكتبنا لهم مذكرة بعد مذكرة في الاحتجاج على ماظهر لنا منهم وبيان خوف العرب على بلادهم من انكثرة دون سواها واعتقادهم أنها هي الخضم لهم وتحذيرهم من الضرر بما تكتب جرائدهم وبعض الجرائد المداعنة لهم من وصفهم بأنهم أصدقاء العرب وان العرب استأثروا به . وبيان مكان الدولة العثمانية من الاسلام والمسلمين وما به من سوء قول من عداوة العالم الاسلامي لهم وفي مقدمته مسلموا الهند وجعلهم البنا واحداً عليهم اذا هم استولوا على بلاد العراق وسورية ومنها البلاد المقدسة وما يترب على ذلك من صيرورة الحجاز تحت رحمة تصرفهم مع محاربتهم للدولة التي يعترف لها السواد الاعظم من المسلمين بأنها دولة الخلافة اذ يعتقدون حينئذ حقبة ما تتم به دولتهم من عزها على ازالة الحكم الاسلامي من الارض . وان السلطة الاسلامية في نظر المسلمين اهم المعجزات وثانية عقيدة التوحيد لانها سياجها وحفاؤها وان عذاها والسبب في تعلق مسلمي الارض بالدولة العثمانية وحبيها . وبيننا لهم في أول تلك المذكرات ان الاستيلاء على البلاد العربية وحفظ السلطة الاجنبية فيها ليس بالامر السهل ولا بالمركب المذل بل يحتاج الى قوة برة كبيرة جدا لمنع الثورات الخ

كان غرضنا من هذه المذكرات اقناع الدولة البريطانية بأنه لا يمكن لها ان تنزع العالم الاسلامي بأن قتالها للدولة العثمانية ليس عدواً على الاسلام وسلطانها لاجل تقليص ظله من الارض بل لتحيزها الى أعدائهم الالمان عليهم وعلى احوالهم الا اذا أعطت العهد والميثاق بالاعتراف باستقلال البلاد العربية التي هي مهد الاسلام وفيها معاهده المقدسة الحرمان الشريفان والمسجد الأقصى في القدس ومعاهد العلم ومشاهد الائمة للشيعة في النجف وكر بلاه وهي مظهر حضارة الاسلام العربية ، وموطن الخلافتين الاموية والعباسية ، مع بيان ما في ذلك من التوائد السياسية والاقتصادية والادبية . التي شرحناها لهم بالمصدق الحالي من شوايب الايام ، وستنشر هذه المذكرات في يوم من الايام ، مع مكتوبات أخرى في المسألة عظيمة الشأن

خاب سعيينا الى ما سعيينا اليه من عهد أو وعد رسمي بذلك ولم ننتز بالايهامات التي كانت تصدر أحياناً من برقيات روزر وأقوال بعض الجرائد

الانكليزية بوعد بريطانيا المظني بالمعطف على العرب وما ينتظر من سعادة البلاد العربية اذا تحررت من سلطة الترك واعادتم اعجدها رون الرشيد والمأمون. وعلمنا مما دار بيننا وبين رجالهم الذين بمصر ومن مذاكرتنا مع السرمارك سايكس الذي أرسلته السلطة العليا من لندن الى مصر والعراق لدرس المسألة العربية سنة ١٩١٥ أن القوم ثابتون على طمعهم في بلادنا وهو ما كنا نعلمه قبل الحرب بسنين كثيرة ونوهنا به في المارمراراً وكان لهم شأن في مساعدتنا ايّاهم على انقاع العرب بما أشرنا اليه آنفاً ولو بكتابة شيء ما في جريدة الكوكب التي أنشئت لأجل هذا الشذاع تخاب أملمهم فينا كما خاب أملمنا فيهم

ما كان بين الانكليز وأمرأه العرب

ولى الانكليز وجوههم شطر أمرأه العرب وزعمائهم في الجزيرة والعراق وسورية للاستحانة بهم على مناوأة الدولة العثمانية بالخروج عليها أو خذلانها فأعرض عنهم امام الدين ووالى الدولة في الحرب كما عاهدوا في السلم، وواتهم أمير نجد وسيد حير على التعرف على الحياذ. ووالاهم شريف مكة بإعلان استقلال الحجاز وتناوأة سلطة الاتحاد والترقي المناغية الباغية اولا ثم بمناوأة الدولة ومحاربتها ومساعدة الجيش الانكليزي على فتح بيت المقدس والناشام، وقد انخدع أهل سورية والعراق بهذه الموالات والمخالفة وسدقوا التقرير الذي كان يوجه اليهم في المنشورات والجرائد ولا سيما جريدة الكوكب - ووافق ذلك شدة ميّان الاتحاديين وتكليفهم من سورية والعراق بقتيلوا وتمليبا وتفريرا وتمذيباً فرجد المفضلهدون منهم مهرباً وهاجماً من المذاب فقروا اليه بأمال كبيرة اذ ظنوا أن حوادث الزمان قد مهدت السيل بهذه الحرب واشتغال الدول الأوروبية الطامعة بعضها ببعض لاستقلال البلاد العربية واعادة حضارة العرب الزاهية المالية التي يفخر بها التاريخ، ولعمري ان الفرصة قد كانت سانحة لو وجد في البلاد العربية زعماء أكفاء يفتنمونها من غير أن يجنوا على الجماعة الاسلامية باسقاط الدولة العثمانية

نورة الحجاز والاتفاق مع بريطانيا

كانت حركة الشريف الاولى في اخير زمن النتائج التي تفنتضها المسمدات التي سبقها بحسب سنة لا اجتماع وكان يمكن أن يكون أقوى ما قبلها ما قلناه عقب حدودهم

أما أن تنفع وأما ألا تنضر — وأكبر ما يرجى منها أن تتخذ وسيلة لجمع كلمة العرب في الجزيرة ونظم القوة لحفظ البلاد العربية من السقوط تحت سيطرة دولة أجنبية إذا غلبت الدولة بالتبع لانكسار حليفتيها الكبيرين المانية والممثلة . وكان هذا ما يجب القيام به على من استطاع إليه سبيلا من كل عربي وكل مسلم أيضا ولو كان من الترك الذين بهم شأن الاسلام . ولما ذهبت الى الحجاز غلب ثورته لاداء فريضة الملح صرحت لأميرهم (وملكه اليوم) برأيي وما أعجبتني من جعل خروجه وعدائه خاسبا بالانحاديين الذي فرقوا الكلمة ونككوا بالعرب السوريين وغيرهم في الوقت الذي هم احوح فيمالى التأليف والاتحاد وما يجب من اتقاء عداوة الترك واضاف الدولة وحصر السبي في جمع كلمة العرب وابتعاد قوة جديدة لهم من السلاح وغيره استعدادا لحفظ جانبهم والى عرض بأمر استقلالهم اذا انكسرت الدولة وحفظ حدة وقومهم معها اذا هي انتصرت كما يتنى كل مسلم . وقد ظهر لي منه الموافقة على هذا الرأي وخطبتي التي ألقيتها أمامه في احتفال العيد العام بمي وتصديقه ابائي في كل مقاصد ما برهان رسمي على ذلك مطبوع في جريدة القبلة ومجلة المنار^(١)

على انني لما عرضت عليه الشروع في مخاطبة أمم الجزيرة حوله الى الوحدة وجمع الكلمة قال انه يرى تأخير ذلك الى أن يستولي على المدينة المنورة لتلايقن جيرانه انه يطلب ودعم خروفا منهم لارجاء وسعيا للمصاحبة العامة — ولم ير ضي هذا الجواب فقلت له يمكن أن يكون السبي من قبل بمض وجهاء العرب لا باسمكم بشرط موافقتكم اذا هم وافقوا فأبى الا ارجاء ذلك : وبعد أن عدت الى مصر اخبرني واخبر غيري ببعض من كان في خدمته انه قال : من هؤلاء الكلاب حتى اتفق معهم اليوم يوجد في الدين الامير فلان والامام فلان وغدا لا يوجد لا هذا ولا ذلك — وذكر أمماهم — ولكن هذا الناقل ممن بلونا عليهم الكذب وقد كذب لنا وهابنا وله وعاليه . وقد يصدق الكذب وكان ما قاله هو الواقع بل كان من الواقع ان تقاتل مع ابن سمود بدلا من ان يتحدوا

ثم إن الشريف بعد ان بابيه أهل الحجاز باسم ملك العرب واعترف له بجلالته

من الإنكليز والفرنسيين هناك الحجاز فقط - جاهر بمداورة الدولة العثمانية والترك وببذل الجهود في قتالهم فخاب امك في وقوف ثورته عند الحد الأدنى مما رجوا منها بعد أن رفض السعي إلى الحد الأعلى أو السماح به وقد اشرفنا إلى ذلك بقولنا في بيان الحلة السياسية في الحجاز من الرحلة الحجازية (ص ٢٨١ من المجلد العشرين) عند الكلام على ما كان يراد من مبايعة الشريف بالخلافة وسعيها إلى مقاومة ذلك: «يت لباي أفكر في هذه المسألة... وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قيل لي في هذه الليلة عن رأي الأمير دون من حوله وقد أكرته لذلك وكان أعجني من منشوره الأولين جمل عدوانه غثة الاتحاد بين المنتهبة للاستعباد التركي كالمولاة للدولة

العثمانية أيضا - وكذلك كانت اشورة في أول عهدها -

فهو يوم هذه الليلة لاخبرة ان الثورة الحجازية تمحولات عند كتابة هذه البذة من الرحلة عما كانت عليه من ذلك في أول عهدها ومنه الوقت الذي كنت فيه بمكة وهذا كل ما كان يمكن التنبؤ اليه تحت عين المراقبة (وذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٣٦ - فبراير سنة ١٩١٨) ولحق قلبه في (ص ٢٨٠) إلى الحديث الذي دار بيني وبين الشريف الأمير في شكل حكومة الحجاز الجديدة بتولي اني ذكرت له رأيي مفصلا نصيلا وفزل لأن ان ذلك تميل كان في بيان محاورات أتجه له لمصحب الخلافة وما يرتب عليه من المفاسد مع كونه هو مبايعة السلطان محمد رشاد - وحديث «إذا بويع الخليفةين فقتلوا الآخر منهما» (رواه مسلم في صحيحه) - وكون بيعة أهل الحجاز له لا تصح لانهم اسوا أهل المل والعقد في الامة الاسلامية وهم خاضعون لسلطته وحكمه غير احرار في اختيارهم - وكراهة العالم الاسلامي كله لثورة الحجاز وقبح هذا مما لم يكن النصر بج به ممكن في عهد المراقبة - وقد كان الشريف يؤمل أن أذن من أنصار الثورة وأعمال الحجاز وكان هذا ما يجب على لوجرت الاعمال على ما اعتقد صلاحه كما صرحت له عند وداعه ولم أفل أنظرت حكومته في العداة وأمرت بمنع المار من دخول الحجاز بحجة اني طمعت في رجالها بما يرفع الثقة منها ونشر ذلك في جريدة القبلة ومنه الحمد - فمأملت به كان أول ما خطر على قلبي قوله تعالى (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) فانه يدفع عن كثير من الناس ايامي

بمشايعة هذه الثورة مطلقاً واددت نشر بلاغ المنه في المارفة مني المراقبة الانكليزية
 هل أنه كان نشر في جزيرة (وادي النيل) في الاسكندرية وسمى بعض رجال المكتب
 العربي في الصالح بملي على تأويل لما كتبت اقترحه فلم يقبل وكنتني اشترت لي
 سبب ما كتبتة وفرضي الصحيح منه بما لا يرضى الشريف بل ان غضبه كان لسبب حر
 والسبب الذي جراً أمير مكة بالامس وملاك الحجاز اليوم على ما فعل وجهه
 لا ينال باتركه ولا بأمره جزيرة العرب هو الاتفاق الذي عقده مع بريطانيا العظمى
 قبل الثورة فانه كان يظن ان سيحكم به جزيرة العرب وسورية وتفرق قوة بريطانيا
 العظمى التي لاتملوها قوة في العالم وقد اشترت لي ذلك في بيان صفته من الرحلة
 الحجازية بقولنا (ص ٢٥٧ م ٢٠) «ومنها ان ثقتنا بالدولة البريطانية وتقديره لدورها
 وعظمتها لا حد لها ولا صاعداً في شيء عليها فهاذا لم يكن يمكن لاحد انذاعه بغير ما استند
 وجري عليه لا يبرهن العقل ولا بمجج القلب ، وله في جزيرة القبله أقول في ذلك
 حرية قلنا بعضها وفيما لم نقله ما هو أغرب منه حتى ما نشر بعد خذلانها له وأولده
 فيصل غير مرة - وهذا الايمان والتسليم لها في خلت الرضا والغضب هو الذي
 عطفا عليه وعلى أولاده أخيراً كما يأتي بيانه . هل انه كان يكتم نفس هذا لانه ق
 حتى عن أولاده حافظ بيانه مع المكتوبات الرسمية الاخرى في الكيس الأزرق
 الذي لانه في يده . وقد كان بعض البريطانيين الطائفي على نفس هذا لانه ق
 بالمرية قبل الثورة وسألني عن رأيي فيه فقلت واجابته لما: هذا اتفق لا يرضى به الا
 هدو العرب وأحرار لانهم ممناء . فحمر وجهه ووقفت يقيني وبينه . منقحة حادة فيه لا
 أنني تأملت في نفسي لجرى ان كذا حمار على لساني وما رأيته قريب مما بلغه الشريف
 فيصل في دمشق لجرى بدة المفيد ونشر فيها ونشرناه في الجزء الثالث من هذا المجلد لا
 أن فيه تصريحاً بأن عربي سورية ليس عربياً وأنه لا يدخل في الامة في ما ندعيه فرنسة
 من الحقوق فيه وأنه اعداءه من البلاد العربية التي لا يتنازع انكثرة أحد في نفوذها فيه هو
 الذي تعرف باستقلاله يستولي عليه الشريف منه بشروط منها استئذ - ولاية البصرة
 الخاصة لا تكفي وكون جميع ما يحتاج اليه هذه البلاد التي تستعمل باستقلال الشريف
 (المار: ج ٦) (٥٧) (المجلد الثاني والعشرون)

عليها من الموظفين وغير الموظفين مما يحتاج اليه لادارة البلاد دفاعا بطلبه من انكساره -
واختراقه بجميع ما بينها وبين أمراء العرب وزعمائهم من الاتفاقات والمساكنات
(وان لم ينال على شيء منها) فالشروط خمسة هذا مضمونها ولا أدري هل عدل
شيء منها أم لا ، وقد قيل ان لديه مصادقات ومساكنات أخرى وأما السيرة
بالعمل ، فهو الذي لا يماري أحد فيه ، وسيأتي ذكر ما انتهى الى شوطه وشوط
أولاده فيه ، هلى انه قد ظهرت قوادمه وخوافيه

ما ائتمر به السوريون بمصر

اجتمع فريق من أشهر مفكري السوريين المقيمين بمصر في أوائل عهد الحرب
لا يعل التناور في مستقبل سورية ودعوا كاتب هذا المقال لحضور اجتماعهم فكان
وأبي جهمورهم ان الحلفاء سيكونون هم المنتصرين وسيستولون على بلادنا فينبغي ان
نخطبهم فيما نحب ان نكون عليه حكومة البلاد في ظاهم احتياطا اذ يرجى ان يساهلوا
الآن فيما لا يساهلون بمثله بعد النصر - فمارضت في ذلك جازما بأنه لا يجرز لنا
ان نخطب أحدا في شأن بلادنا ونفرض انه سيكون مستوليا علينا - وقد تكرر
هذا الاجتماع في مدة مجالس من دورهم تجمعت فيها الآراء وكان الرأي الذي
انفرد كاتب هذا المقال بعرضه عليهم والاحتجاج على صحته والنضال عنه هو
وجوب السعي الى الاستقلال التام وتكوين دولة عربية اذا انكسر الترك وحلفاؤهم
وأما آراء سائر السوريين من النصارى فكانت تنحصر في رأيين ثم عدل بعضهم
رأيي فصارت ثلاثة (الاول) انضمام سورية الى بعض الدول الأوروبية ونجسها
بجنسيتها وتجعلها جزءا منها (الثاني) ان تكون مستقلة في ادارتها تحت حماية دولة
أوروبية (الثالث) - وهو رأيي المعدل - ان تكون مستقلة اذا أمكن تحت رعاية الدول
العظمى وبشرط ان يكون لها مستشارون ومراقبون من بعض تلك الدول. وأنا لم
أوافق على هذا التمدل لان الاستقلال فيه ضروري لاحقيتي ، ولم أقبل في وقت
من الاوقات ان يكون لاجنبي في بلادنا أدنى سلطان ، ثم وجدنا من غير هذه
الحجة أفرادا واتونا على طلب الاستقلال التام المطلق كما سند كر بعد

وقد وضع هؤلاء المؤثرون مواد أساسية لتشكل حكومة البلاد على تقدير استقلالها التام ومواد أخرى للاستقلال الإداري تحت الحماية تقدير وفوعها وكتبوا للنشر وعين مما مقده، ووزعت نسخ ما كتب من المؤثرين وبعد ما علمنا من دارت المناقشة فيها وعدل بعض موادها، ولما ردت من الاستقلال لم تكون دولة عربية في نسختي كتبت في حاشيتها ما يأتي للاطلاع به من ذكرنا ما خرج به طلاب الانضمام الى الدولة الأجنبية وطلاب الاستقلال الإداري في مثل دولة أجنبية وهذا نصه :

« ويحتاج أصحاب الرأي بأن من وضع نفسه على أن يكون تماً لغيره لا يرجح له الارتقاء والوصول الى الكمال الاجتماعي كمال الاستقلال والحرية الذي تبذل الامم دماها وأموالها في سبيله . وان هذا المبدأ سر تكتون الجنسية فإذا كانت الامم المتميزة البالغة أعلى درجات الحضارة لا ترضى جسر من الاجناس أن يساوي جنسها باختيارها سواء كانت من عناصر دولتها أو استقلال دولتها . وسواء كان مثلاً أو فوقها أو دونها في العلم والمدنية — قبل بمقل أن ترضى أمة من الامم أن ترفع شعباً ضعيفاً تستولي عليه بالقوة حتى تساويه بأبناء جنسها . هذا محال لا مفتح فيه فالواجب على السوريين وهم أرقى الامة العربية أن يحسوا أنهم مأمون وأمتهم ماضية ثم انشأها من الاستعداد ولا يرضوا بأن يكونوا دون أشد الخليل الأسود والبلغار واليونان ، بل يجب أن يقدروا ذلك قدره ويوجهوا أنفسهم الى أغنى ما تليبه الامم من الكمال ، ويدلوا كل ما في وسعهم لنيل الاستقلال . فان نالوا بالسعي الى فقد تم القصد ، وان صدمهم المقدار كان لهم عذر » اه وهذه النسخة محفوظة كغيرها عندي وتم نسخة عليها تعليق مهم بقلمي عند باشا من باشوات أولئك المؤثرين . وقد كان ذلك كل ما تمره اجتماعهم في أواخر سنة ١٩١٤ وأوائل سنة ١٩١٥ وقد سمينا الى الاتفاق مع غير هؤلاء من كبار السوريين على طلب الاستقلال لبلادنا وتكون أمة عربية فلم تنجح الا نفراً قليلاً من النصاري في مقدمتهم اسكندر بك عموز الحباله الذكر باستقلال فكره وكرم أخلاقه ، وكان هذا قبل تأسيس الحزب السوري الذي يمثل الوطنية الحق بعد جهاد في تأليفه دام سنة أشهر حتى انتصر طلاب الاستقلال من مؤسسيه بل طلاب الاحتلال

اتفاق سنة ١٩١٦ على قسمة ألبلاذ العربية

وضع هذا الاتفاق كل من السير مارك سايكس المستشرق أحد أعضاء مجلس النواب البريطاني وموسيو جورج بيكو الذي كان قنصل فرنسة الجزائر في بيروت الى عهد اعلان الحلفاء الحرب على الدولة العثمانية وبعد أن أقنعا دولتيهما به الفها وفدا وحضرا الى مدمر ثم سافرا الى حدة لأجل التمهيد لقبوله عند السوريين وملك الحجاز . وفد العا في أوائل رجب سنة ١٣٣٥ وأواخر ابريل سنة ١٩١٧ جمية من السوريين فيها ثلاثة أو أربعة من المسلمين وواحد من وجهاء الدرود وباقي أعضائها من المسيحيين لأجل الاتفاق بين أبناء ملل البلاد على ما سيكون عليه في ظل هذا الاتفاق قبل اعلانه . (وفي هذه المرة لم يطلب السير مارك سايكس مقابلتي لأنه يئس من استخداي لمقاصده مما دار بيني وبينه الملمة الأول بمصر سنة ١٩١٥) وشاع في تلك الاثناء أنه قد ألفت جمية سورية بمصر لأجل السعي لاجتلال فرنسا سواحل سورية وجمية أخرى لانشاء حكومة مسيحية في سورية تحت اشراف فرنسة ورعايتها او حمايتها

ولدي مذكرات في بعض ما سمعته في تلك الايام من بعض أعضاء جمية السير مارك سايكس ونير هاسم باشا قنصل رجا من اعلم المشتغلين بالسياسة منهم في (٢٨ يونيو) أنه قد تم الاتفاق بين السير سايكس وبيكو واعطاء سواحل سورية كلها لفرنسة لانها البلاد التي كان لها من قدامت اوسع في انشاء سواحل سورية المشهورة .

وقوله في ان هذا الاتفاق قد اعدته رعايا فرنسا وفرنسا في رجب بيكو من ريادة فرنسا في الشرق . وقد اعلن في كبر السراجل السورية لفرنسة وقد ذكر سايكس عدني من أقف شره من ما تخدع برعده بذلك ولقنه ما اقترح عليه ان يقول لموسيو جورج بيكو فقه به فلم يختلف بحرف منه ، (ولكن هذا الرجل من بعد انه وهمهم ان هو الذي اقنعه والحق ان الملك لم يارض فيه تاج الى اقباع) ثم بعد بضعة ايام اخبرني بذلك رجلا آخر ان كانوا يلبثون سايكس أو من أعضائه اللدنة التي القها ثم بعد سماعنا هذا بأسبوع أو أسبوعين جاء القاهرة أحد القواد الذين كانوا مع الامير فيصل فالتقيناه مقتعدا ان الملك رأى الانكاسة والنريسي على ما قررا في شأن سورية والعراق ، ثم سمعت هنا الخبر بعينه بعد شهر من مسلم آخر كان مشغلا بهذا العمل مع اللجان . ثم اخبرنا بعض من كانوا مع الامير فيصل انه رأى كتابا من والده يذكرفيه ذلك

ويطلبه بأن فرصة تحفظ له سواحل سورية من التمدي عليها الى ان يصير للدولة العربية اسطول بحميتها به على انها تدفع مبلغا معيناً للدولة العربية في كل عام مادامت محتلة في تلك السواحل

وجله انقول انه قد تألف بمصر في سنة ١٩١٧ جمعيات ولجان بايمار الانكليز والرئيس بعضها لوضع أساس الاتفاق بين اللوائف على ماسيكوز عليه نظام البلاد بمد تنفيذ ما علم بالأجمال أن الدولتين الحليفتين اتفقت عليه وانه جعل فلسطين ومناطقها لليهود وبعضها لوضع أساس الاتفاق بين العرب واليهود ومن هذه الجماعات جمعية فدق تاسيونال ولم يكن فيها لا مسلم واحد وقد كنت كل سمعته من أحد خيراً من الاخبار في هذا الشأن الجاد انه بالتي هي أحسن الا أن يكون مستقلاً فاني انذرت سوء عاقبة السعي مع الساعين في هذه السبيل وما يقبض من لمة الملايين له الى يوم الدين

وفي أول سنة ١٩١٨ ظهر الاتفاق بين الدولتين بمظهره الرسمي وقد وصل الى مصر في منتصف شهر فبراير منها يريد أوربة شارحاً ذلك فأمرت المراقبة بحتم الخوض فيه في الجرائد الى أن تمهد له السياسة ما تروا أن يكون به مقبولا عند جماهير السوريين المختلfi الاحزاب والآراء . وكانت وصلت الي في هذا البريد جريدة المستقل العربية التي تصدره في باريس جمعية موسيو شكري غانم السورية بنفقة الحكومة الفرنسية مفعلة لاعلان هذا الاتفاق في لندرة ثم في باريس كما ذكرناه بعد ذلك في الجزء الاول من شبلد المنار الحادي والعشرين (فليراجعه من شاء عند مطالعة هذه المقالة في ص ٣٤)

وعلى اثر ذلك جاءني من أحد وجهاء السوريين المشغولين بالسياسة مع الانكليز كتاب يدعوني فيه الى شرب الشاي في داره « مع أخلاص المحبين » في مساء ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨ فأجبت الدعوة وانا متوقع أن تكون لنا يبدأ اتفاق الانكليزي الفرنسي على قسمة البلاد العربية بين الدولتين وعازم على مقاومة ذلك موثقاً نفسي على الذي من مصر بهذه المقاومة مستمداً لذلك وقدر أيت في المكان ما قروي حديسي - رأيت أشهر رجال الحزب الانكليزي والحزب الفرنسي والحزب الحجازي وحزب الاتحاد اللبناني وأمراداً من المستقلين طلاب الاستقلال ، وبعض المراقبين من الضباط وغيرهم وفي مقدمتهم طالب بك النقيب والاستاذ الكافندي و زكريا الشامي السعيد ، وبعد شرب الشاي وما يتبعه من الحلوى والتناكة اقترح على شاعر

العرب الكافري أن يسمع الحاضرين مايجود به قريحته من الشر الاجتماعي
ماعتذر بانحراف صحته ثم ارتجل أبيتا صفق لها القوم تصفيق الاعجاب مرارا
لا يذك منها الآن الا قوله

قد منننا الحق الصراح وأعطي غيرنا حقنا بلا استحقاق
ثم اقترح على الدكتور فارس نمر أحد أصحاب المقطم (١) ان يلقي خطابا في
موضوع الحال الحاضرة فأجاب
خطاب الدكتور نمر في شأن اتفاق سنة ١٩١٦

قال الخطيب في فاتحة خطابه انه مضطر الى مخاطبة الحاضرين في بيان الحال
التي انتهت اليها مسألة وطنهم بصراحة فوق المعتاد ثم أشار الى ما دار بين الدولتين
في مسألة البلاد العربية وقال ان رجالهم المظالم صرحوا بأنهم لا يمكنهم ان
يتفهموا سورية حول البساط الاخضر في مؤتمر الصلح الا اذا كان زعماءها متفقين
على امر مستقبلهم فهم يهتموننا بعدم الاتفاق وان الفرصة الآن سانحة لنا اذا أردنا
انتقاد بلادنا من حكم الترك واذا فاتت هذه الفرصة فلا يمكن ان تعود لنا ولا
لابنائنا واحفادنا (قال) وأنا أقول اننا لسنا مختلفين بقدر ما يظنون أو يقولون
ولا مجال للخلاف في هذا الامر الجوهرى للبلاد وهو انتقادها من ملأه الترك
وأما الخلاف فيما عدا ذلك من مستقبل البلاد فأمره سهل متى تم لنا انتقاد البلاد -
(وقال) اني قرأت تقرير جمعية الاتحاد اللبناني فرأيت ان الخلاف بينها وبيننا
بسيط يمكن تلافيه بتمديد خفيف فهي تريد استقلال لبنان ونحن نبغي استقلال
لبنان وسورية والمراق أي البلاد العربية (وهنا صفق له الكثيرون) ثم
قوله بأننا كلنا عرب ومباحتنا واحدة

(وبعد هذا التمهيد بالاسباب حاول ان يأخذ قراراً من الحاضرين بالامرين
الذين زعم المر مارك سايكس بحمايه في الجمعية السورية بباريس انه يمكن
للسوريين الاحرار في المهاجر الاتفاق عليهما وهما قلب الحكم التركي وازالته -
واعتماد السوريين على مساعدة فرنسا في السير بأنفسهم في طريق الحياة - أي
كاغتماد المراقين على انكسار في ذلك ! (راجع ص ٣٥ م ٢١) فقال:

«هنا صرحت هنا باسم الخطيب مع الزامي كمان اسماء الافراد في هذا المقام
ولا سيما من كنت منتقدا لأمرهم زعماءهم في مسألة في كل ما كتبت لان هذه الخطبة
قد ذكرت اخيرا في خذل كبير خطب فيه الخطيب وردت عليه كاسياتي

السناكلنا متفقين على انقاذ بلادنا وتحريرها من ظلم أعدائنا الأتراك
واخراجهم منها ؟ - وصار يلتفت الى الحاضرين من كل جانب فقال له بعضهم
نعم وسكت الا كثرون - فقال - ليس بعد هذا أمر يقتضي الاتفاق عليه من
الآن الا اظهار رغبتنا ورجائنا في حلفائنا الكرام ولا سيما انكلترا وفرسة
ان يساعدونا على اتمام مقاصدنا وان نحسن الظن بهم ونقوم بما تقتضيه السياسة
من اظهار الثقة بهم وان ظهر لنا من أقوالهم وأعمالهم ما لا ينطبق على أفكار
البعض منا - فن العقل الآن أن ترك البحث في ذلك ومتى صار السوري
في سورية واللبناني في لبنان والمراقي في المراق فعند ذلك يكون المجال آمنا
واسما في البحث عن مستقبل البلاد

ثم قال انه سمع من بعض الحاضرين كلمات تدل على سوء الظن والتشاؤم
ومنه قول الكاظمي

قد منعنا الحق الصراح وأعطي غيرنا حقنا بلا استحقاق
وقل ان هذا في غير محله وان حقنا لما لم يأخذه أحد بغير استحقاق الخ
خطاب الكاتب صاحب المنار

ولما اتم خطابه ظهر لي ان ضمني في هذا الاجتماع المدبر عين اليقين وان
المراد منه ان يؤخذ من جمهور زعماء السوريين - وكذا المراقبون على قلوبهم
هنا - اقرار بما قرره الدولتان كما أخذ من جمعية مود - وغانم بياريس وهو
انهم يطلبون من الحلفاء اخراج الترك من بلادهم ويضوضون أمرها الى انكلترا
وفرسة - فنهضت في اثره متصديا للرد عليه فضيق الا كثرون - وألقيت
خطابا حماسيا قد دق من قلب يقطر دما افتتحتته بقولي اني اضطرت الان الى
مراجعة صديق بارد عليه في وجهه لمصلحة الوطن كما اضطرت من قبل الى
مواجهة صديق آخر بارد عليه في وجهه لمصاحبة الوطن وهو سليمان افندي
البستاني ، وان كثيرا من الحاضرين هنا قد كانوا من شهود الاحتفال الذي أقيم
للبيستاني في فندق الكونتنتال عقب زيارته لسورية وصر وأرادة العودة الى
الاستانة (وذكرت ملخص موضوع خطابه وردي عليه في ذلك الاحتفال) ثم قلت
ان صديقنا الحبيب الفوه قال انه قد اضطر الى مخاطبتكم بعراحة غير
ممتادة وأنا أقول اني مضطر الى مخاطبتكم بما هو أصرح مما خاطبكم لانه لا ينبغي
أن يكتم عنكم شيء من أمر وطنكم لاني تمدون أرقى اهل علموا واختبارا كما قلت

في تحليل ردي على صديقي البستاني في ذلك الاحتفال المشهور
قال الخطيب ان الدولتين الخليفتين قد صرحتا باسان مندوبين رسميين
لها بأنهما لانهما لمساعدتنا في مؤتمر السلاح اذا بقي العدو في بلادنا الا
اذا اتفق زعمائنا في أوربة ومصر وأمريكا على الامرين الذين ذكرها تبعاً للسر
مارك سايكس أحد ذينك المندوبين وهذا ما كتبه الخطيب عنكم
أما أنا فاقول لكم ان الدولتين الخليفتين قد اتفقتا على قسمة بلادكم بينهما
لاستعبادكم باستعمارها فقد جاءتني جريدة المستقبل الباريسية منذ ثلاث فاطمت
فيها على تفصيل هذا الاتفاق (وخطبته لهم كما نشرته بعد في الجزء الاول من
الجلد الحادي والعشرين) فقامني الدكتور غرغرا فلا انهم صرحوا بأنهم لا يعاملوننا
بالضغط والتوسع الاستعماري وواقفه الدكتور شهبندر فقات للدكتور غر
لاتقاطعتني فاني ما قطعتك - قال أريد تفسير العبارة وايضا كما قلت . قلت
أشر ما تريد ان تقوله الى أن أم كلامي - قال سحبت كلامي . فضيت في كلامي
وهذا ما خبته

ان الترك ضمهاء وجاهلون مثلنا فلا يستطيعون أن يستعملونا اذا نحن تنهبنا
لحقوقنا وأما انكثرة وفرقة فهم أقوى منا في كل شيء فلا يستطيع أن تنفسي
من عقابها اذا هما استولتا علينا - هم أقوى منا في العلم هم أقوى منا في المال
هم أقوى منا في السياسة هم أقوى منا في الحرب - وذكرت الجيوش والسلاح
والاساطيل البحرية والجوية - فاني لنا أن نفدى من سلطانهم القاهرة ؟

نعم قد قالوا انهم لا يريدون أن يثقتوا علينا بالسيطرة الاستعمارية وان
فرنسة تقود السوريين الى الحياة والاستقلال كما تعمل بريطانيا في العراق
وامر مرادهم أنهم يحلمون لنا اميراً منا وكثيراً من المستخدمين، وهذا تصرح
بأنهم يريدون استعمار بلادنا والسيادة علينا وانما يهونون علينا الخطب بأنه
استعمار هين لين لا فاس شديد . ونحن نريد أن نكون احراراً مستقلين، لا عبيداً
مسيوبين، سواء علينا أكان السيد رحماً بعبيده أم لا . على أن هذه الطريقة اللينة
في الاستعمار هي امثل الطرق التي اهتموا بها بالتجربة ولكنها امثل وخير لهم
لا للشعوب التي يسودونها، فانها تحدر اعصاب الجماعير وتخدع عامة الامة بأن
حكومتها منها ليكونوا خاضعين لها راضين بأحكامها، وبذلك يتمنع على الزعماء
الغافرين الدفاع عنها والمطالبة بحقوقها، لانهم اقلتهم تسهل مراقبتهم واتزال

قالب بهم ، اذا لم تكن وراهم امة تؤيدهم . قال الفونس اسكيروس في
 اية اميل القرن التاسع عشر : ان شر الحكومات الحكومة المستبدة الالينة
 ملل ذلك بنحو مما اشترنا من تحذيرها لاعصاب الامة حتى لا يبقى لها مجال
 كر في الخروج عما هي فيه . وانشواهد على هذا في مستعمراتهم في الشرق
 لغرب ظاهرة جليلة كتونس والجزائر والولايات المستقلة وغير المستقلة في الهند .
 بي رأيت اهل الولايات الهندية التي يسمونها مستقلة أبعد من غيرها عن فهم
 معنى الاستقلال والتفكر فيه دع الاستعداد له والسعي اليه ، وعلمت ان رؤساء
 لكروماتها اطوع للانكليز من ظلمهم واشد قبولا لكل ما يقترح عليهم . واما
 ليات التي يدير امرها الانكليز بأنفسهم فهي التي تناحل وتستقد وترجو
 استقلال وتستعد له وتعتقد ان ستنال في يوم من الايام

ومن عجائب السخرية ان هؤلاء الناس يدعون تحرير الامة والشعوب وأنهم
 يدعون باقتسام بلادنا قودنا الى الحرية والاستقلال والمستقبل الزاهر الجليل !
 سون الحقائق باسماء الاضداد ، وما ادري بأي مقود اورسن يريدون ان يودونا
 الاستقلال الذي لانصل اليه بقيادتهم الا بعد الموت والوردود على النار . ومتى
 انت الشعوب تقاد الى الاستقلال كاتقاد الدواب حاملة الاثقال ؛ ياخبون منا
 بالان ويجودون علينا بالانفاظ والاسماء التي تخفف وقعها على قلوب الجاهلين ،
 كالحماية والرعاية والاستشارة والمساعدة والاتداب وغيرها)

(وقلت) انني اعتقد اعتقاداً يقيناً انه اذا كان في بلادنا رجل واحد من
 هؤلاء الناس اعطي حق المراقبة على حكومتها وسمي عبد السورين او عبد
 مرب فانه يكون هو السيد المالك بالفعل وتكون جميع الامة مستعبدة له .
 حرية والاستقلال معنى واحد يقابله العبودية وهي حقيقة واحدة لا يتغير
 منها بتغيير اسمائها . ولو اتهم اتفقوا على ان تكون بلادنا مستقلة استقلا
 مافي سياستها سائر شؤونها وقالوا لنا اتفقوا على صفة حكمها وادارتها لنساعدكم عليه
 نتعين بانقاذكم لكان لهذا الطلب معنى ، ولكنهم اتفقوا على اغتيالها وامرونا
 ، اتفق على طلب هذا منهم لتكون حجة على انفسنا باننا بخمنا انفسنا بايدينا
 هم المربون حياة والاستعباد استقلا . اما الامر كذلك فالائق بكرامتنا
 الواجب على كل منا ان يقيم في كسريته (أي في زمن الحرب والحكومة
 المار: ج ٦) (٥٨) (الجلد الثاني والمشرون)

المرفية) و ينتظر الفرج من الله تعالى
 واني أتم خطابي بفكاهة تناسب المقام عسى أن يكون أسلوبها الفكاهي
 مختلفاً لمرارة ما سمعتم من تهديد الخطر الأكبر لوطنكم : حكى أن رجلاً مسلماً
 تبصر في جبل لبنان وذهب الى (دير قزحيا) الشهير وانتشم في سلك رهبانه، واتفق
 أن كان الرجل مترفاً وان وجوده في الدير كان في أيام الصوم الكبير فكان لا يجد
 من الطعام الا العذس المسلوق ونحوه من التمرج الخالي من الدهن فاشتد به القرم (شهوة
 اللحم) فسرق في ليلة دجاجة من دجاج الدير وذبحها وشرع في سلقها بعد أن نام
 الربيان فاتفق أن مر بعضهم وشم الرائحة من حجرته فطرق باباً وكلمه فلم يجبه فشكاه
 الى الرئيس بناءً ان رئيس بنفسه وسأله عما في القدر فقال سمكة يا أبونا، قال من اين
 جاء السمك في جحر النيل من البحر البعيد الى هذا الجبل . قال أما قال سيدنا
 يسوع بالايمان يكون لكم كل شيء : قال الرئيس بلى وانما نحب أن نرى هذه
 السمكة التي جاءت ببركة الايمان بسيدنا يسوع لتزداد ايماناً بمشاهدة هذه
 العجيبة — وكشف القدر فرأى الدجاجة، قال هذه دجاجة يا أخ حنا لاسمكة،
 قال قل سمكة يا سيدنا . قال كيف أقول سمكة وأنا أراها دجاجة وهل يغير
 الحقائق تغيير الاسماء قال اتقول ان تغيير الاسماء لا تأثير له يا أبانا، قال نعم لا يغير
 حقيقة المسمى، قل اذاً ماذا كان اسمي انا ؟ قال محمد . قال وما اسمي الآن ؟
 قال حنا . قال اذا كانت الاسماء لا تغير الحقائق فانا مسلم اشهد ان لا اله الا الله
 وان محمداً رسول وآكل الدجاجة واسافر من الدير صباحاً — فاذا كانت الدجاجة
 انقلبت سمكة فاستعباد المقتسمين لبلادكم ينقلب استقلالاً والسلام

فضحك الحاضرون وصفقوا تصفيحاً شديداً وانصرفت وقال لي بعض من
 شيعني الى باب الدار من أعضاء حزب الاتحاد اللبناني انك قد أرحمتنا بكشف
 الحبا وكانوا قد طلبوا مني الخطابة فأبيت والمسألة مرتبة

محاوره مع ضابط بريطاني

بعد مرور سبوع أو هذا لا بأس من هذا الكثيرين من حاضريه يترقبون
 ما أقول فيه أنا من مدق ساقياتي مغر المصلحة السمكية امر وطنية لا حاجة الى
 التنازل رافق في ذلك كسرني مع وزير عيني وبين ضابط بريطاني في مجلس
 المكتبة محاوره كمن هو السائل فيها ما الخيب أخلصها مني
 (قال) هل صنعت شي مادار بخاريس بشأن سرورية وخيلبة السر ملوكة

سايكس ؟ قالت نعم (قال) مارأيك فيها ؟ (قلت) انها تسوء السوريين جداً ولا سيما المسلمين وعللت له ذلك بما هو معلوم بالضرورة . قال كان الفرض من تلك الخطة والتصرفات ارضاء السوريين فهل جاءت بضد المراء منها ؟ قلت انها جاءت بالاتر الطبيعي الذي يجب أن يترتب عليها وان كان المراء منسده — قال : ان السر مارك سايكس صرح في خطابه بأن الحجاز قد استقل فلا يعقل ان يرفض استقلال سورية التام والحجاز مستقل . قالت هذه مسألة نظرية ذكرت مع كلام ينقضها وهو أن انكلترة وفرنسة اتفقتا على اقتسام بلادنا ... قال انهم صرحوا بترك العزم على السيطرة الاستعمارية . قالت لأمعنى لهذا وقد اقتسمت البلاد الانكم تريدون الرفق والاحسان في ادارتها ونحن نريد الحرية والاستقلال الصحيح ، لا الاستعمار اللين اللطيف . وذكرت له اجتماع السوريين وما قلته فيه بشأن الدولتين وقسمتهما للبلاد وهذا التصريح (وعونه عليم) فأجاب جواباً ذكر فيه القصة ثم عاد الى حصر الكلام في سورية وفرنسة :

قال ان قسمة البلاد بيننا وبين فرنسة يراد بها منطلق الشؤون المالي بمثل أن أحدنا لا يمارض الآخر في منطقتة بالاعمال المالية وقد صرح وزراء فرنسة رسمياً بأن حكومتهم لا تنوي فتح أي من البلاد ولا قهر شعب على الخضوع لها فهي تريد مساعدة السوريين مساعدة صداقة لا قهر وتغلب . قلت ان هذا الكلام يقوله وزراء كل دولة من دول الفريقين المتقاتلين لاقامة الحجة على الفريق الآخر ولا قناع الاحرار والاشتراكيين حتى من انهم بما لا يرضون الاستمرار على الحرب بدونه — ولاجل هذا تطالبون منا تقويض أمرنا البكم لتقولوا ان هذه الامة أو الشعب يطالب منا مساعدته على تحرير نفسه ومساعدته على استقلاله فلا مندوحة عن اجابة طلبه حيا في الانسانية

قال ماذا كان ينبغي ان يقال في هذه المسألة ليرضيكم ؟ قلت لو كانت الدولتان تريدان استقلال بلادنا لعرفتا كيف ترضيانا ، ذلك بأن تقولوا اننا قررنا ان تكون البلاد العربية دولة مستقلة كبلجيكا واننا لانعقد السلع الا اذا كان هذا الشرط مما يقرره مؤتمره — قال ان فرنسة لم يمكنها ان تصرح بأكثر مما صرحت به ولكن دعنا من الاقوال الى الافعال . ماذا تريد ان تفعل لنثبت لكم حسن قصدنا في بلادكم ؟ ان جيشنا الآن في فلسطين ويجوز أن يتمكن من الرجف على دمشق وأخذ سورية ومن المعلوم ان سورية في حالة سيئة من

الفقر والضعف وإن كثيراً من رجالها الأحياء منفعون ومهاجرون فهل تأمن إذا تركناها وشأنها بعد اخراج الترك منها أن تقع في القوضى والاختلال وزيادة الحاجة والفتن؟ - قلت إن الكلام فيما ينبغي فعله في سورية ما جاء وقته لأنكم لم تفتحوها ولو فتحتموها وسألتوني لطلبت رؤية البلاد ومن فيها وحينئذ ما إن أقول أتركها ففيتها من الرجال من يقوم بأمرها وأما إن أطلب مساعدة مالية موفقة، ولكننا نرى إن ما تخافون وقوعه من الفتن في سورية إن تركت وشأنها وقع بالفعل في روسية فهي في فوضى لا أمن فيها على نفس ولا مال ولا مصرف (بنك) ولا معبد ولا مصلحة ثم انهم لا يقبلون من المانية دعوى ابقاء جنودها فيها بحجة من أمثال هذه الحجج كحفظ الأمن وإعادة النظام مع أن البلاد الروسية متاخة للبلاد الجرمانية ويخشى أن تنتقل العدوى منها إليها - فسكت وانتهت المناظرة بذلك

ملخص حال السوريين بمصر في زمن الحرب

وجلة القول إن السوريين المقيمين بمصر واللاجئين إليها كانوا من الحرب في أمر صريح وقد عثت الأجانب بأكثر الذين يتعمسون بالسياسة منهم فكانوا يخذمونهم بكل ما يريدون وقد خائنا أكثر الذين كانوا هادوناً وأقسموا أغلظ الأيمان على السعي لاستقلال البلاد العربية وعدم الرضا باحتلال الأجانب لشيء مما منها فأرادت أفراد من أشهر الاستقلاليين وآمن أفراد من الاحتلاليين وتذبذب آخرون ممن كان يظن فيهم الثبات ومنهم من كان نصف استقلالي يرى أنه ينبغي مشايعة الاجبي على أخذ بعض البلاد العربية في مقابلة مساعدته أياً ما على استقلال البعض الآخر غافلاً عن استحالة ذلك فلم توجد جماعة تسمى للاستقلال التام الناجز بصدق وثبات على كثرة ما تألف من اللجان والجمعيات الجمعية الاتحاد اللبناني. بل سميت بعض الجماعات الاحتلالية حمية الاستقلال. وكان مما سمته بأذى من اثنين من مؤسسيها في (٢٠ و٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٣٥ و ١٢ و ١٣ فبراير سنة ١٩١٧) أنها أصراً مع آخرين بالذهاب إلى سورية من طريق المريش لتأليب العرب وحلهم على الثورة والخروج على الترك فككتبت الجمعية تقريراً بينت فيه أنه يجب العمل في سورية باسم الشريف سواء كان بدعوة البدو إلى القتال أو بغير ذلك فإن لم يفعل الانكليز ذلك وقعدوا في مثل الغلط الذي ارتكبهوه في المراق فادى إلى قتال العرب لهم وتأخير فتحه وإن العرب في سورية سيفعلون ذلك إذا لم يكن عملهم باسم الشريف. وكان

المتكلم من صنف الضباط قال وانا اقمناهم بذلك بالتقرير المشترك وبالكلام - وصدقه رفيقه وهو من جاهد بالخطابة والكتابة في هذه السبل وارسل الى بلاد الدروز مرتين لاستئذنتهم الى الانكليز وكنا قبل ذلك غششنا به واعطيناه اعتمادا فكان من الحائذين واراد ان يتوسل بالاعتماد للايقاع بنا

المذكرة الاستقلالية للرئيس ولسن

قد كان أول سمي مشترك مع جماعة للاستقلال العام بعد ما بيناه من الجهاد السابق مذكرة كتابية لرئيس جمهورية الولايات المتحدة في اثر ظهوره في ميدان المصل ونذائه بحرية الامم وقمها كاتب هذا والشيخ كامل القصاب واسكندر بك عمون والدكتور مشافه والدكتور شهنندر وخالد بك الحكيم بينا فيها ان البلاد السورية وسائر البلاد العربية لا ترغب الا في الاستقلال التام ولا تقبل غيره باختيارها وانها اذا استفتيت في ذلك وكانت حرة في الجواب فان سوادها الاعظم يصدق ما نقوله عنها اذ نحن من أعلم أهل البلاد بحال أمتهم . وقد جاء استفتاء اللجنة الاميركية بعد ذلك مصدقا لهذه المذكرة ولعلنا نشرها بعد

عهد السبعة

ولا أترك في هذه الخلاصة التاريخية ما نشر في بعض الجرائد السورية وسمي بعهد السبعة وحقيقته ان الالمان أرسلوا بعد كسر الروس وعقد الصلح معهم جيشا ألمانيا الى البلاد العثمانية عن طريق سيواسبول لغايات انكثرة ان تكون وجهته العراق فكان من أعمالهم الاحتياطية بذلك ان أقنع بعض المشتغلين بالسياسة منهم بمصر سبعة من الذين كانوا يجتمعون بهم بأن يسعوا الى مساعدتهم على تكوين قوة حربية للدفاع عن البلاد العربية على ان تتعهد بريطانيا العظمى بالاعتراف لهم بكل ما يأخذونه من بلادهم بالسيف فيكونون مستقلين فيه . ولما لم توجه تلك القوة الالمانية الى العراق سكنت الانكليز عن هذا العمل وأعرضوا عنه

فصل ثان في المسألة العربية بعد انتصار الحلفاء

كل ما سبق بيانه بالايجاز من أعمال الحلفاء وتمهيدهم السبل لاستثمار البلاد العربية كان في أثناء الحرب التي كانت كفتهم فيها مرجوحة وكان الخوف عليهم أقوى من الرجاء لهم . ولذلك كانوا يحاولون اقرار أهل البلاد اياهم ومساعدتهم

لهم على استعبادهم مع الشكر لهم على ذلك لانهم سموه تحريرا للبلاد من ظلم الترك وما كان الترك مستعبدين للناس ولا سائلين لشيء من أملاكهم ولا جريتهم الدينية والشخصية ولا أولى جنف في الضرائب بل هم في كل ذلك أوسع حرية ورحمة من جميع الحلفاء في مستعمراتهم. ولولا فظائع بغاة الاتحاديين الأخيرة واستغلال الحكام من الترك والعرب لوسوسة عبد الحميد على نفسه قبلهم لكانت ذنوب الترك كلها سلبية أي أهم ليسوا بمعمرين ولا صرغين لشعوب دولتهم في العلوم والفنون والأعمال ولا محسنين لعمارة الأرض واستغلالها

وقد سبق لنا قول في انتهاء الحرب وكيف كانت لمصلحة الحلفاء وتكرر ذلك في المشار (١) ومقالة في (المسألة السورية والأحزاب) بعد الحرب (٢) وفيها بيان استفتاء اللجنة الأمريكية لأهل البلاد السورية في مستقبلهم وما يسمى الانتداب، ومقالة في (استقلال سورية والعراق) (٣) وأقوال أخرى في شؤون سورية بعد الاحتلال المختلط فيها ودة أن تاريخية تراجع في مجلدي المشار ٢٠ و ٢١. وقد نشرت الجرائد العربية في سورية ومصر وأمريكا الشمالية والجنوبية الشيء الكثير مما كان من أمر المحتلين قبل الشروع في تنفيذ اتفاق سنة ١٩١٦ وبمعه ولا سيما الثورات والقتال في كل من سورية الشمالية والجنوبية (فلسطين) — ولا تزال في اردباد — وإعلان المؤتمرين السوري والعراقي لاستقلال القطرين وجعل فيصل ملكا على سورية واختيار أخيه عبد الله ملكا للعراق وما كان من رحف الجيرال غورو على دمشق وإخراجه ليفصل منها ثم جعله البلاد السورية عدة دول تحت سلطته، كما نقلت عن رقيات أوربية وحرائدها بعض أخبار الثورة الكبرى في العراق التي كانت تقاقل أكثر من مئة ألف حندي من المساكر البريطانية واضطراب انكفرت بذلك الى العدول عن جعل العراق تابعة للهند الانكليزية وإعلانها العزم على تأسيس دولة عربية بريطانية في بغداد وتأييد حكومة وطنية مؤقتة فيه والاستعداد لانتخاب جمعية وطنية تؤلف الحكومة الثابتة وتختار الأمير أو الملك لها وترشيحهم الشريف فيصل للعراق وبحث الدعوة له، وتأييد حكومة جديدة في شرق الاردن تابعة للحكومة القدس الصهيونية الاسكندنافية

(١) راجع ص ٦ من فاتحة المجلد ٨١ ومقالة عاقبة الحرب فيه (ص ٣٣٧)

(٢) ص ١٩٧ منه (٣) (ص ١٣٤) منه

وجعل الامير عبد الله أميرا عليها بعد ان جاءها من الحجاز بقصد الاستعداد لاجراج فرنسا من سورية وبث الدعوة لذلك وجدد الملباية لآخيه «المالك فيصل» كل ذلك معروف بالتفصيل لقراء المنار في مصر وسورية وأمريكة وستريده هنايبانا وتحقيقالنسبى الى مثله فيما نعلم كما ينتظره الكثيرون منا ونحمد الله انه كسابقه حجة بينة على اتنا كنانا على الحق والصواب فيما كنا نصرح به في مصر في أثناء الحرب وبمدها وفي سورية مدة السنة التي أقفناها فيها من اتفاق الحلفاء الانكيز والفرنيس بمساعدة الشريفين على استعمار بلادنا السورية والمراقية على ما بينهم من التنازع والخلاف السري والعالي في ذلك. وقد انردنا بالسبق الى معرفة ذلك والنجاهرة به والتعرض بذلك للخطر وعدم اتخداعنا لاحد في ذلك ولا خداعنا لاحد بل كنا نقول الحق وننصح باتباعه لقومنا ولخمسونا. وهذه منة من أكبر من الله تعالى علينا ما كنا لولا فضله وتوفيقه أهلا لها في تلك المواقف التي زلت فيها اقدام الافراد والشعوب والدول

نصحننا للانكيز والفرنيس ومذكرتنا للويد جورج

نصحننا للانكيز قولا وكتابة فيما نعتقد ان فيه الخير لنا ولهم وللانسانية وكان آخر تلك النصائح مذكرة ارسلناها الى مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية منذ سنتين كأمينين بينا له فيها ان ما كنا نفحن به لرجالهم بمصر قد ظهر صدقه وان ماجروا عليه مع حكومتهم في المسألة العربية مخالفا له كان هو الخطأ - بما وقع في العراق وسورية ومصر والهند - وان انكثرة ستكون هي المنبوبة بقسمة رات العالم الاسلامي بين الحلفاء بمداوة الشرق وحسد الغرب لها وان عداوة اكثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين احتقاروا لهم بعضهم ليس من العقل والحكمة لانهم لا يكونون أضعف من ميكروبات الامراض والابوثة - وانهم سيكونون به اتحادا ابلاميا يساعدهم فيه الروس والالمان ويكون خصما لهم في زمن هم مستهدفون فيه لمداوة أكثر شعوب أوربة. وان الخير لامهم في تأسيس الصداقة بينها وبين العالم الاسلامي باستقلال الشعوب العربية (وفي مقدمتها الشعب المصري) والتركية والفارسية جميعا... ونصحننا لرجال فرنسا في بيروت بمثل ذلك بعد ان ذكرنا لهم ملخصه وان نطلب منهم الاستقلال سورية وريح صداقة الامة العربية كلها بذلك واتقاء بهع عليهم من الفتن بمداوتها ومنه ان سورية لا تسلم لهم في المستقبل وبها

قال لنا موسيور ويردوكيه سكرتير الجنرال غورو ان هذا الرأي جيد وهو الممكنات دون الخياليات ولكنه يحتاج الى تمحيص وتفصيل بين عقلاء الفريقين بكثرة البحث ولا سيما في طريقة تنفيذه في الحال الحاضرة

الشريف فيصل في عهده الاخير بسورية (١)

ونصحننا للشريف الاكبر - كما تقدم - ثم لنجمله الامير فيصل - فأما الاول فله خلق مطبوع معروف نسهل على مخاطبه ان يعلم ما يقبله ويحرم عليه وما لا يمكن ان يقبله وأما الثاني فقلما يعرف له رأي مستقر أو يثق بغيره بأنه أقنعه بشيء وإن كان غير المختبر له يظن أنه أقنعه بكل شيء للين عريكته ولطف معاشرته وكثرا سوابقه وقلة معارضته وكراهته مواجهة أحد بما يكره الا اذا غلبه الغضب هو سريع التوبة بعد الغضب وقد حاشرت زهاء نصف سنة كنت ألقاه في أكثر أيامها ولم أقف له على عقيدة راسخة في السياسة الا استحالة اخراج فرنسا وانكسرة من البلاد العربية الآن ووجوب العمل مع احدهما وخدمة البلاد بساكنها في ظل وصايتها والاستماعة بمبادئها على تخفيف وطأتها على انه لا صرح بهذا تصريحاً جليلاً وهذه نظرية كل من وانوا الاجانب في هذا الطور الذي نحن فيه كفتي بك المظم وداود بك عمون فلا ارى فرقا بينهما وبين الامير صل والامير عبد الله وان كان أتباع الاميرين يمدون هذين من الخائنين منهم ووطنهم والاميرين من المحررين لها ولعلنا نكتب مقالاً في ترجمة الشريف صل وسيرته في سورية يحمل حقيقته ماثلة لكل قارى

جاء الامير فيصل سورية من فرنسا (في ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٣٨) بناير (١٤ / سنة ١٩٢٠) وهو به نقد انه بانفاقه مع كلبه نصو على قبول الرصاية نسبة مع تخفيف شروطها قد خدم سورية أجل خدمة ولكنه لم يستطع ان يقيم به الخاص بذلك وهو الذي عمل له كل شيء وحاول أن يأتلف حزبا من المحافظين بين به على ذلك وكان ذلك حزب عبد الرحمن بك اليوسف الفرنسي النزعة الذي بالحزب الوطني ولكنه لم يستطع مساعدته ولا لاستماعة به بعد أن تعرف اليه

لما لقبناه هنا بالشريف لانه اللقب المشهور الثابت له وقد صار أميراً مؤقفاً من سورية من قبل الخلفاء ثم ملكاً عليها بنصب المؤتمر السوري العام وموافقة الشام ثم مهاجراً سياسياً في أوروبا ثم مرشحاً من بريطانيا العظمى لدولة العراق

وتذكر لحر به وظال سلطان الحزب الاول عليه أقوى من سلطانة على الحزب على ما أرقم فيه من الشقاق فالحزب هو الذي منعه من العودة الى أوربة وحمله على قبول اعلان استقلال سورية وجعله ملكا عليها وارضاها بحمل ملكها ارثاني ذريته ويجعل الارية لجبازية راية سورية مع زيادة نجم ابيض في الزاوية الحمراء التي هي رمز علم شرفه مكة فيها وجعل القواعد التي بنى عليها المؤتمر السوري اعلان الاستقلال نقطة على اساس الاعتراف بأنه قد حارب الترك من قبل والده مع جيوش الحلفاء لاجل تحرير البلاد العربية وتحقيق استقلالها الذي كان يشده احرارها وارادوا ان يكون هذا حجة على الحلفاء وذلك عزز به نصر مجت وزراء الحلفاء التي كانوا يفوضون بها في أيام الحرب كما تقدم بيانه من قبل. وقد كان الواضح من قرار المؤتمر من أعضاء حزب الاستقلال السوري قد عرفوا الحقائق في هذه الشؤون اذ زالت تلك الظلم والغواشي التي كانت تحجبها عن ابصارهم ثم عرفوا كل احد بعد رفض الحلفاء التصديق على الاستقلال وما كان من أعمالهم العسكرية والادارية في سورية الجنوبية والشمالية . بدل على ذلك ما كان يلتقي في المؤتمر السوري العام بدمشق من الحطب في انكار تلك الاعمال والظلم فيها وما كان بين المؤتمر وبين الملك فيصل ووزارتيه مما نلم به بعد

واقعد علم الذين قاموا بدعوة اعلان الاستقلال وهم في أسبابهم او قدماءها ابد ممارسة الحوادث ان فيصلا قائدا للحلفاء موكول اليه حفظ الامن في المنطقة الشرقية الى أن يفرغوا من ابرام ما يريدون من أمر مستقبل البلاد — وانه قوة رسمية ومالية فن الا فكلين كانوا يدفعون له راتبا وكانوا يعطونه حصص المنطقة الشرقية من جمر كحيفا وصور الفرنسيين يعطونه مثل ذلك من جمر بيروت بندا للموادة وقطعوه عند الحادة . — وانه ياتس من الاستقلال التام الناجز وان كان أولى من غيره بحبه . وانه ابن سلس كان في أول المهديس في البلاد كإيشاء البريطانيين ثم جاءها أخبرا من فرقة يدعو الى الاتفاق مع الفرنسيين — قالوا ان يستفيدوا بما أوتي من قوة وضغط بما ارادوا من اغتنام فرصة الحرية التي نالها المنطقة الشرقية باسمه ونحت قيادته باعلان الاستقلال التام سورية المتحدة بجميع مناطقها .

اجعلوا الحلفاء نجاحا مرقع بسعة مسلة لهم معترفة بفخامهم وراكية قد من قوادحهم .

(المشار: ج ٦) (٥٩) (المجلد الثاني والعشرون)

فإن ساعد القدر على قبولهم ذلك فهو المراد والا فإن حال البلاد معهم بعده لا يخفى
أن يكون شرا مما كان قبله ، وذلك أنهم حينئذ ينفذون الاستعمار الذي سموه انتدابا
بالقوة العسكرية فيكون وجودهم فيها مخالفا للحقوق الطبيعية والاصاحية ولما هدته
الصلح الكبرى وما فيها من عهد عصبة الأمم المصرح فيه بأن البلاد المشروط في
استقلالها قبول الانتداب يجب أن يكون لأهلها الحق الأول في اختيار الدولة
المنتدبة وشكل الحكومة التي ترضاه . وبهذا يكونون غاصبين ويكون لبلاد التي
التي لا يرد في معارضتهم عند كل فرصة ممكنة . وأما إذا قبل الشعب الانتداب باختياره
فانه يكون قد قتل نفسه بيده

بجمل ما كان بعد اعلان الاستقلال

أعلن الاستقلال بصفة قاصرة المثال وبلغ امر اعلانه لدول الحلفاء محلا للنظر
وكان جواب انكسار لفصيل أنها تعترف له بصفته حاكم على رأس حكومة مستقلة
لكن يجب أن تقرر الصفة الرسمية في مؤتمر رسمي ودعته الى حضور مؤتمر (سان
ريمو) وتردد أولا لان الرأي العام لم يرنح الى سفره وفي مقدمته المؤتمر السوربي الذي
كان يلح عليه بوجود الاستعداد للدفاع عن البلاد وتأييده جميع الاحزاب . ثم اقتم
الا كزرون باستحسان السفر بعد إلحاح انكسار به وقد طالب من الجنرال غورو في
٨ يوليو (تموز) تعيين سفينة نقله الى أوزة فاجابه بأنه يجب عليه قبل سفره أن يجيبه الى
مطالب طالبا منه من أهمها اباحة استعمال الحط الحديدي من ريباكي لحلب لنقل الجنود
الفرنسية والذخائر الحربية وانذره أنه اذا سافر قبل تنفيذ هذه المطالب سطر يقى آخره
فرصة تكون حرة في أعمالها ، ولم يقبل تقويض النظر فيها الى لجنة مختلطة من العرب
والفرنسيين والانكليز حسب الاتفاق مع الرئيس كايانصو

انذار الجنرال غورو للملك فيصل

ثم أرسل اليه الجنرال غورو في ١٤ يوليو انذاره المعروف الذي صرح فيه بمطالبه
الخمس وهي الاعتراف بالوصاية الفرنسية على سورية بلا شرط ولا قيد وتسليم الخط
الحديدي المذكور آغا سلطة العسكرية الفرنسية - والعائد للخدمة العسكرية الاجبارية
وتجمل عدد الجيش المتطوع كما كان في العام الماضي وتسريح سائر الجنود - ومناقبة

المجرمين المؤتمرين بالمصالحات والمخرضين على فرنسا - وقبول ورق البنك السوري الذي سته فرنسا بحمله نقدا وطنيا رسميا. وجعل آخر موعد لاجابة هذه المطالب نصف الليل الذي ينتهي به اليوم ١٨ من الشهر

لم يكن في وضع الملك فيصل المبادرة الى اجابة هذه المطالب لان المؤتمر السوري العام والاحزاب السياسية كلها كانت لغير راضية منه ولا من حكومته لعدم قيامها معها بحسب من الاستعداد لحفظ الاستقلال والدفاع عنه ولهذا اضطره الى اسقاط وزارة علي رضا باشا الركابي ثم راوا ان وزارة هاشم بك الانامي التي خلفتها لم تكن قوى منها فحاولوا اسقاطها ، ولما شعروا بهذا الانذار الذي أعقبه الضعف والاهمال رسوا الادارة اشتد هياجهم وسخطهم وسرى الهياج الى شرائطية الاهالي الذين اندفعوا الى الاستعداد للدفاع عن البلد وصادوا يطمنون في الملك فيصل جهرا ويخمدونون بالايقاع به حتى انه وضع من كان لديه من الجند الحجازي حول داره لحمايتها - وسمى الى الجمران غورو ملتصقا منه تمديد مطالبه فاني -

وفي فترة ذي القعدة - ١٧ يوليو كتب الي رئيس الوزارة بأن الملك يرغب أن ألقاه مع جميع أعضاء المؤتمر في داره مساء فاجابا الطلب وقبلته مع وزرته فشرحنا المخرج الذي وصفت اليه حال البلاد ونسج الهواء بغير عقل وخذلنا انكثرة حتى لا يرجع منها أقل مساعدة كما أبقى اليه تخد بك رسم من لندن وان الحكومة حجج على الجنرال غورو لاستطباع الادلاء بها في أوروبا وله عليها حجج مضاه حق وبعضها باطل ينشرها حيث شاء . ثم طالب من الاعضاء أن يكتب اليه كل منهم برأيه على حدة في كتب مخنومة وعامدهم على انه يعمل بها ولا يطلع احدا عليها فانصرفوا وهو يحسب أن سيكتبون ولكنهم لم يكتبوا اليه وعدوا اقتراحه خداعا يريد ان يمتنع به على قبوله للمطالب الفرنسية ويجعل التهمة على المؤتمر...

ثم ان المؤتمر عقد في (٣ ذي القعدة ١٩ يوليو - تموز) اجباها سرا بغير رسمي تبارى فيه الخطباء في الطعن في الحكومة لاعتداهم ثم قررت التسليم بمطالب الجنرال غورو ثم عقدوا جلسة رسمية اكتظ مكان المستمعين بحضورهم من الوزراء وزوايا الاحزاب وأعضائها وقرروا فيها بالاجماع ان قرار المؤتمر التاريخي المتضمن لاستقلال

سورية ووحدها ورفض الهجرة الصهيونية وملكية فيصل قرار واحد اذا نقض بعض نقض كله وان كل حكومة تقبل الوصاية لا تكون حكومة شرعية وأنه لا يبعد بمعاهد لا يقبلها المؤتمر - وقد طبع هذا القرار ونشر في العاصمة

وفي اليوم التالي (٤ ذي القعدة ١٣٥٠ يوليو) أصدر أمره بأجل عقد المؤتمر شهرين لا المماليك انثياية تقفل في مثل هذه الحال الحربية - وقد قرأ وزير الحربية الامره على المؤتمر وكان منه رئيس الوزارة وانصرفوا جميع بمنتهين وكان بعض الاعضاء يريد بعد امثال هذا الامر فاقضتهم بأن هذا خير للمؤتمر وأني سررت به ولولا لا اقترحه على الاعضاء ان يقرروا ذلك من تلقاء أنفسهم، ذلك بأن دمشق كانت في أشد الحيا والخط على ملكها ووزارته سواء في ذلك الاحزاب والجماعات والافراد وكان يرجون من المؤتمر مالا قبل له به - وما تم الا الإزام الملك والوزارة برضاها الجنرال فوررو والدفاع عن البلد أن هوجمت بنيا وعدوانا او اسقاطهم واقامة حاكم عسكري مفروض (دكتور) يدافع عن البلاد بكل الوسائل الممكنة ، ولا يوجد البلد من هو أهل لنوط ذلك به والثورة الداخلية غير مأمونة وكل ما يترب على ذلك من النوازل يكون حينئذ في عنق المؤتمر الذي لم يأت انما ولا آخر في الخدمة وسع وقد أصبحت الامة كلها راضية به بعد ان كادت الدساتير تديرها عليه ، وانني علم أن التجديد الاجباري الذي قررته الحكومة بضمم المؤتمر والحاجه قد كان عم سوريا وانها لم تنصده بالايهام الامة ما يرضيها وايهام فرنسا ما يحملها الى التساه فيها نطلبه ويطلب منها

انفض المؤتمر وكانت المراسلة بين الملك فيصل والجنرال فوررو على قبول موا اذاره متصلة فلما أصر على قبولها كلها أمر الملك قبل كل شيء بسرريح الجيش السوري من ثكناته ومواقفه الحربية واهما مضيق مجدل فخرج الحصين في طريق جيش الجنرال فوررو الزاحف على الشام فمرح الجيش غير نظام فترتب على ذلك أ نهب الاسلحة والذخائر وحدث ثورة في شوارع دمشق وهاج الشعب هاجا شدي وكثر التصريح في الشوارع بالهتاف للمؤتمر وبسب الملك فيصل وأبيه والتمرد بخيانة ووجوب قتله وقد اضطرت الحكومة بمن بقي عندها من الجند لحفظ الامن ان تقا

اشورة بالسلاح حتى انها استعملت المدافع الرشاشة في ذلك وقتل كثيرون
- قتل ٥٠ وقيل ٧٠ - وجرح كثيرون - قتل ١٥٠

قبلت الحكومة برئاسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنه قبول الوصاية
بلاشرط ولا قيد فاصبحت بذلك ساقطة مع ما فيها من غير شرعية بقرار المؤتمر المذكور آنفا.
ثم انها علمت في اليوم التالي بتسريحها الجيش (وهو ٢١ يوليو) ان جنود الجنرال
غورو زاحمة على دمشق وعلمت بعد المراجعة بين الملك وبينه ان حجته على الزحف
ان جواب القبول تأخر عن موعده وهو الساعة الثانية عشرة من نصف ليل وكان قد
أصدر أمره للجيش بالزحف ولا يمكنه اية فة بعد وقد احتل المواقع الحصينة كمجدل
عنجز - وهي تقول انما كان الذي تأخر وصوله اليه هو ما طلبه من التفصيل لامر
التسليم بعد أن وصل اليه البلاغ الرسمي بقبول الشروط في عاليه ، وان سبب تأخر
برقية التفصيل انقطاع السلك البرقي باستعمال الجيش الفرنسي له

عظام الخطب على فيصل ووزرائه لما رأوا انهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك
الشروط الخزية ليدفعوا الاحتلال عن دمشق وبيقوا فيها متدعين في ظل الوصاية
وخدعتهم بما كانوا عليه بعد أن قالوا في عدم امكان قبولها ما قالوا من المبالغات وبذفيضل
من يقبلها بأقبح الاتفاقيات - وعلموا أنهم خسروا كل شيء - وظهر لهم أن القتل والكفاية
في التسليم أن يكون آخر ما يملك من الشروط تسريح الجند - فصدر الامر باق
الجيش بالوقوف عن الانسحاب فوقف غربي (خان سليمان) ووقف الجيش
الفرنسي الراحف وراءه على بعد مرمى القنابل منه وجعلت هذه فرصة لاستدنف
المفاوضة في ايقاف الزحف على دمشق وتولى ذلك ساطع بك الحصري (وزير
المعارف) فسافر الى الجنرال غورو فلم يلق نجاحا

وفي يوم الخميس (٦ ذى القعدة - ٢٣ يوليو) زار فيصل وزارة الحربية وكلم جموع
المتطوعة وحثهم على الجهاد وكان جميع الرعايا ورؤساء الاحزاب وبلغهم انه أعلن
الحرب رسميا وانشتر ذلك في الجرائد وصلى الجمعة في يومها في الجامع الاموي وسعد المبر
بعد الصلاة وحث الناس على الجهاد معه لحماية الدين والوطن - قتل كثير من الناس
انه يريد بهذا استعادة مكاته وكان الناس في هرج عظيم وانقلب على التعاوع

وبذل اكل ما يلزم للافعين من طعام وذخيرة - ولكن الوقت لم يمدد فسلم لعدل مفيد
ثم ذهب فحصل مساء الجمعة الى (الهامة) وجعلها مركز قيادته وبلغنا انه أرسل
أمنته الخاصة وذخائره الى (درعا) وان الحكومة أرسلت أوراقيهم ودفاترها اليها أيضا.
ثم انه ذهب في مساء السبت الى محطة الكسوة بمن معه من وزرائه ونخواصه ومنهم
بعض الشبان وأرسل اليه طعام العشاء من دار عبد الرحمن بك البوسف وذلك بعد انتهائه
معركة خان ميلون التي قتل فيها وزير حريشته يوسف بك العظمة وفرقت الطيارات
شمل من كان معه من العسكر النظامي ويقال أنهم كانوا زهاء خمسمائة جندي .
وعاد في المساء بجبل بك الاثني حاجيه الاول وكان ذهب مع موسيو كوس (الذي
كان ضابط الارتباط الفرنسي في دمشق وصار بعد الاحتلال رئيس البشة الفرنسية
للاتداب مدة من الزمن) الى الجنرال غورو للاتفاق معه بابهم الملك على صفة دخول
دمشق وقد هاد معه في سيارته مبنهجا مسرورا ١

وفي صباح يوم الاحد (٩ ذى القعدة ٢٥ يوليو) رأيت نوري باشا السعيد
فأخبرني ان الجيش الفرنسي يدخل الشام بين الساعة ٩ والدقيقة ١٠ وبمسكر في
(المرزة) من ضواحي البلد وان الملك يدخل الساعة ٩ ونصف ولكنه لم يدخلها الا في منتصف
ليلة الاثنين وأقف وزارة جديدة من الموالين أو المياليين الى فراسة رئيسها علاء الدين
بك الدروبي ، وقد كانت عودته الى دمشق من الغرائب . ورأيت نوري باشا في صباح
الاثنين أيضا فأخبرني بأن القائد الفرنسي قبل الوزارة الجديدة وانهم لا يمترون
بالمالك . فقلت له وكيف ندتم به الى العاصمة ؟ .. قل لم يكن هذا رأيي وانما هو
رأى جماعة الذين درطوه وفي مقدمتهم الدكتور فلان - وفي يوم الثلاثاء بلغته السلطة
المختلة وجوب الخروج من الشام قبل نصف الليل . بلغني ذلك بعد العشاء
فذهبت الى داره لوداعه هل ما كان وقع من الجفاء بيننا من قبل الانذار الفرنسي
الذي لا علاقة له بالوادة الشخصية فوجدت في الدار أفراداً من الشرطة بلغني أنهم
غرس على أثاث الدار لئلا يؤخذ شيء منهم ١١ وكانت الساعة نصف اعمجني فيها
صبره وأمله . وكان ذلك في الساعة الحادية عشرة ايلاً وقد خرج بعد وداعي له بنصف
ساعة وحمله قطار خاص بمن معه الى درعا

يوسف بك العظمة

ولا بد لي من كتابة كلمة في هذه الخلاصة التاريخية بشأن يوسف بك العظمة الذي كنت معجباً بما أوتي من الذكاء والنظام والهمة والنشاط والوطنية وحسن السلوك منذ عرفته منذ عرفت معنيته للحكومة العربية في بيروت الى ان عين وزيراً للحرية باقتراعي وسمي بممّ بعض الاخوان استبد يوسف بالعمل في وزارة الحربية وكان يكتم أعماله حتى عن رئيس الوزارة بل يسمي الامر الاعلى انك فيها أظن ولما اشتدت لازمة شأنه هل هو مستعد للدفع؟ قل نعم اذا وافق الملك واذا خالفه لم يخش ان يلجأ الى الاجانب.. ولما عين ياسين باشا الهاشمي قنصل لموقع العاصمة عتب الانذار وأظهر للوزارة ما فيها من القصة أى على خلاف ما كان يقول ثم اتدافق الوزارة على قرار التسليم طائب غورو — بعد هذا كما رأيته في بيت الملك مع الوزراء فكانت له وجهة كلامه شديدة ذكرته ببعض كلامه فقال روجه بمنتهى كوجه الميت التي مذهب واتحمل توبة علي وكنت البارحة انحر من انهم فلا تزد علي . ولما خرج الى الدفوع عن بني معه من قبايا جيشه تزين وليس ملابس الرضوية ووطن نفسه على الموت — فكان شرفه الذي امتار به أنه لم يقبل ان يعيش ذليلاً بل أراد أن يكفر بدمه عن ذنب التقصير المبني على الثقة والغرور كان فشل هذه المدافعة بخان ميسلون أمراً جليلاً لا يجهله مثله ولا مثلي من لا يعلم من الحرب شيئاً ولذلك رغب الي الكثيرين ان اخطب في الشطوعين وفي بعض المساجد في الحث على الدفوع فاستجبت — كما أتيت مراراً أن أخطب في الاحفلات السياسية — وقلت لبعض الحواص التي لا أغش أحداً ولا أستطيع أن أقول في هذا المقام ما أعتمد لانه يقصر الآن ولا ينبغي وقد نصحت للمعلمين في كل شيء في وقت فلم يقد — على ان ما اندفعت اليه الامة من أمر الدفوع شريفة ولا بد منه

خلاصة آراء فيصل والامة وغورو

وخلاصة الخلاصة ان فيصلاً كان يعتقد ان الوصاية على البلاد أمر مقضي وانه لا يمكن إيجاد قوة وطنية تحفظ الاستقلال فكان لذلك يجتهد في ارضاء كل ذي مكانة وقائمه الذين يضع الحيلة في التمرار الاخير الذي كان يرى انه قد در على السعي الى جعل وطأة الوصاية فيه خفيفة، ولذلك لم يهتم أمر الاستعداد للدفاع بتعليم قوى المشركين ولا بالجيشين

النظامي ولم يكن يعتقد انه يهاجم هذه المهاجمة فلما هوجم لم يجد بدا من الخضوع - فهو لم يستعد للقتال ولو دفاعا وما اضطر اليه من ايجاد جيش دفاعي جيش . نظام يادر الى تسريحه عند الحاجة اليه ، وقد أعلن الحرب في الوقت الذي كان يفاوض في أمر التسليم وهو لا يزال يرى ، أن رأيه كان هو الصواب وأن كل ما خالفه خطأ وأنه أخطأ لعدم الاحتياط بذنبي ما كان يراه بالقوة . وقد صرح بخطئه وعمله مرارا في أوردية وبلغنا انه يريد ان ينشر فيه كتابا رسميا

وأما زعماء الامة الذين خالفوه فقد بينا انهم علموا بمد طول الاختبار ان الدولتين شرهتا في تنفيذ ما اتفقتا عليه من استعمار بلادهم فلا ولي أن تقارنهم الامة بالحجة وبالدفاع عن نفسه اذاها جموها بالقوة ليكون مركزهم فيها مكراما تسب وقبول الانتداب يجمله شرعا وأما الجنرال فورو فكانت سياسته اخراج الشريف فيصل من سورية مها تكن حاله لانه ناصبهم وأغرى المصائب والمشاوهم وصار له نفوذ في البلاد يمكن أن يكون خطرا عليهم في كل وقت ولا سيما اذا اشتد الخلاف بينهم وبين الحكامة التي يعدونه من صناتها المخالسين لها فهو قد حارب الامير فيصل القائد المجازي الذي يعدمه أجنبيا عن سورية لانقاذ سورية من نفوذ دولة الحجاز ولو باسم الانتداب والوصاية الفرنسية ، وعد ما أخذه من السلاح والذخائر الحربية غنيمة حربية ، وكل ذلك بين ظاهر في الاقوال والمكتوبات الرسمية

الطور الاخير للمسألة العربية

ان ما نقم على الدولة البريطانية من مضلات المشكلات المالية والسياسية والاستعمارية والاجتماعية واعيانها دون حل عقدها أو عندة منها قد اضطرها الى ترك جزيرة العرب لامراتها مع اصطناع من أمكن اصطناعه منهم والتبريد للتدخل الاقتصادي والغني بالتدريج ثم الاستمارة بأوليائها ملاك الحجاز واولاد في سورية وفلسطين والعراق ومد الاهراض عنهم وعدم المبالاة بصراخهم حربية الزلجة بمكة بالاستمطاف والاستمارة والتدبير « بالهرد والعود والحجة والحسبات البريطانية » وعدايتها الملك الحاروج عن مرضاتها مساريا للردة والخروج عن رحمة الله تعالى وتسله في دلتها بقول الشاعر

• فان كنت مأكولا فكأن انت آكلي •

والغرض الأول من هذه السياسة والادارة المؤقتة تخفيف النفقات عن كاهل دافعي الضرائب في بريطانيا العظمى الى أن تنحل عقد الماشكلات وتؤسس وسائل القوة في داخلية البلاد العربية بأقل ما يمكن من النفقة، والثاني دفع إغارة العرب من وراء الاردن على فلسطين ومساعدتهم لاهلها على اليهود الصهيونيين، والثالث إخضاع العراق والاستعانة بحكومتها الجديدة على مقاومة الترك وحلفائهم من مسلمي الشرق وبولشفيك الروس اذا اصرروا على تنفيذ فكرة الجاسمة لاسلامية ومقاومة الاستعمار الانكليزي في البلاد العربية والمعجبة . وبلغنا انهم أعادوا الراتب الشهري لملك الحجاز بعد دعوة ولده فيصل الأخيرة الى لندن فجلوه ١٨ ألف جنيه أو ٢٠

عمل وزير المستعمرات بمصر وفلسطين

جاء مستر آشرفل وزير المستعمرات البريطانية مصر في شهر مارس الماضي ونظر في مسألة حفاظ الطياران فيها وقابل فيها الوفد العراقي الانكليزي الذي استعصر لاجل الاتفاق معه على أمور العراق الداخلية والعسكرية ثم سافر الى فلسطين فأذن أهلها بدوام السلطة الانكليزية على البلاد وتنفيذها لوعده بلفور بجمعها وطنا قويا لليهود، وقابل الشريف عبد الله بن الحسين ملك الحجاز وجعله حاكما لشرق الاردن. اتبع لحكومة فلسطين واستمداد السلطة من ممتددا السامي واعطاء من القوة العسكرية والطائرات ما يمكنه من إخضاع كل من يشذ من عرب تلك البلاد عما يراد بها وتأمين ما تنشئه السلطة البريطانية فيها من أسباب المواصلات ووسائل القوة وأولها محطة التلغراف اللاسلكي وحظيرة الطيارات، وبلي ذلك مد السكة الجديدة العسكرية من فلسطين الى العراق وقد قرروا اعطائه حصص جبرك حيفا للدخالية وهي ١٢٠ ألف جنيه في السنة

تكرم وجهه عراقي لجمعرف باشا العسكري

كان في اعضاء الوفد العراقي لجمعرف باشا العسكري الذي كان احد قواد الشريف فيصل في حرب فلسطين وسورية وعهد اليه الانكليز في العراق بتأسيس الجيش الوطني بعد أن ذهب الى بغداد لاجل بث الدعوة لجمع الشريفة فيصل ملكا للعراق وكان قد تجاء مصر منذ اشهر شاب من وجهاء البصرة المشايخين للانكليز وهو

(عبد القادر بك آل باش اعبان) وقد دعا هذا الوجه طائفة من وجهاء مصر وسورية والعراق الى مجلة شامي في فندق شبرد تكريماً لجمهور باشا في ١٨ مارس ولما جاءته رزمة الدعوة خطرت لي أنه ربما كان لها معنى سياسي ولما جثا الفندق دعينا الى حديثه لأجل تصويرنا مع المعتزل به بجمتمعين فأبقت ذلك مع أفراد آخرين. وبعد شرب الشاي استندد شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكفظمي فارتجل قصيدة تناسب المقام، وأثنى عليه بعد انديده الشاعر السوري المصري بأبيات منجولة في المجلس ثم دعي الدكتور فارس افندي ثم أحد أصحاب المنظم الى الخطابة فأجاب
خطاب الدكتور نمر في المسألة العربية

بدأ الخطاب بالثناء على الدولة البريطانية والشم اذ قلما بالرغبة في ترقية الشعوب ونحو برما والاخلاص للعرب فيها وضوء من بدعة الانتداب قل ولكنني على هذا الاعتقاد فربما قد انتهت عليهم تقسيم سورية وانتهت منه ورأيت ضارا بالدورين مفرقا لهم ولم اكتم ذلك عنهم بل غابت عليه واضع اساسه السير مارك سايكس المحب الخالص للعرب ولكنه بذلك في هذا الفندق الذي نحن فيه فاجابني قائلا اننا فعلنا هذا المصلحة العرب أيضا لانهم اذا ظلمهم احد افريقين وشدد عليهم الوحشة اتحدوا عليه بلين الفريق الآخر وحسن إدارته وعدله !!

ثم ذكر مسألة مصر والاراق وعزم الانكليز على منعهما الاستقلال وما يجب من نبد كل خلاف في هذه السبيل والاجماع على تأييد الحكومتين اللتين تؤسسان في القطرين لانهما تجربة اذا فشلت قضى على الامة العربية والشرق كله بأنه خير أهل للاستقلال بنفسه. ثم ختم الخطاب بقوله انه يعتقد أن جميع الحاضرين على رأيه - فصفق له بعض الحاضرين ووقفته الرد عليه:

خطبة الكاتب في المسألة

افتتحت خطابي بقولي اني متعلقل بالمطالبة لم أدع اليها ثم قلت : انه كان الظاهر من هذه الدعوة انها شخصية يريدونها المحتفل تكريم صديق له لاسياسية كما ظهر من خطاب الدكتور نمر. ولون التأييد بين رأيه في الموضوع الذي تكلم فيه ولم يحاول من الحاضرين حتى اقراره عنده وطلب الموافقة عليه بالاجماع لكننا في سعة من السكوت ولكنه قال انه يشن ان الجميع على رأيه وقد صنف

له أفراد وسكت الباقون فيمكن ان يقال ان السكوت رضى واقرار. والاجماع السكوتي يختلف فيه عدد علماء الاصول بعضهم يقول انما حجة بشرطه والاخرون يقولون انه ليس بحجة

وقد سبق لحفزة الدكتور خطاب في اجتماع مثل هذا طلب فيه الموافقة على مقاله في اتفاق سنة ١٩١٦ على اعلان الحناء له وهو مطالبتهم بترد الترك من بلادنا وتقويض أمرها اليهم وتحسين الظن بهم فاضطرت الى معارضته وتشد كما اضطرت الآن وحال ذلك دون موافقة ذلك الحفل على ما اقترحه. ويظهر الآن انه لا زال على رأيه الاول بعد ان مزق الحناء شمل سورية وجعلوها بضعة بمالك أودول دينية فأوقد ذلك فيها نيران الثورات والفتن بحيث لم يفعلوا بشيء من بلاد أعدائهم مثل هذا التزيق والتشكيل في بلاد أسد قائمهم:

وأغرب ما جاء في خطابه الآن مانقله عن المرمارك سايكس الذي شهد له بالاخلاص في حب العرب مع العلم بانه هو واضع معاهدة اتفاق سنة ١٩١٦ على اقتسام بلادهم واستمبارها، وهوان هذه القصة التي قال الخطيب انه كان قد استأه منها لم يعمهم عليها الا شدة حب العرب ومراعاة مصالحهم بما تكون قسمة بلادهم بين سيدين مالكيين وسيلة الى احتجاجهم على من اساء منهما وظلم، بفعل من أحسن ورحم، ولكن ماذا يعملون اذا اتفق الفريقان على الاسائة والظلم؟ وهانحن اولاء نرى وطأة بريطانية العظمى في القسم الجنوبي من سورية اشد من وطأة فرنسة في القسم الشمالي منها خلافا للهوود والمشهور في الاستعمار الذي يشهد فيلسوف فرنسة الاجتماعي غوستاف لوبون بتفضيل المنهج البريطاني فيه على المنهج الفرنسي كما بينه في كتابه روح السياسة او فلسفة السياسة - ذلك بأن بريطانية زادت على ما شاركت فيه فرنسة من الاستئثار بادارة البلاد أن جعلتها وطنا قوميا لغيرها اليهود الصهيونيين وقررت تخليكمهم رقية ارض البلاد باعطائهم الاراضي الاميرية فيها التي شي ملك بيت ملك المسلمين وأمالك السلطان عبد الحميد التي اغتصبها من الاتمالي وتريد أن تجعلهم أكثر اهل البلاد بالتدرج حتى تخرج عن كونها عربية. وقد نجت اصوات اهل البلاد من اقامة الحجج والبراهين فلم تكن عنهم شيئا وقد سبق لي في سنة ١٩١٥ جدال عنيف مع المرمارك سايكس في هذا الفندق عادت منه مايسرون ببلادنا وأما مشروع تأسيس حكومة وطنية في المراق تابعة لموازاة المستعمرات

الانكليزية فهو لا يفر أحداً من العرب لانهم يطلبون الاستقلال لا الاستعمار الاجنبي ، وغرض الدولة البريطانية منه معروف صرح به ناظر المستعمرات وهو استثمار البلاد بأقل ما يمكن من النفقة لاسكات دافعي الضرائب عن الممارسة للحكومة فيه .

قرن الخطيب مشروع حكومة العراق بمشروع استقلال مصر الذي يطلبه الوفد المصري وأين هو منه ؟ ان المصريين يطلبون أن تكون بلادهم دولة مستقلة في داخلها وخارجها ذات مجلس نيابي منتخب وحكومة مسؤولة لديه وسفراء وقناصل في الممالك الاجنبية وأن يمدد بينها وبين انكسرة اتفاق أو تحالف تحفظ هذه مصالحها وتكون بمثابة على غيرها من الدول فاذا كانت انكسرة تسمح بمثل هذا في العراق يكون اقتراحه وجيهاً جيداً بأن يقبل بالتحفظ الواجب

(تم بينت ان الامة العربية قد عرفت الحقائق فلا تتخضع بحلابة الانفاض ولا يعوزها الا جمع الكلمة واتحاد كاتحاد الشعب المصري بين ابناء الملل والمذاهب والا اضاعت نفسها)

قلت : واني اذكر في هذا المقام حديثاً لي مع مدير المخابرات البريطانية بدمشق اذا كان تفضل بدعوتي الى شرب الشاي عند جلسته مع سديب افندي الحوراني — ولعله مناهنا — ودار الحديث بيننا على المائدة في المسألة المصرية ثم في المسألة السورية قال : أترى ان سورية تستفي عن مساعدة أجنبية ؟ قلت لعلكم تظنون ان مثلي يستحي أن يدعي ان بلاده وصلت في الارتقاء وال عمران الى الدرجة التي تجرثه على القول بأنها تستفي عن مساعدة فلا مندوحة له عن الاعتراف بم حاجتها الى ذلك فتقوم عليه حجتكم بوجوب الرصاية عليها . أنا أقول ان الامم والشعوب كالأفراد لا يستفي بعضها عن مساعدة بعض — فهذه بريطانيا العظمى التي وصلت الى ما يعلم كل الناس من الحضارة وسعة الملك وحسن الادارة والنظام قد اعترفت ملكها السابق السياسي العظيم (ادورد) بأنها محتاجة الى مساعدة رجال من الالمان على تنظيمها — روت ذلك مجلة بريطانية عن أميرة انكليزية (هي الكونتس ورك) قالت انه شرب الشاي عندها قبل وفاته بثلاثة أشهر فذكرت له في محاورها معه بنفسه لابن أخته (غليوم) عاقل الالمان ففني ذلك وذكرها اعجابه بما وصلت اليه الادارة الالمانية من الارتقاء والنظام ونحوه

لو أن معه رجالا منهم يتولون إدارة بلادهم والكلهم الأجاءوا لا يخرجونهم قد
ترجمت هذه المقالة بالعربية ودرست في عدة من الصحف المصرية (١) فإذا كان منكم
يقول بأنكم يحتاجون إلى مساعدة أمة أخرى فهل أقول أنا اننا نحتاج إلى المساعدة
غيرنا ممن نعرف بأنهم أعلم منا وأرق تفكرا ولا والله أقول أن المسألة مسألة نفع
للمساعدة ، انكم تطمعون في استعرا بلادنا والسيادة عليها وتطمعون في
مساعدة لإقامة الحجة وتكوين الخطب علينا أن المساعدة بمنناها اللغوي المبرور
من أعمال الخير والبر التي لا مشاحة فيها ولا تنازع ولا خصام فإذا ساعدت مقبرا
على مدينته بأعطائه جنيا فلا اقاروه ولا اخاصم من يعطيه جنيا او غير
جنيات . فما بالكم تحتصمون وتنتزعون في قسمة البلاد التي تدعون الرغبة
في مساعدتها؟ ثم ان الاقتناع بقبول المساعدة الحقيقية لا يكون بقوة السلاح
فما بالكم تحتلون البلاد بالجيوش المساعدة بجميع أنواع الأسلحة وتفتكون بمن
لا ينضم لكم من شعوبها

ثم سأله بشرفه واستقلاله الكسوي أي الملتصقين خيرا في حفظ الأمن العام والحرية الشخصية وعدم التعصب الدينية والمذهبية المنطقة الشرقية التي يتولى ادارتها العرب الذين بعد عهدهم بالادارة أم المنطقة الغربية التي يتولاها الفرنسيين ؟ فأعترف بتفصيل المنطقة الشرقية في ذلك : فقلت اذا يكون
 منسوب الى ... اعذتنا الى مساعدتهم فسحكت وسحكتنا
 ... كنت أحب أن أظن القول في هذا الخطاب مما أشرت اليه من ...
 ... ولتتعاون بيني وبينهم ... والتوجه بانحاء الشعب المصري الذي صر بشفة
 مثلا ... الشعب ... وبما يفتقنا من وحدة الرعامة ولكن خشيت من
 الحاضرين الذين فوحشوا من السياسة بما لم يكن ينتظره أكثرهم ، ورأيت ان
 أترك وقتا لتعريي فاكتمت بالإشارة

وفي عام ١٩٥١ حينما فندى كامل الحبيب الكاتب المصري المشهور قائلاً: نحن نعلم
بليغاً ما فيه من تكافؤ الواقع للفظة مما كنت أحب السلام فيه من وجوب التعاون
دولاً وليس فقط المبادئ المختارة لخدمة الكرامة من سائر الشعوب العربية

(١) راجع إلى مارس سنة ١٩١٦ من المجلدات النوع ١٩ من الملف. وليس عبارة الملك لترجمة «وإحدا الوحكما الامن لمدة التكاوية لاصلاح ادارتنا... ولكن المصيبة انهم اذا اتوا ليحكموا تاذر علينا الخلاص منهم»

وتوسع أيضاً في السياسة الانكبابية وما لها من المصلحة والمنفعة في اجابة الشعب المصري والامة العربية الى الاعتراف لها بحقها في الاستقلال التام - فكان خطابه تأثير حسن عام . وتلاه جندي بك ابراهيم صاحب الوطى فتكلم في المسألة الاولى وأجاد

وبعد أن ختم صاحب الدعوة الاحتفال بالشكر المعتاد وشرع الحفل التجمع في الانصراف وقبب الدكتور عبد الرحمن شاهيندر على كرسي واستوقف الناس لسماع كلمة منه فوققوا وبدأ كلمته بأن السيد رشيد رضا يغلب عليه التشاؤم وهو يجب ترجيح التفاؤل، ثم اننى نرى المصريين ومصر ملجأ الأحرار بما رجى ان يزيد الولاء بينهم وبين اخوانهم السوريين فأجاد

واننى اعترف بسدق كلمة صديقتي الدكتور شاهيندر وان كنت انكرت في نفسي ذكرها في ذلك الموقف وأقول اننى كنت منذ اشتغلت بالسياسة بعيداراً في السياسة الاوربية والمطامع الاستعمارية (الفيدار هو الذي يسيء الظن فيصيب) يغلب على التشاؤم من مساعيهم ولم أرها شيئاً الا للتفاؤل وحس الظن كما شرحت في هذا المقال ، واننى لم اختلف مع صديقتي الدكتور شاهيندر في مسألة من المسائل انى كنت فيها متشائماً وكان متفائلاً الا وظهر انى كنت الصواب فليتذكر أول الخلاف في ارقدمه من العراق الى مصر وأوسعه وأخره في دعوته اليها مع آخرين الى امضاء تقريره المعروف، وفي مؤلفاته في هذا المجال

ختم المقال بالتفاؤل بالمال

واختم هذا المقال بقولي اننى مؤمن بربى اليأس من روح الله والقنوط من رحمة كفراء، واننى لا يمنعني التشاؤم وسوء الظن في الطامعين من عمل ولا سعي فاما لأزال أرجوا انتفاع الدولتين المقتستين لبلادنا الهاضمتين لحقوقنا بأن الخير لها وللمدينة والانسانية ان يتركونا احراراً في بلادنا حاكين في شعوبنا وان يساعدونا على ما نريد من عمران بلادنا بما نطلب المساعدة عليه ويكتفوا منا بالمنافع الاقتصادية والادبية . ومن سوء الحظ ان كان سمي السابق مع غلاة المستعمرين منهم ، وأرجو ان أوفق للسمي مع احرار المصنفين منهم والله الحمد كثيرين وأود لو يعلم هؤلاء الاحرار حقيقة أمور الشرق من احرار أهله ولا يكتفوا ببلانات السياسة الاستعمارية وما يحتزله أهلها من أقوال مديري المخابرات لهم

أود لو يعلم أحرار فرسة الكرام أن ملك الحجاز وأولاده لا يعتبر
الامة العربية بل السواد الاعظم من العرب ومن مسلمي الاطام غير راسين
عنهم وأنه ليس من مصالحة فرسة معاداة هذه الامة في هذا البيت منها ونة
بجعلها خصما للترك ، وأنه لا يمكن أن تنال دولهم عطف العالم الاسلامي مع
مقاومتها للعرب

وأود لو يعلم أحرار انكثرة ومنصفوها المستقلون ذلك فلا يفتروا باستخدام
مستعمرهم لاهل هذا البيت ويظنوا انهم هم الذين يخضعون لهم هذه الامة
ويرضونها باستثمار بريطانيا لبلادهم على أن الايام ستعلمهم ما لم يكونوا يصلحون
وأود لو تعلم الشعوب العربية أن الانتداب الذي فهموا معناه لم يصر
أمراً مقضياً ، وأن عصبة الامم لن تكون ألموبة بيد المستعمرين ، وإن الرجاء
في استقلالهم واستقلال أمتالهم وبناء قواعد الصلة بين الشرق والغرب على
أساس العدل وتبادل المنافع من غير سيطرة ولا سيادة للمستعمرين على
المستضعفين رجاء قوي يزيده العلم به والسعي اليه قوة ولا بقاء للعرمان
بدونه - (فاما الزيد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكنك في الارض ،
كذلك يضرب الله الامثال)

وأود لو يعلم سادة الامة العربية وكبراؤها انهم لو جمعوا كلمتهم في هذه
الفرصة لاسسوا لانفسهم وحدة حلنية يحفظ بها استقلال كل منهم ويؤود به
مجد الامة العربية وتحيا حضارتها الشريفة التي فاقت حضارة جميع الامم بمجمها
بين الرفاهة المقصودة من الحضارة وبين الفضيلة ولكنهم أجابوا داعي شيطان
نفس التفريق وتفريره لهم بالمال والمال (يمدحهم ويمنيهم وما يمدحهم الشيطان الا عرورا)
ولم يجيبوا داعي الوحدة وهو داعي الله تعالى الذي يدعومهم باسم الله تعالى لما
يحييهم ، فهذا وقت الوحدة الداخلية ، امام الدواهي الخارجية ، لا وقت فض
مشكلات حدود البلاد ولا تحكيم المعصية الدينية والمذهبية ، وليمتزوا باخوانهم
الترك ، الذين قضت عليهم معاهدات الحرب بالزوال والحق . كيف تحولت حالهم بجمع
الكلمة والدفاع عن البيئة . الى ان صار الحلفاء القاهرةون لهم ولا خلافهم الذين
كانوا أقوى وأعز منهم يمدونهم خطرا عليهم ، ويتسابقون الى لادن معهم أو
التزلف اليهم ، ولكن الترك قد وجد فيهم الزعيم الذي جدد لهم النصار . ولم يوجد
في العرب الا الزعيم الذي سجل عليهم الخزي والعار ، (فاعتبروا يا أولي الابصار)

هل قرار لعصبة الامم في الانتداب

قررت لجنة عصبية الامم المختصة بالنظر في الوصايات العليا المفروضة على الاقطار المنفصلة من الدولة العثمانية في ٨ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٠ التحفظات الآتية لتقدمها للهيئة العامة وهي

(١) لا يسمح للدولة المنتدبة باستخدام وسيلة ازياة قواتها العسكرية
(٢) يجب على الدولة المنتدبة أن لا تستخدم القوة التي يمنحها اياها الانتداب لتثبت هي أو أصدقاؤها بموارد البلاد الطبيعية وتستمرها لحسابها الخاص أو لحسابهم

(٣) يوضع نظام أساسي لجميع الاقطار ذات الوصايات العليا وتنتظر فيه عصبية الامم (الهيئة العمومية) قبل تنفيذه

(٤) يجب أن تشر جميع سكوك الوصاية قبل أن ينظر المجلس فيها
هل مصابنا بولدا اهم

لجئنا في الليلة اربعة عشرة من شهر شوال بوفاة ولدنا الصغير (الهام) بعد مرض طويل بل امراض متوالية أوها وعكة برد ورطوبة تلاها سعال غاذي انقلاب سعالا ديكيا حرمة المنام والطماع عدة أسابيع اذ كان يقي عمايا ككه غالباً فتضعف جسمه وقل احتماله واصابته في هذه الحال الحصبة وانتهت بانثأثير المجهود لطافي الامعاء وكل ذلك من موانع قبول الغذاء، وبقي أياماً كثيرة لا يطلب الا الماء؛ فله ما أخذ وشه ما أسلى، ان العين تدمع، والقلب يحزب، ولا تقول الا ما يرصى ربنا، وانا بفراقك يا (هام) لثمر ونون «انا لله وانا اليه راجعون. اللهم اجزني في مصيبي واخلف لي خيراً منها» اللهم اجعله فرطاً لنا وذخراً واجمل مصابنا به أجر أروحة، ولا تجعله فتنة. واجعلنا من الصابرين المهتدين
(تاريخ هذا الجزء من المنار وما بعده)

بدأنا بتحرير هذا الجزء وطبعه في أوائل رمضان ثم عرض لنا في أواخر رمضان وأوائل شوال من انحراف السحرة ومرض جميع الاولاد وسهر ناعلى تمريرهم ثم وفاة صغيرهم الهام ما اقتضى تأخير صدوره الى آخر شهر شوال. وقد بقي من المجلد أربعة أجزاء. يسر ان شاء الله تعالى في أواخر الاشهر الآتية ذي القعدة وذو الحجة والحرم وسنر فيكون أول جزء من المجلد الثالث والعشرين في ربيع الاول كما صدر أول جزء من هذا المجلد فيه

الملحمة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبينون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

في الملحمة من بناء ومن يثاب
عن يثاب من يثاب ومن يثاب
عن يثاب من يثاب ومن يثاب
عن يثاب من يثاب ومن يثاب

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام سوي « ومنارا » كزار الطريق —

٢٩ ذي القعدة ١٣٣٩ - ١١ الأسد (ص ٢) سنة ١٢٩٩ هـ : أغسطس سنة ١٩٢١

الخيال في الشعر العربي

٦

الغرض من التخيل

مادة النفس الارتياح للأمر تشاهده في شيء غير الذي تمهده به ، والتخيل
يأتيها من هذا الطريق فيعرض عليها المعاني في لباس جديد ويجليها في مظهر
غير مألوف

فللتخيل فائدة عامة لا تتخلى عنه وهي تحريك نفس السامع لتلقي المعنى
بإرتياح له وإقبال عليه ولو كان من قبيل الحديث المألوف والمعلوم بالبداهة
والنظر ان رمت الثقة بهذا الى قول الشاعر

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت باعناق المعنى الإباسع
فالمعنى الذي صبغ البيت لتأذيتنا أخذنا بتقاوب الحديث والإبسل
(المنار ٧) (٦٢) (المجلد الثاني)

مسرعة في الاطباع . وهذا كما رأيت معنى مبذول وحديث لا يختص به مار
سبيل دون آخر ولولا ان الشاعر اورد في هذه الصورة التي خيلت اليك بطاها
تتدفق بسيل من احناء الطايا لم ينل عندك هذا الموقع من الخطوة والاستحسان
قد يكون للمعنى في ذاته وجه يدهر تمس السامع الى الثغور عنه ، وسناعة
التخيل تبقي له أثرا لذيذا في النفس فتأثبها اللذة من ناحية غير الناحية التي
يجيئ منها الثغور ، فلو سمع اشياخ ابن بنية قول عمارة النبي شامتاً به وهو مصلوب
ونكس رأسه لكتاب قلب دعاه الى الفؤاد والضلال

لوجدوا لهذا البيت في أنفسهم ألماً بليفا يدخل عليها من جهة القدرح في
كرامة رجل امتلات صدورهم باجلاله ، وهذا الالم لا يمنع من ان يبقى البيت
في نفوسهم أثر لذة تسرى اليها من جهة التخيل وان كانوا لها كارهين . ومما
قلت في بعض المحاضرات : قد يهذب السياسي حاشية ظلمه فيكون كالبيت البليغ
يؤثر في نفس من يهجي به لذة وألماً

قد يبدو لك ان هذه المائدة العامة انما تتحقق فيما اذا كان المعنى مبروراً
للسامع من قبل التخيل كوصف حال القمر والكواكب والبرق والسحاب
والرياح والانهار ، والمقتلة والثمر والقلم والدواة ، او حال الرجل من كرم وشجاعة
وعزم وغيرها من الخصال اذ يصح ان يقال ان التخيل قد عرض على السامع
هذه المعاني في صور حديثة . واما الوقائع والاحوال المجهولة فلم يعرفوا لها
صورة من قبل حتى تعد الصورة الخيالية جديدة وتحدث في النفس لذة زائدة
من لذة العلم بأصل المعنى

والجواب ان المعنى الذي تتلقاه من الشاعر دون ان تسبق لك معرفة به
قد يلقى اليك بوجه صريح ثم يدخل به في الخيال كما هي الطريقة الشائعة في
التشبيه والتمثيل ، وعد التخيل في هذا صورة جديدة بالنسبة الى الصورة التي
تقعها التصريح أولاً مما لا تمترى فيه شبهة

وقد يلقى لأول الخطاب في صورة خيالية وهذا مما يصح عده في الصور
المستجدة اذ المعاني صور اصلية وهي التي ترسم في النفس لأول ما تدرك
المعنى بمشاهدة او وجدان فالنفس تشر حال تلقيها للصورة الخيالية ان للمعنى
الذي تحمله اليها صورة أخرى هي الصورة البسيطة التي يمر عنها القول الصريح
ولذلك تقول بصد هذا ان صور المعاني تختلف ما اختلفت العبارات

سواء كانت تصريحية أو تخيلية فالصورة التي يعطيها قولك: زيد يكتب غير الصورة التي يفصح عنها قولك زيد يخط بالقلم على القرطاس ، وكل منهما صريح لا مدخل فيه للتخيال ، وإذا كان التخييل يلذ للنفس من جهة أنه يكسو المسمى لباساً جديداً فيمكن لنا أن نعوض للمعنى عبارة صريحة غير التي يعرفها المخاطب فبأخذ بها صورة جديدة ، ولا يفوز التخييل بهذه الفائدة ويختص بهادون التصريح والجواب أن الصور التي تنشأ من المبارات الصريحة وإن تفاوتت في مواقع البلاغة واختلفت بالإيجاز والاطناب لا تمد كما تمد الصورة الخيالية غريبة عن المعنى المراد ، ألا ترى أنك تعرض المعنى الواحد في صور خيالية متعددة والشمع واحد فيجد السامع عند كل صورة داعية لذة ، ولو ألقيت المعنى في عبارة صريحة ثم بدا لك أن تخرجه في عبارة أخرى تشاكلها في المراحة والمخاطب وأحد لقيت في نفس المخاطب سامة لأنك لم توافقها بصورة غريبة تخيل بها أنك تعبر عن معنى غير ما ألقيته عليها أولاً

فلا إنكر أن الصور في المبارات الصريحة تتفاوت بحسب اختلاف المبارات في كيفية تأليفها ومقدار ما تشتمل عليه من المعاني الزائدة عن أصل المراد وأن هذا الاختلاف هو الذي يجعلها متفاضلة في مقامات البلاغة وإنما اذهب إلى أن تلك الصور وإن احكت فسقتها واضت البهائم المعاني ما يرتفع به شأنها لاتصيح في نفس السامع هزة الطرب التي تنيرها المبارات الخيالية

فالمبارات الخيالية تشارك المبارات الصريحة في جودة نسجها واشتمالها على المعاني التي ترتقي بها في مدارج البلاغة وتزيد عليها بآراء تلك المعنى في صورة بديلة تتمشقها النفس وتهتز لوقعها طرباً

ثم إن التخييل لا يخلو في أكثر أحواله من صوغ المعنى في صورة ما تكون معرفة المخاطب له أقوى وفهمه إليه أسرع ، وهذا مما يجعل النفس أوفر ، وأوتياحها له أكل

ولا احسبك تعلم من هذا الوجه في شبهة اوتقف في حيرة حين ترى الوجه السابق يقتضي أن لذة التخييل جاءت من غرابة الصورة وهذا يقتضي أن انبساط النفس لما جاء من جهة ألفها وكثرة التردد عليها فإن غرابتها بالنظر إلى المعنى المراد لا تنافي أن تكون معرفتها بواقعها أو عناصرها أجل لدى المخاطب في ذاتها . فالشاعر الذي يقول

كان شعاع الشمس في كل غدوة على ورق الاشجار اول طالع .
 دنائير في كهف الاشل يضمها لقبض فبهوي من فروج الاضالع .
 قد خيل اليك حال تدفق الاشعة وقت الغداة وتجلها على الاوراق في صفتها
 الصغراء في صورة دنائير يضم عليها الاشل بيده ليقبض عليها فتفسد من بين
 أصابعه متساقطة الى الارض . وهذه الصورة بالنظر الى مسلخ الحديث وهو
 حال الاشعة غريبة ولكنها في نفسها جليلة إذ السامع للبيتين وان لم ينهماه من
 قبلهما دنائير فتتأثر من بدو الاشل بأن المواد المؤلفة منها الهبورة كالدناير ويبد
 المزمع من أوضح معلوماته .

وللتخيل بعد هذا اغراض خاصة . رعى اليها الادباء ويتفاوتون في التحسن
 منها ولا يسم هذا المقال سوى ان يلم بمهماتنا فنقول
 قد يقصد الشاعر من التخيل تقوية الداعية الى الاخذ بالشيء حيث يصوره
 بصورة مالا يستغنى عنه كما قال بشار

فلا تجعل الثورى عليك غصاة . فاب الطوافي قوة القوادم .
 ضرب المثل للثورى في تثبيت الرأي واقامته على وجه السداد بالطوافي
 من الجوامع حيث تساعد القوادم على الطيران ، وهذا التمثيل يلقي في نفس
 السامع انه يحتاج الى الثورى حاجة القوادم الى الطوافي ويؤكد داعيته الى
 العمل على سنتها او الحث على الثبات والصبر على الامر حيث يخرج في مثال
 مالا يمكن بطبيعة هذه الحياة الخلاص منه كما قال بشار ايضا

اذا كنت في كل الامور معاتبا . صديقك لم تلق الذي لانما به .
 فمش واحدا او صل أخاك فانه . مقاروف ذنب مرة ومجانبه .
 اذا انت لم تقرب من ارأى القذى . ظلمت وأي الناس تصفون مشاريه .
 فالآيات مبسوطة في الإرشاد الى تحمل ما يصدر عن الاخوان من جفاء او
 هفوة فضرب لهم المثل بالمقارب حيث لا مندوحة للانسان عن ورودها وهي
 لا تصفو له سائر حياته بل يصادفها في بعض الاحيان كاشفة له عن وجهه كالح
 وماء كدر ، يلجئه الظما الى الشرب منها ؛ واغصاء الجفن عن اقدائها ، فهذا
 التمثيل يريك انك لا تستطيع ان تميز مستقلا عن الاخوان وان ليس في طبيعتهم
 ان يسروا في مرضاتك بحيث لا تلاق منهم طول حياتك الا ما يلائم طبيعتهم
 ويرافق بفتك ، ومقتضى هذا ان تشدد يدك بعري صحتهم وتفضي عما يرضي

لم في بعض الاوقات من جفاء او يزلون فيه من عثرات
او التعذر. مما يرغب فيه كما قال ابو نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
لو ذهب الى ذم الدنيا صراحة وهي حارة خضرة لم يأخذه السامع بماخذ التسليم
والكران يكون في لذيقها مذاق جميل المنظر ما يجب الحذر منه فعدل الى اخراج
الذم في مثال يرسمه كيف يترى الشرر في الخير ويظهر المؤذي في هبة مايمد فافاء
او تخفيف الرغبة فيه وتقليل الاهتمام به كما قال المري

وان كان في ليس القى شرف له فا سيف الا غمده والجمائل
فن تمثلت له الملابس بمنزلة الفم والجمائل من السيف لم يطمح بنظره الى
تنميقها او يمجده سميه في اتخاذها من النسيج الفاخر وانما يصرف همه الى
ما تسمو به النفس من علم وفضيلة كما ان البطل لا يمس بالغم والجمائل وانما يقبل
على السيف فينتق وسعه في اعادة صنعه وارهاف حده

او التسلية كقول صاحبنا الامير شكيب يسلي البارودي وهو في المنفى
ان يحجبوك فما ضر التجوم دجى ولا زري السيف يوما لمي احمد
الاباس ان طال نجر السعد موعده فاعذب الماء شربا في قم الصادي
اراد ان يفت في نفس مراسله كلمة تحمل منها عقده الفجر وتطرد عنها
غم الوحشة قد كره بان ماجرى عليه من التغرب والاختاء من أعين من القوم
والفهم قد ابتليت بمنته الكواكب فلم يحسها بنقيصة ومنيت به السيوف فلم
يضع من قيمتها فتلا ورام بعد هذا تخفيف ماعساه ان يساور قلبه من لوعة
الحنين الى الوطن، والهيم بما سأل عليه من الامل، فامام له مثالا من حل الماء
حيث يكون مذاقه في قم من بعد عهده به - وهو الطمان - الذواشحي
ومما صنعت في غرض التسلية

بثنت شماع غمك في نفوس تسوق اليك ما ابطاعت خنوقا
كذا الافار تكسو الارض نورا ولولا الارض ما لقيت خسوقا
او ازالة ما يحاط النفس من الظنور عن الامر او عده عيبا كما قال الفرزدق
تفارق شيب في شباب ناعم وما حين ليل ليس فيه نجوم
ضرب المثل لشعر الاسود تتخلله شعرات من الشيب بحال ليل داج تتألق
في سبائه الكواكب ليخيل ان الشيب مما يحدث في الخلق حسا ويريد هاهنا

حتى يضع الانس به مكان التجافي عنه . ومن هذا القبيل قول قابوس
 ياذا الذي بصروف الدهر غيرنا هل عاند الدهر الا من له خطر
 أما ترى البحر تطفو فوقه جيف وتستقر بأقصى قمره الدرر
 وفي السماء نجوم لاعداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمر
 او الدلالة على ان الذي تحكى عنه صفة قد بلغ فيها غاية قصوى لتسدي
 له في نفس المخاطب اجلالا واشفاقا او تحقيرا له او جفاء عنه ، ويرجم الى هذا
 الغرض كثير من التخييلات الواردة على طريق المبالغة في المدح والتعظيم والاعتذار
 والمحياء والوشاية وامثلتها كثيرة الدوران في كتب الادب والبيان
 وقد يكون المعنى مما لم تتداوله الافكار وليس من البعيد ان يلاقيه
 المخاطب بالتعجب الذي هو مطية الانكار ، فيجسم التخييل عقب هذا لازالة
 التعجب منه ويبان ان وقوعه داخل في حوزة الامكان وهذا كما يقول أبو
 تمام الاندلسي

لا يغير السيف والاقلام في يده قد صار قطع سيوف الهند للقص
 فان يكن أصلها لم يقوتها فان في الحجر معنى ليس في العنب
 ادعى في البيت الاول ان القلم الذي عهدت به السيوف قد انتقل الى
 الاقلام التي تهزها يد عمدوحه فلم يبق السيوف خلة تفاخر بها ، وليست هذه
 العمري من الجلاء بحيث تفتح لها النفوس باب القبول بسرعة واول ما يطمئن
 فيها ان الاقلام منتقة من القصب وهي اوهن من المصارع السيوف ومضاه
 فاحتاج الى تأييدها بما يدفع الشبهة ويحشرها في زمرة الاقوال المسلحة فغضب
 لها المثل في البيت الثاني بالحجر التي هي عصارة العنب وقد امتازت من بقية
 الصير بمقاء نور المقل واطلاق اللسان يخبط في فلاة الهنر خبط عشواء فصارت
 بهذه الخاصية حقيقة قائمة بنفسها ومالكة لقوة لم تكن في جنسها
 وقد يكون المعنى مما تألمه النقول ولا يتثبت به في سياقه ما يجر السامع
 الى ارتياب او يحمله على انكاره وانما يقصد الشاعر الى ايراده في مثال واضح حتى
 يقيم من نفوس السامعين في قرار مكين ومثال هذا قول سيف الدين بن المشد
 ان ترق الى المال اولو الفضل وساخت تحت الترى السفهاء
 فغلب المدام يملو على السكاك س محلا وترسب الاقضاء
 فان رفيع الفضلاء الى المراتب العالية وهبوط أهل البفء الى ما تحت الترى

ليس في نفسه بأمر يتمجب منه أو يتلقى بانكار لهما كانه بارتفاع الجباب على وجه السكاس وزول الاقذاء الى اسفله انما كانت مؤكدة له ومنسحة عن صاحبته للحكمة والظباقة على سنة الله الجارية بارتفاع العناصر الغنية ورسوب الاجرام المتفنة . وما صفت على هذا النمط

لا يأنف المزجبا لج في وسن من الخلاعة لا مسمى ولا أملا
كالدر يزهو على صدر الفتاة وان دب النعاس الى احفافها اعتزلا

ومن الدواهي الى التخييل تخصيص بعض السامعين او القارئین بفهم المعنى اما لتفضل المعية او لان في يده من القرائن المساعدة له على التنبه مالميس في بد غيره فلو حاورك انسان في أمة من الناس اقلوا على فريق من اموالهم رقباء فأردت ان تذكر له ان أولئك الرقباء لم يهرسوها بعين الامانة حتى تناولها قوم ملاوا منها حقائبهم وتروها في سبيل شهواتهم فكنت اليه على مثال ما كنت قلت

يارياضا خانها الحراس اذ غرقت احداقهم في وسن
سرفت ريح الصبا منك شذى طاب وانسات به في الدمن
لم يستطع فهم ما أردت من الكلام الامن دارت يدك وبينه تلك المحاورة
وقد يذهب الشاعر الى التخييل لقصد التهكم كما قال المرعي بهكم عن يحكي ان
أول من شاب ابراهيم عليه السلام

ما اقبح المين قلتم لم يشب أحد حتى أتى الشيب ابراهيم عن أم
كذبتم ونجوم الليل شاهدة ان المشيب قديما حل في الالم
فكانه يقول هذه الرواية الملفقة ليست اهلا لان تقابل بغير هذا الر
القائم على الخيال . ويقرب من تخييل نجوم الليل بالمشيب قول احمد بن دراج
القمي يصف الجفرة

وقد خيلت طرق الجفرة انها على مفرق الليل البهيم فتير
وربما لا يحد الشاعر ادعيا الى مسلك التخييل بمدبسط النفس سوى التنبية
على ما بين الماني من المناسبات الخفية او مجازاة البلاء واقامة الشاهد على
الحلق في هذه الصناعة ، وما يرمي الى أحدهذين الفرعين ما يتعلق بالاماء في
وصف بعض المناظر المطربة كاللكواكب والحدائق والعنانية كالشمعة والسفينة

محمد الحظير

الطور الجديد للمسألة المصرية

بدا تأامرة بعد أخرى بكتابة مقال مفصل في المسألة المصرية ثم كما ترك نفسه لسبق الجرائد اليومية ايانا الى نشر مقالات كثيرة في معنى ما كتبنا ما غادرت متردما بل جاؤا بالذرة، وأذن الجريدة كما قيل في المثل - فان كان أكثر ما كتب لم يخل من تحريف لجلده او تحيز الى فئة فذلك أخرى باستقصاء أصول المسألة وفروعها - فنكتفي اذا باستخلاص الرشد من الخفيض واستنباط النتيجة من المقدمات، بكتابات وجيزة تحز في المفصل، ونعطي قارئها من المراجعة والاعتبار والحكم ما لمه لا يجدد كله في غيرها

مقدمة وتوبيخ

(١) قد سبق الذكاء الفرنسي الدهاء الانكليزي الى معرفة مكانة مصر من ارتباط الشرق بالغرب وما فيها من ينابيع الثروة قد اليها حسمه نابليون الاول ناهية مصره في الذكاء والاقدام، ولكن الدهاء الانكليزي قطع ذلك الساعد الذي مد الحسام، ثم اعانت العلوم والفنون الفرنسية محمد علي الكبير على تكوين دولة جديدة بحرية، فمارستها انكلترا بنفوذ الدولة التركية، حتى وققت مداهم وأرجعتنا الى ما وراء حدها، ثم تساوى الدولتان على ارضان مصر في زمن اسماعيل، ثم سبقت اداهما الى احتلالها في عهد توفيق (٢) كانت نهضة مصر في عهد محمد علي مادية محضة الحاكم الاعلى لها شارع ومنفذ ومالك متصرف في البلاد وأهلها تصرف المنيح المالك بماله وعبيده، وما كان يرجى ان تتكون في ظل هذا الحكم بهذا العصرية، ولا ان تفتت دولة، بل يهدم مستبد مفسد، ما يناء مستبد مصلح، كما هدم اسماعيل المبذر، ما أسسه محمد علي الممصر. حدثني المرحوم حسن عبد الرازق باشا ان قيمة الطيان القطر المصري كلها ما كانت تزيد في آخر مدة اسماعيل عما كان عليه وعلى البلاد من الدين للاجانب

(٣) ان غايات الاستعداد تتصل بمبادئها ففي عهد اسماعيل الذي انتهى اليه الاستعداد في حق نزوة البلاد وفساد الاخلاق - رجع وبنت غرس الاصلاح الاجتماعي والسياسي والادبي بارشاد حكيم الشرق وموقفه السيد جمال الدين

الافغاني مؤسس الحزب الوطني الاول في مصر ومعلم الكتابة والخطابة والسياسة والفلسفة . ولكن بريطانية العظمى كانت بالمرصاد لهذا الاصلاح المنوي ، فتناوأت كما تناوأت ذلك الاصلاح المادي ، فأخبرت توفيق باشا بنفي السيد جمال الدين من البلاد بمد ان كان قد عاهده - وهو ولي العهد - على العمل بما اقترحه من الاصلاح ، ومنه جعل حكمرة البلاد نيابية وتعميم التعليم وغير ذلك ، ولكنه قال عند خروجه من مصر انه ترك فيها من يتم ما بدأ وهو مريده الذي احاط بمبادئه ومقاصده الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

(٤) تجدد في البلاد عهد الاصلاح المادي والمنوي مما في اول اماره توفيق اذ تولى الوزارة مصطفى رياض باشا ذوالفطرة الطاهرة والوطنية الصادقة التي لم تر مصر في تاريخها الحديث وزيرا يدانيه في مجموع اخلاقه وفضائله واستقلاله وعمله واصلاحه الاداري وان وجد فيها من الوزراء وغيرهم أوف فاقوه في العلوم القانونية بأنواعها مع المشاركة في بعض الشؤون التي لم يكن يعرفها - فقام هو باصلاح المالية والادارة خير قيام . وولى الشيخ محمد عبده ادارة المطبوعات ورئاسة تحرير الجريدة الرسمية فتوسل الشيخ بهذا الى اصلاح لجنة الصحف والدواوين ثم الى اصلاح التعليم الرسمي وغير الرسمي كما فصلناه في ترجمته وترجمة رياض باشا ولكن كان من سوء حظ مصر ان وقف سير هذا الاصلاح بالثورة البرابرية المشؤومة . إنشأها بالاحتلال الاجنبي قتل الامم ومفسد الشعوب ومذل البشر

(٥) توسل الانكليز الى الاحتلال بطلب أمير البلاد توفيق واستدراج السلطان صاحب السيادة عليها واستخدام اسمه وتعوذه ، وخداع اورية بايهامها انهم يقصدون حماية رعاياها وحفظ اموالها ومصالحها ، ولما توا مؤلا . وأونكت بأن الاحتلال موقت لا تقصد بريطانية العظمى فيه لنفسها نفعاً . ولا تنوي سيادة ولا أثرة ، وانما تنري خدمة مصر واورية والانسانية . وباسلم اخذوا البشر بمثل هذا الايهام . ولم تعرف عامة أمم الارض رياهم وخداعهم الا في هذه الايام ، ثم صفوا يكون تعوذهم بالتدريج ، ويسيطرون على الادارة والنفساء والتعليم ، ويسبون اخلاق العامة بالاباحة التي يسوسها الحر : السعي . واخلاق الخاصة بخدمة الحكومة ذات الرواب العظيمة . ويرون على الشعب بأنهم المقدون له من ظلم الترك واعوانهم ، والمعدون له للاستغلال الذاتي

حتى اذا ما استتمت له ثراؤه ببلاده ساعدوا ما كانت البلاد
متوجهة اليه من اصلاح الري ورفقة الزراعة لتكون ابلاد ينبوع ثروة لهم ،
ولكنهم ندموا اخيرا انهم لم يحولوا دون تعصيل بعض الالهة للثروة الواسعة
في بلادهم كما يعلم مما يأتي .

(٦) ظل الاسكندر يمدون السنين لهم فغير الى مستعمراتهم مدة ثلث
قرن وينتظرون الفرص كدأ بهم ، حتى اذا ما اشتملت نار حرب المدنية المادية
الملعونة واخذوا الدولة العثمانية بالحرب ، اذ ابروا لانفسهم ما كان طامع السيادة
على مصر ، واعلنوا حمايتهم عليها ، واشتقوا ايدئهم في رمالها ، وأموالها وغلالها ،
وحيرها وجملها ، بل تصرفوا في كل شيء للحكومة وللالة واستخدموه في
حرب الدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية على البلاد التي لم تكن تستخدم
في سيادتها أحدا في نفسه ولا تصادفه في شيء من ماله ، حتى ازا الحملة التي
وجهت الى فتح فلسطين في آخر حرب صليبية — كما وصفها رئيس الوزارة
البريطانية (لويج جورج) — قد سبوا الحملة المصرية ، وقد كانت هذه التسمية
حقا وان فسد بها معنى آخر خفي — وهو الاخذ بثأر قلب الاسد وسائر
الصليبيين الذين كسروهم مسلمو مصر وايرضا بقيادة صلاح الدين (قدس الله
روحه) وانزاع البلاد المقدسة من المذمومين بحملة مصرية جن العوامين فيها من
شيان مسلمي مصر وجل المان الذي سبق دها على الشكك الخديوية وايرضا
من مان مسلمي مصر — كما أنه تم تصديده أشهر الاسماء المقدسين الى نبي
الاسلام ، عليه وآله من دونهم السلام والاسلام . ولما فسدوا بتسمية معناها
الحق ، لما صبح ان يحاروا المنصورين عيسى بن علي ، بن تومار ان يشرعوا بهم
الفتح ويحموا لهم سدا من حكم الاسلام . وهذا كله من الانسحاب مثل هذا
الخط بل انكر منه في حكم الدول الخديوية شرعوا مصر في مذهبها الثاني
له بعد اجرامها على تركها الباد . وان كان هذا هو المذهب في عهده فلهذا كان يعلم ،
وجملوا المنصورين فيها العزم كما ينادى في القصة على ان لا يلتصق على هذه الشريعة
بينهم وبين بطريرك القسطنطينية الذي كان يناديهم في ذلك زمان . وكان ينادي
الفتح من انفسهم وشاه قاضي رئيس القضاة من انفسهم ان لا يلتصقوا بالانصار من
مذهب المنصورين ، ومن هذا حق صليبي عثماني في مصر في هذه الحملة
وغيره ، وكان هذا لا يمنع ان لا ينادي به مقدسين باشاه قاضي في شره

وزارته واستقلاله، على ما كان من شرف ارادته ومهم واستقلاله

الحماية البريطانية والوزارة الرشدية

(٧) أعلنت بريطانيا المتامني الحماية على مصر بالاتفاق والمواظاة مع وزارة رشدي باشا التي كان عدلي باشا أحد أركانها. وهذه الوزارة هي التي مكنت للانكليز في البلاد، ومكنتهم من استخدام كل ما تملك الحكومة والامة من الاعيان والمنافع والاباسي والدواب والانعام، ولولاها لما استطاع الانكليز ان يستخذموا زهاء ألف شاب مصري وينتموا بما يقدر بألوف الألوف الكثيرة من الجنهات، وقد نقل عنها انها لم تفعل ذلك الا عن وعدة وعدوها اياها وهي منح البلاد الاستقلال الاداري بعد انتهاء الحرب، وما كان رجالها اول من خدعته الوعود البريطانية فنقول انهم لا يفقهون السياسة وأخاديمها — ولما انتهت الحرب وزال الخطر عن بريطانيا العظمى واحلافها، وشمرت بأن أزمة سياسة العالم صارت في قبضة يديها، قلبت لمصر ظهر الحين وشمرت تمهد السبيل لضمها الى املاكها، والاجهاز على لغتها العربية التي طالت عمارتهم لها واستبدال اللغة الانكليزية بها، وجعل السلطان الغالب في هيئتي حكومتها القسرية والتنفيذية للانكليز وغيرهم من الاوروبيين، والقبض على ناحية الثروة والمواصلات التي هي شرايين الحياة الادارية والمالية في الامة — وقد ظهرت مبادئ هذه المقاصد في عمل اللجنة التي أنفت لوضع نظام لالغاء الامتيازات الاجنبية وحصر النموذ الاجنبي في البريطانيين وقد كان عدلي باشا عضوا فيها. فلما رأت ذلك وزارة رشدي ظهر لها ان هازك مصر بالاستعباد للانكليز واقع على يديها، فكبر عليها الامر، وسدت في وجهها منافذ الحل. حتى ظهرت مبادئ النهضة الوطنية الجديدة على يد سعد باشا زغلول ورجاله

تأليف سعد لوفد بمساعدة رشدي وعدلي

(٨) ان خبر تأليف سعد باشا للجنة وطنية تسمى لاستقلال مصر باسم الوفد المصري معروف، ومشايمة وزارة رشدي باشا له غير مجهولة، وقد كانت قيمة مساعدتها حق العارية ثمينة، وأمل بالامنية عدم مقاومته عند أخذ وثائق التوكيل من ممثلي الامة للوفد بطالب الاستقلال التام. وقد حاول مستشار الداخلية الانكليزي منع هذه الوثائق فلما لم يستطع استخدام الوزارة فيه كان عمله أبتز ناقصا فكان هذا من اظهر الشاهد على عجز الانكليز عن

التصرف في الامة بأنفسهم، فهم لم يعملوا شيئاً ضاراً ولا نافعاً الا بأيدي المصريين . ولم تكن مساعدة الوزارة لسعد باشا عن توافؤ وتعاهد على السعي معه الى الاستقلال التام الذي التزمه اذ لم تكن ترجوهذا وانما رأيت ان قيامه بهذا الامر يكون وسيلة لها الى أحد الامرين اما الحصول على استقلال اداري واسع مع الارتباط بالامبراطورية بالحماية أو السيادة على ما كانت وعدت به عند اعلان الحماية - واما اثبات وطنية افرادها لتعلم الامة أن وافقها للدولة البريطانية على اعلان الحماية ومساعدتها اياها على استخدام قوى الحكومة والامة في الحرب كان عن اجتهاد في خدمة البلاد ينفر لها خطاها فيه حسن النية والتكفير عنه بمساعدة الامة على طلب الاستقلال

الاستمداد للاستقلال وأسبابه

(٩) ان استمداد الامم للاقتلابات الاجتماعية التي يظهر بها انتقالها من طور الى طور انما يتم بأعمال شتى في أزمنة مختلفة تكون كالمقدمات للنتيجة فلا يعلم عند النظر في كل منها منفردا ما سيفضي اليه او ما سيزب عليه عند اتصاله بغيره على وجه مخصوص ، وان رجال الاستمداد من الافرنج يراقبون الشعوب التي يسودونها ليحولوا بينها وبين الاعمال التي تجتمع بها كامنهم فتكون أمة مستقلة بالاستمداد بالقوة، الذي لا بد ان يتبعه الاستقلال بالفس فيصرفونها عن هذه الاعمال ويشغلونها بغيرها بقدر علمهم واجتهادهم ، وقد يخونهم العلم فيعملون بأنفسهم لاعداد الامة للاستقلال ما لا تستطيع عمله او ما لا يأتي منها وهم لا يشعرون ، فلم يكن لورد كرومر (وقد كان اوسع انكليز مصر علما وخبرا وحرما) يعلم بأن باحثه للمصريين حرية الانتقاد على حكومتهم وأعظم رجالها سيكون سببا من أسباب جمع كلمتها اذ كانت الحكومات هي السالبة لاستمداد الشعب بمصر والمخاللة دون جعله أمة - وانما كان منتهى اجتهاده في ذلك ان سقوط هيبة الحكومة الوطنية وروال سلطانها يجمل المصريين خاصمين للانكليز عالمين لهيبتهم وحدهم ، وهم الذين لا يطلع أحد في اضعاف سلطانهم - ولم تكن السلطة العسكرية البريطانية تعلم ان ذلك التصرف في أموال الملايين وسائر الطبقات الواضحة وفي أنفسهم يولد عندهم من المم بصبر السلطة الاجنبية والشعور بكرهاتها وعداوتها ما تشارك به أعلى الطبقات علما وأشداهم شعورا فتجمل الامة كتلة واحدة وكلمة واحدة - بل أقول ان الحكومة البريطانية

العليا في لندن كانت تجهل ما تلده لها الدعة (البوريقندة) التي نشرتها في العالم كله طول سني الحرب لافتناع الامم كلها بأنها مع حلفائها يقاتلون لتحرير الامم والشعوب وازالة ما يريد الالمان وحلفاؤهم من جمل السلطان للقوة دون الحق - وهو توجه أفسر الشعوب المستعمرة او المستبعدة بالاسماء المختلفة الى الحرية والاستقلال وبذنى المستبد واحتقاره والمخرج عليه مها تكن النسبة بعيدة بين قوة وضعفها - كما كانت تجهل بالاولى ان قمي صمد باعنا زغول ورقاقه من مصر عند اظهارهم الاستعداد لطلب الاستقلال يولد في مهنورة اجتماعية عامة . كيف وقد سمعت هذه الحكومة من كانت لعمده أعلم وجاهها بحال المصريين - وهو مستشار الداخلية السابق - قوله : اذا اشتملت نار ثورة في مصر فهو يطفئها ببصقة من قه :

الوحدة المصرية وما حدث من صدها

(١٠) ظهرت مبادي استعداد الوحدة المصرية للاستقلال وبذنى السبللة الانكليزية بعد وقوع اسبابه التي أشرنا الى بعضها في زهاء ثلث قرن فكانت كلها قوامها الانكليز تزداد قوة لانها حقيقية لاصورية مدبرة كما ظنوا باري ذي بدء . ولو علموا انها حقيقية لما لجروها باللين واللدعة ، لا بالشدة والصرامة ، ولكن هذه الوحدة لم تمش أكثر من عامين حتى فت في عضدها التفرق والانقسام ، ومن العجيب أن أعظم مظاهر الاعتصام والوحدة ، قد كان هو نفسه أعظم مظاهر الانقسام والفرقة ، الا وهو الوفد المصري الذي اجتمع الامة على الثقة به وجعلت في تصرفه مئآت الالوف من الجنيئات ، لقد جنى الوفد على نفسه بما جنى على الامة غابت فيه الآمال ، وغلب يأس الجمهور على الرجاء ، وآخرون متحيرون يقولون ما عدا بما بدا ؟ وهل لمصر من موسى يأتيها بخبر او يمجيد على هذه النار هدى ؟ وقد يجيبون لقول مثلي بعد هذا التفرق الذي اشرب المدا ، ولم يسلم من الهجر والبذاء ، على اكابر الزعماء والرؤساء : ان الوحدة المصرية حقيقية ، ولم تكن خدعة صورية ، ثم انني قلت ما قلت على علم ، وانني اثبت رأيي بالدليل : لا تتمحص الحقائق الا بدخولها في جميع الاطوار التي من شأنها التطور بها فا ظهر من التفرق والانقسام في الوحدة المصرية التي اكبرها العالم مدة سنتين يشبه ما كان من اكبار العالم للانقلاب الثنائي الذي هتفت له الشعوب الثمانية على اختلاف مللها ونحلها ، ولغاتنا وزيبتها ، ولغاتنا وتوحيها

لاجل تنفيذ قانونه ، ثم لم تلبث جمعية الاتحاد والترقي التي احدثته ان هدمته بيدها ، وكذلك هدم الوفد المصري ما حدث على يديه من الوحدة المصرية واجتماع الكلمة عند نقي رئيسته وثلاثة من أعضائه المؤسسين الى مالطة - ثم همد اطلاقهم من اعتقالهم - ثم في مقاطعة لجنة لورد ملز واجماع الامة على ردها الى الوفد المصري - ثم في استقبال لجنة الوفد التي جاءت لاستشارة الامة في تقرير لورد ملز - ثم في استقبال الرئيس سعد باشا زغلول بحفاوة عامة اشترك فيها القطر المصري من أدناه الى أقصاه باحتفالات وزينات وخطب وقصائد وما دأب لم يسبق لها نظير : ولم يبق أحد يجهل ان اتحاد الامم هو أعظم قوة ملأ تقبها سائر القوى اذا ثبتت ، وينتكت قتل كل ما يوجد منها اذا نكثت ، فاسبب هذا التفرق بمد ظهور ثمرة الاجتماع بمنحوخ بريطانيا العظمى الى استمالة مصر وارضائها برفع الحماية عنها والاعتراف بالاستقلال لها ، مقيدا ذلك بقيود تحفظ بها مصالحها ؟

موضوع الاتفاق وسبب الافتراق

(١١) ان ما كان من الوحدة والاتفاق كان على أمر مجمل توجه اليه استمداد جميع طبقات الشعب وهذا التفرق لم يزد الا قوة ولكن الشعب (لما اتفق على طلب الاستقلال التام كان أهل الرأي منه يعلمون أن السكال يقصد في أول السعي وقدما ينال الا في آخره . وان المسافة بين الاول والاخر في اعمال الامم قد تكون قريبة تحسب بالسنين وقد تكون بليضة تعد بالاحقاب ، ومنهم من كان يرى مع هذا أن كل ما يؤخذ من الغاصب فهو ربح ، ومن يرى ان أخذ بعض المنعوب قد يتضمن الاعتراف للغاصب ببعض الاخر فالواجب الانتظار لأخذ الحق كله ولو بعد حين - فكان هذا خلافا بداخل الاتفاق وان لم يذكر في الوقت الذي لم يظهر من الغاصب فيه جنوح ما الى الاعتراف بشيء من الحق لصاحبه ، دع الوعد ببذله كله او بعضه ، فلما اثمر سعي الوفد بقوة وحدة الامة التي تؤيده جنح الانسحاب لارضاء المصريين بالاعتراف لهم بحقهم في ادارة بلادهم واستقلالهم فيها (بشرط اعترافهم هم لبريطانية العظمى بجزء من البلاد تحفظ به مصالحها ومنافع اوروبية بما استتب من الاعلية لهذا الامتياز بالاحتلال الطويل الذي خدمت البلاد فيه ورقت موارد الثروة فيها وغير ذلك مما تدعيه مراء كان مسلما أم لا) ودعي الوفد المصري من باريس

الى لندن لاجل المفاوضة في التقرير الذي وضعه لورد ملنر وزير المستعمرات البريطانية لحل، اشكال القضية المصرية - لما كان ذلك - ظهر في المسرح عدلي باشا يكن أجدد أركان الوزارة الرشدية التي استقالت في سبيل تأييد الوفد فكان وسيطا بين الوفد ولجنة ملنر التي فوضت الحكومة البريطانية البهاصر المفاوضة وصبر غور الوفد - وظهرت بتلك الوساطة مبادئ الخلاف الكامن الذي أشرفا اليه ، وانتهى بالتفرق والشقاق الذي نشكونه ، فقام شي جديد، الاول أصل تليد ، كان يتخلل بذور الاستقلال المطلق بذور الاستقلال المقيّد بقيد الامبراطورية فنبت ذاك اولاً في مصر ونبت هذه بعده في أوربة ثم في مصر ، فكان كازنوا بين القمع

لقد فتن الجمهور المصري تبعا لوفده بمشروع ملنر وبعد طول البحث فيه والتجسس له استقر رأي سعد باشا على أنه «حماية مقننة» القرض منه جمل مركز الغائب المبطل شرعيا بقبول الامة المصرية هذه الحماية المقننة - ورأي عدلي باشا أنه مشروع جدير بأن يبنى عليه الاتفاق بين انكثرة ومصر وانه يمكن تعديل بعض ما يشهد سعد باشا في انكاره منه - وكان سعد باشا يرى عدم المفاوضة في هذا المشروع - ثم رأى بعد مفاوضة لجنة ملنر التي استدراج اليها انه لا يجوز جعله أصلا للاتفاق بين مصر وانكثرة ولا أساسا للمفاوضات الرسمية الا اذا ألغيت الحماية وقبلت التحفظات التي وضعها الوفد بعد مشاوره الامة والاطلاع على رأيها . واشتد النزاع بينه وبين ملنر مرارا حتى هم بقطع المفاوضات وكان عدلي باشا يميل المياه الى مجاريها بملقه وكناسته فأرضى بذلك الانكيز وعلقوا آمالهم به وأغضب سعد باشا ، وسعد شديد الشكيمة حديد المزاج اذا غضب جرح فادى ، وعدلي باشا رقيق الطبع من أبعد الناس عن النبال والحسام ، ولكن مال اليه بعض اعضاء الوفد وآروه على رئيسهم في شخصه وفي طريقته ، فاجتهدوا أولا في التأليف بينهما ، ولولا ذلك لظهر ما نجم من الشقاق بينهما في أوربة . على ان سعد باشا انبأ لجنة الوفد بمصر بريقة من باريس بأن عدلي باشا مغارق للوفد فلم تنشر ذلك اللجنة وتدارك ذلك الاعضاء هنالك فاصلحوا بينهما أصلا التزم فيه عدلي بالأعمال عملا بالاتفاق مع الوفد . وحل سعدا على كتابة رقية تنسخ البرقية الاولى فنشرت هذه دون تلك . ويقال انهم أقنعوا سمدا بأن يؤلف عدلي وزارة تتولى المفاوضات

مع انكثرة ويكون الوفد بالمرصاد لما يقرره الفريقان فان كان مرضيا أيده والا استأنف جهاده ونصحه

ثم ظهر الخلاف بين سعد والمشايعين لعدلي من أعضاء وفده ففادته خمسة منهم وعادوا الى مصر فسبقهم اليها نبا منه بمخالفتهم له فاستقبلهم جند الوطنية من الشبان اسوأ استقبال منذ بلغوا مرغا الا سيكندرية الى أن أووا الى بيوتهم واسمعوهم اذى كثيرا مشوبا بالوعيد والنذر، وأخذوا منهم كتابا بأنهم على رأي الرئيس ومعه ، ولكن لم يمنهم ذلك من بث الدعوة لعدلي باشا والظمن في سعد باشا والتنفير والصد عنه وكان منهم الغالي والمعتدل في ذلك

الوزارة العدلية

(١٢) من القضايا التي صارت معروفة للجمهور ومسلطة بين الخصوم أنه لما كان الوفد المصري وعدلي باشا في لندن تقرر لدى الحكومة البريطانية ان يرثف عدلي باشا بمد عودته الى مصر وزارة تتولى المفاوضة الرسمية وعقد الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر على أساس تقرير ملتر بشرط إلغاء الحماية فقط ، والشائع ان أعضاء الوفد الذين تحولوا ثمة عن سعد الى مشايعة عدلي قد تواطؤوا معه هناك على تأييد الوفد له اما بجذب سعد اليهم واما بنبذهم بأكثر الآراء ، ولولا هذا التواطؤ لم يقبل عدلي باشا ان يدخل في هذه المصعة وينقض عهده فانه رجل شديد الاحتياط في حفظ كرامته وشرفه واتقاء القيل والقال ، دعى الاستهداف للظمن والنضال ، وانهم حاولوا هذا هنا فلما لم يستطيعوا اليه سبيلا تحيزوا الى عدلي جهارا ، واتنا تلخص خبر الوزارة بموجز من القول سبق ان ذكرنا في المنايا الصفة الرسمية لتأليف الوزارة وانها كانت بسبب البلاغ البريطاني لمظنة السلطان في شأن المفاوضة باستبدال علاقة أخرى بالحماية البريطانية على مصر تربطها بالامبراطورية وقد اشتهر ان السلطان كان يرغب ان تتولى وزارة محمد توفيق باشا نسيم ذلك لانها كانت احظى الوزارات عنده ولما استقلت لاجل هذا العمل عهد الى محمد مظلوم باشا بتأليف الوزارة المطالبة فلم يمكن ، ويقال انه ذكر غيره ثم علم أنه لا يمكن ان يقوم بهذا الامر الا عدلي باشا

ولما ألف عدلي باشا الوزارة ذكر في جوابه عن الامر السلطاني بتأليفها خطتها السياسية الناطقة انها « متجمل نصب عينيها في المهمة السياسية التي

ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر الوصول الى اتفاق لا يحمل محلا للشك في استقلال مصر . وستجري في هذه المهمة متشعبة بما تنوق اليه البلاد ومسترشدة بما رسته ارادة الامة وستدعو الوفد المصري الذي يرأسه سعد باشا زغلول الى الاشتراك في العمل لتحقيق هذا المرض . وقع هذا القول على ابهام عبارته واضطرابها (١) أحسن موقع من الامة فان آمالها كانت محصورة في الوفد الذي ينطق باسمها فرأت أنه قد وجدت في البلاد حكومة تؤيد الوفد وتعمل معه فأصبحت الامة والحكومة كلمة واحدة وبدا واحدة بعد ان كانت الحكومة خصما للامة منذ تمكن الاحتلال الانكليزي وأنشأ برائته فيها الى هذا العهد، لاجل هذا صفت الامة هذه الوزارة وقابلتها بمظاهرات الثقة بها والاهتمام لها مع المهاتف للوفد ورئيسه سعد باشا

التفرق والشقاق بين المصريين

(١٣) ثم ان الوزارة أذنت سعد باشا - وهو في باريس - بتأليفه او خليفته او ملئت منه المحصور الى مصر للتعاون معها على العمل في ابداء فقايلته الامة من أعلى طبقاتها الى أدناها في جميع البلاد من أدناها الى أقصاها ، بمشاهير من الحناوة والتكريم ، لم يسبق لها شبه ولا نظير ، فكانت الامة كالجمعة على ما قامت به جميع هيئاتها النظامية المنتخبة وسائر ممثليها من تكريمه وعلان الثقة به في المحافل العامة والمآدب الخاصة ، ولكن هذا الاجماع لم يكن تاما تاما سالما من الشذوذ الخفي بل كان بعض أعضاء الوفد الذين خرجوا من اوردية مغاضبين وبعض الحاسدين الذين زادهم مارا أو حسدا يمتنعون في أنفسهم ما لا يبدون للناس فذا تنذر التوفيق بين الوفد والوزارة أو بين رئيسيهما ظهر ما كان خفيا وصار أعضاء الوفد المغاضبون لرئيسهم يتسللون من (بيت الامة) (٢) لواءا ، وينفضون الى الوزارة ثبات وافرادا ، ثم استمالوا هم والوزارة اليهم آخرين منهم ، وجمي

(١) ان نفي إيجاد محل للشك في الاستقلال في الاتفاق لا يقتضي ان يكون اتفاقا على الاستقلال التام المطلوب فانه نفي بينه وبين استقلال مبهم ثلاث مراتب - الجمل والمحل والشك - فاذا كان الاتفاق على ان تكون مصر كبريت امارات الهند أو الجزائر التي تسمى مستعمرات مستقلة فانه يسدق عليه ما ذكره والاسترشاد بما رسته ارادة الامة لا يقتضي اتباع ادارتها وعدم تجاوزها

(٢) بيت الامة لقب وضع لدار سعد باشا زغلول

ومليس الخلاف والجدل ؛ ومرح رئيس الوفد بمدم الثقة بتولي الوزارة للمفاوضة مع الحكومة الانكليزية والاتفاق معها على مستقبل مصر، فعارضته الوزارة وقاومته بكل مالمدى الحكومة من حول وقوة وتظاهرها في ذلك السلطة المحتلة، ومن وراثتها الامة البريطانية بحكومتها وجرها اليها وبالها من قوى هائلة تستفيد من هولاء الامم، وتخشى صولتها كبرى الدول، فظهر بذلك صدق ما قيل من انه قد تقرر في الكثرة ان يتولى عدلي باشا الوزارة ويؤيده الوفد ثم يكون هو الذي يمتد الاتفاق بين بريطانية العظمى ومصر على قواعد تقرير ملز بشرط الناء الحماية واستبدال علاقة بريطانية اخرى بها فوقع بذلك الشقاق في الامة ؛ وانشقت عصا تلك الوحدة التي ليس لمصر من دونها حول ولا قوة ؛ فكان هذا أول طلأع الظفر البريطاني الذي ينال جميع المخطوب بالصبر والجلد، مع الدأب في العمل

وقل من جد في أمر محاوله واستعمل الصبر الا فاز بالظفر
فقيم كان هذا الشقاق الذي شوه تلك السمعة الشريفة التي نالها مصر في العالم كله بوحدها واتفاق كلمتها مدة عامين ؟ هل هو شقاق في المذهب السياسي ام تنازع على الزعامة والرياسة بين الافراد وانتصار كل فريق زعيم لتفضيله اياه في الزعامة للمصلحة العامة او المنفعة الخاصة ؟ ومن المذنب المسؤول ؟ وأي الظفرين هو الظافر وأيهم المخبون ؟

موضوع الشقاق وزعماءه

(١٤) من القضايا التي صارت مبروفة لكل أحد ان وحدة الامة المصرية التي كان يمثلها سعد باشا زغلول رئيس الوفد المصري قد انصدعت فصارت الامة في طريق السبي الى استقلالها فريقين - وأن زعيم الفريق الاكبر او الاكثر هو سعد باشا ويمبر عن افراد حزبه بالسعديين، وأن زعيم الفريق الاصغر او الاقل هو عدلي باشا ويمبر عن افراد حزبه بالعديليين، وأن كل قوة سمدة مستمدة من الامة، وأن جل قوة عدلي مستمدة من الحكومة المصرية التي هو رئيسها والسلطة البريطانية الموجودة لهذه الحكومة - وأن هذا الصدد قد كان من قبل الزعماء الذين أسسوا بناء الوحدة بما كان من استمداد الامة له وهم زعماء هذه الوزارة وزعماء الوفد الذي تأسس بمساعدتها بما وقم من الخلاف بينهم فهم المسؤولون - وأن التنازع على رئاسة الوفد الرسمي الذي يتولى عقد الاتفاق

بين بريطانيا العظمى ومصر اذا أمكن قد كان من أسباب هذا الخلاف
 هذه قضايا لامراء فيها والمدليون ينهجون سعدا بأنه لا عذر له في الامتناع
 من تأييد الوزارة الاحب الرئاسة وقد ادّاع كتابهم في جرائدهم وغيرها أن
 المسألة شخصية، وهذا جار كبير على الامة بأسرها. وسعد باشا يحتج بأنه يجب
 ان يكون هو الرئيس للوفد الرسمي لانه هو الممثل للامة التي وعدت الحكومة
 باتباع ارادتها في قضيتها السياسية والوزارة الحاضرة ليست الا وزارة الحماية
 الانكليزية فهي مظهر للسلطة البريطانية فاذا كانت هي التي تتولى ادارة المناقشة
 ثم الاتفاق مع بريطانيا فكأن ملك الانكليز هو الذي يتفق مع نفسه، وأن
 ما تقتدر به الوزارة أو تحتج به على ما تحرم عليه من جعل رئاسة الوفد الرسمي
 رئيسها - وهوان التقاليد المتبعة في جميع الدول ان رئيس الحكومة هو
 الذي يرأس كل جماعة رسمية يكون فيها وهو الذي يقدّم المحادثات والاتقات
 مع الحكومات الاخرى - عذر باطل وحجة داحضة فان ما ذكره من تقاليد
 الحكومات المستقلة النيابية التي يمثل رئيسها الحكومة والامة جميعا اذ
 لا يكون رئيسا لها الا بتأييد مجلس نوابها الممثل للامة، وهذا مبين لحال
 الوزارة المصرية

ويقول المدليون ان الوزارة اجابت سعد باشا الى جميع ما اشترطه لتأييد
 الوفد بما لا مسألة الرئاسة فهما يكن له من حجة على طالب هذه الرئاسة لنفسه،
 فليس له أن يوقع الشقاق في الامة لاجله، وانه يك بقبول كون أكثر أعضاء الوفد
 الرسمي من أعضاء وفد الامة الذين يختارهم رئيسه وكون الثقة بشخص عدلي باشا
 لا يتراع فيها - وسعد باشا وحزبه يردون هذا القول بكلام لم ينشروه كله في الجرائد
 فهنكون اجابة ما عدا شرط الرئاسة من شروط الوفد فقد كان أهم الشروط
 اصدار المرسوم السلطاني ناطقا بتحديد الاساس الذي تجري فيه المناقشة على ما يتفق
 مع مطلب الامة ومبادئ الوفد كالنص على إلغاء الحماية البريطانية على مصر حتى
 انهاء الدول الاجنبية وعلى الاستقلال الدولي التام المطلق في الداخل والخارج،
 وبإلزام شرط إلغاء الحكومة العرفية والمراقبة على الصحف لتكون الامة وصحفا حرة
 في أنوارها وافعالها لا مسطر عليها في ابداء رأيها الا القانون فلم ينفذ شي من ذلك -

ويقولون أيضا ان الرئيس لم تبق له ثقة بانتدار عدلي باشا على تحقيق مقصد الامة المصرية بعد ان تمحست قضيتهم لانه يرضى بدون ما ترضاه ولا ثقة له بأعضاء الوفد المميزين اليه فهذا كله مما كتب. وهو يفيد أنه لم يمد اشترط كون أكثرية الوفد الرسمي من أعضاء الوفد غير الرسمي مفيدا ، فاذا ألف عدلي الوفد الرسمي لجعل ثلثهم من رجال الحكومة الذين على رأيه والثلثين من أعضاء الوفد غير الرسمي وكان نصفهم من المميزين اليه تكون يده الاكثرية الساحقة ، واذا كان مع هذا هو الرئيس الذي يتولى ادارة المفاوضة فلا يبقى لرأي سعد باشا معه تأثير — فلماذا اشترط ان يكون هو الرئيس للوفد الرسمي لا لغيره حب الرئاسة فانه ليس فوق ما خوله إياه الامة من الزعامة فيها والرئاسة لها غاية تطلب

وأظهر حجة لبعض المدلين ، رضى بها بعض المتدلين ، هي ان الوفد الرسمي الذي ترضى بريطانيا العظمى أن تتفق معه لا بد أن يكون من قبل عظمة السلطان فاذا جاز ان يرسم السلطان لغير رئيس حكومته بتأليفه فلا يجوز ان يحمل سعد باشا هو الرئيس له اذ لاصلة بينه وبينه يعرف بها رأيه وفكره ودرجة اخلاصه له وهؤلاء ينكرون على سعد باشا عدم زيارته للسلطان عقب هودته ، وهو يعلم أيضا ان الحكومة البريطانية لا ترضى برئاسة سعد باشا — فاذا كان الامر كذلك فلا ينبغي لسعد باشا ان يوجه كل نفوذه في الامة الى منع ما اتفقت عليه الحكومتان بمحاولة اسقاط عدلي باشا والجماعة الى استئصال نفوذ حزبه ونفوذ الحكومة الى جزائه على عمله بمثله الذي ادى الى شق عصا الوحدة وخسارته بل خسارة البلاد ما كان من اجماع الامة على زعيم واحد وهو هو (سعد باشا) وكان يكفيه الا يزيد ولا يشاركه في المفاوضة ويقف له ولوفده الرسمي بالمرصاد فان جاء بالاستقلال التام الذي يرضاه هو والامة لم يكن عليه أدنى غشاضة في قبول ذلك وتوجه نفوذ زعامته الى التهورض بإعفاء هذا الاستقلال الذي يشهد الجميع بأنه كان حجر الزاوية له ، وان وقع الاتفاق الرسمي باسم من كان هو له لا خفيا . وان جاء بحجة مقننة او استقلال صوري مقيد بقبود الامبراطورية البريطانية ومثال باهلاها فليجعل عليه بحمل الامة على رد هذا الاتفاق وعدم التصديق عليه ، فاذا لم ينفذ الاتفاق حينئذ

نكون باقين في موقفنا بل أقوى مما كنا بعد اعتراف انكثرة لنا بما اعترفت به ،
واذا نفذ نكون قد ربحنا ما تركته لنا من حقوقنا من حيث لم تنقذ الامة بالاعتراف
لها بشيء . باثباتنا حينئذ ان الوفد الرسمي المفاوض لا يمثل الامة اذ لم تقره الامة
على ما عقده

والسعديون يردون على هؤلاء بأنهم موقنون بان عدلي لا يأتي الا بالحماية المقننة ،
وبأن السكوت او ترك المارضة يفضي الى نجاح الوزارة في اغتصاب الثقة بها من الامة
بنفوذ الحكومة الممزر بالرجال والمال ثم الى التصديق على ما تتعاقد عليه مع الحكومة
البريطانية فاذا اجتمعت القوتان على ادعاء هذا التصديق والاقرار له وكونه مبنيا على
تلك الثقة والتفويض فاذا تغفل الامة الضعيفة بعد ذلك — فهذه صفوة جميع الفريقين
في جوهر الموضوع وموضع النزاع وما نحن لما هذا ذلك من المراء والجدل بناظرين
الموازنة بين الرئيسين

(١٥) عدلي باشا يكن — رجل عزيز النفس كريم التعبدية مذهب الاخلاق
رقيق الطبع أبي منرفع في غير كبرياء ، مبالغ في حفظ كرامة نفسه ، مع المراعاة
لكرامة معاشره وجليسه ، واسع الحلم ، نزيه النفس واللسان ، قليل الكلام ، وهو
كبير بيت يكن الذي هو أكبر بيوتات السلطنة التركية في مصر بل هو البيت
الاول بعد بيت الامارة ممن تولوا الاحكام والمناصب العالية — وهو كبير في نفسه
كما أنه كبير في بيته ، حريص على حفظ شرفه — فهو بهذه الصفات جدير بمنصب
السفارة والوزارة وبرئاسة الوزراء ، وقد أوتي من العلم العمري ما يحتاج اليه المنصب
وقد يوجد بمصر من يفسر كبراء الافرنج حتى الانكليز منهم على احترامه مثله بل
هو قوي الشبه بكبراء الانكليز في ترقمه وآدابه وشماله

ولكنه لم يؤت من طلاقة اللسان في الخطابة ، ومن بلاغة القول في الكتابة ،
ومن الاقدام على مكاتفة الخطوب وهصارعة الاخطار ما يؤهله لزعة الامة أو
التأثير فيها والسير بها في سبل الارتقاء الاجتماعي ، ولا لقيادتها في مبادئ الجهاد
السيامي ، بل هو غير مستعد لتصدي لاحداث أدنى تأثير في الامة بنفسه ، ولعله
لولا المناصب العالية التي تولاها — كادارة الارواق العامة وعماقطة المصايب

والوزارة — لما كان يعرفه الا القليل من طبقات الامة الوسطى دع الدنيا ، وهو لا يعرفهم بالأولى

سعد باشا زغلول — هو رجل من بيت وسط من مديرية الغربية عربي
 السلالة — كما أخبرني صديقي المرحوم عبد الرحمن زغلول ابن أخي سعد باشا —
 طالب في حياته العلم في الأزهر وكان من حسن الحظ ان اتصل في أثناء ذلك
 بالاستاذ الامام وتلقى عنه وعاش معه زمنا ونخرج به فهو استاذة الاول ومربيه على ما خلق
 مستعدا له من الاستقلال في الرأي والفهم وقوة الارادة والشجاعة وصناعة الحجبة
 وحب الحق ، وادرك أيام موقظ الشرق ومصلح مصر السيد جمال الدين الافغاني
 وحضر بعض أندية وسجده ، ولما تولى الاستاذ الامام ادارة المطبوعات ورياسة
 تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) جعله محررا في القسم الادبي الاصلاحى
 الذي زاده فيها فتدرون على الكتابة في المسائل الاجتماعية والسياسية والادبية
 والاقتصادية وأطلع على جميع شؤون الحكومة ، فان ادارة المطبوعات كانت في
 ذلك العهد مسيطرة على الجرائد وسائر المطبوعات ومراقبة على الحكومة تنفذ جميع
 اعمالها في جميع فروعا — ، وفي أثناء ذلك حدثت الثورة العرابية — فهو قد نشأ
 وترعرع وشب في حبر العلم والسياسة والانقلاب الفكري والاجتماعي والسياسي
 ثم اشتغل بالهامة والتزم فيها جانب الحق فكان لا يقبل الوكالة في دهرى
 يرى ان صاحبها مبطل ، فبرع في الخطابة واقامة الحجبة والاطلاع على القوانين والخدمة
 بشؤون الناس وأخلاقيهم ومعايشهم وحيلها ثم صار قاضيا في أعلى مناصب القضاء
 الاهلي فاشتهر بدينته في التحقيق واستقلاله في الرأي وعدله في الاحكام حتى شهد
 له مستشارو الاستئناف من الاجانب والوطنيين كتابة بأنه رقى الهامة وشرف القضاء
 بجدله واستقلاله ، وهي شهادة لم ينالها فيما نعلم أحد من صفته ، ثم صار وزيرا له عارف
 ثم وزيرا للحقانية ثم وكيلًا متنبها للجمعية التشريعية

وكان في كل منصب من هذه المناصب الكفو الكرم والمناز بين أهله فيه ، ولا نعرف
 أحدا في وطنه يشاركه في هذه المجموعة من المزايا بل قل ان يوجد له ندم يضارعه في
 فرد من أفرادها — فهو بها أجدر افراد هذه الامة بزعامتها الاجتماعية والسياسية

الا أنه بقصه من صفات الزعماء السياسيين — كما يقولون — ما يسمونه المرونة السياسية وهي تشمل سعة الصدر والحلم والمداورة والتقوية والحداد وان شئت قلت والبراعة في الالتماس والكذب الذي يجهل التأويلات الكثيرة والتلق والبراعة في الاستمالة والتزلف عند الحاجة. وهو لليلة الملكة القضاء على كل ملكاته لا يستطيع كل ذلك ولو تكلفا فهو لا يلبث بمن خالفه فيما يعتقد ولا يحفل بعداونه. هما يكن هطلياء وقد كان الأستاذ الامام يقول ان سدا خلق ليكون قاضيا ، ووصف سيرته في القضاء واستقصاه فيه للدلائل ودقته في الاستنباط وحرصه على العدل. وخصومه يسمون هذه الملكة هطلة وكبرا أو يطلتون أمثال هذه الثموت على بعض لوازمها . وقد زادوا في هذه الأيام في لغته انه مسند لا يخضع للشورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وان خالف قرار الاكثرين . وهذا خلاف ما عرف فيه ونمهدته ، فاذا أردنا انصاف القائمين بهذا يحمل كلامهم على الصدق ولا سيما فيما ينقلونه من الوقائع المعينة فلا زرى جامعا بجمع بينه وبين ما هو معروف عنه من الانصاف والاستقلال ومعرفة قيمة النظام ومراعاة النوازين الا ما حدث في الوفد من الشقاق واختلاف النيات والا فان مثل سعد لا يخفى عليه أن شبه الذي يفتر بحق بارتقائه وأهليته لتولي أمور نفسه بنفسه في حكم دستوري لا يمكن أن يقبل في عمل من أعماله رئيسا مسندا لا يجري على نظام الشورى ولا متكبرا لا يخترم آراء من معه وان هذان المطلقان لا يخفيان على أحد

على اننا قد سمعنا بآدانا وسمع الجماهير مثلاً خطبه في المحافل والمجامع العظيمة وقرأها أكثر من سمعها فهم يشهدون بأنه كان يمزو فيها كل عمل الى أعضاء الوفد ويذكرهم بمسعى الادب والاحترام ويقدمهم احيانا على نفسه ، وعلمنا انه زار من لم يزره ممن عاودوا من أوربة قبله مناضبين له مع العلم بأنه كان أشدهم زراية عليه وصداقته ، وفضله على نفسه في احدى خطب المجامع الحفافة ، ولم يكن هذا بمجاذب لذلك المضوى الوفاق بل لم يزد الا حقدا وضغنا ، واعراضا وطعنا

الحكم في الشقاق بين أعضاء الوفد ورئيسه

(١٦) اني أعرف بعض أعضاء الوفد المصري معرفة محبة ومودة ، وأعرف بعضهم

معرفة مواجهة ومحاولة، وأجهل حال غير المشهورين منهم جهالة تامة، فأنا أحكم بصدق الوطنية ليعضهم على علم وخبر، وأحكم به للآخرين على قاعدتي أصل البراءة وحسن الظن، وقد سمعت ما قاله المختارون على رئيسهم سعد باشا وقرأت ما كتبوا - فرأيت أنهم قد اخطأوا في اجتهادهم، حتى على ندائهم جميع أقوالهم، فكيف اذا كان القول الوسط المقبول في هذا الاختلاف هو القول في كل اختلاف بين فريقين في أمر من الأمور العامة والمصالح السياسية والمسائل الاجتهادية التي تختلف فيها الآراء والانظار. وهو ان يكون كل فريق مخطئاً في بعض ما اختاروا فيه ومصيباً في بعض، فإن جاز عقلاً ان يكون أحدهما مصيباً في كل ما خالف فيه الآخر - فأني الفريقين هنا أجدر بأن يحكم له بالصواب؟ الفريق الذي يخطئه السواد الأعظم من الأمة بعد معرفة كل ما أدلى به من الحجج وما أدلى به خصمه؟ ولا يؤيده الاثر قليل جداً؟ أكثرهم من أصدقائه أفراده او من أتباع أصحاب المصيبة منهم؟ أم الفريق الذي يؤيده السواد الأعظم ويرمي مخالفه بأشنع التهم وينبزههم بأفظح الاتهام؟

أقول ان المؤيدين لأعضاء الوفد الذين شاقوا الرئيس نفر قليل جداً في مجموع الأمة مع العلم بأن الذين أبدوا الوزارة المدلية كثيرون جداً، فإن الذين أبدوا الوزارة لا يؤيد جميعهم ولا أكثرهم أعضاء الوفد المشايخين لها، بل أكثرهم يرى ان سعد باشا هو زعيم الأمة بحق وأنه هو المرجع الذي يعول عليه عند تحكيم الأمة فيما يأتي به وفد الحكومة الرسمي من الاتفاق مع الحكومة البريطانية، ولئن كان المشاقون لسعد أول من أيد عدلي ويمتد أهل الرأي انه لولاهم لما كان ما كان - فإن المؤيدين له بعد ان أصر على السير في القضية بدون اتفاق مع سعد والوفد انما أيدوا أكثرهم بنفوذ الحكومة لا بنفوذ هؤلاء الاعضاء - فهم قد نزلوا بشاقتهم لسعد عن مقام الزعامة العامة في الأمة الى أدنى ما كانوا عليه قبلها فإن كانوا تركوا سعداً لحفظ كرامتهم الشخصية التي تقلو عنه أنه لم يكن يسطيعها حقها. ولأبيد المصلحة العامة التي قالوا أنهم رأوه باستبداده غير أهل لها - فقد كانت خسارتهم الشخصية بهذا الترك أعظم، وصاروا عن القيام بخدمة المصلحة العامة أجهز - فهذا هو وجه تخطئي لاجتهادهم حتى على تقدير تسليم جميع أقوالهم، وانما اكتب هذا لاجل التذكير وبيان وجه العبرة لمن يعتبر من

مقالة أمنا بما كان من انقلاب الزعماء وعلما بالمصلحة العامة فيما نستقبله من حياتنا
 السياسية التي لا تزال فيها اطفالا بالنسبة الى الامم التي طال عهدهم بالتمرس بأعمالها
 والجهاد في ميادينها
 يقولون ان الفصل منه صار متعذرا فان لم تقل ان التبادر منه حصل فخطره لم يبد
 المشقة اذ كان يندمرا قبلها قلنا ان الاخلاص في العمل الامة والمحرص على وحيدتها
 لا يمكن أن يكون بنهر جهاد شاق وصبر واحتمال وإثار ، وقد قيل في المثل : ان صح
 ملك الموتى ارشدت لحيلى . فعلى هذا لم يكن من المنكر ان يقطع بعضهم
 بعضا بالانصراف والنظر الى الرئيس - ومعه - فيما يرويه عنه خلا بكرة
 بعضهم أو الاستعداد بالامر دونهم ، كما نطأهوا عليه في الانتقاد العبرخ في الجرائد
 والخرابج من الوفد ، فان كانوا توهموا انه كان الممكن اسقاطه ولستبدل غيره به
 قبل مجيئه من أوربة وما قابلته به جميع طبقات الامة من أدنى البلاه الى أخصها
 من المفارقة والفور الذي كاد يكون من العبادة ، فوقع هذا التوم بعد ذلك كله
 من أغرب الخطأ ولا حرجا من هؤلاء الاذكياء العلماء بأخلاق الامم وسنن الاجتماع
 لقد كان زعماء جمعية الاتحاد والترقي الذين شبهتهم بهم في أول المقل أهدى
 سبيلا منهم في المحافظة على زعامتهم ونفوذ جهاتهم في الدولة والامة ، فقد كان ينكر
 بعضهم على بعض فيفاظون في الانكار ، ولكن لم يكن ذلكا ليمسدى انديتهم سولا
 ليفرق جماعتهم ، وبذلك كان لهم الفوز على جميع الاحزاب المناوئة لهم على قوتها ،
 والوفد المصري لم يكن له في الامة خصوم يمد بهم ويحضى عليه منهم ، حتى كلنوا
 هم الذين شقوا عصام بأيديهم ، وسجدوا لوفاء الماذلين لاهل هذه الطريقة -
 ولا ننسى الى منصب القضاء فنقول هذه الرأفة - الرأفة في الحكم عليهم ، أولئك
 الذين يتممونهم بأنهم قصدوا بذلك لخدمة أنفسهم ، وما نحن لهذه التهمة بشرحين ،
 لاننا نكتب لوعظ والارشاد ، لا لنحيز الى الزعماء والتحرر للاحزاب .

مكاة الرعاية في الامة ومكان سمد منها

(١٦) ان اجتماع كلمة السواد الامم من الامة على زعيم يمثلها ليس من الخلق
 الهباته ولا من المقاصد التي تنال بسوى الافراد او الجماعات ، الا بمصلحة الزمان

بوقائمه وأحداؤه وإشعاره الأمة ، في الزعامة والحاجة إليها ، وإهداده لرهيم الكفؤ
المنهوض بها ، وتمثيل وحدتها فيما استمدت له وتوجهت إليه ، فإذا وقت الأمة لثقفة
بزعيم كفؤ للزعامة وجب على جميع أهل الرأي والمكانة فيها أن يؤيدوه في العمل ،
ويقبلوا أمره إذا هنر ، ويقوموا عوجه إذا زاغ وانحرف ، وأن لا يشترطوا في المحافظة
على زعامته المصحة ، فإن السكال المطلق لله وحده ، فبذلك يرجى نفعه ، وبوأن
يخسر خطاه وضمينه ، ولا يحل لهم أن يؤاخذوه على ما يتقون منه بخذله ولا بالعلم
بفي كفايته لما يقب ذلك من تنكث قوى الوحدة ، وصدع بناء الزعامة ، ورب
نكث يتقدر إبرامه ، ورب صدع لا يرجى انتثامه ،

وقد سبق القول بأن زعامة سعد كانت بالأكثرية الساحقة من المواد الأعظم ،
ولم تكن إجماعاً سالماً من الشذوذ كما كان بنوهم ، لأن إجماع الأمة التام على رجل
واحد في الظاهر والباطن محال في سنن الاجتماع وأخلاق البشر ، وقد رأينا أن مظاهرات
الخطافة بقدم سعد كانت تعجب عن الإحصار ما على بعض الوجوه من وجوه اكتساب ،
وأن صيحات الخفاف له كانت تشغل الآذان ما يتغاث من اللسنة من هيبة إنكاره
بل كان يتغاث تلك الخفلات ، ما يشير إلى ما سيكون بعدها من الخفلات ، وقد سمعت
في بعض المظاهرات اعتراضات فلسفية عليها ، وشهدت احتفالاً أقامه أجيرانا وجهاء
بمصر القديمة صرح في أكبرهما بما اختصره وإن كان من لباب الموضوع .

وهذه هي الخطافة في هذا الاحتفال فأبقت لزهدي في الظهور على مثل هذه
المنابر التي يتراحم عليها طلاب الشهرة ، ورغبتي عن الكلام في السياسة في محافل
أكثر شهرة من العامة ، وبعززي عن الاطراء ، الذي يألف الجمهور في هذا
المقام . وكان من الخطباء فيه القمص مرسىوس خليلي قسوس القبط المشهور
والمسلم جسيم الخطباء والشعراء الذين أخلصوا المدح والاطراء للزعيم سعد باشا بما
جاء به من للزيج وأمشاج القول المتضمن لتوقع الخلاف بين سعد وعدلي ووصف
سعد بالناد والصلابة والإشارة إلى علاج ما يتوقع فأرنا أن انتقد في الأمة المصرية
شبهة (العائيتكان) عند انتخاب البابا وهي أن الكردناليات الذين لهم حق
في الانتخاب يهبطون في حجرة يوضع لهم فيها قوت قليل ولا يسمح لهم بالخروج منها

لا بعد الاتفاق على انتخاب أحد المرشحين

ولا صممت خطابه آذنت الذين كانوا يراجموني في اقتراح القاء نبي في الحفلة .
بأنني قبلت فدميت فصممت المنبر وألقيت خطاباً يثبت فيه تحقق تكوين الزمان
للأمة المصرية بالمصنعية القومية ، وإن اتحاد الكثرة إنما يحصل إذا مثلها جهة واحدة .
وهي بما يسموه الزعامة والرياسة ، ومتى تكونت الأمة وشمرت بنفسها ههنا
هذه الشعور إلى الزعيم الذي يمثلها ، كما يثبت الرأس في الجبين عند تمام تكوين أعضائه
وكم ينشأ في الأمة من رجال جذربين بالزعامة . ولا تعرف الأمة قيمتهم ولا بها
ليست أمة إلا بالصورة الظاهرة كما تسمى صورة الأسد في الورق أو الجدار أسداً .
وقد كان الأستاذ الامام يقول يا ويح الرجل الذي ليس له أمة ولا يتقن أن توجد
أمة راشدة لا يوجد فيها رجل بل رجال حقيقون بالزعامة فيها . وقد كان الأستاذ
الامام من الرجال الذين يقل في الامم الراقية أمثالهم بل قل فيه الأستاذ الدكتور
برازن من أكبر علماء الانكليز المدرسين في إحدى جامعاتهم الكبرى (كبريدج) :
انني لم أرى في الشرق ولا في الغرب مثله . ولم تكن الأمة قد تكونت في عهده نكوننا تعرف
به . كنه قيمته ، وتعمل بلشاده وزعامته ، وهذا تقليد الزعيم الكبير الذي تمثل به
اليوم قد نكن أهلاً لهذه الزعامة منذ سنين كثيرة ولم تكن الأمة تعرف فيه ذلك على
شهرته ، لأنها لم تكن تعرف نفسها فتعرف زعيمها . ثم ذكرت من صفات سعدما اقتضاء
المقام ، وهو في معنى ما تقدم في موضعه من هذا المقال .

وهنا تطلعت في الإشارة إلى الرد على ما رواه به القمص مرجيوس من العناد
والتعصب لرأيه ، وقلت ان الذي نهده منه بالاختيار الاستقلال في الرأي واحترام
الحقيقة والاعتراف بها اذا ظهرت له ، وطالما شهدنا له في دلوه محاورات في مسائل علمية
واجتماعية كان ينصف فيها مناظريه ومحاوريه بكل ارياح ، ويسترف بهمة وأيم
اذا ظهر له انه الصواب ، ويبتغي كتمانهم أو مهمم في بعض الاحيان

واستطردت في الخطاب إلى الرد على من يتكبرون فائدة هذه الاستقلالات
والمظاهرات بأنها هي الذوقية الوحيدة إلى جعل عقيدة الاستقلال شعوراً عاماً شاخلاً
لقلوب جميع أفراد الأمة من جميع طبقاتها في زمن قصير ، وإلى ترقية الخطأ

ونابتها مايا ، فان هتاف الالوف الكثيرة من الرجال والنساء والاطفال في الحامم
والشوارع والبيوت للاستقلال التام وامصر الحرة وازعيمها المطالب باستقلالها وحريتها
والوفد العامل معه قد علم جميع الاميين من الطبقات الدنيا واشهرهم بما لم يكن يعلمه
ويشعر به إلا أهل التعليم العالي والتربية الاجتماعية السياسية

ان وانتقلت من هذا الى بحث قلت انه أشبه بالدرس منه بالخطابة وهو ما يجب
على الأمة من العمل للمحافظة على دوام وحدتها وتكاملها في سبيل المطالبة باستقلالها
وهو ما يجب للمحافظة للاستقلال والنهوض باعبائه اذا نالته وأهم ذلك وأعلام ما يسمى بالمهالة
الاقتصادية وحفظ ثروة الأمة ، وليس هذا من موضوع مقالنا هذا فنلخص فيه
ما قلنا في ذلك الخطاب ومثلما كررناه في المنار وفي بعض المقالات التي نشرناها في المؤيد
والجريدة ومن أشهر هذه المقالات ما عنوانه (الى أي شيء أت يا مصر أخرج)

وجهة القول ان مكانة الزعيم الذي يمثل وحدة الأمة في اول العهد بتكونها
السياسي ودخولها في ميدان الجهاد القومي الحرة والاستقلال لها شأن عظيم في جوارها
فيجب ان يحرص على تقويتها لتلا بهدع بناء الوحدة في أشد اوقات الحاجة اليه
ولا ينحني على أهل البصيرة ان تقوم هوج في الزعيم المؤثر به من البواد الاعظم
ابسر من لمقامه واستبدال غيره به ، وان تأييد الوحدة به على ضعف وهو هوج فيه ،
خبر من شق مصاها بخذله والتفرق عنه

فان استطاع خصوم سعد استعاطه من مكانته ، باقاع الاوة بدم كفاءته فمن
ذال الذي يستطعم اقتابها بكفاءة زعيم آخر من بعده ، اذا فرضنا انه يوجد فيها
كثيرون من مثله ، ومثل كثير في الانام قليل ، ومن ذا الذي يستطيع في
كل وقت ان يحدث لها احداثا كاحداث التي مهدت السبيل لرهامة سعد ، كنفلة
رقباء الشعوب وحراسها ، ورعاة الامم وسواها ، وقطاع طارق الاستقلال والحرية
عليها ، تلك الغفلة التي اوقعت انكساراً فيها سكرة الحرب أولاً ونشوة الظفر آخرها
فكلنا من أثر السكرتين في رجالها ، مصر ما وقفوا فيه من الافراط الانجائية والسياسة
التي جمعت كلمة الشعب مع حكومته أول مرة في تاريخ الاستقلال. وقد أثرنا في هذا
المقال الى ما كان من فائدة ذلك في تكوين الوحدة المصرية وجمع الكلمة على صمد

وزارة شمسى ، وقد تم ذلك وكل في وزارة عدلى التي هي وزارة رشدي حينها هي وقت آخر وتطلب آخر ، إذا لولا هذه الوزارة لما أمكن للشعب ان يحصل بحودة سعد الى البلاد تلك الاحتفالات العامة التي لم يسبق لها نظير - ولكن وأنها قد صدق في هذا العام قول الشاعر :
 فخارهم في بيا قصه ، على أهد هذا العام ، وما تلاه من النقص
 انما كان في طور واحد من أطوار حياة هذا الشعب الاجتماعية وفي فصل من فصوله
 تاريخه ففسى أن ينده هو مرة تقيه ان يلدغ من جحر سمين ، وخبرة فحبل بالفوز
 من قلبه قوسين

جهاد سعد الأخير

رأى العالم ، علم سعد بأنها بما كان من التجربة الأخيرة والاختيار ان الأمة التي
 اجتمعت كلمتها على طلب الحرية والاستقلال وحملته لسانها الناطق ، وقتها الخافق ولم
 يمكنها اعلان رأها وظواهر شعورها ، الا بموافقة الحكومة الوطنية ليا ، وان تأثير الحكم
 في أنفس هذا الشعب وما ورثه وترى علمه من الخفوع لم يذ التاريخ اقدم لا يزول
 كله في أول نهضة قوية جديدة ، وان وافق أصول مشرعها الالهى (وأمرهم شورى
 بينهم) وأصول الحقوق المصرية التي يسمونها الديمقراطية الحديثة ، والله لم يقدر
 هذا قدس كما ينبغي الا بهذه الحوادث الأخيرة ، اذ لم يكن يحظر ريال أحد أن يصد
 عنه نفوذ الوزارة الالوف الكثيرة ، حتى من أولئك الذين اقاموا لأكبر المخاوف ،
 رافقهم لآل ديدة ، وأن يشاهروهم على ذلك أكبر الجرائد ، فلماذا وجه كل عنايته الى تقوية
 روح شخصية الأمة والفكرة الديمقراطية فيها بحملاته الشديدة على الوزارة العدلية
 في خبطه البليغ ، وبلاغاته واجتماعاته المختلفة على سلوكها فيما ساء ، اغتصاب الثقة
 من الأمة ؟

فوق على الأمة وزارة عدلى باشا منقطة مع الدولة البريطانية على جدول ساطاتها
 (أي حكمها وسلطانها) على مصر شرعيا بتقديم معاهدة على أصول مشروع ملتر الذي
 رفضه هو البتة يلنى فيها لفظ الحماية ويتردد معها بصمة شرعية ، بعد ان كان هدوانا
 نيطاله الحقوقي الاسامية والقوانين الدولية ، وترضى فيها البلاد بضرب من الاستقلال
 في الإدارة بتقدير تميزه لما وضع في سبيله من المؤثر والعقبات البكاداة ، على

أنه عرضة للالقاء أو الاسترداد ، مادامت قوة الاحتلال العسكرية راسخة لاقدام في البلاد ، وثأريك بما أنشأوا فيهما من ميادين الطيران الحربية والتجارية ، لجعلها ملتقى جميع قوى الامبراطورية البريطانية

وأقول إن من أقرى حججه له على ان الانكباب يريدون خدام مصر وارضاءها باستقلال صوري حفظا منه دون حظ سائر مستمراتها المستقلة لتفريطهم لشأن حادثة الاسكندرية التي يمكن حدوث مثلها في كل بلد من البلاد يوجد فيه اجناس مختلفون او احداثه يندل قليل من المال ، فقد هيجوا جاليات الاجانب والدول الاوروبية بها على المصريين وخوفهم منهم هل ارواحهم وأموالهم ، اذا لم تكن الجيوش البريطانية يمدافها وطياراتها حامية لهم ، وانجذبتهم بروقياتهم وجرائدهم اياها حجة بالغة على ان المصريين غير أهل للاستقلال بالادارة والحكم

حادثة الاسكندرية ، وما ادراك ما حادثة الاسكندرية ، هي الحادثة النافذة التي هضم شأنها خلافة الاستعمار بكيدهم وهيبهم بالامم والدول ، ولعبهم بها كالمبالي الصبيان بالكرة ، حتى جعلوها من أعظم حوادث الكون التي يقضي العدل بأن تكون القاضية على حرية الامة المصرية بأسرها — وهي ان بعض السوق والمواهم مروا في مظاهرة وطنية ببعض بيوت الروم (اليونانيين) وكانوا يتفنون لمصطفى باشا كمال باطانة الوجدان الديني الذي لا بدع هدا من جريدة اسلامية في تونس خاليا من الاشارة بذكره ، والتمظيم لامره ، فأطلق عليهم الرصاص بعض اليونانيين فأصاب بعضهم وجرح ذلك الى تشاجر بين الوطنيين واليونانيين ومن يشبه بهم من الفريقين قتل به أفراد من الفريقين وجرح آخرون والمصابون من الوطنيين أكثر ، وقد استنكر ذلك واطهر الالف لوقوعه بجميع المصريين من جميع البلاد في جميع الجرائد ، وصادر الزعيم الاكبر سعد باشا زغلول وصية الامة بأن تبالغ في بحالة الاجانب وحسن معاملتهم ولا اعتدي عليهم وان هم اعتدوا عليها

لكن السياسة التي نستعمل كل منكر في سبيل مطامعها جعلت هذه الحادثة برهاناً قاطعاً على بعض جميع المصريين الذين استنكروها وقبحوها لجميع الاجانب وتصبههم عليهم وترهبهم من الدوائر لم تكنوا هم ، ولو كان المصريون متصفيين

الاجانب وواقين لهم ، اظهر أثر ذلك في كل بلد فيه اجانب ليس لهم من القوة
مشرع ما للاجانب في الاسكندرية التي تكاد تكون بلدا أجنبية ولا سيما في اثناء
ثورة سنة ١٩١٩ على الانكليز أنفسهم ، والمهجوم على رشاشاتهم ومدافعهم ، وقد
كانت السلطة في تكبيرهم من البلاد امانة الامة في تلك الاثناء لا الحكومة الوطنية ولا
المحتلين — ولو كان المصريون كذلك لما نال اليونان في بلادهم هذه العروة الواسعة
التي ليس لهم مثيلها في بلادهم ولقد كانوا قبل الاحتلال مع سائر الاجانب اعظم
كسبا وأقوى نفوذا ، ولو كان المصريون كما ذكر لامكنهم ان يملئوا من التكاية
باليونان بمقاطعة تجارتهم وزراعتهم مالا يملفه الاعتداء على اشخاصهم

١. تحقق لكل مصري ان بعد سلوك الانكليز في تكبير هذه الحادثة دليلا على
نيتهم فيهم ، وهم يملسون انه اذا كانت الاستقلال يتوقف في وجوده أو بقاءه على
استمالة وقوع مثل هذه الحادثة فلامطمع لان هذا مما يمكن حدوثه واحدته في كل آن ،
ومن غرائب ما قامت هؤلاء البارعين في تصوير الحوادث بمبرصورها والاستفادة
منها في كل زمن بحسبه ان حادثة الاسكندرية كانت في الزمن الذي تروي انا
برقيات انكفارة وجرائدها أنباء الارلنديين (السين فين) اخذان المصريين في
رفض الصودية البريطانية في تدميرهم للباني التجارية وغيره وانضامهم لمز استطاعوا
اختياله من السالين لحريتهم ، ولم نسمع ان أحدا منهم احتج بهذه الافاعيل الضعيفة بل
ما احتجوا على المصريين في حادثة تمت بالنسبة الباهظة ويكثر وقوع مثلها في كل أمة ،
ولكن هلوس هذا التهوريل في الحادثة كثير من مقلد اليونان وغيرهم من فضلاء لاوربيين
وشهدوا حقنا بتسايح المصريين واکرامهم للاجانب وحسن معاملتهم لهم ، ولو سكت
هؤلاء او جروا في أباطيل تيار السياسة الكاذبة اقرسوا في قلوب المصريين وسائر
الشرقيين من بعض الاوربيين وسوا الافتقاد فيهم مالا يمكن ان يتلافى مستقبله
الاحتلال العسكري للبلاد بل لا يريد الا اشتغلاء وحمل يوجد بشر يحب الانسانية
يؤد هذا ويرضاه ١

وجلية القول ان جهاد صمد باشا موجه لأن لقوية الامة واهداده امارد ما يتوقف
من تعقيد وقد الحكومة البلاد به بضمها الى الامبراطورية البريطانية بأي اسم من

الامم، وأي شكل من أشكال الحكم الذاتي بحيث يكون الاتفاق الجديد بين الحكومتين إن تفضلنا، فإما من مظاهر القوة لاشية فيه من الحق وتستمر الامة على وجودها له حتى تنال حريتها تامة كاملة باذن الله وقهرته التي لا تموت قوته ورحمته التي لا تضيق حقبا الاعلى من فرط في حقه وترك الجهاد في سبيله فكان هو المضيف له فمخالفتة لسنن الله في العمران.

لهذا الذي شرعناه كنا نعتجب جدا العجب من طلب سعد لرئاسة الوفد الرسمي وتولي المفاوضة لاننا نعتقد أنه لا يخفى عليه ان الدولة البريطانية يستعمل ان تسمح بحرية مصر واستقلالها التام مجرد المفاوضة السياسية وتقول في نفسها لم يشأ ان يمرض نفسه فاشل واذا كان لا يرضى بحمل الحاية شرعية باسم آخر أم يظن ان الاتفاق على تولية امر المفاوضة كان في جمل ذلك الحال السياسي ممكنا وواقعا ولا اعتراض بعض الكتاب كأميين بك الرافعي على دخوله في المفاوضة الرسمية كنا نحمد لمن رأيه اذا كان حقنا رأينا الى ان صار شارة قلة زعم الامة لان الزعامة الممثلة لوحدة فوق كل شيء في هذا المقام . ولم نجد مخرجا من هذا العجب والحيرة الا بما جاءتنا به الجرائد الانكليزية من التصريح برفض سعد لمشروع مائت برمته وعدم الرجاء بعقد اتفاق معه يرضى بريطانيا العظمى . فإما لنا من ذلك انه كان يخفي في نفسه شيئا وسم الخفة دوائر الجدل وبحال الشقاق لان اظهاره يفسد الخطة التي كان يرى انه لا بد منها . وهي ش أي الخطة — اما حل الحكومة بقوة وحدة الامة على تقدير نفسها بالمرسوم السلطاني الذي طلبه حتى تكون الحكومة والامة كامة واحدة لا يخشى من يفرق الدماء الانكليزي ليال مراده من جعل مركزه في مصر شرعيا — وإما جعل الحكومة عاجزة عن عقد اتفاق مع الدولة البريطانية لارتضاء الامة فيكون حجة عليها ولو تحقق الشق الاول من خطه لكانت الامة المصرية وحكومتها وسلطانها كتلة واحدة كاتمة واحدة ، واذا لم يتم فأييد الوفد الرسمي والوزارة بحبط الشق الثاني — فتمحيت معارضتها . ولم يكن التصريح بذلك لاعضاء الوفد المنتمين مع هدلي باشا من قبل يمكننا كالحكماء سابق من التفصيل ، بل لم يكن من الممكن أيضا ان يصرح سعد للامة قديم هو دمج أن الدولة البريطانية تريد منا كذا وكذا وترى انها لن نحمد اليه سبيلا

الاجرة حكومة وطنية تصدع بناء الوحدة التي هي قوتنا في اظهار حقنا امام قواها الكثيرة التي تعتمد عليها في سلب هذا الحق من لان هذا التصريح ينافي الحطة التي استنبطناها على كونه غير مفعول — فان مناه دعوة الحكومة جبرا من اصلها الى اذناها الى مقاومة الدولة البريطانية ، وهو تصريح لا يأتي من هائل

النتيجة

(١٨) هذا ما ظهر لنا من سياسة سمد باشا وخطته بعد التروي والتحميص ، ولعل هذا قد خفي على الالف من الناس بضروب الجدل والمطاحن ، واكثر من ابد وفد الوزارة الرسمي انما ايدوه في طلب الاستقلال التام المطلق لمصر والسودان القوي هو جزء من المملكة المصرية لا يشل الانفصال وكثير منهم يعتقدون أن مطلب سعد وعدلي واحد وان عدلي اذا لم يوفق الى هذا المطلب فانه يقطع المفاوضة ويعود بالوفد الرسمي ادراجيه خلافا لما يعتقد السمديون كافة . فالاحتمالات في نتيجة سمي الوفد الرسمي ثلاثة أو أربعة لكل منها عاقبة

الاحتمال الاول — عند الاتفاق مع الحكومة البريطانية على اعترافها باستقلال مصر مع السودان استقلالاً دوايا تاما . مطلقا من كل قيد ينافيه مع محالفة بين الدولتين اساسها مبادلة المناهض كسائر المحالفات الدولية ، فان وفق الوفد لهذا فان الامة تتلقاه بالقبول والثناء وتكرمه بمثل ما كرمته به سعد باشا بل أعظم ويكون ذلك اجماعا صحيحا من الامة — وان فرض أن شد سمد باشا عنها في ذلك وظل يمارض عدلي باشا فانها تقبذه ظهر با ونحكم عليه بأنه يعمل لنفسه لا لما

في ادارها بالحيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
الاحتمال الثاني — أن يأس عدلي باشا من الاستقلال التام للبين في الاحتمال الاول او ما يقرب منه فيقطع المفاوضة ويعود بالوفد ادراجيه — وعاقبة هذا انه يعود وحدة الامة الى خبر مما كانت عليه وتتناقض الجهاد السياسي في سبيل حريتها ، ويتفق سعد وعدلي ورشدي ثانية في ذلك ويكون الرجاء في النجاح ضلعا ، فان يد الله على الجماعة كما صح في الحديث ويد الله لاتطلب . وقد رأيت من الحسين لظن في هؤلاء الكبراء كلهم من كان يعتقد ان الخلاف بينهم صوري نواظروا

عابه لأجل المصلحة ، و يترفع كثير من العارفين بأخلاق عدلي باشا و وطنيته ان
يقطع المذمومة بل يرجعون ذلك على نجاحه فيها

الاحتمال الثالث — ان يصح رأي سمد و يعقد الوفد الرسمي الاتفاق الذي
يقيد مصر و نظامها في سلك الامبراطورية البريطانية باسم من الامة المروفة
و المحترمة . و عاقبة هذا ان تتحول قلوب أكثر الذين كانوا يحسنون الظن بعدلي
الأرشد في عظم ما و تكبر حربه سمد بل تكون الامة كلها معه الا من لا يذكر من طلاب
الوطائف و ان تقع من الحكومة ولكن لا يعلم أحد الا الله ما يترتب على اصطدام
قوة الامة وقوة الحكومة المؤبدة بقوة الاحتلال اذا حاولت الوزارة تأييد الاتفاق
بالقوة ، و لا يظن أحد يعرف قيمة عدلي ورشدي بأنهم ما يفتلان ذلك ولكن قد
يتملأ في حال الاحتمال الرابع المذهب بين هذا وبين الاول وهو : —

بعضهم في (الاحتمال الرابع) ان يعقد الاتفاق على اعتراف افكترة باستقلال سيامي
دولي تام لمصر في داخلها و خارجيتها و حقوق في السودان لانتجع مصر في الادارة
و الزناط بالامبراطورية بمعاودة لا يعرض مصر للخطر في سلم ولا حرب . و أعظم
الخطار ان يذهب مصر بأن تجعل قواها و مواصلاتها تحت تصرف الجيش البريطاني و هو ما
يقضي المقام جميع الجرائد الى يانه . ففي مثل هذه الحالة تجدد الوزارة من الانتصار ما تقاوم
به السواد الأعظم الذي يقوده سمد باشا و نسأل الله حسن العاقبة و اتقاذ هذه البلاد
من كل مخنة انه صديق محب

٥٢٣ السياسة ورجال الدين في مصر

و لم يعلم رجال الاستعمار ما لا يعلم رجال الدين في البلاد المستعمرة بالفعل ، او بالقوة
من سلطان الدين على الارواح ، و تأثيره في الارادة الباطنة على الاعمال ، فهم
يشؤون أدنى العناية في كل شعب يظله سلطانهم بازهاق دوح دين الشعب الذي
على غير مذمتهم أو نحو بله تهن مذهبه اذا كان مخالفا لمذمهم و يشنون فيه دعاة
مذمهم الذي و يؤيدونهم بما لديهم من حول وقوة ، و من مناهضتهم لدين الشعب
و انجاد رجاله عن احوال الحكومة و مناصبها و تجري جعل أصحاب الوظائف الشرعية

الشريعة وبغضها عن الدين، وأما رجل زكي ميل للإصلاح يشغلونه بالوظيفة ومطاميرها ورجاء الترقى فيها عن عمل حر لا سهل مراقبته فيه وصده عنه - ولا يقبلون مثل هذا إذا كان لهم مندوحة عنه - وأما رجل مشهور بصلاح أو علم ولكنه فقير جبان حريص على رزقه، فيستفيدون من شهرته عند الحاجة

كذلك يحولون بين المستمسكين بمرور الدين والفيرة عليه وبين الترقى في مناصب الحكومة إذا انظموا في سلكها بمقتضى نظام البلاد من حيث يتكاملون أمر مناهضة التحليم الديني ومراقبة المتدينين من عمال الحكومة ولا سيما أعمال وزارة المعارف إلى أهل الدين المتخصصين له منهم، ولا يشقون إلا أن يظهر لهم عدم المبالاة بعونه وبوائيم فيما يعلم من مقاصد ونياتهم في ذلك

ومن الشواهد على ذلك أن مشر دولاب الذي جعلوه مسيطرا على وزارة المعارف في معادهم عهد الاحتلال هو قسيس من رجال المذهب البروتستانتي، وعلى يدهم عالم من الأزهر بأن يكون وزيرا بجانبه ورئيس إدارة أو قلم تحت سيطرته إلا ومن الشواهد الجلية أيضا من مجلة المنار من السودان ومصادرة نسخة التي أرسلت مجلة وأحرقها بالنار وذلك قبل الحرب التي أوجدت في زمنها المراقبة على الصحف في كل مكان، وقد علمنا من النقات الذين كانوا في السودان أن المنع كان اجابة لرغبة بعض المبشرين، وقد شكوا الأمر إلى السرة ونجت باشا إذ كان الحاكم العام للسودان فإشكانا وهو هو المدود من أوسع الانكباب صدرا وألجئهم هو يكتفوا وأكثرهم مداراة واستمالة للناس

وأكبر الشواهد عندنا على ذلك ما نقلت من قلم لورد كرومر في كتابه (عاشق الثاني) وهو هو الواسع الصدر الذي ضمن الحرية الشخصية في طول مدته خيماها تماما كان من أكبر أسباب شهرة الانكباب الحسنة في الشرق كله، نقلت من قلبه في هذا الكتاب ما شاف عما كان منملوا به من التعصب الديني الذي كان يخفجه بالرياء الغربي الذي يوصف به البريطانيون وظهر للناس أن من أسوأ خباياهم ظلم كل مسلم ترى تربية إسلامية وتخلق باخلاق الإسلام بما يراه من مناصب الحكماء في بلاده وحصر هذه التعصب في المنعرجين بأهوية الإوروية الذين رماهم القورد

قوله في كتابه (مصر الحديثة) بأفصح النعوت ونبرم بشر الاقارب. وهالك نصريه
منه في ذلك

قال اللورد في أواخر الفصل الرابع من كتابه هذا بمناسبة الكلام على استقالة
وزارة رياض باشا الأخيرة ما ترجمته : « ان فشل تجربة رياض باشا تقني درساهو
ان لا فائدة من محاولة قيادة الرأي العام الاسلامي في مصر بواسطة رجل مثل رياض
باشا . على ان التجربة كانت في غير محلها فلو انها نجحت لكانت الحالة السياسية
تغيرت تغيرا حسنا الا انها لم . الحظ فشلت فشلا تاما

« ولما جرت مرة ثانية تكون نتيجتها فشلا ثانيا فان من الواضح ان المسلم غير
المتخلق بأخلاق الاوربيين لا يقوى على حكم مصر في هذه الايام لذلك سيكون
المستقبل الوزاري للمصريين المنربين تربية اوردية . » فهذا قوله في رياض باشا الذي
لم يتول الوزارة في هذا العصر رجل مثله في عدله وحسن ادارته واخلاصه وقد اتى
عليه لورد كرومر في خطبته الشهيرة (بالاديرة الخديوية) وفي أحوال أخرى بما لم
يشن على غيره ؛ ولكن ذنبه عنده انه كان يراعي الشعور الاسلامي ويحافظ على لم
كرامة الاسلام

وقد اهذرت مجلة المقتطف من تصريح اللورد في كتابه هذا بمثل هذا الكلام
— ولم تذكره — بأنه كتب كتابه هذا لقومه ولم يخطر بباله عند كتابته انه سينشر
في مصر وفي غيرها من بلاد الشرق

وهذه السياسة قد لقنها المسيطرون البريطانيون للوظفين المصريين بالعمل
فصار يعرفها كل أحد ، وكان من تأثير ذلك مالا يحل لشرحه هنا ، وانما فرضنا
ان تثبت ان المسلمين حقيقة وهم المؤمنون بمقائد الاسلام المتخلقون بأخلاقه المحافظون
على شعائره وعبادته المربصون على مجده وكرامته لم يكن لهم حظ كبير من حكومة
بلادهم ولا صبا اذا تربوا في المهادد الدينية كالازهر والتزموا زي علماء المسلمين
وخرضي من يان هذه الحقيقة ان اذكرا تناقل عنها بأنها اقوى اسباب
جلاء الازهر في عهد الاحتلال عن الاشتغال بالمصالح العامة وسياسة البلاد ، وكان
الانكليز يظنون انهم امنوا بها من القيام بامرة فورية للمطالبة بحقهم من الحكم في

بلادهم بدلا من الاجانب الذين افقتوا عليهم فيها وحلوا محلهم في كل فروع اعمال حكومة بلادهم ومصلحتها ، وان من أكبر أسباب كراهة الانكليز لسد باشا زغلول كونه جاور في الازهر في حياته عدة سنين ولكنهم لم يظفروا بطائل من نيزه بلقب التعصب الديني على حسب عادتهم « رمتي بدائنا وانست » لانه قد اشتهر بالتساهل الديني بما لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذي أدخل نطمع الدين المسيحي في مدارس الحكومة في عهد وزارته للمعارف فجاء بعمل لا نظير له في حكومة من حكومات أوربة ففساد دع غيرها ، والقبض يعرفون ظاهره وباطنه ويستقدون انه اذا تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق به في حكومتها المستقلة فان حظهم منها سينيلهم ما لم ينالوا في عهد الاحتلال

وقد كان الإنكليز آمنين من انقلاب سياسي في البلاد بسعي الفين يترجون على الطريقة الافرنجية ولا سيما الانكليزية لاعتقادهم ان هؤلاء لا يهمهم غير اموالهم وشبهاتهم الشخصية فبداهم ما لم يكونوا يحسبون وجاءت النهضة الحديثة من قبل الشبان الذين نشؤوا في المدارس الاوروية الترية سواء كانت بمصر او أوروبا وانتقلت من هؤلاء الى الازهرين وغيرهم من شبان المهاد الدينية ، فكان هؤلاء الشبان وقتيل من الشيوخ قائلين بذكري نهضة سنة ١٩١٩ ولما سكنت الحركة وكان من الضبط على كثير من رجالها وشبانها في عهد وزارة توفيق باشا نسيم ما كان وضع للازهرين وصائر طلاب المهاد الدينية نظام خاص حظر على أهلها ان يشتغلوا بالسياسة وفرض على المشتغل بها منهم عقاب ليس هذا محل بيانه

ولما تنفس الزمان لمصر في هذا العام وصمحت السياسة بما سمحت به من المظاهرات لوزارة المدلية ثم لسد باشا زغلول على أمل اتفاقها في العمل كان لعلماء الازهر ظهور لم يكن لهم من قبل

فقد ظهر في ميدان الوطنية السياسية الشيخ محمد نجيب الذي كان بن أقوى أنصار الاحتلال في عهد اعلان الحماية الانكليزية على البلاد وقد ولي منصب افتا الديار المصرية فخدم السلطة المحتلة به أي خدمة فبرأيه ورأي شيخ الازهر في ذلك المهدي حذفوا اسم السلطان العثماني من خطبة الجمعة مع اعتراف البلاد له بمنصب

الخلافة ولم نجد بريطانيا في أميراطوريتها الهندية من رجال الدين كذبن الشيعيين
تستعين بها على حذف اسم الخليفة من الخطبة — وهذا اذ كان أكرها علماء الأزهر
على إعانة الصليب الأحمر

واضرد المفتي الشيخ نجيب باصدار تلك الفتوى الطويلة المبريضة في تبريح
البشعة والتفكير منها حسب اقتراح السلطة المحتلة، وقد صفت جريدة التبليغ
الانكليزية الى خبار العالم بالفتوى البغيضة وعرضوها قبل صدورها بمدة طويلة.
ولذلك قامت عليه قياة الجرائد الوطنية ورد عليها الأزهريون وغيرهم
ولما اشترك الأزهريون بالحركة الوطنية عند قيام الوفد بها كان الشيخ نجيب
حربا لهم حتى قبل انهم حددوه واستقطوه في مظاهراتهم وطعنوا فيه بمخطبتهم واسمهم
ما يكره في نفس الأزهر في اثناء تشييم جنازة الاستاذ الشيخ ابراهيم القاياتي
رحمه الله تعالى

وأما في هذه الكرة فقد اتفق مع الشيخ عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق
الصوفية على الاحتفال بسمد باشا في دار الثاني الواسعة وانضم اليها كثير من
الشيخ المدرسين في الأزهر فكانوا من أرفع أنصار سمد باشا صوتا
ولما اشتد الخلاف بين سمد ووفده والوزارة المدلية مال الشيخ نجيب بأعوانه
من الشيوخ الى تأييد الوزارة مع حفظ خط الرجعة مع سمد أو الصيلة به وسعد يرى
تأييد الوزارة متعيا القطعية له وللوفد بل للامة فمن أبدعها لا يبقى له حبل ولا يخط
يصله به، فمن ثم عد الشيخ خسما وهدم ما بناه في هذه المدة القصيرة من المنزلة
الوطنية وكثر طعن السمديين فيه من حيث صار المدليون يكرهون مقامه ويلقبونه
مع أنصاره من الشيوخ بأئمة الدين الذين يجب تقليدكم في السياسة كما يقلدون في الدين.
ولكن زعيم هؤلاء الأئمة أو إمامهم لم يلبث ان جنى على نفسه جناية أدبية
تؤثر في صيت مثله ومقامه ما لا تؤثر الجنايات القانونية، ذلك بأن الشيخ نجيبنا
افترض نألم الامة المصرية على اختلاف أحزابها من نيز بعض الافرنج لما لقب
المصعب الدين من جراء ماسمي حادثة الاسكندرية اذ زعموا ان بعض المصريين
للأجانب بسبب مخالفتهم لهم في دينهم هو الذي حملهم على الاعتداء عليهم —

افترض ذلك بانشره. المقالة بلغة في فلسفة التعصب اعتقد ان سيكون لها أكبر وقع في قلوب جميع أشراب الامة وطبقاتها لما فيها من الحقائق المتجلية في أبهى مرض من البلاغة والفصاحة يجمعها بين الجزالة وعلو الأسلوب والسهولة التي تناوّلها أفهام العامة. فهي تشرح معنى التعصب وتبين كنهه وأسبابه ودواعيه وكونه من سنن الاجتماع والديان سواء كان مناطه الجنس والنسب أو اللغة أو الوطن أو الدين، وأنه كثيره من القرائن والملكات الإنسانية له حد اعتدال يكون نافعا للامم والشعوب بالعقائد والوقوف عند حده، وطرفا افراط ونفريط يمرض الضرر للامة بتجاوز حد الاعتدال الى أي منها، فالاعتدال في التعصب أن يكون تعاون الجاهة أو الامة الذين تهجمهم رابطة على ما يحفظون به حقوقهم ومصالحهم ويرفعون به شأنهم في العلوم والأعمال التي يرتقي بها البشر وتتنافس فيها الامة - من غير تقصير فيما ينبغي لذلك بحول دون الغاية وهو التفریط ولا إسراف يحل على ظلم الخارج من هذه الرابطة والاعتداء عليه لانه مخالف وهو الافراط.

وكل من تجلّت له هذه الحقيقة من مرآة الشعب المصري يجزم بأنه لا يزال أقرب الى التفریط فيما ينبغي له من حفظ جامعة القومية والوطنية واعلاء شأنها بمساندة الشعوب العزيزة منه الى الافراط المائل على المدوان على المحتفين وهضم حقوقهم كما يفعل جميع المستعمرين من الافرنج - فنشر المقالة في هذا الوقت كان عملا نافعا من وضع الشيء في محله في الوقت المناسب له.

ولكن المقالة ليست من انشاء الشيخ محمد بنحيت الناصر لها في الاحرام ولا هو بالذي بقدر على كتابة مثلها في أسلوبها ولا تحرير المأبقة التي شرحت فيها على بل هي من مقالات الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) الشهيرة التي نشرت في جريدة (العروة الوثقى) التي أنشأها هو واستاذة موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني (قدس الله روحهما) في باريس عقب احتلال الإنكليز لمصر لمقاومة الاحتلال ودعوة المسلمين الى الاتحاد وكان السيد هو المدير السياسي والاستاذ هو المحرر الاول لها. وقد نشرنا هذه المقالة في المار من زمان عشرين سنة معزوة الى الاستاذ الامام ثم نشرتها جريدة المريد قلا من لدن. ثم نشرناها في الجزء الثاني

من تار يخ الأستاذ الامام الحاروي لاشهر منشآته من مقالات ومكتوبات . ثم طبعت
أعد اد العروة الوثقى بروتها في بيروت ونسخها تباع في مصر ، وبلغنا ان بعض الشبان
يحفظونها هن ظهر قلب ، ولا غرو فالمقالات الاجتماعية في العروة الوثقى من
المحفوظات التي يستعان بها على طبع ماسكات الانشاء العالي في النفس ، كما انها من
أفضل ما يوقظ الافكار ، ويبعث فيها روح العظة والاضبار ، وينبهها لما يساور
هذه الامة من الفوائل والاطهار ، مع بيان عللها وأسبابها ، وطرق معالجتها والتفصي
منها ، وقد كان تحمل الشيخ بخيت لهذه المقالة منها على ما ذكرنا من شهرتها أغرب
ما ينتقد عليه ، ويسدد سهام الاوم والتخريب اليه

نشرت المقالة في الاحرام ، فلم تلبث ان كانت الشغل الشاغل للالسة والاقلام ،
وانبرت الجرائد اليومية لمواخضة الشيخ على هذه السرقة المفوضه ، وطفقت الجرائد
الحرية تخترع النكت للضحكة المبكية في هجيزته والرزاية عليه ، وقد كان مما قرن به
هذا الاتحال من الخذلان ان الشيخ بخيتا حرف في المقالة بعض الجمل وغيب وقدم
وأخر ، وكان محمد بك ابو شادي المحامي الشهير أشد من انتقده اذ كتب في
جريدة وادي النيل الشهيرة مقالا تهكبا في جمل مواخضة مانشره اليوم لا نشر بقلم
الأستاذ الامام منذ أربعين سنة ومن باب توارد الحواطر وقد أودعه المقالة بحروفها ،
مع التنبية الى ما حرف الشيخ بخيت منها ، بجمل الحرف مقابلا للاصل في جدواين
متوازيين ، ونشر محروس افندي عبده أخو الأستاذ الامام لايه المقالة في جريدة
الامة مقرونة بما يقتضيه المقام من الاستغراب والتقد . وقد حدثنا بعض العلماء الثقات
أن بعض الناس في دمنهور طلق بقرا المقالة هندوصولها اليه في اليوم الذي نشرها
فيه جريدة الاحرام فقال له أحد السامعين : على رسلك وألق السمع الي لا تتم لك
قراءة ما شرعت فيه فاني أحفظه وأنم قراءة المقالة من حفظه فلم يكن بينه وبين ما في
الاحرام الا تلك الجمل القليلة التي شوه حسنها التحريف

ولو ان الشيخ بخيتا نشر هذه المقالة مع مقدمة بين فيها ما أسرفنا اليه آفانما
كونها أفضل ما يرد به على اتهام المصريين بالتعصب الديني الضار بحمله على ابداء
المخالف في الدين لانه يخالف وعزاها الى صاحبها أو الى العروة الوثقى اذا كان

يقتل على طبعه ، تنويه بفضل الاستاذ الامام باسمه - ليكون خبره له وللخدمة العامة - أما الاول فظاهر وأما الذي فهو ان لم الناس بصاحب المقالة ذي المكانة العالية المروفة التي يتصادف ارتفاعها في الانفس عاما بعد عام يزبدن رغبة في قراءتها وتأملها والارتفاع بها ، ولاشك في ان قراءة الناس للمقالة قد زاد بعد ان نشر في الجرائد ما نشر من انكار انتحالها على الشيخ نجيب وعزوها الى الاستاذ الامام ، وقد قلت لاستاذ شبر من أهل العلم والادب زارني في اليوم التالي لليوم الذي نشرت فيه المقالة : هل قرأت المقالة التي نشرتها جريدة الاهرام أمس للشيخ نجيب؟ قال رأيتها وقرأت اصطلا من اولها ولم أنمها ، ولم اضيق وقتي في قراءة ما يكتب الشيخ نجيب في التمهيد والبحث في تعريفه بمثل ما يبحثون في الازهر بتعريفات الفنون . وقد كان مما حارف من المقالة بيان معنى التعصب لغة وعرفا تقديمه الشيخ عن موضعه لعله في أول المقالة محرقا ، قلت ان هذه المقالة هي مقالة المروة الوثقى الشهيرة التي تعرفها - وذكرت له تصرف الشيخ فيها قلت اذا أعود فاقراها -

ألا ان فلة الشيخ نجيب هذه من العزاة بمكان وان كان أكثر ما يكتب أعماله ليس الا قلة لما كتب من قبلهم ، واغرب ما حدثنا به غير واحد من التفات عنه انه قال ان المقالة له ، وانه كان هو والمرحوم الشيخ احمد أبو خيلوه يكتبان المقالات ويرسلانها الى الشيخ محمد عبده في باريس فنشرها والمروة الوثقى غير معزوة اليها ١١ وهذا نخلص عرض له في المجلس لم ير له مخرجا سواه ، وقد كرم نفسه ان ينشره في الجرائد ولو نشره لسمع من تعبيده وما يحتف بهذا التعبد فوق ما منته توقعه من نشره

وان تعجب أيها القارئ لهذا الجواب ، فاسمع ما هو أجدر منه باسم العجب العجيب ، وهو ان الشيخ نجيبا قال في بلاء من ألمانيا ان قنوا في الباشية قد كانت وسيلة الى أمر عظيم وهو تباين قواعد الباشية وقوانينها على الشرع الاسلامي ، ذلك ان انور باشا سمع على زعيم الباشية (لينين) الشهير ان يساعد على نشر الباشية بسبب هذه الفتوى وتوى أخرى للشيخ الاسلام في الاستانة مختصرة في معانها فاضطر (لينين) الى تغيير قواعدها واجملها وافقة للشرعية

هل هذا وكان الشيخ بخيت هو الشيخ أحمد أبو خنطة هو المحدثين لتلك المقالات
 الإصلاحية التي نشرت في بضعة عشر عددا من العروة الوثقى فاهتز لها العالم الاسلامي
 وكادت تحدث فيه انقلابا عظيما على منع بريطانيا العظمى إياها من دخول مصر ولهدد
 وفيرها من الاقطار الاسلامية وفرضتها غرامة تدكر على من توجد يده سمعت شيخنا
 الشيخ حسين الجبر يقول: ما كنا نشك في ان العروة الوثقى ستحدث ثورة كبرى
 في العالم الاسلامي اذا طال أمرها الخ. وحدثنا الثقة ان الزعيم الكبير السيد سلمان
 الكيلاني تقيب الاشراف يفتاد في ذلك العهد كان يقول كلما قرأ عددا من العروة
 الوثقى لعله لا يجيئ المدد التالي له الا ولا انقلاب المنتظر قد وقع - او ما هذا معناه -
 هذا الروح القوي المؤثر المتجلي في تلك البلاغة العالية كان العالم يزعم ان مصدره
 اتصال كبرياوية السيد جمال الدين الافغاني بكبر بائية الشيخ محمد عبده نابقي الشرق
 والاسلام في هذا العصر، ذلك أول اتصال الذي تألق برقه فأضاء طريق الرجاء
 للشرق وكاد يكون صاعقة محرقة لمستعبدية - ولكن الشيخ بخيت يقول اليوم لا افراد
 من الناس ان هذا الروح روحه كان ينفخ فيه وهو في شرح الشباب بما كان له
 ذلك التأثير في العروة الوثقى. ولكن ما باله قد زعم في مدة أربعين سنة فلم يظهر له
 أثر في خطبة مؤثرة، ولا في صحيفة من الصحف المنشرة؟ وما باله اليوم وقد طفق
 يعبث ما بدا، لم يحدث من التأثير الا التهمك والاذى؟ وما بال مقالة الشيخ الثانية،
 ليس فيها أدنى نسبة من ذلك الروح، ولا أقل مسحة من جمال ذلك الاسلوب؟
 نشر الشيخ مقالة ثانية في التمسب انتقم بها من الذين صوبوا اليه سهام الارزاء
 والغبظة، ومن الامة المصرية أو لاسلامية بجماعتها أن سكنت لهم ولم يناضلهم عنه
 أحد منها، افتتحها بقوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق
 ولكم الويل مما تصفون) وجاء بعد ذلك بحملة طويلة من كتاب تهذيب الاخلاق
 لابن مسكويه وكتاب رياضة النفس من احبائه القرطبي في صفات النفس وما في
 اصنافها من الفضائل، وما في الخروج عن الاعتدال الى طرفي الامراط وتطرف من
 "رذائل"، وجعل ذلك مقدمة لتفنن الاعتدال وجميع ما يابيه من الفضائل عن المسلمين
 وثبات ضدها لهم ما كرهه من قوله: لو أن المسلمين كذا لما فعلوا كذا وكذا من

المعاصي والردائل ولا سيما التباغض والتحاسد وكل ما ينصح ان يوصف به من خاضوا فيه بما خاصوا بما لا ينصح المقال لنقله ولا لنقله ، لان قول انه ليس فيه من موضوع التعصب الا اثبات أفرط المسلمين فيه كغيره من الاخلاق والصفات وهذا تصديق الاجانب الذين رموا المهرين بالافراط والتعصب وزيادة لوفطائوا لجلوا الشيخ حجة أوفتوى على عدم استحقاقهم للاستقلال ، وهو ينقض أو يناقض الفرض السامي الذي ترواى لنا انه نشر مقالة العروة الوثقى لاجله كما تقدم ١١١

هذا ما كان من أمر الشيخ بحيث في تصديده وتصده . « طامة السياسة مع رجال الدين وكنا نود لو يوفق في هذا العمل لما يرفع من سر علماء الأزهري ويثبت لمن راجت عليهم دسائس الاجانب في استحقاق عزل رجال الدين عن السياسة وسائر المصالح المدنية أنهم أهل لكل ما ينفع الأمة بأفكارهم واقتلامهم وأعمالهم لان هذا ما تراه لهم وسبق لنا القول فيه مرارا ، فلا غرو اذا ساءنا جمل الشيخ مضنة في الافواه ، وان كان هو عقبة في سبيل الاسلاح الديني المدني الذي نسعى اليه حتى مقاومة البدع كما يعلم من ردنا على ما كتبه في تأييد بدع يوم الجمعة وغير ذلك فالشيخ بحيث لا يصحح للسياسة

وأما قريته في هذه الحركة الشيخ عبد الحميد البكري فهو يعد من رجال الذين بالوراة ومشيخة الطرق التي هي وتليفة رسمية لتقاليد معروفة ، وانما كانت تربيته وتعلمه مدينين لا دينيين ازهرين وهو محافظ على فرائض الدين وآدابه وأخلاقه فلما يوجد مثله في الجمع بين العيشة المدنية كالمتمرنين مع هذه المحافظة على الدين باداء الفرائض واجتناب المعاصي والردائل ، وهو كما تعلم غير راض عن بدع أهل الطرق وان رضي ان يكون شيخا تقليديا لهم ، ويتشبه لو يستلج الى اصلاح حالهم سبيلا ، ثم انه يحب الاسلاح الديني المدني الذي ندعو اليه وهو معتدل الفكر في ذلك على كثرة قراءته للكتب الفرنسية في الاجتماع والادب والسياسة ، ولما تذاكرنا معه في مسألة الاوكنا على اتفاق او اثنينا الى اتفاق . فهو في مكانة بيته وفي استقامته وآدابه واعتدال أفكاره أهل للزعامة الا أنه ينقصه من شروطها ما قلنا انه ينقص عدلي باننا فهو يشبه في المبالغة في حفظ كرامته الشخصية والبيئية وفي الاحجام عن كل ما من شأنه ان ينير حساما أو يعقب ملاما ، وفي عدم تعود الخطابة والكتابة والمجدل

والحاجة ، وقد عجبنا من دخوله في هذه المصعة بخلاف ما يعرف من طباعه على انه تصدى أولا لامر متفق عليه وهو الاحتفال بوكيل الامة ورئيسها قبل ظهور الخلاف فجعل احتفال العلماء به في ذره الواسعة بل قصره الفخم ، ثم جاري الشيخ بختيا على تأييد الوزارة مع حفظ الصلة او خط الرجعة مع سعد باشا ووفده ، ثم جاري الامير عزيز حسن ورشي ان يعقد في باحة قصره اجتماع عام برأسه الامير للاحتجاج على تصريح وزير المستعمرات البريطانية المستر تشرشل ولكنه لما علم ان سعد باشا سيخطف في هذا الاجتماع بعد ان صارت خطبه كلها تتضمن الرد على الوزارة وتدعوة الى عدم الثقة بها — ترك الدار المدعويين من جميع طبقات الامة الممثلين لها وسافر الى الاسكندرية ولم يحضر اجتماعهم . فاذا لم يكن هذا اعتزال منه للسياسة ومشاغباتها بل نزل عازما على الاشتغال بها مع رجال الدين او غيرهم فالذي أراه انه لا يمكن أن يعفى في ذلك ويثبت الا أن يكون رئيسا لجماعة من المتعلمين المعتدلين العارفين بحال العصر بشرط ان يسبوا بنظام مدون بحيث لا يصلحون عملا الا بقرار مدون ، وأنا ممن يرشحونه لهذه الرئاسة ان هو أقدم ، وارجح انه لا يفعل

تبيح البختيين وغروهم بلقب أئمة الدين

إذا أراد رجال الدين الاشتغال بسياسة أمتهم ومصلحتها العامة فأجوح ما يحتاجون اليه من الاستعداد لذلك التوسع في تاريخ الملل والامم المعاصرة وما وقع فيها من الانقلابات الدينية والمدنية وما دعا الشعوب الاوروبية الى الفصل بين الدين والسياسة وازالة سلطان البابوات وتأثير ذلك في البلاد الاسلامية كبلادهم وبلاد الدولة العثمانية التي كانوا تحت سيادتها على تحلي سلطانها بلقب خليفة المسلمين ، ويجب ان تكون أولى العوائد والحقائق المأخوذة من هذا التاريخ ان يعلموا أن شعبهم المصري ، نفسه وسواده الاعظم من المسلمين لا يقبل أن يخضع لشيوخ يزعمون انه يجب اتباعهم والخضوع لهم في أقوالهم وآرائهم في السياسة والمصالح المدنية لانهم من رجال الدين ، وان اتحلوا لا معهم ألقاب الأئمة أو جاد عابدهم بها في وقت من الايام من ينفعهم في مظاهرتة على خصمه

أقول هذا لاني أراه اول شرط من شروط نجاحهم الذي اودهوا وأثموا وقد

ثم ما معنى التنويه هنا بنسبة السيد البكري الى الصديق رضي الله تعالى عنه ! يجعل هذا كشيخة الطارق مما يفضل به جميع العالم الاسلامي وهو يعلم كما يعلم كل من يعرف الناس ان في المنسويين الى الصديق والى بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها من الصحابة البر والفاجر ، وان مشيخة الطريق هي ما يمد على الشيخ عبد الحميد البكري ولا يمد له لانها مشيخة بدع وخرافات أنزل الله بها من سلطان ؟

ايه ! ايها الاستاذ اربع على ظلمك ، وقف عند حدك ، وراقب ربك في هذه الانقلاب والنموت التي تكيملها جزافا ، واعلم ان أمانة الله على وجه رتبة عالية لاتنال بشهادة تؤخذ من الازهر وامثاله ، ولا بكسوة تشرى من الامراء والسلاطين ، أين آثار شيوذك في قيادة الامة التي نعلتهم اياها من لدعوة الى كتاب الله وسنة رسوله ومحاربة البدع والخرافات والالحاد والشبهات بها ؟ راجع ما كتبه حجة الاسلام الغزالي في الفرق بين علماء السوء وعلماء الآخرة لتعلم انه ليس كل من علم شيئا من هذه العلوم الشرعية وآلاتها المربية كما وصفت ، وراجع مراجعة خاصة ما كتبه هو وما كتبه الشمراني في الميزان بحديث « العلماء أمناه الرسل مالم يخالفوا السلطان » الخ

ايه ! ايها الاستاذ من أين علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سنده له ؟ هل رويت هذا بالسند عن الشيخ بحيث وأمثاله الذين فضلتهم على جميع لامة والعالم الاسلامي فأديت الامانة التي تلقيتها عنهم ؟ أم تلقيت هذا من فواه الذين يتجرءون على الرسول بغير علم فيسندون اليه كل ما يسمعون منه من أو يقرأونه في كتاب ؟ أليس هذا مما صرح الفقهاء والمحدثون بحضاره وتزوير تركبه ومنعه ، كما بينه ابن حجر في الفتاوى الحديثية ؟

أما حديث « اتقوا زلة العالم » فقد رواه المسكري في الامثال والديلمي في حديث عمرو بن عوف بزيادة « وانتقروا فيثته » وأورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ : اتقوا زلة العالم وانتقروا فيثته ، وأبو نعيم في السنن وابن دى في الكامل وراويه الذي انقرد به هو كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف بن زيد المري عن أبيه عن جده (١) قال الحافظ الذهبي : قال ابن ميمون ليس (١) الحديث أورده الشيخ الحوت في كتابه رسالة في بيان الضعيف من

ما دبت الجامع الصغير

لشيء . وقال الشافعي وأبو داود . ركن من أركان الكذب . وما لم مطرف بن عبد الله المدني رأيته وكان كثير المسمومة لم يكن أحد من أصحابنا يأخذ عنه . وقال له ابن عمران القاضي : يا كثير ! انت رجل بطل الخ . وقال ابن حبان : له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة . وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه . وهو معنى حديث رواه البيهقي من حديث مجاهد عن ابن عمر وفيه « ان أشد ما تخوف على أمتي ثلاث زلة عالم وجدل منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فاتهموها على أنفسكم » اهم من تمييز الطيب من الخبيث وهو في معناه حجة على الاستاذ الكاتب وان كان لا يحتاج به كما هو ظاهر

وأما جملة « لحوم العلماء مسمومة » فلا أعلم ان أحداً رواها حديثاً بل وجدت في كلام لابن عساكر فأما ان يأتينا الاستاذ عبد ربه بنقل في روايتها حديثاً وأما ان يكون هو الواضح لهذا الحديث وهو موضوع بلا شك . ونسأل الله تعالى ان يصالح هذه الامة ويلهمها رشدها ويقيها شر القرور القاتل انه على ذلك قدير .

وكتب هذا في الباخرة كايوب آترة بالقرب من سواحل ايطالية

المتعصم بالله آل رضا

قد وهب الله تعالى لصاحب هذه المجلة فلاماً سويماً بماء المتعصم بالله . وكانت ولادته عند معالم الفجر من يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ذي القعدة الحرام الماضي الشمس في ٢٥ من رجب السرطان (ص ١) سنة ١٢٩٩ هجرية شمسية (الموافق ١٨ يوليو (تموز) سنة ١٩٢١ ميلادية) فنسأله تعالى أن يشيع حياة طويلة طيبة ويذنيه نباتاً حسناً صالحاً ويجعل له من اسمه أوفر نصيب ويجزق قرعة عين لوالديه وآله وأمه ، وان يستجيب دعائنا عند مهاينا بأخيه الهام قبل ولادته بأربعة أصابع فيكون خلفاً صالحاً لذلك الفرط المتقدم (الذي ظهر عليه في طفولته من امارات الذكاء والنجاة والنصاحة ما يند . ظهوره من مثله) فيكون خيراً منه في ذلك كما وعد الصابرين المؤمنين . وان نجعل على ذلك من الشاكرين آمين

خواطر

الاستاذ الشيخ محمد الخضر

١ - ان كبرائك فاصبح بعلمك ما لم تعلم ، واتسم خباياك فبات يلقي عليك من الصور البديعة ما يلذه ذوقك ، فانت ما بين أسد ذي مخاض نصيحته ، ونديم لآفل صحبه ،

٢ - يسهط الشجر ظلّه المقبل ، ويقف بقناديل الكهر يا على سواء السبيل السبيل ، أفتجبر انت من البؤس وهو أحر من الامضاء ، وتوقد سراج حكمة بهدي بعد موتك الى المحبة البيضاء .

٣ - حبت العلم ضلالا فزاديت الى الجبل ، وآخر يزعم التقوى بلها فكان داعية الفجور ، ولولا ما تلقيناه في سبيلنا من هذه الارجاس ، لكنا خبر أمة أخرجت للناس

٤ - هذه الدنيا كالمعدة الزجاجية في آلة المصورة ، تضم الرأس ، وطى القدم ، ترفع القدم الى مكان الرأس ، فزولوا الرجل ، وآثروا الا ، يبدو لكم من مظاهره ٥ - يصنع الصانع الخلي ، وتصنع ما تجعل به النفوس في خوفك العلى ، فان ظلت

تتهافت على صنائع الخواصم والسلاسل ، فاعلم انها ما برحت لاهية عن هذه الحافل ٦ - سميت الاستخفاف بالشرع حرية ، فقلت برع في فن المجاز فتهمك بمن أصبح عبدا للهوى ، وسميت النفاق كياسة فقلت خان الفضيلة في اسمها أوحانه النظرفي فهمها .

٧ - كان لسان الدين ابن الحنايب جنة أدب تجري نحبها انهار المعارف فآنت أكلها ضمغين ، ولكن تنفست عايه السياسة يبخار سام لخصته ، وشبت نار الحسد في اقلوب القاذية فاحرقه

٨ - سرت والنور أمدك فانطلق ظلاك هل أنرك ، ثم واثم فذك فكان الظال يسمى وأنت على أثره ، وهكذا العقل يستقبل الحقيقة فيأبسه الخيال ، فاذا أدرعها انتلب الخيال الى امام ، وقاده في شعاب البطل يفر لجم

الوثائق التاريخية في المسألة العربية

٥

مذكرة الامير فيصل في مؤتمر الصلح

جاء في عدد جريدة الطان الذي صدر في ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٩١٩ تحت عنوان (نشرة اليوم) ما ترجمته (مطامع الحجاز)

من الاسف أن نضطر الى العودة الى البحث عن الحجاز . ان سكرتير الوفد الحجازي قد رد على النشرة التي نشرتها الطان مساء يوم الخميس (أي ٦ الشهر) بكتاب طلب اليها نشره فلا يسعنا والحالة هذه الا تلبية طلبه . كتب البنا عوني عبد الهادي يقول ان جريدة الطان نسبت الى ملك الحجاز مرامي توسع لم تدر في خلد البتة . وردف سكرتير الوفد تكذيبه هذا بالتاكيدات القطعية بقوله « ان الملك حسين لم يفكر قط بجعل مكة عاصمة جميع البلاد العربية التي عملت أخيرا من النيرالتركي فهو يفهم أحسن من أي شخص آخر الاسباب التي لا يمكن للحجاز بسببها أن تتعرض للامور السياسية الخاصة بهذه البلاد . فالمنافسة والابهام اذن والحالة هذه ليستا في الميل والرغبة في ضم البلاد التي أظهرها ملك الحجاز بل هي بالاحرى في الشدة التي استعملتها بعض الصحف ونسبت بها الى هذا الملك أفكارا ودعاري لم تحظر على باله

« ان ملك الحجاز لم يملن الحرب على تركيا الا لتخليص اخوانه في الجنسية الذين كانوا يقاسون ظلم الترك من النير الخفيف الذي كان يتقل كاهلهم كما يتضح من المنشورات التي أذاعها فيما بعد ، فهي لا يظهر منها انه بانضمامه الى الحلفاء ضد تركيا التي ارتقت في أحضان ألمانيا وحلفائها يرمي الى سياسة التوسيع ، بل صرح صراحة عديدة بأنه لا يرغب في ضم شبر أرض من البلاد العربية الى مملكته سواء كان من سورية أو العراق . بل الفكر الذي يرمي اليه هو أن يرى كل هذه البلاد التي مسها الضرر الشديد من جراء فظاعة الترك حرة مستقلة ، وهو غير مرتبط بأية رديقة كانت خصوصية او عمومية مع أية دولة كبرى ، ويرغب في أن تترك الشعوب العربية حرة لتقرير مصيرها طبق لمبادئ الدكتورولسون »

(٥) تابع لما في الجزء الثالث

هذا ما قاله السكرتير حسين (عوني) عبد الهادي على أن فرنسا وحدها تشر بارغبة في تأمين الحرية للشعوب العربية خصوصاً منهم سكان سورية التي كانت تخمهم سابقاً في الوقت الذي لم تكن حقوق الامم راسخة فيه بعد. وجريدة الطان نفسها بتوجيهها الانظار الى الحجاز الذي يحاول أن يوسم سلطته على سورية انما أرادت أن تدافع عن حرية العرب السوريين، ثم ان سكرتير الوفد الحجازي يؤكد أن الحجاز لا يروم أن يضم اليه شبرارض من البلاد العربية لامن سورية ولا من العراق !

وجوابنا على هذا

أن واجبات اللياقة والضيافة لا تسمح لنا أن نجيب على هذه التصريحات بالاهجة التي وضعت فيها ومن حسن الحظ ان مندوبي الحجاز أنفسهم هم أخذوا على أنفسهم الرد عليها فلنترك لهم الكلام بتحليل مستند حرره أنفسهم ان هذا المستند الذي قد يمكننا طبعا نشره على علانية اذا أرادوا قد نشر بعنوان (مذكرة من الأمير فيصل) الذي هو ابن ملك الحجاز ورئيس المندوبين الحجازيين الموجودين الآن في باريس وقد جمل تاريخها اول يناير سنة ١٩١٩ وقدمها الى الدول المعطى بمناسبة المؤتمر وهي بيان للمطالب الحجازية أفرغت في قالب من الوسوح والبلاغة يعودان بالمدح والثناء على الذي حرره، واننا نسره والحق يقال أن نشره للجمهور بياناً واضحاً بدرجة هذا البيان وسيطلع كل شخص ذي ذمة عليه بكل سهولة دون أن يحوجنا الى تفسير كل دقائقه

مذكرة فيصل لمؤتمر الصلح الاول

استهل الأمير فيصل مذكرته ببيان الاقسام المختلفة التي يدعوها آسيا العربية فقسما الى ستة أقسام ورتبها الى تيب الآتي (سورية والعراق والحيرة والحجاز ونجد واليمن) وقال انها تختلف خلافاً كثيراً بعضها عن بعض ويشتر دمجها في دائرة حكومية واحدة ولذلك حاول أن يدين المصير الذي ينبغي أن يكون لكل واحدة منها

ابتداً أولاً سورية فقال ما يأتي (اننا لنتقد أن سورية هذه المقاطعة الصناعية الزراعية التي يقطن فيها عدد كبير من السكان من شعوب ثابتة هي بلاد متقدمة تقدم كالمنا من الوجهة السياسية يمكنها مما أن تقوم بأعباء أمورها الداخلية، بل اننا نرى ان الاستقامة والمساواة الاقتصادية ستكونان

بمنا هذا النور القومي ونحن مستعدون لصرف ما يلزم من النفود في مقابل هذه المعاونة ولا يسمن أن نسحق في مقابلها أي جزء من الحرية التي أحرزناها قفلاً بأنفسنا وبقوة سلاحنا) اهـ

وعلى ذلك فان سورية بناء على مذكرة الامير فيصل تتمتع استقلالاً ذاتياً بما يتعلق بأمورها الداخلية ويدمج في خدمتها اخصائيون من الاجانب بدون أن يسمح لاية دولة أجنبية أن يكون لها أقل نفوذ في البلاد، فن يأتى يقوم باعياء علائق سورية الخارجية؛ الجواب على ذلك أن الظواهر تدل بأن ملك الحجاز يقوم بهذه المهمة وناهيك بما جاء في المذكرة من عبارة (نحونا القومي) وعبارة (الحرية التي أحرزناها بأنفسنا) كأن الحجاز وسورية لا تكونان في نظر العالم سوى دولة وحكومة واحدة

ثم انتقلت المذكرة من سورية الى العراق والجزيرة يعني الى جزئي مقاطعة بين النهرين وهنا أقرت النيابة الحجازية برنامجاً مخالفاً تمام المخالفة للاول، ثم انها قد طلبت أن تكون الحكومة عربية (بالمبدأ والروح) الا أنها لم ترفض تدخل دولة أجنبية فقد جاء في المذكرة (ان العالم يرغب في سرعة استثمار بين النهرين ولذلك نرى أن شكل الحكومة في هذه البلاد لا بد أن يكون مستندا الى الرجال والموارد المادية التي تقدمها دولة أجنبية على) اهـ ان في هذا تنازلاً لبريطانيا العظمى التي حفظت لنفسها السهر على ما بين النهرين في الوقت الذي كانت كمترف فيه لقراً بحق السهر على سورية

ثم جاء بعد ذلك ذكر المقاطعات الثلاث الواقعة في نفس شبه جزيرة العرب وهي الحجاز واليمن الواقعتين على ساحل البحر الاحمر ونجد التي هي المنطقة الداخلية فلم يسلم الامير فيصل بذكره فتح باب المناقشة في مصير هذه البلاد، وبين بعد ذلك أن الحجاز ستبقى محكومة طبق الطرق المرفية وقال (اننا نقدر هذه الطرق تقديراً يفوق تقدير أوروبا لها، ولذلك نطلب المحافظة على استقلالنا التام، وأما اليمن ونجد فالأرجح انهما لا نرضان مسئلتها على مؤتمر الصلح وهما سيتناقشان في مسائلها بعضها مع بعض ويقومان بترتيب علائقها مع الحجاز وغيره)

ان هذه اللمحة ترجمت سنة الى الورا اذ يخيل لسامعها انه يسمع المرحوم ينطق عن مصير كورلندة الروسية

بقيت مقاطعة فلسطين فقد قالت عنها المذكرة الحجازية ان الاكثرية المعطى من أهالي هذه البلاد عربية وان العرب متفقون مبدئيا اتفاقا تاما مع اليهود غير أن العرب لا يسمهم أن يخالطوا وأن يأخذوا على أنفسهم مسؤولية الاحتفاظ بالتوازن في خليط العناصر والاديان الذي كان على الدوام في هذه المقاطعة الوحيدة يدفع العالم للشا كل ، ان العرب يسمون أن يعطى مركز ممتاز في هذه المقاطعة لموكل عظيم في الوقت الذي تمنح البلاد فيه حكومة محلية نيابية تقوم بانماء عمران البلاد من الوجهة المحلية) اهـ

البرنامج الحجازي يقضي بتمريض دولة عظمى في كل من فلسطين وماين النهرين وليس هناك حاجة لبيان أن في هذا تنازلا للمصالح الانكليزية . ان هذه المطابقة لاتبرهن — كما كان قد صرح كاتب أسرار مندوبي الحجاز — على أن ملك الحجاز غير مرتبط بأي نوع من الوثائق الخصوصية مع أية دولة . وقد اختتم الامير فيصل مذكرته بقوله (انني بتشديد الاشارة الى المروق الموجودة في حالة بلادنا الاجتماعية لا أود ان أقول بأن هناك اختلافا حقيقيا في المرامي والمصالح المادية والمعتقدات أو الاخلاق على وجه يحمل ارتباطنا متمذوا ، ان أهم عقبة يجب علينا تذليلها هو الجهل المحلي الذي تقع معظم مسؤوليته على عاتق الحكومة التركية) اهـ فالتقصود اذا تفكيك حكومة واحدة ينسبني اعداد أساسها بجميع شمل كل البلاد العربية التابعة للسلطنة العثمانية القديمة تحت زعامة ملك الحجاز الموجود في مكة ، ان الانسان اذا أمن النظر في هذه الطلبات الرسمية تمكن من تقدير تكذيب ما أرسله الينا كاتم أسرار مندوبي الحجاز حق قدره عند ما كتب الينا (انه لم يدر في خلد ملك الحجاز البتة أن يحمل مكة عاصمة للبلاد العربية التي تملكت من النير التركي)

وعلى هذا فقد برح الخفاء وظهرت سياسة الحجاز التي كانت مفرغة في قوالب المبادئ الويلسنية كما كانت سياسة الحدود الالمانية في مقاطعة كراينا وبلاد البلطيق كأنها مشروع لضم البلاد أو من قبيل وضع أميرالطورية بدوية مكان أميرالطورية تركية

ان مذهب الوحدة العربية يتخدم بمطامع منه فليقة من التفسير العرب والاوروبيين كما كان مذهب الوحدة الالمانية يتخدم بمطامع السلطة البروسية العسكرية فاذا كان هناك رغبة في نشر السلام في الشرق فينبغي اجتناب الوقوع

في هذه المبالل . ان الوحدة العربية اذا كانت ممكنة التحقيق فانها لا تكون بالفتح والسيطرة ، ولا بالجميات السرية أو المساعدات المالية المستترة . بل لا يمكن تأسيسها الا أن نجتمع فيما بعد الحكومات التي قد تكون تدمت فيما بعد كيفية الحكم الذاتي وتكون أقبلت وأدركت بكل حرية منافعها المشتركة . ان كل سياسة أخرى تكون جائزة وحياء من شأنها ان تثير في العالم الاسلامي حركات تقضي مصلحة حلفائنا البريطانيين العظمى ان يجتنبوها . اه كلام الطان التي توغلت في الاستنباط لما لقومها من الطعم في استعمار سورية ، واندفعت هي وغيرها من الجرائد الفرنسية تحذرا الانكليز من تأسيس جامعة عربية تمتد الى افريقية وتميد سلطان الاسلام الذي تبصع هذه الجرائد بأن الحلفاء تركوة كالنظير المقصود الجناح من مملكة مراكش الى مملكة الاستانة !! وكانت في غنى عن تحذير الانكليز فهم أحذر من الفرنسيين وأدهى وانما يريدون السيطرة على جميع بلاد العرب ليجولوا دون تأسيس الجامعة العربية والفرنسيين يخافون عاقبة ذلك أكثر مما يخافون من ارتقاء عرب آسية ومصر ان يسري الى سائر عرب افريقية . فن حماة هذه الجرائد انها تنفر العرب من أمتها من غير فائدة تحجبها من ذلك فالانكليز يسخرون من نصائحها ويعملون ولا يقولون

(٦)

﴿ استسلام الحجاز لبريطانية العظمى ﴾

جاء في آخر مقالة افتتاحية من عدد ٢٤٠ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٧ ما نصه

« وها مقلطنا الاغر ينقل لنا في عدد ٩٠٣٨ الصادر بتاريخ ٢٦ صفر ١٣٣٧ من نصريجات أم صحت العالم ولسان حال الشعب البريطاني الذي أثبت فضله على العالم ومنته على مجتمعه ولا حرج بمواقفه وثباته واقتداره السياسي والحربي والمالي امام أهوال سنينا هذه الاربع من حسن نواياها وآمالها وما تربده ثقة واعتمادا على معاشر العرب بقولها من بحث : سياستنا القديمة التي كانت ترمي الى تسييد تركية وشد أركانها على اعدائها وأخذنا نحاول البحث عن بديل حريجول عمل السالطة العثمانية البالية العاسدة ، ومن هؤلاء الابدال الذين يحملون حمل تركيا العرب أما سرمام فقلعطين الجديدة وأرمينية الجديدة)

« نرجب ونوهل ونسل بمن أنزلنا محل نقتة، وتوسمنا بالاهلية لمصادفته ولا رب فان على مثل هذا يتنافس المتنافسون، ولجئله فليعمل الماملون الف الف أهلا وزجبية وأضماهاشكرا المحسن الظن، وانا لانجنيه بما قال أحد أشياخ جاهليتنا: أهامي صغير وهامي كبير، ولكن تقول ان العرب اليوم هم كالاشبال أو أفرأخ الشباهير والبازي المحتاجة لصيانة آبائهم.

« ومع هذا فستجدهم أبها الداهي المحسن الظن ان شاء الله تعالى من حيث تريد، وتراهم ببنائته بيت القصيد. فاليكم بني يعرب ما أو تيقوه من طموح الإنظار اليكم، وآمال أجل شعوب العالم فيكم، فانظروا ماذا تأمرؤن بعد ما وصفكم ذلك الشعب بما وصفه، فأجيبوا داعي المكرمات، وحققوا في نهجياتكم التصورات، وكونوا خير أمة أحييت منذ من معالم سؤدد أسلافها للناس، ولا تهم أرفهم واسمي من أن تذكره فكبات التخاذل وموارد الانكسار، أو تسيثوا بقولنا الظن وعكس القصد. وأيم الله انه الحق، ونكرر ما أشرنا اليه في أعدادنا السابقة بانامناشر الحجازيين ولا شيء من الرياسة أو السيادة ان كانت في سوري أو في بني أو في حجازي ونحوه، ولا يهنا ويرب الكمية الا تولىكم لبلادكم كتولي اليمحوب الحررة لبلادها. وان داء الشامي هو داء الجاني وان في شقاء الآخر شقاء للاول. وان ما يصيب أحدهما يصيب الآخر من خير أو عكسه. ومتى تقطنهم في ان أبسط دليل على هذا قيام الحجازيين ونهضتهم وهم ولا شيء مما اصاب اخوتهم من الضيم الذي سارت بأنواعه الركبان علمت أنهم ادركوا تلك الغاية الجليلة واغتنموا تلك الفرصة لتحليلهم بحلالها، وان يمنهم بدعة العيش التي هم بها من مسمع من أين المضطهدين من اخوانهم عار عظيم لا يفسله الا دمائهم وكان بفضل ما كان فلا تمقمووا النتيجة ولا نهروا تلك الدماء الزكية والنفوس الاية هاه كلام القبة بنصه السقيم

(٧)

﴿ كلام التيمس في اتفاق سنتي ١٩١٦ و ١٩١٧ ومذكرة فيصل ﴾
 جاء في عدد التيمس الاسبوعية الصادر في ١٤ فبراير سنة ١٩١٩ من ضمن
 مقالة عنوانها (الوفود والصحافة — تحفظ شديد) ما ترجمته

اتفاقية سنة ١٩١٧

وهنا تظهر أيضا الاتفاقية السرية التي عقدت في أواخر فبراير سنة ١٩١٧.
 معينة مناطق تقود بريطانية وفرنسية وروسية في آسيا التركية، ان هذه الاتفاقية

اعترفت بإحداث دولة عربية مستقلة أو تخلف من دول عربية وبعد تعيين منطقة نفوذ روسية اعترف بأن تأخذ فرنسا الساحل السوري وولاية اطنه والاقليم الذي حده من الجنوب خط هنتاب — ماردين حتى الحدود الروسية المستقبلية، ومن الشمال خط يمتد من الأداغ الى قيصرية — اق داغ الى يدبز داغ فزاره فاجين غربوط، وأن يكون لبريطانية الجزء الجنوبي من العراق مع بغداد وفي سورية نفرا حيفا وهكا

و بحسب الاتفاق بين فرنسا وبريطانية العظمى تكون بين المقاطعة التي بين الاقليمين الفرنسي والبريطاني دولة عربية مستقلة تمين فيها مناطق نفوذ وتكون الاسكندرونة ميناء حرة

أما الفرنسيون فيذهبون الى أن حقوقهم على سورية لا تستوفي ما لم تعتبر سورية كتلة واحدة وان هذه الحقوق ليست — كما أشير اليها بمزاج — مبنية على شهرة البعثة السورية التي بقي صداها يرن في الأذان الفرنسية بأعلى النغمة المظلمة « مسافر الى سورية » ليست مبنية على هذا فقط بل للفرنسيين أساس أمتن من ذلك ناشئ عن الموقف الخاص الذي اتحلته فرنسا للجمهورية عدوة الإكليروس بقولها انها حامية للمصالح الكاثوليكية في الشرق . وقد كانت فرنسا دائما تحمد نفسها على موقفها في سورية ، وكانت على حملاتها على الإكليروس تسمى لحفظ النفوذ الادبي الذي لها في تلك الاصقاع بما احدثته من الملاجي الدينية والخيرية والتهذيبية ، وهناك عددا من الاسباب الاقتصادية الثابتة أيضا تهتم به فرنسا بالطبع ، وعامة التجارة السورية تكاد تكون في الايدي الفرنسية . وان رأس المال الفرنسي هو الذي بدأ بتجهيز تلك البلاد بالسكك الحديدية والطرق — فسورية بالنسبة الى ليون ومرسيلية هي اشبه شيء بنسبة افريقية الغريبة الى لينبرول

مطالب الأمير فيصل في المؤتمر

« وفي الحقيقة ليس في مطالب فيصل ما يعارض مطامع الفرنسيين في سورية مباشرة — ففيسل يرغب في الاستقلال التام للمجاز وحده فقط ، وأما سائر الشعوب العربية فانه يرغب لها في الاستقلال عن تركيا — وهو لاجل الحصول على هذه الغاية سل سيقم من غير ان يحصل على اي وعد من الحكماء فانه لم تعط له وعود الا بعد ان أخذ في النجاش

« وقد اشار بأن تقدم البلاد العربية الى سلسلة حكومات صغيرة مجتمعة بحسب المصالح الاقتصادية والمشيورية (نسبة الى المشاور) وان تدبر هذه الحكومات دولة من الدول المعظمة ، وكل دولة من هذه الدول الصغيرة تختار بحريتها الدولة المعظمة التي تقتضي حالتها ان تكون لها الوصاية على تلك البلاد »
 « ويرغب فيصل بأن تطلب كل البلاد العربية دولة واحدة للوصاية عليها ، وكذلك يرغب استدراغبة بان لا يرغم أي جماعة من العرب على وصاية لا يرضون بها »
 « ولنفرض ان هذه الخطة طبقت فن الطبعي ان تستثنى فلسطين ولبنان بالنظر الى المصالح القومية الخاصة ، وان نجاح هذه الفكرة وتطبيقها يتوقفان ولاشك على كيفية تحديد الدول العربية المتنوعة » اه كلام التيمس التي تجميع جريدة القبلة بالطرايم

(٨)

الفرض من مجيء المستر تشرشل الى مصر وفلسطين

ومقابلته لوفد المراق

كان لاصحاب الازم سبب طويل في الفرض من هذه الرحلة لوزير المستعمرات البريطانية حتى جاء البيان لذلك فيما نشره المقلم في العدد الذي صدر منه في ١٩ مارس سنة ١٩٢١ تحت عنوان (مهمة المستر تشرشل) وهذا نصه :

رد المستر لويد جورج على سؤال وجه اليه في مجلس النواب عن مهمة المستر تشرشل في مصر فقال « ان المستر تشرشل صافر الى مصر ومعه ستة اوسبعة من موظفي مصلحة الشرق الاوسط ومن القسم المالي في وزارة الحربية ومن وزارة الطيران . وانه لا ينتظر ان يجتمع بأحد من زعماء العرب ويتوقع ان يقضي نحو عشرة ايام في مصر وبضعة ايام في فلسطين ثم يعود الى لندن فبمعرض اقتراحاته على الوزارة . وقال حياة الحكومة متعرض على المجلس

وارسل المستر تشرشل كتاباً الى السير جورج رانسي رئيس جمعية الاحرار في لندن في قول فيه انه لا يبتغي ان يستمر في اتفاق الاموال الطائفة على المراق العربي بل يجب انقاص النام من القوات هناك انقاصاً كبيراً جداً في الحال ومع ذلك

تتفق نفقات تختلف من عشرة ملايين الى احد عشر مليون جنيه في العام وهو أكثر كثيراً مما يحق لنا اتفاقه في تلك الجهة ولا سيما اذا ذكرنا عظم خصب املاكنا في غرب افريقية وشرقها والفرص السانحة لنا فيها لتزقيتها لجبر الامبراطورية بالنسبة الى الشرق الاوسط فاذا لم نوفق الى إيجاد مشروع أحسن وأرخص كثيراً من المشاريع التي اماننا الآن اضطررنا الى الجلاء عن العراق العربي ولكن الفرر والحزني الذين يلحقان بنا من جراء هذا العمل يجب ان لا يقل شأنهما ولا يصغر أمرهما . فقد قبلنا الوصاية على تلك البلاد وتعدنا ان ندخل فيها انظمة من الحكم تحق الانظمة التي قوضنا أركانها ونفضاهم كثيراً فاذا نكصنا بعد هذا على اعدائنا وارتدنا بالمر الى الساحل كان ذلك حادث لا يتفق مع نبالة القصد وحسن السعة التي نرغبنا عن بريطانيا العظمى . واني أؤمل انه اذا انشأنا حكومة بحرية تؤيدها قوة عسكرية متوسطة تمكننا من القيام بما يجب علينا من غير ان نوقر عائق الحزينة البريطانية بنفقات لا مسوغ لها . على ان اقدامنا على انشاء حكومة عربية في بغداد فتح علينا باباً لم نر مناصاً من ولوجه وهو معالجة المسألة العربية كلها من حيث علاقتها بالمصالح البريطانية . فاذا لم تدبر الشؤون العربية بطريقة تضمن استتباب السلام والسكينة بين قبائل العرب في هذه الوهلة حال ذلك دون سحب عدد كبير من جنودنا من العراق العربي واقاص نفقاتنا وعاقبنا كثيراً

وتشرت التيمس تلفرافاً لمكاتبها من مرسيليا قال فيه ان المستر تشرشل قبل ان يبحر منها قال : « من أكبر افراض وجهتي إيجاد النظام بين انكلترا وفرنسا في الشرق وهو نظام عظيم الاهمية لافريقين وسأدرس الحالة في العراق وآسيا الصغرى فانه يتعين علينا ان نعيد السلام والنظام الى نضايها في تلك الجهات مهما بلغت كلفتها ونقص المعروفات الطائلة التي تنفقها بريطانيا وفرنسا فيها ولا ينال هذا النقص المزدوج الا اذا انظمت الدوائن ماضيها ونفقاتها واني ذاهب الى مصر ومهم على امدالك هذا الفرض — انتهى

[النازح] « بين لنا الوزير بهرسته التي يقل مثابا في رجال قومه ان اضطرارهم الى ادارة امور العراق بالة حكومة وطنية لتخفيف المعاقب أن يستمجلوا بوضم

الارهاق البريطانية في اثناء نائز البلاد العربية في الجزيرة المقدسة ، ولهذا اعدوا بالهاتف على اوليائهم من شرفاء مكة ويقال ان من افراضهم التي يسمى لها الملك حسين والامير اوائلك فيصل أن بمقد اتفاق بين أمراء البين ونجد بمجمل فيها ملك الحجاز مثلالهم في السياسة الخارجية ليكون كل ما تنفق عليهمه انكثرة نفذا عليهم . على أن الانكليز يربطون أولئك الامراء باتفاقات معهم خاصة تضمن احكل منهم استقلاله الاداعي الداخلي في بلاده وتساعد عليه باعانة مائة سنوية بشروط أهمها أن لا بمقد أي اتفاق مع دولة أخرى وان تكون انكثرة صاحبة الحق الاول في جميع المناقص الاقتصادية في بلاده .

(٩)

آراء الامير فيصل في المسألة العربية والانتداب البريطاني

تلفراف خصوصي للمقطم

لندن في ١١ فبراير الساعة ١٠ : ٧ ليلا

اتبع لي ان احادث الامير فيصلا بلندن في المسألة العربية وارسلت اليكم هذا التلراف خلاصة اقواله لي وهي : -

« انني متفق تمام الاتفاق مع الفئمة البريطانية الآخذة في الازدياد والقائلة بأنه حان لبريطانيا ان تكف عن بذل ارواح جنودها ويدير أموالها في العراق ، أما غرضي من رحلتي الى أوروبا فهو اقناع الحلفاء بأن الزمان آن لتنفيذ الشروط التي خصصنا الحرب عليها . وليس عنالك أقل رغبة عندنا في الاضرار بالمصالح البريطانية ولا التفصل مما قضى به الاتفاق علينا فأتنا على عكس ذلك نعمتقد ان محالفتنا مع بريطانيا المعطى دائمة وزرجو ان نظل كذلك وعندنا ان بقاءها هو في مصلحة الفريقين »

« أما البلاد التي يشملها الاتفاق فقد حددت تخومها تحديداً صريحاً جلياً فليس تمت مجال للخطأ والالتباس ونحن مستعدون لتأليف حكومة تستطيع ان ندير شؤون تلك البلاد على قواعد مرضي جميع الذين لهم شأن او مصلحة فيها »

« لقد أرسل الرئيس ولسن لجنة الى سورية للوقوف على آراء أهلها ورغبتهم في شكل الحكم الذي يرومونه ولكن تقرير هذه اللجنة لم ينشر قط فاذا انعم نشره »

« ان البطء في انشاء حكومة تتوفر فيها أسباب الكفاءة آل طبعاً الى هياج
الخواطر ولكن انتفاض العرب الاخير لا يدل على رغبتهم في قطع علاقاتهم
بريطانيا وانما وقع لان بريطانيا ملأت عامين على غير هدى فوق الالتباس
ونفا الخلاف وسوء التفاهم وخاف العرب ان تستمر حكومة الهند بلادهم »
« ان الذي يرومه العرب هو حكومة عربية تستمد النصائح والمساعدة
البريطانية ومع اننا نعارض في ان نكون مسودين فلا نصر على الجلاء التام
ولكننا نقول ان مصاريف كل حامية او ادارة ملكية من جانب بريطانيا
يجب ان تدفع من أموالنا . ولم يختلف اثنان على هذا . أما الحكومة العربية
التي ينوي انشاؤها فتضمن جميع المصالح السياسية والاقتصادية التي هي
لبريطانيا العظمى . وكل فرض تحتاج اليه الحكومة العربية يكون مكفولاً
بمراعى البلاد الطبيعية الفنية . ثم ان البلاد اليوم اشبه شيء بالقفار ولكن
الطبراء الزراعيين يجمعون على انها اصعب تربة في العالم اذا عني بفلاحتها وريها
وزرعها . وهذا علاوة على ما فيها من الكنوز المعدنية فانها عظيمة جداً وفيها
جمال متضخ للارتقاء والنمو ولا سيما منابع الزيت الكثيرة في انحاءها »
« ان البلاد تقتدر الى الاموال التي تنشلها من وهداة القوضى والدمار التي
ألقاها فيها سوء حكم الفزاة الترك ولكن هذه الاموال لا تضيع سدى بل تنشل
وتستثمر بربح كبير »

« واذا فتح مجال العمل امام الحكومة العربية بالانصاف والمطف فانها
توفر على الخلفاء بذل الرجال والمال في المستقبل علاوة على الذي بذلوه من
الاثنين حتى الآن »

(١٠)

حكومة شرق الاردن بين السر هوبرت صوثيل والامير عبدالله

عمان في ١٨ ابريل - وصل المندوب السامي الى عمان أمس مصحوباً
بالكولونيل لورنس والمستر ديدز ولورد ادوارد هاي فجرى لاسر هوبرت صوثيل
استقبال ودي واحتمى به الامير عبدالله الذي كان مصحوباً بالمستر ابرهيمون الممثل
الاكبر لبريطانيا العظمى في جهة وادي الاردن وقد عين فيها جدينا وقد قدمت
اربع طائرات من فلسطين ونزلت بمحور المسكر في ميدان الطيران الألماني السابق.

واجتمع اليوم صباحاً عدد كبير من قُرَّان البدو والدروز والمزاولَّة وموَّابيمضي الامام
على ظهور الخيولهم - - - - -

صمان في ١٨ ابريل - ألقى السير هربرت صموئيل امام مرادق الامير
هيدالغو الخطاب التالي على ألوف من رجال قبائل العرب وهو :

« اجمعني الحظ بأن قابلت في دارالحكومة بالقديس صاحب السمو الامير
عبدالله لما زار فلسطين هو والمستر تشيرشل احد أعضاء الوزارة البريطانية
والحكومة البريطانية تسر بفرصة التعاون مع الامير عبدالله في البقاء (ماوراء
نهر الاردن) وتثق بصداقته وحسن نيته كل الثقة وتقدير الصداقة وحسن
الثقة اللتين امتحنتا في هذه الحرب الضروس الطويلة حتى فخرها وتذكر
للمدائم التي قامت بها الجيوش العربية في ذلك النضال وتقديرها حقها وتوَّعُّب
في ان التحالف الذي نشأ في اثناء الحرب توثق عمراً في أيام السلم - - -
كان الموظفون البريطانيون يساعدون في ادارة البلقاء (ماوراء الاردن)

منذ شهر أغسطس الماضي وسينزلون يعملون كمستشارين للامير وموظفيه من
قبلي في انحاء البلاد المختلفة . وسيجد سموه في المستر ابرامسون كبير المندوبين
البريطانيين موظفاً ذا مقدرة وخبرة عظيمة وهو وجميع الموظفين المشتركين
بهم في طول هذه البقعة وعرضها رجال يطمحون على الشعب ويعملون الى آداب
اللغة العربية وسيتمكنون من المساعدة على زيادة ترقية البلاد . وسيفرغ
قبضاري الجهد لتدبير كلما تحتاجون اليه من المروض وفتح اسواق فلسطين
للمواصلات ببلادكم وتسهيل نقلها اليها . وسينظر بعين العناية في حاجة أهل البلاد
التي نحن فيها على اختلاف طبقاتهم سواء كانوا من سكان المدن أو الفلاحين أو
قبائل العرب حبا في زيادة هئائهم وبحسب حاجاتهم المتعددة ولادراك ذلك
يجب ان يتكون المحافظة على النظام والامن العام في المقام الاول من الاهمية
ويؤمل ان يحتفظ بقوة احتياطية تكون أكثر كثافة وأشد حولا مما كانت
الحال قبلا وتستخدم مع الجندرية في توطيد سلطة الامير عبدالله والحكومة
الحماية ويسرنا ان نلبي رغبات الامير عبدالله فنقدم عند الضرورة طيارات
وسراها من المونة الفنية لاغراض بحلية وستؤول هذه التدابير الى استتباب
النكينة في المقاطعات وتمكن أيضاً من اتخاذ التدابير لكبح جماح كل من
يمكر سهو الامن في الاراضي المجاورة غمرباً وبمبالاة - - - - -

والحكومة البريطانية مصممة على ان لاتصير البلقاء (ما وراء الاردن) مركزاً للعداء سواء كان لفلسطين او لسورية ونحن نعلم اننا في اخراجنا هذا للتصميم الى حيز الفعل لستطيع الاعتماد على معونة الامير عبد الله . ومن واثق الارتياح الشديد . لحكومة جلالة الملك ان تجد نفسها متحالفة محالفة معينة مع ممثلي الشعب العربي في جميع البلدان العربية . ومن البراهين الاخرى على ضمان هذا التحالف ودوام مودته سياستنا في البلقاء (ما وراء الاردن) ووجودي بينكم اليوم ممثلاً لجلالة الملك لويد جورج . واني ارجو ان يتخذ من التدابير منذ الآن ما يرفع هذه البلاد الى مستوى من اليسر والرخاء لا يقل عنه في البلدان المجاورة او مما كان عليه في الازمان الفائرة

الها فاجاب الامير عبد الله بما يأتي : - اشكر سيادتكم على خطابك الرقيق فأقول بالأصالة جن تقضي وبالنيابة عن الحاضرين اني واثق بأن الامة العربية ستبرهن على انها خليقة بتحقيق كل ما وضم فيها من الامال بمساعدة حليفتنا العظيمة . واني اطلب من الله ان يحفظ الملك جورج والملك حسين ويبليل سمادتهما » وقد قبول الخطابان بالحماسة ثم عرض المندوب السامي الحرس من الفرسان الهنود وقدم اليه مشايخ القبائل وشاهد الامير عبد الله والسر هربت صموئيل في المسائل ضرورياً من فروسية الجركس واقتلاع الفرسان الهنود للواتاد - روتر

انكلترة والعراق

جاء في تلغراف خصوصي للمقطم من لندن في ٢٨ فبراير : ان الحكومة البريطانية ابلغت انه اذا عرضت رئاسة الحكومة في ولايات العراق الثلاث على الامير فيصل فانه يرتاح الى المساعدة والمشورة المنصوص عليهما بباب الانتداب في عهد حمية الامم وليس ذلك فقط بل يرى نفسه انه لا يستطيع القيام بهام هذا المنصب من غير معونة وهذه المعونة تكون عبارة عن خدمة عدد معين من الضباط العسكريين والضباط السياسيين وبعض الخبراء الفنيين للمعاونة في تنظيم قوات العسكرية المحلية وانشاء دوائر الحكومة الملكية وترقية الصناعات والاعمال

خلاصة من - عليه السر تشرشل التي اتفاهما من أمور الشرق الادنى و مجلس النواب ١٤٠٠ يونيو عند عرضه بمذابة الشرق الادنى عن - الذي انشأه المؤرخين ١٧ و ٢٣ يونيو - ١٩٢١

قال الوزير : ان المؤتمر الذي عقده في القاهرة مع خبيرين من العراق وفلسطين

فرر وجوب التعميل في انقاص الجنود في المراق من ٢٣ أورطة الى ٢٣ على ان يصير الانقاص ١٢ أورطة في اكتوبر فوفروا بذلك نحو ٥ ملايين جنيه، وان ميزانية الجيش في المراق وفلسطين لهذا العام ٢٧ مليون جنيه واذا نجحت تدابير الحكومة فانها لا تتجاوز في السنة القادمة ١٠ ملايين

وقال ان ميل الحكومة البريطانية الى حل مسائل الشرق بواسطة آل الشريف في المراق وشرق الاردن يجب ان يرقب تأثيره في سواهم . وتكلم عن ابن سعود وقومه ووصفهما السامية ، ثم قال ان الحكومة البريطانية . قررت ان تواصل دفع الاعانة لابن سعود (وهي تبلغ ٨٠ الف جنيه) وان الملك حسين اعرب عن استعداده لمفاوضة الامير ابن سعود .

ثم أعلن عزم الحكومة على انشاء دولة عربية في العراق يختار ملكها ، وقال ان الاءير فيصل لا غادر مكة الى بغداد فاذا وقع الاختيار عليه فانكلترا تؤيده وتقد ازره وتسمى للتوفيق بين العرب والاسرائيليين في فلسطين وتسير على منع رجال الاحزاب الذين هاجروا الى شرقي الاردن من دخول سورية وقال الوزير : وليس في تعاوننا مع آل الشريف معارضة لمصالح فرنسية وأنى على الامير عبد الله ثناء طيباً وقال انهم عهدوا اليه باعادة النظام وتهدد بمنع الاعتداء على الفرنسيين ثم قال : اننا لا نزيد اكرام العراق على قبول ما لا يضره أحد ، وعسى المراقيون ان يحسنوا الاختيار بحرية وحكمة بارشاد السريس كوكس — قال — وهناك سياستان في معاملة الجنس العربي احدهما ابقاء العرب منقسمين وانشاء ادارة من اعيانهم تمتد على الفيرة والتناقر والثانية انشاء دولة عربية حول بغداد الخ . قال وهذه هي السياسة التي تصلح دون سواها

وتكلم عن جعفر باشا العسكري في حرب طرابلس والدرينيل وانه أنتم عليه بوسام القديسين ميخائيل وجورج وقال ان نفقات الجيش العربي تسدد من ايرادات المراق قال : واذا نجح تدبيرنا فالدولة العربية وحاكما العربي تكون قائمة في بغداد قبل انقضاء السنة المالية

بلاغ المندوب السامي البريطاني في بغداد

س - حريه ديلة عدد ١١ المؤرخ ٣٠ شوال - ١٣٢٩ (٦) - ١٩٢١

لا شك في انه خبر خاف على المهوم انه في يوم ١٦ يونيو (الموافق ٩ شوال)

اتبعني الى بغداد بيان خطاب ألقاه جناب المستر تشرشل في مجلس العموم البريطاني يوم ١٤ يوليو الموافق (٧ شوال) وقد شرح فيه وزير الدولة لسامية الحالة السياسية في بلدان الشرق الأدنى ثم أعطى بياناً شافياً عن سياسة حكومة جلالة الملك فيما يتعلق بهذه البلدان . ان ماورد في ذلك الخطاب بشأن العراق قد صار نشره في الحال باذن مني بصفتي كوني المندوب السامي في الجرائد الانكليزية والمريية في بغداد والبصرة وقد ظهر ان ما نشر قد أتى ببيان واضح عن سياسة الحكومة البريطانية . على انه بعد نشر ذلك البلاغ قد عرض علي تكراراً بأن العموم يرفض جداً بتصريح مني بصمة كوني المندوب السامي ورئيس الحكومة العراقية المؤقتة أشرح فيه النقط المهمة كماوردت في الخطاب المذكور فنبأ : على ذلك رأيت ان من الواجب علي أن أقوم بذلك فأقول :

(١) مما يذكر انه بعد بداية الحرب العظمى قطعت اليهود مراراً لاهالي العراق وبلالة ملك الحجاز بأنه لن يسمح بوجه من الوجوه أن تعود العراق أو أي مقاطعة من المقاطعات المحررة الى الساطة التي كانت نابعة لها عند نشوب الحرب وان الحكومة البريطانية تفقد المحافظة على هذه اليهود بحزم وثبات وتشعر انها تكون متعصرة في القيام بواجباتها بموجب هذه اليهود فيما لو أهملت تقديم المساعدة للعراق في هذا الدور الابتدائي من حياته وانها تتركه بإهمال كذا فريسة للاضطراب وهدم النظام . وفي ذات الوقت ان بريطانيا العظمى غير مستعدة للاستمرار على حمل العبء المالي الثقيل والتبعة (المسؤولية) السياسية بمراقبة الادارة (ادارة العراق) لالحد الذي كان ضرورياً فيما تعاد الامور الى أحوال السلم

ان الحكومة البريطانية كانت دائماً ولا تزال ترى ان أفضل طريقة للقيام بعملها وواجباتها هي مساعدة أهالي العراق على اقامة حكومة وطنية منهم بمساعدة فتنشأ بذلك دولة هربية صادقة تكون بغداد عاصمة لها . أما حكومة جلالة الملك فذهبا فترى ان أفضل أنواع الادارات للعراق هو حكومة دستورية برئاسة وازع (حاكم) مقبول لدى أهالي البلاد . على ان حكومة جلالة الملك ترفض في ان تبين بوضوح كما سبق فينت تكراراً بأن ليس لها من قصد أو رغبة ما في اكراه الشعب هي قبول وازع ما يمين بل الامر بالعكس فانها ترغب في وجود الحرية التامة في الاختيار وبدء الرأي

ومع ذلك ان الحكومة البريطانية بصفة كونها الدولة التي تحمى صاريق طائفة في العراق في أثناء السبع السنوات الاخيرة لا يمكن ان تقف وقف المديم الاكثر امام هذه الحالة فلها الثقة بأن الشعب العراقي سيستعمل الحكمة والحكمة معاً في اختياره لقوازع وهنا أود أن أشير بإيجاز الى قدوم صاحب السمو الامير فيصل الى العراق فأقول ان موقف حكومة جلالة الملك في هذا الصدد هو كما يأتي :

ان عائلة الشريف هي العائلة التي نشرت الاواء العربي في صف الخلفاء أثناء الحرب التي لعبت دوراً ذا شأن في ربحها . وان القضية التي من أجلها دخلت في صانوف الحار بين كانت قضية حرية العرب يعني عين القضية التي قد تمهدت بريطانية العظمى بظواهرها ونجاحها في العراق . فبنا على ذلك ههنا ما سأل أنصار عائلة الشريف في العراق هن موقف الحكومة البريطانية إزاء دهنهم للامير فيصل لباني العراق أجيبو على ذلك بأن حكومة جلالة الملك ان تضم عشرة في سبيل ترشيح سمو الامير لعرش العراق واذا وقع عليه انتخاب الشعب شيا في تأييد بريطانية له ، فبنا على ذلك بينما وزير الدولة (المستر نسرشل) يردد رقيقته في ان يستعمل أهالي العراق الحورية في الاختيار يرى ان ليس هناك من سبب للامتناع من ان يبين بوضوح بأن حكومة جلالة الملك تعتبر ان الامير فيصل هو مرشح موافق لابل حقاً وأوفق مرشح في الميدان وترجوان يثال معاضدة أكثرية الشعب العراقي

واذا تم انتخاب الامير فيصل تمتد حكومة جلالة الملك انه يكون قد توصل بذلك الى حل يطوي على أكبر الآمال في مستقبل صعيد مقبل البلاد

ان حكومة جلالة الملك تعلم أن قد بحث في حلول أخرى ممكنة منها (أولاً) تأسيس جمهورية و (ثانياً) عرض أمير تركي . أما في ما يخص الاول فن رأي حكومة جلالة الملك ان درجة العراق من الرقي فبر موافقة قطامياً لتأسيس جمهورية . وأما فيما يخص عرض أمير تركي فهذا حل ليست الحكومة مستعدة لافساح المجال له

ومن المأمول ان العبارات التي أوردت أهلاء تفسر بوضوح سياسة حكومة جلالة الملك وهي سياسة قد استحسنها بالاجمال الجمهور البريطاني والصحافة البريطانية حسب ما بينت في خطاب المستر ونستون تشرشل واني أوافق عليها كل الموافقة

باب المراسلة والمناظرة

فناء النار والرد على ابن القيم

٢

فسمنا الموضوع في الكلام على فنائها ثلاثة أقسام الأول في الآثار التي استشهد بها العلامة ابن القيم على فنائها الثاني على الآيات الثلاثة الثالث على مقتضى الصفات وبجمال النقل فيها أما الأول فقد تكلمنا عليه في البذة الأولى وبيننا أن الآثار لا تصح عن محر ولا عن روى عنه من الصحابة (رض) وقدا حتى لو صح لما كان حجة في هذه المسألة الكبرى الاعتقادية. وأما الكلام على الآيات الثلاث فنداره على تحقيق معنى الظلود المستثنى منه أولا والمشيئة ثانيا والمقصود من الاستثناء ثالثا وهل هذه الآيات من الحكم أو من التشابه أما الظلود المذكور في هذه الآية (آية الانعام) وآية هود وجميع آيات القرآن فهو لا يعرف إلا من كتب اللمة وقد رأينا لسان العرب الذي هو أكبر قاموس وأهم معجم عربي يقول: (الحاد) دوام البقاء في دار لا يخرج منها خلده يخلد خلدا وخلودا بقي وأقام ودار الخلد الآخرة بقاء أهلها فيها اه. وما يدل على أنهم يستعملون الحاد مجازا فيما لا يبقى المول مدته قول صاحب المصنف: والخلد من الرجال الذي اسن ولم يشب كأنه مخلد لذلك رخلد يخلد خلدا وخلودا أبداً هذه الشيب كأنما خلق ليخلد قال والحوالد الآثاني في مواضعها والحوالد الحجارة والجبال والصخور أطول بقائها بعد دروس الاطلاع اه. فانظر الى قوله فيسبب أبداً عنه الشيب (كأنما خلق ليخلد) وقوله (المول بقائها) (للاثاني والحجارة والجبال فانهم شبهوها بما يبقى ولا يزول وتصوروا فيها المول البقاء ما يصح ان يطلق عليه لفظ الظلود الذي لم يوضع إلا لدوام البقاء كما ذكر معناه الأول أول المادة ومنه تعلم أن الفناء مناقض له كل الشاقض لانه قاطع البقاء الذي أخبر الله به وهذا وهيدا في سببنا آية من كتابه في الحجة النار ففرقة قومه بين الاخبار بدون دليل يصار اليه ويقوم حجة على خصمهم فتقول لهم يا قوم هذا كمال الله في كل من الجنة والدار قال الله «خالدين فيها أبداً» و«خالدين فيها» دون أبداء فبأي شيء فرقة بين المولدين والابدين فلا نجد إلا

نديلات واهية وكلاما طويلا ضرره اكثر من نفعه كأنهم لم يجدوا غير الخلاف صناعة ولا سوى الكلام بضاعة حتى اضطر ان يجاريهم من لم يكن منهم ابن قبح الجوزية وحسبنا الله ونعم الوكيل

واما الابد فقال في الانسان في مادة ابد: والابد الدائم والتأييد التخليد وأبد بالمكان يأبد بالكسر أبودا أقام به ولم يبرحه اهـ . فلي هذا لا يستدل بما اصطلح عليه الناس (كالصريين) في التأيد اذ جعلوا له مدة محدودة ولم ينزل القرآن بانهم ولا مرة باصطلاح ولا عرف بخالف اصل الامة التي نزل بها كلام الحكيم الخبير : قاسم لقوله تعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخلدون . كل نفس ذائقة الموت) فانظر كيف قابل الخلد بالموت الذي هو الفناء وتأمل معناه تجمده كما قال صاحب اللسان انه دوام البقاء فكانه يقول لرسوله وما جعلنا لبشر من قبلك دوام البقاء أفئن مت فهم الباقون . كل نفس ذائقة الموت الخ وهذه الجملة الثانية مؤكدة لمعنى ما قبلها فغفر الله لنا ولهم وهدانا واياهم سواء السبيل واذ قد عرفنا^(١) معنى الخلود الوارد في الآية وانه هو الذي به عدل دوام بقاء المؤمنين في الجنة كما علمنا به دوام الكافرين في النار وانه هو الاول في الالفاظ الدالة على معنى البقاء والابد بعده في الترتيب ولا يبرف في الامة لفظ أدل على البقاء منها في المخلوقات على ما اطن وأما ما ذكر في الاساس من مثل قولهم : رزقك الله عرطا ويل الآباد بسيد الاسماء : فهو مبني على التوسع وتصوير ما لا يكون في حيز الكائن على حد قول الشاعر : ونخافك النطف التي لم تحلق^(٢) . ومثل هذا كثير في قولهم^(٣) ولكننا نساثلهم في أصل وضم الخلود والابد وقد عرفت معانيهما عن اللسان فيما تقدم^(٤) على ان الله تعالى اخبر بكل لفظ مفيد

(١) المنار : ليس في بقية الكلام جواب لقوله واذ قد عرفنا

(٢) المصراع من بيت للمعاني وهو

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تحلق

واستناد الخوف الى النطف فيه من المجاز العقلي (٣) جمل عبارة الاساس من المجاز وهي فيه من الحقيقة ومزية الاساس على سائر كتب اللغة التفرقة بين الحقيقة والمجاز (٤) المنار : ما نقله عن اللسان في تفسيرهما لا يدل على معنى البقاء الذي

الدوام والبقاء عن كائنا الدارين وكلما لفرقة من قال لهم فيها دار الخلد وقل هذا مقيم
 اذا عرفنا ما تقدم أمكننا أن نظفر في الاستثناء المذكور في آية الانعام جاعلين
 نصب أعيننا ما ورد في آيات الله تعالى من وعده للمؤمنين ووعيده للكافرين
 وكذلك الاحاديث الصحيحة المصروفة بخروج عصاة المؤمنين من النار. أما الآيات
 المصروفة بدخول الكافرين النار فهي كثيرة وعلى كثرتها بحكمة لاناخذ فيها ولا
 مانسوخ ولا متشابه (١) ولا يصح أن نؤول كل هذه الآيات ونركب كل صعب
 وذلول حتى نجعلها كلها من باب الرعد الذي ليس وراءه شيء لتنظيمها في سلك آية
 وجد فيها ذوو الشبه ما يوافق أهوائهم ويشبطون به هم غيرهم ويشغلون به الافهام
 وهم في الاسلام بهم ونفذت فيها سهامهم حتى اختلفوا في كتابنا كما اختلفوا في
 كتابهم وكان ذلك قدرا مقدورا قل تعالى (ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد
 استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا
 اجلنا الذي أجلنا لقائل النار ثم اكم خالدون فيها الا ما شاء الله ان يريك حكيم عليم)
 فالتقى خالدون فيها يا أهل النار (٢) (وهم من مر ذكرهم) الا ما شاء الله من هذا
 الظهور (٣) أن يخرجهم من داره (٤) لانه حكيم لا يخطئ الا الكافر الذي اخبره في
 كبير من آياته . عليهم بمن يخرج من أهل الايمان الموحدين . فالآية قد جمعت
 وهذا ووعيدا وكثيرا ما يذكر الله في آياته أحدهما بعد الآخر على حد قوله تعالى
 (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة
 حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين * والذين آمنوا وعملوا
 الصالحات الخ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ا) وكقوله تعالى (فخلف
 من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . الا من
== لانه لانه فان المقيم في دار لا يخرج منها كالمالك لداره ليس يباقي هذا البقاء
 لاهل ولا داره بل كانوا يلقون هذا على من شأنه المسكت وعدم التحول كما
 يتحول البدوي والذي يقيم في دور المستأجرة . وانما البقاء الذي لانهاية له
 اصطلاح شرعي لا لغوي فذلك هو هذا المعنى مرموزا عند حرب الجاهلية
 (١) لا معنى لغوي التمسح لانه حاس بالاحكام

تاب وآمن وعمل صالحاً فأرسلناك يدخلكون الجنة ولا يظلمون شيئاً) فما يخبر سبحانه
 بوعده وانذاره ألا ويقتبه بوعده وبشارة (البجزي الذين أساءوا بما عملوا ويمجزي
 الذين أحسنوا بالحسنى) فلما أنذر قومك في هذه الآية بالخلود في النار على
 استناعت بعضهم ببعض وموالاتهم بمعضوم بعضا وكان بعض المؤمنين الذين آمنوا
 ببعض القنوب ولحقهم من الوصف شيء يحزنهم ذلك حتى يؤديهم الى اليأس
 لاجرم استثنى الله تبشيرا لهم وإخبارا بحكمته وعلمه وعدله في آية واحدة ولا يبعد
 هذا بهم فقد ورد أن بعض الصحابة لما سمع قوله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا
 إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) قالوا وأينما لم يظلم نفسه؟ فقال صلى الله
 عليه وسلم ذلك الشرك دفراً (أن الشرك لظلم عظيم) فلولا أن فسرهما لهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بالآية الاخرى لبسوا وقنطوا ومثل ذلك ما جرى عند نزول
 قوله تعالى (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الخ ثم أنزل الله لهم
 (لا يكلف الله فسا الا وسعها) الخ

إذا قرر هذا وعلم أن الانذار في آية الانعام بالخلود شديد وأن السكوت عليه
 قصور لو كان في كلام الناس لعد ممياً فكيف بأبلغ الكلام الذي أنزل رحمة
 العالمين. فهل بعد هذا يستنكر ذو فهم وتأمل في كلام الله أن يجمع بين وعدو وعبد
 ونذارة وبشارة في آية واحدة، على أن النذارة بالخلود لمن يستحقونه كما أشار بذلك
 الحكماء للحكام الذين يفهمون وإن البشارة لمن يستحقون (١) بمن عرفنا خبرهم في
 القرآن والاحاديث والله أعلم بهم وبما أقرنوا وجزاء ما كانوا يقرنون : هذا ما
 أنه في الآية مع استحضاري الآيات الاخرى والاحاديث ولم يشف غلبي ما رأيت
 من وقف المتوقف وتأويل المتأول، وهذا هو وجه الاستنباط لامة قالوا من انه يأتي على
 ما في القرآن حاش لله أن يكون خبر واحد يهدم بناء أخبار أدعت على العلم والحكمة
 حتى لو كان مجرداً عما أشرنا اليه من وجوه البلاغة والاعجاز ولان نؤوله لبواقها
 لكن أسهل من أن نؤولها كلها

ومن المبرأ أنه قد حضر هندي أخ في الله من أهل العلم وتجاوزنا في الموضوع
 فكان مرقاتنا وأنا بقائنا فما زال يؤول كل آية جئت بها دالة على البقاء بمحذوق

وبراعة « على طريقة الازهر بين » حتى جئت له بآية الاعراف (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) الآية فوجهم قفلت ماذا ؟ أجب فقال انظر ، ثم بعد هبة قلوبها اليه ما قال : نعم هو كما قال الله تعالى مادامت النار لا يدخلون الجنة ولكنها صنعتي . قفلت ثم ما ذا بعد ما ظني أيدخلون الجنة وتزول الاستحالة بفناء النار ؟ فضحك من تأويله فلينظر الناصح لنفسه البصير بكلام ربه واجعل الرحمة في عملها كما اخبر الله بها عن نفسه وينظر الى المشينة بين الحكمة ولا ينظر الى صفة دون صفة بين عشواء . واذا قد ألمنا الى ذكر شيء من وجوه الاستثناء فلننكسر على المشينة المستثناة وإن كانت هي أحق بالكلام قبل الاستثناء لذكرها أول الفصل ثانية

اخبرنا الله تعالى في آيات كثيرة أن مشيئته موافقة لحكمته وأنه لا يشاء عبثا ولا ظلاما قال تعالى (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا اليما)^(١) فهذه الآية تدل

(١) فسر بعضهم الرحمة هنا بالجنة وبعضهم بالتوفيق لما تستحق به والمعنى أنه يدخل المؤمنين المتقين في جنته وأعد للظالمين لا تقسم بالكفر وكبائر المعاصي عذابا اليما اذا ماتوا على ذلك الظلم ولم يتوبوا منه . وليس فيها ما ذكر من معنى الحصر في ان رحمته لا يدخل فيها الا الذين لم يتصفوا بالظلم المقابل للعدل - وانما معناها أن ما أعد للظالمين من حيث هم ظالمون هو العذاب الاليم ان ماتوا على ظلمهم ولم ينلهم المغفر وما كل ما أعد لقوم ينالهم كلهم والوحيد باعداد العذاب دون الوعيد بوقوعه كقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) وقد روي تخصيص تمدي الحدود هنا بمخالفة أحكام الموارد المذكورة قبله وأهل السنة يجمعون على جواز المغفر عن المعاصي بذلك وبغيره والظالم بغير الشرك بالله وهم يؤلون هذه الآية الجارمة بخلود المعاصي في النار والعذاب المهين كما يؤل القائلون بانتهاء عذاب الكفار الآيات الواردة فيهم . وغرضنا هنا بيان أن الحصر الذي قاله الكتاب أنه لا يعمل لأشك فيه غير صحيح وقد ذكر الله تعالى أن من أوزنهم الكتاب من المصطفين من عباده من هو ظالم لنفسه ظالم كالنفس والاعتراف ينطق في القرآن على الكفر تارة وعلى المعاصي أخرى . وآية الفتح التي جعلها الكتاب مثل هذه الآية وردت في تليد =

دلالة صريحة لا مجال للشك فيها على أنه لا يدخل في رحمة إلا غير الظالمين وأما الذي عرفنا أنه لا يشاء إلا هم قوله والظالمين أعد لهم عذابا بالغا فالناس قيمان ظالم وعادل والدار داران الجنة ونار فلما ذكر الظالمين وما أعد لهم عرفنا أن القسم الذي شاء ادخاله في رحمته ضد هم وهم المؤمنون أو المستطون أو كما تسميهم أفلا يصح أن ننزل المشقة المذكورة في آية الإنعام وهو على هذا التفسير الظاهر وأن الله لا يشاء فناء النار الذي يهدم كل زجر ووعيد في القرآن ويطمع كل ذي كفور ويثان وجبار عنيد وشيطان ومثل هذه الآية قوله تعالى (لبدخل الله في رحمة من يشاء) فهل يظن عاقل أن معنى هذا يدخل الله كافرا الجنة أو مؤمنا بنار النار (؟) أم أنه لا يفضل إلا ما اقتضته حكمته التامة : وأن مشيئته في هذه الآية وفي أمثالها مقيدة بمثل آية (هل أتى هل الإنسان حين من الدهر) وغيرها مما سنذكره قال تعالى (ومن بين الله فحاله من مكرم أن الله يفعل ما يشاء) فالنظر الى قوله تعالى عقب الآية أفليس قوله هنا (إن الله يفعل ما يشاء) كقوله عقب آية هود (إن ربك فعال لما يريد) التي كاد يثبتيها علينا ابن القيم رحمه الله بقوله « ولم نعلم ما يريد بهم » أي الذين شقوا قال وأما الذين سعدوا فقال فيهم « عطاء غير مجذوذ » فبالله ألا فتأملوا أيها النصفون هؤلاء قد أخطأ ابن القيم إن كان يعتقد أن قوله تعالى (إن ربك فعال لما يريد) فيها المانع أو إشارة الى فناء النار ومن يفهم هذا الفهم أو يجوز به بعد أن سمع ما أوردناه وما سنورده قال تعالى (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد) ماذا يقول القائلون في هذه الآية أيضا يقولون لا ندري ما ذا يريد الله بأهل الجنة كما قالوا في آية هود والافا الفرق بين الحيويين فليخبرونا ولهم الثواب (١) فقد علم كل من له أدنى تأمل في القرآن أن

كف أيدي المؤمنين عن القتال يوم فتح مكة وفسرت الرحمة فيها بالاسلام.

(١) ان الفرق عندهم جلي وان كان لا يدل على فناء النار — وابن القيم لا يقول به — وهو أن الخبر الاول جاء عقب الخبر بادخال المؤمنين الصالحين الجنة بعد استثناء والثاني جاء في كون الذين شقوا في جهنم خالدين فيها الا ماشاء الرب تعالى وهذا الاستثناء مهم فقالوا لا نعلم ما يريد به وبهم ، ومنهم من كان لهم في القرآن أعلى التأمل لأدناه وان جاز عليهم الخطأ كما يجوز على غيرهم

ارادة الله تعالى ومشيئته قد علمت في أهل الجنة وأهل النار وأن كلا قد قضى عليه بالخلود في داره التي خلق لها وصنى لها سمياً وظهرت تلك المشيئة في الفريدين بأجل مظاهرها . فترى أهل النار لا يبتدون ، صم بكم عني فهم لا يعقلون ، وأهل الجنة موقنون مهديون (وتمت كلمة ربك لا ملأ جحيم من الجنة والناس أجمعين) قال تعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء) ألم يبين الله لنا مشيئته هنا أيضاً بالمؤمنين والظالمين ؟ ألم يكن ختامها هنا كختمها في سورة هود ؟ هل يفهم منها هذا إلا كما يفهم من تلك ؟ وأن المعنى لا اعتراض على فصل الله لانه هو الحكمة التامة والعدل الاعلى وأنه لا مكره له ولا واد لما قضاه أم يقال ما قرره الفناءيون الذين نظروا لآية واحدة وتركوا سائر الآيات فقالوا : أما الذين سمعوا فأخبرنا الله أن هؤلاء هم غير مجذوذ وأما الذين شقوا فلم يبين لنا ماذا يريد بهم . والحق انه بين وبين كما سمعت وعلمت :

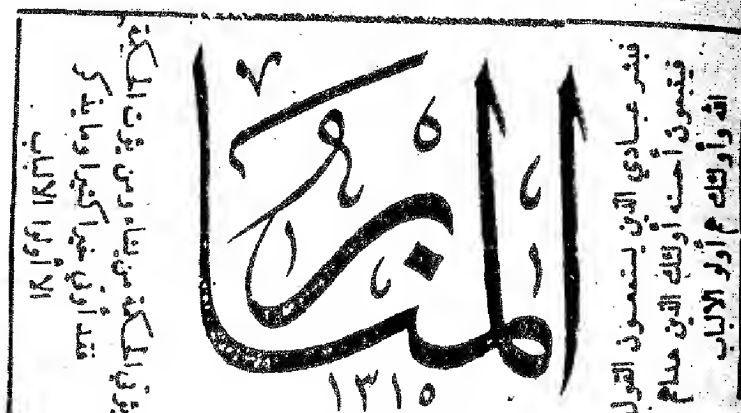
واما الكلام في آية النبأ فلا دليل فيها لهم وآخرها يرد عليهم اذ يقول الله تعالى (فذوقوا فان تزيدكم الا عذابا) ولن تفيد الاستقبال حتى احتج بها الزخشي على نفي الرؤية (رؤية الله في الجنة) في قوله تعالى اوصى (لن تراني) وفرق بين الخبرين فان هذا نفي الرؤية في الدنيا وأما الثاني فنفى في الآخرة وقوله تعالى آخر السورة (و يقول الكافر بالبنى كنت ترابا) دليل على ان الكافر كان يود لو كان ترابا ولا يعذب خالدا . ولا يهال تخليه ذلك كاف لرؤيته العذاب فحسب دون الخلود لانه لو كان يعلم ان النار تنق من الآن كما يقولون لقال هل أملة ورجائه في رحمة الله (١) كما فهم ابن القيم من حديث لوي لم الكافر بسمة رحمة الله ما يسى ولو يعلم المؤمن بأليم عذاب الله أو نحو ذلك لتبدل وقوله تعالى (لا بين فيها أحسابا) لا يدل على انقطاعها كما قد عدا فاما المنصود التحويل وان الاحقاب قد تأتي متتابعة ولا تنأى . أرايت لو كنت هذا في الدنيا خالدين أما كنت تقول مضت علينا آفات ونفذ الزمن وهو ياتي كما يمكن أن نمد شيئا لا ينص بالآلاف والملايين وأنسى نسل من

(١) يرد على الكتاب ما يقوله هو عن عمر من تخليه لو كان شجرة نخيل

الحساب: كالديليون وكما فرغت الفصول أعدناها من الاول عدا ولم يفرغ المدون
 فن يستنكر ذلك؟ وهل هذا الا من باب قوله تعالى في أهل النار (خالدين فيه)
 ما دامت السموات والارض) والفرض المخلود الذي لانهاية له لان المخاطبين بمجهول
 بدء الارض والسموات والمجهول أوله وآخره كالذي لا أول له ولا نهاية فلذلك والله
 أعلم صور لنا الطلوع لنعلم عظمه بالنسبة لبقاء الدنيا وعمرنا القصير فيها فأما المؤمن
 فيفرح بنصيه الخالد في الجنة وأما المنافق فيحزن حزنا شديدا وتنهص عليه حياته
 اذا سمع هذا الوحيد الشديد. فالاول نملو همته ويقتمم الشدائد بقلب ملؤه الصبر
 والامل والسرور. وذلك يجاهد ليدب عنه هذه الزواجر ويفر منها فرار الحر
 المستنزفة وهي في أثره حتى يثقل في حوة المذاب الحقيق ويثس المصير
 وبعد فاما أن تكون هذه الآيات متشابهة أو محكمة. فان كانت متشابهة فقد
 كان على الفنايين أن يقولوا آمنا عملا بقوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا
 به كل من عند ربنا) وما كان لهم أن يكثروا الكلام ويباطلوا الخصام ويقفوا
 ما ليس لهم به علم من صفات الله وامانه ويتكذروا في حكمته ومشيئته بسلهم القاصر^(١)
 وأن الله اسما وصفات لا يسلها للآن أحد كما ورد في حديث (واسألك بكل اسم
 هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت
 به في علم الغيب عندك الخ. وحديث الشناعة اذ يعلم الله تعالى رسوله محمدا بمحمد
 بها. ولا ويب أن المحامد تكون على اسماء تنضيها وتستحقها والله اعلم أفا كان الاول
 بهم أن يسكتوا بعد أن يقولوا آمنا به الخ. وان كانت محكمة فالامر ظاهر ولا داعي
 للخلاف والجدل والقول على الله بلا علم ولنا اسوة بالصحابه الذين كانوا يسألون عما بينهم
 فيقولون يا رسول الله ما أفضل الاجال. وداني على عمل اذا علمته دخلت الجنة الى غير ذلك
 ولعل في هذا الآن كفاية وله بقية

عبد الظاهر محمد

(١) يرد على هذا أن ابن القيم قال بالتفويض والوقوف عند قوله تعالى ان ربك
 ختكيم عليم) وجمله نهاية الاقدام في السير في هذا المقام وهو ذو العلم الواسع
 يكتتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم



— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صدى « ومانارا » كنار الطريق —

٢٩ ذي الحجة ١٣٣٩ - ١٩ السنبلة (ص ٣) سنة ١٢٩٩ هـ ٢ سبتمبر سنة ١٩٢١

القياس في العربية

« للاستاد العلامة الشيخ محمد الحضر »

الحمد لله الذي جعل العربية أشرف لسان ، وأنزل كتابه المحكم في أساليبها
اللسان ، والصلاة والسلام على من بهر البلغاء بلمحجته الباهرة ، وعلى آله وصحبه
العاملين على متوال حكته الرائعة ، أما بعد فقد كنت أيام دراستي لعلم العربية
أمر على أحكام تختلف فيها آراء علمائه فيقصرها أحدهم على السماع وبأذن الآخر
في القياس عليها دون أن يذكروا الأساس الذي قام عليه الخلاف ، فأرى
التمسك بمثل هذه الأقوال من التقليد الذي لا ترواح إليه النفس ولا سيما حين
أذكر أن كثيراً من أصحاب هذه الأقوال قد تلقوا العربية من كتب يمكننا
الاستقاء منها ، فأخذت ألقت نظري إلى الأصول العالية التي يرعونها في أحكام
السماع والقياس حتى ظهرت بقواعد وقمت على تقاريق منها في صريح كلامهم
وانتزعت شذورا أخرى من موارد أحكام جزئية تفصيت آثارها في أبواب شتى
ولما شرعت في مدينة دمشق بمطالعة بعض الكتب العربية كفتي الباب
بمحضر طائفة من أذكياه الطلبة كنت أذهب في تقرير مسائل السماع والقياس
على تلك الأصول التي لم تدخل بعد في سلك التأليف ، وعند هذا اقترح علي أولوا
الجد منهم جميعا وتحريرها ليكونوا على بينة منها خلال المطالعة فطاولتهم على
ما اقترحوا حتى تكاملت في مقالات تشرح حقيقة القياس وتفصل شروطه
وتحرر مواقفه وأحكامه

تمهيد

لا يكون الكلام عربياً فصيحاً إلا إذا صحت مفرداته واستقام تأليفها ،
أما صحة مفرداته فهي النطق بحروفه على مقتضى الوضع من غير أن تغير بنقص
أو زيادة أو ابدال أو قلب في هيئة ترتيبها أو حال حركتها وسكونها ، وأما
استقامة تأليفها فبأنطباعها على أسلوب لسجت عليه العرب في مخاطباتها . ولا
تحقق هذه المطابقة إلا برعاية أحكام التقديم والتأخير والاتصال والانفصال
والحذف والذكر

وهل تتوقف على إطلاق الكلم وتأليفها على معرفة وضمها الخالص ونظمها

الوارد بحيث لا نستعملها حتى يثبت لدينا من طريق الرواية كيف نلق بها العرب ، أو أتى واضع اللغة طريق القياس مفتوحا فيسوغ لنا ان نلحق الحكم بأشباعها في هيئة مبانيها أو نسق تركيبها ونسوي بينهما في الاحكام اذا أعوزنا السماع ؛ هذا موضع تشعبت فيه انظار الباحثين في العربية ، فبعد اتفاقهم على العمل بالقياس وتضافر عباراتهم على انه من مأخذ اللغة غلا بعضهم في التعلق به واتسم في محاله الى ما يخرج بالكلام عن صبغته العربية ، وضيق آخرون الغاية الى حد يقرب من موقف الجامد على الرواية في اوضاع الكلم وتصرفاتها

وقد انتبه المحققون بين هذين الطرفين مسلكا يقي على اللغة شعارها ويبسط في نطقها بمقدار ما ينسوغه ذوق آكل الشبح والقيصوم

ولا يجهل طالما مفردا أو أهل بلد اطردوا في هذه الجادة ولم يحيدوا عنها في قضية فكانت جميع أقوالهم في محل الاعتدال ، بل ترى القول الحق والقياس الوسط يدور بين مذاهبهم فيصيبه هذا تارة ويحرزه مخالفه تارة أخرى ، وذلك شأن المعلوم التي يستند في تقرير قوانينها الى اجتهادات المقول

الحاجة الى القياس

وضعت اللغات ليعبر بها الانسان عما يبدو له من المآرب ويتردد في سميده من المعاني ، ومن البين جليا ان المعاني تبلغ في الكثرة الى ان تسبق عما دائرة الحصر ، وتنتهي دونها ارقام الحاسبين ، فلم يكن من حكمة الواضع - وى ان وضع لبعض المعاني الفاظا عينها كالدماء والمطر والنبات ، ولوح الى البقية بمقاييس تصاغ الكلم في قولها فتدخل في زسرة ماهو عربي فصيح ولولا هذه المقاييس لكانت اللغة اسبق على المتكلم بها من مفحص قضاة ليقم في نقيصة المي والتماهة ، وبكثر من الاشارات التي تخرج به عن حس السمات والرساة ، ويرتكب التشابه محاولا بها تقريب المرام من فهم المتخاطب لا كما يستعملها اليوم حلية للمنطق ومظهرا من مظاهر البلاغة

ولو فرضنا صحة ان يوضع لكل معنى لفظ يختص به كأن نخرج الى ان منشىء اللغة هو مبدع الخليفة لكان المخرج الذي تقع فيه اللغة ان تسبق الجملدات الضخمة عن تدوينها ، وتمجر النفوس الساقة من حصيل ماويه كغاياتها بالقياس طريق يقرب به تناول اللغة ووسيلة تمكن الانسان من النطق

بآلاف من الكلم والرائد دون ان قرن سمعه أو محتاج في معرفتها الى مطالعة القاموس أو اللسان

وربما يلوح لك ان اللفاظ المرادفة نفى عن القياس في الكلم المفردة لو صرفها الواضع الى المعاني التي لم يعين لها اسماء . فنقول ان المترادفات مجالا فصيحا وأثرا بليغا في الفصاحة والبلاغة ، فلا يصح ان تكون العربية عارية منها . ثم انها على كثرتها لا تبلغ ان تسد مسد القياس في مثل المصادر والافعال والادوات المشتقة وجموع التكسير فضلا عن كون الكثير من هذه المترادفات انما نغأت من لغات متعددة

ما القياس ؟

يسند القياس أحيانا الى العرب أنفسهم فيكون من قبيل التنبيه على علة الحكم الثابت عنهم بالنقل الصحيح ، كما قال النحاة اعرب الفعل المضارع قياسا على الاسم وعمل اسم الفاعل قياسا على الفعل ، ودخلت الفاء خبر الموصول في مثل قولهم « من يأتيني فله درهم » قياسا للموصول على الشرط

وبضاف تارة الى الباحثين عن أحوال اللفظ العربي فبراد منه أحد معاني التامة (أحدها) ان تمد الى اسم ورد استعماله في معنى يشتمل على وصف يناسب التسمية كالحرف تمعده الى معنى آخر تحقق فيه ذلك الوصف وتجمعه من مدلولاته كالسند تمده فيما يقاوله اسم المخرحيت كان يحمر العقل وبستره ، وهذا النوع من القياس هو الذي يعنيه المحققون من الأصوليين بقولهم لا تثبت اللغة بالقياس (ثانيها) الحاق اللفظ بأمثاله في حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب حتى استظلمت منه قاعدة عامة كصفة التصغير والنسب والجمع ورفع الفاعل وبناء العلم والكرة المقصودة في النداء

(ثالثها) إعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها مما هو مخالف لها في نوعها كما اجاز الجمهور ترخم المركب المرحي قياسا على الاسماء المنتهية بباء التأنيث ، وازاد ابن مالك حذف العائد المحرور في العدة اذا تميز حرف الجر قياسا على حذفه في الجملة الخبرية ، والمذايان الاخير انهما موقع النظر وبجمل البحث في هذه المقالات وأرت للفرق بينهما التمييز عن الاول بالقياس الاصلي وعن الثاني بقياس التمثيل

والكلم أحوال في نفسها ، وأحوال من جهة ما يقرن بها ، فيترجم النظر في القياس الى الاحوال النازعة لها من حيث مبادئها الثمودة كاشتقاقها ووساها ثم الى الاحوال الجارية عليها من جهة نظم بعضها في سلك بعض ، وترجع احوال النظم الى الاتصال والاتصال والتقديم والتأخير والمخلف والتذكر والمصل والأغراب والبناء والاستعمال فكان المقصد من هذا التحرير يدور على البحث في القياس الاصلي والقياس التمثيلي ومباحث مشتركة بينهما

المقالة الاولى في القياس الاصلي

ما يقاس عليه

يجمع اللسان العربي تحت اسمه لغات شتى ، ولكنها تختلف فيما بينها اختلافاً يبرأ مثل اختلافها في بعض أحوال الكلم من حركة وسكون أو عراب وبناء أو افعال وأعمال أو ترتيب حروفها أو ابدال بعضها من بعض أو زيادة والمخلف

تفاوت هذه اللغات بالجودة وقساحة اللمجة ، وجميعها بما يصح القياس عليه ، قال ابن جني في الخصائص : اختلفت على اختلافها كلها حجة والماثل على يأس لغة من لغات العرب مصيب غير مخفى ، وقال أبو حيان في شرح التسهيل : كل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه ، وقال الفيديوسي في شرح التمهيد : لمهور في كلام العرب ماء ملح ولكن قول ماء ملح لا يند خطأ وإنما هو لغة قليلة . ومن اعتماد على هذا الاصل كان الصحيح عديم جواز القياس في تقديم عامل كم الخبرية عليها لانه لغة حكاهما الاخضر عن بعض العرب

ويستند في تقرير الاحكام الفطرية على أقوال الجاهلية كأمريه القيس وزهير ، والخضر من كسان وليد ، والاسلاميين كالرزدق وجبر ودي الرمة ، أما المحدثون ويدخل في زمعتهم يشار بن برد وأبو راس وأبو تمام فلا يصول في الاستشهاد على اوضاع الكلم واحوالها التركيبية على شيء من مفتاتهم أو نظوماتهم ، ولهذا ترى انهم يوردون - وهن الختنة والتلحين حيث بقوا فيما يخالف القواعد الملهمة ، واذا كان الختم الذي لم يملأه حارثهم من موافق الخلاف أقام لهم المنذر بأنهم قد برز كلامهم على المنصب الضعيف

ثم اذا عثر على مثل صنيعهم الصادر من الجاهليين أو الاسلاميين لا يسمعه الا ان يقضي فيه بالشذوذ أو يقتحم في تصحيحه طريقة التأويل وقال الزنجشيري في كشفه بعد ان استشهد بشعره لابي تمام « وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجمل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » وتلقى هذه المقالة الشاب بسامع المقلد فقال في شرح الدرة « اجمل ما يقوله المنتهي بمنزلة ما يرويه » وقد كشفنا فيما كتبناه في حياة اللغة العربية عن وجه الخطأ في هذه المقالة ، وكيف يحتاج بأقوال هؤلاء وقد عثروا في اغلاط كثيرة لا يستطيع أحد السبيل الى تخرجها على محل صحيح ، فهذا أبو نواس يقول : —

وإذا زعت عن الغواية فليكره ذلك النزوع لا للناس
والصواب في مصدر نزع عن الشيء انما هو النزوع
وهذا أبو تمام يقول : —

لعدله في دمتين تقادما محوتين لزيب وصماد
والصواب تقادمتا

وهذا المنتهي يقول : —

فان يك بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول
والصواب في جمع بوق بوق كصرد او ابواق

ومن لا يعتمد في تقرير احكام اللفظي على استعمال المحدثين يرى ان استناد بعض المتأخرين في تصحيح بعض الكلام الى استعمال أحد أهل العلم غير شديد ، يرد بعضهم على صاحب القاموس في قوله « الانموذج لحن » بأن الزنجشيري سمي كتاباً له بالانموذج ، والنووي عبر به في المهاج عند قوله « انموذج المتماثل » وهو رد غير مبني على أصول العربية اذ لا حاجة الا في كلام من ينطق بالعربية عن سليقة ، وهذا الشرط لا يتحقق في أبناء المائة الخامسة كالزنجشيري أو المائة السابعة كالامام النووي رضي الله عنه ، وكم من امام في العربية ينطق أو يؤلف بعبارة تخالف مذهبه الصريح ، أفلم يشترط فان هشام في كتاب المغني لدحول هاء التنبيه على الضمير كون خبره اسم إشارة ولم يحتفظ بهذا الشرط فقال في خطبة الكتاب نفسه « وهأنا بائع » ووقف صاحب القاموس في هذه الهدوء بعينها فشرط لاتصال حرف التنبيه بالضمير

ماشرطه ابن هشام من الاخبار عنه باسم اشارة ولم يقم على ماشرط فقال في خطبة كتاب القاموس «وها أنا أقول»

ويؤكد ذلك عدم صحة الاحتجاج بما يستعمله علماء العربية ان صاحب القاموس صرح بأن كلمة بعض لا تدخلها اللام وهو يعلم كما نقل عقب هذا الحكم ان سيبويه والاخفش قد استعملوها في كتابيهما

ونخرج بالكتاب الحكيم ونكمل بالقياس على ظواهره ما طابقت مقتضى البلاغة، ولا تتبع سبيل الذين يجحدون به الى جانب التأويل انتصاراً لما سبق الى تلويحهم وتقرر في مذاهبهم من أحكام فقهية أو عربية، قال الفخر الرازي في تفسيره: اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول لجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى. وكثيراً ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الالفاظ الواردة في القرآن فاذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقة دليلاً على صحته فلا ن يحملوا ورود القرآن دليلاً على صحته كان أولى، وقال ابن حزم في كتاب الفصل: ولا عجب أعجب ممن ان وجد لامرئ القيس أو زهير أو الجربز أو الحطيئة أو الطرماح أو لاعرابي اسدى أو سلمي أو تميمي أو من سائر أبناء العرب لفظاً في شعر او نثر جعله في اللغة وقطعه به ولم يمتز فيه ثم اذا وجدته تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت اليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل في حالته عما أوفعه الله عليه

ومن أمثلة ما اشار اليه ابن حزم انه ورد الفصل بين المصدر المضاف وفاعله المضاف اليه بالمفعول به في قوله تعالى (قتل أولادهم شركائهم) كما قرأ ابن عامر بنصب أولادهم وخفض شركائهم ففضى عليها الزخشرى بالخطأ وقال الذي حمل ابن عامر على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء، وذهب السكاكي في مفتاحه الى تلقي القراءة بالتسليم وفاقاً لمن يقول ان الترات السيم متواترة ولكنه تأول الآية على تقدير مضاف اليه يتصل بقوله «قتل» ومضاف عند قوله «شركائهم» والمقدر في الموضعين من نوع المطلق به فيكون سبب الآية بمد التصريح بالمقدر قتل شركائهم أولادهم قتل شركائهم» ثم قال وهذا وان كان فيه نوع من البعد فتخطئة الثقات والفسحاء ابعد

والذي نعتده في مثل هذا ان نتلقى القراءة المتواترة بالقبول ولا نحمل

الآية مالا تطبيقه بلاغتها من اعباء هذه التقادير وتمسكها كما صنع السكاكي بل بنقيها على ظاهرها ولا نلزم ان الفصل في مثل هذا مخالف للفصاحة ولا سيما بعد ان أورد له ابن جني في الخصائص شواهد متعددة
ولا اخال أحدا يمول في مثل هذا على ذوقه فيقول ان الذوق ينفر من صورة المعنى الذي يفصل فيه بين المضاف والمضاف اليه بأحد معمولات المضاف، فان مثل هذا لا يرجع فيه الى ملاءمة الطبع بل مداره على ما يجري به الاستعمال ويثبت في الرواية فما نجدناه واردا في الكلام الفصيح لعل انه لا يكدر من مشرب الفصاحة العربية ولا ينل من سور البلاغة فتبلا

ومما يقرب لك ان حكم الفصل بين الكلم لا يرجع فيه الى الذوق وانه مائد الى ما يسمع من كلام المشهود له بالفصاحة في تلك اللغة ان اللغات تختلف فيه اختلافا كثيرا ، ففي اللسان الالماني مثلا يفصلون بين اداة التعريف والمعرف بمجمل كثيرة ، وربما كان الفعل مركبا من قطعتين فيضعون القطعة الاولى في صدر الكلام وبلقون الاخرى في نهايته فينتفيق ان يكون بين القطعتين كلمات فوقي العشرة ، وتراهم يفصلون بين علامة الاستقبال والفعل بمجمل متعددة ، ولا شبهة ان ارتباط اداة التعريف بالمعرف أو بعض اجزاء الكلمة ببعض أو علامة الاستقبال بأصل الفعل أشد من ارتباط المضاف بالمضاف اليه . فلما خرج على اللغة ان تبيح الفصل بين المضاف والمضاف اليه ولا سيما حيث تكون علاقة الفاصل بالاسم المضاف ليست من علاقة المضاف اليه بيميدة كالمعمول به .
وأما الحديث النبوي فقد جرى الجمهور على عدم الاحتجاج به لكثرة ما وقع فيه من الرواية بالمعنى واعتد به ابن مالك وأخذ بالقياس عليه في أحكام شتى معتمدا على ان روايته باللفظ هي الاصل فنعمل بموجبها الى ان يثبت انه نقل بالمعنى ، ومن أمثلة ما احتج عليه ابن مالك بالحديث انه ورد في آيات متعددة فعل الشرط مضارعا والجزاء ماضيا فجاز الفراء وابن مالك العمل على هذا الاسلوب ، ومنه الأكثر بدعوى ان ما وقع في تلك الشواهد من قبيل ما دفعت اليه الضرورة ، فاستدل ابن مالك على جوازها في حال العمة بما روى الابام البخاري من قوله عليه الصلاة والسلام « من يتم ليلة القدر ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »

وقال ابن حزم عقب الكلام الذي نقلناه عنه في الاحتجاج بالقرآن واذا

وجد - يعني الباحث في المربية - لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعل به مثل ذلك - يعني الصرف عن وجهه والتعريف عن موضعه - ولقد كان محمد بن عبد الله قبل ان يكرمه الله بالنبوة وأيام كونه عمكة اعلم بسمه قومه وافصح فيها فكيف بعد ان اختصه الله للنبوة واجتباؤه للرئاسة بينه وبين خلقه ؟ اه وكلام ابن حزم هذا لم يصادف المفصل في رد مذهب الجمهور اذ لم يمتنعوا من الاستشهاد بالحديث لقلة فصاحته وانما لم يأخذوا به في المربية لما عرفت من احتمال روايته بالمنفى

والحق ان الاحاديث التي تعددت أسانيدھا ولم يختلف لفظها يبيد فيها احتمال الرواية بالمنفى فيصح الاحتجاج بها من غير شبهة

القياس على الشاذ

للمحكم الذي ورد به السماع النادر أربعة أنواع (أحدها) ما لا يمارسه قياس ولا سماع آخر ، وهذا يكتفون في اطراده بالشاهد الواحد ولا يفتشون له السماع الثاني ، ومن هذا قولهم شئنا في النسب الى خنوءة فقد اكنى بها سيئويه وغيره وجعلوا القياس في النسب الى فمولة على الاطلاق فعلي ، ولم تقع اليهم من شواهد غير هذه الكلمة المفردة

(ثانيها) ما يخالف القياس والسماع ، وهذا لا يفي فيه المثال النادر قطعا ، وقد حاد الاخفش عن قصد هذا السبيل حين سمع قولهم . هذاوي في جمع هدية فجعله مقيسا في كل ما كان لامة ياء والحال انه لم ينقل منه الا هذه الكلمة الشاذة عن السماع والقياس اذ المسجوع والموافق للقياس في مثل هذا بقاء الياء بجائها فيقال هدايا وهطايا ومزايا وبلايا وسرايا ودنايا

(ثالثها) ما يخالف القياس ولا يكون السماع مصادما له كما ورد تصغير فعل التمتع في قولهم : ما اميلحه وما احبسته ثم قد ورد على خلاف القياس اذ التصغير من خصائص الاسماء ولم تضرب فيه الافعال بسهم ، وصيغة التمتع من قبيل الافعال الماضية ، وانما كان تصغير الفعل غير مصادم للسماع لان العرب لم بدلوا على معنى التصغير فيه بصيغة أخرى حتى يقال هذه السيفة أعز اميلحه واحبسه بخلة للمسجوع

(رابعها) ما يطابق القياس ويخالف السماع كما ورد خبر عن سائر بني مولة (المناج: ٨: م ٢٢) (٧٧) (المجلد الثاني والعشرون)

« عسى النور ايروحا » وقوله « انى عسيت مائما »

وهذا مطابق للقياس لان الاصل في الخبر الافراد ، وخالف السماع اذ المعروف في خبر عسى مجيئه مضارعا مقرونا بان أو مجردا منها .
وهذان التسمان أعني ماخالف القياس فقط أو السماع دون القياس مما جعل الخلاف بين علماء المزية فالكوفيون يمتدون بما ورد من ذلك على سبيل الندرة ويعملون بالقياس عليه . قال صاحب الافصاح : مادة البصريين اذا ضموا لفظا في ضم أو نادر كلام جملوه بابا أو فصلا ، والبصريون يمتنعون من القياس على الشاذ ويذهبون في مثله الى ان قائله نحا به خلاف ما يظهر منه ويردونه الى الاصل المعروف عندهم على طريق من التأويل ، وبعض النحاة كان مالك لا يكافئ نفسه تأويله ولا يقبله في موضع المطرد بل يعينه بالشذوذ أو انه خرج عرج الضرورة ، والى هذه الطريقة أو ما ابن السراج في الاصول بقوله : ليس البيت النفاذ أو الكلام المحفوظ بادنى اسناد حجة على الاصل المجمع عليه وتأويل هذا كتأويل ضفة الحديث واتباع القياس في الفقه . ومن تأييد هذا المذهب ذكرنا في شروط افضل التفضيل ان لا يكون اصل الوصف على وزن افعل نحو ابيض واسود ولما جاء قول الشاعر

جارية في درعها القضاض ابيض من اخت بنو ابيض
انزله الكوفيون منزلة المقيس عليه ، وتأوله البصريون على انه « باض فلانا » اذا غلبه وقافه في البياض ، وابقاه ابن مالك على ظاهره والقاء الى قسم المسومات الشاذة

والاصوب في كثير من الشواهد طريقة من يقضي عابها بالشذوذ ولا يذهب فيها مذهب التأويل فان من التأويلات التي يرتكها بعض البصريين ما يكاد الناظر - لتصفاتها وبعدها عن نظم اللفظ - يقطع بانها لم تقع في قصد الشاعر ولا حامت حول قريحته

ومن الاقوال الشاذة ما لا نجد للتأويل فيه مدخلا ، ومن شواهد ان البصريين يمتنعون ان تجمع الصفة التي لا تقبل ناء التأنيث جمع مذكر سالم نحو اسود واحمر ، واجازة الكوفيون تمسكا بقول الشاعر

فا وجدت نساء بني عيم جلائل اسودين واحمرينا
ولا يتخلص البصريون من هذا الشاهد الا طرحه الى النادر الذي لا يقوم عليه القياس

والتأويل إنما يقتضيه البصريون اذا كان الحرف المخالف للمعروف في
البيان واردا عن فرد أو فردين ممن يتكلم باللغة المألوفة ، واما اذا ثبت انه
لغة فنية فلا وجه لتأويله والخروج به عن ظاهره ، ولهذا أبطل ابن هشام
تأويلات أبي علي الفارسي وابي فزارق ولم يبق له « ليس الطيب الا المسك » برفع
المسك لان أبا عمرو بن الدلاء أثبت ان رفع خبر ليس الواقع بمسك « الا » لغة
فنية . والتحقيق ان الشاذ على قسمين

أحدهما ما أن يكون كلام العرب سائرا على سنة مرفوعة ووضع عام فتسمع
الكلمة أو الكلمتان من لا يعرف بالفصحى وهي مخالف المعروف في الأسلوب
فهذا لا ينسب عليه قطعا ، بل الكلمة ونحوها لا تنقض بها القاعدة التي يجري
عليها التصحاح في عامة مخاطباتهم ولو نقلت عن فصيح اذ يجوز ان تكون صدرت
منه على وجه الغلط أو القصد الى تحريف اللغة ، فان السنة التصحاح قد تقع في
جمل الغلط وتطوع لهم في تصحيحها الى تنبيه الكلمة عن وضعها المألوف لزل ونحوه
بما ناصحهم . وما يرد في الكلام الفصحى وتتحقق انه لم يعبث عن خطأ أو
تلاعب في أوضاع اللغة مثل آيات الكتاب الحكيم والاحاديث التي تمددت
ابنائها . فهذا يصح لنا ان نضحه بمكان القياس ونسج على مثاله وان اباه
البصريون والكوفيون ، فلا نبالي أن تؤكد بلفظ « اجمعين » منفردة عن
لفظ « كل » وان منعه اكثرهم لوروده في قوله تعالى (لاغوينهم اجمعين —
وان جهنم بلوعهم اجمعين — لا ملان جهنم من الجنة والناس اجمعين)

في القياس فيما ينتقل الى التأويل

قد يستعمل نوع من الكلام على وجه شائع ولا يستقيم المعنى الا بتأويله ،
ومقتضى مذهب الجمهور المنع من القياس عليه ولو كان وجه تأويله مما يسهل
القياس ، وهذا كما قالوا في المصدر الذي كثر مجيئه لفتا وحالا انه مقصور على
السلج ، مع انهم يؤولون ما ورد منه على تقدير مضاف أو تحريجه على مجاز . وقالوا
ان اسم الزمان لا ينجز به عن الذات ، وأولوا نحوه قولهم (الليلة الهللال) على
تقدير لفظ طلوع مضاف الى الهللال . والحق ان المنع من القياس في مثل هذا
مشروط بما اذا لم يقصد المتكلم الى تأويل قريب ووجه مقيس وهو مذهب
ابن مالك ، اما اذا نوى اسم معنى يضيفه الى ما بعده واستقام به المراد فانه

يلتحق بسائر الجمل التي يحذف فيها المضاف لقرينة تشير اليه
ومن هذا القبيل انكار الحريري لقولهم « هو قرابي » وليس بمنكر من
القول متى علم المتكلم بان القرابة مصدر وحمد الى اطلاقه على ضرب من الجاز
أو التقدير ، ويدخل في هذا الصدد حكم صاحب المصباح على قولهم « اذن المصير »
بأخطأ مع ان اسناد الفعل الى زمانه على وجه الجاز ليس بعزيز ، وإنما يحكم عليه
بأخطأ اذا لم يصدر من بليغ ينحو بالكلام نحو خلاف الظاهر . ويلحق كل هذا
قول ابن قتيبة في أدب الكاتب « الملة يذهب الناس الى انها الخبزة » فيقولون :
اطمئنا ملة . وذلك غلط إنما الملة موضع الخبزة قال ابن السيد في شرحه « وليس
يمنع عندي ان تسمى الخبزة ملة لانها تطبخ في الملة كما يسمى الشيء باسم الشيء
اذا كان منه بسبب أو يخرج على حذف المضاف أي خبز ملة » والصحيح ما عرفته
من ان التخطئة في مثل هذا او التصويب مما يرجع فيه الى حال المخاطب اذ الذي
يطلق الملة على نفس الرغيف ويظهر لك من قرينة حاله أو صريح مقاله انه اطلقها
عن اعتقاد انها موضوعة له بوضع حقيقي لا يخلص من سهام التخطئة ولو
احتملت عبارته وجوها في التأويل متعددة

وحكم ابن قتيبة على قول العامة « نجوع الحرة ولا تأكل نديها » بانه خطأ ،
وقال : الصواب بنديها . فقال ابن السيد أما ما يذهب اليه العامة من ان المعنى
لا تأكل لحم نديها فهو خطأ ، ولكن يجوز على التأويل بحذف المضاف أي
اجر أو تمن نديها أو على المبالغة بحمل أكلها لاجر نديها بمكان أكل الشدين
انفسها . والتفصيل الذي سبق من النظر في مثل هذا الى حال المتكلم بحري
هنا لولا ان العبارة مثل ، فمن قصد بها ضرب المثل على ماورد فقد اخطأ من
جهة تحريف المثل وان كان التركيب في نفسه صحيحا

وجه اختلافهم في القياس

من الجلي ان العرب لم يصرحوا بعمل القياس في شيء من أوضاع كلامهم
وأما علماء اللسان يتبعون موارده ويتمرفون احواله فإذا وقفوا على حال في
مفردات الالفاظ أو مركباتها قدم عمل العرب بها على وجه منضبط وكتبوا منها
قاعدة ليقاس على تلك الموضوعات المسموعة ما لم ينقل من نظائرها
فمن اسباب اختلافهم في القياس ان يتوفر لدى العالم من استقراء الآحاد

ما يكتفي لتركيب القاعدة فيعبر القياس ، ولا يبلغ الآخر بتقييمه مقدار ما يؤخذ منه حكم كلي فيمنع أن يكون مقيساً وقد ينسأوى الفريقان فيما عرفوه من الشواهد ويكتفي به أحدهما في فتح باب القياس عليه ، ويستقله الآخر فلا يتخطى به موضع السماع ، وهذا كاختلافهم في فعل المعتل المين فيظهر من كلام سيبويه أن جمعه على افعال مطرد ، وذهب ابن مالك في التسهيل إلى أنه غير مقيس ، ويرجع خلافهما إلى أن ما ورد من نحو مال واموال وغال وأخوال وحال واحوال وناب وانياب وباب وابواب هل بلغ مقداراً يكفي لأن يجعله مطرداً أم لا ؟ ومن هذا القبيل اختلافهم في جمع الجمع ، فقد ورد منه نحو المشرين كلمة ، وسبب اختلافهم في جمعه مقيساً إنما هو تفاوت أنظارهم في أن ما سسم - : هل هو من الكثرة بحيث يقاس عليه أو أنه لا ينهض به حتى يجعله مطرداً ؟

وقد يختلفون في القياس نظراً إلى ما يقف لهم من الاحوال التي تمارض السماع ، فالكوفيون الذين يكتفون في بعض الاقيسة بالشاهد الواحد قالوا : ان صيغة المبالغة فعال ومفعول لا تعمل عمل اسم الفاعل . واخذوا يؤولون الشواهد التي سردوها البصريون واعتذروا عن عدم قبولها والاخذ بظاهرها بأن اسم الفاعل إنما عمل لشبهه بالفعل المضارع في وزنه والصيغ المذكورة لم تحرز الوزن الذي قرب اسم الفاعل من اصله الذي هو المضارع ، والحقها البصريون بمنزلة اسم الفاعل حسب ما شهدت به الرواية وهدموا ما اعتذروا به الكوفيون إذ قالوا في جوابهم : ان المبالغة التي قوي بها المعنى في تلك الابنية جبرت ما نقصها من الشبه في اللفظ ، فنقابل مشابهة اسم الفاعل للمضارع في اللفظ بزيادة المعنى الذي اختصت به ابنية المبالغة فتحصل الموازنة والتساوي في طلب العمل من غير تفاوت .

تمارض السماع والقياس

إذا تتبعنا جملة من أقوال العرب حتى قامت لنا من استقرائها قاعدة ، ثم وقفت الينا أمثلة نطقوا فيها على خلاف ما تقتضيه هذه القاعدة ، فهل نأخذ في هذه الامثلة بالقياس أو نقف فيها عند حد السماع ؟ هذا النوع تعددت صوره وتشتت مقالات العلماء في حكمه ، وسنلقي

عليك ما نراه صفوة آرائهم وخلاصة بحتمهم
للامثلة الواردة على خلاف ما تقرر في الاصول أربعة أقسام (أحدها)
كلمة أو كلمات قليلة تدور في مخاطباتهم كثيرا ولم ينطقوا فيها على وفق القاعدة
ولم مرة مثل استحوذ واستصوب اللذان وردا على خلاف القاعدة القاضية
بقلب واوهما ألفا نحو استقام واستماذ . وهذا القسم بحسب استعماله على ما سمع
من العرب ولا تنقض به القاعدة ولا يقاس عليه غيره

(ثانيها) ما يجيء مخالفا للقاعدة في أكثر مخاطباتهم وورد على وفق القاعدة
في أمثلة قليلة كإبراهيم اسم الفاعل من أبتل على وزن فاعل فقالوا «كان باقل»
وقياسه «مبقل» وقد تكلموا في بعض الاوقات ، ومن هذا قولهم في أفعل
التفصيل من الخير والشر «خير وشر» وقياسه «أخير وأشر» وقد نطقوا به
في بعض الاحيان ، وهذا يجوز لك الممثل فيه على الوجهين بيد ان الوجه
الاكثر في السماع أرجح لانك تنكلم بلهجة قوم رجعوه ولأنه مألوف عند
المخاطبين أكثر من الوجه الذي قل في السماع

وما يرد في القراءة الصحيحة مخالفا للقاعدة والمسموع من كلام العرب
فيما يظهر كقراءة «معاش» بالهمزة نطقه حكم هذا القسم فنستعمل بما يقضي
مهموزة وغير مهموزة ولا نقيس على المهموزة غيرها مما كان على وزن منقلة
(ثالثها) ما لم يدر في كلامهم كثيرا وانما هي الكلمة أو الكلمات ترد في شر
أو تر نادرا مخالفة للقاعدة مثل ما حكى من قولهم «فرس مقوود ورجل مموود
من مرضه» فهذا لا يؤخذ به في استعمال الكلمة نفسها فضلا عن ان يتخذ قياسا
(رابعها) أمثلة كثيرة تجيء على خلاف ما وضعوه قاعدة، وهذا يحتمل ثلاثة
انظار (أحدها) طرح هذه القاعدة وعدم العمل عليها لانها ركبت على استقراء
ناقص جدا (ثانيها) الاعتداد بها واجراؤها فيما لم يسم فقط ثم الاقتصار فيما خالفها
على ما ورد به السماع (ثالثها) التمسك بها والعمل عليها فيما سمع مخالفا لها ايضا
بحيث يكون اللفظ ذا وجهين، وهما الوجه المسموع والوجه الذي تقتضيه القاعدة
ومن موافق هذه الافكار مصادر الفعل الثلاثي ، قال أحد النحاة: انما
يعتمد فيها على السماع ولا يصح القياس على ضوابطها ولو عدم السماع لانها
كثيرة الانتفاض. وذهب سيبويه الى القياس عليها فيما اذا ورد فعل ولم نسم
كيف تكلموا بمصدره ولا يصح ان نقيس مع وجود السماع . وأجاز النحاة

القياس عليها ولو فيها ورد السماع على خلافها ومقتضى مذهب الفراء حيث أجاز القياس في قواعد كثيرة الانتقام وهي مصادر الثلاثي ولو فيما ورد السمع بخلافها أن يجيز القياس فيها ورد به السمع مخالفاً للقواعد الثابتة كقاعدة التصغير واسم الفاعل بحري ، فيصح على هذا أخذ اسم الفاعل من شاب في صيغة فاعل وإن كان السمع أشيب ، وتصغير ليلة على ليلة كما قال المثني « ليلتنا المنوطة بالتنادي »

وإن كان الوارد في تصغيرها ليلية . ويستفاد من عبارة صاحب النتاج أن هذه الطريقة أعني طريقة الفراء نحري في مصادر ما فوق الثلاثي أيضاً حيث قال « هذه قول صاحب القاموس « التبيان وفتح مصدر شاذ » والفتح غير معروف إلا على رأي من يجيز القياس مع السماع وهو مرجوح

القياس في الاشتقاق

لا يجب على الناظر في المشتقات من اسم فاعل ومفعول وأفعّل تفضيل واسم مكان وزمان وآلة عند ما يريد إنشاء قواعد ما أن يستقر في جميع أحادها فإنه يتعذر عليه الوصول إلى هذه الغاية نظراً إلى سعة اللفظة وانتشارها إلى ما لا يمكن الإحاطة به ، وانما يتبع من جزئياتها إلى أن يأتي على مقدار يفيد تلقاً قوياً وثقة بأن اللفظة جارية في مثله على اعتبار قاعدة ، والذي لا يبلغه استقراؤه يكون قاصداً لأجرائه في الكلام على ما يوافق هذه القاعدة ، فيصح لنا أن نعمل على شاكلتها في كل لفظ يتفق دون أن نتوقف على سماع

وهاهنا إشكال لا يزال يتردد على السنة طلاب العربية ، وهو أن واضح القاعدة إذا لم يلزمه استقراء جميع جزئياتها وبكيفية ان ينقص جملة منها فإنه يصح في بعض الأفعال والمصادر - مثل ويح وويل ونم وبش وعش وليس ويذر - بأنها لا تتصرف ولا يصح أن يشتق منها اسم فاعل أو اسم مفعول أو أفعّل تفضيل ، وأي فرق بينها وبين ما لم يبلغه استقراؤه من المصادر والأفعال فيسوغ لنا أن نأخذ منها أوصافاً ولا يجوز لنا أن نأخذ مثل ذلك من ويل ونم وما شاكلهما من المصادر والأفعال التي يصونها بالجرود

وجواب هذا أن الأفعال والمصادر التي لم يسمع لها فروع في الاشتقاق جاءت على ضربين (أحدهما) ما يكثر استعماله في موارد كلام العرب من غير أن

يتصرفوا فيه مثل ويل وويج ونم وبئس وما بئانها ، وعدم تعريفهم لها مع كثرة زردتها في عاواراتهم وخطاباتهم دليل على قصدهم لابقائها على هيأتها فن تصرف فيها فقد أتى بها على وجه قصد العرب الى تركه ، والناطق بما يقصون الى الامثلة ناصح على غير منوالهم . وناطق بغير لمعتهم
(ثانيها) ما لا يكثر في خطاباتهم ولا يدور على السنتهم حتى يستفاد من وروده بقاء واحدة انهم قصدوا الى ترك تعريفه ، وهذا هو الذي نعمل به على طبق القاعدة وان لم يبلغنا او يبلغ الواضحين للقواعد ان العرب تلفظوا فيه بصورة موافقة لها ، فيصح لواضع القاعدة او مقلده متى اطلم على فعل او مصدر من هذا النوع ان يشتق منه وصفاً بمقتضى القاعدة وان لم يره مستعملاً في المربة الفصحى . قال ابو عثمان المازني : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب الا ترى أنك لم تسمع انت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وانما سمعت بعضها فقتت عليها غيره . وقال ابن جني بعد ان سرد امثلة من اسم المكان والمصدر الوارد ان على وزن اسم المفعول - : هذا كله من كلام العرب ولم يسم منهم ولكنك سمعت ما هو مثله وقياسه .

فاذا اشتق العرب صيغة للدلالة على معنى واستعملوها في أمثلة كثيرة فاما تأخذ فيها بمذهب القياس ، ولهذا ترى سيبويه يصرح بأطراد ما كان على وزن فعال من أسماء الافعال كزال ودراك ، وخالفه المبرد فقال هو مسموع فلا يقال قوام وقماد اذ ليس لاحد ان يبتدع صيغة لم يقلها العرب ، وقد عرفت ان الذي يفرغ الكلمة في قالب أبرزت فيه العرب أمثلة كثيرة على وجه منتظم لا يقال عليه انه ابتدع صيغة لم يقلها العرب ، وليس للمبرد سوى ان ينازع في المقدار الذي سمى من صيغة فعال فيرد القياس بأن المقدار المسموع فيها لا يكفي في الدلالة على قصدهم لاطرادها

وجرى الشيطان في صيغة فعال الواردة في النسبة نحو بزاز وعطار على عكس هذه المسألة فذهب سيبويه الى انها غير مقبسة مع اعترافه بكثرة موارد هاء ورأى المبرد ان المقدار الوارد من أمثلة هذه الصيغة يكفي لجعلها قياساً فيقال عنده لصاحب الدقيق دقاق ولصاحب الناكهة فكاء ولصاحب الشخير شعار : وقول صاحب القاموس ويقال لصاحب الحبر حبري لاجبار مطابق لمذهب سيبويه (يتبع)

الرحلة السورية الثانية

٦

ذكرنا في النبذة الخالصة التي نشرت في الجزء الخامس ان مسلمي بيروت قد تجدد لهم ثلاث حالات اجتماعية وتكلمنا على الاولى منهن وهي المتعاقبة بالنساء فبقي ان نقول كلمة في كل من الحالتين الاخرتين واما بالوعد

(اتفاق المسلمين والنصارى)

الحالة الثانية المثل الى الاتفاق مع النصارى وهذه ليست جديدة بل حتى المتبادر من الكلمة وهو انها حدثت بالتطور الذي أحدثته الحرب اللاحقة وما توله منها، بل كانت من تأثير تطور سابق عليها تبه العرب كغيرهم الى المعاقبة على جنسيتهم وكان السوريون أسبق العرب الى التنبه والبحث في ذلك من حيث ان لهم وطنًا خاصًا له حدود ومصالح خاصة فلم يشاركهم فيها الا قسار العربية الاخرى وأهلهم مؤلفون من أصحاب ملل ومذاهب يرجع أكثرها الى فريقين يحمدين ومسيحيين، بحيث يتوقف عمران البلاد وارتقاؤها على تعاون الفريقين وان كان أكثر مجموع أهالي - البلاد في غير لبنان - من الاولين كما أن أكثر رقة الارض لهم

فالحق ان للشعور بالحاجة الى الاتفاق بين المسلمين والنصارى عدة محرركات الحرب، وثلاثة قبلها وواحد بعدها، والاخير الذي سبق الى ذهننا عند كتابة النبذة الخامسة من الرحلة. أما المحرك الاول فهو الدستور الذي عانى لآمال بوطنية جديدة عثمانية تقضي على دسائس التفرق في المصالح الوطنية بين المال والنحل، ولكن لم تلبث هذه الآمال ان غابت فكانت خيبتها بمحرك أقوى وهو اضطهاد الاتحاديين للعرب واجتهادهم في صرف قوى الدولة الى تقوية الجامعة التركية لئلا تطوراية وأكره سائر الشعوب العثمانية على الاندغام فيها بمحور لغتهم وجميع ميولاتهم القومية والوطنية ولا سيما السوريين والعراقيين من العرب، وتلا هذا المحرك الثالث وهو حرب البلقان التي انكسرت فيها الدولة انكساراً حرك الماطممع الاوربية المستمدة بآثارها في البلاد العربية لاستعمارها وعلى اثر ذلك تألف حزب الامركزية في مصر والاسلامية في بيروت من المسلمين والنصارى، وباتفاق الحزبين مع بعض شباب السوريين المشغولين (المراجع ٨ : ج ٨) (٧٨) (المجلد الثاني والمشرون)

بتلقي السلم في أوربة تكون المؤتمر السوري وجعلت رئاسة ادارته لحزب
اللامركزية لانه أقوى الاحزاب وأظهرها وأعمها

واما الحرب فقد كانت بويلاتها ومصائبها محركا انسانيا وطنيا للتعاطف
والترحم كما وصفنا في هذه الرحلة ووصف غيرنا من الكتاب في الجريد
السورية في جميع الاقطار

واما الحرك الاخير وهو الاحتلال فقد كان يجب ان يكون - بعد تلك
الحركات الممهدة او المؤسسة - هو المتمم للبناء ولكنه كان هادما للاساس
والتواعد وراحما لهمؤلاء السوريين المسلمين الى شر مما كانوا عليه قبل تلك
التطورات أو الحركات الدافعات لسكل فريق الى السعي للاتفاق مع الآخر
وتكوين جامعة وطنية، وقد كان كل فريق مؤاخذا في هذا المزم الذي كان
مظهرا لتفقد التربية الوطنية والقومية وتغليب التمسك الديني على كل مأسواه
حتى كانه - او لانه - قد صار غريزة او ملكة راسخة لا تزول الا بمجهود طويل

يتعرض فيه جيل ويتجدد جيل

ذلك بان الاحتلال المختلط الذي تلا جلاء الترك عن سورية كان مذبذبا
فقد سبق الامير فيصل بمجنوده ورجاله الى احتلال البلاد باسم الحكومة العربية
ورغم على مهادن الحكومة في مدينتها علمه العربي الحجازي وكان الاهالي قد
سبقوا الى تأليف حكومة وطنية مؤقتة وتلاه الاحتلال المختلط الثالث تحت قيادة
الانكليز فالتقسمة المثنىة فالتقسمة الثنائية، ولما جاء رجال فيصل اولا خضع لهم
الجميع ورفعت الحكومة اللبنانية علمه على دار الحكومة في (بعبدا) وكانت
المبشرات بالثورة العربية والحكومة العربية الجديدة التي ستقود البلاد من
انترك (١) قد تطلعت في البلاد بسعي الدولة البريطانية فكان مجيء رجال فيصل
واستيلائهم على مصالح الحكومة منتظرا وعده الاهالي أسرا متفقا عليه بين
الحلفاء - ومنهم ملك العرب - فتلقاه النصارى كالمسلمين بالرضاء والتسليم .

وهنا ظهر تقصير المسلمين وجهابهم بالسياسة وطلبائهم الاجتماع اذ شكوا
الحكومة السورية المؤقتة اولا والحكومة العربية ثانيا من انفسهم ولم يطلبوا
كبراء النصارى في الجاه والعلم الى التشاور والاشتراك في تأليفها، وقد بحثت
في هذه المسألة في بيروت وغيرها عترف لي بعض من ذا اثر فيها من المسلمين
بالتقصير وانه لم يكن سوء نية اذ لم يكن عن تشاور بين المسلمين أنفسهم فاني
نقال أنهم استأثروا بالاحمال وتعمدوا ان يكونوا وحدهم بحكام البلاد، بل كانت

أعمال في ذلك فردية فكل من يلزم في وظيفة يسر إليها. وإنما كان جنسهم إلى ذلك من أفراد المسلمين لما سبق لهم من السدي الخدمة المكرمة انعلم في المدارس العثمانية الرسمية لأجل ذلك، وقلما كان النصارى يتسددون ذلك ويستعدون له أو يدخلون مدارس الدولة التي هي الوسيلة إليه. ولو كان مسلمين حزب سياسي منظم لما فاته أن يفتنهم هذه الفرصة لانعام ما تأسس في التطورات العربية من اسباب الاتفاق ودواعيه. نعم انه كان في البلاد عية سياسية مريبة لها علاقة وارتباط بالأمير فيصل ولكن أكثر أفرادها الشبان الذين لم ترتق بهم السياسة إلى مثل هذا العكس

لم تكدر تستقر الحكومة العربية الليصلية بالاحتلال العربي حتى تبهما احتلال المحتل من الانكليز والفرنسي الذي قسم سورية الشمالية إلى الخطين: غربية ساحلية احتلتها الجنود الفرنسية وجعلت لها السيطرة عليها برئاسة القيادة الانكليزية المحتلة معها، وشرقية داخلية احتلتها الجنود في باسم حكومة الحجاز وإن كان الجند نفسه محتلاً والمنظم منه مؤلفاً من يوردين والمراقبين وقد جعل له السيطرة في هذه المنطقة تحت رئاسة قيادة بريطانية أيضاً. وكان هذا التقسيم مقدمة لتنفيذ اتفاق سني ١٩١٦ ١٩١١ وقد اعتمدت السلطة الفرنسية في ادارة المنطقة القريبة على صناديقهم إداري ولا سيما الموارد منهم ما كتبت من المواطنين من هؤلاء فكانت أكثرهم حجة لمثل عددهم من المسلمين لأن أكثر أعمال الحكومة كانت بأيديهم من الترك ورأى النصارى أن الدولة قد دالت لهم فربوا بذلك وسروا به ولم تكن المسلمين يد عندهم في تلك الايام القليلة التي صار أمر الحكومة اليهم فأعترضوا عن المسلمين بل صاروا يؤذونهم بالقرل والعمل واعتزوا عليهم نوا اعتوا كبرالم يفعل المسلمون شيئاً منه في دولهم التي تعد بالايام لابلشهور المسلمين، ونسوا كل ما كان قبل ذلك من حرص المسلمين على الاتفاق معهم الحرب العامة حتى رضوا أن يكون لهم نصف الاعضاء في مجالس الحكومة حبة وغير المشخبة وذلك فوق ما تقتضيه السببة لمعدنية المعادلة التي تجري جميع الدول الزافية وما كان من علمهم عامهم واستقامهم في زمن ب. وقد اشتهر موضوعه من الاناشيد في ذم المسلمين واهانتهم وانشد: الشوارع والاسواق في بيروت في يوم عيد الفصح. ولولا أن اعترض

المسلمون بالعبر والحلم لوقعت يومئذ مفلة فأنشحة تمد سبة لسورية ما بقي الدهر
 على ان المسلمين لم يكونوا قد ينسوا من سعي فيصل الى استقلال جيم
 سورية وجعل حكومتها عربية بل كان رجاؤهم في ذلك عظيما وقد شهد لهم
 بعض كهراه الضباط الانكليز على الميحيين ولا نحب ان نشرح ذلك ولطيل
 فيه لثلايمد انتصارا منا لاهل ملتنا ونحن انما نكتب لاجل التأليف والاتفاق
 لا لتقوية الشقاق. وغرضنا ان نقول ان مسلمي بيروت شمروا في هذه الحالة
 بشدة حاجة البلاد في هذه المنطقة الى الاتفاق بينهم وبين النصارى على الوحدة
 الوطنية ولكن لم يجدوا منفذا للسمي . ويقابل ذلك في المنطقة الشرقية - حيث
 يقل المسيحيون - ان المسلمين كانوا والحكومة في ايديهم يجتهدون في استئالة
 النصارى واشرا كههم في كل عمل ويودون اعطاءهم فوق ما يريدون بحسب النسبة
 المدددة وقد جرت الاحزاب السياسية على ازالة الصبغة الاسلامية من الحكومة
 ارضاء لهم وظهر اثر ذلك في المؤتمر السوري والقانون الذي وضعه للحكومة
 السورية العامة المتحدة فاما اذكر هذا وذاك لا لتسجيل الذنب الاكبر على
 النصارى وتصنيذ ذنب المسلمين أو تبرئهم بل لاثبت به اخلاصهم في الميل الى الاتفاق
 وقد كتبت وأنا في بيروت عدة مقالات في جريدة الحقيقة بأعضاء (السيد)
 دعوت فيها الى الاتفاق بالحجج الناهضة والاساليب الجاذبة ، واجتناب كل ما
 ينفر من الغاية المقصودة فنلهم لها تاثير في زيادة ميل المسلمين الى الاتفاق ولم
 يظهر لها في النصارى الا أثر ضئيل في بعض شبان المدرسة الامر بكانية الجامعة
 وقيل لي ان آخرين من الاحرار المستقلين قد سروا بها ولكن لم يستجب الدعوة
 منهم احد ، ولو لان كانت تلك المقالات فائضة من روح الاخلاص والانصاف
 والتلطف في الدعوة لوجد فيها المتصبون من القوم والذين يتخذون سياسة
 التفرقة مأخذ الرد عليها ولكنهم لم يجدوا الى ذلك سبيلا ، وقد نقل لنا ان
 الاستعداد للاتفاق يقوى بعمل الزمان عاما بعد عام . حقق الله الآمال

التربية المدنية مع التعليم المصري

لقد قام المسلمون نومة اجتماعية أطول من نوم اهل الكهف وانقل ،
 الموقظات التي تصخ الاسماع تنو الى من حولهم كالصواعق وقد ضرب على
 آذانهم فهم لا يسمعون ، ولما بمتوا وجدوا ما يعرفون من سير البشر قد تبدل
 فصار على غير ما يمهدون ، رأوا التربيين قد سادوا العالم وتولوا ادارة شؤونه في

بلادهم وبلاد غيرهم من حيث يشعرون أولئك الاغيار ومن حيث لا يشعرون ،
 حاروا في اسرهم لا يدرون ما يصنعون
 ماذا يفعلون ؟ ولماذا لا يدرون ؟ وكيف يفعلون ؟ هذا الجهل المسلون ؟ القرآن
 صبح بهم من فوقهم ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما باق) (تيسير) وشواهد
 هذه القاعدة الاجتماعية القطعية بين أيديهم وعن ايمانهم وشماثلهم
 صفات الانفس التي يتوقف تغيير أحوال الامم بتغييرها هي ما يبحث على
 الاعمال ، من علوم وأخلاق ، وما يكتسبان بالتعليم والتربية كما ورد في
 حديث « العلم بالتعلم والطمح بالتعلم » فأما العلوم النظرية والقانون العملية ،
 فنصناعات آتية ، ترتقي بارتقاء العمران ، وليس لها دين ولا وطن ، بل يقيم فيها
 سير العمران واختلاف الزمن ، وأما الاخلاق والملكات النفسية ، التي تتجدد
 بها حياة الامم الاجتماعية ، فهي تختلف باختلاف الامم في المقومات والشخصيات
 المالية والقومية ، وتراعى فيها الفرائز القومية والوراثة الجنسية ، فهالناس معادن
 كعادن الذهب والفضة « هم كذلك في أفرادهم ، وفي جماعاتهم وأقوامهم ،
 فالتقوى يمرض لهم القوة والضعف ، والمز والدل ، كما يمرض للمعدن الصقل
 والصدأ ، والتربية والتسليم للأفراد والاقوام كالصقال للمعدن الذي يظهر رونقه
 القطري وزينه ويعظم الانتفاع به ، ولا يقصد به تبديل جنسه ونوعه بتحويله
 الى نوع آخر - فلماذا لم يحار المسلمون الغربيين في أساليب التربية المالية والتعليم
 المدني ومدارسهم بين أيديهم في ديارهم ولا سيما بيروت منها ؟ فأعظم المدارس
 التي أسسها الافرنج فيها المدرسة الانجيلية الامريكانية والكلية اليسوعية ،
 فلماذا لم يقتدوا بهم بتأسيس مدرسة قرآنية أو مدرسة محدية ؟ على ان سائر
 المدارس التي أسسها الافرنج وتلاميذهم من النصارى الوطنيين دينية التربية
 ومنسوبة الى البطارقة والقسوس من رجال دينهم ، وبالنسبة للتربية الدينية فيها
 كانت مسيحية بخالصة من شوائب الاهواء السياسية - كلاً : ان كل شعب من
 شعوب الافرنج قد بث في مدارسها التي أنشأها في الشرق دعوة سياسية تقف
 فيها من روح الدين والمذهب فكان ذلك أكبر أسباب الشقاق الديني في سورية
 وقد كان هذا خفياً عن الدولة العثمانية الجاهلة المتساهلة وعن أكثر الناس
 ولكن صار معروفاً للعوام كالحواش . اذ ظهر تأثيره بما تجدد من الشرق
 والشقاق ، بعد تلك المسائل التي مهدت للاتفاق . وهي ما أشرنا اليه في الفصل

الاول من هذه النبذة

علم مسلمو بيروت من ضرر مدارس الاقبح في هذه الايام فوقي ما كانوا
يملكون وانهيك بها وقد حلها زوال الحكم العثماني من بلادنا على التشدد في
اجسادهم من يتعلم فيها من اولاد المسلمين على ما في دولتنا العظيمة النصرانية
وحضور وعظما وصلاتها - فاقترحت ذلك باقراء مجلة لطيفة دعوت فيها الى
تأسيس مدرسة كاثوليكية اسلامية ، ثم رغبنا الى جميع اعياننا في بيروت الذين كانوا
يملكون ان يدعوا كبار الاقبياء الذين يربونهم في بلادنا لانه لا يخلو دعوتهم
الى الاكتتاب لهذا العمل فلبى بالارتياح ، ولما انظم عقدهم اقيمت فيهم خطابا
بما يقتضيه المقام من الكلام الذي رضى ان يقع موقع الاقتناع من القول ،
والتأثير من القلوب ، وفتح عقب الفراغ منه باب الاكتتاب فدخله الاكثرون
وأرجوا الاقناع ، ولكن كان ما كتبوه من المبالغ غير لان هذا المشروع العظيم
ولا يباع على الرجاء في النجاح فآلمني ذلك وحفزني الى اقاء خطابه آخر كان
شديدا بقدر شدة تألمي وتبع شعوري لحيي قال في حديثي اخذ مختار بينهم
بعد أيام انه لا يوجد احد قبل منه هذه المهجة الشديدة لذلك ولكن كانه من
لأنهم الاخلاص فيه ان ضاعف كثير من المكتتبين ما كانوا كتبوه من التبرع
ثم اتفنا لجنة من كبار الوجهاء أهل الفيرة كانت تطرف على من لم يحضر ذلك
الاجتماع في مكاتبتهم ومخازن تجارتهم لاتمام الاكتتاب ، وافرادها عمر بك
الدعوق وابو علي سليم علي سلام افندي واحمد مختار بك بهم ومحمد افندي
الفاخوري ورشيد افندي اللاذقي ورشيد مرنا كاتب هذا . وقد بلغ الاكتتاب
بالمبالغ القليلة بضمة الاغصان الجنيها مع اكتاب صنوي ، آخر وقد سافرت
الى الشام قبل ان اتم الاكتتاب فيعرف سيره ولكن الفصل لم يكف فقنا بتاعوا
ارضا وراصة بجوار الخرش باسم هذه المدرسة ستمين قريبا ان شاء الله تعالى
هنا ملائمتي اليه المسمى بالاستعداد لهذا المشروع وهو ليس مما تبيض
به الوجوه ، الا اذا نظر اليه من حيث انه بدء جاد اجتهاد في تربية رضى الى
تسوي وزداد بالمنل وقد كنا مشر الساعين اليه غير مفر ووجهنا في هذا وتبلغ
استعدادنا ولذلك اتفنا على انه لا رضى نجاحه وثباته الا اذا عهد به الى جمعية
للقاصد الطرية الاسلامية التي ستكون ان شاء الله تعالى من أغنى الجمعيات
الوطنية قريبا نوط العمل بالجمعية ، وسعينا الى تجديد نظامها وتنظيم جلساتها

التي كانت معطلة فلم ذلك في أقرب وقت بمساعدة رئيسها صاحب الفضيلة مفتي بيروت أدام الله المنع به

ولما شعر المسيحيون بهذا السعي استكبره على المسلمين المستكبرون ، وكرهه لهم ومنهم الكارهون ، وكتبوا في جرائدهم أننا نريد لوطننا السوري مدارس وطنية ، لا مدارس دينية ، فالذين هو الذي فرق كلمتنا ، وأغرى العداوة والبغضاء بيننا ، فرددت عليهم في جريدة الحقيقة بأن المدارس الدينية التي فرقت وفعلت ما فعلت هي مدارس مسيحية لا إسلامية ولا وطنية فإذا رضيتم بتركها واستبدال مدارس وطنية بها فإنا نضع أيدينا في أيديكم وأموالنا مع أموالكم وأولادنا مع أولادكم ، ولكننا نقول أن الدين لم يكن هو المهرق والمذري بالعداوة بأصوله وتعاليمه بل بسوء استعمال السياسة الأجنبية له وإثارة بالتربية الوطنية يمكننا أن نجعله من أكبر أسباب الاتفاق والتعاون ، وفي نصوص القرآن والأناجيل ، ما يهدي إلى سلوك هذه السبيل ، وهي التي سلكها فقيد الوطن البستاني الذي اتفق المسلمون مع المسيحيين على احترامه والاحتفال في هذا العام بذكرى مرور مئة سنة من تاريخه

فعلما نشئ مدرسة وطنية جامعة ونجمل في جانب منها مسجدا وفي جانب آخر كنيسة ، فإن التربية لا تكمل بغير فضيلة والفضيلة لا تكمل بغير دين ، وفي كل من الدينين الإسلامي والمسيحي فضائل كافية ، وهي في الأكثر متفقة أو متقاربة . فليرب كل فريق منا أولاده على عبادات دينه وفضائله ، وحب وطنه والتعاون على تربيته ، على قاعدة المنار الذهبية (تتعاون على ما تشترك فيه ، ويلبذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه) فنحن مشتركون في أرض هذا الوطن وفي جميع مصالحه الاقتصادية والسياسية ومشاركون في القوة فتتعاون على تربية ذلك بجميع فروعه وليس أعظم من الاتفاق في الدين ومذاهبه فيحفظ كل منا الآخر فيه ولتعلم الأفراد المارقون من الدين من التبريق انه ليس في استطاعتهم هدم الدين وهذه البلاد وما يجاورها هي مهد ومنبت الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أولئك العظام الذين يقدس ذكرهم مثابة الملايين في الشرق والغرب ولا يمدون أحدا من الفلاسفة ولا من الماركس والفاشيون مساهلوا ولا مدانوا لأحد منهم بل ولا أصحابهم وتلاميذهم لاولين ولا أوليائهم المخلصين . بهذا قامت الحجة لنا عليهم والمخلص في الدعوة إلى المصلحة العامة لا يتدخل له حجة لأن الله تعالى هو المؤيد له (قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

سورية عروبية^(١)

أولاً وآخرها

فالمالك الكاتب السياسي الكبير الامير شكيب ارسلان

« في البيان »

قبل ان انجلي الاتراك عن سورية كان جميع اهلها عرباً ولم تكن تسم فيها
سرياني وعراقي الا من قبيل الماديات (الآثار المتبقية) . وكثيراً ممن برزوا لنا
الآن بالحلة السريانية كانوا من صميم القحطانيين يومئذ ، وذلك لان مقصد
مثل هؤلاء كان اخراج الترك حتى يحل محلهم احدى الدول الاجنبية . فلما خرج
الترك وجاءت محلهم دولة عربية تريد تحرير البلاد باسم العرب وتبني كل من
يريد ان يفتش البلاد من غير العرب جدت عند بعض هذه الفئة القليلة من اهل
سورية نفمة لم تكن مبهودة من قبل وهي اننا نحن سريان يون غير عرب وان
لغتنا هي السريانية وانما غلب علينا الانسان العربي منذ قرون ولكن بقيت لنا
فيه لمحة خاصة تسمى بكوننا سريانا ويا ليتهم قصروا دعوهم على هذا
القول فكنا نوافقهم على كون هذه الفئة القليلة هي سريان ولكن طمعوا الى
دعوى أعرض من ذلك وهي ان سورية كلها سريانية وانما بدخول العرب
الناعمين تعلم اهلها اللسان العربي وهذا غاية ما في الامر

تكررت اقاويلهم هذه سواء في جرائد عربية اللغة او اجنبية اللغة والعرب
قلما يحفلون بها غرضها من التارخ وامانها في التحكم وكونها غلطاً او مغالطة
فاوهم ذلك بعض اخواننا من ابناء البلاد انهم على حق فيما يدعون فيه

ومن هذا القبيل رسالة طالمنها آخراً تحت عنوان « الحقيقة ضالتنا
المفقودة » حاول فيها الكاتب ان يثبت كون سورية سريانية لا عربية وانه
لا ينبغي ان ينقل هذا القول على العرب اذ ليس فيه مساس بكرامتهم وكالا
يفض العرب ان يقول : ان الرئيس ليسوا عرباً . الانكار ليسوا عرباً . الايطاليون
ليسوا عرباً . فكذلك قولنا ان السوريين ليسوا عرباً وانما هم سريان . توفرت
على ذلك الادلة التاريخية والاركيولوجية والانثولوجية الخ والاعتراف بالحق
أولى . الى غير هذا من الاقاويل التي كنا نحب ان نطوي عنها كصحاً كاطوى
(١) نقل من عدددي جريدة الانكار البرازيلية المؤرخة ٦ و٩ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٦

هو عن مناظر حدث عنها ، الا انه لما كان بناء من باب التاريخ والمقاتل العديّة وكان من اتصال المستشرقين لاخير والاثر المفرد بالسير والنظر - كما يظهر من كتاباته - أحببنا ان نخوض معه عباب هذا البحث متوخين فيه لوجهة العلمية المعرفة معتمدين على التاريخ - لكن التاريخ الحق المأخوذ لا الخيل ولا الخن - لان المقاتل لا تكون بالظنون بل بالدلة وبعد ذلك تركت مقارن المذهب ناشد العاة التي أشار اليها الكاتب في رأس رسالته الحكم على سب الاكثريّة من أهل سورية أهو عربي أم سرياني .

قول : أولاً - ان العرب والسريان (والمبرانيين) هم جميعا من الشعوب السامية لانه قد اتفق المؤرخون الاثبات على كون الساميين قسمين (أحدهما) الساميون الشرقيون وهم البابليون والاشوريون ، وبعد ذلك - فالساميون الكنعانيون وهم الذين كانوا في فلسطين قبل اليهود والكنعانيون سكان - واهل سورية أي التيفيقيون واليهود والاراميون والسريانيون وآراميو فلسطين الذين ظلق باقتهم السيد المسيح عليه السلام والتدمريون والنبط .

ثانياً - الساميون الجنوبيون وهم العرب وهؤلاء قسما الشماليون وهم همدان ، والجنوبيون وهم قسما العرب البائدة وعرب المهر واهل جزيرة سوقطرة وينضاف اليهم السامون والافريقيون وهم الحبشة وهؤلاء ثلاثة اقسام وهم النيفري والتارينة والامارينة ، وكذلك من الساميين أقباط مصر وهم والعوماليون والجبرت من جنس واحد

السريانيون اذاً هم والعرب من فروع شجرة واحدة متداية الاخصان يدل على ذلك تقارب ما بين لغتي القريتين حتى لقد يفهم العربي بعض السرياني بدون تعلم بل بمجرد السماع لشدة ما بين اللغتين من القبة ولقد اعترف بذلك الكاتب صاحب تلك المقالة ولكنه تجنب في الموضوع ذكر سبب هذه المشابهة وهو اتخاذ الاصل ووشيجة الرحم بين العرب والسريان . فنسبة السريان الى العرب ليست أبداً من قبيل نسبة الفرنسي ولا الانكليز ولا تنسب من الشعوب الاوربية الى العرب ، بل هي نسبة ابناء عموم السلالة بحيث ان الفرق بينهم هو كالفرق بين الفرنسي والاطالي أو الاسبانيولي من تجمعهم اللاتينية أو هو أقل من ذلك

ثالثاً - ان أكثر المستشرقين الاوروبيين لا يرون في أكثر الامم السامية (التاريخ الثاني والمتمم) (٧٩) (التاريخ: ج ٨)

الابلوتونا من العرب . وان السريانيون هم في الحقيقة الاراميون وان الاراميين كان فيهم عرب كثير لانه ليس المقصود بالاراميين شعبا ذا عرق واحد بل معنى كلمة الاراميين سكان البلاد العالية كما ان معنى كلمة الكنعانيين سكان السهول . كما انه في اواسط اسيا يوجد الايرانيون والطورانيون وقديتوهم وهم شعبين منفصلين نسباً والحال ان معنى الايرانيين سكان الحواضر ومعنى الطورانيين سكان البوادي . ولقد ثبت كون العرب مكثروا سورية من على عنق الدهر راحلين اليها من الجنوب فدخل منهم من سكن السهول في الكنعانيين واندمج من سكان الجبال في الاراميين وهؤلاء الاراميون لم ينسموا سريانا الا فيما بعد ساهم بذلك اليونان وادعاه الكتاب ان السريانيين السوريين هم السريان اهل بابل وآشور - ولهذا هو ينتخر بمدينتهم - هذا فيه ما فيه فان المؤرخين لا يخلطون بين السريان والاشوريين كما خلط حضرة جهلا أو نجاعلا لغرض في النفس

رايما - ذهب الاستاذ « سبرنغر » الالماني في كتابه « حياة وتعاليم محمد » صلعم وكتابه الآخر الشهير « جغرافية بلاد العرب القديمة » الى ان جزيرة العرب هي مهد جميع الساميين . وعمن ذهب الى ذلك من لغول العلماء الاستاذ سايس الانكليزي في كتابه « اجرومية اللغة الاشورية » ومثله الاستاذ شرودر الالماني أعلن هذا الرأي في مجلة الشرق الالمانية . ومثله الاستاذ رايت في كتابه « اجرومية اللسان السامية » وهو المدرس بكلية كبريدج . ثم العلامة ماكس مولر قال هذا القول نفسه وغير هؤلاء من العلماء المحققين ذهبوا الى ان جزيرة العرب هي مهد الامم السامية باسمها فيكون السوريون بحكم الضرورة عربا في الاصل كما لا يخفى . وذهب آخرون الى ان اصل الاقوام السامية هو من افريقية هاجروا الى جزيرة العرب وفيها نشأوا ونموا وتقرمت سمياتهم ومنها خرجوا الى سائر الافطار . ومن اسحاب هذا القول روبرت صييت الانكليزي وبارنون الامريكاني وغيرهما وعلى كلا المذهبين يكون مرجع السوريين الى العربية

خامسا - في عهد العائلة المصرية السادسة اتخذ قائد فرسان من مصر لارتباد اراضي سورية فلم يجد هناك سوى الكنعانيين ولم يقف يومئذ على أثر الفلسطينيين ولا للسريانيين هذا في كتاب العلامة الهولندي تيل وان كثير

من المؤرخين البعثيين لا يرون في الكنعانيين الا بطنا من العرب. ثم ان
المصريين الاقدمين حاربوا جيلا اسمهم الشاسو في جهات سيناء وحبشي سور
وهذا الجبل كان مرييا

سادسا - الفينيقيون هم في سورية قبل السريان وقبل الاراميين وقد ذكر
هيرودوتس ان قضا من الفينيقيين بنواوا الى اجهة خليج فارس كما ان العلامة
الانكليزي بينت اجري حفرات كثيرة في جزيرة البحرين استنتج منها
كبر الفينيقيين من قديم الزمان والى اجهة الخليج الفينيقيين جاؤوا من سواحل
البحر الاحمر، وعلى كلا السائلين فهم عرب من نفس جزيرة العرب. وبعد ان
ثبت كون الفينيقيين عربا لا يبقى محل التراجع في مروية القسم الاعظم من
أهل سورية ولا في الدرجة العليا التي يحلها العرب في تاريخ المدينة قبل
الاسلام فضلا عما بعده

سابعا - الانباط هم عرب يمانيون وقد كانت لهم في سورية دولة ومملكة
ومدينة ضخمة تدل عليها اكبرهم واحجامهم وكانت لهم حرم ومملكة وحرم
ووادي موسى (بقرا) وان لم يكن من ضمنهم سوى وادي موسى (ريشور)
من الجبال بيوتا فارمين السكنى فكيف وهناك جرش وما فيها وقدمى التي
كانت مروس المشرق، ومن الانباط الحوريون الذين يقال لهم العرب نقوا
جنوبي نهر الاردن

ثامنا - عند مجيء ابراهيم الخليل الى سورية كان في هذه البلاد يمنعيون
أحدما الخبيث في الشمال والثاني العرب الكنعانيون والعموريون الكنعانيون
في الجنوب وقد وجد ابراهيم ملك صادق الملك للوجود الذي كان نظير ابراهيم
يبدد المال الاعلى وأدى اليه ابراهيم الكثر وان العلامة جبريل في كتاب
الحفريات الآرية في القرن التاسع عشر يذهب الى ان ملك صادق كان
مرييا. فليحظر الانسان في أي دور كان اليهودي لوكا ودولاه في سور
تاسعا - يتفق المؤرخون على ان يكون أساس المدن القديمة هو الزراعة
والتجارة وكل الآثار التي هي من اقدم مراسم الديانة في سورية آتية من
جنوبي جزيرة العرب. وأهم مراسم اليهودية مأخوذة من ديانة مدين وني
عانية بحثة والفينيوني سكان سيناء كانوا عربا من اليمن ايضا
هذا ومن اطلع على كتب ولهاوردن الألماني وروبرت سميث الإنكليزي

المؤرخين البعثيين في الامور الدينية ران أكثر هذه المسألة بالطقوس آتية من جزيرة العرب كما ان المؤرخ الالامى كافي هارون بورتون ذهب الى ان كل الاديان السامية هي من العرب . أما التجارة فمن المقرر ان أكثرها كان مع اليمن وانما كانت سبب صاعدة سورية حتى ان ثروة سليمان بن داود الشهيرة كان معظمها من الاتجار مع اليمن ولا يخفى انه باستمرار القوافل بين اليمن وسورية كثر طراء العرب على الديار السورية وأوطنها وتمكنوا وتشبعوا فيها .

عاشرا - وجد الضجاجة من عرب اليمن في هوران وجنوبي سورية قبل الاسلام باحقاب متطاولة . وفي زمن النبي ايليا أي قبل المسيح بنحو ستمائة سنة جاء القائد نعمان الدرعي من الشام يستعفي من البرص عند البشع تلميذ ايليا . ثم كان بنو سليج وكانوا يحكمون حتى أبواب مدينة دمشق أما الفساسنة وهم من الازد من عرب اليمن أيضا فقد كانوا في فلسطين والشام وتدمر وكانت لهم القوة والصولة وبقيت عنهم الآثار الباهرة واستمر ملكهم نحو ستمائة سنة - فيما أتذكر - الى ان ظهر الاسلام . فأنت ترى تماقب الدول العربية على سورية من ايام الكنعانيين وملكىصادق الى الانباط والمالقة والفينيقيين الى الضجاجة الى الفساسنة وكل من هذه الامم انبسطت وامتدت وتركت ملايين من الدراري في ارض سورية

جادي عشر - كان الغالب على سورية المنصر الوارد اليها من الجزيرة العربية قبل الاسلام فكيف من بعده . وقد جاء العرب المسلمون وفتحوا البلاد واندفن سيل المهاجرة من كل حذب واستمر ثلاثة عشر قرنا الى اليوم . وما قرره علماء التاريخ ان الحواضر السورية تكسب كثيرا من البوادي حتى ان بعضها قد ينقرض لولا طراء البادية . وليس ورود العرب على سورية وإعطائهم سورية هما من قبيل الحسد والتخمين وان ذلك عقلا لا بد ان يكون هكذا بل مثبات الوف من أهل سورية الآن يحفظون أنسابهم ويبرفون انفسهم انهم عرب ومنهم من عنده كتابات خطية تثبت دعواه ومنهم من يعتمد على التوار ومنهم من انقطعت به أسباب العلم عن معرفة أصله ولكنك تعرفه عربيا من سجنه ثاني عشر - اما كون أهل سورية أسله والدين الفتح العربي فغيره عليه - ايليا واحدا زيدا تاريخيا أو نصبا مبينا أو قرينة قاضية لا يكفي في ذلك مجرد الظن لان الضيق لا يفي من الحق شيئا . نعم اننا لا نستبعد ان يكون كثير من

الافراد عند الفتح وبعد الفتح على توالي القرون دخلوا في الاسلام ولكن لا يؤدي دخول هؤلاء الى كون السواد الاعظم من أهل سورية كانوا يوم الفتح الاسلامي نصارى أو يهوداً وأسلموا . كما ان وجود العرب نحو مائة سنة في جنوب فرنسا وتنصر من بقي منهم هناك بعد جلاء الحكومة العربية من تلك البقاع ، لا يفيد كون معظم أهل جنوبي فرنسا أصلهم من المسلمين بل يقال ان كثيراً من العائلات في هاتيك الديار ترجع الى العرب . كذلك تنصر عشرات الوف من عرب الاندلس وربما مئات الوف عند ما حلهم فرديناند وايزابلا ثم ديوان التفتيش الشهير بعد ما تم فيليب الثاني على اعتناق النصرانية بالسيف والنار وربما خيروهم بين التنصر والجلاء فالذي عز عليه دينه جلا والذي عز عليه ملكه ووطنه تنصر ورغم هذا فلا يستقيم مؤرخ ان يقول ان أكثر سكان اسبانيا أصلهم عرب . فهذه الرواية التي معناها ان أكثر أهل سورية أسلموا عند الفتح العربي لاصحة لها . والصحيح ان الامة الفاتحة غلبت ونمت كما هو شأن جميع الامم الغالبة وان الامم المغلوبة ضعفت وتناقصت كما هو شأن جميع الامم المغلوبة على امرها ودخل في سورية اقوام كثيرة من المسلمين غير العرب فاستمروا وصاروا عرباً منهم الازراك ومنهم من المنول ومنهم من الاكراد ومنهم من الشركس ومنهم مغاربة دخلوا في أيام الفاطميين وغير ذلك ففاق عدد المسلمين في سورية كثيراً على عدد سائر الملل بهذه الاسباب العديدة ثالث عشر - ينبغي لمثل هؤلاء الذين يرمون الكلام على عواهنه ويقولون ان السوريين هم سريان ان يراجعوا التواريخ العربية ما كان منها على مدار الاعراب ودخولهم في الحواضر كالقلاشندي والمقريزي وعلى تواريخ الحروب الصليبية التي حررها مؤلفو العرب وعلى كتب التراجم وأساب بعض العائلات والمشار على أخبار القيسية والبنية وعلى الجغرافيات العربية القديمة بحيث يتكون عندهم التصور اللازم لمعرفة الحقيقة . بل لا يكفي هذا وحده حتى يقتن بالتحقيب بين سكان البلاد وسؤال قبيلة قبيلة وقرية قرية عما يظنون من اصولهم وبعد ذلك يظهر انه ليس الجبل الذي نشأ والعلم الذي طمس ما اللذان جعلاهم أهل سورية يقولون « نحن عرب » بل الجبل بتاريخ العرب وبأنسابهم والاقصاء على رواية واحدة ما اللذان أدنا الى القول الجديد « ان السوريين سريان » : ان العرب هي الامة الوحيدة التي يستوي عاميها وخاصيها

في معرفة نسبه ولم يبلغ انحطاط العلم في سورية ولا مرة ان جهل العرب فيها أصولهم وما على المراتب الا ان يجول بنفسه في البلاد ويستقصي من أهلها عن أصلهم ليمس الحقيقة لمساً

ورابع حفر - ان كثيراً من نصارى سورية هم من أصل عربي غسانة وغيرهم. منهم من بقي بحوران ومنهم من جلا الى دمشق وحاصبيا وبعلبك وزحلة وجبل لبنان. ولا يلزم مني الآن أن أعرض لأسماء هذه البلدان التي تعرف أناسها. ولعلنا نذكر ذلك مرة أخرى. وان طائفة الدروز هم من قبائل عجم وحذام وبتون أخرى جاءت أبائهم أيام الفتوح الى مرة النعمان ثم أسكنهم الخلفاء الباسيون جنوبي لبنان وان أكثر طائفة الشيعة هم من طائفة من عرب اليمن جاءوا الى الشام وزلوا بجبل سمي بهم وهو جبل حاملة أو بلاد بشارة ولست ادعي انني على شيء من الأباطة بأنساب عرب سورية فان ذلك بحر زاهر لا ساحل له لكن المعروف منه عندنا هو مما قضى عنه هذه المجادلة. وبالاختصار فالسواد الأعظم من مسلمي سورية وطوائف سورية المنتسبة من الاسلام هم عرب ثم مستعمرون من أمم غير سامية. وان قسماً عظيماً من نصارى سورية هم عرب صراح لا جدال فيهم وان يزن الطائفة المارونية ذاتها التي تنتسب الى الميريانية بطوناً كثيرة عربية جلت الى لبنان من حوران باعتراف المؤرخين اللبنانيين من أهل التحقيق، وسواء اراد بعض السريان أن ينفصلوا أنفسهم عن العرب بعد أن استعمروا منذ دهور أو لم يريدوا فان الاكثريّة الطاحنة في سورية هي للعرب الحقيقيين. انتهى

شكيب ارسلان

حاشية للمصحح: هل كان التفليزيون الذين حاربوا مع عبد الملك ضد خلافة

عبد الله بن الزبير مسلمين : هل كانت جيوش العرب المنتصرة التي حاربت مع العرب في المراق ضد المعجم مسلمة ؟ هل ينكر ان بني الحازم وبني حبيش وآل شهاب وآل ابي التمع من نصارى لبنان — وهم من عليّة طوائف لبنان — غير نصارى ، ولا عبرة بان هذه الطوائف ارتدت ولكن : هل هي عربية أم أعجمية ؟ وكتبه صالح مخلص رضا

ترجمة فقيه العلم والاصلاح

أحمد فوزي عمران

بقلم شقيقه محمد بسيوني عمران في (جاوه)

حضره العلامة للفضال ، ذي الفضل والكمال ، سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاخر متعني الله والمسلمين بوجوده الشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاني أكتب اليكم اليوم وبدي مضطربة وقلبي مملوء حزنا وأسى والهموم مسدلة على القلوب لما رزقنا بل رزقنا به سببي كلها من فقد شقيقنا المميز أحمد فوزي عمران ليلة الخميس الواقعة في ٢٧ شعبان المعظم سنة ١٣٣٩ الموافقة ٥ مايو سنة ١٩٢١

ألا ان مصيبتنا في فقيدنا المرحوم كبيرة كما كان رجاؤنا فيه لاصلاح الامة كبيرا . لما رزقه الله تعالى من الاخلاق القويمة والصفات الكريمة ، فكان رحمه الله مخلصا قوي الايمان ، قائما بالواجبات ، منزها عن الفواحش والمنكرات صادقا في الجدل والهمز ، عالي الهمة ، قوي الارادة ، ساعيا في مصلحة الامة ، محبا للعمل ، متواضعا ناصحا آمينا ، صابرا حليما ، عزيز النفس ، مكرما محبوا من أقربه وأصحابه وقومه وجميع من عاشره من مختلفي الاجناس ولكن الله سبحانه وتعالى لم يحقق رجائي ورجاء الامة فيه فقه ما أعطى وقه ما أخذ ، انا لله وانا اليه راجعون ، ألا الى الله تصير الامور

ولد رحمه الله تعالى يوم السبت غرة شعبان المعظم سنة ١٣٠٦ ولا يبلغ ست سنوات من عمره عليه والدنا الشيخ محمد عمران مهراج فقام قاضي مطهر قراءة القرآن الشريف ثم أدخله في مدرسة الحكومة الهولندية لينظم فيها الكتابة الملاوية ومبادئ الحساب وأنا يومئذ في مكة المكرمة أطلب العلم فيها ففاز رحمه الله في المدرسة أقرانه وتقدم عليهم ، ولما أنهم بدروا فيها لم يلبث أن طلبته الحكومة ممنا في هذه المدرسة . وفي سنة ١٣٢٨ فويت رغبته في تعلم اللغة العربية والعلوم الدينية . وكنت أنا منذ سنتين ونصف جئت من لغري من مكة المكرمة فقلت له : ان أدركت أن تتعلم اللغة العربية وتعلمها

والعلوم الدينية والدينية (المصرية) فاذعوب الى مصر وأنا اذهب معك فانفق رأينا وطلبنا من الوالد رحمه الله الاذن بالسفر الى مصر رأسا لاجل طلب العلم فيها فلم يستطع مخالفتنا في ذلك ، وأخبر الوالد رحمه الله مولانا السلطان محمد صفي الدين بمرادنا ففسره ذلك الخبر وقال له : انا نرجوان يكون ولدنا نبراسا لبلادنا . وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٢٨ سافرت أنا والفقيه رحمه الله وأحمد محمود وسعد علي من أهل بلدنا الى مصر القاهرة ذاكرين اسم الله وناوين طلب العلم فيها وفي يوم ١٣ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٨ وصلنا الى مصر القاهرة وزلنا في بيت مصلح الامة العالم الملامه مولانا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فاننا لم نكن نعرف غيره من الناس في مصر ولا محل لرجائنا في تحقيق أملنا وأملنا لتحصيل ما سافرنا وهاجرنا اليه غير هذا المصلح العظيم ، وما كنت أعرفه ولا أرجو فيه مارجونه الا بعد قراءتي المنار فاني اشتركت فيه منذ سنتين قبل سفرنا الى مصر ، وقد قابلنا في محطة مصر شقيقه الفاضل السيد صالح رضا وكان السيد صاحب المنار ينتظرنا في منزله الشريف ولما دخلنا وسلمنا عليه قابلنا بخفاوة واکرام على عظم قدره وعلو مقامه ، وأكرم مشوانا وضيافتنا ولم تنتقل من بيته الا بعد أيام — جزاء الله عنا خير الجزاء — وكان أول ما سألتني عن أحوال مسلمي جاوه وملايو فأخبرته بما علمت وظهر لي انه متأسف من انحطاطنا في الامور الدينية والدينية وانه مهتم بأمورنا الدينية بل والدينية . ولم يكن أحد منا يعرف اللغة العربية سوى كاتب هذه الاسطر

وكنا نود لو نقرأ على السيد وتعلم منه العلوم العربية والدينية وغيرها من العلوم المصرية ولكن لم يجد وقتا لذلك لكثرة أشغاله واشتغاله بما هو أكبر من أفرائنا وتعليمنا من الإصلاح الديني والديني الصام ومع ذلك لم تقفنا ارشاداته وافاداته وذلك فبيل تأسيس مدرسة دار الدعوة والارشاد ، وأما بعد تأسيسها ففتحها فقد كنت أنا والفقيه رحمه الله نحضر دروس التفسير والتوحيد التي ألقاها السيد في المدوسة ولم نجرم والله الحمد ما كنا نوده وتتمناه وكنت أنا والفقيه رحمه الله نتعلم في الازعر الشريف ويأخذ كل منا معصا خصوصا بأجرة وبغير أجرة .

وكان رحمه الله يقرأ النحو والصرف والفقه ويشغل بحفظ اللغة العربية ، ولم يمكث سنة واحدة بمصر الا وهو يعرف النحو والصرف وينشئ باللغة

العربية ثم أسست مدرسة دار الدعوة والارشاد بالروضة بحجة معمر القديمة وكان
 ناظرها ومديرها العلامة صاحب المنار ودخلت أنا والفقيد رحمه الله تعالى في
 هذه المدرسة المباركة بعد امتحاننا فيما اشترطته في طلابها من العلوم التي تعلموها
 . وكان الفقيد رحمه الله تعالى يجاري طلبة المدرسة المصريين الذين طلبوا
 العلم في الأزهر نحو ثمانين سنين في العلوم التي تعلم فيها غير أنه رحمه الله لم ينطلق
 لسانه بالتكلم باللغة العربية انطلاقاً السنة المصريين . وفي سنة ١٣٣١ هـ سافرت
 الى وطننا ممسكاً والفقيد لم يزل يطلب العلم في المدرسة ، ويستغل بالمطالعات
 والمذاكرات والمساكنات ، ثم خرج من المدرسة واتخذ مصلين خصوصيين لم
 يفارقهما حتى صافر الى سببس أول سنة ١٣٣٥ ، وكان قصده التوجه أولاً
 الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ثم الى وطنه ولكن لم يحصل على إذن
 الحكومة المصرية في السفر الى الحجاز (كانت الايام أيام الحرب الاوربية الهائلة
 التي كانت الامكان تخاف فيها السياسة) وكان رحمه الله متعباً بالاستغفار بالسياسة
 لما وجدته الحكومة المصرية من بعض كتبه الى الذي فيه ذكر أخبار الحرب ،
 وكان لا يكتب الى الا باللغة العربية .

ولما وصل الفقيد رحمه الله تعالى الى سببس أحبه مولانا السلطان وازداد
 رغبة في انشاء مدرسة تعلم فيها اللغة العربية وعلومها والعلوم الدينية والدينية
 كالجغرافية والحساب ، وأمر الفقيد بتأليف نظام لهذه المدرسة المرغوب وجودها
 في سببس فألف رحمه الله نظاماً بموجب الأمر السلطاني مقتبساً من نظام مدرسة
 دار الدعوة والارشاد

- وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣٦ تأسست في سببس والحمد لله مدرسة
 عربية دينية تسمى « المدرسة السلطانية » وكان ناظرها ومديرها وأكبر
 أساتذتها فقيدنا المرحوم المأمور عليه فكان الاقبال على هذه المدرسة أطال الله
 عمرها عظيماً من أهل البلد فأدخلوا فيها أبناءهم وبناتهم حتى خرج كثير من
 طلبة مدرستي الحكومة وانتظموا في سلك تلاميذها ، ومن يوم تأسست
 المدرسة وفتحت كان وما زال رحمه الله يشغل بالتعليم فيها الى ١٠ رجب الفرد
 سنة ١٣٣٨ الموافق ١٠ مارس سنة ١٩٢٠ فانه رحمه الله استاذن مولانا السلطان
 في السفر الى الحجاز لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في

وفي ٢٣ رجب سنة ١٣٣٨ الموافق ١٣ ابريل سنة ١٩٢٠ سافر رحمه الله الى صنفافوره قالى مكة المكرمة ، وقبل أداء فريضة الحج حصل له فيها زيف شديد من فقه فذهب مسرعا الى طيبب الحكومة المجازية ونخصه ثم خصه ومالجه طيبب جاوي أرسلته الحكومة الهولاندية الى مكة وقال له : ان هذا الداء هو السل وانك لا بد ان تسافر سريعا الى جاوه — وبعد ان أدى رحمه الله فريضة الحج سافر الى سمبس ولم يمكنه السفر الى المدينة المنورة طبعاً وفي يوم الاثنين الواقع في ٥ صفر ١٣٣٩ وصل رحمه الله الهولانده وهو لم يزل سريضا نحيفا وبعد اسبوع ذهب الى سنكاوغ (احدى قرى سمبس) لاجل التداوي عند طيبب الحكومة الهولاندية فقال له الطيبب الهولاندي انك لا بد ان تعالج في بتاوي فاني لا يمكنني ان اعطاك هنا وفي ٣٠ صفر ١٣٣٩ سافر الى بتاوي ودخل الى أحد المستشفيات هناك ثم نقل الى مستشفى في بوتر وكان لا ينقل الى هذا المستشفى الا من تقدمت صحته ، وفي ٨ رجب ١٣٣٩ وصل رحمه الله تعالى واجما من بتاوي الى سمبس فمررتا صرورا عظيميا لانا قلنا انه قد شفي شفاه تاما اذ لم نرفيه الا صغالا قليلا ، وفي يوم ١٦ شعبان سنة ١٣٣٩ حاوده زيف الدم وازداد مرضا ، وفي ليلة الخميس عند الساعة الثانية ونصف صربية الواقعة في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٩ خرج جرحه الطاهرة بعد ان نطق بالشهادتين فحصلت الضجة والجزع والحزن من أقاربه خاصة ومن الناس عامة فلا حول ولا قوة الا بالله العظيم

كان رحمه الله تعالى أدبيا ، وخطيبا وسطا ، وشاعرا قليلا ، وكان له في العلوم العربية نصيب وكذا في العلوم الرياضية والمصرية والدينية ، وتدل على ذلك مقالاته التي كتبها باللغة العربية والملاوية ، وكان محررا بجمريدة الاتحاد الملاوية التي كانت تصدر بمصر القاهرة ، وكان رحمه الله يقرأ المنايا من يوم عرف العربية وكان آخر قراءة له الجزء الثاني من المجلد الثاني والثرين وله مقالة نشرها المنار أيام كان بمصر ، ومن أثر اجتهاده وحسن طريفته في التعلم أن تعلم وفهم في مدة سنتين عدة أشخاص من تلامذته اللغة العربية والنحو والصرف فيهامكنهم من قراءة وفهم الكتب العربية السهلة العبارة ومن الكتابة باللغة العربية على انهم لم يكونوا يعرفون شيئا ما من اللغة العربية قبل دخولهم المدرسة — ولذلك لما وصل التقيد رحمه الله من سفره غنى بكل

من تلاميذ المدرسة ذكورا وأنا ان يعود اليها مملا ولكن : ماكل مايتسمى
المرة يدركه ، وان ارادة الله فوق كل ارادة وقدرته تعالى نافذة وليس لنا الا
الرضا والتسليم لحكمه وقضائه .

وقد قال كثير من الناس بعد وفاة المرحوم : ان المدرسة تموت قريبا فانه
ليس فيها مصلون أكفاء ، والسبب الاول في موتها عدم الاموال التي تحيا
بها والمسلمون بخلاء ضغفاء في الاحوال المالية .

هذا وانني ذكرت ما ذكرت من الاطراء والثناء على شقيقي رحمه الله وهو
حق ان شاء الله تعالى ، ولا فائدة لي وله في ذلك ما لم يستحقه . وشهد له بذلك
جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها كما
تشهد له به آثاره التي لا موضع لذكرها هنا .

سبب برزخ الغريبة محررا في ٩ شوال سنة ١٣٣٩ الموافق ١٦ برزخ ١٩٢١
كتب

محمد بسيوني حمران

تقریظ المطبوعات (١)

(كتاب تنویر البصائر ، بسيرة الشيخ طاهر)

صفحات هذا الكتاب ١٥٩ بقطع رسالة التوحيد ومواضيعه ٥٣ وفاة
طبع بدمشق الشام بمطبعة الحكومة المصرية السورية (السابقة) سنة ١٣٣٩
على ورق جيد . ويطلب من مؤلفه الشيخ محمد سميد الباني بدمشق الشام
(فهي من مواضيع الكتاب)

المقدمة من المؤلفين والكتاب من يفترض لما يريد اذاته فرصة سانحة
فيبدى فيها بعض ما يريد نشره ومؤلف هذا الكتاب الشيخ محمد سميد منهم
لانك اذا قرأت الكتاب وأردت أن تأخذ منه سيرة الفقيه مجردة — كما يجب
المؤلف — لا تكاد تثبت منه الربع وأما الثلاثة الا ربع الباقية فهي مواضيع
(١) كتب تقریظ هذا الكتاب وترجمة الشيخ طاهر شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

وآراء في الإصلاح والتراجم والنقد ، فهذه المقدمة وهي من ص ٥ - ١٤ ليس فيها شيء من سيرة المترجم له بل هي مقالة في الدين ولزومه والبدع والمبتدعة الخ أعماله وآثاره . ذكر في هذا الموضوع ما كان من أعمال الفقيه من الاجتهاد في اصلاح الكتاتيب والمدارس الرشدية وبعض مؤلفاته وما عدا ذلك فهو في استفاد العلم وكتبه الخ

استنارته دفاثن اللغة العربية . هذا الموضوع في أربع صفحات لم يكن فيها شيء من الفقيه يزيد على نصف صفحة على انه لم يذكر فيه شيئا من تلك الدقائق ولا ما استناره منها وبنته من مرقده ، فهل كان كتاب المختص من جملة ما أحياه ؟ عنايته بأحياء التاريخ . هذه النبذة استغرقت من الكتاب ما يقرب من أربع صفحات لم يكن فيها شيء عن الفقيه سوى ما ملخصه « عن فقيدها بأحياء التاريخ وارشاد المسترشدين وغيرهم الى مزاوته ودرساته وانعام النظر به وبفلسفته والدلالة على كتبه المفيدة والسعي وراء نشرها وطبعتها » وما عدا ذلك فكلام في علم التاريخ وقوائده ولم يذكر ما أحياه من التاريخ ولا ما نشره منه

سعيه وراء التوفيق بين الدين والعلم والعمران . هذا الموضوع استغرق ما يزيد على ١٦ صفحة ليس فيها عن الفقيه سوى ما يقل عن صفحتين نسب فيه للفقيه ما لم يعرف عنه وما لم يدعه هو لنفسه (انظر ص ٤٩) والا فليقل لنا المؤلف أين مناظرات الفقيه أو كتاباته في الاجتماع والعمران ومحااجة المحافظين على القديم ؟ وارشاد الطالبين وتعليم الجاهلين

وكيف كان داعية اصلاح والمؤلف نفسه يقول ما ملخصه « ولما رأى جذب الزمان من حكماء الاخلاق وساسة الارشاد ، وان معالم الاخلاق طلست ودراستها قد درست ، وان وظيفته وهي الدعاية الى اصلاح العام (؟) لم تمكنه من التفريغ لارشاد السالكين وغلة الفاضلين وترتية الاحداث الخ » انظر ص ٢٩ دعوته الى الاخلاق والرتية . هذا الموضوع أخذ ١١ صفحة كان في الفقيه

منها ٣ صفحات نسب فيها للمؤلف ما ليس فيه وذكر صحبته وجبه للمستشرقين وجههم اياه والمزاورة بينه وبينهم وسرد أسماءهم

فأنت ترى ان الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات جميل في كل واحدة منها كلمات في المترجم له رحمه الله تعالى وهذه براعة من المؤلف أشكره على التفطن لها

ولكنني أخذ عليه - عملاً بقوله قبيل الخاتمة ص ١٤٢ - ومن وجد غلطاً في بعض ما عزوته للفقيه فليتنفصل علي بتصحيح غلطني « الخ وبسند الإطلاع على « المدخل » و « المقدمة » - ما يأتي فأقول : -

أولاً - ان الكتاب مجموعته لا يصدق عليه اسمه ويصعب جداً أخذ تاريخ حياة الشيخ طاهر منه ، وأن أخذ ما أورده المؤلف من هذه الترجمة لتشتتها بين أطوائه وفي ثباته على أنها لا تكون صورة صحيحة للفقيه

ثانياً - نسب المؤلف للشيخ تلاميذه ومريدين ولم يدلنا على أحد منهم والظاهر لنا أنه رحمه الله لم يكن ذا قدرة على التعليم فأننا تعلم أنه أقام شهوراً عدة زياراً عند بعض السوريين في السويد وأراد أن يعلم أحد أولادهم النحو وقد رأينا وعاشرنا هذا التلميذ وهو لا يعرف الناعل من المفعول . فأين م تلاميذ الشيخ طاهر رحمه الله وأين أمكنة دراسته وتدرسه ؟

ثالثاً - لم يذكر المؤلف ما كان له من الآثار في الآثار (الماديات) غير أنه « تعلم كثيراً من الخطوط الكوفي والمشرقي والمبراني وغيرهم (١) ليتسنى له دراسة الآثار الدارسة ونشأها من عالم الدور الى عالم الظهور »

رابعاً - لم يذكر ما كان من عمل الفقيه في التوفيق بين العلم والدين الخ غير أنه كان من علماء كذا وكذا وما لم يدع الشيخ طاهر لنفسه شيئاً منه في حياته وأنه تبادل الآراء مع المستشرقين وأنه كان بينه وبينهم صداقة الخ انظر ص ٤٩ و ٥٠ وكذلك قل عن بقية المباحث . ولو أردنا تتبع الكتاب من أوله الى آخره مازدنا القراء فائدة ولا المؤلف بصيرة وفيما أوردناه كفاية

واليك ترجمة الشيخ طاهر رحمه الله مختصرة مفيدة صحيحة كما وصفها أحد أفاضل علماء الشام بمن له معرفة تامة بالفقيه بعد أن قرأها عليه إذ قال لي : أنها صورة حقيقية مختصرة للشيخ طاهر فأقول : -

الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي

حياته ومونه ونشأته العلمية

هو الشيخ طاهر بن الشيخ محمد صالح أحد مهاجرة الجزائريين ومفتي المالكية بدمشق الشام ، ولد في دمشق سنة ١٢٦٨ ونشأ في حجر والده وتلقى مبادئ العلم عنه في بيته ، ثم اتصل بالشيخ عبد الغني الميداني فحضر عليه علوم العربية

والفقه الخ وهو استاذ الوحيد . وكان له شغف بالمطالعة والمراجعة حتى صار له مفارقة حسنة في جميع العلوم العربية وعنى بقراءة الخطوط العربية وخاصة الكوفي منا وتلقى شيئاً من اصطلاحات الهندسة والفلسفة عن بعض ضباط الجند البعثاني حتى لم يمدغريباً عن الهندسة النظرية ، وكان ذا حافظه جيدة وذاكرة حسنة لا يفتى عن ذهنه ما قرأه في بعض الكتب من نكتة غريبة أو بادرة ومع هذا لم يكن يعتمد على ذاكرته بل كان يضع في كل موضع فيه مسألة يجب الرجوع اليها من الكتب علامة من قطع الورق حتى انه اذا قرأ كتاباً ترى خلف الورق بارزة منه ، وكثيراً ما كان يكتب رقم الصفحة واسم الكتاب على قطع من ورق تكون في جيبه الذي هو سفطه (محفظة) وجوابه وكان خريصاً على تلك النكت حتى انه كان يستطرد لوضعها في مؤلفاته ولو في غير موضعها وتوفي في دمشق يوم ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٣٨ ودفن فيها رحمه الله تعالى هياته وزيه وعيشته وأخلاقه

كان رحمه الله قلمي اللون واسع العينين غائرهما نحيف الجسم أبيض البهية رت البزة غير ممتن بنظافة ثيابه وكان لباسه ماتسميه أعراب الشام شبر ويسمى في مصر قبطاناً وفي الشام قنباراً أو غنباراً فوقه جبة أو جبتان ويتمتع بهامة من الاجباني وكان كثيراً ما يلبس الثوب مرة واحدة فلا يخلعه حتى يبلى ولا يدع الشمسية (المظلة) صيفاً ولا شتاءً ويضع على عينيه مناظر لتقريب البعيد فاذا اراد القراءة في كتاب رفقها ، وكانت له جيوب في جيبته كالمخرج

وكان حديد المزاج ضيق المعطن ضعيف المنة تغلب عليه الوحشة ولعله كان يحس من نفسه بذلك اذ كان يحاول أن يستر الاستياء بمزاح ممل جلسته وبساطة . وكان كثير الحديث عن علماء دمشق وأعيانها والاسباب فيها كان عليه محاضره فيها من الحب والمخل والدهان وما كان يدسه هو من الدسائس ليخلص أو يخلص شخصاً أو ليروج مشروفاً خيراً من شره ، ولولا انه كان بمجاهر بذلك في أكثر مجالسه وبفخر به ويمبرعنه بالدسائس الطاهرية لما استحسن ذكره وقد علمنا علم اليقين ان من دسائسه ما كان للايقاع لا للانقاذ

وكانت عيشته عيفة الزهاد مم الحرام على الوقت وكان يقضي مائة ليلة في المطالعة على ضوء مصباح من البترول ثم رأى ان ينغم بنوره وحرارة معاً فكان يأتي بقدر صغيرة فيضع فيها شيئاً يد طبعه بحكم وضحا فترق المصباح

معلقة ويقتدر لنضجه ساهات يتماهده عند انتهائها ، وكان أحيانا يطبخ القهوة في القدر ويشرب منها عدة أيام وربما نعن وجبها من طول المكث وكان لا ينام في الليل بل يأتي بينه بعد المشاء ويطالم في الكتب أو يكتب عامة ليلة وينام بعد صلاة الصبح الى العصر وكان لونه والتهنن والشاي والقهوة جميعا مفرطا في كل منها ولم يكن حريصا على المال

كان خلقه التعفف والكرم مع الحاجة لا يميل الى الطعم ولا الدهناء وقد السندت به الحاجة في آخر أيامه في مصر فباع معظم كتبه من احمد باشا قيسوي وكان في نفقته من ثمنها ، وكان يتصدق في كل يوم بملايم (أشتار القرض) يمددها لك ، وقاما يصدر من مجلسه وارد بنائدة علمية لأنه لم يكن يذكر بين الناس شيئا من وسائل العلم لا مفيدا ولا مناظرا ولا مذكرا ولا سائلا ولا عجبا وإذا سأله مستفيد عن شيء أحاله على المراجعة وربما دله على المظان ان كان يرى انه يستحق ذلك ، وكان يرمي الى مقاصده من طرف خفي بدهاء

وربما أومر الى بعض جرائده ليوسط بالامر يريده وكان اذا استرسل بالمباشرة الحرط فيكثر من الحركات ويغرب بالضحك حتى يخرج عن وقار الشيخ وكان متعلبا في رأيه لا يرجع عنه ولو الى الصواب ، حكى لي شيخ عالم فاضل أطال عشرة الشيخ طاهر انهم اختلفوا في كلمة لفوية فكان الشيخ طاهر على رأي نيين بعد المراجعة انه كان مخطئا فيه ولم يرجع الى الصواب

مؤلفاته

ارشاد الالباء ، مدخل الطلاب الى فن الحساب ، قصص الانبياء ، الموائد الجسماني في معرفة خواص الاجسام ، مد الراحة الى علم المساجة ، الجواهر الكلامية في العقيدة الاسلامية ، الجوهر الواسطي ، رسالة في المروض ، وقد أراد ان يجعل هذه الكتب مدرسية وكلها طبعت في سورية ومنها ما أعيد طبعه مرات وله مؤلفات أخرى وهي كتاب التبيان لبعض المساجات المتعلقة بالقرآن على طريقة الاتقان ، طبعه بمطبعة المنار ووثقت على طبعه وهديت بتصحيفه بأذنه ، وكتاب التوجيه النظري في اصول طبعه له الطائفي بمصر وكتب كتاب التريب الى اصول التريب ، طبع بمطبعة النهضة بمصر وشرح خطب ابن نباتة وامنية الالهي ، وكتاب في التعليم الابتدائي ونخب القرآن الحكيم ، ولعل هذه الاربعة الاخيرة لم تطبع اذ لم زها وكان هو

المحرر والمجلة السلفية التي صدرت في آخر أيام حياته بمصر وكانت يودعها نبذاً من مقتطفاته العلمية ومن كنيائته (مفكراته) وكانت تلك المجلة تنمو بكنائسته وقد وعدت بطبعها فيما أتذكر، وله كتاب «تقويم المجلة السلفية» وإن لم يصدر بالمسودة

عليه وعمله

لم يظهر التقويم وأمره تعلم من العلوم ولا تصدى لتدريس شيء منها فلم يعلم له تلميذ عالم أخذ عنه العلم غاية ما عرف به أنه كان ذا اطلاع على أسماء كثير من الكتّاب حتى قال بعضهم أنه نسخة من كتاب كشف القنون أو التهرست وانحوان لم يحصى ما أحصى كتاب من هذين ولكنه كان يعرف مواضع كثير من الكتب وقوله كثير مما يجب نشره ويجب طباعته ولكنه كان يغفل عن الوراقين بأرشادهم إليه إذ يرى أنهم لا يستحقون ما ينالونه من الربح بطبعها. وكانت له ميزة فنية في صرفها على طبع النسخ في أرشده إليها مقابلة أي القرآن المكتوبة على بعض المساجد والأضرحة في دمشق ومصر وكتاب ممرض الخطوط للأباء اليسوعيين وله الخلق بالحروف العربية وما نشر من مؤلفاته إذا دل على صحة اطلاع فانه لا يدل تخريباً وإبداعاً ولا على علمه في العلم أو تمكنه منه

وأما عمله فانه كان قد تولى التعليم في المدرسة الظاهرية ثم عين مفتشاً للمدارس الابتدائية المعنية في سورية فكان فيها مثالا للنشاط والقيام والنصيحة ومن عمله أنه سعى لدى مديرت باشا الوزير المعناني الإداري الصغير عند ما كان والياً على سورية بإصدار أمره بجمع الكتب العلمية المخطوطة المتبعة في المدارس المعنية والمساجد بدمشق فكانت مكتبة مفيدة وجمع من البيوت ما يمكن جمعه وجعل في قبة ضريح الملك الظاهر وجعل لها قوام وخدمة ونظام مختصر، وفي أيام عهد الرؤف باشا والي سورية استحصل على طائفة من الكتب كانت في دور أناس من أعيان دمشق أو جمعها إلى المكتبة الظاهرية. ثم جعل مقتضا على دور الكتب في سورية وفلسطين فقام بذلك أحسن قيام

ومن مساعيه تأسيس المكتبة الخالدية في القدس الشريف، وقد عين في آخر أيامه عضواً في الجمع العلمي الذي يرأسه محمد كرد علي في دمشق وتأخر المكتبة الظاهرية. وكانت الحكومة عازمت على درس قبح الإمامية لوفورمه في حديقة خارج مدينة دمشق فأهاج الرأي العام ضد ذلك وبقي قبر الإمام محفوظاً بحميه وحماة وأعلن أن هذه الحادثة وقعت في أيام مديرت باشا

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبينون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

يقين الملكة من بقاء ومن يوقن الملكة
كربها كثيرا وما يندرك
شبهها انما اياها

— قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى « وبنار » كدار الطريق —

٣٠ في المحرم ١٣٤٠ - ١٠ الميزان (خ ١) سنة ١٣٠٠ هـ ٢ أكتوبر سنة ١٩٢١

الاسلام وسياسة الحلفاء

لنا هذه الفتاة من الجزيرتين ١٠ و ٩ من البلدة الاولى من مجلة الفجر التريزية البراءة

في اوائل العام الماضي ظهر في عالم المطبوعات كتاب تحت العنوان أعلاه للدكتور انباطو المستشار السياسي بوزارة خارجية ايطالية نقلته الى اللغة الفرنسية الكاتبة البليغة الالسة «ماتالي بلانام» فأحبينا تلخيص ما حواه هذا الكتاب المهم لقراء الصبر ليكونوا على خبرة مما نخطه اليوم أقلام المتكبرين الاجتماعيين في القارة الاوربية في المباحث الهامة الخاصة باحوال الممالك الاسلامية. قال الدكتور انباطو : « لا يخفى ان السياسة الاستعمارية لا يمكن أن تكون واحدة في كل الجهات والاقاليم وانها تختلف طبقا باختلاف الممالك وتباين عادات واخلاق سكانها مع مراعاة مصلحة كل مستمر بانفرادها وعقائد اهلها وانتائم المذهبي بخلاف السياسة العامة فانها واحدة في جميع الانحاء لانها مرتكزة على معرفة احوال الاسلام الاساسية التي لم تتغير قط اذ بالرغم من المحجيات الخارجية والاقسامات الداخلية فان الاسلام من حيث جوهره لم يتبدل للمدينة التي تولدت منه من الصبغة المالية ذلك لان الاسلام كان احسن طريقة للرفاق والتآخي بين الامم التي اعتنقت على اختلاف عنصرياتها وتباين اجناسها وأمم حيل للتمارف الروحي، وهذا هو سر قوته وسرعة انتشاره الى اليوم انتشارا حار فيه فطاحل العلماء — ومن هنا ندرك أهمية الثمرة التي يجنيها السياسي الحاذق الذي يعرف كيف يستخدم تلك الآلة الدقيقة بنباهة وفطنة. ولا شك أن درس حقائق الدين الاسلامي على هذه الصورة سيعين على ازالة جميع الخرافات التي يروجونها ضد الاسلام وأخص منها بالذكر ما يسمونه بالانحلال (التمصب الاسلامي) الذي يصورون به الاسلام في شكل هيئة خيفة ترصد للهرس لقتضاء على الكفار: بيد أن الاسلام يظهر لمن عرف أسراره في زبي مخالف لذلك على خط مستقيم حيث انه المدينة الوحيدة التي اكتنفت في صلبها كل المقول على تباين مشاربها، وأفضحت مجالا واسعا لكل المساعي الصادقة ولم يختلعت طرائقها، كيف لا والاسلام دين التسامح والكرم الانساني وما صفته ما وجدنا في قوم أو مدينة الا ونهضنا بها الى أرقى وأحسن الدرجات الاجتماعية ولا ينقص الامم الاسلامية اليوم بلوغ تلك المرتبة العالية الاسلامية

أمة اوروبية لا تنقضي تحت كلمات الرقي والتهديب والحرية والأخوة التي تنشرها على
الوينهاية (الاسترقاق السياسي والاقتصادي) الذي تنفر منه كل نفس أبية
اذن فلا خوف مما يسمونه بالانسلامزم الذي ليس هو الا آلة صرعية اتخذها
أولئك الانتفاعيون الذين يدعون معرفة الاسلام وهم عنه بعيدون ، وما لحوادث
النسوبة للبانسلامزم الا حركات فكرية عادية لا خوف منها بل ربما أفادت
المدينة بكيفية مهولة لو استخدمت لهذه الغاية الشريفة ، ولذا لم يعد هناك
موجب للسياسي الاوروبي ان يعني بغير مركز العالم الاسلامي الاقتصادي ،
ذلك لان الاسلام من حيث هو قوة طامة في الحياة الاقتصادية يقدر ان
يعني أو يفكر الممالك التي لماعلاقة به »

ثم نظر الدكتور انبساطو نظرة اجمالية في الاساليب الاستعمارية التي تسلكها
الدول الاوروبية بمستموراتها فأبدى رأيه في كل منها ومما قاله في هذا الشأن
« ان سياسة فرنسا بالممالك التابعة لها وان تألت الارجحية نظرا لما امتازت به عن
غيرها من حرية الادارة والتسامح الفكري الا انها تنقصر الى فكرة ادارية واسعة
بدونها لا يمكن الحصول على الفرة المطلوبة من الاعمال المظيعة التي قامت بها هناك »
ثم قال « انه يجب ان ترتكز سياسة البلاد الاسلامية على معرفة نظمات الاسلام
معرفة دقيقة » ومن هنا انتقل المؤلف الى درس السلطة في الاسلام والقواعد
التي تستند اليها فاقى في هذا البحث المرويس بافكار دلت على تفصله من الفقه
الاسلامي وتاريخ المسلمين فقال « ان القرآن الشريف وأعمال الخلفاء الراشدين
هي الاصول التي قامت عليها الديانة الاسلامية وحياة الامم الخاضعة لاحكامها ،
وان من اراد ان يفهم شؤونهم وحملهم على المشاركة السياسية يجب عليه ان
يقبل مبدئيا كافة قواعد دينهم لانه لا سبيل الى التفاهم مع المسلمين الا اذا عرفوا
كأهم لا كما يراى ان يكونوا . والدسوبة الوحيدة التي تعترض السياسي في هذا
الطريق انما هي التمييز بين ما لا يتبدل في الاسلام وبين ما هو قابل للتغيير والتطور
والانطباق على الحالات الحياتية الجديدة ، لان هذا الدين له خاصية أساسية
يجب ان لا تغفل عنها ابدا وهي ملاءمته لكل الظروف بدون خروج عن
حدوده الاسلية وصلوحيته لكل الاجيال والاقليم والاخلاق . ومن الغلط ان
نعقد ان المذاهب الاربعية المضبوطة من حيث شكلها هي قواعد مبدئية تقضي

ولا يصعب التوفيق بينها وبين المدينة الحديثة — ذلك لان سنة النبي نزل تلك العنة المالية التي اقتص بها الاسلام ألا وهي ملاءمته لجميع الشعوب والأجناس مهما اختلفت منازلها والوانها، الا انه يجب على الباحث الاوربي ان يتجنب الآراء الضالة والاعلاط النفسانية الناشئة عن عدم فهم السنة على حقيقتها ولذلك نحثهم على حكومة الخلافة اليوم الغاء كل ما قبل أو فر في الاسلام بعد عهد الخلفاء الراشدين، ولا أقصد بذلك انه يجب اعدام أو اهلاك أو مس هيكل العلم الاسلامي الذي وهب العالم اكثر القوانين دواما وأدقها من عدة وجوه ولكن حيث ان حكومة الخلافة سنية بكل معنى الكلمة فانها تستفيد من آثار كل المشرعين الذين منهم الائمة الاربعة وتسلخ منها ما تراه موصلا لنهوض الامم الاسلامية وسما ترقى به للحياة والمدينة المصرية »

ومن هنا انتقل المؤلف الى درس مسألة الجهاد على اختلاف أطوارها وشروطها فقال : « ان الحرب مستحيلة قانونا بين الافراد والامم التي لها اتفاقات مع المسلمين وان عقد معاهدات معهم طبق اصول الشريعة المطهرة تضمن لنا السلم المطلق مع كافة اشباع النبي الكريم (صلم) المنتشرين في العالم أجمع الخاصين لتعاليم الكتاب والسنة المحمدية » ثم بسط القول على اركان الاسلام التي يجب على الدول الغربية احترامها وبالاخص الحج الى البيت الحرام » وختم كتابه بالبلغ بشرح مسألة الخلافة ودار الاسلام فقال « لا يمكن ان تحمل مسألة الخلافة حلا روسيا لانها مسألة دينية بحتة وليس لغير المسلمين حق في فصلها وانها ولا يجوز لاروية المسيحية حملهم على تسويتها أو اكرامهم على ذلك بوجه من الوجوه، وعلى كل حال فالخليفة يجب ان يكون حرا بدار الاحلام الامر الذي يستلزم استقلال المدن الثلاث وهي مكة والمدينة والقدس وكذا الاستانة المالية عن كل سلطة مسيحية — وليست المشاكل التي ظهرت في الشرق بعد معاهدة سيفر الا نتيجة تعامي انجلترا عن التصديق بهذا المبدأ المسلم » ومن هنا تخلف الدكتور انسابلو الى ابداء رأيه في السياسة التي ينبغي سلوكها مع المسلمين فحقق أن سياسة التناخي وتبادل المصلحة ممكنة بينهم وبين التنصاري لان الفروق الدينية الفاصلة بينهم لا توجب التباغض والمداخلة لان التباين في تصور الحياة ومظاهرها لا يمنع الثقة والمودة بين الامم — كما أكد وجوب الاعتراف بيقظة المسلمين وما تحمله نظامهم من المصالح والاعتناء قائلا ان اتباعهم أمر طبيعي

وفي مقدرتهم ومن واجبهم الاشتراك معاني سبيل المدنية العامة وان يبذلوا لهذه الغاية من الكد والاجتهاد ما بذلوه في صفوفنا مدة الحرب من الشجاعة والاقدام ، ويرى الكاتب ان تحقيق هذه الاماني لا يتم الا بواسطة الطبقة المنورة من المسلمين تلك الطبقة المديدة الافراد المنتشرة في كافة البلاد الشرقية التي تقاسي من العذاب ألوانا بسبب الظروف الاجتماعية الحرجة الهائلة بها الى الآن فاذا أئجمدنا هؤلاء المفكرين وأبدنا رغائبهم فأننا نجد منهم أئمن مساعدة سياسية ويمتقد الدكتور النباط انه يجب للحصول على ذلك أن نساعدهم على درس مؤلفاتهم بطريقه عصريه وان نفتح لهم ابواب المدنية الغربية لانهم سيكونون دعاة السياسة الاسلامية واكبر العاملين لانهاض المجتمع الاسلامي لفائدتهم ولغايدة الامم الاروبية المشرفة عليهم لاضدها - ولكن هذا يتوقف على ان تدرك اوروبا المسيحية ان واجبا يقضي عليها باضاء العالم الاسلامي بنور المدنية والرفاء اذ لا سبيل لان نجد بين المسلمين أشياء متفانين في مصلحتنا بالوسائل التي استعملتها اوروبا الى الآن كالتجنيد الجبري وبث الدعوة بالصور والنشرات واستخدام أعوان لا هم لهم الا اكتساب المال أو امتلاك الذمم بوسائل الارشاء على اختلاف أنواعها لان الامم الاسلامية لا يمكن لها ولا ترضى ان تقبل بالتضحية لغاية مغايرة للغاية التي ترمي اليها ، وهنا اضع القاعدة الاساسية لاتفاقنا مع الاسلام راجيا ان نسم نصيحتي وان تكون كقانون ثابت لا يتبدل وهي ان نسمح اوروبا للمسلمين بان يعملوا لصالحهم ولصالح الاسلام . ويومئذ يصبح الاسلام ليس المساعد المهم في اعمالنا المدنية فقط بل الصديق والحليف الذي يقاب بيقينه الحكيم العوالم وبحرك الجبال » اه

(المنار) لم نر لاحد من كتاب الافرنج كلاما مثل الدكتور انباط وجم بين الحق والمصلحة المشتركة التي لا يمكن التوفيق بين الشرق والغرب بدونها فهذا الكلام مبني على علم صحيح بالاسلام والمسلمين وانهيجه حكيمة للافرنج المستعمرين ، ولكن هل الشره والهم من هؤلاء المستعمرين قلما ينظرون في كلام أمثال هؤلاء العلماء الناصحين ، والواجب على المقلاء منا أن يتماون مع أمثالهم في سبيل خدمة الانسانية بهذه الطريقة السامية فان لم يقبلها المذرمون اليوم فحينئذ نغدا

القضاء والقدر في نظر الغربيين

مقالة منقولة عن المزمع الخامس بجهد مجلة النجم الأول

عني نخبة من علماء الافرنج بالبحث في اسباب وقبي الاسلام وعلل انحطاطه ودونوا لذلك الكتب الضخمة واستفرغوا الجهود والجملة وانفقوا الاوقات الثمينة، فكانت نتيجة مباحثهم مسفرة على ان رقي المسلمين واعتلاء كلمتهم في العصر المتقدمة وسرعة انتشار الدين الخفيف في اطراف المعمورة اداء للفعل فيه لبساطة تعاليم الدين ووضوحها وموافقتها للفطرة التي فطر الله عليها الانسانية، فبساطة تعاليم الدين وزاخرة غرضه وسمو مبادئه قد جلبت اليه اقواما دخلوا فيه اقواما وهموعوا الى اعتناقه زرافات ووحدانا، فاصبحوا بنعمة اخوانا، وعلى تأييد اخوانه ولحمية يبيضته انصارا واخذانا

اعتدوا بهديه واشرفت على قلوبهم شمس رشده التي اضاءت لهم سبل السداد وانارت لهم طرق الحق والارشاد فانتشروا في اطراف المعمورة يسرون في تشرميك الامم في هذا النور العظيم ويعملون على ابقاط الشعوب الذين كانوا ينامون في ليل من الجهل بهم وشهد التاريخ ودلت الانباء واجمعت كلمة المؤرخين المنصفين على انهم كانوا في تلك الانشاء رائد المصدق والاخلاص، وفاندم العدل والاحسان، ودليلهم في اعمالهم البر والتسامح والرفق ببني الانسان. اما الصفات التي ساد بها تحدث ما شئت عن ثبات وجلد وبقين في النجاح وسبر على السراء والضراء، وشكر في حالي الشدة والرخاء، وسواء لديهم اطاب عيشهم أم حل بهم ألم اللأواء. هذا الماعزم يقدر الجبال، واتحاد في السر والاعلان، وتناظر على المصالح واعتصام بمجبل الله في جميع الاحوال. هذه الصفات العالية اذ انطبعت في نفوسهم وهم عربية زكية عرفنا بها سر تقدم المسلمين وأدركنا منها اسباب انتشار نفوذهم وسيطرتهم بسرعة البرق على أم أرجاء العالم في ذلك التاريخ على ان اولئك العلماء الذين أشرنا اليهم في مطالع هذا الفصل قد نظروا ايضا نظرة نقد واعتبار في الاسباب التي قضت على المسلمين بالتقهقر في بعض الجهات وما هي العوامل التي أفنت الى تقلص ظل نفوذهم من كثير من الاقاليم واووليات (هذا ومرادهم هنا النفوذ الاسلامي فقط لا الدين والقومية اللذان لم يتغير من جوهرهما شيء كما كنا بيناه في مقال قبل هذا) فأطلبوا عن ان ذلك نتيجة

لازمة نزول اليها كل امة اخلدت الى الترف ومالت الى الراحة وجبرت في اعقاب
 الشهوات وأهملت الاخذ باسباب الحزم وتفاعست عن مجاهدة الهمم الراقية في
 طلبات العمل ففهم من يزو الفضل الذي حل بالمسلمين لتعاليم دينهم الذي يتوهمون
 انها تأمر بالرضى بالمقدور والاستسلام للامر المقضي، وهو وهم شائع عند كثير
 من الافرنج . وقد اعتنى بدحض ذلك أكابر علماءهم . والى القارئ الكريم
 مقتطفات من كلامهم تقوم اعمدجا على ما وصلوا اليه من بعد الفور في المباحث
 العلمية ، ودقة النظر في الاحوال الاجتماعية

قال بارتلمي سانت ايلير المؤرخ الفرنسي الشهير الذي ولي وزارة الخارجية
 حوالي سنة ١٨٨١ في القضاء والقدر :

« ومنهم من يتوهم ان الدين الاسلامي يأمر اشياعه بالكسل والفتور
 وارسال الجبال على القوارب والاستسلام للمقدور . وهو وهم أدى اليه قلة
 النقيت واعمال الروية في فهم اسرار هذا الدين

« رأينا قريبا تقدم (في فصل سيرة النبي عليه السلام) حركته المستمرة وثقته
 بنفسه واعتماده عليها وما كان نوكله على الله بأقل صدقا ، لكن كان يكتنفه حدود
 معقولة ولم يمتد قط الى ذلك التماهي المذموم الذي يفرضه العجز والبصر لا
 القضاء والقدر ، القرآن يأمر المسلمين بالاذمان التام والاستسلام لمشيشة الله
 الامر الذي أوجب عليهم التحلي بالاسم الذي يحملونه وبه يفتخرون . لكننا
 لم نمثر في تعاليم هذا الدين ولا في سنة النبي على ما يشمر بخلع أشرف المدارك
 النفسانية (الارادة) وتعملها عن العمل

« وليست الاحالة على المقادير الاضلة من ضلالات النفوس الضعيفة تغلب
 عليها الكسل ونات بحمل واجباتها فاستنامت للاقدار ، وحكمتها في نفسها تعمل
 ماتشاء وتختار . عندي ان هذا الفتور الذي عم المسلمين انما كان ناشئا عن ورائد
 الترف والاخلاد للراحة والنعيم فهو عجز عن العمل لاعتقده وعلى كل حال
 فليس القرآن هو الذي يدعو اليه . اللهم الا اذا ارادوا تفسير بعض الآيات على
 غير ما اشتملت عليه حقيقة . الاسلام شعور يدرك به الانسان ضعفه وعجزه
 وافتقاره لخالفه ووجوب الخضوع له والركون لعليائه ولكن ليس ثم ما يذبه
 بنبد أجل قوة وأشرف ، ووهية اختصنا بها الباري سبحانه وهي الارادة .

« وقد تكلم في هذا الموضوع قبلنا « فيل » و « سبرنجير » فلنجمع صوته

الى اسرارها ونقول : ان هذا الدين لدين عمل لا فضل رغم معتقد الجمهور
وقال غسٹاف لوبون الفيلسوف الشهير صاحب كتاب « سر تطور المادة »
في كتابه « حضارة العرب » ما يأتي :-

« القرآن لم يامر الناس بترك السمي والعمل أو الانسلاخ من خوض ضمائر التنافس
الحيوي فهو في هذا الموضوع لم يأت باكثر مما في الكتب السابقة « التوراة » مثلا
يمتدح نجمة من الفلاسفة ان مجرى الامور لا يبدقه بتبدل ، ونظام الطبيعة
يبد مبدعة لا يمتدح تفسيره ، فقد قال لوتر : منقح الديانة المسيحية تنفق « معظم
آيات الكتاب في صعيد واحد على مناصبة « الحكم الحر Lidre arditre » وهذه
الايات لا ادعي لها عددا بل هي الكتاب بأجمعه . وهذه عقيدة القضاء والقدر
مفهمة بها الكتب الدينية لكل الامم وقد اعتنى بها الاقدمون واعتبروها قوة
دونها قوى الرجال والآلهة والحوادث التي سطرها لا يشكون في وقوعها فهذا
« أوديب » حين أخبره الكاهن ان سيقتل أباه ويتزوج بامه حاول عينا ايقاف
هذا الامر فظنك يقدم التذوق وانوضح القربات للآلهة بدون جدوى الى ان
ضربت الايام بضرباتها فاذا هو متزوج بامه قاتل اباه كما هو مشهور . فالتنبي العربي
(صلى الله عليه وسلم) لم يأت بشئ ، عجاب فانه لم يخالف طريقة متقدميه ولا طريقة
من بعده أي علماء العصر الحاضر فانهم يقولون كما قاله « لا بلاس » و « بنتر » :
ان علماء (الله) يكتشفه في طرفة عين القوى والاسرار التي في الطبيعة على
انصاعها وتباعد اطرافها ويحيط خبرا باحوال الكائنات التي وضعت فيها كبرها
وصغيرها دقيقتها وجليلها من شأنه ان لا يفوته شيء وان يكون علم المستقبل لديه
كعلمه للماضي .

ثم ان عقيدة القضاء والقدر الشائعة في فلسفة الشرقيين وديون بعض فلاسفة
العصر هي نوع من العبر والجلد على تلقي مكاره هذه الحياة ودرع حصينة
لمكافحة التوائب والمضاضات . وقد كان العرب هاملين بهذه العقيدة في جاهليتهم
ثم استمر عليها المسلمون ولم تدخل في شيء من ارتقائهم ولا من انحطاطهم اه
(المنار) ان ما شرعناه من حقيقة معنى القدر في القرآن ينقض بناء عقيدة
الجبر التي اتبناها بها سنن من قبلنا وفتن بها كثير من المتكلمين والصوفية فكان
لها ذلك التأثير حسبه كثير من علماء العرب من الاسلام وما هو منه بل سري
الى اهل من قبلهم كما فطن لذلك بعض المحققين منهم

صواب	خطأ	صواب	خطأ
المقصوضة	١٠	بأسه تعالى	٨٤٨٣
في المروة	١٦	ولو شاءت	٥٤٨٥
وكان	١	حصة	٧٤٨٧
وفرضها	٤	ابن	٢٥٠
أول اتصال	١١	هذا	٢٥٠٣
بجيتا	١٢	بأنها	٨٠٠٤
منه	١٣	أرادتها رعد	٢٧٥٥
والتمسب	٤	تجاوزها	٥٥٧
فطنوا لها	٤	التي	١٧٥١١
مقالة الشيخ	٥	مدار الحنن	٢٢٠١٢
اعتزال	١٠	بجاذب	٢٠٥١٣
تحلى	٢٠	نقلوا	١٣٥١٧
يزعم من	٢٢	نقلوا	٤٥١٨
كأنه لا	١	تنسamy	١٥١٩
أخطأ	٣	مطعم فيه	١١٠٢٠
اتقوا	١٧	إذا	١٠٢١
فيهما	١٢	إذا	١١٥٢٣
والشمس	١٨	ذكي	٢١٥٢٤
السبيل	٦	لم يكن	٢٥٠
الرمضاء	٧	من القيام	٦٥٢٦
اختلافا	٢٢	خيار	٥٥٢٨
يمينا	١	خيار	٥٥٢٨
صغيرا	٤	خيار	٥٥٢٨
حادثا	٩	خيار	٥٥٢٨
أن يستجروا	٢٥	خيار	٥٥٢٨
الارهاق	١	خيار	٥٥٢٨
اتفاقات	٣	خيار	٥٥٢٨

بحث لغوي^(١)

في براءة القرآن الشريف من بعض الالفاظ الاعجمية

لا يزال اصل اللغة العربية مجهولاً أي ليس في كتبها ما يدل على المرجع الذي ترجم اليه الفاظها . وقد وفقني الله الى تمهيد السبيل المؤدي الى ذلك أي الى ارجاع كل كلمة الى اصلها والى تدوين قاء وس الامة تدويناً مؤسساً على اصول ثابتة تظهر اللغة بظاهرها الحقيقية ، والذي حلني على ذلك ما ظهر من نقوض قديمة محفورة على جدران ممبد الدبر البحري في طيبة الغربية وازاء لقصر من الغرب تدل على ان المصريين القدماء ارادوا تخليد ذكر اصلهم فاقبضوه بالحفر على آثارهم قائلين ان اجدادهم يدعون الاعناء (جمع عنو) أي اهم اقوام من قبائل شتى اجتمعوا في وادي النيل واسسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين شمس ويقال لها بالمصرية المين (الجنوبية) ومنها المين الجنوبية وهي امرنت ومنها عين التي سميت فيما بعد دندره . ولما نماوا وكثروا تفرقوا في الجهات الجاورة لوادى النيل ففريق منهم وهو المعروف باسم اعناء الحنو او اللويين توجهوا الى بلاد القبروان وتونس والجزائر وسكنوا فيها ، وفريق آخر يسمى اعناء المنتو هاجر الى بلاد الصومال واجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر ممتدا الى فلسطين . وفريق ثالث يسمى اعناء السيتو سكنوا القسم الجنوبي من مصر حيث جنادل النيل . وفريق رابع يقال له اعناء الكنوز وهم اهل النوبة . وهكذا تفرق الاعناء وتوطنوا في الجهات التي ذكرناها وبنوا فيها لغتهم مدة من الدهر فكانت لغة البلاد التي تتكلم الى الآن بالعربية . فاللغة المعربية أي لغة قبائل الاعناء التي سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هي اصل اللغة العربية بلا صراه بنص النقوش المذكورة آنفاً وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نعماً صريحاً في آيات كثيرة

قال المفسرون ان في القرآن الشريف كلمات غير عربية لكنها لانفرجه عن العربية كما ان الكلمة العربية اذا وردت في القعيدة الفارسية لانتمسح من كونها فارسية . وانا اختلف هذا القول مخالفة كلية لما سأذكره بعد

هذا وقد جمع المرحوم الشيخ حمزه فتح الله جميع الكلمات الواردة في القرآن الشريف ويقال انها اعجمية وطبعها بامر نظارة المعارف العمومية سنة ١٩٠٢ ميلادية وها اناذا اخالته في ذلك مبيننا انها مصرية لورودها في اللغة المصرية القديمة التي هي اصل العربية كما ترى فيما يلي

(١) اكواب وابريق — من سورة الواقعة (٥٦ : ٨) قال الشيخ رحمه الله : الاولى نبطية والثانية فارسية . ومن المعلوم ان اللغة النبطية قريبة من القبطية التي ترجع الى لغة الاغنياء واكواب جمع كوب وردت في اللغة المصرية بلفظ قب وقوب وقبو وبالعبرية كب وبالقبطية كاب وكابي وكبيبي وهي مشتقة من مادة قاب الواردة في اللغة المصرية القديمة وفي العربية أيضا بمعنى شرب فيقال قاب الماء شربه أو شرب كل ماء الاياه ويقال اياه قواب وقوابي : كثير الاخذلماء . ورجل مقاب : كثير الشرب . كما يقال كاب يكتوب كابا شرب بالكوب . فالكلمة مصرية عربية كما يتضح من موادها المذكورة في القواميس العربية

أما ابريق فهي جمع ابريق وليست بفارسية بل هي مصرية وجدت مكتوبة في حجر نقش باسم احد ملوك الحبشة وعثر عليه في دقة فبقيت في العربية بهذا اللفظ وقد جاء القرآن الشريف بها قال تعالى (اكواب وابريق وكأس من نعين) أي من ماء طاهر . والكأس وردت أيضا في المصرية والعبرية بهذا اللفظ وورد أيضا في المصرية كاز وفي القبطية كاجي بمعنى الكوز ومن ثم تعلم ان ابريق وكأس وكوز كلمات مصرية وعربية ليست من الاعجمية في شيء (٢) اب — وردت هذه الكلمة في نقوش ممبد دندرة وعلى جدران مدينة أبو كما وردت في قرطاس ارس . وفي القاموس المحيط الاب السكلا أو المرعى او ما أنبت الارض والخضر فهي اذن عربية لا أعجمية

(٣) سرى — قال الشيخ رحمه الله : انه نهر بالسريانية او القبطية او اليونانية وفاته كما فات غيره من المفسرين انه مشتق من سرى يسري وسرى به فاشتق منه سرى أي النهر لسيده وجريانه وقد وردت سرى في المصرية بهذا المعنى في لوحة الاحصاء وجاء في العربية أيضا ظري يظري : جرى الماء وبطنه لم ينالك لينا . منطها لغة في سرى بقلب الظاء سيننا لقرب المخرج فهي قريبة منها في المعنى لقرينة الجريان وعلى كل حال فادة الكلمة عربية ومصرية وليست بأعجمية كما قال المفردون (٤) — هبت قال الشيخ رحمه الله : معناها هلم بالقبطية او السريانية او

المتر: ج ٩ م ٢٢ تحت لموي في رءه المرآ من اللفاظ الاعجمية ١٧٧

الجورانية أو المبرانية والحقيقة أنها من هيت ه صاحب ه ودماه وهيت ه
وقد يكسر أوله أي هلم. ووردت هيت بمعنى اقبل ود كرت في العربية والمصرية
ايضا بغير التاء فيقال في العربية هيا أي أسرع واقبل عى كدا. وعليه فهي عربية
محضة خلافا لما قاله المفسرون

(٥) رس - قال الشيخ رحمه الله الرس البر أعجمية. مع أنها وردت في
القاموس المحيط وغيره من معاجم اللغة أنها البر المطوية بالحجارة وبها كانت
لبقية من عمود كذبوا بينهم ورسوه في برأي دفنوه، اذ من معاني رس الحفر والدفن
ودفن الميت. وقد ذكرت كثيرا في النصوص المصرية القديمة وكثيرا ما تلحقها
تاء التأنيث ومعناها البر المعدة لدفن الموتى اذ كان من عادة المصريين القدماء
أن يدفنوا موتاهم في آبار ينحوتها في الجبال والسهول فهي عربية ومصرية بجنة
(٦) قط - قال تعالى في سورة ص (٣٨: ١٦) وقالوا ربنا عجل لنا قطنا

قبل يوم الحساب) قال الشيخ رحمه الله: أي كتابنا بالقبطية. وجاء في القاموس
للفيروز آبادي قط بالكسر الصك وكتاب المحاسبة جمه قطوط. والقطاط أي
الخرائط وهو من مادة قط أي قطع عامة وعرضا أو قطع شيئا صلبا كالحقنة
وفي المصرية قط وجمه قطوط أي كاتب والقطاط الخراط أو الخطاط (راجع
مفردات دارمان الصحيفة ١٣٥) وهي في المصرية من مادة قط أي قطع
التقوس في الاحجار أي حفرها بقلم الحفر لأن قط وخط معانما في المصرية
واحد وهي الكتابة بالحفر أي رسم الشيء بالقطع أو الخراط فالعربية آثار
حقيقة المعنى في الكلمتين وكان من عادة المصريين في كتابة نقوشهم ان
يرسم الكاتب النصوص بالمداد الأحمر على الجدران في المعابد أو المقابر أو منحورها
ومنى أنهما إلى القطاط فيعلمها بعم الحفر شيئا فشيئا حتى يتم حفرها كما يفعل
الآن في النقش على الاحجار، هذا هو المعنى الاصلي لقط وخط فالقطاط لفظة
في الخطاط أي التقار أو النحت أو النقش وقد يطلق عليه الآن في عرب العامة
ويقرب من هذا المعنى القديدي والجمع ويسدون تناع العسكر من السباع كالعشاب
والبيطار (قاموس المحيط) وكالنجات لأنه اسم مشتق من مادة قد أي قطع
مثل قط فالكلمة اذن عربية لاحظ لها من المعجمة

(٧) يم - في قوله تعالى (مشرك من هم ما عشمهم به ٢٠ ٧٨) قال
الشيخ رحمه الله مصاها البحر السريانية أو المبرانية أو القبطية - وهي كلمة

مصرية وردت بهذا المعنى في اللغة المصرية القديمة تطلق على النيل وعلى البحر ويقال لها في القبطية أيام وايوم وايوم بامالة عين الكلمة في اللفظ الثالث وذكر في القاموس المحيط اليم : البحر ويم بالضم فهو ميموم طرح فيه فهي عربية بل مريقة فيها لوجودها مذكورة بلفظها ومعناها في المصرية ثم في القبطية

(٨) — يحور في قوله تعالى (انه ظن ان لن يحور : الانشقاق ٨٤ : ١٤)

قال الشيخ رحمه الله تعالى : يرجع انها بالحشية . والحال انه فعل متصرف من حار بمعنى رجع وقص وحاوره يحاوره : تراجع في الكلام . وحار يحار حيرة أي نظر الى الشيء ولم يهتد فهي مادة عربية محضة وذكرت في المصرية بلفظها ومعناها في قرطاس سليق وقرطاس السطاسي وقرطاس هرس وفي الدنكيلر وفي مدحة النيل لماسبرو

(٩) سينين - في قوله تعالى من سورة التين (٩٥ : ٢ طور سينين) وهو جبل بالشام ويقال له ايضا (طور سيناء) في سورة المؤمنين (٢٣ : ٢٠) في قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء) . قال الشيخ ان الاولى والثانية معناهما بالحشية الحسن . والحقيقة ان اصلهما في المصرية والعربية من مادة ان كذا وان وانين ومأنان ثم ألحق بها السين فصارت سيناء وسينين أي حسن هذا ماأيدته اللغة المصرية القديمة ووجد مطابقاً للعربية وقد جاء في القاموس المحيط سنن النطق أي حسنه ورجل مسنون الوجه مملسه وهي مؤنث سنى من مادة سنيت فهذا يؤيد ان سينين وسيناء لفظان عربيان بلا نزاع

(١٠) قيوم - في قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم : البقرة ٢ : ٢٥٥) قال الشيخ رحمه الله معناه الذي لا ينام بالمريانية . وفي المحيط القيوم والقيام الذي لا ند له من اسمائه عز وجل وهو مشتق من مادة قام قوماً وقياماً . وقد ورد هذا اللفظ في المصرية وذكره ارمان في مفرداته (الصحيفة ١٣٦) فقال قيوم صفة واله أوجد نفسه بنفسه سماء اليونان (كاميفيس) والكلمة مركبة في المصرية من لفظين معناهما قيم الام أي زوج الام أي زوج وام في آن واحد أوجد نفسه بنفسه ثم ركب تركيباً فصلاً صفة يراد بها الموجد لنفسه فهو ليس من مادة قام العربية والمصرية بل هو كلمة قائمة بذاتها عريقة الاصل في كلتا اللغتين

الخيال في الشعر العربي

٧

أطوار الخيال

كان العرب زمن الجاهلية يعيشون في مواطن لا يشهدون فيها غير مناظر
فطرية كالسكواك وبعض النبات والحيوان أو يوافق حبوية ووسائل حربية
كالرحى والجفنة والرمح والحسام ، ولصفاء قرائعهم وسلامة أذواقهم أضافوا
الى هذه الحقائق ما يخاطر على ضائرتهم ويدركونه بحاسة وجدانهم من المعاني التي
لا تنالها الحواس الظاهرة كالحب والبغض والرضاء والغضب ونسجوا منها على
مثال التخيل صور بديمة

وان رأى المدني اليوم ان معظم تلك الصور من التخيلات القريية فحذرهم
في ذلك انهم لم يدخلوا في مسالك الفلسفة ولا عودوا أنفسهم للتنقيب عن
المعاني النامضة وانما كانوا ينطقون بالشعر على البدهة ، فن وقعت له على مضى
رائع كقول النابغة

وانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتهى عنك واسع
فقد لفظته قريحته غفوا وانساق اليها بدون اجهاد نظر ، ومن ثم كانت
أمثال هذا التخيل البديع نادرة في أشعارهم ، ولو كانوا ممن يذهب في صوغ
المعاني الى ازجاج الفكر وحنه على استعراضها من مفاصلها العميق كما يفعل
المولدون لظفروا لهم بنظائر لا تحصى ، ثم ان التخيل كسائر الملكات والصنائع
انما تترقى شيئا فشيئا وتتكامل يوما فيوما ، فتطلع زهير بن أبي سلمى مثلا على
تخيلات لا تقهر بها في أشعار من يقدموه بأمد بعيد ، فالعهد الذي يمر فيه
هذا الشاعر من معنى ان من لم يحب إلى الاصر الصغير يقع تحت مظلة الامر
الخطير بقوله

ومن يمس أطراف الزجاج فانه يطبع الموالي ركبت كل لهضم
لا يصح ان يكون من أوائل المصور التي طهر فيها التخيل الشعري فان
هذه الغاية من حسن البيان لا يدركها الناس بغيرتهم الا بعد ان يشغلوا في
حبيلها أطوارا ويقضون في السير اليها أحقابا ، كما ان ابن سفيان اندلسي لو نشأ
في البيشة والمصر الذين نشأ فهما زهير لم يسئل عليه ان يصفهم اشملته الذي

يصمد فيه المد مسافة بعيدة ثم يحسر بقوله
شق النسيم عليه جيب قيضه فانساب من شطيه يطلب ناره
فتضاحك ورق الحمام بدوحها هزوا فضم من الحياء ازاره
ثم برزت شمس الاسلام وكان من أساليب القرآن في الدعوة ان ضرب
الامثال الرائمة وصاغ التشابيه الرائقة والاستعارات الفاتقة والكنايات
اللطيفة ، ويضاف الى هذا ما كان ينطق به الرسول عليه الصلاة والسلام من
الاقوال الطائفة بالامثال والاستعارات والكنايات التي لم تحظر على قلب عربي
قبله ، فكان مطلع الاسلام مما زاد البلغاء خبرة بتصريف المعاني وترقي بهم
الى رتبة سامية في صناعة الخيال

أخذ الخيال يتقدم بخطوات أوسع مما كان يسير به في الجاهلية ولكن
الادباء الى أواخر عهد الدولة الاموية لم يحيدوا عن طرقه الممهودة وبقيروا
أساليبه تغييرا محس به كل أحد ، فلو قال قائل ان عبدالله بن الدمينه أو عمر
ابن أبي ربيعة أو جليلا أو كثيرا شاعر جاهلي لم يكن لك ان تدخل الى مغالبتة
وابطال دعواه بأقامة الحجة من مناهج تخيلاتهم كان تجلب له من أشعارهم أمثلة
ينكشف بها جليا أنهم ساروا في التخيل على نمط لم تنسج عليه الجاهلية ،
ولكنك اذا نظرت في مجموعة الشعر الجاهلي ثم وازنته بمجموعة الشعر الاسلامي
تيقنت ان الخيال قد بعد شأوه واتسع نطاقه لانك تقف على تصرفات كثيرة
من تشايبه مبتكرة واستعارات لم يحم عليها شعراء الجاهلية وان كانت مفرغة
في قوالبهم مرسومة على خططهم

ثم ظهر في أوائل عهد الدولة العباسية مثل بشار بن برد وأبو العتاهية
وأبو نواس وعبد السلام الملقب بديك الجن فأصبحت مسافة التفرق بين الشعر
الجاهلي والشعر الاسلامي واضحة لكل من له أدنى ثقل ، فلو ادعى مدح
ان عبد السلام الملقب بديك الجن شاعر جاهلي لكفاك ان تتلو عليه نبذة من
شعره الذي أوغل فيه الى حد يبدو عليه أثر التصنع كالبيت الذي أعجب به
أبو نواس وقال له عند ما اجتاز به وهو بحمص انك قد فتنت به أهل العراق
أعني قوله يصف الحر

موردة من كف ظمي كأنما تناولها من خده فأدارها
وتباه بعد هؤلاء ابن المعتز وابن الرومي ومسلم بن الوليد وأبو تمام وقد

استحكمت هرى المدينة ونجحت لهم الحصار في أجل مظاهرها فكانوا أكثر
 ممن تقدمهم تنفنا في صناعة التشبيه والاستمارة وما يلحق بهما من تصرفات
 الخيال كالنورية والمقابلة وحسن التغلغل من غرض الى آخره وهذا لا يمنك
 من ان تقضي السابقين بأنهم أقوى عارضة وأدري بصناعة الشعر من ناحية
 منك الألفاظ ومئاته منها

وبعد ان غني الناس بالنظر في شؤون الكون وسلوكوا في البحث عن
 أسرار طريقا فلسفيا أخذ الخيال الشعري يمل في الحقائق الفلسفية ويمجري
 وراء الفكر كالسيف له في تصوير تلك المعاني الفاضلة كما تراه في مثل قصيدة
 ابن سينا في النفس المفتحة بقوله

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاة ذات تمرز وتمسم
 وقصيدة المعري المفتحة بقوله

غير مجد في ملي واعتقادي نوح بك ولا نرم شاد
 وقول أبي بكر بن الطيفيل يصف حال الروح والجسد

نور تردد في طين الى أجل فأنحاز علوا وخلي الطين للكفن
 يا شد ما افتراق من بعد ما اجتماع أظنها هدة كانت على دخن
 ان لم يكن في رضا الله اجتماعها فيا لها صفقة تمت على غبن
 وفي هذه الصبغة خرج كثير من أشعار الصوفية كما تراه فيما ينسب الى
 الشيخ محي الدين بن عربي وابن الفارض

وقام بأزاء هذا الميزع الفلسفي ان الشعراء عند ما اتسمت دائرة المعلوم
 الاسلامية وتقلت المعلوم النظرية الى العربية مد بعضهم يده الى قضايا هذه
 العلوم واصطلاحاتها وخلط بها تصرفاته الخيالية كقول أبي تمام
 خرقاء يلعب بالمقول حبابها كتلاعب الافعال بالاسماء
 قول حميس يمس

لا تضمر من عظم قدر وان كذت المشار اليه بالتنظيم
 ولم الخمر بالمقول رمى الخمر بتنحيها وبالتحريم

وقول ابن الخطيب
 ونقطة قلب اصبحت منشأ الهوى وعن نقطة موهومة ينشأ الخلق
 وكذلك كانوا يقتسمون من سائر المعلوم والمصانم حصة راق لكنه

ومما حدث من ممارسة هذه العلوم ايراد التشبيه في أساليب منطقية كقول بعضهم
 لو لم يكن اقحوانا ثمر ميسها ما كان يزاد طبيا ساعة السحر
 ومن تقصى أثر الشعر العربي ولا حظ الاطوار التي تدرج فيها الخيال أخذ
 في نفسه قوة تساعده على الفصل في بعض الايات أو القصائد التي يتنازع الرواة
 في نسبتها الى قائلها ، فالقصيدة التي جاء في أثنائها

قالت لطيف خيال زارني ومضي بالله صفة ولا تنقص ولا تزد
 فقل خلفته لو مات من ظلمة وقلت قف عن زلال الماء لم يرد

يمزوها بعضهم الى الوليد بن يزيد ومن لاحظ أن القصيدة جمعت فنونا
 من الخيال لا يخصص عنها ويجمعها في نظم واحد الا شاعرا نفا أيام دخل التصنع
 في الشعر وهو عهد الدولة العباسية أعرض عن هذه الرواية وذهب الى أن
 تكون كما قيل لابي القاسم بن طباطبا المتوفى سنة ٣٤٥ أو ذي القرنين بن هذان
 المتوفى سنة ٤٢٨

ترقى التخيل يوم دخل الشعر في طور التصنع ولكن التصنع هو الذي
 جر الى استمارات مكروهة وتشايبه سمجة ايضا فقد اقتحم ابو تمام والمنيني
 ومن بعدهم في هذا الفرض مساوي لم يرتكبها الجاهلية ، فالعربي الصميم —
 وان كان معظم تخيلاته ساذجة — لا يعالج قريحته ليستنبط لك منها مثل
 قول ابي نواس

يج صوت المال مما منك يشكو ويصبح
 أبو قوله

ما رجل المال أضحت تشتكي منك الكلالا

وتماهى الشعر ما بين تخيل فطري وتخيل فلسفي وتخيل علمي الى هذه الاعصر
 وان كان النوع الاول هو الغالب في النظم والمألوف في التخاطب لان التخيلين
 الفلسفي والعلمي ، انما يليقان بكلام يوجه به الى الخاصة من الناس واما التخيل
 الفطري فيصلح لخطاب الخاصة والجمهور

والضرب الفلسفي لا يمد في الحقيقة تطورا في نفس التخيل وانما هو
 تطورا لحقه من جهة دخوله في منزع جديد أعني الخوض في حقائق وسين
 كونية حل طريقة النظر العميق

القياس في الاشتقاق

تابع ما نقرئ الجزء الثامن من ٦٦٦

ومن الأصول التي يراعونها في الكف عن القياس وعدم الأخذ بالأمثلة القليلة في تقرير أحكام هذا الباب قاعدة تجنب ما يوقف في لبس واشتباه ، ولهذا لم يجرز الجمهور صوغ فعل التعجب واسم التفضيل من الافعال المزيدة لأن الصيغة لانحسب الا الحروف الاصلية واذا سقطت الحروف الزائدة حُصيت على السامع مما فيها الخاصة كالمطاوعة والتكثير والمشاركة والطلب فيضيم بعض المعاني ومخالو المصاراة عن الفائدة المطلوبة ، فما ذهب اليه الاخفش والمبرد من لراحة اشتقاق أفعل التفضيل من حميم المزيد غير مستقيم وانما أجاز سيويه اشتقاقه مما جاء على وزن أفعل خاصة اعتماداً على ان ماروى من شواهد قد بلغ من الكثرة مبلغاً يجعل مأخذ القياس عليه سائفاً . ودخل ابن عصفور الى هذه المسألة من باب النظر فأجاز القياس في أفعل خاصة كما يقول سيويه ولكنه شرط ان تكون همزة لغير النقل نحو أعظم الليل وأقمر المكان لأن أفعل الذي تكون همزته لغير النقل (يعني التعمدية) لا يزيد على معنى الثلاثي وهو الدلالة على مجرد الحدوث فلا يدخل زنة التعجب أو التفضيل خلل في المعنى وهذا التفضيل وان كان أقرب الى الأصول لم يقبله الشاطبي بدهوى ان الاجماع قد انقضى على ثلاثة مذاهب . والاجماع لا يخرج ولو في الاحكام اللفظية :

ومما يجري على قاعدة تجنب اللبس منهم من صوغ التفضيل والتعجب من المبني للمجهول لأن صوغهما منه يؤدي الى التباس وصف الفاعل بما يقصد به المفعول ، وقد حقق النظر من أجاز صوغهما من الافعال اللازمة لصيغة المجهول نحو غني وزهي وهزل وارعذ وأغمي وغم واهل ونحي اذ لا يمرض عند ابرادها في احدى الصيغتين التباس

ويدخل في هذا العدد اشتقاق فمیل بمعنى مفعول نحو قتل وجرح وصريع فقد وقف فيه بعضهم عند هذا الساج واغلقوا دونه باب القياس وفعل آخرون فبنوا القياس فيما ورد منه فمیل بمعنى فاعل نحو علم وسمع حيث ورد اسم فاعله على فمیل فمالوا عليه وسميع . وأباهوه فيما عدا ذلك ، وقد تخلصوا بهذا التفضيل من المحذور الذي تخشاه الذاهبون الى منع القياس باطلاق وهو التباس وصف المفعول بوصف الفاعل

فأصل الاحتراز عن الابس والاسهام في اللغة ممكن . بيد انه لا يخلو كدائر القواعد الوضعية من جزئيات تأتي على خلافه كالاسماء المعتلة المين نحو مختار ومنقاد والعمل المضاعف نحو يضار ويشاد . فان هذه الصيغ تطلق في وصف التفاعل والمفعول ويحول في فهم ما يراد منها على قوينة حال أو ماقال . ومثل هذا مما دار على السنة الفصحاء وشاع حتى لم يبق ريب في صحة اطرادهم نفع له مجال القياس ويبقى غيره مما فيه ابهام المراد على أصل المنع حتى ينضج دليل السمع بمجوازه . فاذا وقع النزاع على اشتقاق يحصل منه احتمال بخلاف المراد فالأصل بيد المانع حتى يقيم الجيز الشواهد الكافية للقياس .

ومما يوردونه عذرا في الحكم - ترد به أمثلة كثيرة ويأبون جعله قياسا مطردا - الاستغناء عنه بصيغة أو صيغ أخرى . كما قال الرضي نافلا عن سيويوه ان باب « فمלתه » الذي تضم فيه المين للمغالبة مسموع بكثرة ولا يصح القياس عليه للاستغناء عنه بنحو « غلبته » . وربما تعلقوا بهلها الوجه في استغناء بعض الفاظ تشابها قاعدة فيجرحون بالمنع من اجرائها على القاعدة . استغناء عنها بصيغة أو جملة تعد مسددا للحاجة اليها . كما قال سيويوه في الكتاب لا نقول (العرب) في قال يقييل « ما أقيله » استغناء عنه بنحو « ما أكثر فائلته » كما قالوا تركت ولم يقولوا ودعت

والذي نرى ان ابطال القياس في مثل المسألة الاولى - أعني باب المغالبة - بطله انه مستغنى عنه بصيغة أخرى غير سديد وإنما المدار على قلة ما ورد منه وكثرته . فاذا كانت الشواهد المروية منه بحيث بلغت ما يكفي للاعتداد به في وضع القواعد صح جعله قياسا مطردا . وليس غنى اللغة بما تملكه من صيغة أو صيغ تعيد معنى خاصا بمانع من ان يضم اليها طريق آخر يزيدا سمة على سمتها . فتترادف المفردات والصيغ على غرض واحد في اللغة ليس بميزر . وأما المسألة الثانية أعني الاستغناء عن قولك « ما أقيله » بمثل ما أكثر فائلته » فهي راجعة الى الكشف عن وجه اجمال العرب للصيغة الاولى ، وقد تعرضنا فيما سلف الى حكم اللفظ الذي تتناوله قاعدة ولم نسم في كلام العرب ما يدل على اهم نطقوا به على وفقها ، وذكرنا الفرق بين ما يدور في محاوراتهم بكثرة فنقتني فيه أثرهم ولا نخرج في تصرفه عن الوجه المنقول عنهم وبين ما لا يكون كثيرا شائما فيسوغ لنا ان نصره وننطق به على ما تقتضيه القواعد

دون توقف على سماع . وكأن الامثلة التي ذكر سيبويه في الكتاب وان
جني في الخصائص ان العرب استغنت عن تصرفها بصيغ أخرى ، وجعلوا
التلفظ بها على طبق القاعدة خطأ ، كانت في نفاها من القسم الاول وهو
مالا تتجاوز فيه حد الرواية ، والوقوف في اللفاظ الدائرة في الخطابات بكثرة
ضيق وجهها المسووع وعدم اجرائها في سبيل القاعدة لا يعد في غراب اللغة
العربية . فان في غيرها من الالفاظ الاخرى كالاسان الالمانى وماذر تصرف
على وجوه تخالف القواعد المعروفة ، ويصرح علماءهم بوجود التلفظ بها على
تلك الوجوه الشاذة ويمدون المتكلم بها على نمط القاعدة قد تعدى حد اللغة
وارتكب خطأ فاحشا ، بل ترى من أسماء التفضيل المتداولة في ذلك اللسان
ما شذ عن القاعدة الى ان ركبو من حروف غير حروف الوصف الاصلي ، على
نسق ما يقول علماء لغتنا ان الغلظ - وهو الفاعل الاعمى - يجمع على مناجيد أو مناجيد
وتصرف العرب في بعض أسماء الاجناس فاشتقوا منها افمالا وأوصافا
فقالوا تميمين ونجورب ونحجر واستنسر البهات واستنوق الجمل . وقالوا أحنك
الثانين أو البعيرين وفلان آبل الناس أي أشد ثم تأثقا في رعي الابل . وقد
رأى علماء العربية ان الامثلة الواردة في هذا الغرض لا تكني لفتح باب القياس
فوقفوا فيه عند حد السماع . وكثيرا ما يتكرون على من ينتزع فعلا من غير
مصدر كما اعترضوا على القمط الرازي في قوله « والشيخ في الشفاء ثلث القسمة »
بدعوى ان لفظ « ثلث » محدث لم ينطق به العرب . ولم يلتفتوا الى قياسه
على ما صح لفة من قولهم خمس وسبع وأمثالهما ، حتى استشهد له السيلكوني
بحديث « شر الناس المثلث » يعني الساعي بأخيه ، يهلك نفسه وأخاه وامامه .
ولم أر من حام على القول بحمل مثل هذا مقبلا الا عبد اللطيف البغدادي فانه
اعترف في كتاب التكملة بأن لفظ التجنيس والمجانسة مولد وأجازه على وجه
القياس وقال هو من لفظ الجنس كالتنويح المأخوذ من لفظ النوع .

واملاق التصرف بمثل هذا للأفراد فيصنع كل على انفراد من أسماء
الاجناس وأشباهها ما يبدوله من أفعال وأوصاف يقضي المرافاة الجمل مركبة
من الفاظ لا يألها انماصبون أو يتماهى عليهم فهم ما يقصد منها . واللفظ
الاجنبية يجري فيها الاشتقاق من أسماء الاجناس أحيانا ولكن الذي يقوم
بذلك جمعيات علمية تصوغ الكلمة تعدها في ديوانها اللغوي وتنشرها بين الناس

القياس في وضع اسماء الاجناس

يقول ابن فارس في طائفة تاليفه المسمى بالصاحب ان اللغة قد فرقرارها فلا تعلم لغة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم حدثت ، فان تعمل اليوم لذلك متعمل وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولم ييلفنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم وقد كان للصحابة من النظر في العلوم الشريفة مالا يخفاء به وما علمناهم اصطلاحوا على اختراع لغة أو احداث لفظة لم تتقدمهم . وقال في مبحث آخر من ذلك الكتاب ليس لنا اليوم ان نخترع ولا ان نقول غير ما قالوه ولا ان نقيس قياسا لم يقيسوه لان في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها ؛ اغلق ابن فارس الباب في وجه من يريد احداث كلمة وادخالها في تلك اللغة ولكنه يبيح لاصحاب العلوم والفنون الاصطلاح على كلمات يتقونها من معانيها القوية ويضمونها بازاء معان خاصة ، بيد انه يفرق بين الوضع الغربي والوضع العلمي فيسمى الاول اسما لغويا والثاني اسما صناعيا . والحق ان اللغة في حاجة الى ان يبقى الطريق الى وضع اسماء الاجناس مفتوحا مثلما بقي طريق وضع الاعلام الشخصية يسلكه الناس فيما يزداد لهم من الولد أو يحدثونه من الضيمات والقرى . فان العصر ما برحت تكشف لنا من معان لم تظهر ايام كانت اللغة تتسع وتنمي بالالفاظ التي تجري على السنة الناطقين بها عن سليقة المتلقين لها من افواه المرضعات ورعاء الشاء . وليس من الممكن ان نصرف السنننا عن التعبير عن هذه المعاني بعد ان اندمجت في متاع البيت والتعمقت بما يتخذها الناس من الملابس ويمتطونه من المراكب ويرتفقون به من وسائل الحياة

وما يشوه وجه المقالة أو القصيدة ان نضع في نسقها اسماء هذه المعاني الموضوعة في قالب لغة اجنبية وتتلفظ بها على علاقتها من غير تهذيب وسبك يؤلف بينها وبين ما هو عربي اصيل

فالمرية توسم صدرها لافتراض الاسم من لسان آخر ولكن بعد تنقيحه وصبه في قالب يطابق موضوعاتها الاصلية ، وهي مع ذلك في سعة وغنى بما ملكته من المواد الغريبة والتضاريف التي تساعد على ان نستمد منها اسماء لاي معنى خرج الى حيز الوجود

والما يستقيم هذا العمل اذا انتهت له جماعة ذات اطلاع واسع واذواق سليمة فيتحيزون أو يشنعون الدعائي الحديثة اسماء مقبولة فيبقون على هذا اللسان حياته ويحفظونه من ان يتسم فرق طائفته فتدسرب اليه قطع من لفتاخرى

انتباه الشرق^(١)

الشرق وطيش هم المستعمرين . سورية و فلسطين . اليمن وعمان . الاناضول ومما حدة . يفر . ازريجان والافغان . شمال البرقية

لا جرم ان الشرق قد بدأ ينتبه من غفلته ويثيب من رقده ، ويهب من ثباته العميق ويستفيق من كابوسه الثقيل ، وان ذلك قد لاحت تباشيره منذ وضعت الحرب أوزارها ، وظهرت غيايله في كل صقع من أصقاع الشرق بصورة لا تقبل المغالطة ، ولا تحمل المراء ، بحيث شمرت أوروبا شعورا تاما بأن شرق اليوم هو غير شرق الامس ، وان الحرب العامة قد تمحضت بمحولات لم تكن في حسابها ، وربما تلذ انتقابات كان يجوز ان يستأكل فصاها القرون والاحقاب فمجلت الحرب في توليدها بيض سنين فكان الظاهر الذي فلن الغالبون انه سيلقى اليهم بمقاليد الارض بمخايفها وبثمنهم على ثباتها بدون معارض ولا منازع ، هو مبدأ انحلال سلطاتهم الملتفة من قوى الامم الاخرى وطائفة انتصار اسلاكهم المنظومة بمجاهيد المستضعفين في الارض ، ومصداق قوله تعالى (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) ولا بد أن يأتي يوم يقول فيه الشرقيون — طالما أحزنتنا نهاية الحرب العامة بما انتهت به وخلق الجور للدولة المستعمرة تاتي بجراتها على من نشاء وتهضم حق من نشاء وتظن الاجرام قد أصبحوا لها خولا وعبيدا ، ولكن صدق علينا وعليهم قوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

فقد ظن المستعمرون قبل كل شيء انهم يخذعون الامة العربية بمواعيد الاستقلال حتى تنفصل عن الامة التركية ويقع بأس احدها بالآخرى مما يفرز على المستعمرين الاموان والرجال ، حتى اذا انفصل العرب عن الترك بعد ذلك وجدوا أنفسهم بين برائي أولئك الخلايين الخداعين وأطبق هؤلاء عليهم قوائم

لمقاومة طرق يقتسمون بلادهم فيما بينهم تناسم لا يسار للجور وينقض
 الأمر وينتهي النزاع ، وإذا تنجز العرب ما تقدم لهم من المواعيد لم يبع من
 صنفته الخلافة ومهنته الكذب والرياء أن يجابوا ولا بالانفاظ التي قد جابوا
 بها من قبيل : استقلال وتحرير ، وترقية ، وتنمية ، وسيطرة وقتية ، ووصاية أبوية ،
 وإرشاد إلى وقت بلوغ الأشد . وغير ذلك من الخزعلات التي لا يحجل أمثالهم
 من أن يحملوها شبابا كالصيد وخطاطيف للقبض فإن لم تنفع هذه الانفاظ ولم
 تنجح هذه المناوئين الضخمة في إخفاء المرام وتهوين المصائب فيكون الجواب
 صرخة برمح السيف والمدفع والطيارة والدبابة وغير ذلك من الآلات المهلكة
 واليران المخزقة ويقال أن ذلك إنما هو موت لأجل الحياة وقطع للأعضاء
 الفاسدة لسلامة الجسد وتخريب من أجل المدينة وهمجية لأجل الإنسانية (!!!)
 ولكن ساء في هذه التوبة فألهم وكذب خالهم ورأوا من العرب ما لم يكن يخطر
 لهم على بال إذ وجدوا هذه الأمة بعد انفصالها عن الأمة التركية أشد تقورا من
 حكومة الاجنبي مما كانت من قبل ، وما وضعت الحرب العامة أوزارها من جهة
 وطن الخلفاء القالبون أن البلاد قد بردت لهم عفوا صفوا حتى لقت الحروب
 في الشرق الأدنى والوسط من الجهة الأخرى وقام العرب ينادون بالثارات ممن
 نكثوا بالوعد وخفروا المهود وتورطت انكلترا في العراق في حرب زبون لم يعد لها
 نهاية فبقيت سنتين ونصف سنة توالي البعوت على البعوت وتلف الرخوف على
 الرخوف وتكور الطيارات على الدبابات والدبابات على الطيارات وتحرق القرى
 وتنسف المنازل وتهلك الحرث والنسل وبلغ عدد جنودها في العراق ١٢٠ ألف
 مقاتل وبلغت نفقاتها السنوية هناك ٥٠ مليون ليرة انكليزية وهي لا تقوز
 بطائل ولا تصل إلى غاية تذكر ولا تزداد من أهل تلك البلاد الابغضا وعدوانا
 وسخينة وشناكا إلى أن يثبت من تدوخ العراق بالسيف وبعد أن كانت
 لا تثير مطالب أهل العراق أدنى بال وكانوا يشكون إليها فيشكون إلى غير
 معنت (١) عادت هي تستصرخ الملك فيصل وذويه إلى أهل العراق على
 قبول حكومة وطنية يكون لهم فيها الاستقلال الداخلي ويكون لانكلترا
 السيادة الخارجية وعادوا هم لا يرضون بهذه الدرجة من الاستقلال ويريدونه
 تاما وينجزونه تاما مطلقا ولا يرضخون للانكليز إلا من بعض مسائل

اقتصادية لا غير مع ان العراق قبل الحرب المدونة لم يكن بحسب احدا انه يطوي على مثل هذه القوة ولا انه يتنضي لتدويعه اكثر من ثوابير محدودات، وليكن الحرب العامة أضاهت كل حجاب وأتت من ظهر الغيب بما كان يظن من الاحلام : ومثل ذلك سورية التي كانت تظن فرنسا انها تقبض عليها بمجرد خفوق العلم الفرنسي على ثكنة بيروت قد كلفت فرنسا الى الآن ازيد من ١٠٠ مليون ليرة وعشرات الوف من الصباكرو لم تكسب من وراء ذلك سوى زيادة الاحقاد والاحن واللقاح العدوات والفتن وكون من كان يناوئها قبل الاحتلال قد ازداد رايه يقيناً وبغذه استبصاراً ومن كان يحيل اليها قبل ان خبرها من قريب وقاربها تحت الممل قد تحول عنها تحولاً فات فيه اعداءها الإميليين وانفتحت كلمة الجميع على طلب الاستقلال التام ولو كان كل يسمي به الى ناحية وطنية فاعلمنا في ينادي باستقلال لبنان والسوري ينادي باستقلال سورية، وللإسباني ينادي باستقلال فلسطين، وليس من كل هؤلاء من رضى بسيطرة فعلية لفرنسا ولا لكترا أو لغيرها بل غاية ما هناك عدة مأمورين من باعة الدم ونجار الضياع وعدة صحف من قبيل الربابات المروفة عند البدو وأزمورا لاهراس يعرف عليها المازفة لمن شاء ولمن يبض البخت على رأي اصحاب هذه الآلات، فهؤلاء لا زالون يتشدقون بلفظة « استداب » ويتمنطقون بكلمة « ارشاد » وعبارات مموجة وجل مزخرفة من قبيل « الاخذ باليد في مشرك الحياة » ومن طائفة « تسديد الخطوات الى السير في طريق التقدم » وما اشبه ذلك من الكلمات الفارغة المخالفة للواقع وتشدقهم يدوم مادامت يد فرنسا في حلقهم وما دام سينها مصلولاً أمام أعينهم فأما ولا بد لفرنسا وقد بلغ دينها ٣٨٨ مليار أي أربى على مجموع ثروتها العمومية بكثير (لأن مجموع ماتملكه فرنسا لا يزيد على ٢٨٠ مليارات) من ان تعجز عن مقاومة بذل المبالغ الطائلة على جيش احتلال سورية كما عجزت عن متابعة غزو كليكية فبمجرد تقلص الظل العسكري من هناك نحس فرنسا بخيانة هؤلاء الذين اذا كانوا اخوة لا وطنهم فهم اولى بأن يخونوها هي وان لا يصدقوها القول ولا يتخلوا لها النصيحة وان يقبلوا لها ظهر الجبن عند اول ذرة لائحة . وسواء كان مثل هؤلاء معها أو عليها فلن يقدرُوا ان يقرروا شيئاً في تحويل مجرى الاحوال البامة اذ لا بد لاهل سورية من نيل استقلالهم التام الناجز المحقق بالفعل العالي عن المماثلة المرتقم من المناطلة ولا

بدل لمرسأ من الرجوع في امر سورية لا الى رأي (السوسباليث) فقط بل الى رأي كثير من الحزب المعتدل بل الى رأي المسيو بوانكاره نفسه وهو القيام في سورية ببهمة استشارية محضة بل كيف تقلبت الامور فالعرب لن يتركوا سورية لفرنسة ولا بد من ان يأتي اليوم الذي ترجع فيه فرنسة الى طريقة انكسار في المراق بل الى اقل منها على حين يسكون ما تركته من الحقد في قلوب العرب حثلا دون كل امتزاج مانما من كل هوادة بين الفريقين . . .

وأما فلسطين وما أدراك ما فلسطين فان انكسار قد ظنت مجرد اعلان معاهدة الصلح ووصايات عصبة الامم والامر الملكي الصادر لاهل فلسطين بتقرير هذه البلاد وطناً قومياً لليهود وفقاً لتصريحات بلفور في أواخر أيام الحرب ظنت كل هذا كافياً للفت في اعضاء الفلسطينيين والقيل من محروبة هزائهم بحيث يستقيمون الى الطاعة ويخلدون الى السكون على قلة غدهم وتقصايت شرائط انتقامهم قرأت من هذه الجهة أيضاً لها بصراً وحملت من حماية اليهود أصراً اداً وسوف تعلم هي ويعلم اليهود انهم يحاولون قلع الجبال ولا يحصلون على أدنى طائل ، وان الفلسطينيين كالسوريين والكراميين وكالمصريين من قبل لن يفتأوا ناصيين للانكسار المداوة حتى يفلحوا عن سياسة الانحياز بالامم ويضمروا خطر الامم باليهود والموارثق ويبرفوا ان الامة العربية هي كلها من وراء الفلسطينيين لاتدع بلادهم مجالاً للامع ولسان حاد يقول : « ودون عدواني كلا جداع »

انظر الى الهانين الذين خالت انكسار ان الاحاطة بيجهم وقطع الاتصال بينهم وبين الدولة العثمانية مدة سنين يكون كفيلاً بنزولهم على حكم الانكسار وصم حبال آمالهم في الدولة والخلافة فكان الامر على عكس ماظنت . وبعد ان كان الهانيون تحتاج الدولة الى بسط سيادتها عليهم الى اربعين أو خمسين طابوراً بصورة دائمة اتقلبوا بأسرهم عثمانيين بدون عاكر بين أظهرهم وقاموا هم مقام المساكر وشدوا روابط قابضتهم للدولة والخليفة عن ذي قبل ورفضوا ان يسموا بشيء من جميع هذه المعاهدات التي تعقد في باريس ولندرة ولم يكتفوا بالمربطة في منطقة عدن ومنع الانكسار من الخطر الى الامام قدماً واحداً حتى حصروهم في مرسى الحديد الذي كانوا احتلوه بل اضطروهم الى الجلاء من الحديد بما اجبرهم طول هذه الاشهر بالقتال غدوا وزواحاً

وكانت أنكلترة راسلت حضرة الامام يحيى مرارا وعرست عليه والاستقلال .
الذي أعلقت بأحاييل وعده كثيرا من أمراء العرب فلم يفتّر كثيره ، وأجابها
بأنه لا يبرح عثمانيا هو وقومه وجميع أهل اليمن من تهامتها الى نجودها ومن
حضره ونها الى عسيرةا . ولن يقبل ان يبطأ الانكلتيز شبرا واحداً من أرض
اليمن ولا ان يتدخلوا بين أهل اليمن وبين الخليفة العثماني الذي لا يعرفون سواء ،
ولما كان قد عجم الانكلتيز عود الامام يحيى ورأوا من صلابته حذرُوا
من التصريح بشيء في أمر اليمن في معاهدة سفوس خشية سرعة التكذيب
وازدباد الخطب ، ولكن حضرة الامام خاطب السلطان محمد وحيد الدين الى
الاستانة وأكده استمسكه بمرورة خلافته وبقاء جميع البانين من شافعية
وزيدية في حوزة طاعته وقريبا نطلع القراء على صورة كتاب حديث المهدي
قد ساعدنا الحظ بالاطلاع عليه صادر عن الامام المتوكل على الله يحيى حميد
الدين وكتاب آخر من محمود نديم بك الوالي العثماني الذي كان في اليمن ولا
يزال والياً فيها باسم الدولة العثمانية صادراً هذا الكتاب عن محلته في مناخة
منبهاً بزحفه على باجل والحديدة بناء على طلب سادات واشراف تهامة (١)
مما جاءت فيما بعد تفرقات الجرائد الانكليزية مؤيدة له بل رواية عن حوادث
تلك النواحي . ما زاد على ما جاء في الكتاب المذكور

وانظروا الى العثمانيين الذين ظن الانكلتيز انهم يحملون أمير مسقط على
تخريبهم من سلاحهم فكان منهم انهم خلعوا ذلك الأمير وحضروه في مسقط
وما زالوا في الثورة حتى أفلقت أنكلترة عن مزاعمها هذه وتركوا لهم سلاحهم
وعاشوا طول أيام الحرب أحراراً لم تقدر أنكلترة ان تتعرض لهم بأدني سوء
ولا يزالون على استقلالهم التام بحماية سيوفهم

اما مصر فانتنا سنفرّد لثورتها ونهضتها مقالا مخصوصاً ، ولكن نقول
هنا بالجملة انها نالت ثمانين في المائة من مطالبها . هذا من جهة العرب وامام
جهة الترك فكانت فرسة تظن انها تبرهم ولاية اطنة الحسينية وانهم يتنازع
حروبهم ومعهم لاسيما هذه السنوات الاخيرات يكونون قد بدلووا حد الاعفاء
ولم يبق عندهم رفق يقوم بهم الى الدواع فكانت نتيجة احتلال فرسة
لكليكية خسارتها اثمائة مليون ليرة ونحو عشرين الف جندي والخروج منها

(١) تهامة ساحل اليمن

ببعض شروط اقتصادية كانت تقدر على نيلها بدون سفك دم ولا هتك ستر ،
وانكسها اسلمت قوماً ظنهم صاروا ألين من حمل النعام فاذا بهم لم يزالوا
افذ من ريش القنفذ. وعلمت انهم لن ينفكوا عن القتال عن ديارهم مهما درجت
الايام وكرت الليالي فعدلت معهم عن المحاشنة الى المحاسنة وأخذ الجنرال غورو
ينوه بمعامد الترك وحسن عهدهم ومخافتهم على أصول الحرب وانه لولا هم
لكان الان من العاشرين لانه لما جرح وطاحت يده في احدى وقائع الدردنيل
نقل الى سفينة استشفائية رافعة علم (الصليب الاحمر) ثم كوز الامارات لم
يتروكوا في الحرب عن ضرب مستشفيات كهذه (اقل اكثر المتحاربين لم
يراعوا قواعد الانسانية في هذه الحرب لا الألمان وحدهم) امسك الاتراك عن
ضرب تلك السفينة التي كان فيها غورو مع قدرتهم على اغرقها .
ثم صرح الجنرال غورو بهذه الشهادة في مجلس الشيوخ في اخريات هذه
الايام عند ما تقرر اخلاء كليكية ولكنه نسبها طول تلك المدة التي كان يذبح
فيها اترك اطنه وصرعش وعينتاب في مجبوحه اوطانهم املا بالاستيلاء على تلك
الولاية . فاما قصة الامساك عن ضرب البارجة التي نقل اليها عند جرحه في
الدردنيل فقد سألت عنها منذ ايام قلائل وهيب باشا الذي كان قائد الجيش
العثماني في شطر الاناضول من (شناق قلعة) والذي كان هجوم الفرنسيين من
جبهته فقال لي هكذا : ان الجنرال غورو لم ينقل الى بارجة من بوارج المستشفيات
كلا : بل نقل الى بارجة رفعت علم الصليب الاحمر زورا وهذا مخالف لقوانين
الحرب وعلى ذلك كان صدر الامر من الجنرال ليمان فرن سندرس باشا قائد القو
العثمانية في الدردنيل بالضرب على هذه البارجة الحربية التي تحولت بفتة الى
مستشفى فايبت انا انفا هذا الامر قائلا : يكفي انهم التجأوا الى الصليب الاحمر فنحن
نكف عنهم حرمة له . آثرنا استقصاء هذه القصة لما فيها من الدلالة على مكار
اخلاق الشرقيين وعلى كون الغربيين قد يقرون بها عند ما تقضي عليهم بدلا
السياسة ويفعلونها عند ما يرون انفسهم في غنى عنها

ثم ان الانكليز رتبوا على تركية معاهدة سيفر ولم يدر في خلدكم ان
هناك امة تهض من المدم الى الوجود في وجه الدول الغالبة في ابان عز
وعنجهية ظنوها وتقول لهم بلسان حالها انكم حيث نسبتم مواعيدكم باستقلا
الشعوب كل في دائرة سواده الاعظم وظهرتم قبل الظفر بمظهر وبعد الظف

بمظهر آخر واحتقرتهم بهذا القلب انفسكم فاسمحوا لنا نحن أيضا بان نحترمكم
وبان لا نخضع لقرارات مؤتمركم وبان نعامل مراكزكم المادي الناهض كما نعامل
مراكزكم الادبي الساقط وان كنتم متمهدين على ضعفنا ونجريدنا من سلاحنا
واحتلال عاصمتنا وحصر سواحلنا ووضع اليد على تجارتنا فاعلموا ان لضعفنا
حداً وان لمعجزنا امداً وان لنا سلاحاً من عزائنا وبرديقتنا وجلاء حقوقنا
ومنمة مواقفنا وسمة اراضينا ووعورة مسالكنا وقلة احتياجاتنا ومن صبرنا
على البلاء وبياتنا على اللواء وان لنا من جيم الشعوب الشرقية عضداً ومن
العالم الاسلامي ردهاً ومن طبقات العملة والاشتراكيين في جميع الدنيا حامياً
ولصيراً ومن لئين وحزبه مؤنسا وسميراً بهذا كانت تتساجى ضمائر الاتراك
وتتراسل جوائش صدورهم بعد ان علموا سوء نية الحلفاء وعملهم على القدر
بهم فقبض الله لهم من مصطفى كمال من جسم هذه الافكار افملاً والبس
هاتيك الطوالج من العمل رداء فاشعروا الا وفي الاناضول شعب يقول
لبريطانيا المظنى قتي فلن تكون ارادتك هي الاقدار الالهية ولن تبليغي السماء
طولا واتنا لقوم يزيدان نعيش كما يعيش غيرنا وان هذا الصلح الذي حملونا
عليه هو محو لوجودنا ولسانه بمقرنين وليس الحرب بأشد خطراً علينا منه
ولا الموت الذي تهددوننا به أمر في افواهنا من الصلح الذي تعدوننا به لافرق
بين الموت الاحمر والابيض فكان جواب لويد جورج بما معناه ان معاهدة
سيفر هذه آيات منزلات من السماء لن تقبل تحويلاً ولا تمديلاً ومنع الوند
التركي من الكلام وسد على لهواتهم في الحصار اولاً وثانياً ورمائم بالجيش
اليوناني تمسده الجنود الانكليزية ودوارع بريطانية المظنى وفتح لليونان
خزائن انكلترا لميرة جيوشهم وأعتادها وأباحهم من ولايتي ازميز في آسيا
وولاية ادرنه في اوربة ماشاءوا بشرط ان ينعموا له الاتراك بأخذهم اخذ
عزيز مقتدر وبحت اصوات المنود الجوس فضلاً عن المسلمين في مطالبة انكلترا
بالنصف تركية وتنابت ثوراتهم فكانوا كانوا يزيدون نار انكلترا على الترك
اجيماً وكل هذا لاسترسال لويد جورج الى كلام فزيولس بانه يسحق قوة
مصطفى كمال في ١٥ يوماً قضت سنة وشهر واليونان يهاجمون والاراك
يدافعون وقوة حكومة انقره هي الى الامام لا الى الوراء وجيش مصطفى
كمال وان أعوزة كثير مما توفر عند غيره فقد عز بعد ذلة وعمم بعد قلة وجاءته

اعتاد من هنا ومن هناك واثبت انه قوة لا يستهان بها وان الترك يحاربون في الاناضول سنين ملوا لا تنفتح انشائها على انكلترة فتق مسقطه الآجال وعجز نزول الجبال فساد لويدي جورج الى النظر في معاهدة سيفر وجوز التنقيح منها بعد ان كانت عنده آية لا تنسخ وقدأ لا يفسخ ولما رأت فرنسا وابطالية مارأتا من نبات الاتراك وصعوبة مراسيم وكانتا تعلمان ان تبسط اليونان في الاناضول لا ينفعهما في شيء وانما اليونان أصبحوا شرطة وجلاوزة (١) للانكيز على ابواب الدردنيل

وكانت ايطالية خاصة وقت منذ نهاية الحرب وقفة المنصف الممتدل البصير بالمواقف في جانب العالم الاسلامي كله فصحتا انكلترة بالمدول عن هذا العناد والرجوع الى مبادئ تخيير الامم في تعيين مصيرها غرضي لويدي جورج بقبول مندوبي انقرة في جنب مندوبي الاستانة مم انه كان ينفعهم من قبل بالمصاة ويملن بانه يستحيل بان يجلس في مؤتمر الى عصاية اشقياء فأجلسه مصيتمى كال بسيفه الى جانب «اشقيائه» واضطره الى تعديل كثير من شروطه ولكنه لما وصل الى مسألة تركية عاد لويدي جورج الى عتاده وابى بقاعدة تصويرت الاهالي وقال هذه معاهدة تقبر جوهرأ فردأ فاما ان تقبل زرها وعروتها واما ان ترفض زرها وعروتها ولم يلبث ان رأى الخلف مع اليونان فيما كان اسلف من المهادن نجاها للكبرياء البريطاني فماد يسر غور قسطنطين سرأ عما اذا كان يقدر على استئناف الهجوم ليكون السيف هو الحاسم فيما بقي تحت النزاع فأجابه قسطنطين بان الامة اليونانية ناهضة الى الحرب فهو ضا نجيها كافة اخاد حمرة الاناضول بشرط ان تمدها انكلترة بالاموال اللازمة وهكذا قر بينهما القرار وزحفت جيوش اليونان بقضها وقضيضها وجاءت بالكوك والشجر واحتلت افيون قره حصار وتباشرت ببلوغ الاوطار وتسحب الاتراك الى الوراء لا يريدون ان يصلوهم القتال الا على مقربة من قواعد حركاتهم فطن الاروام ذلك جورا وعجزا ودلفوا الى الترك طامعين في الغلبة واحتلال اسكي شهر فكانت هناك الواقعة الكبرى التي استمرت بعد حرب استمرت اسبوعا عن هزيمة اليونان الشنماء ووقوع فرقة تامة منهم في الاسر وامتلاء البطاح بالشلل قتلاهم وقالات جرحا هم وسقط اخو الملك قسطنطين (٢) وبمض القواد الكبار (١) الجلاوز الشرطي واجلم جلاوزة (٢) لم يتحقق سقوط اخو الملك

في جملة القتلى وعاد اليونان يستمدحون دول الحلفاء ويستمدونهم على الترتل
وليس في دول الحلفاء الآن من تقدر على اصراخ اليونان فإيطاليا تفرح بفشل
اليونان فراح الترتل أنفسهم وغراما لو كانت قادرة على الامداد لما اخات
كيليكييا وهي اليوم في شغل آخر من جهة المغرب وانكثرة لولم يحسها الاعياء
لما طابت نفسها باخلاء العراق ولا تركت القوقاز ولا تحفزت لاخلاء فارس
فكيف تقدر ان تبقي خزايتها مفتوحة لحكومة أثينا ودوارها مرصدة
لحماية الاروام

ولو نظرنا الى جمهوريات اذربيجان وكرجستان والطاغستان وقازان
وطاشقند والباشكرد ومارني بخاري وخيوة وكيف هبت كل من هذه
الحكومات الى ترتيب أمورها وتأثيل استقلالها بعد ان كان الروس أودوا
بقوميتها واحضوا على عصبيتها رأيت الشرق قد ركب جناحي نامة في طلب
استقلاله واستئناف مجده وقرض غبار الدلعن أقوامه وهاهي فارس التي كان
الروس والانكليز قد تقاسموها خطتين وتشطروها منطقتين ولم تجسر ان
تقف في وجه واحدة من هاتين الامتين هبت اليوم تستنجز انكثرة الرحيل
التمام عن أرضها وأعلنت الفاء المعاهدة التي كانت قيدتها بولائها كما انها نجحت
بمفاوضاتها مع الروسية السوفيتية بأنها نالت منها الاعتراف التام باستقلال
إيران وزول الروس عن كل ما كان لهم هناك من مرافق ومنافع ودبوت
ومصارف الى الحكومة الفارسية

واما مملكة افغانستان التي هابت التهور في الحرب العامة مع جميع
ضلعها الى تركية فلم تقدر ان تجيب داعيها الى الحرب وشن الفارة على الهند لم
تحمّد نيران الحرب العامة حتى جدت بها نهضة لم تكن من قبل فمبت جيوشها
واخترقت ثغور الهند ونهضت ممها قبائل شمالي الهند المشهورة بياؤها ونجدها
كالوزيرى والمسمودي وغيرهما فحدثت انكثرة لمصادمة هذه نحو ٣٠٠ الف
مقاتل وهي منذ سنتين ونصف سنة لا تقدر ان تخلي شمالي الهند من الجيوش
الحرارة المرابطة ولكن القبائل لا يمهلون شبرا حتى بناوشوها شهرا فاما
أمير الافغان فقد رضي بمادة الانكليز على شروط منها الاعتراف للافغان
بالاستقلال التام ليس في الامور الداخلية التي هو منذ الاول مستقل بها بل
في الامور الخارجية ايضا فاجابته انكثرة الى ما اراد وصارت له سفارة في

موسكو وعقد مع الروس في هذه الايام الاخيرة معاهدة على قاعدة الولاة المتبادل وامداد السرفيت له بالسلاح والمعدة واعادت روسيا له مقاطعة على حدود تركستان كان يدعيها من القديم وهو اليوم ينظم جيشه على ايدي ضباط نمانيين والماني ومن جملة من عنده احمد جمال باشا الذي اتصل بمخدمته واثناه تخيري هذه الاسطر حضر وفد افغاني الى برلين مؤلف من ثمانية اشخاص يظن ان مقصد بعثته تأسيس علاقات سياسية مع المانيا وتعيين سفير لافغانستان لديها والاستعانة بمعارف الالمان والارتفاق بصنائعهم كان عند امير الافغان معلا للسلاح أسسه منذ سنين جده المرحوم عبد الرحمن خان والامير الحالي امان الله خان ينوي تأسيس عدة معامل في بلاده وترقية المعارف والصناعات بين امته : وقد بلغنا ايضا ان في كل من أمارتي بخاري وخيوه عدد من ضباط الاتراك النمانيين يرتبون لهم امورهم ويدربون جنودهم

واذا هطفت نظرك الى شمالي افريقية الذي وان كان معدودا في الجغرافية من المغرب فهو في العلة والعرف والدين والفرس معدود من المشرق تجد ان أهالي طرابلس الغرب فازوا باستقلالهم الداخلي وأوجدوا لانفسهم حكومة ذات شخصية مستقلة وان أهالي تونس هم صوا بطلب حكومة تمثيلية معها ماطلت فرنسا فلن تقدر على منم ايجادها وان عند الجزائريين حركة وطنية لم توجد في وقت من الاوقات كما هي بعد الحرب فاما المغرب الأقصى الذي ظن الفرنسيون انه بعد الحرب العامة يستسلم الى بأس فرنسا الظافرة فقد ثار ثورة لم يتم بها اثناء الحرب وایام اشتغال فرنسا بدفع الالمان عن بلادها وعدا المائة الف جندي التي لفرنسا هناك جاء المرشال ليوتي بطلب تقوية الجيوش بتجريد ٨٠ الف جندي آخرين للفراغ من امر المغرب والله غالب على أمره وكل من يتأمل في هذه الحوادث وفيما يجري اليوم في بلاد الهند الواسعة وفيما نالته مصر يعلم ان الامم الشرقية قد نهضت من عشارها وهبت الى الاخذ بثأرها وان أمام الشرق مستقبلا عظيما سيزعج الغرب من منامه وينزله عن صهوة غروره فانه ما تم شيء الا بدا نقصه وما طار طير الا وقم وما انبسط جناح الا انقبض ولا يدوم بؤس كما لا يدوم سعد وما زال الدهر يمود كما بدا ويكرى كما أرمي (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا)

الخمر

فمن الخمر : مؤاخذه الطاعة : انزال الحر الجسدية . اضارها العقلية : اضارها الاجتماعية .
اضارها الاقتصادية : اضارها الادبية

يكنى المسلمون الخمر « أم الخبائث » وما أجدرها بهذه الكنية ، ومن أسماؤها عند العرب « الاثم » قال الشاعر

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم تعمل بالمقول

وقد حرمها بمض العرب على نفسه قبل الاسلام لقوائلها ومضارها .
ومنهم عثمان بن مظعون (رضي الله عنه) قال : لا أشرب شيئاً يذهب بعقلي ،
ويضعف علي بن من هو أدنى مني .

ثم جاء الاسلام فتدرج في التنفير منها الى تحريمها وفرض الحد على شاربيها
وقد سألوا النبي (ص) عند تحريمها فاذا فعل بالحر ؟ فقال « اهريقوها » فكانت
شوارع المدينة كجاري السيل مما أريق فيها من الخمر

وما زال العقلاء والفضلاء في بلاد الغرب يشكون من فشوها وانتشار
الامراض وقتل الوقت واضاعة المال بسببها حتى سنت الولايات المتحدة
الاميركية قانوناً في اول سنة ١٩٣٠ يحرم صنعها والاتجار بها ودفعت بما كان
مخزونها لديها الى خارج بلادها حتى خشيت كنفدة - وهي أقرب البلاد اليها -
من فشو هذه السموم في بلادها فحزمت استيراد الخمر من الخارج الا الى حد
محدود فاندلق سيل هذه الطامة الجارف الى اليابان وفشا فيها فشوها فظيعا .
وكانت حكومة روسية قبل ذلك منعت شرب نوع من الخمر يسمى « أبنت »
فحزمته فغير واحدة من دول الغرب لشدة ضرره

وربما حرمت الخمر فيها بعد في جميع الامم الغربية وناهيك بمجموعات مقاومة
المسكرات فيها ، ولكن البلاد التي تعرف بأنها اسلامية مثل مصر والشام وتونس
والجزائر لم يبد منها أية حركة ولم تنزعج أي ارتطاج لهذا الخطب الجلل

فان قلت ان هذه البلاد اسلامية ولكنها ليست بدار اسلام أي ان
حكوماتها غير اسلامية بل هي ذات شرائع غير شرعية الاسلام يتدارسها
قضاةهم ومحاموهم ويحكمون بها وليس فيها تحريم الخمر فليس لاهلها شيء من
الامر . فأقول : (ان صمم منك الهوى ارشدت لاهل) لو ازال الله على الدين

الاسلامي بقي منها بقية عند من يسمون أنفسهم علماء الدين لتوصلوا الى منع هذه الموبقات بكل وسيلة وسلكوا اليه كل طريق هل سمعت بان أحد الشيوخ طلب تعديل لأئحة أو قانون لتقويم الاخلاق؟ ألم يبلغ الملامة فلان أن ابنه الأستاذ فلان سكير؟ ألم يعلم علم الاعلام بان ربييه من أقصد الناس أخلاقاً؟ ألم يشاهدوا من أمامهم وعن أيديهم وعن فمائلهم من مفككات روابط الاخوة ومفصلات الاخلاق بسبب الحمر وغيرها من الموبقات ما لو ألقى على جبل رأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله وسوء المنقلب كيف تسمى رجال الدين في بلدة (أورنبرغ) - فيما أتذكر - ان طلبوا من الوالي الروسي بان يصدر أمراً ادارياً يحتم اقبال الحانات في نهار رمضان أيام الحكومة القيصرية - فأصدر بذلك امره بعد الاستئذان من العاصمة (بطرسبرج) وان يلقي القبض على من يرى من المسلمين مفطراً في رمضان ويؤثر به الى الامام فان انتهى بوعظه وارشاده والاسجين يوماً أو يومين. كذلك صدر الامر باقبال الحانات أيام عيد رمضان وقتئذ بطلب علماء الدين. وهذا الشرطي الفرنسي يلقي القبض على المسلم المفطر في رمضان في دمشق ورسله الى المحكمة لتقتص منه فهل طلب مشايخنا منفردين أو مجتمعين أيضاً حانة أو ماخور مما في جوار المساجد والمباني لتنفيذاً للقانون المصري الذي يحظر ذلك دع عن مطالبهم الحكومة بسن قوانين جديدة لحفظ الآداب؟ قد كان يرجى ذلك أو بعضه لو كانوا يعلمون ان مكائهم الدينية توجب عليهم ذلك من طريق الدين والادب والاقتصاد

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

الآخر مضار في الافراد والجماعات من صحية وعقلية واقتصادية وأدبية الخ وفقدنهما كل ما قل حتى من كان ولو ما بها وهانحن اولاء نذكر أثم اضرارها: -
اضرار الحمر الجسدية

(١) منها الجمول والهبوط اللذان يحدث منهما زيادة التنبه في الاعصاب وذهبان بالسكر فيتناول شيئاً من الحمر فينهض به من خوله ويرفع من هبوطه الجسدي والعقلي ولسان حاله ينشد قول أبي نواس (وداوتي بالتي كانت هي) ولكنه لا يلبث ان يمود فيتولاه الجمول والانهطاط ثانية بمحكم رد العطر بمحكم ان يعمر المدينين قال من نفسه ان أول كأس شرر

انما كانت ليزيل بها هما عراء وكل ما شر به بعدها كان ليزيل به ما اسأرت الكاس الاولى من المحوم قال المتنبي :

اذا استشفيت من داء بداء . فأقتل ما أهلك ما شفاكا

وقد سبقه الى ذلك المدمن العربي القائل

وكأس شربت على لذة . وأخرى تداويت منها بها

(٢) ومنها فساد المزاج واعتلال الصحة لانها تحدث أمراضاً مهلكة وادواء معضلة (منها) السل الرئوي الذي قيل : ان سبع الوفيات في العالم بسببه وان ستين في المئة من أموات أبناء العشرين من المسلولين ، وكأمراض الكبد والرثين والكليتين . وقد قال أحد الأطباء : ان تسعة اعشار المصابين بهذا المرض من السكرى والسكر هو السبب في مرضهم (ومنها) أمراض النخاع الشوكي والمغضلات الدموية مما يتسبب منه الرثية (الروماتيزم) وتصلب الشرايين (ومنها) فقر الدم (ومنها) تلبك المعدة لان السكر يكثر أكله ويضعف هضمه (ومنها) تمدد المعدة واسترخاؤها

اضرار الخمر للعقلية

(١) من اضرار الخمر العقلية الخمار (بوزن غراب) الذي يدعو الشارب الى المعاودة فالادمان .

(٢) ومنها فساد الاخلاق لاختلال اعتدال القوى النفسية

(٣) ومنها اختلال نظام العقل فالاعتلات من كل قيد من قيود الوفاق والحكمة .

وما أحسن ما أجاب به مجنون دماء سلطان الذي شرب الخمر ليشربها معه فقال :
« انت شربتها لتكون مثلي فأنا أشربها لاكون مثل من »

بلهجي جنون . قال ابن الوردي :

وأهجر الخمر ان كنت فتى . كيف يسمى في جنون من عقل

(٤) ومنها الذهول العصبي والنوبات الهستيرية

اضرار الخمر الاجتماعية

(١) من اضرار الخمر الاجتماعية ضعف النمل فانقراضه لان مدمني الخمر كثيرا ما يصابون بالقم ومن يلد منهم فانما يلد نسلا ضعيفا دميأ أو أبله معتوها وقد تبدأ النسب

ان اقراض الامم المتوحشة سيكون بفنك الاثرية الروحية بهم
(٢) ومنها فساد التربية المصرية لان السكر لا يلتفت الى تربية اولاده واذا
وكل امر تربية الاولاد الى المربين ذهبت مقومات الامة وتقاليدها خصوصاً
في بلاد كهده البلاد التي يقصد بتربية ناشئها الى تربية خاصة تفسخ الامة مسخاً
ونحطها بين بين فلا هي جاهلة ولا هي متعلمة ونحطها اوزاراً من زينة الاوربيين
وازياتهم تكون هي الذاهبة بمحضاتهم ومقوماتهم

(٣) ومنها سد باب النبوغ والاختراع في الصناعات والزراعة اذ ان السكر
لا يشغلهم شاغل عن مواصلة الشرب فان كان السكر من ارباب المصانع فسد نظام
مصنعه وان كان من اصحاب الارض اختل نظام زراعتها فاننا نرى كثيراً من
اهل الثراء الذين لا يعرف السكر منهم موسم أرضه ولا ماذا أصلح فيها الزرع
أو أفسدوا، ومنهم من لا يعلم من احوال ملكه شيئاً او بكل ذلك الى مدير
المعمل والسكران والجاني، وكثيراً ما ترى امثال هؤلاء من غفلة اولئك الذين
اصبحوا فقراء لم ينالوا من ثروتهم الا ما تمودوه من السكر الذي يلجئهم
الى التسول ومنهم كثير في مصر تعرفهم بسباهم نرى امثال هؤلاء وهم على
ما وصفنا

(٤) ومنها ابقاع المداوة والبفساء بين اعضاء الاسرة الواحدة وافراد الامة
مما يملك روابطها ويفت في عضدها ويحمل بأسها بينها شديداً فكم تقاطع
الاخوان وتفرق الزوجان وانقطع عقد الاخوان وعق الوالدان والاهل امر
الولدان بسبب بت الحان ؟

اضرار الحر الاقتصادية

حقاً ان داه مصر في السكرات لدوي اذ ان معدل ما يشربه المصري يزيد
على ضمني ما يشربه الفرنسي وبلاد الفرنسي تنتج له من الحر ما يشربه وتجره
في الخارج ولكن مصر لا تصدر خيراً خارج حدودها ولا تنتج ما يستهلكها
مصر الحر الاقتصادي فيها اكثر منه في كل بلد في المعمور لذلك يترى الحر
في مصر بسرعة من اضرارها الاقتصادية

(١) اسراف المدمنين فيها اسرافاً كثيراً ما ذهب بكل ما يملكون وتنسرب
اموال الامة الى البلاد الاجنبية سبب ذلك ولم يقتصر ذلك على الريم والانتاج
فحسب ولكنه تمدى الى رقة الارض فكم من المزارع - والتفابش -

والضياع - والمزب - والاباعد نحوالت الى الحاربن والقوادين من ا - ميان ،
(٢) ان المقدر ان تحريم الحور في الولايات المتحدة يوفر لاهاليها اربع مئة مليون
جنيه في السنة مما كان ينفق في الحمر ووسائنها ، اذاً ماذا يقدر ان يوفر
تحريم السكرات لاهل مصر ، انه لا يقل عن ٦١ مليون جنيه في السنة اذا قدر
ان المصري لا ينفق في سبيل الحمر أكثر من اربع جنيهات في السنة ، وانا
أرجح انه ينفق ثمان جنيهات في هذه السبيل واذا فرض صحة هذا الترجيح
فان تحريم الحمر في هذه البلاد يوفر أيضاً لاهلها ١٢٢ مليون جنيه في السنة
تضاف الي رأس مال الامة

(٢) اتباص رأس المال ، والتادي في استهلاك رأس المال هو الاتحار
الاقتصادي السباسى . وهذه حالة مفزعة ظهر أثرها في مصر ظهوراً بيناً . نعم
اذا بحثت في أسباب ذهاب الثروة وانتقال الاموال النابتة الى الاجانب فلا ترى
الا سبباً واحداً هو الحمر وهي رسول الميسر وداعيته - اذ قد ترى سكيراً
غير مقامر - فظهر مصداق قوله تعالى (فيهما اثم كبير) وأي اثم اكبر من
هذا الاثم الذي هو محلبة خسران الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين
(٣) ومنها استهلاك معظم الانتاج وبعض رأس المال وتسربه الى الخارج
البلد وأي انحطاط اقتصادي أدنى من هذا الانحطاط

اضرارها الادبية

(١) من اضرارها الادبية : ذهاب الحشمة والوقار فان السكير لا قيمة له
بين أهله وولده وحشمة وجبرانه

(٢) ومنها قتل الوقت في الحانات وتوالى الشراب وذلك مما يذهب
بالاحترام الشخصي ويخل بالمسكاة الادبية.

(٣) ٤ - ذهاب الحياء والسد عن ذكر الله وعن الصلاة . ولا حياء لمن
لا دين له ولا دين لمن لا صلاة له وذكر الله جلالة القلب ونور الروح ومعصباح المدخل ما

لم أرد بهذه المجاملة أن أضيف الى الممار بحثاً أهمه فقد أنغى المنذر على
المهلكات - ومنها الحمر - من أول نشأته وأبعد ما أذكره ما في العدد رابع
في ص ٨٨١ - ٨٩٠ وفي ص ٨٩٢ وأقر ٥٠٩ في الجرة الثاني من العدد -

صالح بخلص رضا

شذرات أدبية*

١ - آداب الكتابة

أو المداواة والافتاح

كان محمد بن حازم الشاعر جار سميد بن حميد (١) الكاتب الطوسي فهجاه
لامر كان بينهما فبلغ سميد هجوه فاغضى عنه مع القدرة ثم ان محمداً ساءت حاله
فتحول من جواره فبلغ ابن حميد ذلك فبعث اليه عشرة آلاف درهم ونحوها
نياب وفرسا بآلته ومملوكا وجارية وكتب اليه « ذو الادب يحمله ظرفه على امت
الشيء بغير هيئة ، وتبعته قدرته على وصفه بغير حليته ، ولم يكن ما شاع من
هجائك في جاريا الا هذا الجري . وقد بلغني من سوء حالك وشدة خللك ما لا
غضاضة به عليك مع كبر همك وعظم نفسك ، ونحن شركاء فيما ملكنا ومتساوون
فيما نحت أيدينا ، وقد بعث اليك بما جملته وان قل ، استفتحا لما بعمده وان جل »
فرد ابن حازم جريمه ولم يقبل منه شيئا وكتب اليه

وفعلت بي فعل الماهل اذ غمر الفرزدق بالندى والدر
فبعثت بالاموال ترغيني كلا ورب الشعم والوتر
لا أقبل النماء من رجل ألبسته عارا على الدهر

٢ - آداب المماشرة

اني لهجرتي الصديق تجنبيا فأريه أن طهجرة أسبابا
وأخاف ان عاتبتة أغريته فأرى له ترك المتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متغافل يدعو الخال من الامور صوابا

* (سميد شقيقنا السيد صالح غلص رضا

(١) سميد بن حميد ويكنى ابا عثمان وكان ، يدعي أنه من أولاد منوك
الفرس له من الكتب اوصاف المعجم من العرب ويعرف بالتسوية ، ودبوان رسائل
ودبوان شعر صغير وهو شاعر أديب مترسل عذب الالفاظ مقدم في صناعته
جيد المرفة حتى قال بعض الفضلاء : لو قيل لكلام سميد وشعره ارجع الى
أهلكت لما كان منه شوه

أوليته مني السكوت وربما كان السكوت من الجواب جوابا
الناثي* الاصغر (١)

٣ - التقويم العجيب

لمح كوكبا وأبدعنا والتفت ربما فإن عداك اسمها لم تمدك السبا
وجه أهر وجيد زانه جيد وقامه تجعل الخطى تقوينا
يا من تجعل عن التشبيه صورته أأنت مثلت روح الحسن نجيبا
لوشاهدتك النصارى في مسابدها ممثلا ربمت فيك الاقانيا
حبوبي (٢)

٤ - ومنه في وصف من

ونا ظبيا وقضى عندليبيا ولاح شقائقنا ومضى قضيبا
بعض الشعراء في عصر النعماني (٣)
- ومنه

بدت قرأ ومالت خطوط باز وفاحت عنبراً ورنّت غزالا
المتنبى (٤)

٦ - ومن الابداع في هذا

ويبيض بالمناظ الميون كأنما هززن سبورفا وأستلن خناجرا
تصدن لي يوما بمنمرج اللوى فغادرن قلبي بالتصير فادرا
سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ومن غصوناً والتفتن جاذرا
وأطلعن في الاجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب ضرائر
الراهمي (٥)

٧ - الانحياز الى المدوعداوة

إذا المرء عادى من يودك صدره وكان لمن عاداك خدنا مصافيا

(١) هو أبو الحسن إعلی بن عبد الله بن وصيف المعروف بالناثي* الاصغر الشاعر
المشهور وهو من الشعراء المحسنين له في أهل البيت قصائد كثيرة توفي سنة ٣٦٦
(٢) محمد سعيد حبوبي توفي في القرن الثالث عشر (٣) عبد الملك بن محمد بن
اسماعيل النيسابوري النعماني صاحب اليتيمة توفي سنة ٣٢٩ (٤) احمد بن
الحسين المتنبى قتل سنة ٣٥٤ (٥) الراهمي هو علي بن اسحاق بن خلف
البغدادي المعروف بالراهمي توفي سنة ٣٥٤

فلا تألن عما لديه فإنه هو الداء لا ينفي بذلك خافيا
صمصمة بن ناجية

واحد من مسمم فقال

٨ - اذا صافى صديق من تمادى فقد عاداك وانقطع الرجاء

٩ - رثاء بردوب

كان للهدهد بن عبد الملك رذون اشهب لم ير مثله فراهة وحسنا فسمى ساع
الى المعتصم ووصف له فراشته فيمت المعتصم اليه فأحده منه فقال ابن عبد
الملك يريته

كيف المزاء وقد مضى لسبيله عنا فودعنا الاحم الاشهب
ومنها فالآن اذ كملت اذاتك كلها ودعا الميرون اليك لون مصعب
واختير من سر الحدائد خيرها لك خالصا ومن الحلي الاغرب
وغدوت طنان الحديد كأننا في كل عضو منك صنع يضرب
وكأن سرجك اذ علاك غمامة وكأننا تحت القمامة كوكب
ورأى علي بك الصديق جلاله وغدا المدور وصدره يتلهب
ومنها اضمرت منك اليأس حين رأيتني وقوى حبالي من فوقك تقضب
ورجعت حين رجعت منك بحسرة لله ما فعل الاحم الاشهب

١٠ - توافق الخاطرين ، بين الشاعرين

خرج جرير والفرزدق مرتدفين على ناقه الى هشام بن عبد الملك الاموي
وهو يومئذ بالرصافة، فنزل جرير لقضاء حاجة فجعلت الناقة تلتفت ففصر بها
الفرزدق وقال :-

الام تلتف بين وانت تحتي وخير الناس كلهم أمامي

مضى رزدي الرصافة بسترشي من التمجير والدبر الدوامي

ثم قال : الآن يأتي جرير فأشده مدين البيتين فيقول :

تلتفت انها تحت ابن قين الى الكيرين والفأس الكهام

مضى ترد الرصافة نحر فيها ككزيك في المواسم كل عام

جاء جرير والفرزدق بشحك ، فقال : ما يضحكك يا أبا فراس ؟ فأشده

البيتين الاولين فأشده جرير البيتين الآخرين ، فقال الفرزدق : والله لقد

قلت هذا . فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد ؟ (ينه)

باب انتقال المنار

رد جريدة القبلة

على الحقائق الجلية في القضية العربية

نشرنا في الجزء السادس من المنار ذلك المقال المطول في تلخيص حقائق المسألة العربية فكتب احد المتلقين لامراء مكة في جريدة الاهرام يؤاخذنا على نشر ذلك المقال الذي زعم الثقة بمن اتخذهم هو وأمثاله زعماء العرب مشايخ السياسة الانكليزية التي سخرتهم لمساعدتها على تفويض صرح اكبر دولة اسلامية يمتز بها المسلمون في مشارق الارض ومفاربها والثأر للملك الانكليز قلب الاسد ومن كان معه من العليبيين من المسلمين، وفتح القدس واستعمار سائر بلاد العرب . ولم يستطع هذا الكاتب ان ينقض قضية أو يكذب كلمة من مقالنا وانما كانت مقالته عبارة عن لوم وتثريب، وتهكم وأكاذيب، زعم فيها أن صاحب المنار ادعى انه كان في دمشق ثاني الملك فيصل وان المؤتمر السوري كان آلة يده... ولوصح أن المقال كان يتضمن هذه الدعوى وأنها دعوى باطلة لما كان ذلك بدافع شيئاً من انكارنا على امراء مكة ما أنكرناه عليهم باسم الشرع والدين والمصلحة العربية

وقد كان من جنابة ذلك الكاتب على زعمائه الذين أراد الدفاع عنهم أنه حملنا وجل غيرنا على كتابة مقالات في المسألة العربية ونشرها في تلك الجريدة اليومية التي يقرأها الوف من الناس لا يقرأون المنار فصرفوا جنابة أولئك الامراء على الاسلام والعرب وانه لا يملك أحد من أشياعهم أن ينقض من الحقائق التي أثبتتها المنار شيئاً .

ثم اتنا طلعنا على العدد ٥١٠ من جريدة القبلة التي تصدرها حكومة الحجاز في مكة المكرمة الذي صدر في ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٩ فرأينا في صدره مقالة في الرد علينا مكتوبة بذلك القلم المعروف لكل المطلعين على تلك الجريدة بانفائه الغريب فرأيناها كما كتب اليها بعض من اطلع عليها قلنا ونحن في مدينة (جنيف) من بلاد سويسرة من أوربة اذ قال: «وجدناها بمكان صحيح من الصحافة يكفي في الرد عليها نشرها» فرأينا ان ننشرها ونرد عليها وان كان رأي صاحب هذه الصبارة صحيحاً لان سائلهم حريصة القبلة منه ورد

مفتون بكل مايكتبه فينبغي ان يزه قيمة ماكتب بما فيه عبرة وفائدة لقراء المنار » وهذا نصها :

أعجبي أم صربي ٢١

تحقق لدينا في هذا الاسبوع — احتدام غيظ وغضب وعداوة وبغضاء مولانا . . . ومصباح ظلامنا . . . رشيد رضا — على سيدنا مولانا المتقذ وأنجالة مما رأيناه في عدد (١٣٥٠٠) من « اهرامنا » الاغرم من كثرته بالتنديد المعلوم الشكل والماعية !

وعليه فلا يسمن أن تأتي بشيء في الموضوع الا يائنا بأن الروابط التي يزمها حضرته نجملنا لسترحم دواطف مدارك ارشادات كلالته المغفور والصنح . . . ولا نطن أن عظم جريمة . . . سيدنا المتقذ وأنجالة في نظره — ينسبه : « الكاظمين الفيظ والمافين عن الناس » أنه ان المنظمة والكبرياء والمدارك والاحاطات التي وصف بها ذاته المعظمة وحصرها في شخصه وتميزه دون سواء بتلك الفضائل . . . والجلال . . . — تأتي سهامتها المبادأة بأبسط من ذلك التمريض « الذي هو على طرفي نقيض » حتى بالاجاب فضلا عن تزعم أنك من عنصرهم وهذا لانك أنه من نجابة دستور شعور تلك السجاياء والمزايا . . .

ومع ذا فلا نطن أن نجابة دستور ذلك الشعور تحظر علينا أن نسائل مولانا (الذي أفهمتنا يائاته المذكورة بكل صراحة أنه أصبح اليوم مرشد الامة الاوحد . . . وعادها الفرد الاحبذ . . .) أولا : أهو صربي أم أعجبي ؟ . . . واذا كان الاول فلا يسائل وثائته الى الفخيدة التي يريد أن ينسب اليها . . . وسؤالنا هذا هو ليتضاعف قدره . . . وتترادف كبرياء

عظمته... لدينا ليس الا

ولا بأس أن نشفع طالبنا هذا بقولنا: ان نجابة شعور ذلك الدساور
تقضي علينا أيضاً بأن نكتفي من البحث في الموضوع بما أوردته أحدهم رائنا
الافاضل مما ادرجته « القبلة » في عددها الذي قبل المدد الملتحي المتضمن
الرد على عداء مصباح الظلام ومرشد الانام بقوله :

(يعرض الاستاذ بأرائنا في شؤون المسألة السورية فذوق له :
عساه ان يتأمل مواقفهم وأعمالهم الناتجة باخراجهم « بقدرة الباري »
للجنرال ليمان فون سندرس وما ادرالك ما سندرس من سورية ويطبقها
على نتائج موافق حضرته التي أدت الى تسليم تلك البلاد للجنرال غورو.
ولا يمكن الشيخ رشيد رضا أن ينكر هذا وهو القائل بأنه كان الأمر
الناهي في دمشق بولي من يشاء ويمزل من يشاء من الوزراء ويقرب
من يشاء ويبعد من يشاء الخ) انتهى

فاذا تأمل رشيد بل وكل متأمل — هاتين النتيجتين اللتين جمعنا
قأومنا القضية من مبدأها الى منتهاها بمد تطبيقها ومقايستهما على ما ذكر
— تظهر الخلاصة الجوهرية التاريخية التي يريدها الشيخ رشيد بقوله :
(الحقائق الجلية في تاريخ القضية المربية) : عنوان مقالة تنديده بإسادتنا
فهل وراء اخراج سادتنا وقادتنا على مرأى من حضرته والعالم
لسندرس وألمانيته ، وادخال مولانا الاستاذ ومبادئه كما ذكر لغورو
وافرنسيته — حقائق تاريخية عن سوريقتنا وحوادثها ، أو غل يقتضي
بحث أي مؤرخ فيها ، ربنا لا فضلنا بمد اذ هديتنا

لاندرى وأبيكم كيف فات على تلك المقامة وكبرياتهم بأن الكثير حتى

من الباطل ما في اظهار تلك المظلمة والاثانية لهذا المبدأ والبغضاء
ومصارحتها به اثر ما يزعمه المبشرون عن كيفية الاعتداء على صديقنا
غورو وجعلهم يحكمون بأن تلك المظاهر بالتمريض والنيل من أشبالنا^(١)
وسرانا هو فصل من تلك النصول وقلة من تلك الحقول... فلينأمله !!
أما بحثه عن عدائنا للترك فقد أجاب عنه طليعنا في عدد (١٢٥٠٤)
من امرامنا بقوله للشيخ رشيد :

(لقد أخطأت في اشارتك على جلالة ملك الحجاز «حسب تصريحك
الاخير» «بمداوة» الاتحاديين التي أدت الى محاربتهم وهذه أدت لمحاربة
الترك لكون الامة الترككية كانت تأتمر بأمر الاتحاديين ولم يكن
بالامكان سوى ذلك فهل لا سيد الاستاذ ان يبرهن عما اذا كانت المداوة
لا تؤدي الى المحسومة والمحسومة الى القتال سيما اذا كان ذلك بين عنصرين
وفي زمن خرج كل من الذي سافر فيه الاستاذ الى الحجاز أثناء الحرب
العامة وما حمل جلاله ملك الحجاز لمناوئهم الا ما كان يسمعه عن ظلم
جمال وقتله خيرة أبناء سورية وما كنتم تكتبونه في المنار من التحريض
مضد الاتحاديين بمد عودتكم من الاستانة وما كان يذكره في الجرائد
المرية طلاب الاصلاح في سورية. فعل ما فعل ولكن الظروف الاخيرة
عاكسته وتحلى عنه حلقاؤه بمد ان داسوا حقوق الشعوب الضعيفة ولم
يراعوا عدوا وعودا فالتقوة القاهرة اليوم لاتمنع امة بأسرها من المطالبة
بحقها المشروع والذود عنه يوما ما) انتهى

ومع هذا فلا بأس من ان نشفع ذلك بقولنا ايضا: انه يعز علينا أن

أناية تلك العظمة والكبرياء تنقض اليوم ما دلت به بالأمس فإن منارنا... ومظهر نخارنا... كما أنه موجود لدينا - ضروري أنه موجود أيضا لدى كثير من قرائه فإنه مشتمل على الفارات الشمواء التي شها مولانا على الترك بما هو معلوم

ومع ذلك فلا بد أن عناك دواعي... وأسبابها... لهذا التخليط والتخبط والتفريط لا تدركها إلا أناية تلك العظمة والكبرياء... غير أننا والحالة هذه نلتصم احاطة مداركها ارشاد العالم الى من يجب أن يتعمده الآن: أم يقتدون بأنقرة أم القسطنطينية؟ والله يهدي من يشاء الى الصراط المستقيم

ويحسن بنا أن نلفت أنظار المتأملين والمدققين - الى ما نقله البرقيات الأخيرة وكثير من الصحف عن عزم الكمالين على اخلاء انقرة وانتقالهم الى قيصريه - ليطبقوا هذا النبا على السمعجال الشيخ رشيد بقصره النخل يوم في مباحته النديدية بسادتنا في كنفاء الزعامة وقيامهم بشؤونها ولا نظن (ان صح تركهم لانقرة) الا انه لا فرق بين ذلك وبين تسليمك يامولانا لدمشق - اه كلام جريدة القبلة بنصه السليم وعسلطتها الممروفة (المنار)

لو أردنا أن نرد على كل ما في هذه المقالة من الخطأ والحلل التبرغي والافغري والسياسي لشفطنا قراء المنار زمناً طويلاً بمسائل يفضلون جميع مباحث المنار عليها فنكتفي اذا بما نراه مفيداً من ذلك

عجز سياسي القبلة أو سائسها أن ينقض شيئاً من «الحقائق الجلية» التي أثبتناها في مقالنا التاريخي فخصره الانكار والزاد علينا بما ورد في مقالته يتضمن الاعتراف بتلك الحقائق كالمسبق لنعمه الذي رد علينا في الاحرام، فما أوردنا ينحصر في مسألتين مبتكرتين، ومسألتين منقولتين

اما المسألتان اللتان جادت بهما فريحة سأس القبلة وقلما يصدر مثلها الا من ذلك الفكر القريب ، والدماع المخالف لسائر أدمغة البشر في التركيب ، فأولاهما بالتقديم ما أشار اليه بعنوان المقالة : أعجبي ام عربي !
انكار جريدة القبلة لكون صاحب المنار عربيا

شرح سأس القبلة هذا العنوان بما صرح فيه باخراجنا من الامة العربية والحاق نسبنا بالاعاجم والظاهر انهم يعني بهم الترك الذين انكرنا عليه عداوته لم يحاربهم اياهم تولى للانكاز ولنا في هذه المسألة اباحت :

(١) اذا كان يعني ان صاحب المنار تركي الاصل أو غير عربي بدليل ما كان من غيرته على الدولة العثمانية فأكثر مسلمي الارض من عرب وعجم اترك لانهم يناركون صاحب المنار في رأيه وشموره في الامة التركية والدولة العثمانية حتى اهل الحجاز وفي مقدمتهم الشرفاء فقد علمنا بالخبر وخبر النقات أن أكثرهم قد ساءه الخروج على الترك وسقوط حكومتهم وانهم يفضلونها على حكومتهم الحاضرة ولكنهم لا يستطيعون التصريح بذلك الا لمن يشقون بأنه لا يفشي لحاكمهم المطلق (٢) اذا كان من ينتصر لقوم ويدافع عنهم ولو بالحجة والبرهان لا يكون الا

من المشاركين لم في نسبهم فا القول فيمن ينتصر لقوم باللسان ، والسيف والسنان ، وبحارب أهل دينه ويخرج على سلطانه وخليفته ويتولاهم عليه ؟ أليس هو الاول بأن يمد منهم ان لم يكن بالنسب فبقوله تعالى (ومن يتولهم منهم فانه منهم) (٣) بعد ان خاطب سأس القبلة صاحب المنار بقوله « تزعم انك من

عنصرهم » اي العرب سأله سؤال تعجيز : أهو عربي ام عجمي ؟ (قال) « وان كان الاول فليسلسل وناقته الى الفخيزة التي يريد ان ينتهي اليها » — تأمل قوله يريد ان ينتهي اليها : فيا ليت شمري هل القاعدة عند من يريدون ان يتولوا ملك العرب الا يعتمدوا بمرية احد الا اذا جاءهم بوثائق سلسلة الى الفخذ او الفخيزة التي ينتهون اليها او يريدون الانتماء اليها ؟ أم ذلك خاص بأهل الحضارة من عرب سورية والمراق وامثالها كعرب المغرب الادنى والافصى ؟

(٤) ان سأس القبلة يعلم اننا ننتمي الى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويريد ان يطمن في نسبنا طمناً بليغاً باخراجنا من الامة العربية بامرها جهلا منه بدينه وبنفسه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطمن في النسب والنياحة على الميت » رواه احمد في مسنده ومسلم في

صحيحة. والمراد أن ذلك من أعمال الكفر والجاهلية. ونحن قد ذكر لنا بعض أهل بيوتات مكة ما هو مشهور فيها من أن بعض كبار أمراءها... قد ثبت بطلان نسب في المحكمة الشرعية بشهادة الشهود لدى القاضي الشرعي بأن أمه - وهي مملوكة بالطريقة المروفة اليوم وهي غير شرعية غالباً - دخلت بيت أبيه وهي حامل به ووضعت قبل أن يتم لها في داره أقل مدة الحمل الشرعية وحكم القاضي بذلك. فقلنا لكنه يدعي النسب الملوي وحكم الشرع أن الناس مأمورون على أنسابهم وأن الطعن في النسب من عمل الجاهلية ونحن لم نعلم على الحكم الشرعي الذي تذكرونه ، فإن هذا لا بد الشرعي من جرأة سائس القبلة وعدم مبالاة بالشرع والدين ؟

(٥) يقول سائس القبلة متعجباً كما دته أنه سأل صاحب المنار عن الوثائق المذكورة ولتضاعف قدره... وترادف كبرياء عظمته... لديه أي بالتحفيضة الخفيفة التي يريد الانهاء إليها. وجوابه أن صاحب المنار على كونه شريف النسب وعنده وثائق وحميم أهل قريته (القلوب) ما عدا الله خلاه... وهم قليلون معروفون - شرافه ونسبهم متواتر في بلادهم يضرب به المثل فيقال: سيد شريف من القلوب - وذكرهم بعض المصنفين وعلى كونه هو أشهرهم في ذلك حتى إذا أطلق لقب «السيد» عند أهل العلم والأدب والوجاهة في طرابلس وبيروت ينصرف إليه - لم يفتخر يوماً من الأيام بنسبه لا قولاً ولا كتابة (*) فهو يدع الكبرياء والاعجاب بالنسب لمن حرموا من هداية الشرع وآدابه ومن الفضائل الذاتية فلم يمجّدوا ولم يفتخروا يتكبرون به على الناس إلا الانهاء إلى أولئك الآباء الذين كرمهم الله تعالى بالعلم والهدى لا بمجرد النسب ، فأبرهنا أخو حمزة والعباس رضي الله عنهما. وقد قال الله تعالى (يأيتها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) (*) قد رد علينا ما يحفظه بعض الأدباء من قولنا في القصيدة الشرفية التي

نظمناها كسائر شعرائنا في الهداة زمن طلب العلم

مطلقات لحول الشعر قاصرة عنها كقصيدة النهم البريدي
تطوى قصائدهم ملي السجل إذا ما ساجلت شعر كندي وعبيدي
رثت من فصحاء الهاشمية أن تنثر ومن لسن النسل الحسيني
والجواب أن هذا نظر بالفصاحة لم يقصد به الفخر بالنسب بل تم بمصدر من
الفخر الأسلوب ، على أننا نستغفر الله منه ومن مثله في قصيدة الجاذبية

ان انكم عند الله اتقام ان الله عالم خير) وقد روى الترمذي في جامعه وغير من حديث ابن عمر أن النبي (ص) طاف يوم الفتح على راحته يستلم الاركاذ فيمجنه فلما خرج لم يمجده مشا فترل على ايدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال « الحمد لله الذي اذهب عنكم غيبة الجاهلية وتكبرها بأبائها، النار وتجلان برتقي كريم على الله وفانجر شقي هين على الله والناس، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب، قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر واثى وجعلناكم شعوبا - الى قوله - خير) والاحاديث في هذا الباب كثيرة

لعم ان صاحب المار لا يعد شرف النسب سبباً للكبرياء كغيره بل يرى ان للكبرياء سبباً واحداً وهو شعور المتكبر بهانة يحاول احقاقها بتكلف اظهار همسه كبيراً، على انه لو كان يفاخر بعلم او نسب لما كان يخجل بأن يكون من المعطاء في نظر سائس القبله بعد أن علم من حاله ومن المعطاء في نظره ما علم الكبر غمط الحق واحتقار الناس كما عرفه سيد العرفاء (ص) وصاحب المار يحمده الله تعالى ان وفقه للخضوع للحق والاعتراف به ولو على نفسه وقومه وهو يطالب أهل العلم والرأي بمناره في كل سنة ان يبينوا له ما لعله اخطأ فيه الحق ليرحم الية. ولم يجمعه كن لا يتجراً أحد على مراجعته في خطأ ديني ولا سياسي حتى انه حرف بعض آيات القرآن لفظاً ومعنى وكذب على الرسول فهاجزاه اليه من الموضوعات وقد أرشدنا بعض محرري القبله الى تنبيهه فلم يتجرؤا بعد ان جربوا النصيح والتنبيه فأهينوا وهو يحتقر العلم والعلماء ومن فوقه من السادة والامراء (٦) لو صدق سائس جريدة القبله ومحاميه الدكتور طليم في زعمهما أن صاحب المار قد افتخر بأنه كان في دمشق ثاني الملك بكونه رئيس المؤتمر السوري العام الذي كان يمثل الامه وله صفة ما يسميه علماء السياسة بالجمعية التأسيسية لما كان أبعد عن الصواب وأحق بالتقدم من جريدة القبله وسائسها بما نشر فيها من الغرض والتبجح بقول التيس ان البريطانيين حاولوا البحث عن بدل للسلطنة العثمانية البالية فوجدوا أبداً لا ذكرت التيس منهم العرب وفلسطين الجديدة وأرمينية الجديدة. فمثل سائس القبله هذا القول نفراً للعرب الذين اتحل لنفسه حق تمثيلهم بمثل قوله « فان على مثل هذا يتناس المتنافسون، فمثلهم فليحمل الماء لوز » فجعل قول التيس بالنسبة الى شخص بها كذاب الله تعالى بقاءه في دار كرامته بصيغة الحصر فقال مشيراً الى ما دل عليه ما قبله من الخلود في النعم المقيم والامن الدائم

من المذئاب (ان هذا هو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العالمون) يخالف سائس القبة كتاب الله تعالى وجعل رضا الانكليز المستنظم من اشراكهم للعرب أو الحجاز مع اليهود والصهيونيين والارمن في اوث ملك الدولة العثمانية هو الفوز العظيم الذي يجب أن يصل له العالمون دون سواء كما يعمل المؤمنون المتقون لنيل رضا الله تعالى والخلود في دار كرامته . ومثل هذا يقال أيضا في تمثله بقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

ويؤيد هذا ما هو أغرب منه في الاخلاص للانكليز وهو ما قاله ملك الحجاز نفسه في كتاب لنائب ملك الانكليز بمصر ونشره صرارا في جريدة القبة افتخارا وتبجيحا به لحسانه أنه من آيات الله الكبرى وأنه يبرئه مما يرميه به المسلمون وهو أنه بعد أن أدلى بإخلاصه واخلاص اولاده « الذين لا تقيرهم الطوارئ والاهواء » لبريطانية العظمى وطلبها بانجاز ما كان يطلبه منها لاجل نهوض بالحروج على دولته وقتالها معها أو تعيين بلد يقيمون فيه ليسافروا في اول فرصة اليه — وبعد أن صرح بأنه لا يقبل من مؤتمر الصلح أن يقرر له شيئا من دونها — قال ما نصه « ولو قرر المؤتمر المذكور أضاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فكن (كذا) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اهـ بنصه

ولم نعهد قبل هذا ان احدا من البشر اختار لنفسه ان يذل ويغزى لخلق يحمل المبودية تحت ظل سلطانه خيرا من كل ما يتصور من رضوان الله ونعمته في الآخرة أو مثله وخيرا من الحرية والاستقلال المطلق في الدنيا فان « المقررات » التي يطالب ملك الحجاز الانكليز بتنفيذها عبارة عن تأليف انكلترة حكومة عربية له تتولى هي صيانتها والمحافظة عليها في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تصد بأي شكل حتى الدسائس الداخلية واعتداء الحاسدين له من امراء العرب كما صرح به في كتابه الذي كتبه الى نائب الملك في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٣ وهو الكتاب الذي يسميه « مقررات النهضة » وهو الآن يقول ان مؤتمر الصلح لو قرر له الاستقلال التام المطلق من قيود تأليف الانكليز لحكومته وحفظها له في داخليتها وحماية حدودها ومن غير ان تكون البصرة « تحت اشغال المظلة البريطانية » كما اقترح من تلقاء نفسه — وفلسطين لليهود الصهيونيين وسورية للفرنسيين كما

لوقر انه « مؤثر السبع » بل هذا بدون وسامة « العظمة البريطانية » وقبله يكون
 « مطروداً » من رحمة الله تعالى كما ليس لعمته الله « ومن المعلوم أن « العظمة البريطانية »
 لم تنفذ تلك المقررات التي جعلت تمديدها سبباً موجباً لخروجه مع أولاده من
 الحجاز أو بلاد العرب الى حيث تختار لهم العظمة البريطانية ، وهي لا تختار لهم
 الا الامكنة التي هم فيها طامعون لا ينفعونها في سواها .

شهادة سائس الحجاز بالكاليين

والمسألة الثانية مما انفرد به سائس جريدة القبلة في الرد علينا هي الخامسة من
 صاحب المنار « ارشاد العالم الى من يجب أن يتبعوه الآن : أم يقتدون بأقربة
 أم القسطنطينية ؟ » وفقى على هذا السؤال بذكر ما نقلته البرقيات من عزم الكاليين
 على اخلاء أنقرة ليظهر للناس خطأ صاحب المنار بتقويمهم . ونفضيهم . على
 زعماء الحجاز يعني انهم غلبوا على أمرهم ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً ، وطالما
 أظهرت جريدة القبلة الشهادة بهم . وجوابنا أننا نحمد الله تعالى أننا لم نر هذه
 الشهادة بالترك وسرور سائس جريدة القبلة بانتصار الصليب على الهلال
 كسروره من قبل فتح القدس وبغداد ودمشق الا بعد ان نصر الله الكاليين
 على اليونان وأقصوهم عن أنقرة مذهومين مدحورين ، ولعلم سائس القبلة أن
 العالم الاسلامي لا يحتاج الى مرشد يرشده الى من يقتدي به من فريق القسطنطينية
 وأنقرة ، فعقيدة المسلمين الدينية وشعورهم الاسلامي خير مرشد يرشدهم الى ضد
 ما تفهم به جريدة القبلة المخالفة للرأي العام لاهل القبلة ، وهم يعلمون أنه لا
 خلاف بين أنقرة والاستانة في نفس الامر وانما ابتليت القسطنطينية بالاحتلال
 الاجنبي فقامت أسود أنقرة بواجب الدفاع عنها مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في
 سبيل انقاذ بلادهم كما . وسلمان خايفة منهم من السيطرة الاجنبية التي يفتخر سائس
 القبلة وحكومته الحجازية بالخضوع لها طوعاً واختياراً بمثل ما نقلناه عنها أننا ،
 نعم ان الاستانة خدعت أولاً بدسائس الاجانب فوجد فيها من عد الكاليين
 عصاة ولم يكن ذلك مثيلاً للعالم الاسلامي الى زعماء الحجاز الذين اختاروا لانفسهم
 ان يكونوا آلات لا ولت الاجانب ولكن الاستانة لم تلبث ان ثابت الى مرشدنا
 وعرفت للكاليين فضلم عليها وعانق مندوبها في لندن مندوب أنقرة . أليس
 صاحب المنار صادقاً في حكمه بان زعماء أنقرة سجدوا لأمتهم الاسلامية لا لشعبهم
 التركي وحده الهنسل والعنار وزعماء الحجاز سجدوا على انفسهم وأعوانهم ؟

هل اخراج الترك من سورية مفخرة للمعاز

وأما المسألان اللذان قالا ولي نهما نقلتهما جريدة القبلة عن نصير عاوي اذ رجماء
الحجازم الذين أجرجوا القائد الألماني الذي كان أحد قواد جيش الدولة العثمانية
من سورية الخ وجوا ابتاعها على فرض التسليم أتنا لمدعها من أعظم التكببات التي أسابت
العرب والاسلام بشؤونهم بملبهم هذه البلاد وغيرها من الدولة الاسلامية التي
جعلت لاهلها من الحقوق في الدولة مثلا للترك فيها ليحل محلهم فيها الانكليز
واليهود والصهيوتيون والفرنسيين وحالة أهل البلاد منهم مرووفة. ولكن سائس
القبلة وذكوتوره من طائفة الدروز ومن أيده كرياض أفندي الصباح من طائفة أهل
السنة من المسلمين يفضلون أخذ الافرنج للارض المقدسة والارض المباركة
(سورية) على سلطان الترك هلبها ويخالفهم في ذلك العالم الاسلامي كله والسواد
الاعظم من أهل سورية حتى النصارى الكاثوليك كما يعلم ذلك المختبرون لحال
البلاد ، ولقد قلت في شهر مارس سنة ١٩٢٠ لموسيو رويير دوكيه فاموس
الجنرال غورو أخبرني رجل من أشهر انصاركم واعلمهم بحال البلاد انه لو خير
أهل لبنان حتى الموارنة منهم بينكم وبين الترك لفضل الترك عليكم ثمانون في
المئة من أنصاركم الموارنة فما القول بغيرهم؟ فقال اتنا نعلم شيئا من هذا ولكن
دون هذه النسبة. وقد قرأنا من قبل في جريدة القبلة ١٠٠٠ لا يتشاءم فيه سائسا
من انتصار الكالكين على اليونان وينبه الانكليز الى ما فيه من الخطر على سورية
ويعرض حكومته لتلافي هذا الخطر ، ولما أشيع خبر استيلاء اليونان على مدينة
لقرة - وكنا في مدينة حنيف بسويسرة - اظهر رياض أفندي الصباح السرور
وعله بأن انتصار الترك ربما يقضي الى زحفهم على سورية ؟ قلت وهل تفضل
الفرنسيين على الترك قال نعم انه يفضل عليهم حتى الفرنسيين واليونان ، وتفضيله
للانكليز بالاولى ، نعم انه لا يفضل ذلك على الاستقلال ؛ ولو أن سورية نالت
الاستقلال بما يفتخرون به مما ذكر لكان لهم أن يفخروا ولما نوزعوا في
القصر ولو باطلا كما ينازعون به بعد هذه العاقبة السوءى لعمامهم المبني على
الفساد من أول يوم

من سلم دمشق لفرنسة ؟

هذا وان من الحلي الذين أن تبجح سائس جريدة القبلة بتلاوا اقرارا باخراج

العثمانيين من سورية هو نصر صريح بانهم كانوا هم الذين فتحوها للانكليز والفرنسيين الذين اقتسموا الولايات العربية العثمانية في اثناء الحرب، وقد هنأهم ملك الحجاز بهذا الفتح المبين. ثم أن شبله الملك فيصل بذل جهده لجعل سورية للانكليز وحدهم باسم الانتداب المبتدع فلما أعلموه بالقسمة اتفق مع موسيو كلمنصو على إقناع سورية الشمالية بالانتداب الفرنسي فكان صاحب المنار في طليعة المعارضين له قبل عقد المؤتمر السوري العام ثم وانتخابه رئيساً له وبعد ذلك وهو لم يستطع قول انذار الجنرال غورو والخضوع للانتداب الذي سيم خسفه الا بعد تعطيل المؤتمر، وقد صرح في البرقية التي أرسلها الى الجنرال أنه قبل الانتداب بالرغم من ارادة الامة وعرض نفسه وحكومته للخطر، ومن المعلوم أن المؤتمر كان اكبر ممثل للامة لانه هو الذي أعلن الاستقلال ونصب فيصل ملكاً باسم الامة فاذا كان سائس القبلة ينكر هذا او يعاري فيه فانتا تنشر نصوص البرقيات التي ارسلها الملك فيصل الى الجنرال غورو وما احتف بها من الحوادث خصوصاً اتهام فيصل للمؤتمر بانه قرر خيائته وقتله وما خاطبته به في هذه المسألة وغيرها اليس من غرائب شؤون البشر ان يقول المالمون بهذه الحقائق ان صاحب المنار هو الذي ادت موافقه الى تسليم البلاد الى الجنرال غورو انهم يملون ذلك بزعمهم تهكاً أنه ادعى انه كان هو الأسر الناهي في دمشق يولي من يشاء ويعزل من يشاء وهل يمكن ان يصل احد الى سمه نفسه بمثل هذا الا بخذلان من الله من حمل أمير مكة على الثورة

وأما المسألة الثانية مما نقلته القبلة عن نصيرها وهي زعم الدكتور طليع الذي ارتضاه سائس القبلة - ان صاحب المنار اشار على ملك الحجاز بمداوة الاتحاديين فأفضت المداوة الى قتال الترك لأن امر الدولة كان بأيدي الاتحاديين - فهي تضليل ظاهر وافك بين فان صاحب المنار انما ذهب الى الحجاز حاجاً بعد خروج امير مكة عن الدولة وقتاله اياها واستماتته عليها بالدولة البريطانية التي ابنته بأساطيلها وبيعض الجيود المصرية وبذلك غلبت الحامية العثمانية التي كانت بمجدة ومكة والشائف وفي تلك الاثناء نصحتنا له بما اشترنا الى بعضه في بعض المقالات تحت اشراق المراقبة الثقيلة على الممار وصرحنا ببعضه في مقالة الحقائق الجلية واهمه التحذير من عداة الامة التركية وان يكون من أسباب سقوط الدولة العثمانية، وان يحصر عداوته في خطة الاتحاديين الطورانية، وانكار قسوة جمال الوحشية، حتى

يبقى للصلح بينه وبين الدولة موضع كما صرحت بذلك في خطبتي التاريخية في احتفال العيد بمنى واظهر لي القبول وكان هذا ممكناً

وبعد العودة الى مصر انكرت في رحلة الحجاز على بعض الشبان الذين ذهبوا الى الحجاز امتهان الدين، وفصلت عليهم من كنا ننكر عليهم من الاتحاديين، فبادرت الحكومة الحجازية الى عقابنا على هذا بمنع مجلة المنار من دخول الحجاز، ثم استرسلت في اعمالها السياسية والحربية بما كنا ننكره عليها ولا نستطيع مقاومتها بقول صريح، ولقد استفربنا اقرار سائس القبة ما ذكر من حذف نصيره والحامي عنه ولا سيما زعمه انه «ما حمل جلالة ملك الحجاز لنا واثبتهم (١) الاكذبا وكذبا. قهلي كان امير مكة يقرأ مقالات المنار في الانكار على الاتحاديين وكانت عنده من الاسباب التي حملته على موالاة انكثرة وساعدتها على قتال الدولة العثمانية» أم كان ذلك بفعل الدسائس والجنبيات الانكليزية؟

كلا ان ما كتبناه في الانكار على ما اتاه بعض الاتحاديين المارقين قد كان مقايمة ونصراً لجمعية علماء الاستانة وللحزاب العثمانية المخالفة لهم من حيث هم حزب سياسي لم يقدر المركز الديني للدولة حق قدره وقتن بالمصيبة الطوارانية حتى كان جميع المتدينين خصوما له وان لم تظهر لهم حقيقة الغلاة من زعمائه الا بالتدريج، ولم يكن في شيء من ذلك تحريض على الترك ولا على الدولة بل كان انتصاراً لها. وقد علمت في أوربة أن السواد الاعظم في الاستانة والاناضول صار خصماً لاولئك الغلاة وانتصروا بالنكبة بهم بعد انتهاء الحرب. ونحمد الله تعالى ان ظهر للجميع خطأ تلك المصيبة الجاهلية التي أنكرناها عليهم واجمعوا على صحة رأينا، وسنبين ذلك في الرحلة الاوربية ان شاء الله تعالى

﴿تنبيه﴾ افترى الدكتور طليم علينا ما شايته عليه جريدة القبة من زعمه اننا كنا نحرض على الترك وان ذلك كان من اسباب خروج أمراء الحجاز عليهم وغرضهما من ذلك معروف جلي. والافلياً تورنا بنس من المنار يؤيد زعمهما. كما افترى علينا الدكتور طليم بأننا كنا مؤيدين لملك الحجاز في عداوته وقتاله للترك الى عهد قريب. والصواب اننا كنا في أول العهد بالثورة غير مطلعين على دخالها وأسبابها فظننا انه يمكننا أن نوقفها عند حد ما يسميه المناطقة قضية مائة الملو وهو اما ان تنفع واما ألا نضر وبدلنا ما استطعنا من النصح في هذه السبيل، وقد راينا كلام الرجل في مكة وان سرح في حفلة من العامة

جهرا بأنه لم يبرأ أحد عن رايه من غير تواؤ قبل خيلبتنا في تلك الحفلة. ونحن نذيل هذا الرد بنس بلاغ حكومة الحجاز الرسمي. منع المنار من الحجاز الذي منعنا المرافية من نشره في أيام الحرب . وهذا نصه منقولاً عن عدد ٧٨ من جريدة القبلة الذي صدر في ٢٣ رجب سنة ١٣٣٥

منع مجلة المنار

من البلاد العربية الهاشمية

جاءنا من وكالة الداخلية البلاغ الآتي :

«ان ماورد في مجلة المنار (عدد ٦ : مجلد ١٩ ، الصادر في محروية معبر في ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٣٥) من التعريض بمن قدم اليها من ابناء العرب والتعامل عليهم لانتعبره الحكومة العربية الهاشمية الا مقصوداً به الحسط والتبيل منها ، اذ ان الافاضل النجباء المشار اليهم اجل وارفع من ان تنسبهم شائبة مما رميهم به المجلة المذكورة كما هو معلوم ، وانهم لاذنب لهم في حياة الشيخ المعروفة الا انصاهم الى حكومتنا العربية ، ولا جريمة تستلزم غيظه وغضبه على حكومتنا — وهي لم يرض عليها الوقت الكافي لاحتدام هذا الفيز والفضب — الا ما عساه ان يكون مما اشير اليه في الكتاب المرسل للفاضل الاجل حضرة رفيق بك المظم الذي توجه الى مراجعته انظار الافاضل من انصار الحقيقة (١)

وان هذه الحطة نذكرنا بكلمة المرحوم المبرور الشيخ علي يوسف وقد اختصر واوجز عند ما اريد اسقاط مؤيده في دمشق فقال « انهم لم يرفعوا المؤيد حتى يسقطوه » (٢)

ولما كان مسلك الحكومة العربية الهاشمية يخالف ما كان من هذا النوع

(١) المنار : اننا لم نطلع على ذلك الكتاب الى اليوم ولم نكتب ما كتبنا يومئذ ولا أمس واليوم الا لما يجب من بيان الحق والنصح لخلق (٢) نقول بمناسبة هذه العبارة ان منع الحكومة الحجازية للمنار كانت زيادة في رفعة قدره وحطة قدرها وثمة الحمد وهذا القول الرسمي يكذب دوى كون كلامنا كان من اسباب الثورة الحجازية

من المناقشات الناشئة عن الاغراض النفسانية التي تأبأها شيم قوميتنا وشهامة
امتنا، فتلافيا لضرر ما صدر من حفرة الشيخ صاحب المنار في هذا الباب
امام الامم والشمس لاسيا في الآونة الحاضرة، ودوره ألاما ينطوي تحت التجادي
في ذلك من المساوي المغيرة لشعار عنصرنا الشريف قد تقرر مع دخول تلك
الجملة الى الممالك الهاشمية (١). وقد ابلغ ذلك لمدير صوم دوائر البرق والبريد
ومديري الجمارك في التنفور. وهذا اول وآخر جواب تعدد الحكومة
لكل ما كتب ويكتب من هذا القبيل اه

تقرير المطبوعات (*)

مجلة علمية صحراية اخلاقية يحررها نخبة من افضل الكتاب مدعائها ٢٤ بطبع
الفجر. فلما صدر والشمس مرة واحدة وتطبع على ورق جيد طبعا نظيفا
واذ لهما (يبيع اقلية عدد ٣٥ بنوس اوفية الاشتراك بها سنون فرنسا ويمكن الاشتراك
بواسطة مكتبة المنار بدمر

صدر الجزء الاول من المجلد الثاني من هذه المجلدة منم بالمقالات النافعة
والنبد المفيدة مما برهن على مضي المجلدة في سبيلها القويم وذكر في صدر هذا
الجزء ان المجلدة فتحت باب الانتقاد والتقرير وتقدم المؤلفات الحديثة وانها عزمت
على نشرها في

بشر عبادي الذين يستمرون القول
فيتمون أحسن أولئك الذين هدانا الله
وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى ٥ وبنار ٥ كنفار الطريق —

٢٩ صفر ١٣٤٠ - ٧ المقرب (خ ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢١

فتاوى المنار

فصنعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المتتركن خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ولشروط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرسل الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لخل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لإغفاله

بسم الله من جاوه

(س ١٥ - ١٧) من صحبس بالامضاء المجهم في ذيله

تعلق بالربا في القراطيس المالية والفلوس النحاسية وصندوق التوفير

حضرة مولاي الاستاذ العلامة المفضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاخر زاده الله فضلاً وكرماً . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد كلفني عدد من الدقلاء أن ارفعهم الى حضرتكم اسئلة آتية ارجو من فضلكم الجواب عنها وهي :

- (١) اعطى رجل رجلاً آخر ديناً قدره عشر رويات هولندية من فضة وشروط عليه أن يدفع له خمس عشرة روية من القراطيس المالية الهولندية، قال عالم من العلماء الجاويين (الملاويين) المدرسين في مكة المكرمة : هذا جائز فان بيع القراطيس المالية بالرويات الفضية مع زيادة احدها على الآخر جائز وليس في ذلك ربا - بخلاف ما اذا بيع قرطاس من هذه القراطيس بخمسة مع زيادة فانه لا يجوز كبيع الدرهم بالدرهمين ، فهل هذا القول صحيح أم لا ؟
- (٢) عندنا فلوس نحاسية هولندية تساوي مئتين من روية واحدة هولندية فهل يجوز لنا أن نبيع روية من هذه الرويات بمئة وعشرين من هذه الفلوس أم لا ، قال العالم الجاوي : انه يجوز وعليه يقاس بيع القراطيس المالية بالرويات مع زيادة احدها على الآخر وهل هذا القول صحيح أم لا ؟
- (٣) يوجد عندنا ما يسمى « فوستربانك » Posts paribank وضعته

الحكومة الهولندية لا بداع من النقد يريد توفيره والنقد مستر بهت لا يقبل أكثر من الفين وخمسين روية يودع فيه . وكل من أودع ماله فيه نحو سنة زاده عليه زيادة وله أن يسترد منه ما شاء ومتى شاء — فهل يجوز لنا أن نودع مالهنا فيه . وتأخذ الزيادة أم يجوز لنا ابداع مالهنا فيه فقط ويحرم علينا أخذ الزيادة ؟ وهذه الزيادة ليست بكثيرة وانما هي نحو اثنتين أو ثلاث في المئة . هذه هي الاسئلة المرجو من علمكم الجواب عنها جواباً شافياً ولكم منا الشكر والتثناء الجليل ، ومن الله الاجر الجزيل . (سائلون)

تجس تحريراً ٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٩

جواب المنار

قد سبق لنا فتاوى في هذه المسائل وأمثالها منها فتوى في الاوراق المالية المسماة بالانواط أو (بنك نوت) وبمحت الزكاة والربا فيها (ص ٥١ م ٥) وفتوى في بيع الدين بالنقد والاوراق المالية وهل هي تقرد أم لا (٥٣٨ م ٩) وفتوى في صندوق التوفير (ص ٧١٧ م ٦ و ٢٨ م ٧) وغير ذلك . ومذهب المنار في أمثال هذه المسائل المدنية أن يرأى فيها أس الشارع وحكمة التشريع والقواعد العامة ولا سيما القلبي منها كالتيسر ودفع المخرج والعتق ونفي الضرر والضرار وجلب المصالح ودفع المفاسد ، فيجتمع هذه الدلائل فتفي في الوقائع المستحدثة التي لم تكن في العصر الاول وتكتفي في الجواب الاجمالي هنا الاحالة على ما تقدم

حكم لانواط في البيع والدين

(المسألة الاولى) استدامة عشر رويات هولندية من الفضة بخمس عشرة روية من القراطيس المالية الهولندية . هذه القراطيس سندات أو حوالات من الحكومة الهولندية بدين ثلثها لحاملها من الرويات الفضية . فهي ليست عروض تجارية لها قيمة نقدية ولكن لما حرم النقد الربوي وان لم تكن فضية لان حاملها يأخذها ما يقدره من نقد النقد . فيمكن ان الدائن في الواقعة المذكورة ان يبيعها لمدين خذ هؤلاء العشر الرويات بشرط أن تعطى بها حوالة على فلان الذي المالى اوى خمس عشرة . فهل يصح أن يقال في مثل هذه الصورة ان الدائن اشترى من المدين ورقة بعشر رويات من الفضة ليدفعه وان الورق غير

روبي فلا يشترط أن يباع مثلاً نخل ولا يدا بيد لا اختلاف الجنس ، ما أظن أن ذلك المدرس الجاوي يقول بجواز هذا فإذا صدق ظني فبماذا يفرق بين الصورتين ؟ قد يقول هذه القرائيس المالية الدولية قد تنقص قيمتها بالنقد الفضي والذهبي مما التزم بها من روبيات أو قروش أو جنيهات فتباع بما دونها كما هو واقع اليوم في القرائيس (الأنواع) النسوية والألمانية والفرنسية وغيرها فيها ما يباع بنصف القيمة وما يباع بخمسها أو سبعمها أو أدنى من ذلك أو أكثر فهذا صارت من قبيل عروض التجارة — ونقول إن هذا النقص في قيمة الأنواع لا يكون من الحكومة التي أصدرتها في بلادها وإنما يمرض في التعامل بين الأجانب وشبهه أن الثقة المالية بالدول تقوى وتضعف أحياناً كالثقة بالأفراد بما يمرض لها من العجز عن دفع كل ما عليها من الدين فيلجئ بعض من يده سند أو حوالة على مثل هذه الدولة أن يبيعه بما دون القيمة المرقومة في السند أو الحوالة إذا لم يكن يستطيع معاملة هذه الدولة بها أو انتظار عودة الثقة المالية التي تمكنها من الوفاء بما التزمت من دفع هذه القيمة وتحمل الناس على تداول قرائيسها (أنواعها) بقيمتها كالمال ، ومنثل هذه الحالة لا تصدق على مثل الحكومة الهولندية في بلادها ومستعمراتها فإن قرائيسها المالية لا تنقص عن القيمة المرقومة فيها من الروبيات الفضية ، فإذا أخذ الدائن من المدين في التنازل المثل عنهما طناً بخمسة عشرة روية فإنه يمكنه أن يأخذ من الحكومة هذا المبلغ من الفضة أو يدفعه لأي مصلحة من مصالحها بهذه الفضة فإذا كان عليه دين للحكومة فباته منه خزيتها وإذا دفعه لمصلحة البريد أو مصلحة الجمارك أو صندوق التوفير فأنها لا تفرق بينه وبين الفضة البتة ، وإنما قد يفرق بينها في البلاد الأجنبية التي لا تتعامل قرائيس هذه الدولة ولا فضتها بحسب الأحوال التي أشرنا إليها آنفاً

وإذا سلم أن هذه القرائيس من قبيل عروض التجارة امتنع فيها الربا في جميع مذاهب الفقهاء لأنها ليست من النقد ولا من أصول الأقوات التي ورد بها النص ولا مما ألحق بها قياساً فتعمد روية عند أهل الحديث وفقهاء ولا من المكيلات ولا من الموزونات فتعمد روية عند أهل الرأي ، فكيف منع زيادة أحد الموضين فيها إجماع أكيم الذهب بالذهب والفضة بالفضة أو البر بالبر فظهر بهذا أن رأي ذلك المدرس على كونه غير مطابق للواقع يؤدي إلى

أباحه الربا الذي لاشك فيه حتى في دار الاسلام بين أهله وبذهب بمحكمة الشرع في تحريمه وهو تماطف الناس وزراهم وتماونهم في اوقات العسرة كما أنه يتوسل به الى منع الزكاة أيضا

بيع الفلوس النحاسية بالفضة

وأما المسألة الثانية وهي مسألة الفلوس النحاسية فقول العالم الجاوي فيها هو عين مذهب الشافعية الذي يتقلده مسلمو جاوه فهو مصيب فيه ولكنه محط في قياس القراطيس المالية عليه لأنها سندت أو حوالات بنقد ربوي، ولو كانت هذه الفلوس حمدة في النقد لجعل لها حكم الذهب والفضة بالقياس الجلي أو أقوى النص، وليست كذلك بل جعلت لاجل ضبط كسورها والتعامل بها قليل ومحصور ما نضره كل دولة منها في بلادها فلو نقل الى بلاد اخرى لا يتعامل به ولا يباع بقيمة النقد ولا بقيمة معدنه لو كان آنية بخلاف تقود النقطة فانها تباع في كل قطر لا يتعامل أهله بها بقيمة معدنه. وما قلناه في هذه الفلوس هو المتعين في القوت الغالب اذا لم يكن من الاقوات التي ورد بها النص

صناديق التوفير والفرق بين دار الاسلام وغيرها

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة صندوق التوفير فهي عامة في جميع الممالك الاوربية وما على نسقها من البلاد كصر، وقد أجازته جماعة من علماء المذاهب الازهريين وأفتى به مفتي الديار المصرية بعد تطبيق استغلال مصلحة البريد المصرية للاموال الموقرة فيه على بعض احكام الشرعات الشرعية كما بيناه في المنار

مراجعوا ذلك في المجلدين السادس والسابع

وزيدكم على ذلك أن علماء الازهر نظروا في ذلك وأقروا ما أقروه فيه يطلب أمير البلاد بناء على اعتبارهم أنها بحسب حالها الشرعية دار اسلام، وكان ذلك قبل الحرب الاخيرة ووضع مصر تحت الحماية الاجنبية التي لا يمترون بها ببصة عشر عاما، وبلاد جاوه ليست دار اسلام ولا تجري فيها المعاملات المالية على الشريعة الاسلامية فلا يجب على المسلم فيها أن يلتزم في هذه المعاملات مع الحكومة الهولندية أو الشركات الهولندية أو الافراد احكام شريعته في الربا وعقود البيع والاجارة والقروض وغيرها بل يحل له أن يأخذ من أموالهم ما تنبجه له شرائعهم وقوانينهم وما كان يتراض منه ومنهم دون ما كان بخيانة

ثم ان الربا انما يتحقق في عرف الفقهاء بالمقد الذي يشترط فيه من بمطري
لمال أن يأخذ عليه ربها معيناً ، فمن أقرض رجلاً ما لا يقبر عقد ولا شرط
فردده اليه وزاده من غير اشتراط زيادة كان ذلك حلالاً ، وقد ثبت في الحديث
الصحيح استمحاب ذلك كما بين في عمله من صحيح البخاري وغيره ، وحديث:
كل قرض جر منفعة فهو ربا غير صحيح كما بينا ذلك من قبل

فعلم بهذا أن للجاليين وامثالهم عدة وجوه لوضع شيء من أموالهم في
صندوق التوفير الذي وضعت حكومتهم وأخذ الربح منها . وهذه وضع المال
في مصارفهم المالية وأخذ الربح منها كما يفعل مسلمو الصين . وما يبعث العجب
من حال كثير من المسلمين أنهم قد اختاروا لا تقسم بل يسلم الدين مقولاً بالثروة
أنهم يقتضوا المال من الاوربيين بالربا ولا يقترضون ويودعوا أموالهم في
مصارفهم (البنوك) ليستفوها ولا يستطيعون لا تقسم ان يشاركهم في شيء
من ربها . ومعنى هذا أنهم يفهمون من دينهم أنه اباح لهم ان يتلقوا ثروتهم
ويطعموها للاجانب حتى الفاسخين منهم لبلادهم باسم الفتحة والاستثمار او باسم
آخر وحرّم عليهم أن يتفقوا بشيء منهم ولو كان رضاهم وبعض غرة ما أعطوهم
من المال . وأعجب من هذا أن منهم من يشكو من شرع دينه ويزعم
انه لا ينطبق على مصلحة الامة في هذا العصر وان تركه الى شرائع تلك الامة
أنتم لم ! وانما الامر بهذا ذلك ففائدة الشرع الاسلامي أنه لا أحرام الا ما
كان ضاراً ومنه اضاعه المال ، ولو عرف المسلمون حقيقة شرعهم والتزموا
أحكامه لكانوا أغنى الامة وأعزها ولما اضاعوا ملكهم وملككم ، وانما اضاعوها
بجهل وترك العمل به ، والذنب الاكبر في هذا على علمائهم الجامدين ، وحكامهم
الجاهلين أو المارقين .

هذا وان على المسلمين أن يراعوا في غير دار الاسلام أحكام دينهم وحكمه
فيما بينهم حتى في المعاملات فلا يباح للومر منهم أن يقسو على المحتاج اذا
اقترض منه فيستغل ضرورته أو حاجته بما تبيح له قوانين البلاد من الربا .
والفرق بين هذا وبين ربح صندوق التوفير والمصارف المالية عظيم جداً فان
الربا انما حرم في دار الاسلام لضرره كما علته تعالى بقوله (وان تبتم فلا كـ
ره وس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وليس في أخذ الربح من صندوق
التوفير والمصارف ظلم لاحد ولا قسوة على محتاج حتى في دار الاسلام . وقد
فصلنا القول في الربا هذا في تفسير آية آل عمران فيه فليراجع

بحث لغوي

في براءة القرآن الشريف عن بعض الالفاظ الاعجمية

تتمة مقالة احمد بك كمال

(١١) زبر الكتاب — اي كتبه وزاد في مفردات الراغب كتابة فليظة والزبر الكتاب جمه زبور والزبور الكتاب بمعنى المزبور اي المكتوب جمه زبر (بضمين) وغلب على مزامير داود النبي والملك والتزيرة الخط والكتابة مصدر زبر قال الاصمعي سمعت أعرابياً يقول انا اعرف زبرتي اي خطي وكتابي، والمزير القلم، وبما ان مادة زبر وذبر وسمركلها واحدة بمعنى كتب قد تنوع لفظها في العربية وفي النصوص المصرية ايضا فلا حاجة لآخراجها من العربية وانتسابها الى المعجمة بدون مسوغ لغوي

(١٢) سفر الكتاب — كتبه والسافر الكتاب جمه سفرة (بفتحين ككتبة) يقال والسفرة السكرام اي الكتبة والسفر الكتاب الكبير وقيل هو جزء من اجزاء التوراة، تقول (١) حطمني طول ممارسة الاسفار وكثرة مدارسة الاسفار

(١٣) زبر الكتاب ذبراً كتبه ونقله — وقرأه قراءة حقيقة وقيل سرية ومنه ما احسن ما يذبر الكتاب أي يقرأه ولا يتمكث فيه والشئ علمه وفقه فيه وذبر الكتاب تذكيراً قبل ذبره والذابر المتقن للعلم والذبر الكتاب جمه ذابر كقولهم «على عرصات كالذابر نواطق» (٢) وتوب مذبر منمنم يمانية — والكلمة مصرية قديمة دونها ارمان في مفرداته المصرية (الصحيفة ١٤) ونقرأ سبر والسين تقلب ذالا وزايا والباء فاء فيقال ذبر وزبر وسفر وهذا القلب والاببدال له اصول متبعة في اللفتين المصرية والعربية والسبب فيه تعدد القبائل ولهجاتها فاللغة المصرية وهي الاسل للغة العربية (٣) شاملة لالفاظ مختلفة اللهجة باختلاف لهجات القبائل

(١٤) سبط جمعها أسباط — ولد الولد ومن اليهود كالقبيلة من العرب

(١) هذا من سجمات أساس البلاغة (٢) الصواب * على عرصات كالذابر النواطق * والبيت لذي الرمة وأوله أقول لنفسي وإفما عند مشرف (٣) هذا رأي الكاتب والصواب عندنا المكس فالعربية هي الاصل كما بينا ذلك من قبل

وفي القرآن الشريف (وقطعنا ثم اثنتي عشرة اسباطاً) (١) اي امة وجماعة وقد يستعمل للقبيلة من العرب . والسبط كلمة مصرية قديمة وجدت مذكورة في نصائح يثاغ حبيب حيث قال ما تعريية : —

« ان المنذور لله الساكن ساوا ليس للاسباط فيه يد »

ومعنى ذلك ان الرجل النقي لله الساكن في موطن لا يجعل للاسباط يداً اليه اي سبباً لاذيته كما انها ذكرت في كتاب المولى وعلى جدران مقبرة (أمست) بمعنى ما جاءت به في العربية فهي اذن عربية لوجودها في المصرية ايضاً وقد خصصت في المصرية باشارات مؤيدة لمفناها اي رسم بعدها رجل وامرأة معصومان بعلامة الجمع مما يثبت معنى الكلمة فهي اذن عربية لا عجمية

(١٥) يصبر — في قوله تعالى : (٢) يصبر به ما في بطونهم (الحج - ٢٢ : ٢٠) أي يخرج بلسان اهل المغرب وقد بينا ان اهل المغرب هم (اعناء التحفو) وان لغتهم لغة الاعناء وهي اصل اللغة العربية فالكلمة اذن عربية وقد وردت في القاموس المحيط من مادة صبر يقال صبرته الشمس أي صهرته بالحاء بمعنى طبعته وصهر الشيء أذاباً فانصهر فهو صبر والصبر بالفتح الحار (٣) والاذابة كالامطار الخ : وقد وردت هذه المادة في المصرية بهذا المعنى فهي اذن عربية (١٦) مجوس — في قوله تعالى : (والنصارى والمجوس) كلمة اعجمية فارسية

تدل في الاصل على قبيلة من ميديا يظهر انها كانت على دين تلك البلاد ثم التي كانت تسمد النار فاشتهرت هذه الديانة بعدئذ باسم مجوس ثم اطلق اسم المجوس على كهنة الديانة المجوسية واطلقه من بعدهم العرب على الديانة المزدية وكان للمجوس مدن خاصة لهم منها اكنبان وهي مدينة في نهاية حدود الترس هذا وان اصحاب الاسكندر ادركوا المجوس وهم بوظائف كهنوتية — ومن المحتمل أن تكون مجوس من اصل طوراني دخلت في كلدة وعلى كل حال فهي اسم علم لا يتغير ذكر في القرآن الشريف بلفظه فتأمل

(١٧) بيع — بيع مفرداً بيعة ذكرت في قوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع . الحج - ٢٢ : ٢٠) قال الشيخ رحمه الله البيعة فارسية مصرية الخ . أما البيعة فهي من بايعة مبايعة اذا شرط معه على شيء

(١) النص السليم (اسباط ائمة) فاعلم بدل من اسباط (٢) ضبطت في المقتطف :

يصبروا في بطونهم) وهو غلط فاحش

أو اتفق معه على امر أو سلم له في امر أو اعترف له بالرياسة والولاية فليقبل
 بحمل الاعتراف باداء الفرائض الدينية من عبادة وصلاة فهي كالمسجد أو الجامع
 من حيث اداء الصلوات فيها . وقد ذكرت في المصرية بيحاً وذلك في ورق
 ابوت (١٦١) المؤشر عليها بحد ١٠٢٢١ وهي محفوظة في متحف انكتر
 وفسرها الانريون بالجبانة ولكني اصرفها الى معنى المبد كما يفهم من سياق
 الكلام في الورقة المذكورة
 احمد كمال

القياس في العربية

المقالة الثانية في قياس التمثيل

ذكرت فيما صاف أنني اريد بقياس التمثيل الحاق نوع من الكلم بنوع آخر
 في حكم . وهو ما يمينه بمض النحاة في قولهم : ان اللغة لا تثبت بالقياس
 يأخذ النحاة بقياس التمثيل لاثبات اصل الحكم ، وكثيراً ما يرجعون
 اليه في تأييد المذهب بعد بناءه على السماع . وهذا ابو حيان الذي هو أشد
 النحاة وقوفاً عند حد السماع وأسرعهم الى محاربة من يمول على هذا الفن من
 القياس قد ينظر اليه في بعض الاحيان كما قال : ان الناصب لاداء فعل شرط
 قياساً على سائر ادوات الشرط . وقال في سياق الكلام على الجملة المنفية حين
 تقم حالاً : والمنفية بان - لا أخفضه من كلام العرب والقياس يقتضي جواز
 نحو جاء زيد ان يدري كيف الطريق ، قياساً على وقوعه خبراً في حديث دفن
 ان يدري كم صلى »

ويدور البحث في هذا المطلب على تحقيق المقتضي للقياس ثم شروط صحته

المقتضي للقياس

يقيس النحاة بعض أنواع الكلم على بعض اذا انعقد بينهما شبه في المعنى
 أو في اللفظ أو في العمل أو اشتراكا في الالة التي يقع في ظنهم أن الحكم قائم عليهم
 والعلل التي يقول الباحثون في المربية ان العرب راعوها وبنيت عليهم
 احكام الفاظها ترجم الى قسمن (احدهما) ما يقرب مأخذة ويتلقاه النظر بانقبوا
 كما وجهوا تمهريك بعض الحروف الساكنة بالتخلص من التقاء الساكنين وعلو
 حذف احد الحرفين المتماثلين بطلب الحفنة

(ثانيهما) ما يكون من قبيل الفرضيات التي لا تستقيم ان ترددها على قائلها كما انك لا تضعها بمحل العلم او الظن القريب منه . وهذا كما قالوا في وجه بناءه قبل وبعد اذا قطعنا عن الاضافة لفظا « انها شابهت الحرف في احتياجها الى معنى المحذوف فاذا قلت ان العلة عند ذكر المضاف اليه ثابتة فلماذا لم يرتبط بها أثرها وهو حكم البناء ؟ قالوا ظهور الاضافة التي هي من خواص الاسماء ابعداها عن شبه الحرف فمادت الى اصلها الذي هو الاعراب . فان قلت ما بالهم بنوا «اي» الموصولة فيها اذا اضافوها في اللفظ وحذفوا صدر صلتها ؟ اجابوك بانهم انزلوا المضاف اليه منزلة صدر العلة فصار في حكم المقطوع عن الاضافة . ولا يملك بعد هذا الا ان تنفض ثوبك من غبار هذه المجادلة وتنفصل عنها وليس في يدك اثارة من علم . وقد ذكر ابو حيان تماثيلهم لاختصاص ضمير المتكلم بالضم وضمير المخاطب بالفتح وضمير المخاطبة بالكسر ثم قال هذه التماثيل لا يحتاج اليها لانهما تعليل وضميات ، والوضميات لا تملل .
والذي ينبغي عليه البحث في هذا الباب ما كان من قبيل القسم الاول اذ هو الذي تستقيم معه الاقيسة الصحيحة

شروط صحة القياس

اذا تتبعنا ما يتشبه به القادحون في مسائل هذا الضرب من القياس رأينا ان يدور على ثلاثة وجوه (أحدها) بيان الفرق بين المقيس والمقيس عليه (ثانيها) الاختلاف في حكم المقيس عليه (ثالثها) مخالفة حكم المقيس عليه للاصول . فالقياس مع الفارق كما أجاز بعضهم تقديم الفعل المنفي بان قائل ان لن اضرب نفسي لسا ضرب فكما جاز زيدا سا ضرب جاز زيدا لن اضرب . وما كان من المنكرين لهذا القياس سوى أن تعرضوا للتفريق بين السين ولن بأن حرف النفي يقتضي الصدارة في الجملة التي يدخلها وذلك معنى يمتاز به دون حرف التنفيس والقياس على المختلف فيه كما الحق الكوفيون فعل التمجيب بفعل التفضيل في جواز بناءه من لوني البياض والسواد . وقد رده البصريون بانه قياس على مختلف فيه اذ لم لا يوافقون على صوغ اسم التفضيل من الالوان وكأنهم نحووا في هذا المبحث منحنى القياس الفقهي ، وقد ذهب فريق من الاصوليين الى صحة القياس على المختلف فيه لانه - وان لم يكن دليلا مسلما عند المخالف -

يصلح أن يكون مستنداً لمن يتقرر عنده حكم الاصل بحجة راجحة
والقياس على ماخالف القياس كما قال الكسائي لا يقتصر في الظروف الواردة
اسماء افعاله نحو عليك واليك على ما ورد في الرواية بل يجوز أن يقاس عليها
غيرها مما لم يرد به سماع . وطمع البصريون في هذا المذهب بأن تلك الظروف
وقعت موقع الاسماء على خلاف اصلها ، وما جاء على خلاف الاصول لا يصح
القياس عليه بحال . وأجاز ابن مالك جمع جم بالواو والنون مع اعترافه بأنه لم
يسمع فقال ابو حيان ان اجازته لذلك انما هو بالقياس على أب وينبغي أن
يتمنع لان جمع اب وارد على وجه الشذوذ فلا يصح القياس عليه
والتحقيق ان الاصول التي يجيء الحكم على خلافها تتفاوت في القوة
والضعف فالاصل الذي يمنع من الزيادة — وهو ان الانطاف انما وضمت لافادة
المماضي — أقوى من الاصل الذي يمنع من تقديم المصنوع على العامل ولهذا كانت
مخالفة العرب لقانون تقديم العامل أكثر من مخالفتهم لقانون النعم من الزيادة ،
فيترجح امتناع زيادة كان في صدر الكلام أو آخره قياساً على زيادتها في الوسط ،
وليس من التمسيد جواز تقديم الخبر في باب زال الناسخة قياساً على تقديم المصنوع
الثابت على خلاف القياس

المقالة الثالثة في المباحث المشتركة

القياس في الاتصال

خصت العرب بمض الادوات بالدخول على انواع من الكلم لا تتجاوزها
مثل الاسماء تختص بحروف الجر والنداء ، والمضارع يختص بنحو لم وي ،
وأثبت بعضها دائراً بين نوعين نحو هل وهمزة الاستفهام يوصلان بالاسماء
والافعال ، وان ولو الشرطيتين يدخلان على الافعال الماضية والمستقبلية . فاذا
وردت كلمة من امثال هذه الادوات مقرونة بنوع خاص من الكلم فليس لنا
ان نخرج به عن دائرة السماع ، ومثال هذا لما الحينية انما جاءت موصولة بالفعل
الماضي فلا يسوغ لنا ان نلصق بها فعلاً مضارعاً كما صنع ابن ابي حجة في قوله
والنبت يضبطها بشكل معرب لما يزيد الطير في التلحين
واذا دارت الكلمة في كلام العرب بصورة المضارع ولم تأت في الرواية
موصولة بال المعرفة قطعاً فليس لنا أن نقلعها عن الاضافة ونصلها بأداة التمرير

مثل لفظ كل وبعض وغير

فان قال قائل أن هذا الحجر يقتضي أن لا تدخل ال على اسم الا اذا سمع اتصالها به في التصحيح من كلام العرب ، ومن المنسذر أن يتبع واضع القاعدة جميع الاسماء العربية ليتحقق هل نطقوا بها مقرونة بال أم لا . فالجواب ان لا ندعي أن هذه الكلمات لم يستثنها النحاة الا بعد أن أتوا على جميع المفردات مفرداً مفرداً ، وانما جاء استثناءؤها من جهة انها دائرة على السنة الفصحاه بكثرة حتى لا تكاد تمر بقصيدة أو خطبة أو محاوره دون أن يفترضك شيء منها ، فقدم استعمالها موصولة بأداة التعريف مم إرادهم لها في جل مخاطبتهم دليل على أنهم التزموا قطعها عن هذه الاداة : ولا يسوغ لنا إلحاق الكلمة بأشباهها متى شهد الاستعمال بعدم اجرائها على القاعدة

وعلى هذا التحرير يجري القول في الاسماء التي قصروها على حالة دلالاتها التي قال صاحب اصلاح المنطق وغيره انها لا تستعمل الا في سياق النفي وهي احد وعرب وديار واخوانها . وينتظم في هذا الصدد الاسماء المختصة بالاضافة الى المضمرات كوحده ولبي ودوالي وسمدي

وصفة المقال ان الكلمة اذا وردت مقرونة بلفظ معين أو نوع خاص فلا بد من النظر في حال استعمالها فان كثرت دورانها في اقوال الفصحاه وغيرهم ولم يبدلوا عن وصلها بذلك اللفظ المميز أو النوع الخاص وقفنا عند استعمالهم ، ولا يسعنا الخروج عن حالتها في الرواية . واذا لم تكن شائئة في فنون الخطابات فانه يسوغ لنا أن نتصرف فيها فنقرنها بغير ذلك اللفظ وتحمدي بها مكان الرواية حيث لم يقيم الدليل وهو كثرة تقلبها في السنتهم على قصد اختصاصها بهذا الاقتران ومن أمثلة هذا انه ورد اتصال هاء التنبيه بالضمير المخبر عنه باسم اشارة فرأى ابن هشام ان الامثلة الواردة بهذا الاسلوب قد بلغت في الكثرة الى أن يؤخذ منها التزامهم في خبر الضمير ان يكون اسم اشارة فوجب في خبر الضمير المقرون بحرف التنبيه أن يكون اسم اشارة اتباعاً للاستعمال

ويدخل في هذا القليل قولهم « ليس غير » قال ابن هشام ان غير المبنية على الضم انما تستعمل متصلة بليس وقولهم « لا غير لمن » . ومن عد هذا الاستعمال في جملة الصحيح فقد ظفر في كلام العرب بما يشهد بصحته وهو قول الشاعر

جواباً به فتصير اعتماد قورينا لمن عمل اسلفت لا غير نسال
واذا وردت الكلمة متصلة بنوع من الاسماء وروداً لا يحيط به استقصاء
صحيح أن يكون اتصالها بذلك النوع مقبلاً ، كناه التأنيث تعمل باسم الفاعل
واسم المفعول والصفة المصيبة والمنسوب على وجه القياس ، ولم يبلغ اتصالها
بالاسماء الجامدة هذا المبلغ فوقفوا فيها عند حد السماع كطبي وطبية وامري
وامرأة . فلا تقول انثاة في مؤنث انسان الا اذا قل اليك لغة في شاهد
صحيح ، كما نهم لغة للمؤنث من القروء ولا يقال في مذكرها التي حيث لم
يختروا على نقل يشهد بصحة استعماله

ولهذا الاصل انكر الصفدي قولهم قطنية غزالة مع ورود غزال للمذكر
لانه لم يقب عند رواية ، وما خالفه الناصبي في ذلك الا بعد وقوفه على
شواهد من كلام العرب تقتضي صحة استعمالها

القياس في الترتيب

اذا كانت احدى الكلمتين ثابتة للآخرى من جهة المعنى والتناسب الطبيعي
يقضي ان تذكر عقبها في التلطف ، ومن ثم قرروا في اصولهم أن التبع يتقدم
على السابغ ، والمستثنى منه يتقدم على المستثنى ، والمميز يتقدم على التمييز
وصاحب الحال يتقدم على ضمير الحال
فن أباح تقدم الكلمة الثابتة فأما قبل دعواه متى كانت مصحوبة بدليل ،
فالكوفيون مثلاً أجازوا تقديم المظروف على المظوف عليه والكسائي والمبرد
سوفنا تقديم التمييز على عامله ، والقرطبي والاختصاري ذهبا الى صحة تقدم الحال
على عاملها المظرف أو الجار والمجرور ، وابن برهان وابن كيسان أباحا تقدم الحال
على صاحبها المجرور بحرف ، وما أجازوا هذه القواعد التي يحكم الاصل بمنها الا
باستنادهم الى شواهد وأوها كافية في تقرير ما ذهبوا اليه

ومن فروع هذا الاصل أن لا يتقدم الضمير على معاده ويستثنى من ذلك
مواضع ، بعضها عقدوا عليه الاتفاق كضمير الشأن ، ومنها ما اختلفوا فيه
كالضمير السائد على المفعول به ، والاصل في محل الاختلاف بيد من لا يجيز
عوده على المتأخر عنه في نظم العبارة الى أن يقيم الخالف شاهده الصحيح
أجاز الاختصاري وابن القتيبي عود الضمير المتصل بفاعل مقدم الى مفعول

تأخر وأقاما على ذلك شواهد مثل قول حسان
ولأن مجداً أخذ الدهر صاحباً من الناس أبقي عبده الدهر مطعماً
ومنعه الجمهور في حال السعة وحملوا تلك الشواهد على الشذوذ أو الضرورة
ومنزعمهم في عدم قبول هذه الشواهد أنها جاءت على خلاف الأصل، وما ورد
على خلاف الأصل لا يحمل مقيساً إلا حيث تكثر شواهد حتى تدل على قصد
المرب لا طراد

ومما يتناوله الأصل المومأ إليه أن المستثنى أخرج من المستثنى منه ثم
نسب الحكم إلى بقية الأفراد فكان المستثنى في الظاهر مخرجاً من الحكم أيضاً
وصرتبة المخرج متأخرة عن رتبة المخرج منه فكان موقع المستثنى بعد اللفظ
بالحكم والمستثنى منه، ولكن كثر في الاستعمال تقدمه على المستثنى منه نحو
جاءني إلا زيدا القوم، أو علي الحكم فقط نحو القوم إلا زيدا فثبتت
مسألة تقدمه عليهما معاً على أصل المنع، وقد جوزها الكوفيون قياساً،
والحق أن مخالفة الأصل بكل واحد من أصريه على أفرادها لا تدل على جواز
مخالفته بالأمرين كليهما في تركيب واحد

يتفاوت ارتباط بعض الكلم ببعض من جهة المعنى في القوة والضعف،
وهذا التفاوت له مدخل في باب القياس، ألا ترى أن جني كيف أجاز تقديم
المفعول معه على صاحبه ومنع تقديم المفعول محل المفعول عليه. والامثلة
الشاذة الواردة في تقديم المفعول معه ليست بأكثر من الامثلة الواردة في
تقديم المفعول ولكنه يرى أن تبعية المفعول للمفعول عليه أشد من
تبعية المفعول معه لمصاحبه

القياس في الفصل

الأصل في الاقفاط المربوط بعضها ببعض من جهة المعنى أن لا يلتقي بينها
بفصل، وقد خالفوا هذا الأصل في مواضع شتى حتى عد بعضها في فنون
البلاغة كالفصل بين مفعولي رأيت في مثل قول الشاعر

ويمتحن الدنيا امتحان محرب يرى كل ما فيها وحاشاك دنيا
أو بين النمت والتموت كما قال تعالى « وانه لفيهم لو تملسون عظيم »
ويجب النظر في قوة الارتباط وضممه في هذا المقام أيضاً فيمكن من الشواهد

الواردة في الفصل بين ما ضعف ارتباطها ما لا يكفي في الفصل بين ما كانت الارتباط بينهما قويا ، ولهذا تلقوا ما سموه من الفصل بين التابع والمتبوع بالقياس واختلفوا فيما ورد من الفصل بين المضاف والمضاف اليه فأجاز بعض الفصل بينهما بالقسم والتلف والمفعول على وجه القياس ومنه آخرون يدعون أن الفصل الوارد في السماع محمول على الشذوذ أو الضرورة . ولا منشأ لهذا الاختلاف وعدم اكتفائهم بما وصل إليهم من الشواهد فيما أحسب الاعتقاد بأن كلمتي المضاف والمضاف اليه قد بلغت في شدة ارتباطهما إلى أن صار بمنزلة الكلمة الواحدة وربما اكتفوا بمقدار هذه الشواهد في الفصل بين التاب والمتبوع لأن الارتباط بينهما لا ينتهي إلى هذه الدرجة وبذلك على رأيهم لفظة الارتباط أنهم أطبقوا على من الفصل بين الموصول الحرفي وصلته من كان الموصول تاملا مثل «أن» واختلفوا حيث يكون الموصول غير تامل مثل «ما» فأجاز كثير منهم الفصل بينها وبين صلتها ، وذلك لأن الموصول الماء أشد اتصالا بصلته من غير العامل إذ الأول طالب للصلة من جهة المعنى والنفذ وأما الثاني فطلبه لها من جهة واحدة وهو الموصولية .

القياس في الحذف

من الجلي أن حذف أحد أجزاء الجملة يغير أسلوبها ويحدث فيها حياة جديدة والحفاظة على الأسلوب العربي تقتضي أن لا يلفظ الإنسان بعبارة إلا أن يتجسم مطابقة للهيئة العربية . وهذا الأصل هو الذي يتمسك به من لا يجحذف لفظة حيث لم يثبت عنده بدليل يمتد به ، كما من الجمهور وحذف الفاء والبصريون حذف الموصول ، وابن مسكون حذف أحد مفعولي ظننت ولو مع قيام القرينة على المحذوف

قد يقال أن العرب أكثروا من حذف ما تقوم عليه القرينة كالمضاف والمضافة اليه والمتبدا والخبر والمفعول به والمملوف والمملوف عليه والحال والتمية وفعل الشرط وجوابه ، وباستقراء هذه المواضع يتقرر أصل يمكن التمراد وهو صحة الحذف لدليل . والجواب أن ورود السماع بالحذف في باب كالتعبد أو المنعوت إنما يسوغ القياس في ذلك الباب خاصة إذ قصارى ما ندل عليه شواهدنا أن الحذف هنالك لا يخالف الأسلوب ، وإجازة الكسائي لحذف

الفاعل ، والكوفيين لحذف الموصول ، والجمهور لحذف أحد مفعولي ثلثت
أما اعتدوا فيها على شواهد مبسطة في كتب الفروع

وإذا وضعت الفاظ للدلالة على غرض وانتظمت في منهج وممع في أحدها
حذف بعض متعلقاته فهل يجري الحذف في متعلقات ما يشاركه في المعنى على
طريقة قياس التمثيل ؟ ومثال هذا أنه ثبت حذف صدر الصلة مع أي الموصولة
في نحو قولك « زارني أيهم أكتب » فوقف أكثر النحاة عند هذا الموضع
واستضعفوا حذفه مع غير أي من الموصولات ، ولم يستضعفه ابن مالك .
فالقائل يمنع القياس ناظر إلى أن حذف متعلق الكلمة وهو صدر الصلة جرى
على غير أصل فلا تتجاوز فيه حد السماع حتى نلحق به ما يشارك تلك الكلمة
في مساقها ونحذف متعلقة . والقائل بجواز الإلحاق ناظر إلى أن اتحاد الكلمتين
في المعنى يجعلهما في حال الكلمة الواحدة فثبت لأحدهما من الأحكام يصح
إعطائه للآخرى حيث أن الأسلوب منهما متماثل

وإذا ورد السماع بحذف حرف في موضع من التركيب على سبيل الإطراد
فهل يقاس عليه ما يرادفه من الحروف فيسوغ حذفه ولو لم ترد به الرواية ؟ هذا
من مواقع اختلافهم أيضاً ومن أمثلته أنهم أجازوا حذف (لا) النافية في جواب
القسم كما ورد في قوله تعالى « تالله تقتلن ذكر يوسف » وقول الشاعر
آليت حب الوراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس

واختلفوا في حذف (ما) النافية في نحو هذا التركيب . ومن أبي حذفها قد
يتمسك بأن لا وضعت للدلالة على السلب ، وحذفها بوم إرادة الانبات الذي
هو ضد مدلولها فكان ذكرها على ما يقتضيه ضمها ضرورة لازب ولكنهم حذفوها
في جواب القسم لكثرة استعمالها ، ولا يصح إلحاق لفظ (ما) بها وإن كانت
مرادفة لها في المعنى لأنها لا تشاركها في الوجه الذي اقتضى المدول بها عن
القياس وهو كثرة الاستعمال

ولا ترى طائفة منهم الكافييجي الوقوف في الأساليب على ما ورد عن العرب
فأجازوا لك أن تقول في الدرس علي والمسجد خالد . ونحو كان تالياً الخطبة بكر
والقصيدة محمود . وهذا ما يعبر عنه النحاة بمسألة الملف على مفعولي عاملين
مختلفين ، ثم قال النخب السكايفيجي عقب هذا إن جريبات الكلام إذا أعادت
المعنى المقصود منها على وجه الاستقامة لا يحتاج إلى النقل والسماع والالزم

توقف تراكب العلم في تسابقهم على ذلك
وهذه العبارة مطابقة المعنى ولا بد من رد صاحبها فنقول ان اراد الكافيجي
بقوله ان افادت المعنى على وجه الاستقامة ، انها اوصلت المعنى الى ذهن
الخطاب كاملاً ، فهذا لا يكفي في صحة الكلام عند علماء العربية قطعاً فان من
التركيب ما يؤدي المعنى وايضاً ويكون المتكلم قد خالف فيه بعض القواعد
المجتم عليها . وان قصد بوجه الاستقامة المطابقة لصحة الاسلوب العربية فهذا
هو محل النزاع بينه وبين من لا يجوز أمثال ذينك التركيبين حيث ان المانم
يراهما غير مطابقين للاسلوب الصحيح ، فلا يحسم للكافيجي وغيره من اقامة
دليل على الصحة اما سمع يوثق به أو قياس تمثيل لا يتطرق اليه قاصح

القياس في موقع الاعراب

اذا وردت الكلمة بمكان من الاعراب لم يسم استعمالها في غيره فأصولهم
تقتضي انها انما تلرّد فيها سمعت ولا يقاس عليه غيره من المواقع ، ومن هذا
تخصيصهم قل ولومان ونومان بالنداء ، وقط وعوض بالترقية أو الجر بمن
ومن فروع هذا قول ابن الحاجب وسعد الدين التفتازاني أن لفظة كل اذا
اضيفت الى الضمير لم تستعمل في كلامهم الا توكيداً فيمتنع ارادها مفعولاً به
أو قاعلاً . ومن أثار ارادها مفعولاً به كان هشام اعتمد على ما وقع في يده
من الشواهد التي منها قول الشاعر

« فيصدر عنها كلها وهو ناعل »

ومما يجري على هذا الاصل قولهم ان كافة وقاطبة وطرا لا تخرج عن الحالية
وعن ابن هشام في أوام الزخشرى تخرج قوله تعالى « وما ارسلناك الا كافة
للناس » على أن كافة نعت لمصدر محذوف ، والتقدير رسالة كافة . ومن نازع
في اختصاصها بالحالية يستشهد بمثل قول عمر بن الخطاب « قد جعلت لآل بني
كاهلة على كافة بيت مال المسلمين لكي عام مثني مثقال ذهباً » وحاول الشهاب
الخنفاحي هدم هذا الاصل فقال في شرح لدرقة ان كافة ورد عن العرب بمعنى
جميع لكنهم استعموه منكرآ . وسواء في الناس خاصة ، ومقتضى الوضعية
لا يبرمه ما ذكر فيستعمل كما يستعمل جميع معرفة . ويكرراً بوجود الاعراب
وفي الناس وغيرهم لاننا لو افترضنا في الالتاظ على ما استعملته العرب العاربة

والمستعمرة حجراً الواسع وعسر التسلّم بالعربية على من بعدهم . وهذا الرأي لا يؤخذ به على الإطلاق ويستضاء به في كل حال مانه لا يطابق ما قاله أساتيد العربية من أن معرفة الوضغ غير كافية ما لم ينضم اليه العلم بحال الاستعمال . قال ابن خلدون في المقدمة ليس معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك ، وأكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فني نظمته ونثره حذراً من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهو شر من اللحن في الاعراب والحش

ولو اقتدينا بالشهاب وسرنا على أثر مقالته التي لم يرسم لها حداً لعمدنا الى مثل فقط وقبل وعند وأخرجناها عن الطرفية الى الابتداء أو الفاعلية ولا أحسبه يرضى للغة هذه الفوضى فيقسم نظامها وهو يريد توسيع نطاقها والتحقيق في هذا المطلب أن ما يصلح أن نجربه على القاعدة في الاعراب نوعان (أحدهما) ما يدور على السنة الفصحاء وغيرهم ويجري في خطاباتهم بحالة خاصة من الاعراب مثل عند وقبل وبعد وقاطبة وطرا ، وهذا هو الذي تقف فيه عند السماع فإن كثرة دورانه في مجاري كلامهم نظماً ونثراً وتقلبه في أساليبهم بحالة مخصوصة يشعر بقصدهم الى تخصيصه بتلك الحالة الاعرابية وما كان ينبغي لنا في هذا القسم الا ان نتجرى الطريقة المألوفة في استعماله

فانيهما ما لا يتردد في أغلب خطاباتهم وانما يرد نادراً أو كثيراً ولكن لم يصل الى مبلغ يدل على قصدهم الى قصره على الحالة التي جاءت بها الرواية وهذا هو الذي يسوغ لنا ان نخرج به عن حالته الواردة ونستعمله في المواضع التي يساعد عليها الوضع ، فلزم نسمع لفظ الضرغام أو اللو دعي أو التيسل مثلا الا فاعلاً أو مفعولاً كان لنا ابراده في تراكيب من عندنا مضافاً اليه أو مبتدأً أو خبراً . فيتضح بهذا التفصيل مذهب الجمهور ووجه مأخذه ويمكنك ان تقضى به على مقالة الشهاب حيث اباح خروج كافة عن الحالية بمجرد النظر الى حال الوضع فإن هذه الكلمة من القسم الاول قطعاً فيجب على القائل بسعة استعمالها فاعلاً أو مفعولاً تلازمة شاعداً على ذلك ولا يكتفيه التمسك بانها قابلة لهذه المواقف حسب وضعها

من الخرافات الى الحقيقة*

- ١ -

مقدمة

سيدي نابغة المسلمين !
دعاني الى ترجمة الكتاب المسمى (من الخرافات الى الحقيقة) الذي ألفه
من قبل (م . شمس الدين) باللغة التركية ! داعيان مستقلان
(١) فلة الاشغال
(٢) الالم الذي يستولي علي حينما أرى حالة أمة محمد (ص) كأنها تدين
بدين غير الاسلام .

أما فلة الاشغال : فانه منذ زالت الحكومة الاسلامية من هذه البلاد
(فلسطين) نزع الوظائف السياسية والادارية من يدنا معشر الشبية (١) المتعلمين
من المسلمين الى النصارى ثم الى اليهود . وبقينا بغير اعمال ، فاشتغل بعضنا بالتجارة
وبعضنا بغيرها واشتغل هذا الماجز بالترجمة والتأليف - هذا هو الداعي الاول .
وأما حالة المسلمين وما تحدثه من الآلام فاني لا أتصور مسلماً يرى الهوة
السحيقة التي يتدحرج فيها المسلمون ويسمع أنين هذه الكتلة البشرية ويسمه
السكوت على ما يرى ويسمع . بل لابد أن يتفجر في دماغه الذي هو ممكس
لصوت ذلك الانين طوفان آلام يدفعه الى عمل شيء ينقم به هذه الامة .
ان المسلمين الذين قضوا وقتاً طويلاً وهم يحكمون في العالم فيطاعون ،
ويسودون الامم ادارة وعلماء واقتصاداً فيتبعون ، هم الآن ذليلون مهانون ،
يثنون تحت ضربات حكامهم الغرباء ولنا ولفة ودينا .
ان العالم الاسلامي الذي كان يملأ على المسكونة مهابة وشرفاً قد انحى

(*) مترجم الكتاب حسني بك عبد الهادي من بيروتات نابلس الشهيرة
وقد خص به مجلة المنار فنحن ننشره شاكرين غيرته وحمته مع اصلاح للترجمة
لا يغير المعنى بل يحليه

(١) الشبية بوزن فسبة هم شاب والشبية مصدر شب الفلام اذا صار شاباً

وازوى وغاب عن الابصار ، ان المسلمين الذين كان العالم يترطبا أو اضطرابا من صونهم أمسوا اليوم مسودين مسوقين اسراء .

ان المدن الاسلامية التي كانت مرايا للرفي والحضارة بات اليوم يمشى فيها . والمسلمون الذين كانوا يبارزون القوى الطبيعية أصبحوا اليوم يخافون من ظلمهم . واخذوا يتدهرجون في مهاوي الاوهام . بل أقول ان ديار الاسلام أمست مقابر ، والمسلمون فيها جنائز . ولابد لهذا السقوط العام من مؤثر عام . ان هذا المرض المستولي على مسلمي آسيا وأوربة وافريقية والافياتوسية يبدي للتناظر أعراضا متشابهة وهذا ما حمل المقلاء على أن يقولوا ان منشأ المرض شيء واحد ما دامت الامة المسودة التي تنثر تحت عوامل السيادة الاجنبية هي امة واحدة — امة محمد صلى الله عليه وسلم

عجيباً ما ذاك العامل الذي رفع امة عيسى وهبط امة محمد ؟ ما ذلك الدرج الذي صعدت عليه امة عيسى حتى استوت على عرش الحكم ؟ وما ذلك الدرك التي تحدرت فيه امة محمد حتى وصلت الى هذا المكان السحيق مكان المستبعد الخائف ، مكان المسود التائب ، مكان الامير الخاضع ؟

ان الرابطة التي تربط ثلاثمائة مليون ونيفا من المسلمين هي (الدين) وبهذه الرابطة ملك المسلمون — اسراء اليوم سادة الامس — أقاليم مختلفة . ثم عفت سلطنتهم في تلك الاقاليم شيئا فشيئا حتى انحصرت اليوم في الاناضول . الا يوجد اليوم اقليم غير الاناضول لا يدين ويخضع لهؤلاء الفرنجة بل ليس قرائنه بدون استشارتهم ويتخذها بنجوة من سيطرتهم ؟ (١)

لا اسراء في ان الدين الاسلامي قد كان هو السبب لتعالي المسلمين . فهل يمكن أن يكون سبب الرقي والصعود ، هو بعينه سبب التدهور والسقوط ؟ لا لا (٢) بل الدين الذي كان سبباً لتعالي المسلمين هو غير الدين الذي هبط بهم

(١) المنار ان جزيرة العرب وبلاد الافغان لا تدينان لاجنبي عنهما ولكن يموزها من العلوم والفنون والصناعات ما تحفظ بها قوتها من اللطاميين فيهما ، وينتج ثروتها فتعطينها عن الاجانب . وليموزها زعماء عقلاء يجمعون الكلمة ، وقد بدأ الافغان قتي يبدأ العرب ، الذين فضحوا أنفسهم بين الامم ؟

(٢) المنار قد سبقنا الى مثل هذا السؤال وجوابه في المتصورة الرشيدة ثم في المنار ، وهذه آيات من المتصورة في ذلك ==

اليوم الى اليهودية والذل . نعم ان ينهز - على الاشتراك في الاسم - فرفا
جلياً وبونا بعيداً :

كان المسلمون يحترمون الحقائق ، وأمانحن فأسرى الخرافات .
كان المسلمون اصحاب عقائد مستندة الى العلم والنور وأما عقائدنا اليوم
فبنية على البدع والاوهام

ان هذا الكتاب لم يكتب ولم يجمع (ولم يترجم) الا لاهواء الفرق بين
أجدادنا وبيننا ولأجل تصوير منشأ الخرافات الحاضرة

لا يسع عاقلاً مسلماً يرى العالم الاسلامي يتدحرج في مهاوي الهلاك الا
أن يسعى لانتقاده ، وأول ما يخطر على باله هدم الخرافات واقامة الحقائق محلها .
وهذا لا يكون الا باحياء قواعد الدين الحقيقية التي رفعت المسلمين في القرون
الاولى الى سماء المجد . لان الخرافات لا تحيي بل تذل ثم تميت .

المسلمون اليوم أذلاء ، لا جيش ، لا أسطول ، لا طيارات ، لا معامل
صناعة ، لا مصارف مالية ، لا سكك حديدية ، لا علم ولا اختراع ، لا سفراء
ولا قناصل ، وجملة القول انهم مجردون من كل ما يرفع النفس ويكون مدعاة
الافتخار . لماذا ؟ لانهم غارقون في بحر من الخرافات .

ربما كان هذا الكتاب سبباً لغضب الكثيرين الذين يعطادون في الماء
المكر . ولكن المسلم الذي يرى الدين في تهلكة والامة على شفير القبر ، لا
يقدر أن يسكت ومن سكت فهو أسقط من مسيبي هذا السقوط .
فهذا هو السبب الثاني الذي دعاني الى ترجمة الكتاب .

لكننا أبكي لمجد أمة نلت عروشه وحلت العرى
ووطن ذل فمعد حوضه
وسلة حكيمة رحيمة
وقال فيها الاخرون انها
فكيف كانت علة السمادة الا
أما صبا الملك والحكمة والا
ألم توحده اما تفرقت
فكيف عذمت واتم اخوة

وستكون مطالعتنا مؤيدة بآيات شريفة وبأحاديث منيفة موهبة لمن
الجامع الصغير

ان من سنن الاجتماع التي لا تتبدل ولا تتغير ان الامم التي تزلزل
سواء الاقبال الى حضيض الادبار ترى جميع حركات الامم الحاكمة وسداناتها
حسنة معتدلة .

مثال ذلك ان العالم المسيحي اليوم يجلس على عرش الساطرة والعالم الاسلامي
يجلس على الارض تحت كرمي ذلك الحاكم . وكل ما يخرج من ملك الهلال يدخل
في ملك الصليب ، والمسلمون لاهون بظان الجاهلون قصيرو النظر منهم ان سبب
سقوطهم هو (الدين) والقصد من تأليف هذا الكتاب ابداء هذا الظن الباطل .
لان الاسلام من اسباب الرفعة والملاء ، لا السقوط والاستخذاء ، واما سبب
اغلال مسلمي اليوم فهو خلط الاسلام النقي الصافي بخرافات الاولين
فاذا رجع المسلمون الى (الدين الحق) كما هو فانه ينفخ فيهم روح حياة جديدة
وينجسون من الاحتضار الواقع . وهذا لا يمكن الا بترك الخرافات والتفكير
بالحقائق ، وهو موضوع هذا الكتاب

يتألف هذا الكتاب من ٢٢ فصلا (١)

(١) المستوى الفكري والاجتماعي في المحيط الذي ظهر الاسلام فيه

(٢) الطور الاول للاسلام

(٣) الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها

(٤) المؤثرات التي زلزلت الوحدة الاسلامية

(٥) تغلب روح الفرس على روح الاسلام

(٦) كيف طرأ الفساد على الاسلام ومن أحدث ذلك

(٧) الفوضى الدينية والاجتماعية والسياسية وحزب القرامطة

(٨) عمالة الدراويش الفوضويين الحشاشين

(٩) عبدة الامام علي

(١٠) مذهب الاسماعيلية

(١) المنار : ان القرامطة والحشاشين والاسماعيلية والدرو: والتصيرية

والبكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالصوفية والروافض ومذاهبهما
الى بث دعوتهم فتقسيم الكتاب غير ظاهر لنا الآن

- (١١) الدروز والنصيرية
 - (١٢) الباطنية : الروافض والصوفية والبيكتاشية
 - (١٣) اخوة المسلمين محتاج لرفع النفور المذهبي
 - (١٤) الاحاديث الموضوعة
 - (١٥) كتب المواعظ
 - (١٦) عبادة الاموات
 - (١٧) الاعتقادات الباطلة
 - (١٨) ضرورة رجوع المسلمين الى الطريق الاول
 - (١٩) أساس الاسلام الاول النظر التعقلي
 - (٢٠) لا يكفر المسلم بسهولة
 - (٢١) لا يوجد تحكم ديني في الاسلامية
 - (٢٢) النتيجة
- هذه هي فصول الكتاب . وسنبذل الجهد لان يكون كاشفاً لحق
المرض ومحتوياً على العلاج النافع وبالله المستعان
- نابلس (حسني عبد الهادي)

الرحلة السورية الثانية

-٧-

الحالة السياسية والاحتلال في السواحل

نكتب في هذا الفصل كلمة حق وما كل ما يلزم يكتب في مثل هذا الزمان الذي يلد التاريخ لا يدونه كما قال بعض حكماء الغرب ولان ان السياسة يراعى فيها مصالح كثيرة يقع التعارض فيها فيرجع كل ناظر المتعارضات باجتهاده

قد اشترطت علينا السلطة الانكليزية في اعطائنا جواز السفر الى -
شروطاً ثقيلة اشرنا اليها في الفصل الثاني من هذه الرحلة (ص ٢٨٤ م ٢١) خلا
أن نتحاشى احداث تهيبج سياسي بالكتابة أو الخطابة فوفينا بالترط واک
من الافادة والاستفادة أن نعرف حقيقة الحال ونقول ما نرى أنه الحق

بلاد مع النصح للناس بما يجب عليهم من الحق والائتداء، والعلم والافتداف،
أما أهل البلاد فقد كان التغاير بين المسلمين والنصارى منهم في السواحل
بالنأ أشده فالتنصاري كانوا يرون أن ملك البلاد سلب من المسلمين وصار لهم
بقوة فرنسة وحمايتها والمسلمون ييكون أسمى وحزناً على الدولة العثمانية ويملقون
آمالهم بالامير فيصل الذي ضمن لهم استقلال البلاد وجعلها دولة عربية بمساعدة
بريطانية العظمى، فهذا كانوا في منتهى النفور من الفرنسيين وكان من هؤلاء
من يتودد اليهم ويجهد في استمالة زعمائهم واصحاب المسكاة منهم فلا يزيدم ذلك
الا بغوراً منهم ومبالغة في التعالي فيضطرهم ذلك الى حصر نفقتهم بالنصاري
ومن يتقرب اليهم ويتعلق لهم من طلاب المنفعة من المسلمين وان كانوا لا تغوذ
لهم ولا تأثير في أهل ملتهم. وقد فصلنا في الفصل السادس من هذه الرحلة
ما أخطأ فيه كل من المسلمين والنصارى في هذا الامر وما كان يجب على كل
منهم من السعي الى الاتفاق والائتداء على مصالحة الوطن المشتركة وما سمينا
اليه فولاً وعملاً وكتابة في هذه السيل وقد كان هذا السعي كله بعد اضطرار
السلطة الفرنسية اياي الى الاقامة في بيروت وفي طرابلس عدة اشهر بعد ان كنت
عازماً على أن اقيم فيها عشرة ايام فقط

ذلك بانني عقب المامي ببيروت (في ٤ المحرم سنة ١٣٣٨) قد أصابني زكة
معمية فتأخرت عن زيارة طرابلس الى ١٦ المحرم ولما أردت العودة منها الى
بيروت عرض لي تصدي السلطة الاحتلالية ما سأذكره بعد ذكر اجتماعي في
بيروت بالمندوب الفرنسي السامي

مقابلة المندوب السامي موسيو جورج بيكو

جاءني في يوم الاثنين (١١ المحرم - ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٩) شرطى بيروتى
وقال لي اذا كنت تحب أن تقابل القومير السامي (موسيو جورج بيكو) فهو مستعد
لقائنا لك بين الساعة التاسعة صباحاً والظهر في الدار التي كانت لوالى فوعدت
بالذهاب وذهبت في الساعة العاشرة وقابلته فشككت معه من الساعة الحادية عشرة
الى ما بعد الظهر فاحتفى بي وتلطف غاية التلطف ودار الحديث بيننا في ثلاث مسائل
(المسألة الاولى) ما يذكره المسلمون من السلطة الفرنسية. سألني عن عمدي
برؤية البلاد وكيف رأيت حال المسلمين اليوم؟ فقلت له ان المسلمين على كونهم
لم ينسوا ما اتاههم في آخر زمن الترك من الرزايا والمسابب ييكون عليهم وان
(١١١ - ١٠) (٩٧) (المجلد الثاني، والمشرعون)

لم تحيف دواعيهم من الداء بهم لاسيما في هذا الوقت حتى في ديمهم
فاجاب بأنه وقع من رجالهم اغلاط كثيرة فكرونها ولكنهم سيتلافونها،
وأنه على ما يتوهم من المساواة بين جميع الوظائف والمثل في الوظائف وغيرها
سيجهد في مراعاة شعور المساكين الذين في مشقة وعناء نامة، وذكرت له أن أم
بمايهم المسلمين (كلهم غيرهم أيضا) حين انقسم باللغة العربية وجعلها هي الرسمية
وعدم تعرض السلطة للأوقاف والتعليم الذي فوعده بذلك وعدا مؤكدا، وانما
ذكرت له هذا لانسجم منه ما يقوله فيه لا لاقتراح شيء عليه.

(المسألة الثانية) ما يترون عمله في المنطقة الشرقية، سألته هل تظل على حالها؟
فقال لا بد من توحيد الإدارة في البلاد كلها ومن وجود المستشارين الفرنسيين
في الداخل كالساحل إلا أن الاحتلال العسكري يمتد في الساحل فحب. قالت
وهل يكون لضرورة كلها حاكم واحد كالأمر فيصل أم تجعل قسمين لكل منها
اميراو حاكم وطني عام؟ قال لا بد من قسمه البلاد الى عدة ولايات أو مقاطعات،
ولا يعلم الآن كيف يكون ذلك لأنه يتوقف على ما يكون عليه الصلح مع الترك
لان البلاد لا تزال لهم (بلاد المدو المذلة)

هذا ما قاله وهو اعلم بتعرض حكومتنا على انهم قسموا البلاد قبل الصلح
مع الدولة فجعلوها بضع دول اكبرها وأشد ما سموه (لبنان الكبير)

(المسألة الثالثة) المقاتلة والتنظيم بين الفرنسيين والانكليز والسياسة الحاضرة

وما ينتظر من التحول والانتقال فيها؟ قال أفتدافها ما لم تظل فيما قبلها

قال هو ان الفرنسيين أرق ضباعا وانهم مباشرة من الانكليز فهم يحترمون

الشرقيين وغيرهم ويقابلون أهل القبل والملكان بما هم أهل له من الحفاوة

والأكرام وأما الانكليز فتكبرون بزورن بأفئاد الناس — أو ما هذا معناه

قلت ان لطف الفرنسيين وحسن معاملتهم وقربهم من الشرقيين في ذلك

مشهور كقهر الانكليز بالجفوة والانكسار العجيب بانفسهم وانقاد اختبرناهم

في مصر فأنه فيناهم كما يقال عنهم الآن آداب في معاشرته من يرضون معاشرته

ولقاء من يودون لقاءه، ولكن ما جرت عليه من الترفن والعجب والآثره،

والطمع ومحاولة الأفراد بالسيادة سيقتلهم الى جميع الأمم والشعوب وبذلها

عليهم. وذكرت عليهم في بلاد العرب منهم ولا سيما وما يتصدون من

مبدل ظل سلسلتهم (أما انطوريهم) من بلاد الانريقي من أفريقية والغربي

من أنسية إلى حدود الصين وسيادة البحر وازالة ملك الاسلام من الشرق وجعل جميع الدول العظمى في أوربة عالة عليهم وتبعاً لهم في سياسة العالم (قلت) حتى انني لا توقع مجيء يوم ترون فيه من مصلحتكم مخالفة الامارات على الانكليز — فوافقتني على رأيي في هذه الامور بعد مناقشة في بعضها وقال في توقع الانقلاب في سياسة الحلفاء انه محال أو غير بعيد ولكننا الآن متفقون في كل شيء

وبهذه المناسبة ذكرت له خلاصة من مذكري التي أرسلتها إلى مستر لويد جورج في هذا الموضوع ليعلم أنني لم أقل له ما قلت في الانكليز تقرباً اليه كما يفعل أنصارهم في سورية وانما هو شيء قلته بل كتبته لأعظم رجال الانكليز لاني أعتقد وأعتقد أن استمرارهم على تقاليدهم السياسية القديمة شر لهم وأنه سيفضي إلى عداوة الامم لهم والخلاف مع حلفائهم الذي اضطرهم إلى مخالفتهم المظهر الألماني المهبط للفرقين اشبال تعاديهما في بطون التاريخ وقد تجددت بينهما عداوة حسد المعضوم حقه في هذه المخالفة بكثرة خسارته للآخر الذي زاد ربحه على خسارته أضاعوا ولم يروغليل مطامعهم أعني عداوة اللاتين للانكليز. وقد صرحت بهذا في مذكري لتويز البريطاني التي نوهت بذكرها في مقالة (الحقائق الجلية في المسألة العربية) وكان غرضي منها اقناعه بترك قضية تراث الاسلام لانه لم يمت واللاتين باستقلال العرب والترك والفرس وكذا مصر، ولا تزال الأيام تصدق بأنا على ما كتبته في تلك المذكرة كما صدقت ما كتبته لهم فيما قبلها، ولكن جورج لا يورد كرزون على سياسة الطمع القديمة والتمسك الديني والجنسي الذي ينادي فيه مستر لويد جورج على مرونته وتقلبه من أكبر أسباب ما تنهض من فكس من الكوارث السياسية وعجزها عن حل شيء منها

بعد هذا الاستعداد أقول انني لم أكن أسأل اقناع مسيو جورج بكوني برأي لا لعل على رجوع أن يأتي منه كيف وقد كان هذا الكلام في أيام تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ التي وضعها مع مديقه السير مارك سايكس بين الدولتين وكانت الجنود البريطانية تخرج بشنارها وسلاهما من سورية إلى البالية كلها وتتركها للجيش الفرنسي بعد تنازلهم وقم بدماء في سبيل تنفيذها ظهر أثرهم في سورية كما ظهر في باريس ولندن حتى قالوا انهم قد اتفقوا في السياسة انما تقضت تقضا ومنهم

موسيو كلمنصو رئيس الوزارة الفرنسية لذلك العهد وكانت فرصة يومئذ تزيد أن تتخذ اتفاق الأحزاب السورية على طلب وحدة البلاد وسيلة لجعلها كلها تحت سيطرتها باسم الانتداب، فعارضتها السياسة الانكليزية بحزب سوري تألف في مصر يطلب أن يكون الانتداب للحكومة الولايات المتحدة وبمعمل الأمير فيصل لحزبه في الشام على طلب جعل الانتداب لانكلترا وحدها فان لم يمكن فلها ثم للحكومة الولايات المتحدة الامريكية اذا هي لم تقبل وقد كان المظهر الاكبر لهذا التنازع بين السياستين في البلاد أيام المام الوفد الامريكي بالاستفتاء اهلها في مستقبلهم وفي اختيار الدولة المنتدبة

وفي السابع عشر من المحرم (١٢ أكتوبر) ذهبت من بيروت الى طرابلس والقلمون في سيارة فأقمت فيهما ستة عشر يوماً طلبت في اثناها من الحكومة اعادة وقف جامع القلمون الى اذ كنت الامام والمتولي الشرعي له وكانت ادارة الاوقاف تولت امره منذ بضع سنين وحال انقطاع المواصلات بالحرب العامة دون مطالبتي اياها باعادته الى كما كان في عهد والدي (رحمه الله تعالى) فوافقت لجنة الاوقاف بطرابلس على اعادته وقررت باتفاق الآراء أنني المتولي الشرعي وكتب مأمور الاوقاف بذلك الى مدير اوقاف الولاية في بيروت فأرسلت الذهاب الى بيروت لاتمام هذا الامر الذي جرى لي فيه من العبر ومعرفة الخلل في الحكومة وأخلاق رجالها وسيرتهم ما يعلم به أن جل ما تشكو منه البلاد فهو من اهلها أو بمساعدتهم ويستحق أن يفرد له فصل خاص وانما كلامنا الآن في الحال السياسية

حادثة تمرض السلطة الفرنسية لنا

في الثالث من صفر (٢٨ أكتوبر) أخذت ورقة للسفر من طرابلس الى بيروت في باخرة فرنسية تسافر من الميناء ليلا وكنت في الميناء فأردت النزول الى الباخرة فقبل لي ان السفر يتوقف على توقيع السلطة الفرنسية على جواز السفر — وهذا لم يكن من قبل — وكان من التسهيل غير المنتظر أن الشرط وفقت على الجواز اذ عرضته عليها من تبرع لذلك من معارفنا ومعارفهم ولا أدرة أكان في ذلك دخل متوخى أم لا ولكننا لم نكد نضع متاعنا في الزوراء مع متاع كثير من المسافرين الا وفاجأنا الشرطه ففتحو جميع صناديقهم

الاسقاط وجمعية الورق وجمعية الفضة وجمعية الزبارة وقد شوا على ذلك
على شكا دقيقا لم يفعل فيه مايات الثياب ولا جوبها ثم فلتوا جيوبي وأحده
شرطي جيمع الاوراق ودعاني الى الذهاب معه الى ادارة المكس (المرك) فذهبا
واعيد المتاع الى حيث كان وطبقوا هناك يسطرون في الاوراق نظرا دقيقا
وكان جل عنايتهم وأشد دقتهم فيما ظنوا بمجهلهم وغياوتهم ان فيه اسرارا سياسية
ينال مكتشفها أسنى الجوائز عند الساطة الفرنسية وهو فهرس وضعته لاجراء
الضامن من تفسير القرآن راعتهم أرقامه فظنوا فيها الظنون على أنني أخبرت الباحث
فيه بأنه فهرس لكليات في التفسير ... فقال يمكن أن يكون كتب في أثنائه
شيء ميامي (!)

ولما طال هذا البحث استأذنت الشرطي في الذهاب الى دار بسبي الشيخ
حسن العقدي لاجل المشاء وصلاتي المشاءين وتغيير الثياب فأني وقال ان
رئيسه (لبنان بك) أمر أن أبقى ثم الى أن يجيء هو من المدينة الى الميناء
ثم في أثناء الساعة الثالثة بعد الغروب جاء شرطي (أو قومه خير) اسمه (احنا)
على ما أتذكر وقال ان لبنان بك أرسله بالتيبة عنه ليأخذني الى دار الخدمه في
المدينة لاجل توقيفي فيها (التوقيف في عرف الحكومة التركية هو الحبس المؤقت)
فاستأذنت بما استأذنت به الاول فلم يأذن وذهبنا الى المقريه بترام فوضعتوني
في حجرة من حجر الشرطة نوافذها مكسرة الزجاج وكان فيها مناجع مسمية
فيه قليل من زيت البترول تمدد فاسفأ ولم نجد من في الحجرة من الشرطة غيره
وكان الماء مقلوعا عن دار الحكومة وليس في المراحيض ورق ولا ساجها
فكان التخلف فيها متعمدا على أنه لما كان اليوم منعترا لأن هواء الليل في
طرابلس يأتي من ناحية الجبل الذي يعلوه الثلج فيكون باردا جدا فيكون
هواء النهار حارا بالنسبة اليه ولا سيما في تلك الايام من فصل الخريف

ثم جاءنا الشرطة بثمانوس كانوا يتنوبون من جهة الى أخرى ثم جاءوا اثنان
الحاكم العسكري قد حضر فأخذوا الثمانوس وأصداوا حتى نوبت الى حجرة
وتركوه له فيها وقد باعني بعد ذلك ان سبوا من قبلهم من قبلهم
بعض المقرئين اليه من الوصفاء صوا بمائة توفيق في مودود ذلك سبوا
اليوم وأندروه عاذا بني هذا الرجل مودود الى النهار وعين الناس ذلك اليوم
ان يشوروا وجمعوا من دار الحكومة لاجرا حرة عورة وتكون مدة كبيرة

وقد ظل الحاكم مع ترجمته يتردد في لاوى في الساعة ٣٠ دقيقة ثم سمي
وبلغني ترجمته عنه مايلي :

« انك جئت الى هنا وكان البوليس السري يتعقبك ولما نزلت الى البحر
أخذوا أوراقك فوجد فيها شيء يدل على انك تشتغل بالسياسة وفيها ما يدل
أيضا على انك رجل مهم غير مادي (١) فانا لا أريد أن أوقفك عتارا ذكيت تريد
السفر الى بيروت فتابع سفرك اليها وأنا أرسل أوراقك الى حاكمها الاداري
ليرى رأيه فيها.

قلت أحسنت صنعا فرجالكم في بيروت أجدر بمعرفتي وانصافي منك واني
لا أشعر بما تدل عليه الاوراق. قال انك لم ترني لافرك.

ثم قال الترجمان الشرطي (أو القومسيه حنا) الذي صاحني خذ هذه
الاوراق (وكانت قد وضعت في ظرفين كبيرين حتما بالشمع الاخضر ولا يزالان
عندي) وهذا المكتوب وأملوها لبوليس يسافر مع الشيخ الى بيروت الى
دار الحكومة فيها ويجب أن تفهموا هذا البوليس ان يكون رفيقا بغاية الادب
لا كما كانوا يفهمون من قبل أنهم مسيطرون على من يصحبونه يتحكمون فيه
ويهيئونه. وأعطاه ورقة أخرى من الحاكم الى رئيسهم لبنان

ثم صاحت الحاكم وزرات معه الى خارج دار الحكومة حيث ركت عربة
وركب معي لسيبي الشيخ حسن وأخي السيد ابراهيم آدم وهم لم يفارقوا دار
الحكومة منذ جاءوا معي وركب معنا شرطي يحمل الورق وفصدت الميناء فانفجرت
لبنان في الطريق فائتد منها فأعطاه الشرطي رقعة الحاكم له فأرجمت الى دار
الحكومة ولم يرع أن اسافر في البحر وأمر حنا بأن يستأجر لي عربة من ميني
ويرسلني في البر وكان يتكلم بغلظة وخشونة ومظنة الحاكم القاهر المستبد
و وكل الى حنا تنفيذ الامر وذهب

وفي أثناء الساعة الثالثة الزوالية بعد نصف الليل أحضرت المركبة وأنجزتها
٤٥٠ قرشا مصريا صحبها كما زعموا وليس لي أن أحاضر أو الشرطي الذي يحمل
الورق فأوصاه حنا بما يلي :

إذا صادفت في الطريق أحدا يريد أخذ الاوراق منك فأعطه عالية الرصيد
(١) كان في تلك الاوراق قوالين وقرارات بعض الجمعيات ومكتوبات من
عض المشهورين في سورية والشرق حتى الهند والغرب حتى مرأش فيها المراءعة

واذا أراد أحد أخذ الشيخ ملك فأطلق الرصاص على رجل الشيخ (أوفال رجليه) وعلى من يحاول أخذه

ثم ركب معنا حنا نفسه وجندي مسلح الى أن تجاوزنا بساتين طرابلس لثلا يكون أحد من الاهالي علم بأمرنا وكثروا بين الاشجار ليأخذوني عنوة وهو يجهل أن مثلي لو كان جانيا لترفع عن الحرب فكيف وهو يعلم أنه ليس في أوراقه ما يمكن أن تعاقبه عليه السلطة الفرنسية مهما يكن ضغطها على المسلمين شديدا في ذلك الوقت مقاومة للمكرة العربية والتماق بقميل ولو عاقبته لما زاده عقابها الا رفعة قدره، على أن الشرطي الذي ارسل معي كان مسلما فلم يكن يحتاجا الى التوسية بالتأدب معي بل كان من اولياء بيتنا ويسمى لو يكون في خدمتي طول عمره وكان ارساله معي مما اثار عجبه وهجبي فكيف وقد اوصي بتلك التوسية الحقاء التي كان يتلذذ بمثلها أولئك المتصبون من اوشاب اللبنانيين الذين يمتقدون أن فرنسا حكمتهم في أشرف المسلمين وعلمائهم - به هانتهم - تقربا الى يسوع المسيح والرسول والقديسين فكانوا حجة على فرنسا بأنها اما ظالمة سيئة الادارة واما متمصبة سيئة النية، وسببا لصدور المسلمين واستيائهم منها وتفضيل الانكليز عليها وشرا على وطنهم بل لقاء البغضاء والتفريق بين الفريقين الكبيرين من أهله كما يعلم مما صر في هذه الرحلة ومن بقية هذا الفصل منها، على أن هذا كان مفيدا للمسلمين من حيث انه قوى فيهم نزعة الجنسية العربية وحب الاستقلال ومعرفة قيمته كما قوى فيهم روح الدين وأعاد اليهم بعض ما فقدوا من هدايته . وكان جميع المشتغلين بالسياسة من خصوم الاحتلال الفرنسي يسرون بسوء تصرفها وتصرف أعوانها ولا يحبون أن تحسن الادارة لثلا يميل اليها الجمهور

ولو كان أمثال لبنان وحنان من اصطفاهم الفرنسيين من بيوتات لبنان المعروفة أو من الافراد الذين تروا تربية ترفع من خسة المنبت ووراة السوء لما كانوا يعاملون مثلي بهذه المعاملة وان اسروا بها أسرا بل كانوا يصحون للاجنبي الذي يأمرهم به بفعل ما يوسع لما حكم طرابلس المصري من حمولة على خروجه من داره ليلا لا يلقى بنفسه ما كان اسره . فأما هذه البيوتات فاهم ورنوا الادب الشرقي في احرام الاسر الشريفة والمناظر المحترمة . وأما أبناء التربية الحسنة فيعرفون قيمة العلم والادب ويحترمونهم بالطبع فيعرفون أنفسهم معهم

عن سوء الادب

وأما ما كان من امر هذه الحادثة في بيروت فهو أننا لما وصلنا اليها وكان ذلك بعد المغرب من يوم الاربعاء صادفنا في الطريق الى دار الحكومة بعض الاسماء البارزة معنا اليها وانتظر آخرون ما يعود به من الخبر ليبنوا على ما يقيم لنا ما يجب أن يعمل لتلافيه ان كان شرا . ولما دخلت دار الحكومة لقيت فيها لدى الباب الشيخ عبد الكريم الباني تقيب أشرف بيروت من أصدقائنا الاولين (١) وهو موالى لسلطة الفرنسية فسألني بعد التحية عما جاء بي الى دار الحكومة في ذلك الوقت فأخبرته فأخبرها كم بيروت أو نائبه بخبري مقرونا بالنساء والتركية والضمان غير الرسمي، فرضني بأن أخرج واكون حرا في بيروت الى أن ينظروا في هذه الاوراق وينصقوني فيها بشرط أن لا أعمل أمملا سياسية مضادا لهم فيها

تقريرى للمندوب الفرنسي السامي

كان هذا الحدث وسيلة لي الى كتابة تقريرى للمعتمد الفرنسي بدأته بالتذكير بما دار بيني وبينه وشرحت فيه ما كنت أجملته في الحديث معه يوم لقائنا من اضطراد المسلمين بما لم يكن أعلمه يومئذ لقرب العهد بالوصول الى بيروت ومنها كون النسبة الى العرب من كبار الذنوب للسياسة مع كونه هو وكثير من كبار رجال فرنسا قد صرحوا بانهم يريدون احياء الجنسية العربية ولقنها ومدنيها ... ثم ذكرته فيه بتفضيله الفرنسي على الانكليز في معرفة أقدار الناس من أفراد أو شعوب وقيمت على ذلك باعلامه بأنني كنت في مصر أنتقد سياسة الانكليز كتابة وخطابة وقولا في المجالس العامة والخاصة وقدمت لهم في أثناء الحرب وبمدها مذكرات في بخطة سياستهم في المسألتين العربية والاسلامية (حتى التركية) وآخرها المذكرة التي أرسلتها الى وزيرهم مستر لويد جورج وأنذرت فيها بعداوة العالم الاسلامي لهم . وأنه قدمت اليهم تقارير كثيرة في أمثال هذه المسائل (علت (١) لآل الباني مودة لآل بيتنا منذ قرن ونصف على عهد أشهرهم الشيخ

صهر الباني الشيخ الاديب صاحب الديوان المعروف فقي ديوانه بعض القصاصات التي مدحها سيد والدي السيد الشيخ محمد الكبر . وله فيه قصائد أخرى ومنها تاريخ داره في القادون وقد نقش على رخامة فوق بابها الكبير في أبيات من قصيدة وبيت التاريخ " بل كل من قد حابها أرخ يراها خير دار مستنة ١٢٣٢

هذا من نائب الملك وغيره) وكانوا يعلمون أن لي علاقة ودية بامراء العرب وزعمائهم وجميعاتهم، بل غثروا على رسالة تمدحهم أيضا للعرب على الاجانب وقيل لهم انني انا الذي طبعته ووزعتها — ومع هذا كله لم يفتشوا لي منزلا ولا مطبعة ولا اهانوني بقول ولا عمل ولم يقابني أحد من كبار رجالهم الا بالاحترام اللائق — فأين هذا مما عاملتني به السلطة الفرنسية في طرابلس؟

وذكرت له بهذه المناسبة أيضا كلمة عن ذهابي الى الهند سنة ١٩١٢ بدعوة جمعية ندوة العلماء فيها لرياسة المؤتمر الاسلامي وان الانكليز كانوا كارهين لهذه الدعوة وبانني في الهند ان جواسيسهم كانت تتبعني كفملت وتفعل جواسيس فرنسا بطرابلس وببيروت ولكن لم يتعرض أحد لحريتي الشخصية ولا فتحوا صناديقي ولا اقتبسوا اوراقتي، وختمت هذه المسألة بقولي له «وليس هذا بكثير على حرية الانكليز التي قسروا بها من يختبرهم ويختبر غيرهم على تفضيلهم على جميع الشعوب الاوربية في الحرية ومعرفة أقدار الناس»

قلت بل كان الغريب ما عاملني به أحد جمال باشا الاتحادى الشير في بغداد — وكان يومئذ جمال بك — اذ ألمت بها منصرفي من الهند وكنت مجاهدا بالطنين في الاتحاديين والتنفير عنهم وكانت (مجلة العالم الاسلامي) التي يصدرونها في الاستانة تنشر بقلم الشيخ عبد العزيز شاويش اني أقصد المراق لاجل تأليب العرب واثارتهم على الدولة — ولكن جمال باشا لم يأخذ هذا الكلام قضية مسلمة بل سأل تقيي السادة الاشراف السيد عبد الرحمن المحض الكيلاني (م رئيس وزارة بغداد لهذا العهد) وبعض كبار العلماء عني فبالغوا في الشناء (وكان هو يعرف عني شيئا وكتب الي قبل سفري ذلك) فأكرمني وزارني ودعاني الى طمانه — فأين هذه المعاملة من أسمى الاتحاديين الذي اشتهر بلقب السفاح من معاملة الفرنسيين لي في بلدي وأنا لم أفعل شيئا يخالف القانون ولا يخل بالامن ولم أدخل في غمرة الاحزاب السياسية الخ

وختمت المذكورة بسوء تأثير هذه الحادثة في أنفس المسلمين الذين صاروا يتعجبون لما كانوا يسمعون من حسن سيرة فرنسا وسوء سيرة الدولة العثمانية وقد تبين لهم أن الترك أعداء وأرحم وأبعد عن التعصب وأحسن إدارة من الفرنسيين، فصاروا يسألون عن سبب سوء مايت الترك وحسن مايت الدول الاوربية الخ

اعتذار المندوب السامي وغيره

أرسلت المذكرة الى المندوب (القومسيير) السامي فلم ألبث أن دُعيت الى مقره الرسمي (القومسييرة) وكان ذلك في ٨ نوفمبر (تقابلي فيها) مسيو رودييكس) معاون مدير الامور السياسية لانه يحسن العربية وكان هو المترجم بيني وبين المندوب عند تلافينا منذ شهر فرجب بي أجل الترجيب وبلغني شدة أسف المندوب السامي لوقوع الحادثة وانما كان يود لو يلقاني ليستدري بنفسه لولا انه أصيب منذ ثمانية أيام باسمال تحول الى دوسنطارية وانه كلمته الاعتذار باسمه وأن يخبرني ان الحاكم العام (موسيو نيجر) سافر أو يسافر الى طرابلس لاجل هذه الحادثة ليحقق الامر فيها ويماقب المشين وانه سيعزل حاكم طرابلس لأجلي . وكلمته أن يخبرني أيضا بأن الحكومة الفرنسية مستعدة للقيام بكل ما أطلبه من التمويزات المالية والادبية - وكرر علي ذلك قائلا مهما تطلب من التوصل يؤد بكل لوتيلح .

قلت انني لا أطلب تمويضا ماليا وانني لم أخسر من المال شيئا يذكر وأما معاقبة المشين من الشرطة وغيرهم فهو لمصلحتكم لانه يرفع عنكم تهمة تسد اعانة المسلمين وظلمهم وأنا لم أخسر شيئا من مقامي الادبي بظلمكم ايبي بل ذلك مما يرفع مقامي في نظر أهل وطني وغيرهم ، الا أن حاكم طرابلس أمرك منده اوراق وقتنا فأنا اطلبها لسمي في انجاز العمل فيها

قال اذا أنت لم تطلب لنفسك شيئا فأنا أطلب منك باسم الوطن السوري أن تترك مصر وتقيم هنا وتشتغل بإصلاح بلادك فهي أولى بك لانها فقيرة من الرجال ونحن في حيرة من هذا الفقر ... نريد انشاء مجمع لقوي وان تكون أنت المصور الاول فيه وفي البلاد مصالح اسلامية خاصة أنت أولى بإصلاحها أو ادارتها ونود أن تكون مستشارا للحكومة العليا في البلاد لتكون خدمتنا لها على الوجه المرضي للمسلمين أصحاب الاغلبية في البلاد وان ادارة هذه البلاد من أشق الامور وأصعبها لكثرة الاديان والمذاهب المتعددة فيها (وذكر أكثرها وأحال في استأثني والثناء علي بلسنته وبشاشته)

فشكرت له هذه العناية والثناء واعتفرت عن الانتقال من مصر الى سورية

بما لا حاجة الى الاطالة به

وكان اتفق في هذه الاثناء أن دعا الحاكم العام للولاية (موسيو نيجر)

أكار رجاء المسلمين الممارسين لتأليفهم وسلم ١٠ يتكروا على السلطة الفرنسية وما ينقمون منها فكان أشد ما ذكر له مما نقموا وأنكروا حادثنا هذه ، تكلم فيها في ذلك الاجتماع وغيره أكبر العلماء مفتي الولاية الشيخ مصطفى نجما والشيخ أحمد عباس وأيدهما كبار الوجهاء المشهورين بالشجاعة الادبية كالرحوم أحمد مختار بيهم وأبي علي سلام فأكبروا من شأن صديقهم خادم الاسلام والوطن حمل ذلك الحاكم على ان يطلبني ليسمع تفصيل الحادثة مني فاتفق ان طلبني مدير الامن العام في الوقت الذي حددته لي كتابة

جئت دار الحكومة بعد العصر من ذلك اليوم فقابلت مدير الامن أولا فأعطاني أوراقا وبلغني عن حاكم مدينة بيروت الاداري أنه يجب أن أسافر الى مصر في أول باخرة تسافر من بيروت الى الثغور المصرية . ثم دخلت على الحاكم العام فرحب بي واعتذر عن الحادثة متأسفا لوقوعها وقال إنها بلغت من مصادر مختلفة فأجب أن يعرف الحقيقة مني قبل سفره الى طرابلس فأخصتها له ، فأعاد التلطف في الاعتذار ووعد بالتقصي ومعاينة الشهود فقلت له : ذلك شأنكم ولكن مدير الامن العام بلغني الآن انكم حكتم علي بالني من البلاد ولم يبين لي سبب هذا الحكم القاضي فهل هذا ما وعدتم به من العدل ؟ وأنا لست بمسي عقاب احد بمرل ولا غيره لاجلي ، فان هذه الاساءة رفعت من قدرتي في نظر ابناء وطني ، ولكن حاكم طرابلس أرسل اليكم جميع أوراقتي ماعدا الاوراق الرسمية المتعاقبة بالوقف — ولحست له خبرها —

فأنا لا اطلب الا استرجاعها لاجل اتمام المعاملة الرسمية في الولاية بها . فظهر الاستياء على وجهه وكتب امرأ بالنفاء حكم الذي مستدرا عنه واما اوراق الوقف واعدان يحضرها معه . ثم ذهب الى طرابلس وبث مع حاكمها العسكري في ذلك وبلغني أن هذا قد احتج لنفسه بأن البوليس فعل ما تقتضيه وظيفته الا اساءة المعاملة واما هو فلما علم بحقيقة الحادثة حولها الى الولاية ولم يسي في شيء — وقد صدق في هذا — وبلغني أنه وبخ لبنان ومحاكمه حنا وهددما .

وهكذا كان شأن السلطة الفرنسية اسوءا اختيار الموصفين ، تقع في المشكلات والاداءات المظلمة ، وقد اتفقت انهم لم يجدوا في طرابلس ما يرضون به ولا في بيروت ولا في اوراق ذلك ليس في طلب السبل ولا عن لبنان ذلك مثلا لما

تعلق مسلمي الساحل بفیصل وتأثيره

قد كان استغرابي لا غرار المسلمين بالانكلز وفيصل عظيما جدا ولا سببا بد تنفيذ الانكلز لماهدة سنة ١٩١٦ باقتسام البلاد العربية بينهم وبين فرنسا ، وأغرب من ذلك استغرابهم لتخطئي ايام في ذلك واعلامهم عالم يكونوا يعلمون من امر ثورة الحجاز وحقيقة حال ملكها والامير فيصل وطعم الانكلز في السيادة على جميع البلاد العربية ما عدا هذه الحصة التي أعطتها لفرنسة من سورية ، ولجزمي بأنها لن تمود الى منازلها فيها وانزعاعها منها لتعطينا اياها ، وانما يجوز بل يرجح أن تأخذها منها في يوم من الايام ، اذا استقرت قدمها الاستعمارية فيها جويلا من البلاد ، وان تستخدمنا في ذلك كدأبها في ضرب الامم بعضها ببعض كنت اقول في كل مجلس يدور فيه البحث في امر البلاد ان مثل انكلترة مع فرنسا في المسألة العربية كمثل جبار غاصب انتزع ضيعة لاسرة غنية من ايديها وأعطى بستانا أو دارا منها لرجل كان مساعدا له فأبي الرجلين أولى بمقتصام اصحاب النسيعة ؟ الذي اغتصبها أم صاحبه الذي أخذ دارا واحدة أو بستانا منه ولولاه لم يأخذ شيئا ؟ وهل يليق بالاسرة المالكة للضيعة أن تتماذى وتتنازع في تفضيل احد الفاصبين على الآخر أم الواجب عليهم أن يتفقوا على ما يجب عمله لاسترداد المقتصوب ؟

ثقل على كثير من وجهاء المسلمين قولي هذا من حيث كان مزالا أو مزبلا لما كانوا يعمنون به أنفسهم ويسلون به همومهم وزاد ثقله على تلك الاسماع ووقعه في تلك القلوب ان كان ممن يوثق بعلمه ، ولا يتهم في اخلاصه وحسن قصده ، وأنه لا سبيل الى تقصه أو رده ، فمنهم من كان يقول وكيف العمل ، واذا لم يصل لنا فيصل ووالده فن ؟ ومنهم من يسألني بادلال المودة والصدقة أن اكتم هذا لثلاثيائس الراجون ، ويشتت الخلقون ،

ذلك بأن أعرض امراضنا الاجتماعية أننا تمودنا التواكل بيننا ، والانكسار على غيرنا ، ولا تزال الاحزاب والجمياعات السياسية في سن الطفولة وقد رسخ خلق التنازع بين أهل الاديان والمذاهب ، واذ كان النصراني معترين بالفرنسي لم ير المسلمون بدا من الاعتزاز بالامير فيصل وبأنصاره الانكلز ، وكنت أرى هذا التناظر ضارا في الحال ، وسيء العاقبة في المستقبل . وأن الاولى بالفرقيين ان يتركوه ويرجموا الى أنفسهم فيعطوها حقها ولا يمتنوها ويحملوها

جل اعتمادهم أو كره على غيرهم ، وأدبروا عن وجههم عليهم ، وأنه يستحيل أن يعمروا ويعتبروا به ما ذاءوا ومشاطرين مهادين بسبب اختلاف الأديان والمذاهب ، والاتكال على الأجانب ، وكنت أرى أن إظهار المسلمين لذلك التعلق بقبيل — وإن كان له مالا أنكر من الباعث القبيح — قد زاد في كره أبناء وطنهم النصارى له ولهم ، ونفورهم منه ومنهم ، وحمل الفرنسي على اتخاذهم عدواً مبيتاً وتولين أنفسهم على مقاومة نفوذهم في البلاد السورية وفي أوروبا معاً ، وإنما كان يمتاز قبيل على وجه الوطن السوري في السمي البياني لاستقلاله بكونه قد عد من قواد الحلفاء وأنصارهم فكلامه أجدر بالقول لدى حكوماتهم ، فكان من المصلحة أن لا يخص بعضهم بالولاء وبمعضهم بالعداء ، وأن لا يجعل أنصاره من المسلمين ما كانوا يظهر من التعلق به والاحتمال بقدومه ورواحه أغاظة للنصارى المقتربين بفرنسة ، وكنت أرى الصواب في هذه المسألة أن لا يفتخر المسلمون به ويتكبروا عليه ، وأن لا يخافوا النصارى منه ، فصرحت في بعض المقالات التي نشرتها في جريدة الحقيقة للتأليف بين الفريقين على المصالح المشتركة بينهم في البلاد بأن فيصلاً لا ينبغي أن يخيف أحداً من أهل البلاد إذا كانوا متفقين على القيام بشؤون بلادهم لأنه ليس من أهل دولة أجنبية قوية يمكنه أن يستعين بها لها وجندها على جعل سورية تابعة لها إذا هو ولي أمارتها بل يكون هو تابعاً لها حتى إذا فرض أن عادت بلاده الأصلية أو حاربتها لا يسعه إلا مجاوتها والاستقلال من أمارتها والمخروج منها ، وضربت لذلك مثلاً ملك البلاد الرومانية إذ اضطر إلى قتال أبناء جنسه النسي وحم الألمان اتباعاً لأرادة أمته السياسية ، وقد كان هذا القول مقنعاً لخصوم فيصل فلم يرد عليه أحد ، بل لم يكن أكثرهم يعلم أن الأمر كذلك ، بل كانوا يظنون أن إمارة فيصل على سورية وترك فرنسة لها يستلزم إلحاقها بالحجاز ، وإن ملك الحجاز رئيس ديني للمسلمين كالبابا عند الكاثوليك ، وقد صرحت في ذلك المقال بخطئهم في هذا الاعتقاد أيضاً

وقد رضي المسلمون بما كتبت في هذا المقال وسرهم سدم اعتماد النصارى له ولو جروا على هذه الخيلة قولاً وتاباً وكذبوا عن ذلك المسلك الذي ألكوه في شأنه لوقت الممارسة له من الفرنسي وأعوامهم عند حد ولم تنته إلى ما انتهت إليه ، ولما كان تأثير عاقبة أمره في المسلمين النيا شديداً كما كان ، ولكن

ذلك البيان لم يكرر ولم يسم فظل السواد الاعظم من النصارى يمتقد الى اليوم ان فيصلا كان يريد جعل سورية تابعة للعجاز وانه كان قادرا على ذلك لو تم له الامنواء عليها ، وكل من الامرين خطأ . ولم أكن أريد بهذه الخطة تأييد فيصل لداته أو مشايعة لحزبه ، وأكثرهم من اخواني وأصدقائي وان كنت أعلم أنها أمثل ما يؤيد به ، وانما كنت أقصد أن لا يتعادي أهل وطني بسببه وان أدلهم على ما تحفظ به مصلحة الوطن اذا أتاح القدر له ان يكون أمير البلاد أو ملكها بنفوذ حلفائه

وجلة القول انني كنت أتمنى في كل ما كنت أقوله واكتبه النصح لجيم أهل وطني مع المحافظة على ما أؤمنه اياه السلطة البريطانية بمصر وجملته شرطا في الاذن لي بالسفر وان كان ظلما واعتداء على حريتي الشخصية في بلادتي التي أنا أولى بالحرية فيها منهم ، ولم اكن أتفصح لسلطة من السلطات التي قسمت البلاد ولا متعاملا على واحدة منهم تحيزاً لخصميتها ، ولا مهيجا على السلطة الاحتلالية ،

الدين والقوة والمصلحة في سياسة أوربة

واني أرجو أن يكون الزمان قد أثبت لاهل البلاد على اختلاف أديانهم ان جيم ما قلته في فرنسا وانكلترة والعجاز هو الحق وان جيم ما اقترحت هو المصلحة ، وان لم يتذكروا أقوالي ، فن لم يكن ظهري له ذلك الى اليوم كله أو بعضه فسيظهر له عن قريب فيعلم السوربون وهم شعب غير مسلح انه لا قوة لهم الا بالاتحاد وجم السككة ، وأن النوب لا تنال من الحرية والاستقلال ولا من الكرامة والارتقاء مع احتلال أجنبي الا بقدر قوتها ، وان دول أوربة وان بنيت سياستها القديمة في الشرق الاذن على دعوى حماية المسيحيين وانصافهم أو انتقادهم من ساطة المسلمين فهي تتخذ الدين وسيلة الى مصالحها ولا تبالي بما يمارسها وان انفس الدين وأهله في اليم نفساً .

والدليل على ذلك أن الدولة الفرنسية حامية المسيحيين الاولى في الشرق لا دين لها وانها قد قوضت الآن ببيان القاعدة الاساسية للسياسة الاوربية في الشرق - أعني قاعدة التنارع بين الهلال والصليب وسبقت حلفاءها الى الاتفاق مع الترك الوطنيين الافرياء في الاناضول وصرحت بان لهم الحق في الاستقلال التام واستعادة ما أخذته الحلفاء المنتصرون منهم ، ورضيت بأن تتعجل لهم من جميع كابيكية ، وعن جزء عظيم الشأن من سورية ، والامة الفرنسية ترفع صوتها

وأيضا مكرمينها في سبيل إعادة المودة بينها وبين الاسلام وخليفة المسلمين ،
وإذا رأيت أن هذا من مصلحتها لم يصدها عن تنفيذها حماية المسيحيين في تلك
البلاد ، ولا قاعدة ما أخذ الصليب من الحلال لا يسود الى الحلال

وان الدولة البريطانية ترجح المصلحة على الدين أيضا وهي ذات الصفة
المسيحية الرسمية والملك الحامي للايمان وواضحة قاعدة الصليب والحلال التي
ملأت الدنيا عنفا وتثريها على فرنسا لاتفاقها مع مصطفى كمال باشا ناسخة
للقاعدة الاوربية المذكورة آنفا بعد أن كانت متفقاً عليها وتاركة حماية الاغليات
المسيحية في كايكية فانها قد كانت سبقت الى خطبة مودة السكاليين فلم تظهر بها ،
وضحت الارمن الذين دفعتمهم الى عداوة دولتهم ، وتركهم يدورون جزاء
نوراتهم وعصيانهم ، ولم تقبل أن تكون منتدبة لحمايتهم ، بل لتأمين ما اترفت به
من استقلالهم ، ثم إنها تريد أن تعيد سلطان اليهود القومي الى مدينة المسيح
(عليه السلام) ومهد دينه وهي تعلم أن ذلك يسوء كل مؤمن بالمسيح ولا يرضاه
حتى من شعبها نفسه الا بفضل الجنبه عليه وعلى انجيله وأهل دينه ، وان كل
ما يشكو منه أعداء الحجاز من المسيحيين ويسوءهم من تقوذا أمرائه لانه مهد
الاسلام ولحسابهم أن سلطة شريف مكة كسلطة البابا فهو من أعمال بريطانية
المطعمى وانما الحجاز مسجد ليس مقر سلطة ولا يصلح أن يكون كذلك ، وليس
به قوة جندية ولا مالية يفتحها سورية أو يحفظها نفسه لو حاربه هي أو غيرها .
ولن هذه الدولة مهتمة بالصلح مع الترك والاعتراف لهم بحق الاستقلال في
بلادهم واحترام ساطه الخليفة التركي واظهار الرغبة في مساعدته كما فعلت فرنسا اذا
هي عجزت عن إقناعها مع ايطالية ثانية بالانفاق على الاجهاز على هذا الاستقلال
وأما أمراء الحجاز فقد ظهر فيهم ما كنا نقوله لانباء الوطن السوري فيهم
وهو أنهم لا رجاء فيهم للمسلمين ، ولا خوف منهم على المسيحيين ، لانهم لا حول
لهم ولا قوة بأنفسهم وانما هم مخزون لخدمة بريطانية المظلمى مثال كل منهم
من الخطورة عندها بمقدار خدمته لها وتمكين نفوذها في بلاده وسائر البلاد
المرتبطة كدأهم في جميع البلاد التي مدوا اليها أيدي مظالمهم .

فلما كان فيصل أكثر موثاقا لهم جعلوه ملكا لمنعمرة العراق الجديدة
وكم لديهم من السلاطين والأمراء والالقب الاخرى في المستعمرات والاملاك التي
هي أوسع من العراق استقلالا ، وتقوؤهم فيها أضعف وان لم يسم انتدابا ،

ولو واتاهم أخوه الأمير عبدالله من قبل لسيقه إلى ملك العراق، ولت إذ لم يقبل لقب الملك في العراق لأنه بغير ملك، لم يقبل ما دونه في شرق الأردن، وبأليت... وبأليت، وأليت وحل ينفع شيئاً لبت، ليت شبابا بيع قاشقريت... ففتى أني يشوب أهل سورية عامة إلى رشحهم من قريته وينسلا عنهم ما لحقهم من عار التعصب وعدم الوطنية، لو يتحدوا اتحاداً يقطعوا الاتصال إلى محتراميهم والرغبة في صداقتهم، بدلاً من الاستبعاد، ولا يأبى المسلمون حينئذ أن تكون حكومة لبنان مسيحية مستقلة لاسلطان لغيرها عليها، وأما فاضن ذلك لمن شاء بما يقنعه، إن شاء الله... نصيحي للفرنسيس بتغيير سياستهم في سورية... كان...

قلت أني قد اضطررت لكتب حادثة طرابلس لأطالة الحبك في بيروت واشغلت بمسألة الوقف بعد أن كنت وكنت من يقوم بذلك، وفي أثناء هذه المدة جئني بمضمار في بموسيو (موسيه لوي) وهو يمحض العربية وكان قد زارني بمصر فكانت مما ذكره لي أنه يبلغهم عن غلوة عظيم في أهدنة المعارضة والمقاومة لهم ولكنهم لا يأخذون الكلام على علاه بل يتزولون ويمحقون إلى أن يقفوا على الحليفة. فقلت له إن عندي قاعدة أخرى تطبق على عليها وهي أن الرجل من لا يقول قولا يحتاج إلى إنكاره وأنني أعنيك وعداً مؤكداً بشر في بانك لوسالني عن كل ما نقل إليكم عنى صدقتك في الاعتراف بالصحيح وإنكار ما عداه لتعلموا مقدار غش جواسيسكم، والأفاني أخبرك أجمالاً بسيرتي في البلاد، إنني لست قائماً بدعوة إلى مقاومتكم ولا إلى تأييد أنفسكم ولكنني من رجال الاستقلال وممارضي السلطة الأجنبية ومشهور بهذا، فأنا أصرح برأيي ومشرني إذا اقتضت الحال ذلك ولا أنتقدكم بأكثر مما أعتقد به الانكليز والشريف حسين والشريف فيصل، وأنني معتقد أن محاولتكم استثمار سورية ليس خيراً لكم ولا لها ولو فرض أنني اعتقدت أن استثماركم لها خير لها لما كنت لي أن أصرح بهذا الاعتقاد المخالف لما يعلم كل الناصر من مشربي وثباتي عليه إذ يكون التصريح مظنة ريبة في كونه اعتقاداً عرضياً. قال هذا كلام صحيح

ثم شرحت له رأيي في بيان كون اقتسام سورية والعراق بينهم وبين الانكليز هم لهم لما سيكون من عاقبته في عداوة العالم الاسلامي لها وكون غشهم في

هذه القسمة أعظم من حين خلعناهم بسفر حصتهم. ونسر التصرف في أهلها وما يتوقع من انقلاب النصارى عليهم وقد بدت بوادره ، وإن الخير لهم في حصتهم من سورية أن تكون مستقلة استقلالاً سحياً وجعلها صديقة لهم. وحينئذ يفتخرون منها باختيار أهلها من غير خسارة فوق ما ينالهم من النفع بسبب السيادة العسكرية فيها ويربحون صداقة الأمة العربية كلها ويؤمنون ضرر عداوتها. وجعلها آلة بأيدي الإنكليز. وذكرت له أنني نصحت للإنكليز بمثل هذه النصيحة (١) فمنهم الفرور والطمع والتعصب الديني من الاصفاء. ولخصت له معنى مذكرتي لرئيس الوزارة البريطانية وقد سبق ذكرها في المشار غير مرة. فأعجبه كلامي واقترح علي أن يكتب مذكرة للجنرال غورو بذلك وهو يترجمها له ليرسلها إلى باريس فامتنعت عن الكتابة وقلت له بلفه أنت ذلك.

بعد هذا ذهبت إلى دمشق إجابة لطلب الأمير فيصل ثم عدت إلى بيروت في أول باريس سنة ١٩٢٠ لاقتناع وجهاء بيروت المنتخبين للمؤتمر السوري بالذهاب إلى دمشق لحضور جلسة المؤتمر التاريخية التي تملن استقلال سورية وفي ٤ مارس جاءني كتاب من (موسيو مرسيه لوي) يقول فيه بعد رسوم الخياط «إن سمادة الجنرال غورو قد عين لكم ٥ آذار الساعة ٦ افركي مساء ميماد استقبالك في السراي»... وكان هذا الطلب بسبب محابته إياه بموضوع حديثاً لا يطلب مني ولا علم لي في الموعد فبلغت أن موسيو مرسيه الذي سترجم بيني وبين الجنرال قد ذهب إلى قنصل أميركة في عمل رسمي أبداً فيه فانتظمت ناه متوقعين مجيئه في كل دقيقة زهاء ساعة ونيف فلما حضر دخلنا حجرة الجنرال فقلنا أمين سزه (السكرتير موسيو روير دو كيه) وبلغنا بعد التحية أن ميماد الجنرال ذهب يخطه (موسيو مرسيه) فهو يعتذر عنه باسمه ويحل محله فيما طلبني لأجله إذا كان لدي سعة في الوقت. قلت ليس لدي مانع من البحث. وأما ذكرت هذه القصة ولم الخص حديثي معه بدونه للاعلام بأن الجنرال فيه كان حريصاً على البحث في هذا الموضوع المهم وهو كون استقلال سورية وحريتها خيراً لقردة من استعمارها باسم الانتداب وقد يتعجب كثيرون من من نتيجة ما أقصه من حديثنا ويرون فيه دليلاً على تقدير السوريين في السعي المقبول لدى الرئيس باسمهم. وإن رضاعهم استقلال سورية ممكن (لها بقية)

(١) النصح يقابل المش والطماع ولا يتضمن استعلاء من الناصح

باب المراسلة والمناظرة

انتشار علم السنة ومدرسة الدعوة والإرشاد

محلة مسير (عربية)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أحمد (بن) أحمد سلامة إلى حضرة صاحب الفضيلة الإمام الوارث
لعلوم المرسلين، الباذل جهده في ابلاغ دين الله جيمع العالمين ولم يدخر وسعاً
في السعي وراء تحقيق اصلاح حال المسلمين، السيد محمد رشيد رضا الحسيني
بلغه الله ما يشاء وتتمناه لهذه الامة المحمدية آمين

السلام عليكم ورحمة الله وعلى كل من وآلآكم في ذات الله . وبعد فاننا محمد
الله اليكم الذي أيدكم بروح منه ووفقكم للقيام بتحرير منار الدين حتى يبلغ صوت
الحق منه أذان القريين والبعيدين، فأحيا الله به هنا وهناك قلوب المستعدين،
وأقام به الحجة على المخلفين والمعارضين، ممن سموا بالعلماء والمتعلمين، ولقد فطن
كثير من اخواننا في هذه الايام الى أن حال المعاهد الدينية الحاضرة في هذا
القطر لا تنفي أولادهم من التربية الحق شيئاً، ولا تعجزهم نعماً، ان لم تكن ضارة
ومفسدة لاستعدادهم، ومما يشهد لنور الفطرة المودع في قلوبهم، فعمدوا من
أجل ذلك الى توليهم تأليفهم تحفيظهم دون أحداث الاستقام بهد تمام حفظ
القرآن بدلاً من مذكور التمهيد التي وضعها المؤرخون حتى يقع أن بعض التلاميذ
من بلدنا الآن يحفظون من القرآن آلاف حديث من بلوغ المرام وشروحه وبعضهم
يحفظون المائة من المعاني لمخرج الحديث الى النبي أوهاهم وتوجيه أذهانهم
الى ما أودع الله في كتابه من التوحيد والافان من الآيات البيئات عليه
وأحكام العبادات وأمرارها المتينة له في القلوب وقد تبيننا بالبحث أن كثيراً
من العلماء في كل مهبط قد ولوا دجورهم شطر السنة بركين التقليد جانية بهد
أن علموا من حافيه بالليل وهم يتكلمون من المنكوى مما عليه المعاهد غير
أن هذا كله وإن كان لا يشفي إلا لا يشفي إلا ولا يروي تحيلاً من الاصلاح
الذي نريد له من الدعوة والإرشاد من فن وكاتب أو من هذه
الحجة القائمة بالدعوة والإرشاد فلهذا نرجو من طائفتين فأطلب دعوتها
فبين من الناس من الله في كل دعوة الى الحق، وليس تجد لسنة الله تبديلاً . غير

أن هؤلاء الطالبين على قلتهم وقصر مدة شغل المدرسة قد أقادوا الداس فائدة كبرى لا يستهان بها فقد سمع نداهم والحمد لله على اختلاف جهاتهم وتناهي ديارهم جماعات هم الآن متعارفون متزاورون ولقد وعدتم حفظكم الله تعالى المرة بعد المرة أو فهم من كلامكم في المنار هذا الوعد بإعادة مدرسة الدعوة والارشاد فكان ما فهمناه من هذا الوعد طمأنينة تقوسنا على مستقبل أولادنا ولكن طال المهد على هذا وأيامه من آجالهم وأجالنا فتي يا صاحب الفضيلة يكون يوم تحقيقة؟ ولقد يغلب على ظننا أن أهل هذه البلاد ما علموا ولا شعروا بفائدة هذه المدرسة إلا بعد وقوف عملها وتعرف أخبار الثلاثة أو الأربعة الذين أخرجتهم هذه المدرسة كالاستاذ الشيخ أبي زيد والشيخ عبد الظاهر وبعد أن عقد الحق صلة بينهم وبين كثير من المستمدين من العلماء والمتعلمين ، فإن صبح رأينا هذا قروي الأمل في تنبيه هذا المشرع من فترته ، وإقالته من عثرته ، فتناشدك الله والدين ، والميثاق المأخوذ على المرسلين ، والوارثين أن تقوموا أتم ومن تبكم بأحسان وتؤذنوا في الناس الامراء وغير الامراء ، من أهل الخير والثراء ، بوجوب إحياء هذا المشرع الذي لا غنى للمسلمين في جميع أقطار الأرض عنه ، وإن بقي ذلك لنصر الدين الله وقد وعد الله ووعد الله الحق بنصر من ينصره ، وإن بقي هذا الجهاد في الله وقد وعد الله المجاهدين فيه أن يهديهم السبيل وأن يكون معهم ، وإن هذا لا يفاء بمهد لله ولقد وعد الله الموفين بمهده الأفاء بعدهم ولعلنا نملك بشيء أنت تجمله لمؤد بقاءه . أو نذكرك بما غاب عنك نستغفر الله ، وأما هي نفقة المصدور وتروح المرحون لما عليه المساءون ، وإن كان لدى فضيلتكم ما يبشر بتحقيق الأمل قريباً فتقدموا به علينا أتاكم الله وجزاكم عن المسلمين خير الجزاء ، ويسلم عليكم وعلى من تبكم بأحسان تليدكم العارف لكم حقكم الشاعدية فذاكم شيخنا الاستاذ الشيخ سيده مصطفى اثر فداكم ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٩

كاتبه سيديكم الخامس
أحمد أحمد سلامة

(المنار) محمد الله تعالى على توفيق المدينين لأحياء علم السنة وحنه الحديث والتمقه فيه حتى في أغرى الصغيرة ، ولسلم على أعيان الكتاب القدير . واستاذ المصطفى لا يافضة نور السنة في ذلك المينجور
أما مدرسة الدعوة والارشاد فهي كما قال أحرنا السانت أول الوسائل نكل

اصلاح اسلامي بحسب ما وصل اليه الجتهاد او وافقنا عليه ارفق من غير ذلك
 عقلاء المسلمين واهل الرأي مبهم في الاقطار المختلفة حتى انهم لم يوافقوا
 بعض كبراء الدولة العثمانية من رجال جمعية الاتحاد والائتلاف
 صغرين بما كان يروجى للدولة وللإسلام من هذه المدرسة لو احبوا ان يوافقوا
 تأسيسها في الآستانة وآسفين لعدم التوفيق لذلك

واما إعادة المدرسة فاني عازم عليه ساع له ولو بأن استأجر مكانا من مالي
 واعيد فيه تلك الدروس التي كنت القىها واكف بعض الفضلاء من اخواني
 مساعدتي على ذلك بدروس اخرى ولو ليلا، وان اجعل فيها قسما اسميه دار
 الحديث للمساعدة على حفظ السنة والاستعانة بها على هداية القرآن. أعتقد
 بذلك الميسرة المرجوة ولست يئأس من إعادة الحكومة المصرية لاعادة المدرسة
 من أوقاف المسلمين الحثيرية ولا سيما اذا زالت السيطرة الاجنبية عنها او ضعفت
 ولعل لو طلبت ذلك في هذه السنة لاجبت ولكنني رأيت البلاد كلها في شغل شاغل
 بقضية البلاد السياسية عن كل شيء عاجل لا يمدوه وخيمرفه اهل الغيرة
 الاسلامية بعد ذلك قدر هذه المدرسة فيساعدونها من كل قطار ولا سيما المهند ونجد
 وليس الشيخ عبد الظاهر والشيخ محمد ابو زيد الذي كاف اصلاح مدارس
 جمعية الاصلاح والارشاد في جاوه مما اللذان قد أخرجا من المدرسة وعينيا
 بالدعوة الى الاصلاح والارشاد مع اثنين آخرين كما قلتم بل نشر طلابها الاصلاح
 في اقطار مختلفة وقد نشر في الجزء التاسع من المنار ترجمة واحد منهم من اهل
 جاوه توفي فيها بقلم اخيه وكلاهما من تلاميذها. واني اشر هنا جلا من مکتوبات
 بعض طلابها من مسلمي الهند

﴿ كتاب من تلميذين من تلاميذ المدرسة بضمه ﴾

وذلك عقب سفرهما من مصر منذ سنين

استاذنا ومرشدنا السيد الامام حجة الدين ونفر الاسلام حفظه الله
 بعد أداء واجبات التحية والاحترام وصلنا بحمد الله الى وطننا العزيز
 واسكننا لم نفرح كل الفرح لاننا من الاصل لم نوفق لتقبيل يديكم عند مغادرتنا
 مصر وذلك ليس الا لخصائب التي احاطت بنا ذلك الحين وأفلقت بالناس
 واضطرتنا أن نسافر عن ذلك الحال

وبموصولنا الى الهند بقينا في بلدنا وقد مرنا أعمالنا على المواقف والاجتماعات الدينية لنستريح حيناً من وعناء السفر — وهانحن (أولاً) تلاميذكم الثلاثة قد اجتمعنا لنخرج الى ميدان العمل ونسير على طريقكم المثل التي اقتبسناها من دروسكم ومحاضراتكم الثمينة في مدة قيامنا بـدرستكم الفراء . وقد شرعنا في ترجمة بعض الكتب والمقالات النافعة ونحن مسمون على أن لا نفتخل الا في الاعمال العملية الحرة فأردنا أن نفتتح مدرسة لتعليم اللغة العربية على طريقة العملية (١) ونصدر أيضاً مجلة عربية غير الهندية ... الخ

ولم تنس وصيتكم الاخيرة بجمع الكتب الاثرية القديمة وقد عرضنا هذه الفكرة على المولى عبد الحى مدير مدرسة ندوة العلماء فاستحسنها ووعدنا بالمساعدة — دمت

الخاضعان

محمد عثمان — عبدالله خديار —

﴿ كتاب من تلميذ آخر من تلاميذ المدرسة بنعه ﴾

هو الآن محرر جريدة (بينام) أي البلاغ في كلمته

استاذي ومرشدي حجة الاسلام فخرا المسلمين السيد الامام مفتع الله بطول بقائكم ! بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ! فاني قد كنت كتبت الى جنابكم المالي كتابين بعد مفادرتي من الحجاز (٢) وامامها وصلا اليكم . ثم سكت طول هذه المدة لالغلة بل لاسباب لا تخفى على احد ، وكيف ارتكب جرم الغفلة والذهول أو نالتم اعتل ولم أعرف شيئا الا منكم ، قدت مصر وأنا في غياهب من الجهل فاقبست من نوركم فصرت بصيراً والحمد لله والمنة لكم !

واكبر شكر يستطيع التلميذ والمريد أن يشكر به استاذه هو أن يحذو حذوه في الخير ويحبي طريقته وينشر آراءه ويهدي امته بالهداية التي اهتدى بها ، واني إذ مولاي ما برحت أسير على هذه الخطوة منذ فرتي الى الهند فزلت اكتب المقالات العملية ولدينية في اكبر الجرائد الهندية ومجلاتنا ، وأتقي الخطب في المجالس العامة ، ومحمد الله يكون لها اكبر وقع عند الخاص والعام لان تلك الافكار ، غريبة عنهم ؛ مكبا في مكالمة علم الحديث (٣) وقد قرأت

(١) الوجه أن يقال الطريقة العملية (٢) الصواب حذف من لان غادر كعارق يتمى بنفسه لا بمن (٣) يريد : وما زلت مكبا على مطالعة علم الحديث فمصف الاسم المفرد على الجملة الفعلية

المصاحح والمؤلف في المذهب. وتقدمه ابن الصلاح في أصوله على أكبر محدث في
الهند الأستاذ السيد أمير علي الذي... من المايو المائوي (١) إلى رحمة ربهم
الله منه. وقد كان رحمه الله كثيراً ما يفتي عليكم وعلى تفسيركم! وأنا الآن مجد
في اتقان فن الرجال وإذا لم يجد الله سبحانه يد الدعوة إلى لا أنجح فيه لأنه فن
صعب بعيد المرام كما هو واضح لديكم. ومشتغل بالتأليف فقد ألفت إلى الآن ثلاثة
كتب كتابا في سياحتي لمصر يمتدوي على أكثر من ثمانمائة صحيفة. وبعد أن يتم
طبعه أقدمه إلى تفتانكم المالية وبأيت لو استطعتم على ما فيه! (لكنه بالهندية)
— وكتابا في المولد النبوي وسينفع الناس إن شاء الله! وكتابا جمعت فيه
الاحاديث الصحيحة من الصحاح والموطأ للمالك والمسنود لابن حنبل بعد مطالعة
هذه الكتب والبحث في الاسانيد — وأنا مرسل اليكم فهرست عناوينه
لتطعموا عليه وترشدوني في امر الكتاب (٢) وسأنفرد به الترجمة أو كذلك شرعت
في كتاب رابع أجمع فيه الألفاظ الحديثة التي تستعمل في الجرائد العربية ومجلاتها
حتى يفهم أهل الهند حق الفهم فانهم إلى الآن لا يستفيدون من المطبوعات
الحديثة لتلك الكلمات الدخيلة (٣) وقد كنت استأذنت منكم لترجمة تفسير المنار
ثم لم أنجزها عليها لعدم انكملي بها. وإذا راجعتم كتابا لاني منتظر صدور تفسير
(بالهندية) لأبي الكلام أراد مدني الحلال لاعتقادي انه إما أن يكون ترجمة
لتفسيركم أو مقتباسا منه! الخ الخ

تلميذكم

عبد الرزاق عبد الحميد الهندي

٨ شوال سنة ١٣٧ هـ

(١) المنار تعريف الاعلام فلما بينا منه علم أعجبي حتى كان يجري على لسان
السيد جمال الدين الذي أعيا من الاملاء والطباعة بمصر (٢) أبواب الكتاب ٨
وهي في الامتنان والمعاملة والمصارفة والامناء والسياسة والامور الروحانية
والاداب فمجموعة من التاليفات متفرقة كالآثار والسير والايام والنذور وجوامع
السكك (٣) دارنا منذ بضع عشرة سنة... القوقاس فكان مما قاله انه يصل
اليهم المنار والمؤيد والامناء والسير... ما يكتب في المنار وإذا خفي عليهم
بعض الاملاء محدودي... لا يفتهمون المؤيد والامناء حق
القيم... لا... فاعجب ذلك. فذكر ما
له... لا... التي لم يستطع في
ومن... عن... الامثال.

الانتقاد على المنار

أطلب في أول جزء من كل مجلد من فراء المنار إتخافنا بما يروونه منتقدا فيه سواء كان بمخالفة الحق في بعض المسائل أو بغفلة المصلحة العامة التي تتوخاها في خدمتنا، ونذكر في خاتمة آخر جزء من المجلد بذلك مشيرين إلى ما لم نقشره من النقد الشفوي أو غير الموجهة إلى المنار

فنتقول الآن في خاتمة هذا المجلد أننا قد نشرنا كل ما كتب البنا من النقد كالرد على ما نقلناه عن ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في مسألة فناء النار وعدمه والمخلود فيها وممناه ولم يمل المنار شيئا في هذا الباب مما كتب إليه. وأما النوع الآخر من التدفليس الذي نأمنه إلا ما قاله بعض السوويين أو نشروه في بعض الجرائد ولم يرسلوه إلى المنار في موضوع مقال (الحقائق الجلية في المسألة المريبة) التي نشرت في الجزء السادس فقد استحسنها الجماهير في الاقطار الإسلامية المختلفة حتى أن محرر جريدة (بينام) الهندية الإسلامية التي تصدر في (كلكتة) كتب البنا بأنه ترجمها ونشرها في جريدتهم فنقلتها عنها « الجرائد الانكليزية الوطنية والهندية واستحسنها الناس كثيرا »

انتقد ساطع بك المصري في حديث دار بيننا وبينه مسألتين من المقالة وهو مظم على ما جرى لأنه كان وزير المعارف في الحكومة السورية ورسول الملك فيصل إلى الجنرال غورو في أثناء المناوئة بينهما في أمر الانذار المشهور (الاولى) قولنا في الصفحة ٤٦٩ : قبلت الحكومة برئاسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنها قبول الوصاية بلا شرط ولا قيد فأصبحت بذلك ساقطة غير شرعية بقرار المؤتمر .. (والثانية) قولنا فيها أيضا : عظم الخطب على فيصل ووزرائه لما رأوا أنهم سلبوا بقبول الوصاية مع تلك الشروط الخفية ليدفعوا لاحتلال عن دمشق ويقيموا فيها متمنعين في ظل الوصاية وخدمتها بما كانوا عليه بعد أن قالوا في عدم قبولنا ما قالوا من المبالغات فقال في الاولى ان الوصاية كانت مقيدة بقيود معلومة لا تخفى عليكم وفي الثانية : ان الوزراء وان قرروا قبول شروط الجنرال غورو لم يكونوا رجون ان يبقوا في الوزارة لان الجنرال طلب فيها طلبه من فيصل الذي حكومتها موالية لفرنسة. وقد تنافسنا في المسألتين ورغبت اليه أن يكتب انتقاده كتابا لا يين حقه من

باطله وأعترف له بما فيه من الحق فإني لا أكتب لنقض ولا هوى بل لبيان الحق وخليفة الأمانة فإذا ظهر لي أن فيها كتباً مخالفاً ذلك اعترفت به ورجعت إلى الصواب الذي أفتنح به . ولكنه لم يكتب

وجوابي عن المسألة الأولى أن الجنرال غورو هو الذي قيد الوصاية في إنذاره بما عناه سامط بك لا الحكومة السورية (الوزارة مع الملك) وهذه ترجمة الشرط أو الطلب الثالث من الإنذار

« ٣ - قبول حق وصاية فرنسة على سورية بحيث تكون حرية البلاد مضمونة وبحيث لا يمس حق الوصاية المذكور ما للحكومة التي تنتخبها الأمة من السلطة بل يكون محصوراً في المساعدة الودية خالياً من كل غرض استثماري » وأما المسألة الثانية فالتذييل أعلمه فيها أن إنذار الجنرال غورو لم يكن فيه طلب تغيير الوزارة وإنما الشرط أو المطلب الخامس منه عقاب جميع الذين أظهروا العداء لفرنسة . وكان الجنرال يتهم الحكومة بأنها تساعد المصالحات التي تناوئ الاحتلال الفرنسي كما بينه في بعض أجوبته مما كتبه إليه فيصّل بعد قبول الإنذار ولعل طلب تأليف حكومة موالية كان من المطلب التي تجددت بعد قبول الإنذار وكان سامط بك المصري هو الرسول بين فيصل وغورو فيها والذي علمناه من امر تلك الوزارة أن بعض أعضائها كان محدوداً من المعادين لفرنسة كالمرحوم يوسف العظمة ولدكتور شاهيندز وبعضهم كان موالياً لها كملء الدين بك الدروبي الذي عينه فيصل رئيساً للوزارة الموالية بعد الاحتلال وأما الآخرون فلم نعرف عنهم عداء ولا ولاء لفرنسة

ثم كتب رجل من دروز لبنان اسمه الدكتور سميد طليح كان من أعضاء المؤتمر السوري العام بدمشق مقالة ود بل تم بحال المنار ونشرها في جريدة الاهرام على إثر كلام أغضبه مني في الاسكندرية فان خطاً فنياً تحسدت إهاتته فيه سبقه غضبات كانت في دمشق بعضها في المؤتمر اذ تكرر أن منحه من الكلام في بعض المداخل منماً قانونياً فنان أنني لمسدت التحامل وتقديم غيره عليه وكنت أعلن أنه نسبها لاني وكدت له القول بأن غداً كان من الأثم ، على أنه من شيعه الملك فيصل اذ لم يبلغني أن أحداً من أعضاء المؤتمر ذهب الى لقاء فيصل في اليوم الذي كان ينتظر أن يجيئه فيه جميع الاعضاء بمكتوبات خطية سرية يبينون فيها رأيهم في إنذار الجنرال غورو لأن الدعوة بثت ليلاً وصباحاً بان لا يكتب إليه

أحد . وقد جاءني الدكتور طليح هذا بعد عصر ذلك اليوم الموعود الى الدار بدمشق - وكان من أكثر الاعضاء مودة لي - وأخبرني أنه كان عند الملك وأنه وجده مستاء جداً لانه كان منتظراً من أول النهار لإقبال أعضاء المؤتمر عليه بما وعدوا من الكتابة اليه بأرائهم ولم يجيء أحد ولا الرئيس الذي كان يجيء في مثل هذا اليوم عادة (وهو يوم أحد) وقال الدكتور طليح إنه ينتظر ذهابك اليه فيحسن أن تذهب وتسلمه ، فقلت حقاً انني بعد اشتغالي برئاسة المؤتمر قصرت زيارتي له على يومي الجمعة والاحد لعدم عقد الجلسات العامة فيهما (وكنت أزوره صباح كل يوم) ولكنني بعد أن رأيت منه ما رأيت من احتقار الامة عزمت على أن لا أزوره الا بدعوة رسمية ...

وأذ نحن في الحديث جاءني رسوله يقول ان جلالة الملك ينتظرك فذهبت اليه فرأيتُه واجما مغموما وسألني ما بال أعضاء المؤتمر قد أخلفوا مواعيدي ولم يأتوني بأرائهم في الازمة الحاضرة مكتوبة وقد ظلت منتظرا لهم النهار بطوله ! قلت انني عجلت منذ خرجنا من هنا انهم عازمون على عدم إجابة اقتراحكم الذي ساءم جداً لانه عدوه متضنا للطنن فيهم بالجبن والمداينة للعامة فيما يريدونه في المؤتمر . قال لكنهم أظهروا استعسان الاقتراح وقبوله ، قلت ان الجمهور سكتوا واجمين وانما صنف واحد منهم للاقتراح ، ولما خرجوا صاروا يتناجون بينهم بأن هذه مكيدة يراد ايقاعهم بها ويتواصون بعدم الوقوع في شركها . والظاهر أنه لم يذهب اليه الا الدكتور سعيد بك طليح وأنه لم يذهب اليه الا وقد كتب اليه ما يجب وهو إجابة الجنرال غورو بقبول إنذاره !!

لم يكن ما كتبه الدكتور طليح بالذي يستحق أن يعنى به ويرد عليه لانه دعاوى زور وإفك وبهتان اختلق ليبنى عليه ما يشي غيظ الكاتب من التهكم والازراء ، ويتقرب به الى أولئك الملوك والامراء ، وليس نقداً صحيحاً ولا قصد به بيان حقيقة ولذلك نشر في جريدة يومية سياسية ولم يرسل الى المنار

وانني مع ذلك قد وردت عليه ونشرت الرد في جريدة الاهرام لغرضين أهمهما إطلاع من لا يقرأ المنار من قراء الاهرام على حقيقة المسألة العربية التي يهتم جميع المسلمين وكثير من سائر الشعوب بأمرها - ولذلك نشرت مقالتنا جرائد الهند الاسلامية والانكليزية واليونانية - وثانيها إعلام من فكر من قراء الاهرام بما افتراه الكاتب على المنار وقراء المنار في غنى عن ذلك

على انني اخلص تلك الدعاوي والاكاذيب فأقول (أولها) إنكاره
 لأنه لم يوجد في الامة العربية في فرصة هذه الحرب زعماء بمجموع كلمة
 ويوحدون قواها لحفظ استقلالها كما وجد في الترك معطفي كمال باشا وأنصاره
 من كبار القواد والسياسيين ودعواؤه «أن الزعامة الطبيعية توفرت في جلالة الما
 تحسين» الخ (ثانيها) افتراؤه علي بانني قلت انني أشرت على الملك حسين بأن يحار
 الاتحاديين وقد سبق للمنار ذكر هذه الفرية في الرد على جريدة القبلة من ا-
 التاسع بعد الرد عليها في الاهرام منذ أشهر (ثالثها) عبارة كاذبة بنى عليها إستند
 تصرّح المنار بالرواية التي صرح بها بشأن امتناع الملك حسين من قبول مشر
 اتفاق امراء جزيرة العرب (رابعها) زعمه انني قلت كنت في دمشق ثاني الملك وصا-
 النفوذ الاعلى وانني كنت انصب الوزراء وأعزهم - استنبط هذا بما ذا
 في مسألة المرحوم يوسف العظمة وجعله حقيقة واقعة لأجل التهم الذي أر
 وقراء المنار يعلمون ما قلنا في ذلك (خامسها) قوله «ويقول أيضا أنه هو الذي
 أقنع المؤتمر السوري بأن يقلع عن فكرة وضع الحكومة بيد دكتاتور» و
 المنار يعلمون أنني لم اقل هذا وانما قلت كان بعض الاعضاء يريد عدم امته
 أمر الملك بتأجيل اجتماع المؤتمر فأقنعتهم بأن هذا خير للمؤتمر. وقد أوضحه
 هذا في الاهرام ببيان أن بعض اعضاء المؤتمر طلبوا مني الاذن بالكلام والخط
 بعد تلاوة أمر الملك المذكور فلم أذن لاحد منهم وتزلت عن كرسي الريا
 تنفيذاً للأمر وعدم جملة موضوعا للمناقشة. وان بعض هؤلاء كالموني
 غيرهم فيما كانوا يرون من عدم امتثال الاسر فأقنعتهم بما ذكرت. وأزيد الا
 أنني لو سمحت لأعضاء المؤتمر بأن يتكلموا في موضوع الامر ويلتقوا فيه الخ
 لكنت خطبهم أشد مما كانت في الجلسة السرية التي عقدوها قبل ذلك اذا
 التهمج والسخط على الحكومة والملك فيسل بالذين حدا الافراط وكان الشبه
 أشد تهيجاً وهو مستعد لاتباع كل ما يقرره المؤتمر، واذا لوقعت ثورة داخ
 تكون عاقبتها اتهم المؤتمر بأنه هو المفضي لاستقلال البلاد

(سادسها) الاحتجاج على ما وصفت به امراء مكة بأنني أنفيت مرة
 الملك فيصل وقد أتهم هذا النداء بما يؤهم أنه شاء بالكفاءة للرئاسة وإفاد الا
 العربية والحقيقة أن ما أشار اليه كان رداً على شاء الملك على أعضاء المؤ
 باجابتهم دعوته الى مأدبة ورومان بأنه هو الحسن في الدعوة وفي التماكر على قيو

فهو أحق بأن يثنى عليه وتوجل عن شكر الصديقه بحسن لاجلته كما قال ابن الجهم
(سابعها) انكاره ما سماه دعوة لفرنسيس بأن لا يعادوا الامة العربية
في بيت ملك الحجاز : وأنا ما دعوتهم الى ذلك دعوة كاذبة وأنا بينت لهم خطام
والخطب سهل (تامنها) زعمه أنني قلت ان جلالة الملك حسين وافق على معاهدة
سايكس وبيكو . واستدل على رد هذا بعدم تصديقه على معاهدة فرساي قال
«لتصديقها المادة ٢٢ من عهد عصبة الامم» وقد رددت عليه في الاصرام ، وقراء
المنار يعلمون أنني لم أقل من عندي إنه صدق على معاهدة ١٩١٦ وإنما رويت
روايات فيها عمن سمعوا بأذنانهم من السير مارك سايكس وراؤ بأعينهم كتاب
جلالة الملك الى نجله الامير فيصل وأملت في ذلك بما لا حاجة الى ذكره هنا لانتنا
نريد إقفال هذا الباب الآن لا كثرة الدخول فيه والخروج منه
علاقتنا بأسرة ملك الحجاز

وليمع القراء أنني لم اكتب قط كتابة من شأنها أن يسوء الحق فيها احداً من
الناس ويؤله وأنا متألم وخجل من مسأته كالذي كتبت في المسألة العربية علماً
بأنه يؤلم الملك حسيناً واولاده لأنني عرفت منهم الامير عبد الله أولاً والامير
زيندا والامير فالحك فيصل اخيراً والدم فيما بين ذلك فلم أشك من معاملتهم لي
قولاً ولا فعلاً بل كنت متعجباً أشد الاعجاب بأدبهم العالي وقد اكرم منواي
الكبير في الحجاز وأنا اني مع من كان معي من نساء ورجال أحسن الضيافة كما يعلم
من تنويعي به وشكري له في رحلة الحجاز من المنار ، واني لا أعلم أن منع المنار
بتلك العبارة المشنة قد كان بدسيسة

وكان يسهل علي تلافي ذلك كما اقترح علي بعض رجال الانكليز هنا ، ولكنني
قد سيررت بذلك المنع لأنني كنت قد علمت أن الامير بار علي ما ينافي مصلحة
العرب والاسلام . وقد كنت صرحت له عند توديعي اياه بتعجرتي في الحرم الشريف
بأنني لا أعمل الا ما أعتقد أنه لمصلحة الملة والامة فادمت أعتقد أن الحركة
العربية كذلك فأنا أخدم فيها كالجندي — قلت مداداً بعد أن تاملت كل التلطف
في الثناء ووباء المساعدة كما أشرت الى ذلك في الرسالة حتى كان من تواضعه
ولطفه بعد ذكر خدمة المنار للاسلام أن قال في صاحبه أنه أغل منا كل شيء
فنحن نحتاج الى علمه وسمة اختباره بأقامته بمصر كل هذه السنين في كل عمل
يربده في حكمه متناً . . . وفصل ذلك تفصيلاً أحسن

ومررت الامير عبيد الله في الاسبنة وكان أول كلامي معه تعريفا شديدا بأمرائنا قاطبة قبله بفاية اللطف والادب ثم ذكر اجتماعي به وأترك وصف نواضعه معي افتداء بادبه في التواضع .

وأما فيصل فكان أول لقائي إياه وحديثي معه في بيروت بعد عودته الثانية من أوربة حيث كان له ما يعلم الناس من علو المسكنة . طلبت الخلوة به على ضيق الوقت فسمح بها ليلا فكان أول حديثي معه في السياسة بعد بحاملات اللقاء أن ذكرت له بالاختصار رأيي في نورتهم ومغارها من مبدئها إذ بنيت على الانكسار على الاجنبي لا الاستقلال الصحيح ولا جم الكلمة الى ما كان لها من سوء العاقبة وأسباب ذلك — فلما وافقني على رأيي في سوء النتيجة والمقدمات؛ قلت له انني أرجو أن تكونوا قد استفدتم بالاختبار ما ينهض بهمتكم الى تلافي هذه الاخطار ، ولذلك طلبت الخلوة بكم لأقف على خطتكم الجديدة فان وافقت رأيي كنت مساعدا لها على قدر طاقتي ، والا كنت مقاوما لها على ضمني ، ولا أراكم تستكبرون مني كلمة المقاومة لاني لست أميراً فقد قاومت السياسة الحميدية على عظمتها وخضوع الرقاب لها ولم اكن أميراً ، وقاومت السياسة الاتحادية على قوتها وجبروتها واغتيالها لخصومها ولم اكن أميراً . فقابل قولي على خشونتته الذي أوجبه المصلحة والاحلاس في النصيحة باللطف والثناء والرجاء في التعاون والاتفاق ، ثم انه ألح علي بالذهاب معه الى الشام لاجل التعاوذة على العمل فوعده بأن أتبعه ووفيت ، وكنت قبل الاشتغال بالمؤتمر اول مر يخلو به صبيحة كل يوم للحديث والتشاور في المسألة السورية والمسألة العربية وقد بينت له رأيي فيما يجب من العمل في المسألة العربية قولاً ثم كتابة فاستحسن جد الاستحسان ووعده بأن يفرغ ما في وسعه في سبيله . ولو كنت ممن ينفوذ الى أخذ المال والتحف لكنت أقدر على استدرار تلك الكف الواكفة كالسحاب بغير حساب ؛ ولا تفرقة بين المستحق وغيره من العفاة والطلاب ، واذ كان بما أنني لا أطلب ولا أقبل عطاء زين له جوده ان يحنال لتقديم هدية يخلق لها مناسبة فألح علي بأن أستأجر دارا لان طول الإقامة في الفندق غير لائق وقار صرارا عليك الدار وعلينا فرشها فاستأجرت دارا واستحضرت لها فرشا من بلن (مرايس الشام) بعد أن بلغته بنفسه وبعدة وسائط منها رئيس امنائه احسان بك الجابري عدم القبول . وقد اختارنا غير مرة في المسائل السورية حتى نقاضينا وكاز

كل منا سريع الذي لا نثبت أن نعود الى ما كنا عليه من صفاء المعاشرة التي كان
يفضاني فيها ويفضل اكثر الناس أدبا ولطفا وتواضعا حتى كان الخلاف الاخير
الذي انتهى بمقاطعتي له بعد تمطيل المؤتمر ، على انني لما علمت أن التمر ليس آذنه
بوجوب الخروج من دمشق لم أبدأ من توديعه وقد أعرض عنه المتعلقون
فكنت آخر من ودعه ليلا على قتلهم ، وأفضل ما أذكره له من ولاء بعد جفائه أنه
كاشفي بكل ما في نفسه وما ينويه من سعي وعمل ، فقلت له يا مولاي ان مثل هذا
لا يجوز أن يتحدث به ، فقال اني والله لم أذكره لاحد سواك ولا اخي زيد ؛
أفليس هذه الثقة منه يجب أن أعدها له ان لم يعدها أو عنها هو علي ؟ بلى
ولاجلها لقيته وكررت الزيارة اذ جاء مصر عائدا من أوربة راجيا أن استفيد
نيا منه ، وأتوصل الى ما يجب من النصيحة له ، فلم أسمع نيا يبيت الاوتياح
في مصلحتنا العامة ، وصرح لي بأنه سيطلبني الى العراق للعمل معه ، ولو كنت
أعمل لمنفعة الشخصية كما يعمل الكثيرون لكانت مجازاة الملك فيصل في ظل
بريطانية العظمى أوسم أبوابها لدي هناك بعد ان قال لي غير مرة بدمشق
إنه يمدني جبر الزواية في كل ما يمتنى من خدمة العرب والاسلام ، ولكنني
أعتقد أنه لن يستطع أن يعمل هو ولا غيره مع السيطرة البريطانية شيئا إلا لها ،
ولدي من العلم الذي استفدته في ٢٤ سنة بمصر ما ليس عنده ولا عند أحد
من آله وصحبه ، والمسألة المصرية حجة بالغة ولم تبقى خفية على أحد .

وجله القول ان علاقتي بهذه الاسرة علاقة مودة واحترام حتى ان الملك
الكبير على شمه وعلو نفسه كان إذا ذكر لي أحد أنجاله الكرام قولا أو كتابة
يقول « أحد أولادكم » وكنت من أقدر الناس على الانتفاع منهم لو كنت طالب
منفعة شخصية ، وعلى الخدمة للامة معهم لو سلكوا لها سبيلها ، أفلا أكون
خليقا بالغجل الطبيخي من الطمن بمخطتهم وسيرهم ؟ بلى والله وان كان بعض
مقاصدي بها ، امكان استفادتهم منها ، والمصلحة العامة هي التي يرتكب في سبيلها
كل صعب ، ويستهل كل خطب ، وما أنا بآمن على نفسي من الضرر ، الذي
لا أعد منه ما كان من طمن وهذر ، وإنما كتبت بعض ما أعلم بالاختصار ، عند
العلم بنجاح المكيدة البريطانية للعرب بحكومة العراق التي يفتري بها الاغرار ،
ويستغلها عبدة الدينار ، لا اعتقادي انه واجب علي شرعا ووضعية . وقد ظهر
ان لو لم أقم بهذه النصيحة الواجبة لما قام بها أحد ، ولكن ذلك خزيا وعارا على
جميع العرب ، ونمرد بالله من سوء المنقلب

خاتمة المجلد الثاني والعشرين

باسم الله ومحمد أختتم المجلد الثاني والعشرين من المسار كما افتتحته باسمه
 وبمحمد فهو به وله منه واليه ، ولا حول ولا قوة الا به
 بفضلته تعالى أعدنا اجزاء المسار الى حجمها السابق الذي انتقست منه رزايا
 الحرب وطبعناه على ورق اقوى وانظف واغلى من ورقه الاول فتمنه يزيد على
 الفن الذي كان قبل الحرب خمسة أضعاف وتوسعا في مباحته وسائله ، علمنا
 كل ما أقدرا الله تعالى عليه فمسيح الله أن يوفق سبحانه قراءه الى أن يقوموا بما
 يجب عليهم من اداء حقه فلا يزال الكثيرون من اهل الوفاء منهم يرجشون دفع
 النقيصة الى انتهاء السنة واستيفاء اجزاء كل مجلد كاملة ولا يزال الكثيرون من
 غيرهم مدينين باشتراك عدة سنين ، يلوون ويمطلون ، وهم أغنياء واجدون ،
 وبندر أن يوجد فيهم من يستبجح هذا الجرم ، ويستحل أن يصدق عليه قول
 الرسول (ص) «مطل الغني نالم» (متفق عليه) ولكنهم غافلون حتى عن أنفسهم ،
 فلا يفكرون في ثنقات العمل من أين تأتي اذا كان جميع المشتركين أو أكثرهم
 منهم ، لا هم يرضون لانفسهم أن يكون غيرهم خيرا منهم ، ولا يحاسبونها
 في باب وهضم الحق الصراح ، ولا سيما اذا كان صاحبه مهلا أو مقصرا
 في باب بالالاحاح ، لان الامور السالفة قل يحاسب نفسه عاجيا في الامم المريضة
 الا الا افراد من الفضلاء ، وأما الدماء فقلما يفكرون في جنائياتهم العملية
 في باب بالالاهم وامتهم ، أو يفتنوا الى سوء عواقبها فيها وفيهم ، واذا ذكر
 احد من رجعت اليه لالة بادر الى تبرئة نفسه ، وتحويل اللالة الى غيره ، فلا
 ياتيه اللام والتذكير منه الا غريزة الدفاع عن النفس ، والمحافظة على كرامتها بما
 يسبق الى نفسه بادي الرأي ، وقد يقضي بما يقول عليها ، وهو يحسب أنه قد
 قهر لها بآرائها ، وما هي الا الغفلة عن النفس تعمل الى درجة السهو والنسيان ،
 كما أوردنا الى ذلك القرآن ، فقد قال في قوم (سوا الله فأنساهم انفسهم) ووصف
 قوما بأنهم (في عمرة ساهون)

لا يبالي الملمم ما يدفع به اللوم اكان حقا ام باطلا ولا يقول ما يقول دأنا
 عن اعتقاد وقد يقول كلمة حق يريد بها باطلا أو لا يريد بها الا مقابلة اللوم
 بمنته كمن يعتذر عن تأخير اداء الحق الذي عليه للصحيفة بتأخير بعض الاجزاء

عنه ، ويقبل فيمن يعتذرون مثل هذا الاعتذار من قصد جعل الارزاء أو ترك الوفاء عقابا على تأخير بعض الاجزاء أو الاعداد والاصل في الاشتراك أن تدفع القيمة كل سنة سقلا للاستعانة بها على العمل فيكون باذنها مشاركا لصاحبها فيه فان لم يفعل المشتركون ذلك وعد مدير العمل مسئلا بتأخير اصدار الصحيفة فإساءته تكون متأخرة عن إساءة مخرجي الدفع - لما بل تكون معلولة لها في الاكثر ، وإذا كان كل مشترك لا يدفع إلا بعد استيفاء أجزاء السنة كلها في موافقتها وكان اصدار الأجزاء في موافقتها أو مطلقا متوقفا على دفع القيمة قبله لأجل النقطة تكون المسألة من قبيل ما يسمى في اصطلاح المنطق بالدور فيقال لو لا تأخير المشتركين لقيمة الاشتراك لما تأخر صدور شيء من أجزاء المجلة ولولا تأخير أجزاء المجلة لما تأخر المشتركون عن أداء القيمة - ١١ -

والحق أن الارزاء والتسويق لا يكون من جميع المشتركين في الصحف وان المرشحين من يرجى كسلا وتهاونا في الوفاء ، ومنهم من يرجى لأن أداء الحق ثقيل على طبعه وليس له من باعث الدين ولا التربية على الوفاء والنظام في المصلحة ما يرجع على البخل وهضم الحقوق ، ومنهم المفسر الذي ينتظر الميسرة ، ومنهم الحرص الذي يخشى أن يعجز صاحب المجلة أو الجريدة الاستمرار على إصدارها ، واكثر الناس في هذه البلاد وأمثالها لا يثقون بأكثر ما يتجدد من الصحف لكثرة ما يصدر منها أياما وأسابيع أو أشهر قليلة ثم ينقطع وتضيع قيمة الاشتراك التي دفعت لصاحبها سلفا ولكن قلما يشك أحد في النقطة بثبات الصحف التي طالت أعمارها وصبرت على لأواء الزمان ولا سيما لأواء هذه الحرب ألا أن كل من أنصف من نفسه وأعطى التفكير في المسألة حقه يظهر له الحق فيها ويجتهد في المسارعة الى دفع قيمة الاشتراك في الصحيفة التي ارتضاها سلفا فان لم يكن قضي أثناء السنة ، وأنه يظلم صاحبها بالتأخير الى نهاية السنة فكيف بمن يرجى اشتراكه فاكثروا صاحب الصحيفة يظلم يرسلها اليه نقدا به وحسن ظن فيه ، وجملة القول ان الناس في هذه المسألة كما قال تعالى في الذين أوفوا الكتاب (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفوز الكبير) وكل ظالم لغيره فهو ظالم لنفسه

مسألة (الخلافة الإسلامية) لأحد أركان النهضة الإسلامية في الهند صدر ما
المولى (أبو الكلام محمد الدين آزاد) صاحب مجلة (الهلال) العمدة الإصلاحية
وجريدة بيغام — أي البلاغ — السياسية في (كلكتة) الذي قد كفي
الكلام بالألغام فانه من أفصح أهل المصركلاماً وأقدرهم على الخطابة والكتابة
وهو يجيد فهم اللغة العربية بحيث إنه أعاد الخطاب الذي اختتمت به مؤتمر ندوة
المعلماء في (لكهنؤ) بطريق الخطابة باللغة الاوردية في جلسة خاصة عقدت لأجل
ذلك وكانت خطبتي ارنجالية استغرق إلقاؤها زهاء ساعتين ، وقد سمعت بمن
يفهم اللغتين أنه لم يفرض في أداء معانيها من شيء

وهذا البحث في الخلافة يؤلف كتاباً جليلاً ذا أبواب وفصول تاريخية
وشرعية واجتماعية وسياسية هم جميع المسلمين وجميع الذين يعنون بمعرفة تاريخهم
الديني والسياسي ، ومن مباحثه الفرق بين خلافة النبوة الراشدة وما بعد ما من خلافة
الملك وأحكامها واحوال المسلمين فيها ومسائل الجماعة وما ورد في ثرونها وفي
النهج عن التفرق ... واسباب ضعف المسلمين ومطاعة الخليفة والزام الجماعة وتفسير
أولي الامر وأحكام الجهاد والهجرة وشروط الامامة والخلافة في حال الاختيار
وحال التغلب وكون الخليفة لا يعتمد والتعارض والترجيح بين طاعة الخليفة
وبين وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإزالته ، ومن أهم مباحثه
خلافة آل عثمان وغير ذلك مما لم يصل إلينا بعد . وسنعلق على بعض المسائل حواشي
مختصرة أيضاً أو استدراكاً أو استقداً وترك للقراء الحكم فيه

ولدينا أيضاً (كتاب من الملاحظات الى الحقيقة) وهو كتاب إصلاحية عظيم
كما علم من مقدمته وأبوابه التي نشرناها في هذا الجزء ، وسنطلق عليه بما ذكرنا أنما
- وبلي ذلك رحلتنا الاوردية — فهذا أوسع ما لدينا الآن من الزيادة في
المواد على المجهود إجمالاً من أبواب المجلة كالتفسير والفناوى وغيرها أو تفصيلاً
كفصول بحث القياس في اللغة العربية والرحلة السورية ووراء ذلك ما يتجدد
من المقالات والرسائل في أثناء السنة

ونسأله تعالى أن يقر أعيننا بحياة أمتنا ويوفقها الى تغيير ما بأنفسها من
أفكار فاسدة وحرافات كاسدة وأخلاق سيئة ، ليغير ما بها من ذلة ومهانة . وسنصف
واستكانة ، وان يجمع لنا فيها وفي سائر العالم من الهدنة الناصحين ، والصالحين
المصلحين ، وسلام على المرسلين . ~~والله اعلم بالصواب~~ والله اعلم بالصواب